السيرة النبوية

عيون الأثر

في فنون المغازي والشمائل والسير



تأليف

الحافظ أبي الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري

المتوفى سنة ٧٣٤ هـ

الجزء الأول

حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه

د. محمد العيد الخطراوي — محيي الدين مستو

مكتبة دار التراث
المدينة المنورة

دار ابن كثير
دمشق - بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)
مقدّمة التحقيق

الحمد لله الذي أرسلَ محمد بن عبد الله بالهدى ودين الحق ؛ وأظهره على الدين كله ، اصطفاه لنفسه من أكرم أرومة وأشرف محتد ، ورعاه في طفولته ، وربَّاه على عينه ، وأدبه فأحسن تأديبه ، وبعثه ليتمم مكارم الأخلاق ، فكان خلقه القرآن .

وجعل سيرته وحياته بداية التاريخ المجيد للأمة الإسلامية ، ومدرسة تربوية لمجتمعاتها الفاضلة وأجيالها الصالحة .

فصلواتُ الله وسلاماته وبركاته عليه ، وعلى آله وصحبه ، ومن اقتفى أثره ، وتفيَّأ ظلال هديه ، وتأسى بسنته .

وبعد :

فقد سبق أن مَنَّ الله علينا بتحقيق كتاب « الفصول في سيرة الرسول ﷺ » للحافظ ابن كثير ، الذي هيأ لنا ــ بحمد الله تعالى ــ أن نعيش في أجواء السيرة النبوية المباركة ، وأن نتعرف على الكثير من الكتب المؤلفة فيها ، ونضع أيدينا على أوجه التشابه[1] والاختلاف بينها ، إذ أن تلك السِّيَر برغم مظاهر التشابه الكبير بينها ، لاتحاد منابعها ومواردها ، ولنظرتهم ــ رحمهم الله ــ لها على أساس حديثيٍّ معتمدٍ على الرواية والإسناد ؛ فإن المنهج المتبع في تناول أحداث السيرة وموضوعاتها تختلف من مصنف لآخر ، ويبقى لكل مؤلف خصوصيته وشخصيته العلمية المتميزة ؛ مما يكون سبباً بينهم للتفاضل والتفاوت في الاختصار أو البسط ، أو مناقشة الأخبار ، أو تعليل الأحداث وتمحيص الأسانيد ، أو ذكر التنبيهات والفوائد .. مما يجعل من جهة أخرى هذه الكتب يكمل بعضها بعضاً ، ويضيف للمهتمين بالسيرة النبوية ما لا غنى لهم عنه .

---

(١) انظر « الفصول » طبعة دار التراث الخامسة ص ٢٥ ، بتحقيقنا .

وقد كنا نلمسُ ذلك جلياً في تعاملنا مع تلك الكتب حينما كنا نرجع إليها في توثيق نص ، أو تحقيق عبارة ، أو نقد رواية ، ولعل من أبرز ما لفت نظرنا منها ، وحفزنا إلى التعلق بها سيرة « عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير » لابن سيد الناس المتوفى سنة ٧٣٤ هـ ، فعقدنا العزم على تحقيقها بعد أن قلبنا النظر فيها ، وأدركنا كثيراً من جوانب تميزها ، مما يجعلها جديرة بأن تخدم وتقدم للناس ، ذلك أنها وإن سبق طبعها منذ ستين عاماً تقريباً ، وعلى وجه التحديد سنة ١٣٥٦ هـ بعناية مكتبة القدسي بالقاهرة ؛ لم تخل من بعض الأسقاط والتصحيفات المؤثرة على السياق التاريخي ، وما تضمنته من روايات وأخبار ؛ ربما كان سببها التطبيع أو الرغبة في سرعة إنجاز العمل ، وتوفيره كنص مطبوع لأول مرة بين أيدي الناس ، وقد أشرنا إلى بعض من ذلك في أماكنه . وفي اعتقادنا أن هذه السيرة تميزت بمجموعة من الخصائص التي تجعل من حقها علينا أن نهتم بها ، ونوليها الجهد والوقت ، وننتفع بما فيها من وقفات ومشاهد ، وتوثيقات وفوائد ، ويمكننا إيجاز دوافع اختيارنا لها فيما يلي :

١ ــ أنها جاءت وسطاً بين السير المطولة والمختصرة ، وهذه الميزة تجعل قراءتها والانتفاع بها ميسرين للعامة والخاصة ، وقد كانت هذه الوسطية من أهم دوافع تأليف ابن سيد الناس ــ رحمه الله تعالى ــ للسيرة ؛ ومن أبرز الأسس التي بنى عليها منهجه فيها حيث قال في المقدمة :

« فلما وقفت على ما جمعه الناس قديماً وحديثاً في المجاميع في سير النبي ﷺ ومغازيه وأيامه إلى غير ذلك مما يتصل به ؛ لم أر إلا مطيلاً مملاً أو مقصراً بأكثر المقاصد مخلاً[1] ... » .

٢ ــ أنه برغم أن معالم التأليف في السيرة النبوية تحددت أو كادت على يد من سبق ابنَ سيد الناس من الرواة والمؤلفين ؛ فإنه استطاع أن ينهج لنفسه خُطة خاصة تمثلت في طريقة أهل الحديث :

● فعمد أولاً إلى بسط الكلام عن علمين من أعلام السير والمغازي ، وهما ابن

(١) انظر تتمة كلام المؤلف فيما يأتي من مقدمته ص ٥٢ .

إسحاق والواقدي[1] ، والاعتذار عن طعن الطاعنين عليهما ؛ باعتبارهما أساساً لكل من جاء بعدهما ، والناس عالة عليهما في هذا الجانب العلمي الهام .

● وحرص في توثيق أخبار السيرة على ما أُنزل من القرآن ، وما ورد في السنة ، وما لم يجد فيه شيئاً من ذلك رجع إلى كتب السير والمغازي المروية عنده سماعاً أو إجازة بالأسانيد ، وبعض هذه الكتب لم تصلنا ؛ فسدَّت « عيون الأثر »مَسدَّها .

● وقد دفعته الروح الحديثية التي تناول بها موضوعاته إلى طلب الأسانيد العالية ـ وهو شيء يحرص عليه جُلُّ المحدثين ، ويعدونه من مفاخرهم ، ويتكبدون من أجله مشاق الرحلة والطلب ـ وهذا وإن كان يُحسب لابن سيد الناس ويُعدُّ في حسناته ، لا يمنعنا من أن نذكر أن ذلك كان يصرفه أحياناً عن كتب أعلى منزلة حديثية إلى كتب أقل منها ، ليس له من دافع وراء ذلك غيرُ إثبات فضل علو الإسناد[2] .

● وإمعاناً منه في إضفاء صيغة الطريقة الحديثية على هذه السيرة النبوية ؛ ختم كتابه بأسانيده إلى المراجع الأساس التي اعتمد عليها ؛ سواء في ذلك الكتب الستة وغيرها من كتب الحديث ؛ أم كتب السير والمغازي والأنساب ؛ مما تلقاه عن مشايخه الأثبات سماعاً أو إجازة[3] .

٣ ـ ثناء العلماء على هذه السيرة والإشادة بها ؛ للفت انتباه الناس إليها من بين كتب السيرة ، ولا يعرف الفضل إلا ذووه :

● يقول التاج السبكي المتوفى سنة (٧٧١ هـ) في كتابه « طبقات الشافعية الكبرى » : وصنّف الشيخ فتح الدين كتاباً في المغازي والسِّيَر سماه « عيون الأثر » أحسن فيه ما شاء[4] .

---

(١) استوفى الحافظ ابن سيد الناس أقوال علماء الجرح والتعديل فيهما ، ووفق في الدفاع عنهما ، حتى أصبح هذا المبحث في عيون الأثر مرجعاً للعلماء وحجة للدارسين .

(٢) وقد تتبعه الشيخ سبط ابن العجمي رحمه الله تعالى في ذلك ، وأشرنا إليه في تخريجنا للأحاديث .

(٣) انظر ذلك في خاتمة الكتاب ص ٤٥٥ ، من الجزء الثاني .

(٤) طبقات الشافعية الكبرى ٩/٢٦٩ .

● ويقول الحافظ ابن كثير المتوفى سنة (٧٧٤ هـ) : وقد جمع سيرة حسنة في مجلدين[١] .

● ويقول الحافظ ابن حجر المتوفى سنة (٨٥٢ هـ) : وصنف في السيرة كتابه المسمى « عيون الأثر »وهو كتاب جيد في بابه[٢] .

● ويقول الشوكاني المتوفى سنة (١٢٥٠ هـ) : له تصانيف ؛ منها السيرة النبوية المشهورة ، التي انتفع بها الناس من أهل عصره فمن بعدهم[٣] .

وقد اعتمد عليها من جاء بعده من المؤلفين في السيرة ، واستفادوا منها في كثير من الأبواب ؛ كالشيخ محمد بن يوسف الصالحي الشامي المتوفى سنة (٩٤٢ هـ) في كتابه « سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد » ، المعروفة بالسيرة الشامية ، والشيخ علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي الشافعي المتوفى سنة (١٠٤٤ هـ) في كتابه « إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون » المعروفة بالسيرة الحلبية .

ولم يقف الأمر عند بعضهم على الثناء عليها أو الاستفادة منها ، بل ظفرت بما ظفرت به سيرة ابن إسحاق من عناية واهتمام :

فقد قام بشرحها عالم كبير ومحدث حافظ ثبت هو الإمام إبراهيم بن محمد بن خليل الحلبي الشافعي ، المعروف بسبط ابن العجمي ، المتوفى سنة (٨٤١ هـ) ؛ شرحاً مطولاً في مجلدين بخط يده ، سماه « نور النبراس على سيرة ابن سيد الناس »[٤] .

ونظمها الشمس محمد بن يونس الشافعي المتوفى سنة (٨٤٥ هـ) .

وشرح غريبها الشيخ يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي المتوفى سنة (٩٠٩ هـ)

---

(١) البداية والنهاية ١٦٩/١٤ .
(٢) الدرر الكامنة ٣٣١/٤ .
(٣) البدر الطالع ٢٥٠/٢ .
(٤) لقد عقدنا العزم على تحقيق هذا الكتاب وطبعه بهامش السيرة ؛ كالروض الأُنف ؛ ولدينا صورة عن نسخة تامة بخط المؤلف ، وعدد من الأجزاء يُكمل بعضها بعضاً من الهند والمغرب ودمشق ، ونسأل الله تعالى أن يمدنا بعونه وتوفيقه .

في كتاب سماه « اقتباس الاقتباس لحل مشكل سيرة ابن سيد الناس » .

ونظمها أيضاً القاضي فتح الدين النابلسي في أرجوزة سماها « الفتح القريب في سيرة الحبيب » وهي في ثلاث مجلدات ، قال في خطبتها : « نظمت منها في خمسين نهاراً تسعة آلاف بيت ، استوفت هذه الجملة متون « عيون الأثر » . ثم كمل تطريزاً لله الحمد وله الشكر وعنده المزيد والمنة بتاريخ نهار الاثنين ١٧ من المحرم أول شهور العام المكمل ١٠٨٠ هـ أرانا الله خيره وكفانا شره آمين » .

ونحن نسأل الله تعالى أن يكون عملنا في تحقيق هذا الكتاب وتقديمه لعشاق السيرة النبوية ؛ إسهاماً في إعادة هذه السيرة إلى موقعها الجديرة به ، وجهداً موصولاً بجهود هؤلاء العلماء المحققين الذين أشادوا بها أو تولوها بالنظم والشرح والتعليق ، إنه سبحانه وتعالى أكرم مسؤول .

* * *

(٢)
هذه السيرة

١ ـ التوثيق :

تقتضي أصول وقواعد التحقيق العلمي التأكد من صحة عنوان الكتاب ، الذي يراد تحقيقه ، ثم التأكد من صحة نسبته إلى مؤلفه ، وبخاصة حينما يُحيط بهذين الأمرين الجهالة والشك ، أو محاولة بعض الجهات التغيير بغية التدليس أو التلبيس ، أو في بعض حالات أخرى ناتجة من التشابه في أسماء الكتب والمصنفين .

ولكننا في هذه السيرة التي بين أيدينا إزاء كتاب بلغ منَ الشيوع والانتشار في عصر المؤلف وما بعده حدَّ التواتر ؛ مما لا يجعل في اسمه ولا في صحة نسبته إلى صاحبه أدنى شك أو ريب . وقد حافظ النساخ والرواة ، ومنهم المؤلف نفسه على اسم الكتاب كما وُضع أول مرة ؛ علماً بأن أسماء بعض الكتب كانت تتعرض للتغيير طلباً للاختصار ، أو لاستحسان عنوان وتفضيله على عنوان آخر ؛ كما فعل ابن سيد الناس نفسه في كتابه الذي شرح فيه سنن الترمذي و لم يتمه ، فقد كان سماه « العَرْف الشذي » ثم غيره بإشارة من تلميذه صلاح الدين الصفدي المتوفى سنة (٧٦٤ هـ) إلى « النَّفْح الشذي في شرح جامع الترمذي » بغية إحداث التجانس اللفظي بين كلمتي النفح والشرح[١] .

أما ما وقع في « الوافي بالوفيات » على لسان تلميذه وصديقه الصفدي : وصنف : « عيون السير في فنون المغازي والشمائل والسير » سمعت بعضه من لفظه[٢] ، وتابعه ابن

(١) الوافي بالوفيات ٢٩٢/١ .

(٢) المصدر السابق ٢٩٢/١ وبهامش الأصل بخط الحافظ ابن حجر : « الأثر » وهو الصواب . والحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ إنما يصوب جازماً ؛ لأنه تلقى « عيون الأثر » سماعاً عن شيخين كبيرين هما : الحافظ ابن الملقن والإمام الفرسيسي ؛ اللذان تلقياها سماعاً من مؤلفها مباشرة .

تَغْري بردي المتوفى سنة (٨١٣ هـ) في « النجوم الزاهرة »[1] على ذلك ؛ فهو سبق قلم أو تحريف من النساخ .

وقد تلقى هذه السيرة مشافهة أو إجازة مكتوبة من المؤلف تلاميذُه ، والعلماء المعاصرون له ؛ إذ كان رحمه الله تعالى يعكف في كثير من الأحيان على كتابتها بخط يده ، فيتم له ذلك في عشرين يوماً[2] .

وحصل لنا من التوفيق والتوثيق ونحن نجمع صور النسخ المخطوطة للسيرة « عيون الأثر » ولشرحها « نور النبراس » ؛ حقائق ثابتة كانت تملأ نفوسنا غبطة وتدفعنا إلى العمل دفعاً ، **فالنسخة المدنية** المحفوظة في مكتبة عارف حكمة ، مقروءة على الشيخ البابلي المتوفى سنة ١٠٧٧ هـ ، وعلى هامشها تعليقات وتصحيحات منه ومن نور النبراس . **والنسخة الدمشقية** المحفوظة في المكتبة الظاهرية مروية بالإسناد عن المؤلف ، وفي إسنادها الشيخ البابلي ، وعلى هامشها تعليقات وتصحيحات مقتبسة من « نور النبراس » . **والنسخة القاهرية** المحفوظة في دار الكتب المصرية ، قد قرئت على الشيخ جلال الدين البُلْقِيني المتوفى سنة ٨٤٢ هـ ، وعلى هامشها تعليقات منه ومن « نور النبراس » . **والنسخة المدنية** من « نور النبراس » مكتوبة بخط مؤلفها سبط ابن العجمي رحمه الله تعالى سنة ٨٢٦ هـ ، وهو تلقى السيرة بالسماع[3] من شيخه الشمس الفرسيسي ، والذي تلقاها سماعاً من مؤلفها الإمام الحافظ أبي الفتح ابن سيد الناس . وهذا النقل المسطور يكفي « هذه السيرة » في اسمها ونسبتها إلى مؤلفها توثيقاً ليس بعده إلا اليقين .

فالحمد لله على توفيقه ، وله المِنَّة على الدوام .

٢ ـ المنهج والأسلوب :

لقد رسم المؤلف طريقته التي اتبعها في تصنيفه لكتابه بوضوح تام ، واجتهد في جميع الموضوعات التي حشدها في أن يلتزم بها ويسير على هديها ، ونستطيع أن نتلمس تلك

---

(١) النجوم الزاهرة ٣٠٣/٩ : وبهامشه : في الأصل « السير » ، والتصحيح من شذرات الذهب وغيره .
(٢) الدرر الكامنة ٣٣٣/٤ . والوافي بالوفيات ٢٩١/١ .
(٣) وقد ذكر كثيراً أثناء شرحه أنه يملك نسخة صحيحة من السيرة « عيون الأثر » .

الطريقة من خلال مقدمته ، التي تتلخص فيما يلي :

١ ــ أنه رتب السيرة النبوية على أساس زمني حسب تتابعها التاريخي ، فهو يقول : « ... سالكاً في ذلك ما اقتضاه التاريخ من إيراد واقعة بعد أخرى ، لا ما اقتضاه الترتيب من ضم الشيء إلى شكله ومثله »[1] . ولم يخالف هذا المنهج إلا في بعض الحالات التي أحسَّ أن لها مقتضيات تخصها ، فأفصح عن بعضها وأمسك عن الآخر ، يقول : « ... حاشا ذكرَ أزواجه وأولاده عليه الصلاة والسلام ، فإني لم أسق ذكرهم على ما اقتضاه التاريخ ، بل دخل ذلك كله فيما أتبعت باب المغازي والسير من باب الحِلَى والشمائل ، ولم أستثن من ذلك إلا خبر تزويجه عليه الصلاة والسلام خديجة ؛ لما وقع في أمرها من أعلام النبوة »[1] . وقد نبه الحافظ سبط ابن العجمي إلى هذه النقطة في مقدمة « نور النبراس » فقال : « وقد اشترط فيها أن يذكر ما اقتضاه التاريخ إلا ما استثناه ، ولم يخالف ذلك إلا في أماكن يسيرة يعرفها الأنباه »[2] . ثم حدد مهمته في حالة مخالفة المؤلف لشرطه هذا ، فقال : « وإن وقع له وَهَم أو خالف شرطه في الترتيب ذكرته إن نبهني الله له »[2] فالمخالفة الواقعة إذاً في عمومها قليلة لا تكوِّن ظاهرة تخدش المنهج أو تنال منه .

٢ ــ البعد عن التكرار في ذكر أسانيده إلى موارده من الكتب الستة والمصنفات التي تكررت استفادته منها بنقل أو ترجيح ؛ بل اكتفى بذكر هذه الأسانيد مرة واحدة في آخر الكتاب ، كما ابتعد عن التكرار في ذكر الأنساب ، فهو يستوعب نسب الرجل عند وروده لأول مرة ، ثم لا يرفع نسبه إذا تكرر مرة أخرى ، بل يكتفي برمز مرسوم بالحمرة ينبه به على أن هذا العَلَم تقدم نسبه مرفوعاً إلى منتهاه في السابقين الأولين ، أو المهاجرين إلى الحبشة ، أو المهاجرين إلى المدينة ... إلخ . وقد التزم المؤلف بذلك ، غير أن تلك الرموز التي أشار إليها في مقدمته لم تصادفنا في النسخ الخمسة التي بين أيدينا ؛ إلا في ذكر من شهد بدراً من المسلمين ، وهي ليست بخط المؤلف لنحكم أن إسقاطها بعد ذلك كان منه أو من النساخ بعده .

---

(١) مقدمة المؤلف ٥٣/١ .

(٢) مقدمة « نور النبراس على سيرة ابن سيد الناس » لوحة (٢) خ عارف حكمة .

٣ ـ لم يغفل الأشعار ذات الصلة بأحداث السيرة ، ولم يكثر منها إلى الحد الذي يجعلها مقصداً من مقاصده ، ومع قدرته الظاهرة على النقد والتمحيص ؛ فإن بعض تلك القصائد والأشعار لم يخل من سمات الوضع والانتحال .

٤ ـ الاهتمام بشرح ما يرد في بعض الأخبار من ألفاظ غريبة ، وحل ما قد يُشكل في متونها وأسانيدها ، دون بسط أو إفاضة ، ويضع ذلك في آخر كل موضوع مستقل تحت عنوان « ذكر فوائد تتعلق بهذا الخبر » وقد يسميه عندما يكون بارزاً ومتميزاً .

وهذه هي العناصر البارزة في منهجه الذي تحدث عنه في مقدمته ، وبقيت مظاهر أخرى لهذا المنهج يمكن رصدها من خلال القراءة المتأنية للكتاب ، وهي :

أ ـ إيراد الآيات القرآنية المتصلة بالأحداث التاريخية ؛ شاهدَ إثبات ، وإظهار الترابط القائم بين القرآن الكريم والسيرة النبوية ، وبخاصة عندما تكون الوقائع أسباباً لنزول الآيات والأحكام .

ب ـ إيراده الأحاديث والآثار بالأسانيد المتصلة ، يسلك ذلك في الأخبار الكبيرة والصغيرة على حد سواء ، وذلك إحساساً منه بالمسؤولية العلمية والأمانة التاريخية ، وأن السيرة النبوية جزء لا يتجزأ من علم الحديث رواية ودراية .

ج ـ لم يكن أبو الفتح ابن سيد الناس في أغلب أحواله بالناقل الحرفي الذي يأخذ من هنا وهنا ، ويقول ألفت أنا ، بل يختصر ويتصرف في العبارة حسبما يقتضيه منهجه من التوسط بين البسط والاختصار ، وكأنه بذلك ينتقي من الخبر عناصره المهمة ؛ التي يرى أنها تكفي لتصوير الموقف والحَدَث ، ونراه مرةً أخرى يلتزم بحرفية النص للغرض ذاته .

د ـ لم يكن الرجل حاطب ليل ، ولم يكن همه حشو كتابه بأمور ليست بذات صلة وثيقة بموضوعات السيرة ، بل كان يشرع مِبْضعه النقدي بكل وعي وصدق في تزييف بعض الروايات ، ومناقشتها مناقشة حديثية هادئة ، مع الإقرار لمن تقدمه بالريادة والأسبقية ، وهذا ما طبع كتابه بشخصيته الحديثية المتميزة ، وأعطاه مكانته المتفردة بين كتب السير .

هـ ـ لم يُثقل كتابه بأسلوب السجع والمحسِّنات ، الذي كان سائداً في عصره ، بل

أطلق عبارته من كل قيد ، وربما كان ذلك راجعاً إلى تأثره بالموارد التي استقى منها كتابه ، بالإضافة إلى إحساسه بأنه يُعالج موضوعات تاريخية مهمة ، تتطلب الدقة والوضوح ، ولذلك رأيناه حين أحسَّ بغياب هذه المسؤولية ؛ لجأ إلى أسلوب عصره في المقدمة والخاتمة ؛ فسجعَ وجانسَ وطابقَ وأغربَ .

٣ ـ الموارد :

وكما قدَّمَ الحافظ ابن سيد الناس لكتابه بخطته التي رسم فيها منهجه في التأليف لكتاب السيرة ؛ فإنه وضع في آخره ثبتاً بموارده الرئيسة ؛ التي كانت الأساس لأكثر موضوعاته ، وهو بذلك يلتقي مع ما يفعله الباحثون اليوم ، وزاد عليهم ـ رحمه الله تعالى ـ بالأسانيد التي رافقت هذا الثبت ، ويمكن تصنيف هذه الموارد في ثلاثة اتجاهات :

أ ـ كتب الحديث ، وتشمل :

صحيح البخاري ـ صحيح مسلم ـ سنن أبي داود ـ سنن الترمذي ـ سنن النسائي ـ سنن ابن ماجه ـ معاجم الطبراني الثلاثة ـ مسند أبي يعلى الموصلي ـ الفوائد (الغيلانيات) ـ معجم ابن جُميع الغسانيّ .

ب ـ كتب الطبقات والمغازي والسير ، وتشمل :

طبقات أبي عروبة ـ سيرة ابن إسحاق ـ مغازي موسى بن عقبة ـ مغازي ابن عائذ ـ الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ـ الدرر في اختصار المغازي والسير ؛ لأبي عمر ابن عبد البر ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ ؛ للقاضي عياض ـ الروض الأنف ؛ لأبي القاسم السهيلي .

ج ـ كتب الأنساب :

اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار[١] ؛ لعبد الله بن علي الرُّشاطي .

د ـ وهناك موارد أخرى لم يشملها هذا الثبت ، استفاد منها المؤلف في سيرته ، وذكرها بأسمائها أو أسماء مؤلفيها ، وترددت موضوعاتها بين كتب الحديث والتراجم واللغة

(١) الرشاطي متوفى سنة ٥٤٢ هـ ، ويُعرف كتابه بـ « الأنساب » .

والأدب والبلدان ، وذلك لقلة المادة المنقولة منها ، أو لعدم تكرر مواطن النقل ، أو لأنه لا يملك الأسانيد إليها كسابقتها ؛ ومنها :

الموطأ ؛ للإمام مالك ـ تاريخ المدينة ؛ لابن شبة ـ المستدرك على الصحيحين وغيره ؛ للحاكم ـ تاريخ الطبري ؛ لأبي جعفر الطبري ـ سنن الدارقطني وغيره ؛ للدارقطني ـ مغازي الأموي ـ الأموال وغريب الحديث ؛ لأبي عُبيد القاسم بن سلّام ـ جمهرة أنساب العرب ؛ لابن حزم ـ المخصص ؛ لابن سيده ـ الفصول ؛ لمحمد ابن الحسن بن فُورَك ـ التاريخ الأوسط ؛ للبخاري ـ المعارف وغيره ؛ لابن قُتيبة ـ غريب السيرة ؛ لأبي ذر الخشني ـ تاريخ بغداد وغيره ؛ لأبي بكر الخطيب ـ التاريخ الكبير ؛ لأحمد بن زهير بن أبي خيثمة ـ معجم الصحابة وغيره ؛ لأبي القاسم عبد الله ابن محمد بن عبد العزيز البغوي ـ المختصر في سيرة خير البشر ؛ لعبد المؤمن بن خلف الدمياطي[1] .

* * *

(١) الدمياطي متوفى سنة ٧٠٥ هـ وهو من شيوخ ابن سيد الناس ـ رحمه الله تعالى ـ .

(٣)

وصف النسخ المخطوطة

وعملنا في تحقيق الكتاب

١ ـ وصف النسخ المخطوطة :

أ ـ نسخة « مكتبة عارف حكمة » بالمدينة المنورة ، ورمزنا إليها بحرف « أ » رقمها ٤٢/٧٣ سيرة ، كتبت سنة ١١٦٩ هـ في ٤٢٠ ورقة ، مسطرتها ٢٤ ـ ٢٥ قياس ٩,٥ × ١٨ سم ، الخط فيها نسخ واضح وكُتبت بالحبر الأسود ، فرغ من نسخها محمد خليل الحنفي ، وعلى هامشها تعليقات وتصحيحات ، وعناوين الموضوعات مبدوءة دائماً بكلمة « مَطْلَب » وبخط مغاير قليلاً ، وقد اخترنا هذه النسخة لتكون أصلاً ؛ لأنها تامة ومقابلة ومصححة ، وعلى هوامشها تعليقات وتقريرات للشيخ البابلي المتوفى سنة ١٠٧٧ هـ ، فكثير من التقريرات انتهت بعبارة : « هكذا قرره شيخنا البابلي » وعرفنا من النسخة الدمشقية أن الشيخ محمد بن علاء الدين البابلي أحد رواة السيرة النبوية « عيون الأثر » بالإسناد إلى مؤلفها ـ وقد رجحنا أن نسخة « عارف حكمة » رحمه الله تعالى كُتبت عن نسخة قُرِئَت على الشيخ البابلي ـ رحمه الله تعالى ، كما توجد على الهامش تعليقات مستفادة من « نور النبراس .. » ؛ لسبط ابن العجمي رحمه الله تعالى .

ب ـ نسخة « دار الكتب المصرية » ورمزنا إليها بحرف « ب » رقمها ٢٣١٧٤/ب ، كتبت سنة ١٠٢٧ هـ في ٢٦٨ ورقة ، مسطرتها ٢٧ قياس ٩ × ١٥,٥ سم والخط فيها نسخ واضح ، وكتبت بالحبر الأسود ، ما عدا عناوين الموضوعات فكتبت بالخط المثقل ، فرغ من نسخها علي بن أحمد بن علي البهيشي بلداً ، الشافعي مذهباً ، في يوم السبت المبارك عاشر شهر جمادى الأولى ، وختمها بهذين البيتين :

ولا بد من عيب فإن تجدنَّه   فسامح وكن بالستر أكرم مفضل

فمن ذا الذي ما ساء قط ومن له الـ	محاسن قد تمت سوى خيرِ مُرسل

ج ـ نسخة « المكتبة الظاهرية » بدمشق ، ورمزنا إليها بحرف « ج » رقمها ١٨٠٤ سيرة ، كُتبت سنة ١٠٨٠ هـ في ٤٤٥ ورقة ، مسطرتها ٢٥ قياس ٩ × ١٥ سم ، وكتبت بالحبر الأسود ، والخط فيها نسخ واضح ، فرغ من نسخها أبو بكر الدلجي بلداً ، الشافعي مذهباً ، يوم السبت من شهر ربيع الأول . وعليها تصحيحات وحواشي وتعليقات مأخوذة من نور النبراس ، وفي أولها فهرس للموضوعات .

وهذه النسخة مقابلة على نسخة مغربية للأمير عبد القادر الجزائري ، كما أثبت ذلك عز الدين التنوخي بخطه في أولها في ١٧ رجب من عام ١٣٥٥ هـ .

د ـ نسخة « الخزانة الملكية » بالرباط ، ورمزنا إليها بحرف « د » ، كتبت سنة ١٠٧١ هـ في ٤٤٢ ورقة ، مسطرتها ٢٣ قياس ١٠ × ١٦ سم وكتبت بالحبر الأسود والخط فيها مغربي واضح ، وأولها : « قال الشيخ الإمام العالم العلامة النسَّابة أبو الفتح ... » وناسخها مجهول ، فرغ منها ظهر يوم الأحد المبارك وهو العشرون من شهر جمادى الآخرة سنة إحدى وسبعين وألف .

وعلى هوامش صفحاتها تعليقات وفوائد مستفادة من نور النبراس تنتهي بعبارة « هـ . حلبي » وأحياناً : « قاله الحلبي » ، ومقابلة على أكثر من نسخة ، ومشكولة شكلاً صحيحاً ؛ يلتقي غالباً مع ضبط الحافظ سبط ابن العجمي ، وقد وجدنا تشابهاً كبيراً بين هذه النسخة والنسخة الدمشقية .

هـ ـ وهي نسخة مجهولة المصدر ، وناقصة من أولها ، صورناها من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . ورمزنا إليها بحرف « هـ » ، تبدأ بالجزء الأخير من « ذكر شهداء أحد » ثم ما قيل من الشعر يوم أُحد .. ١٨٩ ورقة مسطرتها ٢١ قياس ٨,٥ × ١٤ .

وخطها نسخ واضح ، وهوامشها خالية من أي تصحيح أو تعليق ، وفي بعض صفحاتها مسح وآثار تلف ظاهر . فرغ منها عبد الله بن محمد أبو اليسر الكتبي ، في سابع عشر ربيع الثاني سنة ١١٠٢ هـ .

٢ ـ عملنا في تحقيق الكتاب :

لقد أمضينا في إنجاز هذا العمل أربع سنوات ؛ نلتقي ثلاثة أيام في الأسبوع ، وفي كل جلسة تستمر القراءة والمقابلة والكتابة أربع ساعات تقريباً ، وكان العمل يتوقف خلال الإجازة الصيفية ، وينشط في أيام الإجازات الرسمية وأيام الجمع أحياناً .. وكانت شخصية رسول الله ﷺ الجامعة ، وأنفاسه الحبيبة ، وأطياف أصحابه المتفانين في حبه وطاعته ، تدفع فينا الحماسة والنشاط ، والثبات والمثابرة ، واشتمل عملنا من أول السيرة إلى نهايتها على الخطوات التالية :

١ ــ المقابلة بين النسخ ، واختيار العبارة الصحيحة ؛ كما وضعها المؤلف ابن سيد الناس رحمه الله أو أرادها ؛ وتخليص النص بقدر الاستطاعة من تصحيفات النساخ وتحريفاتهم ، وكان الحكم الفصل عند اختلاف النسخ « نور النبراس » ؛ لأن مؤلفه سبط ابن العجمي رحمه الله تعالى تلقى السيرة بالسماع ، وكانت عنده نسخ منها ، وكان يشير إلى إحداها بأنها « صحيحة » ، مما أضفى على العمل موضوعية ظاهرة في المقابلة ، والتوصل إلى النص الأكمل بحول من الله تعالى .

٢ ــ ترجمة بعض الأعلام من الرواة أو المؤلفين ، أو ممن وقع في اسمه أو موقعه من الرواية أو الحدث وهم أو اشتباه .

٣ ــ شرح بعض الغريب الذي أغفله المؤلف ، أو تقريب ما شرحه من لغة العصر ، وتحديد مواقع بعض الأمكنة ، وضبط بعض الأعلام والألفاظ المتشابهة بالحركات أحياناً ، وبالألفاظ والكلمات أحياناً أخرى .

٤ ــ الرجوع إلى الموارد المطبوعة ، والمطابقة بينها وبين النص المنقول منها ، وتثبيت الفروق إن كانت جوهرية من حيث التأثير في المضمون والمعنى .

٥ ــ تخريج الأحاديث في مصادرها والحكم عليها صحة وضعفاً إن كانت مروية في غير الصحيحين ؛ مسترشدين بأقوال علماء الجرح والتعديل القدماء والمعاصرين .

٦ ــ صنع بعض العنوانات ووضعها ضمن أقواس هكذا ( ) ، وإبراز فقرات الموضوعات وأجزائها ببدايات مناسبة عن طريق دوائر سوداء ، أو تثقيل الخط ؛ للفت انتباه

القارىء ، وبخاصة في فوائد المؤلف ، وذكر المبايعين أو الشهداء من الصحابة الكرام .

٧ ـ الاستفادة من « نور النبراس » للحافظ الحلبي سبط ابن العجمي ، وبخاصة في استدراكه على المؤلف أحياناً ، وتخريجاته لبعض الأحاديث ونقده لأسانيدها ، والتعريف بترجمة الرواة والأعلام .

٨ ـ صنعنا للسيرة فهارس للأحاديث النبوية ، والأعلام المترجمين ، والموضوعات .

٩ ـ أرجعنا رموز المحدِّثين إلى مدلولاتها اللفظية في جميع « روايات السيرة ، فحيثما وردت « ثنا » كتبناها : « حدثنا » ، وحيثما وردت « أنا » كتبناها « أخبرنا » ؛ وذلك تسهيلاً لعامة الناس أن ينتفعوا بأخبار السيرة ؛ بعيداً عن الرموز العلمية ، ونحن لا ندعو إلى إهمالها أو إلغائها ، وإنما ندعها للدارسين المتخصصين ، وفي أمهات الكتب المتخصصة أيضاً .

كما جمعنا للرسول ﷺ ، الصلاة مع السلام كلما ورد ذكره ، والله نسأل أن يجعل ذلك في صحائف أعمالنا ، وأن يدخره لنا إلى يوم نلقى الأحبةَ:محمداً ﷺ وصحبَه ، والحمد لله أولاً وآخراً .

* * *

(٤)
ترجمة المؤلف
الحافظ أبي الفتح

١ ـ نسبه :

هو أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن محمد ابن أبي القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن سيد الناس بن أبي الوليد بن منذر ابن عبد الجبار بن سليمان اليَعْمُريّ ، الرَّبَعِيّ ، الإشْبيليّ ، الأندلسيّ ، المِصْريّ ، القاهريّ ، الشّافعيّ[١] ، المعروف بابن سيد الناس .

فهو يعمري نسبة إلى بطن من كنانة[٢] .

وربَعي : نسبة إلى ربيعة بن نزار[٣] .

وهو **إشبيليٌّ أندلسيٌّ** : تبعاً لآبائه وأجداده .

وقاهري مصري : تبعاً لولادته بالقاهرة وامتداد حياته فيها .

وهو **شافعي** : نسبة إلى مذهبه الفقهي .

وكان يحمل رحمه الله كعامة أعلام أهل عصره لقباً عُرف به هو فتح الدين ، كما عُرف بكنيتين ؛ أولاهما : **ابن سيد الناس** : وهي كنية مستمدة من اسم جده الحادي عشر ويشاركه فيها من أسرته : والده أبو عمرو ، وجده أبو بكر ، وأخواه : أبو سعد محمد المتوفى سنة ٧٢٨ هـ ، وأبو القاسم محمد المتوفى سنة ٧٤٩ هـ[٤] ، لكنها إذا أُطلقت لا

---

(١) الدرر الكامنة ٣٣٠/٤ ، والسيوطي في ذيل تذكرة الحفاظ ٣٥٠ .

(٢) اللباب ؛ لابن الأثير ٤١٤/٤/٣ .

(٣) اللباب ؛ لابن الأثير ١٥/٢ .

(٤) الدرر الكامنة ؛ لابن حجر ٢١٣/٤ .

تكاد تنصرف إلا إليه عند المؤلفين ؛ ولهذا حرص كلٌّ من ترجم له على ختم نسبه بعبارة : « المعروف بابن سيد الناس » .

أما كنيته الثانية فهي « **أبو الفتح** » كناه بها شيخه المسند عبد اللطيف بن عبد المنعم ابن علي ، المعروف بالنجيب الحراني المتوفى سنة ٦٧٢ هـ : سنة مولده ، حين أحضره والده إليه في مجلس الحديث[1] ، فاشتهر بها بين مشايخه وأقرانه ، ولذلك نرى شيخه ابن دقيق العيد المتوفى سنة ٧٠٢ هـ ؛ يناديه بها في درسه[2] حين يتوجه بسؤال إليه ، بالإضافة إلى أنها الكنية التي تميزه عن بقية أفراد أسرته إذا لم تكن ثمَّة قرائن أخرى .

٢ ـ نشأته :

ذكر المؤلف في إجازته لتلميذه ابن أيبك الصفدي ؛ أن مولده كان في رابع عشر ذي القعدة سنة ٦٧١ هـ بالقاهرة[3] ، وهي مُهاجَر والده الذي كان قد استقر فيها في وقت مبكر ، وولي مشيخة الكاملية بعد ابن دقيق العيد ، ثم انتزعها منه البدر بن جَماعة ، وأسندها إلى غيره . وقد كان جده الحافظ أبو بكر محمد مستقراً ببجاية من بلاد الجزائر ، بعد هجرة هذه الأسرة من الأندلس ، وكانت بجاية إذ ذاك من الحواضر العلمية[4] في المغرب حيث كان أبو بكر أحد أعلامها وشيوخها .

وهذا يؤكد أن صاحبَنا أبا الفتح قد وُلد في بيت علم وفضل ودين ، يحرصُ على أن يُنَشَّأَ أبناؤه تنشئة علمية وفقَ ما تعارفت عليه البيئات العلمية آنذاك ، التي كانت تولي التلقي والمشافهة والإسناد الشأن الأكبر في التعليم والتعلّم ، ولذلك نرى والده أبا عمرو محمد يأخذه وهو بعدُ في تمائمه ، في سنته الأولى من عمره إلى مجلس شيخه النجيب عبد اللطيف ابن عبد المنعم الحراني[3] ؛ فكان ذلك أول عهده بالإحضار والإجازة برواية الحديث . ثم أحضره حينَ بلغ الرابعة من عمره سنة ٦٧٥ هـ ، وهي سن الإحضار[5] عادة عند

(١) الدرر الكامنة ٤/٣٣٠ .
(٢) المصدر السابق ٤/٣٣٢ .
(٣) الوافي بالوفيات ١/٣٠٩ .
(٤) انظر عنوان الدراية في علماء بجاية ؛ للغبريني .
(٥) تدريب الراوي ٢/٥ .

المحدثين ، عدة مجالس ، منها مجلس شمس الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي .

واستمرت عناية هذا الوالد بولده أبي الفتح ، وإحضاره إلى مجالس العلم والحديث ، حيث كان يأخذه إليها وهو في الخامسة[1] ، ويتولى بنفسه القراءة ليُسمعَه ، وشاهدُ ذلك بعض مسموعاته في هذه السن ؛ ومنها : كتاب الشفاء ؛ للقاضي عياض ، الذي سمعه بقراءة والده على ابن رشيق[2] بمصر سنة ٦٧٧ هـ . وما جاء في إجازته لصلاح الدين الصفدي ؛ حيث قال : « أخبرنا أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم بن علي الحراني ـ رحمه الله ـ بقراءة والدي ـ رحمه الله ـ عليه ، وأنا أسمع سنة ٦٧٦ هـ[3] .. كما سمع بعد ذلك بقراءة والده أيضاً صحيح البخاري[4] ، والفوائد (الغيلانيات)[5] .

ولما بلغ سن الرابعة عشرة من عمره ، بدأ بالتلقي المباشر عن الأشياخ ، فهو يقول : ثم في سنة ٦٨٥ هـ كتبت الحديث عن شيخنا الإمام قطب الدين أبي بكر محمد بن أحمد القسطلاني ـ رحمه الله ـ بخطي ، وقرأتُ عليه بلفظي ، وعلى الشيوخ من أصحاب المُسنِد أبي حفص بن طبرزذ ، والعلامة أبي اليمن الكندي ، والقاضي أبي القاسم الحرستاني ، والصوفي أبي عبد الله بن البنا ، وأبي الحسن بن البنا ، وغيرهم ؛ بمصر والإسكندرية والشام والحجاز ، وغير ذلك[6] .

وبهذا تكون قد تكاملت له كلُّ عناصر التنشئة العلمية التي فتحت الطريق أمامه واسعاً بعد ذلك لطلب العلم داخلَ مصر وخارجها ، حتى غدا شيخاً علماً ومُحَدِّثاً حافظاً ، له مكانته بين أقرانه وأهل عصره ، قادراً على الإجازة والإقراء والتدريس والتصنيف ، وتولي المناصب العلمية الرفيعة .

---

(١) وهي سن مرحلة السماع عند المحدثين . انظر تدريب الراوي ٢/٥ .
(٢) عيون الأثر ٢/٤٦٠ .
(٣) الوافي ١/٣٠٩ .
(٤) عيون الأثر ٢/٤٥٥ .
(٥) عيون الأثر ٢/٤٥٩ .
(٦) الوافي ١/٣٠٩ .

٣ ـ حياته العلمية :

كانت حياة فتح الدين بن سيد الناس العلمية زاخرة منذ بدايتها ، حافلة بما بذله من جُهد مبكر في الطلب والتحصيل العلمي من علماء بلده ، ثم الرحلة وتحمل وعثاء السفر ، لملاقاة الشيوخ طلباً لإجازةٍ ، أو سعياً وراء سند عالٍ ، أو صلة بشيخ ثبت ، أو السماع منه ، أو القراءة عليه ؛ حتى قاربت مشيخته الألف .

وقد أشرنا قريباً أنه نشأ في بيت علم ، فتلقى من أبيه أول ما تلقى علم الحديث ، وتدرج برعايته في الإجازة ، والإحضار ، والسماع ، وهو لا يزال طفلاً في عمر الزهور .

وبعد أن اشتد عوده ، وقوي ساعده ، ارتحل إلى الإسكندرية[١] ، فاكتملت بذلك مرحلة تكوينه العلمي الأولى ، بأخذه عمن ذكرَ من علماء عصره الزاخر بالعلم والمعرفة ، وأخذِه عن العز الحراني (عبد العزيز بن الصيقل) وابن الأنماطي ، وغازي الحَلاوي ، وابن الخيمي ، وشامية بنت البكري ، وابن خطيب المزة ، والصفي خليل وطبقتهم . ثم ارتحل إلى دمشق سنة ٦٩٠ هـ ، فسمع من أبي عبد الله محمد بن مؤمن الصوري ، ومن أبي الفتح بن المجاور ، وابن عساكر ، وأبي إسحاق الواسطي وطبقتهم . وكان حريصاً على الأخذ من الفخر ابن البخاري ، ولكنه وصل دمشق بعد وفاته بليلتين ، فتألم لذلك كثيراً[٢] .

ثم عاد إلى مصر ليلازمَ شيخه تقيَّ الدين بن دقيق العيد الذي كان آنذاك شيخَ الحديث بالمدرسة الكاملية بالقاهرة . ولمس فيه هذا الشيخ تفوقاً فعينه معيداً لدرسه ، وكان يحبه لذلك التفوق ، ويثق في نقله وحفظه ؛ قال الصفدي : « أخبرني من لفظه القاضي عماد الدين إسماعيل بن القيسراني ، قال : كان الشيخ تقي الدين إذا حضرنا درسه وتكلَّمَ ، فإذا جاء ذكر أحد من الصحابة ، أو أحد من رجال الحديث قال : أيش ترجمة هذا يا أبا الفتح ؟! فيأخذ فتح الدين في الكلام ، ويسرد والناس كلُّهم سكوت ، والشيخ مُصغٍ إلى ما يقوله »[٣] .

---

(١) الوافي بالوفيات ١/٢٩٠ .

(٢) ذيل ابن رجب على طبقات الحنابلة ٢/٣٢٩ .

(٣) الوافي بالوفيات ١/٢٩١ والدرر الكامنة ٤/٣٣١ .

ولم يكتف ابن سيد الناس بالرحلة إلى الشام ، ولا برحلاته الداخلية في مصر ، بل لجأ إلى استجازة المحدثين والعلماء في كثير من الأقطار الإسلامية ؛ كالحجاز والعراق وأفريقية والأندلس وغيرها[1] .

ولم يقتصر من جهة أخرى على تحصيل الحديث وعلومه ، فاتجه إلى دراسة الفقه وأصوله ، وحفظ في ذلك بعض المتون في الفقه الشافعي ، كالتنبيه[2] ، وتخرج في ذلك بشيخه ابن دقيق العيد ، وكان يقول عن الشافعية « أصحابنا » ، وقد ذكره أصحاب كتب طبقات الفقهاء الشافعية : فقيهاً شافعياً يُشار إليه بالبَنان . كما اهتم بدراسة علوم العربية ، فكان أهمَّ مشايخه فيها ؛ بهاءُ الدين بن النحاس .

أما علم العروض فقد درسه بنفسه ، ولم يكن له فيه شيخ ، ووضع فيه مصنفاً[3] .

ودرس أيضاً الخط وأصوله بنفسه ، وأتقن الخط المغربي والمشرقي ، وكتب بهما[4] ، ولعل الجمع بينهما وعدم اقتصاره على الخط المشرقي كان راجعاً إلى التواصل الثقافي القائم بين الأقطار الإسلامية حينئذ ، وإلى أن مكتبة والده كانت تكتظ بمجموعة من الكتب الأمهات ، التي أحضرها معه من بلاد المغرب إلى مصر .

وكان أبو الفتح إلى جانب ذلك مهتماً بتفسير كتاب الله تعالى ، آخذاً من الأدب والشعر بالحظ الوافر والنصيب الأوفى ، وله في ذلك ديوان من الشعر في المدائح النبوية اسمه « بشرى اللبيب بذكرى الحبيب » كما جمع ما أمكنه جمعه لغيره من المدائح النبوية ، بعد أن ضم إليه ديوانه « بشرى اللبيب » وسماه « مِنح المِدَح » .

ومن رقائق شعره ، يناجي الله عزَّ وجَل :

فقري لمعروفِك المعروف يُغنيني ... يا من أرجِّيه والتقصير يُرجيني
إنْ أوبقتني المطايا عن مَدى شرفٍ ... نجا بإدراكه الناجون من دوني

---

(١) الوافي بالوفيات ٣١٠/١ .
(٢) الدرر الكامنة ٣٣١/٤ وطبقات الشافعية للإسنوي ٥١١/٢ .
(٣) الوافي بالوفيات ٢٩١/١ .
(٤) الدرر الكامنة ٣٣١/٤ .

أو غضَّ من أملي ما ساءَ من عملي   فإنَّ لي حسنُ ظَنٍّ فيك يكفيني[1]

أما اهتمامه بالتاريخ فقد كان منصباً على السيرة النبوية ، وتراجم الصحابة والرواة ، والتعريف بأحفظ من لقي من أشياخه . ومن هنا يتضح أن تأليفه لعيون الأثر كان منطلقه فيه اهتمامه بعلوم الحديث ، فهو محدث بالدرجة الأولى ، ويؤكد ذلك شرحه الذي بدأه لجامع الترمذي ولم يكمله ، كما يؤيده قول الذهبي عنه : « وكان صدوقاً في الحديث ، حجة فيما ينقله ، له بصر نافذ في الفن ، وخبرة بالرجال وطبقاتهم ، ومعرفة بالاختلاف »[2] .

وقول البرزالي : « كان أحد الأعيان معرفة وإتقاناً ، وحفظاً للحديث ، وتفهماً في علله وأسانيده ، عالماً بصحيحه وسقيمه ، مستحضراً للسيرة »[3] .

وقال القطب الحلبي : « إمام محدث ، حافظ ، أديب شاعر ، بارع ، جمع وألف ، وخرج وأتقن ، وصارت له يد طولى في الحديث والأدب مع الإتقان ، ثبت فيما ينقل ويضبط »[4] .

وقال الإسنوي معاصره : « حافظ الديار المصرية »[5] .

ولعل هذه المكانة الحديثية هي التي أهلته لتولي مشيخة درس الحديث بالظاهرية بالقاهرة ، ومدرسة أبي حُليقة المعروفة بالمهذبيّة ، نسبة إلى بانيها الحاكم مهذب الدين أبي حُليقة ، وكانت تقع على بركة الفيل[6] من حيّ السيدة زينب حالياً ، وتدريسه أيضاً بجامع الصالح ، ومسجد الرصد بالقاهرة أيضاً[7] .

---

(١) الوافي بالوفيات ٣٠٢/١ .
(٢) الدرر الكامنة ٣٣١/٤ و ٣٣٣ .
(٣) المصدر السابق ٣٣٢/٤ .
(٤) المصدر السابق ٣٣٢/٤ .
(٥) المصدر السابق ٣٣٣/٤ .
(٦) الوافي بالوفيات ٢٩٢/١ .
(٧) الوافي بالوفيات ٢٩٢/١ والدرر الكامنة ٣٣٣/٤ .

وإذا كان للحديث وعلومه هذا الشأن في حياة ابن سيد الناس العلمية والوظيفية ، فإن للأدب وعلوم العربية شأناً آخر أيضاً ، حيث أذلقتْ لسانَه وقوَّتْ جَنانَه ، وقرَّبته من قلوب الناس ، فأهلته للخطابة في جامع الخندق بناحية الخندق خارج القاهرة[1] ، ومكنته من تجويد الشعر ، وحببته للأمراء والولاة في مصر ، فقد كان الأمير علم الدين الدواداري يحبه ويلازمه كثيراً ، ويقضي أشغال الناس عنده ، ودخل به إلى السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين ، وقال أحضرتُ لك هذا .. فاحترمَه ، وأجلسَه معه على الطرَّاحة ، وألقى بين يديه قصيدة امتدحه بها ، فلما رأى خطه وسمع كلامه ازداد إعجابُه به ، وقال : هذا ينبغي أن يكون في ديوان الإنشاء ، فرُتِّب في جملة الموقعين ، ولكنه ضاق بالزِّي الخاص الذي كان يلتزم به كتَّاب الديوان ؛ وهو الشيخ المحدث الذي يحرص على سمت العلم والعلماء ، فسأل الإعفاء من ذلك ، ولما علم السلطان سببَ ضيقه أعفاه من ذلك ، وأبقى له الراتب إلى أن مات[2] .

وكان صاحبنا أبو الفتح في عامة حياته يضيق بكل ما يُقَيِّده ، أو يُلزمه بغير واقعه النفسي ، فكان يرى أن مكانته العلمية لا تمنعه من الدعابة والمزاح المهـذب ، ومجالسة الأمراء ، ومعاشرة الكتاب ، ما لم يتخلل ذلك حرام أو منكر لا يرضاه ، وهذا ما وجد فيه بعضهم مغمزاً عليه ، كما شغله من جهة أخرى عن تحقيق ما كان يتناسب مع علمه وحفظه ؛ قال الذهبي : « ولو أكبَّ على العلم كما ينبغي لشُدَّت إليه الرحال ، ولكنه كان يتلهى عن ذلك بمعاشرة الكتبة »[3] وقال : « وكان رحمه الله معروفاً بصحة العقيدة[4] وجمال الهيئـة ، وكثرة التـواضع ، وخفـة الـروح ، وطـيب المجالسة ، والكِيـاسة والظرف »[5] .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) الوافي بالوفيات ١/٢٩٢ .

(٣) طبقات الشافعية ؛ لابن قاضي شهبة ٢/٣٩١ .

(٤) قال ابن كثير في البداية والنهاية ١٤/١٤٧ موضحاً معنى صحة عقيدته بقوله : « وله العقيدة السلفية الموضوعة على الآي والأخبار والآثار ، والاقتفاء بالآثار النبوية .

(٥) الدرر الكامنة ٤/٣٣٣ .

٤ ـ شيوخه وتلاميذه :

أ ـ **شيوخه** : من الطبيعي أن لا تكون استفادة ابن سيد الناس من أشياخه متساوية ؛ كشأن أي دارس ومتعلم ؛ إذ تتحكم في ذلك مجموعة من العوامل ؛ كالقرب والبعد من الشيخ ، ورحابة صدره أو ضيقه أحياناً ، ومدى الحاجة إلى تخصصه ، والعلوم التي يبرعُ فيها ؛ فإذا ما وجدنا الذهبي وغيره يُوصل شيوخ الحافظ ابن سيد الناس إلى قريب من الألف[١] ، فلا نستغرب ذلك ، ولنعلم أن هذا العدد يشمل كل أنواع التلقي العلمي المتاحة في ذلك العصر ؛ من إجازة وسماع وملازمة .

ولم يتيسر لأبي الفتح أن يكتب معجماً جامعاً لمشايخه ؛ كما فعل أكثر الحفاظ والمحدثين ، ولكن تلميذه وصديقه الصفدي استثاره بسؤال عن أحفظ من لقي منهم ، فردَّ عليه بأجوبة اعتبرت تصنيفاً من كتبه ، يحتوي على أسمائهم وعلمهم ، وما تميز به كل واحد منهم من الحفظ والإتقان ، وقد استفاد من هذه التراجم ابن فهد في تذييله على تذكرة الحفاظ[٢] .

ونضع بين يدي القارىء نماذج لثلاثة أصناف من مشايخه حسب التلقي منهم :

● فممن أجازه :

ـ عبد اللطيف بن عبد المنعم بن علي ، المعروف بالنجيب الحراني[١] .

ـ والإمام عز الدين أحمد بن إبراهيم الفاروثي[٢] المتوفى سنة ٦٩٤ هـ .

ـ وأبو القاسم الخضر بن أبي الحسين بن الخضر بن عبدان الأزدي[٣] الدمشقي .

● وممن سمع منهم وأكثر :

ـ أبو الحسن الغَرَّافي[٤] ، تاج الدين علي بن أحمد بن عبد المحسن بن أبي العباس الحسيني الإسكندري المتوفى سنة ٧٠٤ هـ .

---

(١) الدرر الكامنة ٤/٣٣١ .

(٢) انظر ذيل ابن فهد على تذكرة الحفاظ ص ٨٣ و ٨٤ و ٨٦ و ٩٠ و ٩٥ .

(٣) انظر تذكرة الحفاظ ٤/١٤٩١ .

(٤) انظر ذيل ابن فهد على تذكرة الحفاظ ص ٩٤ ـــ ٩٥ .

- شامية[1] بنت الحافظ أبي علي الحسن بن محمد بن البكري ، أمة الحق ، توفيت سنة ٦٨٥ هـ .
- إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحمن المخزومي[2] ، المعروف بابن قريش ، المتوفى سنة ٦٩٤ هـ .
- عز الدين أبو القاسم أحمد بن محمد بن عبد الواحد الحسيني[3] ، نقيب الأشراف ، المتوفى سنة ٦٩٥ هـ .

● وممن لازمهم وتخرج بهم :

- والده أبو عمرو[4] محمد بن محمد بن سيد الناس المتوفى سنة ٧٠٥ هـ .
- تقي الدين ، أبو الفتح ، محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري ، المنفلوطي ، الصعيدي ، المالكي ، الشافعي ، شيخ الإسلام ؛ المعروف بابن دقيق العيد[5] ، المتوفى سنة ٧٠٤ هـ .
- محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي نصر ، أبو عبد الله ، بهاء الدين بن النحاس الحلبي[6] ، النحوي ، المتوفى سنة ٦٩٨ هـ .

ب ـ **تلاميذه** : كان ابن سيد الناس إلى جانب غزارة علمه ، وتنوع تخصصاته ، يتحلى بصفات أخرى ، تجعل طلاب العلم ، يقبلون على مجالسه ودروسه ، ولا يترددون في الأخذ عنه ، والسماع منه ، والتخرج به . من أهمها :

تواضعه ، وحبه الذي كان يُغدقه على طلاب العلم بعامة ، وطلاب الحديث بصفة خاصة ، وجمال عبارته ، وحسن محاضرته ، ورقة محاورته . والإحسان إلى فقراء طلبة العلم ، وإعارته إياهم الكتب التي يحتاجون إليها من مكتبته النفيسة التي ورثها عن والده ،

---

(١) العبر للذهبي ٣/٣٥٩ .
(٢) المصدر السابق ٣/٣٨٢ .
(٣) انظر ذيل ابن فهد على تذكرة الحفاظ ص ٨٩ ـ ٩٠ .
(٤) الدرر الكامنة ٤/١٦٢ .
(٥) طبقات الشافعية الكبرى ؛ لابن السبكي ٩/٢٠٧ .
(٦) معرفة القراء الكبار ؛ للذهبي ٢/٧٢٩ .

ونماها بنفسه وخط يده .

ولذلك تخرج به عدد كثير من التلاميذ ، كان لبعضهم شأن كبير فيما أخذوا عنه ؛ كالصفدي[1] في الأدب والتراجم ، وكالمُسنِد أبي الفرج الغزي[2] في الرواية والسماع . كما هيأ له اشتغاله بالتدريس على مستوى النطاق الرسمي الذي أشرنا إليه في حياته العلمية ، وتوليه الخطابة ؛ مجالاً آخر لاحتواء مجموعة من التلاميذ المحبين .

٥ ـ مؤلفاته :

ناهزت مؤلفاته رحمه الله تعالى عشرة كتب ، تتفق موضوعاتها مع تكوينه الثقافي واهتماماته العلمية ؛ إذ لم تخرج عن نطاق الحديث والسيرة والتراجم والأدب .

وهي على قلة عددها ـ إذا ما قيست بإنتاج الأعلام الكبار والمحدثين الحفاظ المعاصرين له ؛ كابن كثير والذهبي وابن القيم رحمهم الله تعالى ـ تكشف عن شخصية علمية متميزة ، وتضعه في مَصَافِّ المؤلفين الكبار الذين أثرَوا تخصصاتهم ، وأسهموا فيها بنصيبٍ وافر ، وشاركوا في إضافة لبنات صالحة فيها ، وتركوا على موضوعاتها بصمات خيِّرة وباقية ، تشهد لهم بالعلم والأصالة ، ولعل كتابه « عيون الأثر .. » الذي نحن بصدد تحقيقه ، وما كتبناه حوله في هذا التقديم ؛ يقوم شاهداً على ما لهذا الرجل من أصالة علمية ، ونضج فكري ، ومنهج سوي في الكتابة والتصنيف ، وتمتد هذه الميزة إلى جميع كتبه ، وتتمثل فيها واضحة جلية . وهي :

أ ـ كتب أتم تأليفها :

١ ـ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير :

وهو هذا الكتاب الذي نقوم بتحقيقه ونشره ، وقد اتفق كل من ترجم له على ذكره ؛ كالصفدي في الوافي ٢٩٢/١ ، والتاج السبكي في طبقات الشافعية الكبرى ٢٦٩/٩ ، وابن حجر في الدرر الكامنة ٣٣١/٤ ، وغيرهم . ولا ريب أن الكتاب سيرة كاملة ، بدأها

---

(١) انظر ترجمته في طبقات الشافعية ؛ لابن قاضي شهبة ١١٩/٣ ـ ١٢٠ .
(٢) الدرر الكامنة ٣٢٤/٢ .

المؤلف بالنسب النبوي الكريم وختمها بالوفاة ، وزاد عليها المعجزات والشمائل النبوية ، ولذلك وجدنا بعض المؤلفين يُطلقون عليها « السيرة الكبرى » و « السيرة النبوية » وقد قدمنا حوله دراسة وافية فيما سبق تحت عنوان « هذه السيرة » .

٢ ـ نور العيون :

وهو مختصر في شمائل الرسول ﷺ وأزواجه وأولاده ، وشيء يسير جداً من سيرته . قال المؤلف رحمه الله في مقدمته : لما وضعت كتابي المسمى « عيون الأثر » رأيت أن ألخص في هذه الأوراق ما قرب مأخذه ونقله ، وسهل تناوله وحمله ؛ ليكون للمبتدىء تبصرة ، وللمنتهي تذكرة[١] .

ذكره الصفدي في الوافي ٢٩٢/١ فقال بعد أن ذكر « عيون الأثر » : ومختصر ذلك سماه « نور العيون » ، وسمعته من لفظه . كما ذكره الإسنوي في طبقاته ٥١١/٢ فقال : وصنف « السيرة الصغرى » . وقال الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة ٣٣١/٤ : وله مختصر السيرة سماه « نور العيون » .

وله في الظاهرية مخطوطة تقع في ٢٨ ورقة مسطرتها ١٥ قياس ١٨ × ١٣ سم ، تحت رقم ٤٣٧٥ عام .

وسمعنا أن الكتاب مطبوع ، ولم نره .

٣ ـ بشرى اللبيب بذكرى الحبيب :

ذكره الصفدي في الوافي ٢٩٢/١ وقال : قرأته عليه بلفظي ، وذكره ابن حجر في الدرر الكامنة ٣٣١/٤ وقال : هو عبارة عن قصائد نبوية وشرحها ، ويقع في مجلد . وقال الحافظ ابن كثير عنه ١٤٧/١٤ : وله مدائح في رسول الله ﷺ حسان . وتوجد نسخة مخطوطة من الكتاب في مكتبة شستربيتي برقم ٥١٦٣ ، ومصورة عنها في معهد المخطوطات بالكويت برقم/١٥٩٢ سيرة وتاريخ ، بدأه المؤلف بقصيدة حاذى بها قصيدة كعب بن زهير « بانت سعاد » ثم أتبعها بقصائد عديدة مرتبة على حروف المعجم ، ومشتملة على

---

(١) فهارس مخطوطات المكتبة الظاهرية ، قسم التاريخ ؛ وضعها الدكتور يوسف العش ص ١٨ .

ما وقف عليه من أسماء الرسول ﷺ ، وعددها ستون اسماً ، فصار مجموع ما نظمه ديواناً ، وقال في مقدمته : وسميته بكتاب « بشرى اللبيب بذكرى الحبيب » .

٤ ـ تحصيل الإصابة في تفضيل الصحابة :

وهو في فضائل الصحابة رضي الله عنهم جميعاً ؛ و لم يذكر هذا الكتاب سوى الصفدي في الوافي ١/٢٩٢ ، فقال : وسمعته من لفظه .

٥ ـ المقامات العلية في كرامات الصحابة الجلية :

وموضوعه ظاهر من اسمه ، ذكره الصفدي في الوافي ١/٢٩٣ ، والحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة ٤/٣٣١ ، وحاجي خليفة في كشف الظنون ٢/١٧٨٦ . وطُبع الكتاب في دمشق سنة ١٤٠٦ هـ بتحقيق عفة وصال حمزة .

٦ ـ مِنَح المِدَح :

ذكره علاء الدين الصفدي في الوافي بالوفيات ١/٢٩٣ وقال : وسمعته من لفظه إلى ترجمة عبد الله بن الزِّبعرى . ويظهر من هذا الكلام أن المؤلف رحمه الله كان يترجم الصحابي أو التابعي أولاً ، ثم يذكر ما ورد عنه من الشعر في مدح النبي ﷺ .

كما أشار إلى هذا الكتاب الصفدي في قصيدته التي رثى بها المؤلف ، فقال :

يكفيه ما خطَّه في الصُّحْفِ من مِدَحِ النبيِّ
يكفيهِ هذا القدرُ يكفيه[1]

وذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١٠/٥٣٩ ، والدرر الكامنة ٤/٣٣١ ، وابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات ٣/٢٨٨ ، وحاجي خليفة في « كشف الظنون » وقال : إن المؤلف جمع فيه المدائح التي مدح بها الأصحابُ والتابعون الرسولَ ﷺ ، والمدائح التي له ، المسماة ببشرى اللبيب[2] . وطُبع في دار الفكر بدمشق سنة ١٤٠٧ هـ ، بتحقيق عفة وصال حمزة .

(١) الوافي ١/٣٠١ .
(٢) كشف الظنون ٢/١٨٥٩ .

٧ ــ أحفظ من لقي :

وهو كتاب جمع فيه المؤلف تراجم أحفظ من لقي من الشيوخ ، وأن لقب الحافظ إنما يستحقه من الشيوخ من جمع بين الرواية والحديث والدراية لعلومه . وكان الكتاب جواباً لسؤال صديقه الصفدي .

ذكره ابن فهد في تذييله على تذكرة الحفاظ ص ٧٧ وص ٨٣ واستفاد منه في ترجمة بعض الشيوخ الحفاظ في كتابه .

٨ ــ كتاب في علم العروض :

ذكره الصفدي في كلام المؤلف له ؛ قال : لم يكن لي في العروض شيخ ، ونظرتُ فيه جمعة ، فوضعت فيه مصنفاً . قال الصفدي : وقد رأيت هذا المصنف[١] .

ب ــ كتاب بدأ تأليفه ولم يتمه :

النَّفْح الشَّذي في شرح جامع الترمذي :

ذكره الصفدي في الوافي بالوفيات ٢٩٢/١ وقال : ولم يكمل ، جمعَ فأوعى ، وكان قد سماه « العَرْف الشذي » فقلت له : سمه « النفح الشذي » ليقابل الشرح بالنفح ، فسمَّاه كذلك .

وقال الإسنوي في طبقاته ٥١١/٢ : وشرح قطعة من الترمذي نحو مجلدين ، وشرعَ في إكماله حافظ الوقت زين الدين العراقي ؛ إكمالاً مناسباً لأصله . وقال ابن العماد في شذرات الذهب ١٠٨/٦ وشرح قطعة من كتاب الترمذي إلى كتاب الصلاة في مجلدين . والكتاب طبع حديثاً في مجلدين ، طبعته دار العاصمة بالرياض سنة ١٤٠٩ هـ بتحقيق د . أحمد معبد عبد الكريم .

٦ ــ وفاته :

وبعد حياة حافلة بالتعلُّم والتعليم ، والخطابة والتدريس ، والكتابة والتأليف ؛ جاء

(١) الوافي ٢٩١/١ .

الأجلُ المكتوب ، والقضاءُ المحتوم ، ومات ابن سيد الناس ، اخترمته المنية وهو يستقبل في مجلسه أحدَ أصدقائه بمنزله في مدرسة الحديث الظاهرية ، فقد هبَّ لاستقباله ، ثم سقط من قامته ، وتوفي رحمه الله من ساعته[1] ، ودفن من غده بالقرافة في جنازة حاشدة ، شيعها القضاة والأمراء والجند والفقهاء[2] ، ولما بلغت وفاته تلميذه الصفدي رثاه بقصيدة[3] مطلعها :

ما بعدَ فقدِكَ لي أُنسٌ أرجِّيه ... ولا سرور من الدنيا أُقَضِّيه
يا حافظاً ضاعَ نَشْرُ العلم منه إلى ... أن كادَ يعرفه من لا يُسمِّيه
صان الرواية بالإسناد فامتنعت ... ثغورُها حين حاطتها عواليه
حفظتَ سنَّة خير المرسلين فما ... أراكَ تُمسي مضاعاً عند باريه
لله سعيك من حبر تبحَّر في ... علمِ الحديثِ فما خابَتْ مساعِيه
وهل يخيبُ معاذَ الله سعيُ فتىً ... في سنة المصطفى أفنى لياليه
سقى الغمام ضريحاً قد تضمَّنه ... صَوْباً إذا انهلَّ لا ترقى غواديه

رحم الله أبا الفتح ابن سيد الناس رحمة واسعة وجمعنا به تحت لواء سيدنا رسول الله ﷺ .

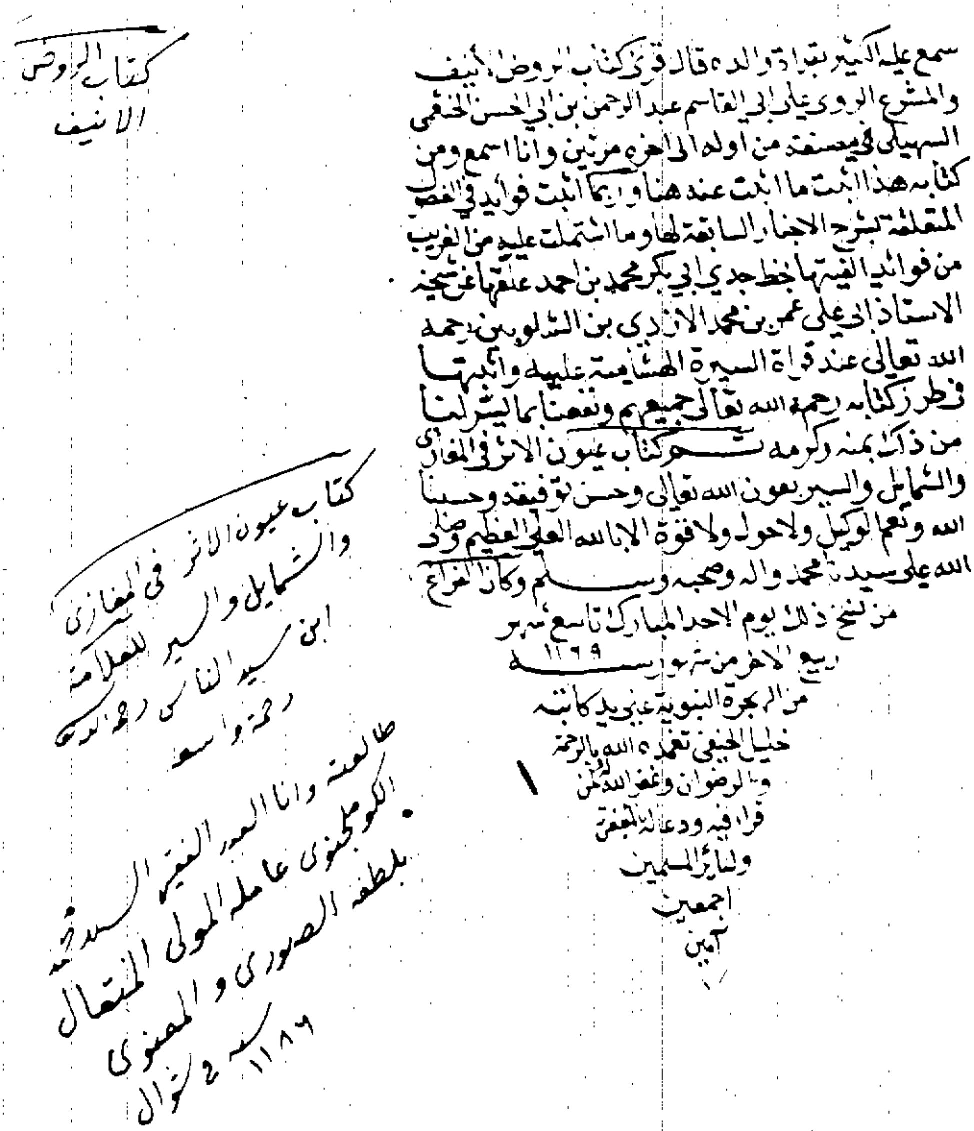
* * *

(١) شذرات الذهب ١٠٩/٦ .
(٢) الوافي بالوفيات ٣٠٠/١ .
(٣) القصيدة في الوافي ٤١ بيتاً وقد اخترنا منها رقم ١ و ١٦ و ١٧ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٤٠ .

صور النسخ المخطوطة



صورة الصفحة الثانية من المخطوطة « أ » وتبدأ فيها مقدمة المؤلف .



كتاب الروض الانيف

سمع عليه الكثير بقراءة والده قال قرئ كتاب الروض الأنيف
والمشرع الروي على أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي الحسن الخثعمي
السهيلي في مصنفه من أوله إلى آخره مرتين وأنا أسمع ومن
كتابه هذا أثبت ما أثبت عنه هنا وربما أثبت فوائد في الخطب
المتعلقة بشرح الأخبار السابقة لها وما اشتملت عليه من الغريب
من فوائد ألفيتها بخط جدي أبي بكر محمد بن أحمد علقها عن شيخه
الأستاذ أبي علي عمر بن محمد الأزدي بن الشلوبين رحمه
الله تعالى عند قراءة السيرة الهشامية عليه وأثبتها
في طرر كتابه رحمه الله تعالى جميعهم ونفعنا بما يسر لنا
من ذلك بمنه وكرمه تم كتاب عيون الأثر في المغازي
والشمائل والسير بعون الله تعالى وحسن توفيقه وحسبنا
الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى
الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وكان الفراغ
من نسخ ذلك يوم الأحد المبارك تاسع شهر
ربيع الآخر من شهور سنة ١١٦٩
من الهجرة النبوية على يد كاتبه
خليل الحنفي تغمده الله بالرحمة
والرضوان وغفر الله لمن
قرأ فيه ودعا له بالمغفرة
ولسائر المسلمين
أجمعين
آمين

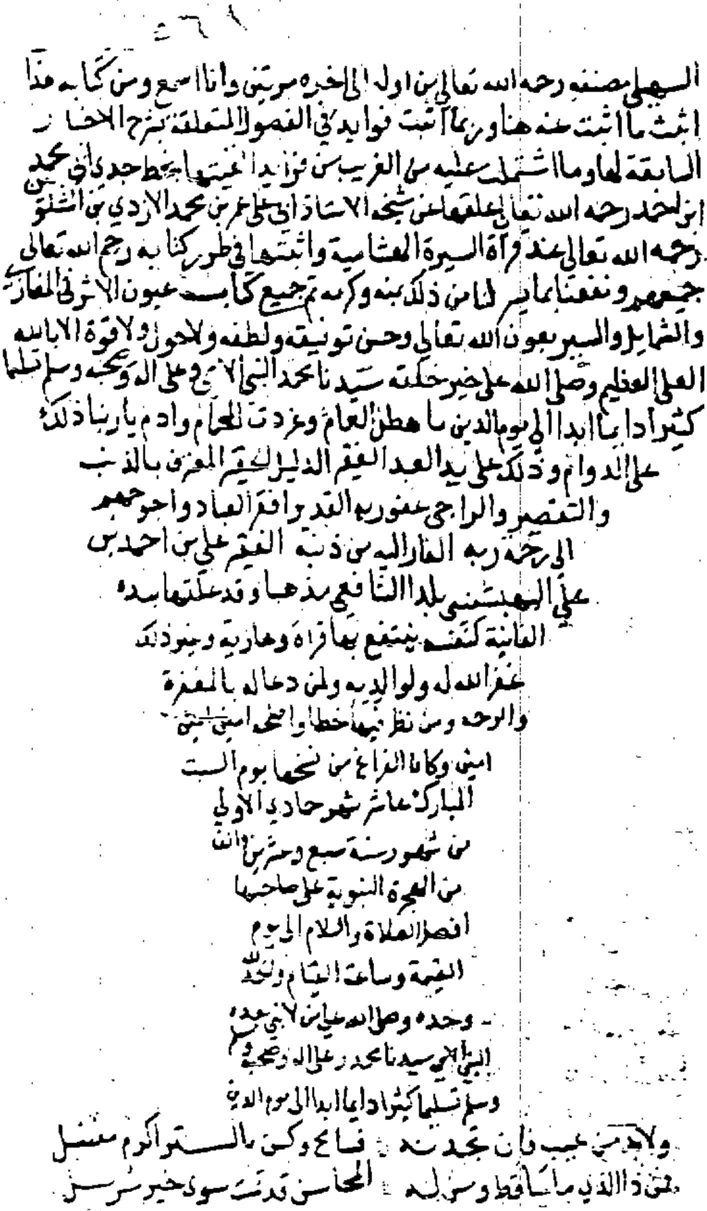
كتاب عيون الأثر في المغازي والشمائل والسير للعلامة ابن سيد الناس رحمه الله رحمة واسعة

طالعته وأنا العبد الفقير السيد محمد الكوملجنوي عامله المولى المتعال بلطفه الصوري والمعنوي ٢ شوال سنة ١١٨٦

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة « أ » وفيها خاتمة المؤلف وتاريخ النسخ ، وقراءة مالك النسخة محمد الكوملجنوي سنة ١١٨٦ هـ .


بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي ورجائي
قال الشيخ الإمام العالم العلامة أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد

صورة الصفحة الأولى من المخطوطة « ب » وتبدأ فيها المقدمة .



السهيلي مصنفه رحمه الله تعالى من اوله الى اخره مرتين وانا اسمع ومن كتابه هذا
انتخبت ما اثبت عنه هنا وربما اثبت فوايد في الفصول المتعلقة بشرح الاخبار
السابقة لها وما اشتملت عليه من الغريب من فوايد اخبتها بخط جدي ابي محمد
ابن احمد رحمه الله تعالى تعليقها عن شيخه الاستاذ ابي علي عمر بن محمد الازدي بن الشلوبين
رحمه الله تعالى عند قراءة السيرة الهشامية واثبتها في طرر كتابه رحمهم الله تعالى
جميعهم ونفعنا بما يسر لنا من ذلك بمنه وكرمه تم جميع كتاب عيون الاثر في المغازي
والشمايل والسير بعون الله تعالى وحسن توفيقه ولطفه ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد النبي الامي وعلى اله وصحبه وسلم تسليما
كثيرا دايما ابدا الى يوم الدين ما هطل الغمام وغردت الحمام وادم يا ربنا ذلك
على الدوام وذلك على يد العبد الفقير الذليل الحقير المعترف بالذنب
والتقصير والراجي عفو ربه القدير وافقر العباد واحوجهم
الى رحمة ربه الغفار الملتمس من ذنبه الفقير علي بن احمد بن
علي الهيتمي بلدا الشافعي مذهبا وقد علقها لنفسه
الفانية كتبه لينتفع بها قارئه وعاريه ومن ذلك
غفر الله له ولوالديه ولمن دعا له بالمغفرة
والرحمة ومن نظر فيها خطا واصلحه امين امين
امين وكان الفراغ من نسخها يوم السبت
المبارك عاشر شهر جمادى الاولى
من شهور سنة سبع وستين والف
من الهجرة النبوية على صاحبها
افضل الصلاة والسلام الى يوم
القيمة وساعة القيام والحمد لله
وحده وصلى الله على من لا نبي بعده
النبي الامي سيدنا محمد وعلى اله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا دايما ابدا الى يوم الدين
ولابد من عيب فان تجد سدا فسامح وكن بالستر اكرم مفضل
فمن ذا الذي ما ساء قط ومن له المحاسن قد تمت سوى خير مرسل

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة « ب » .



وامير الحاج على مدرسة والدي المرحوم المغفور له الحاج اسمعيل باشا

كتاب عيون الاثر في المغازي والشمائل

والسير تأليف الشيخ الإمام الحبر الهمام الحافظ

الحجة الناقد عمدة المحدثين فتح الدين

أبي الفتح محمد بن محمد بن محمد بن أحمد

ابن سيد الناس اليعمري الربعي

رحمه الله تعالى ورضي عنه

بجاه محمد وآله

آمين

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله

وبعد فلما كان في سنة سبعة وثمانين من الهجرة بعد

الالف اخبرنا سيدنا ومولانا العالم العلامة ولي الدين

الشيخ منصور الطوخي عن شيخه شيخ الاسلام العالم

العلامة الشيخ محمد البابلي قال اخبرنا العلامة

الشيخ ابراهيم اللقاني قال اخبرنا العلامة الشيخ

السنهوري قال اخبرنا الشيخ نجم الدين الغيطي

قال اخبرنا شيخ الاسلام زكريا الانصاري قال

اخبرنا الحافظ ابن حجر العسقلاني قال اخبرنا

الشمس الفرسيسي قال اخبرنا الامام ابو الفتح

محمد بن محمد بن محمد بن احمد بن سيد الناس

اليعمري رضي الله تعالى عنه وبيننا وبينه بهذا السند

رحمهم الله تعالى اجمعين ونفعنا ببركاتهم

وكاتب الاحرف الفقير ابو بكر بن ابي الفتح الوجي قراءة

على المذكور في الدرس اهـ

صورة الصفحة الأولى من المخطوطة « ج » ، وفيها الإسناد إلى مؤلفها رحمه الله تعالى .


بسم الله الرحمن الرحيم

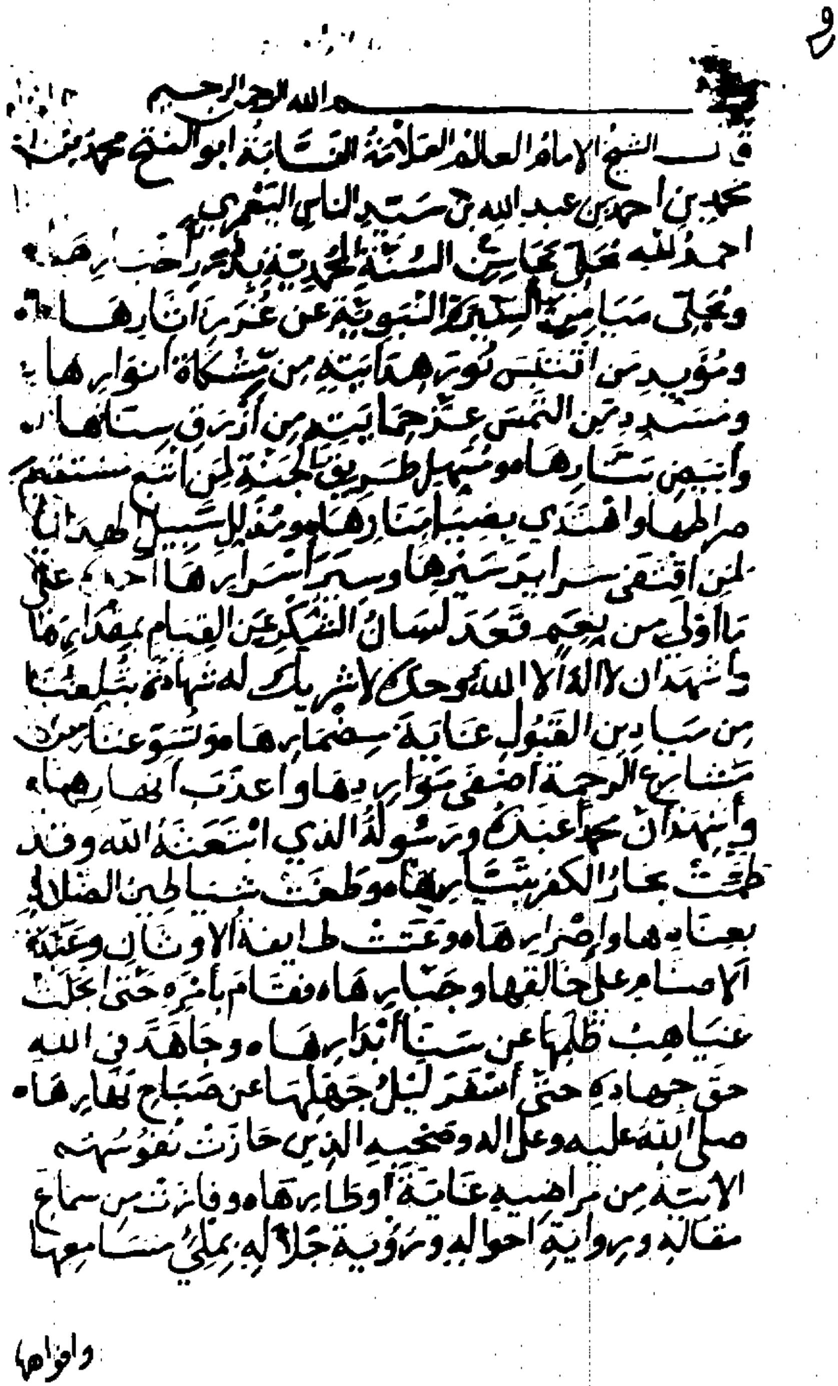
قال الشيخ الإمام العالم العلامة الشهاب أبو الفتح

محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن سيد الناس اليعمري

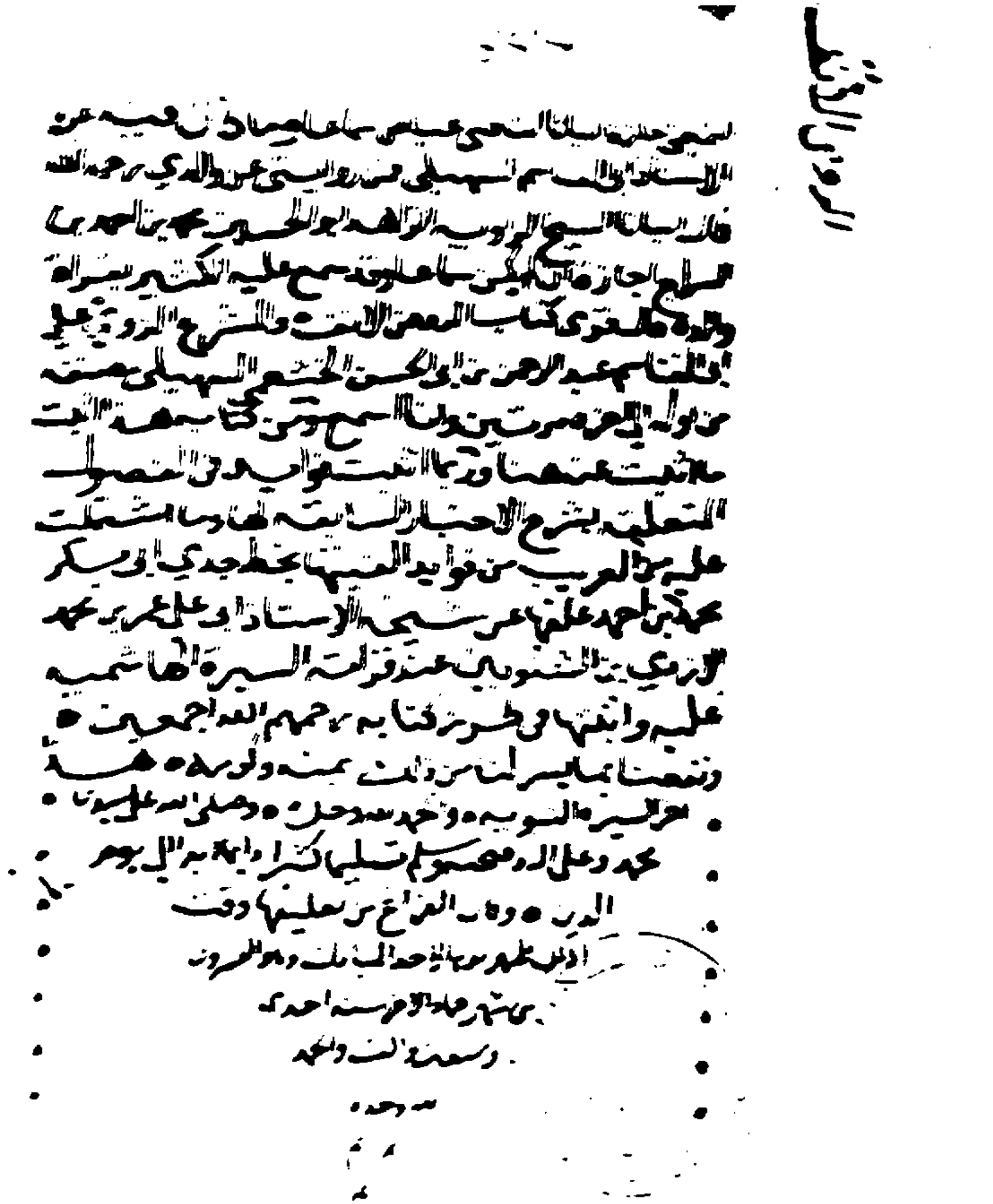
صورة الصفحة الثانية من المخطوطة « ج » وتظهر فيها مقدمة المؤلف والحواشي والتعليقات .. من نور النبراس .

محمد بن عبد الله بن محمد بن عيسى التميمي اجازة
انا القاضي عياض سماعا وما كان فيه عن الاستاذ
ابي القاسم السهيلي فمن روايتي عن والدي
رحمه الله قال انا الشيخ الراوية الزاهد ابو الحسين
محمد بن احمد بن السراج اجازة ان لم يكن سماعا وقد
سمع عليه الكثير بقراءة والدي قال قرئ كتاب
الروض الانف والمشرع السهيلي على مصنفه من اوله
الى اخره مرتين وانا اسمع ومن كتابه هذا انتسخت
ما اثبت عنه هنا وربما اثبت روايته في الفصول
المتعلقة بشرح الاخبار لتشابهها وما اشتملت
عليه من الشرح من فوائد الفقيه [illegible]
جدي ابي بكر محمد بن احمد [illegible] علقها عن شيخه الاستاذ
ابي علي عمر بن محمد الازدي الشلوبين عند قراءته
السيرة الهاشمية عليه واثبتها في طرر كتابه رحم الله
جميعهم ونفعنا بما اشتمل من ذلك بمنه وكرمه
والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد النبي
الامي وعلى اله وصحبه اجمعين الى يوم الدين وعلقته
لنفسه ثم لمن شاء الله من بعده العبد الفقير الى الله تعالى
الراجي عفو ربه ابن بكر الدلجي بلدا الشافعي مذهبا
لطف الله به وبوالديه وبجميع المسلمين وذلك في ضحى
يوم السبت المبارك في شهر ربيع الاول من شهور سنة ١٠٨٥
من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام
وكان الفراغ على يد كاتبها الفقير الى الله تعالى [illegible]
[illegible] الاشبيلي بن عبيد الله بن طلحة بن سليمان بن هاشم
الراجي عفو ربه [illegible] الشافعي مذهبا [illegible] ولوالديه ولجميع
المسلمين امين امين

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة « ج » وفيها خاتمة المؤلف وتاريخ النسخ .


بسم الله الرحمن الرحيم
قال الشيخ الإمام العالم العلامة النسابة أبو الفتح محمد بن
محمد بن أحمد بن عبد الله بن سيد الناس اليعمري
الحمد لله معلي معالم السنة المحمدية بإظهار آثارها
ومجلي مباسم السيرة النبوية عن غرر أنوارها
ومؤيد من اقتبس نور هدايته من مشكاة أنوارها
ومسدد من التمس عز حمايته من أزرق سنانها
وأبيض شفارها ومسهل طريق الجنة لمن اتبع سنن
أهلها واهتدى بضياء منارها ومنهل السبيل الهادية
لمن اقتفى سرائر سيرها وسير أسرارها أحمده على
ما أولى من نعم تعجز لسان الشكر عن القيام بمقدارها
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تبلغنا
من سابق القبول غاية مضمارها وتسوغنا من
منابع الرحمة أصفى مواردها وأعذب أنهارها
وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي ابتعثه الله وقد
طمت بحار الكفر بتيارها وطغت شياطين الضلال
بعنادها وإضرارها وعتت طائفة الأوثان وعبدة
الأصنام على خالقها وجبارها فقام بأمره حتى انجلت
عنها ظلمها عن سنا أبدارها وجاهد في الله
حق جهاده حتى أسفر ليل جهلها عن صباح نهارها
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين حازت نفوسهم
الأبية من مراضيه غاية أوطارها وفازت من سماع
مقاله ورواية أحواله ورؤية جلاله بملء مسامعها
وافواها

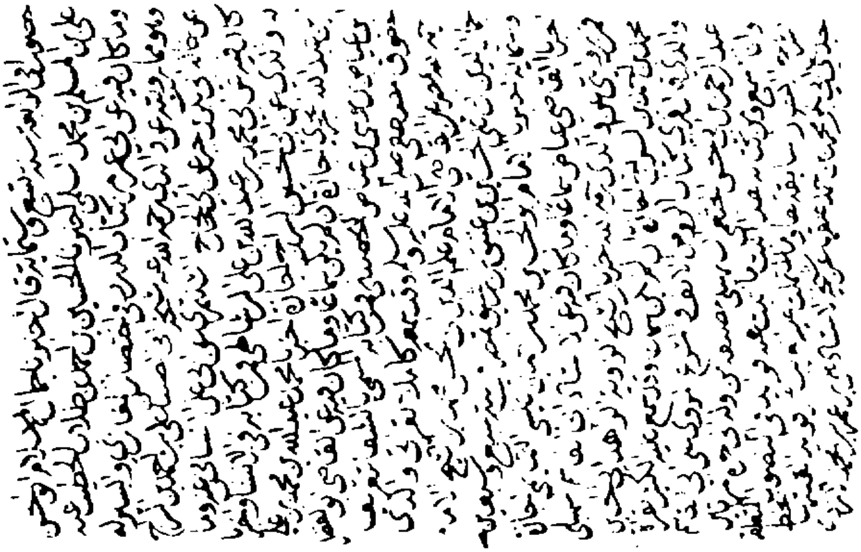
صورة المخطوطة « د » المغربية وتبدأ فيها المقدمة .

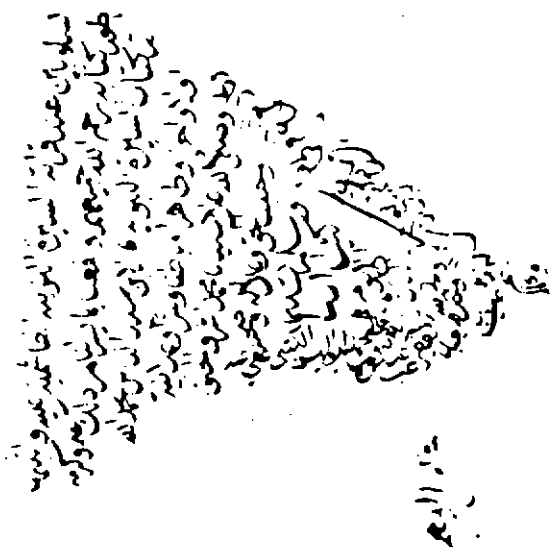


صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة « د » وفيها خاتمة الكتاب وتاريخ النسخ .

ابن العلان لوذان بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عدي بن مالك بن
زيد مناة بن حبيب سبعة وأربعون عند ابن إسحاق فمنهم سبعة وثلاثون
فجميعهم ستة وتسعون منهم من المهاجرين ومن ذكر معهم أحد عشر ومن الأنصار
خمسة وثمانون من الأوس ثمانية وثلاثون ومن الخزرج سبعة وأربعون
منهم عند ابن إسحاق من المهاجرين أربعة ومن الأنصار أحد وستون من
الأوس أربعة وعشرون ومن الخزرج سبعة وثلاثون والباقون عند
موسى بن عقبة وعن ابن سعد أو عن ابن هشام وقد ذكر أبو عمر فيهم زياد
ابن السكن أبا عمارة بن زياد وقد حكينا عن ابن إسحاق كيف وقع ذكره
عنده وهو داخل في العدد من بني عبد الأشهل وممن ذكر أبو عمر بن الأصبغ
أبا زيد الأنصاري وهو أبو بشير ابن أبي زيد ذكره عن ابن الكلبي في باب
الكنى بشير ابنه وذكر في كتاب الصحابة حارثة بن عمرو الأنصاري من
بني ساعدة ولم يصل نسبه وذكر الحافظ أبو محمد الدمياطي في نسب الأوس
له حراش بن قتادة بن ربيعة بن خالد بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد
أخا أنيس بن قتادة وقال شهد بدرا وقيل بل هو قاله ابن الكلبي وقد
ذكرنا أخاه أنيسا شهد أحدا وذكر أبو عمر في كتابه في المغازي عمير
عمير بن عدي الخطمي وغيره يقول في عمير لم يشهد أحدا وكان ضرير البصر
فقد تجاوزوا بهذه الزيادات المائة على أنه قد ذكر أن قتلى أحد سبعون ومن
الناس من يجعل السبعين من الأنصار خاصة وكذلك قال ابن سعد في باب
غزوة أحد لكنه في تراجم الطبقات لم يزد واحمل ذلك في تفسير قوله تعالى
أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها أنه تسلية للمؤمنين عمن أصيب
منهم يوم أحد بأنهم أصابوا من المشركين يوم بدر سبعين قتيلا وسبعين

صورة بداية النسخة « هـ » الناقصة



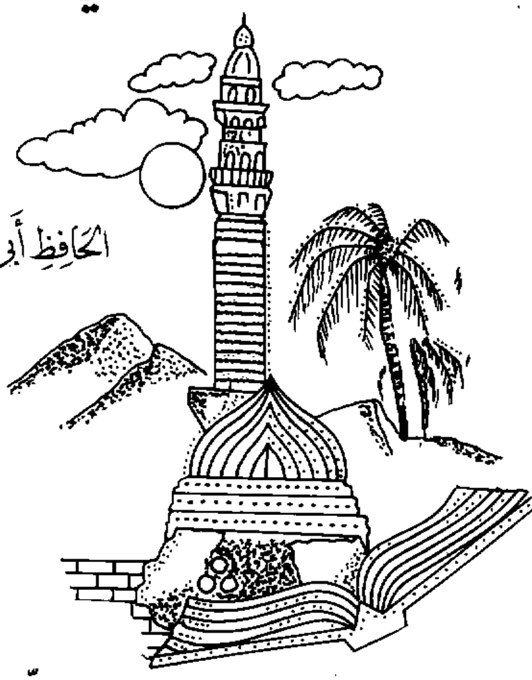


صورة الصفحتين الأخيرتين من النسخة « هـ » .

السيرة النبوية

عيون الأثر

في فنون المغازي والشمائل والسير



تأليف

الحافظ أبي الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري

المتوفى سنة ٧٣٤ هـ

الجزء الأول

حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه

د. محمد العيد الخطراوي   محيي الدين مستو

مكتبة دار التراث
المدينة المنورة

دار ابن كثير
دمشق - بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد[1] لله محلّي محاسن السنة المحمدية بدرر أخبارها ، ومجلّي ميامن[2] السيرة النبوية عن غرر آثارها ، ومؤيِّد من اقتبس نورَ هدايته من مِشكاة أنوارها ، ومسدِّد من التمس عِزَّ حمايته من أزرقِ سنانها وأبيض بتَّارها ، ومُسهِّل طريق الجنة لمن اتَّبعَ مستقيمَ صراطها ، واهتدى بضياء منارها ، ومذلِّل سبيلَ الهداية لمن اقتفى سرائرَ سَيْرها وسِيَرَ أسرارها .

أحمده على ما أولى من نعم قعدَ لسانُ الشكر عن القيام بمقدارها ، وأشهدُ أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له شهادةً تبلغنا من ميادين القبول غاية مضمارها ، وتسوغنا من مَشَارِع[3] الرحمة أصفى مواردها وأعذب أنهارها ، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله الذي ابتعثه وقد طَمَتْ[4] بحارُ الكفر بتيارها ، وطغت شياطين الضلال بعنادها وإصرارها ، وعتت طائفة الأوثان وعبدة الأصنام على خالقها وجبَّارها ، فقام بأمره حتى تجلَّت غياهب ظلمها عن سنا أبدارها ، وجاهد في الله حقَّ جهاده حتى أسفر ليلُ جهلها عن صباح نهارها . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين حازت نفوسهم الأبية من مراضيه غاية أوطارها ، وفازت من سماع مقاله ورواية أحواله ورؤية جلاله بِمَلءِ مسامعها وأفواهها وأبصارها ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد :

فلما وقفت على ما جمعه الناس قديماً وحديثاً من المجاميع في سِير النبي ﷺ ومغازيه

---

(١) في « ب » و « ج » و « د » قال الشيخ الإمام العالم العلّامة النسّابة ، أبو الفتح محمد بن أحمد بن عبد الله بن سيد الناس اليعمري : الحمدُ لله مُحلّي محاسن السُّنة ... .

(٢) « ميامن » : جمع ميمنة ، وهي اليمن والبركة .

(٣) « مَشَارع » : جمع مشرعة ، وهي مورد الماء .

(٤) « طَمَت » : امتلأت وزاد ماؤها ، ومضارعها « يَطمي » .

وأيامه إلى غير ذلك مما يتصل به ،(لم أر إلا مطيلاً مملاً أو مقصراً بأكثر المقاصد مخلاً ؛ فالمطيل[1] إما معتن بالأسماء والأنساب والأشعار والآداب ، أو آخر يأخذ كل مأخذ في جمع الطرق والروايات ، ويصرف إلى ذلك ما تصل إليه القدرة من العنايات . والمقصر لا يعدو المنهج الواحد ، ومع ذلك فلا بد وأن يترك كثيراً مما فيه من الفوائد ، وإن كانوا رحمهم الله هم القدوة في ذلك ، ومما جمعوه يستمد من أراد ما هنالك ، فليس لي في هذا المجموع إلا حسن الاختيار من كلامهم ، والتبرك بالدخول في نظامهم ، غير أن التصنيف يكون في عشرة[2] أنواع كما ذكره بعض العلماء ، فأحدها جمع المتفرقات وهو ما نحن فيه (فإني أرجو أن الناظر في كتابي هذا لا يجد ما ضمّنته إياه في مكان ولا مكانين ولا ثلاثة ولا أكثر من ذلك إلا بزيادة كثيرة تتعب[3] القاصد ، ويتعذر بها على أكثر الناس المقاصد ، فاقتضى ذلك أن جمعت هذه الأوراق ، وضمّنتها كثيراً مما انتهى إليَّ من نسب سيدنا ونبينا محمد رسول الله ﷺ ، ومولده ، ورضاعه ، وفصاله ، وإقامته في بني سعد ، وما عرض له هنالك من شق الصدر وغيره ، ومنشئه وكفالة عبد المطلب جده إياه إلى أن مات ، وانتقاله إلى كفالة عمّه أبي طالب بعد ذلك ، وسفره إلى الشام ورجوعه منه ، وما وقع له في ذلك السفر من إظلال الغمامة إياه ، وإخبار الكهان والرهبان عن نبوته ، وتزويجه خديجة عليها السلام ، ومبدأ البعث والنبوة ونزول الوحي ، وذِكْر قوم من السابقين الأولين في الدخول في الإسلام ، وما كان من الهجرتين إلى أرض الحبشة ، وانشقاق القمر ، وما عرض له بمكة من الحصار بالشِّعْب ، وأمر الصحيفة ، وخروجه إلى الطائف ، ورجوعه بعد ذلك إلى مكة ، وذكر العقبة ، وبدء إسلام الأنصار ، والإسراء والمعراج ، وفرض الصلاة ، وأخبار الهجرة إلى المدينة ، ودخوله عليه الصلاة والسلام المدينة ، ونزوله حيث

(١) كذا في جميع النسخ ، والأنسب « والمطيل » .

(٢) لم نعثر على هذا القول ، وفي خلاصة الأثر ٤/٤١ : قال الشيخ محمد بن علاء الدين ، أبو عبد الله شمس الدين البابلي القاهري ، المتوفى سنة ١٠٧٧ هـ : « لا يؤلف أحدٌ كتاباً إلا في أحد أقسام سبعة ، ولا يمكن التأليف في غيرها ، وهي إما أن يؤلف في شيء لم يُسبق إليه يخترعه ، أو شيء ناقص يتممه ، أو شيء مستغلق يشرحه ، أو طويل يختصره ، دون أن يُخِلَّ بشيءٍ من معانيه ، أو شيء مختلط يرتبه ، أو شيء أخطأ فيه مصنفه يبيّنه ، أو شيء مفرّق يجمعه » .

(٣) المراد أن ما ضمنه كتابه يمتاز بالوضوح ، ويعرض المعلومة بعيداً عن الزيادات المملة التي قد توجد في غيره .

نزل ، وبناء المسجد ، واتخاذ المنبر ، وحنين الجذع ، ومغازيه وسيره[1] وبعوثه ، وما نزل من الوحي في ذلك ، وعُمَرِه ، وكُتُبِهِ إلى الملوك ، وإسلام الوفود ، وحجة الوداع ، ووفاته ﷺ ، وغير ذلك .

ثم أتبعت ذلك بذكر أعمامه وعماته وأزواجه وأولاده وحِلْيته وشمائله وعبيده وإمائه ومواليه وخيله وسلاحه ، وما يتصل بذلك مما ذكر العلماء في ذلك على سبيل الاختصار والإيجاز سالكاً في ذلك ما اقتضاه التاريخ من إيراد واقعة بعد أخرى ، لا ما اقتضاه الترتيب من ضم الشيء إلى شكله ومثله ، حاشا ذكر أزواجه وأولاده عليه الصلاة والسلام فإني لم أسق ذكرهم على ما اقتضاه التاريخ ، بل دخل ذلك كلُّه فيما أتبعت به باب المغازي والسِّيَر من باب[2] الحِلَى والشمائل ، ولم أستثن من ذلك إلا ذكرَ تزويجه عليه الصلاة والسلام خديجة ؛ لما وقع في أمرها من أعلام النبوة .

وقد أتحفتُ الناظر في هذا الكتاب من طُرَف[3] الأشعار بما يقف الاختيار عنده ، ومن نتف الأنساب بما لا يعدو التعريف حدَّه ، ومن عوالي الأسانيد بما يستعذب الناهلُ وِرْدَه ، ويستنجح الناقلُ قصدَه .

وأرحته من الإطالة بتكرار ما يتكرر منها ، وذلك أني عمدت إلى ما يتكرر النقل منه من كتب الأحاديث والسنن والمصنفات على الأبواب والمسانيد وكتب المغازي والسير ، وغير ذلك مما يتكرر ذكره ، فأذكر ما أذكره من ذلك بأسانيدهم إلى منتهاها : في مواضعه ، وأذكر أسانيدي[4] إلى مصنفي تلك الكتب في مكان واحد عند انتهاء الغرض من هذا المجموع ، وأما ما لا يتكرر النقل منه إلا قليلاً ، أو ما لا يتكرر منه نقل مما حصل من الفوائد الملتقطة والأجزاء المتفرقة فإني أذكر تلك الأسانيد عند ذكر ما أورده بها ؛ ليحصل بذلك الغرض من الاختصار وذكرُ الأسانيد مع عدم التكرار .

---

(١) كذا في جميع النسخ ، وفي هامش « أ » « وسراياه » وهو الأنسب .

(٢) « الحِلَى » : بكسر الحاء ، جمع حلية ، وهي الخلقة والصورة والصفة .

(٣) « طُرَف الأشعار » : خيارها وأحاسنها .

(٤) « وأذكر أسانيدي » : لقد وفَّى المؤلف رحمه الله تعالى بذلك ، فذكر أسانيده إلى الكتب التي تكررت روايته عنها في نهاية الكتاب .

وأما الأنساب فمن ذكرته استوعبتُ نسبَه إلى أن يصل إلى فَخِذِه أو بطنه المشهور أو أبعد من ذلك من شَعبه أو قبيلته بحسب ما يقتضيه الحال إن وجدته ، فإن تكرر ذكره لم أرتفع في نسبه ، واكتفيت بما سلف من ذلك ، غير أني أنبه على المكان الذي سبق فيه نسبه مرفوعاً بعلامة أرسمها بالحمرة ، فمن ذكر في السابقين الأولين أعلمت له « س » ، وللمهاجرين الأولين إلى أرض الحبشة « ها » ، وللثانية « هب » ، ولمهاجرة المدينة « هـ » ، ولأهل العقبة الأولى « عا » ، والثانية « عب » ، وللمذكورين في النقباء « ق » ولأهل العقبة الثالثة « عج »[1] ، وللبدريين « ب » ولأهل أُحد « أ » .

وعمدتنا فيما نورده من ذلك على محمد بن إسحاق إذ هو العمدة في هذا الباب لنا ولغيرنا ، غير أني قد أجد الخبر عنده مرسلاً وهو عند غيره مسند ؛ فأذكره من حيث هو مسند ترجيحاً لمحل الإسناد . وإن كانت في مرسل ابن إسحاق زيادة أتبعته بها . ولم أتتبع إسناد مراسيله وإنما كتبت ذلك بحسب ما وقع لي .

وكثيراً ما أنقل عن الواقدي من طريق محمد بن سعد وغيره أخباراً لعلَّ كثيراً منها لا يوجد عند غيره ، فإلى محمد بن عمر انتهى علم ذلك أيضاً في زمانه ، وإن كان قد وقع لأهل العلم كلام في محمد بن إسحاق وكلام في محمد بن عمر الواقدي أشدُّ منه فسنذكر[2] نبذة مما انتهى إليَّ من الكلام فيهما جرحاً وتعديلاً ، فإذا انتهى ما أنقله من ذلك أخذت في الأجوبة عن الجرح فصلاً فصلاً بحسب ما يقتضيه النظر ويؤدي إليه الاجتهاد ، والله الموفق .

ابنُ إسحاق

فأما ابن إسحاق فهو : محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار ويقال ابن يسار بن كُوثان المديني ، مولى قيس بن مَخْرَمة بن المطلب بن عبد مناف ، أبو بكر ، وقيل أبو عبد الله .

---

(١) يلاحظ أن المؤلف رمز بالحرف الأول للحدث ، وبالحرف الثاني لترتيبه الأبجدي حسب وقوعه .

(٢) في « د » ولنذكر .

رأى أنسَ بن مالك وسعيدَ بن المسيِّب وسمع القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، وأبانَ بن عثمان بن عفان ، ومحمد بن علي[1] بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وأبا سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف ، وعبد الرحمن[2] بن هرمز الأعرج ، ونافعاً مولى ابن عمر ، والزهريَّ وغيرَهم . وحدَّث عنه أئمة العلماء منهم : يحيى بن سعيد الأنصاري ، وسفيان الثوري ، وابن جُريج ، وشُعبة ، والحمَّادان ، وإبراهيم بن سعد ، وشريك بن عبد الله النخعي ، وسفيان بن عُيينة ومَنْ بعدهم .

ذكر ابن المديني عن سفيان بن عُيينة أنه سمع ابن شهاب يقول : لا يزال بالمدينة عِلْمٌ ما بقي هذا ، يعني ابن إسحاق . وروى ابن أبي ذئب عن الزهري أنه رآه مقبلاً فقال : لا يزال بالحجاز عِلْم كثير ما دام[3] هذا الأحول بين أظهرهم ، وقال ابن[4] عُلَيَّة : سمعت شعبة يقول : محمد بن إسحاق صدوق في الحديث . ومن رواية يونس بن بُكير عن شعبة : محمد بن إسحاق أمير المحدثين . فقيل له : لم ؟ فقال : لحفظه . وقال ابن أبي خيثمة : حدثنا ابن المنذر ، عن ابن عيينة أنه قال : ما تقول أصحابُك في محمد بن إسحاق ؟ قال : قلت إنهم يقولون : إنه كذاب ، قال : لا تقل ذلك . وقال ابن المديني : سمعت سفيان ابن عُيينة سئل عن محمد بن إسحاق ، فقيل له ولم لم يروِ أهلُ المدينة عنه ؟ فقال : جالسته منذ بضع وسبعين سنة وما يتهمه أحد من أهل المدينة ولا يقولون فيه شيئاً . وسئل أبو زُرعة عنه فقال : مَنْ تكلَّم في محمد بن إسحاق ؟ هو صدوق . وقال أبو حاتم[5] : يُكتب

---

(١) محمد بن علي بن الحسين : أبو جعفر ، الملقب بالباقر ، روى عن أبيه وجديه الحسن والحسين وغيرهم ، وروى عنه أبو إسحاق السبيعي والزهري والأوزاعي وغيرهم . وثقه ابن سعد والعجلي . وعدّه النسائي من فقهاء التابعين بالمدينة . توفي سنة ١١٤ هـ . تهذيب التهذيب ٩/٣٥٠ .

(٢) عبد الرحمن بن هرمز الأعرج : أبو داود المدني ، روى عن أبي هريرة وأبي سعيد وابن عباس وغيرهم . وروى عنه صالح بن كيسان والزهري ومحمد بن إسحاق وغيرهم . وثقه ابن سعد وابن المديني والعجلي وأبو زُرْعة . توفي سنة ١١٧ هـ . تهذيب التهذيب ٦/٢٩٠ .

(٣) كذا في جميع النسخ المخطوطة ، وفي المطبوع « ما بقي » .

(٤) ابن عُلَيّة : إسماعيل بن إبراهيم بن مِقْسم ، أبو بِشر الأسدي مولاهم ، البصري ، المتوفى سنة ١٩٣ هـ . انظر ميزان الاعتدال ١/٢١٦ ــ ٢٢٠ .

(٥) قال في نور النبراس لوحة (٨) : كذا في نسخة صحيحة ، وفي أخرى ابن أبي حاتم . فأما أبو حاتم :

حديثه . وقال ابن المديني : مدار حديث رسول الله ﷺ على ستة فذكرهم ، ثم قال : وصار علمُ الستة عند اثني عشر رجلاً ، أحدُهم ابن إسحاق . وسُئل ابن شهاب عن المغازي ، فقال : هذا أعلم الناس بها ، يعني ابن إسحاق . وقال الشافعي : من أرادَ أن يتبحَّرَ في المغازي فهو عِيالٌ على ابن إسحاق . وقال أحمد بن زهير : سألت يحيى بن معين عنه ، فقال : قال عاصم بن عمر بن قتادة : لا يزالُ في الناس علم ما عاشَ محمد بن إسحاق . وقال ابن أبي خيثمة : حدثنا هارون بن معروف ، قال : سمعت أبا معاوية يقول : كان ابن إسحاق من أحفظ الناس ، فكان إذا كان عند الرجل خمسة أحاديث أو أكثر جاء فاستودَعها محمد بن إسحاق ، فقال : احفظْها عليَّ ، فإن نسيتُها كنتَ قد حفظتَها عليَّ . وروى الخطيبُ بإسناد له إلى ابن نُفيل ، حدثنا عبد الله بن فائد ، قال : كنا إذا جلسنا إلى محمد بن إسحاق فأخذ في فن من العلم قضى مجلسه في ذلك الفن . وروينا من طريق البخاري قال : قال لي إبراهيم بن المنذر : حدثنا عثمان بن عمر أن الزهري كان يتلقفُ المغازي من ابن إسحاق[1] . وقال أبو زُرعة عبد الرحمن بن عمرو النَّصْري : محمد بن إسحاق قد أجمعَ الكبراءُ من أهل العلم على الأخذ عنه ، منهم : سفيان ، وشعبة ، وابن عُيينة ، والحمَّادان ، وابن المبارك ، وإبراهيم بن سعد . وروى عنه من الأكابر يزيدُ بن أبي حبيب . وقد اختبره أهل الحديث فرأوا صدقاً وخيراً ؛ مع مِدْحة ابن شهاب له . وقد ذاكرت دُحَيْماً قول مالك – يعني فيه – فرأى أن ذلك ليس للحديث إنما هو لأنه اتهمه بالقدر . وقال إبراهيمُ بن يعقوب الجُوزْجَاني[2] : الناس يشتهون حديثه ، وكان يُرمى بغير نوع من البدع . وقال ابن نمير : كان يُرمى بالقدر وكان أبعدَ الناس منه . وقال البخاري : بلغني أن له[3] ألف حديث ينفردُ بها لا يُشاركه فيها أحد . وقال علي بن المديني ، عن سفيان : ما رأيتُ أحداً يتهم محمد بن إسحاق . وقال أبو سعيد الجعفي :

= فهو الإمام الحافظ الكبير محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرازي .. المتوفى سنة ٢٧٧ .. وأما ابنه على ما في بعض النسخ : فهو الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم التميمي الحنظلي الرازي .. المتوفى سنة ٣٢٧ هـ .

(١) قول ابن المنذر سقط من المطبوع .

(٢) الجوزجاني : بضم الجيم ويفتحُها بعضهم ؛ نسبة إلى « جوزجان » مدينة بخراسان مما يلي بلخ .

(٣) كذا في الأصل ، وفي « ج » و « د » و « ب » والمطبوع : « ينبغي أن يكون له » وهو تصحيف ظاهر .

كان ابن إدريس معجباً بابن إسحاق ؛ كثير الذكر له ، ينسُبه إلى العلم والمعرفة والحفظ . وقال إبراهيم الحربي[1] : حدثني مصعب قال : كانوا يطعنون عليه بشيء من غير جنس الحديث . وقال يزيد بن هارون : لوسُوِّد أحدٌ في الحديث لسوِّد محمد بن إسحاق . وقال شعبة فيه : أمير المؤمنين في الحديث . وروى يحيى بن آدم ، حدثنا أبو شهاب قال : قال لي شُعبة بن الحجاج : عليك بالحجاج بن أرطاة ، وبمحمد بن إسحاق ، وقال ابن علية : قال شعبة : أما محمد بن إسحاق وجابر الجعفي فصدوقان .

وقال يعقوب بن شيبة : سألت ابنَ المديني : كيف حديث محمد بن إسحاق ؟ صحيح ؟ قال : نعم . حديثه عندي صحيح . قلت له : فكلام مالك فيه ؟ قال : لم يجالسْه ولم يعرفه . ثم قال عليٌّ : ابن إسحاق أيُّ شيء[2] ! حدَّث بالمدينة . قلت له : فهشام ابن عروة قد تكلَّمَ فيه . فقال عليٌّ : الذي قال هشام ليس بحجة ، لعلَّه دخل على امرأته وهو غلام فسمع منها . وسمعت علياً يقول : إن حديث محمد بن إسحاق ليتبين فيه الصدق ، يروي مرة : حدثني أبو الزناد ، ومرة : ذكرَ أبو الزناد . ويروي عن رجل عمن سمع[3] منه يقول : حدثني سفيان بن سعيد عن سالم أبي النضر عن عُمير[4] « صوم يوم عرفة »[5] ، وهو من أروى الناس عن أبي النضر . ويقول : حدثني الحسن بن دينار ، عن أيوب ، عن عمرو بن شعيب في « سَلَفٍ وبيع »[6] ، وهو من أروى الناس عن عمرو

---

(١) « الحربي » : نسبة إلى « حربية » محلة ببغداد .

(٢) « أي شيء ! » يريد بذلك تعظيم ابن إسحاق في المدينة ، فقد حدَّث بالمدينة مع وجود الأكابر من العلماء .

(٣) « وروي عن رجل عمن سمع منه » : أي أن ابن إسحاق كان يروي بواسطة عمن أكثر الرواية عنهم مباشرة ، لكونه سمع ذلك الحديث بعينه من الواسطة ، ولم يسمعه منهم ، فدلَّ ذلك على عدالته وأمانته .

(٤) في جميع النسخ « عمر » والتصحيح من نور النبراس . وعمير : هو أبو عبد الله بن عبد الله الهلالي مولى لأم الفضل ، ويقال مولى ابن عباس . ثقة ، توفي سنة ١٠٤ هـ . تقريب التهذيب ص ٤٣١ .

(٥) رواه البخاري في الصوم (باب صوم يوم عرفة) رقم /١٦٥٨/ ، ومسلم في الصوم (باب استحباب الفطر للحاج يوم عرفة) رقم /١١٢٣/ ، وأبو داود في الصوم (باب في صوم يوم عرفة بعرفة) رقم /٢٤٤١/ .

(٦) رواه النسائي في البيوع (باب سلف وبيع) ٢٨٨/٧ ، والترمذي في البيوع (باب كراهية بيع ما ليس عندك) رقم /١٢٣٤/ ، وأبو داود في الإجارة (باب في الرجل يبيع ما ليس عنده) رقم /٣٤٠٥/ ، وابن ماجه في التجارات (باب النهي عن بيع ما ليس عندك) رقم /٢١٨٨/ . وإسناده حسن .

ابن شعيب . وقال عليٌّ : لم أجد لابن إسحاق إلا حديثين منكرين : نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ « إذا نَعِسَ أحدُكم يوم الجمعة »[1] . والزهري عن عروة عن زيد[2] بن خالد « إذا مسَّ أحدُكم فرجَه .. »[3] هذين لم يروهما عن أحد ، والباقون يقولون : ذكر فلان ، ولكن هذا فيه حدثنا . وقال مرة : وقع إليَّ من حديثه شيء فما أنكرتُ منه إلا أربعة أحاديث ، ظننتُ أن بعضه منه وبعضه ليس منه . وقال البخاري : رأيت عليَّ بن المديني يحتج بحديثه ، وقال لي : نظرتُ في كتابه فما وجدتُ عليه إلا حديثين ، ويمكن أن يكونا صحيحين . وقال العِجليُّ[4] : ثقة . وروى المفضل بن غسان ، عن يحيى بن معين : ثبتٌ في الحديث . وقال يعقوب بن شيبة : سألت يحيى بنَ معين عنه : في نفسك شيءٌ من صدقه ؟ قال : لا ، هو صدوق . وروى ابن أبي خيثمة عن يحيى : ليس به بأس . وقال ابن المديني : قلت لسفيان : كان ابن إسحاق جالسَ فاطمة بنتَ المنذر ؟ فقال : أخبرني أنها حدثته ، وأنه دخل عليها ـ فاطمة هذه هي زوجُ هشام بن عروة ـ وكان هشام يُنكر على ابن إسحاق روايته عنها ، ويقول : لقد دخلتُ بها وهي بنتُ تسع سنين وما رآها مخلوق حتى لحقتْ بالله . وقال الأثرم : سألت أحمد بن حنبل عنه فقال : هو حسنُ الحديث .

---

(١) رواه الترمذي في الصلاة (باب ما جاء فيمن نعس يوم الجمعة أنه يتحول من مجلسه) رقم /٥٢٦/ ، وأبو داود في الصلاة (باب الرجل ينعس والإمام يخطب) رقم /١١١٩/ ، وهو عند أحمد في « المسند » ١٣٥/٢ مصرحاً فيه ابن إسحاق بالتحديث ، فإسناده صحيح .

(٢) زيد بن خالد : الجهني المدني ، صحابي مشهور ، مات سنة ٦٨ أو ٧٠ هـ بالكوفة . قال في « النبراس » : وأما حديث زيد بن خالد فوهم فيه فيما يُقال ، وصوابه عن بُسرة بنت صفوان بدل زيد ، والله أعلم .

(٣) رواه الترمذي ، وأخرجه أحمد والبزار ، من طريق عروة عنه ، قال البخاري : إنما رواه الزهري ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عروة ، عن بُسرة . وقال ابن المديني : أخطأ فيه ابن إسحاق . وأخرجه البيهقي في « الخلافيات » من طريق ابن جريج : حدثني الزهري ، عن عبد الله بن أبي بكر عن عروة ، عن بُسرة وزيد بن خالد . وأخرجه إسحاق بن راهويه في « مسنده » عن محمد بن أبي بكر البرساني ، عن ابن جريج ، وهذا إسناد صحيح . تلخيص الحبير ١٢٤/١ .

(٤) العِجْلي : هو أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح الكوفي ، نزيل طرابلس الغرب ، وبها توفي سنة ٢٦١ هـ . وله كتاب « الثقات » . الأعلام ١٥٦/١ .

ذكر الكلام في محمد بن إسحاق والطعن عليه :

روينا عن يعقوب بن شيبة ، قال : سمعت محمد بن عبد الله بن نمير وذكرَ ابن إسحاق فقال : إذا حدَّثَ عمن سمعَ منه من المعروفين فهو حسن الحديث صدوق ، وإنما أُتِي من أنه يُحدِّث عن المجهولين أحاديثَ باطلة . وقال أبو موسى محمد بن المثنى : ما سمعت يحيى القطان يُحدِّث عن ابن إسحاق شيئاً قط . وقال الميموني : حدثنا أبو عبد الله أحمد بن حنبل بحديث استحسنه عن محمد بن إسحاق ، فقلت له : يا أبا عبد الله ما أحسنَ هذه القصص التي يجيءُ بها ابن إسحاق ! فتبسم إليَّ متعجباً . وروى ابن معين عن يحيى بن القطان أنه كان لا يرضى محمد بن إسحاق ، ولا يُحدِّث عنه . وقال عبد الله بن أحمد ، وسأله رجلٌ عن محمد بن إسحاق ، فقال : كان أبي يتتبع حديثه ويكتبه كثيراً بالعلو والنزول ، ويُخرجه في المسند ، وما رأيته اتَّقى حديثه قط . قيل له : يحتج به ؟ قال : لم يكن يحتجُّ به في السنن[1] . وقيل لأحمد : يا أبا عبد الله ! إذا تفرَّدَ بحديث تقبله[2] ؟ قال : لا والله ، إني رأيته يحدِّث عن جماعة بالحديث الواحد ، ولا يفصلُ كلامَ ذا من كلام ذا . وقال ابنُ المديني مرة : هو صالح وسط . وروى الميموني عن ابن معين : ضعيف . وروى عنه غيره : ليس بذلك . وروى الدُّوري عنه : ثقة ولكنه ليس بحجة . وقال أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو : قلت ليحيى بن معين وذكرت له الحجة ، فقلت : محمد بن إسحاق منهم ؟ فقال : كان ثقة ، إنما الحجة عبيد[3] الله بن عمر ، ومالكُ بن أنس ، وذكر قوماً آخرين . وقال أحمد بن زهير : سُئل يحيى عنه مرة ، فقال : ليس بذاك ، ضعيف . قال : وسمعته مرة أخرى يقول : هو عندي سقيم ليس بالقوي . وقال النسائيُّ: ليس بالقوي . وقال البرقاني : سألتُ الدارقطني عن محمد بن إسحاق بن يسار ، عن أبيه ، فقال : جميعاً لا يُحتج بهما وإنما يُعتبر بهما . وقال عليٌّ : قلت ليحيى بن سعيد : كان

---

(١) « في السنن » : أي في الحلال والحرام .

(٢) في « ج » و « د » : تكتبه ؟ .

(٣) عبيد الله بن عمر : بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العدوي ، أبو عثمان ، ثقة ثبت ، أحد الفقهاء السبعة . توفي سنة ١٤٧ هـ . تقريب التهذيب ص ٣٧٣ .

ابن إسحاق بالكوفة وأنت بها ؟ قال : نعم . قلت : تركته متعمِّداً ؟ قال : نعم ، ولم أكتب عنه حديثاً قط . وروى أبو داود ، عن حمَّاد بن سلمة ، قال : لولا الاضطرارُ ما حدَّثتُ عن محمد بن إسحاق . وقال أحمد : قال مالك وذكره فقال : دجَّال من الدجاجلة . وروى الهيثم بن خلف الدوري ، حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا أبو داود[1] ، قال : حدثني من سمع هشام بن عروة ، وقيل له : إن ابن إسحاق يُحدِّث بكذا وكذا عن فاطمة[2] ، فقال : كذبَ الخبيثُ . وروى القطَّان عن هشام أنه ذكره فقال : العدو لله الكذَّابُ يروي عن امرأتي ! من أين رآها ؟ . وقال عبد الله بن أحمد : فحدثتُ أبي بذلك فقال : وما ينكر ؟ لعله جاء فاستأذنَ عليها فأذنتْ له . أحسبه قال ولم يعلم . وقال مالك : كذاب . وقال ابن إدريس[3] : قلت لمالك — وذكر المغازي فسكت[4] — قال ابن إسحاق : أنا بيطارها . فقال : نحن نفيناه عن المدينة . وقال مكي بن إبراهيم : جلستُ إلى محمد بن إسحاق ، وكان يخضب بالسواد ، فذكر أحاديث في الصفة[5] ، فنفرتُ منها ، فلم أعد إليه . وقال مرة : تركتُ حديثَه وقد سمعتُ منه بالريّ عشرين مجلساً . وروى السَّاجي عن المفضل بن غسان : حضرتُ يزيد بن هارون وهو يحدث بالبقيع وعنده ناس من أهل المدينة يسمعون منه ، حتى حدَّثهم عن محمد بن إسحاق ، فأمسكوا ، وقالوا : لا تُحدِّثنا عنه ، نحن أعلم به . فذهب يزيد يحاولهم فلم يقبلوا ، فأمسك يزيد . وقال أبو داود سمعت أحمد بن حنبل ذكره فقال : كان رجلاً يشتهي الحديث فيأخذ كتب الناس فيضعها في كتبه ؛ وسئل أبو عبد الله أيُّهما أحب إليك : موسى بن

---

(١) أبو داود : هو الحافظ أبو داود الطيالسي ، نسبة إلى الطيالسة التي تُجعل على العمائم ، واسمه سليمان ابن داود بن الجارود . توفي سنة ٢٠٤ هـ . وفي « ب » و « ج » و « د » والمطبوع : أبو داود صاحب الطيالسة .

(٢) فاطمة : هي فاطمة بنت المنذر بن الزبير بن العوَّام ، زوج هشام بن عروة ، ثقة . تقريب التهذيب ص ٧٥٢ .

(٣) « ابن إدريس » : هو عبد الله بن إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن الأَوْدي ، أبو محمد الكوفي ثقة فقيه عابد ، توفي سنة ١٩٢ هـ . تقريب التهذيب ص ٢٩٥ .

(٤) في « ب » و « ج » و « د » : قلت لمالك — وذكر المغازي — فقلت : قال ابن إسحاق ... .

(٥) « في الصِّفة » : في صفات الله تعالى .

عبيدة الرَّبَذي أو محمد بن إسحاق ؟ قال : لا ، محمد بن إسحاق . وقال أحمد : كان يدلس ، إلا أن كتاب[1] إبراهيم بن سعد إذا كان سماعٌ قال : حدثني ، وإذا لم يكن قال : قال . وقال أبو عبد الله : قدم محمد بن إسحاق إلى بغداد فكان لا يُبالي عمن يحكي عن الكلبي وغيره ، وقال : ليس بحجة . وقال[2] الفلّاس : كنا عند وهب بن جرير فانصرفنا من عنده ، فمررنا بيحيى القطان ، فقال : أين كنتم ؟ فقلنا : كنا عند وهب بن جرير – يعني نقرأ عليه كتاب المغازي عن أبيه عن محمد بن إسحاق – فقال : تنصرفون من عنده بكذب كثير . وقال عباس الدوري : سمعت أحمد بن حنبل – وذكر محمد بن إسحاق – فقال : أما في المغازي وأشباهها فيكتب ، وأما في الحلال والحرام فيحتاج إلى مثل هذا ، ومدَّ يده وضمَّ أصابعه[3] . وروى الأثرم عن أحمد : كثير التدليس جداً ، أحسن حديثه عندي ما قال : أخبرني وسمعت[4] ، وعن ابن معين : ما أحبُّ أن أحتج به في الفرائض . وقال ابن أبي حاتم : ليس بالقوي ضعيف الحديث ، وهو أحبُّ إلي من أفلح بن سعيد يُكتب حديثه . وقال سليمان التيمي : كذاب . وقال يحيى القطان : ما تركت حديثه إلا لله ، أشهد أنه كذاب . وقد قال يحيى بن سعيد : قال لي وهيب بن خالد : إنه كذاب . قلت لوهيب : ما يدريك ؟ قال : قال لي مالك : أشهد أنه كذاب . قلت لمالك : ما يدريك ؟ قال : قال لي هشام بن عروة : أشهد أنه كذاب . قلت لهشام : ما يدريك ؟ قال : حدث عن امرأتي فاطمة ... الحديث .

---

(١) « كتاب إبراهيم بن سعد » : هو كتاب لإبراهيم بن سعد ، الحافظ الثقة ، المتوفى سنة ١٨٣ هـ ، روى فيه عن ابن إسحاق نحو سبعة عشر ألف حديث في الأحكام سوى المغازي . كان فيه ابن إسحاق بعيداً عن التدليس ، فإذا سمع قال : حدثني ، وإذا لم يسمع قال : قال . تهذيب التهذيب ١٢١/١ – ١٢٢ .

(٢) في « ج » ابن الفلّاس ، والصواب ما أثبتناه ، والفلّاس : هو عمرو بن علي بن بحر الباهلي ، أبو حفص ، روى عن أبي داود الطيالسي ويحيى بن سعيد القطان ، ووهب بن جرير بن حازم وغيرهم ، وروى عنه الجماعة وأبو زُرْعة وأبو حاتم ، وثقه النسائي وقال عنه : صاحب حديث حافظ ، توفي سنة ٢٤٩ هـ . تهذيب التهذيب ٨/٨٠ .

(٣) « ومدَّ يده وضمَّ أصابعه » : يُريد أنه يحتاج إلى ما يعضده ويقويه .

(٤) في « ب » و « ج » : أحسن حديثه عندي : حدثنا ، أخبرنا ، وسمعت .

قلت : والكلام فيه كثير جداً ، وقد قال أبو بكر الخطيب : قد احتج بروايته في الأحكام قوم من أهل العلم وصدف عنها آخرون . وقال في موضع آخر : قد أمسك عن الاحتجاج بروايات ابن إسحاق غير واحد من العلماء لأسباب ، منها : أنه كان يتشيع ، ويُنسب إلى القدر ، ويدلس ، وأما الصدق فليس بمدفوع عنه . انتهى كلام الخطيب .

وقد استشهد به البخاري ، وأخرج له مسلم متابعة ، واختار أبو الحسن(1) بن القطان في كلام له : أن يكون حديثه من باب الحسن ؛ لاختلاف الناس فيه .

أما روايته عن فاطمة ، فروينا عن أبي بكر الخطيب قال : حدثنا القاضي أبو بكر أحمد ابن الحسن الحرشي ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ، حدثنا أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو بدمشق ، حدثنا أحمد بن خالد الوهبي ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن فاطمة بنت المنذر ، عن أسماء بنت أبي بكر ، قالت : سمعت امرأة وهي تسأل النبيَّ ﷺ فقالت : إن لي ضرّةً وأنا أتشبع من زوجي بما لم يعطنيه لتغيظها بذلك قال : « المُتَشَبِّعُ بما لَم يُعطَ كلابسِ ثوبَيْ زور »(2) .

وقال أبو الحسن ابن القطان الحديث الذي من أجله وقع الكلام في ابن إسحاق من روايته عن فاطمة حتى قال هشام إنه كذاب ، وتبعه في ذلك مالك ، وتبعه يحيى بن سعيد ، وتتابعوا بعدهم تقليداً لهم : حديث « فلتقرصْه ، ولتنضحْ ما لم ترَ ولتصلِّي فيه »(3) . وقد روينا من حديثه عنها غيرَ ذلك .

(1) « أبو الحسن بن القطان » : هو علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميدي الفاسي ، كان حافظاً ثقة مأموناً ، توفي سنة ٦٢٨ هـ . شذرات الذهب ١٢٨/٥ .

(2) الحديث رواه البخاري في النكاح (باب المتشبع بما لم ينل وما يُنهى من افتخار الضرة) رقم /٥٢١٩/ ومسلم في اللباس (باب النهي عن التزوير في اللباس وغيره ، والتشبّع بما لم يُعط) رقم /٢١٢٩/ ، وأبو داود في الأدب (باب المتشبع بما لم يُعط) رقم /٤٩٩٧/ ، والترمذي في البر والصلة (باب ما جاء في المتشبع بما لم يُعط) رقم /٢٠٣٥/ . قال الحافظ ابن حجر : المتشبِّع : المتزيِّن بما ليس عنده يتكثر بذلك ويتزيَّن بالباطل . فتح الباري ٣١٧/٩ .

(3) رواه البخاري في الطهارة (باب غسل دم الحيض) رقم /٣٠٧/ ، ومسلم في الطهارة (باب نجاسة الدم وكيفية غسله) عن هشام بن عروة رقم /٢٩١/ ، وأبو داود في الطهارة (باب المرأة تغسل ثوبها الذي تلبسه في حيضها) رقم /٣٦٠/ عن محمد بن إسحاق ، ورقم /٣٦١/ عن هشام بن عروة ،

ذكر الأجوبة عما رُمي به :

قلتُ : أما ما رمي به من التدليس والقدر والتشيّع فلا يُوجب رد روايته ولا يوقع فيها كبير وهن . أما التدليس فمنه القادح في العدالة وغيره ولا يحمل ما وقع ها هنا من مطلق التدليس على التدليس المقيد بالقادح في العدالة . وكذلك القدر والتشيّع لا يقتضي الرد إلا بضميمة[1] أخرى و لم نجدها ها هنا .

وأما قول مكي بن إبراهيم أنه ترك حديثه و لم يعد إليه ، فقد علل ذلك بأنه سمعه يحدث أحاديث في الصفات فنفر منه ، وليس في ذلك كبير أمر ، فقد ترخص قوم من السلف في رواية المشكل من ذلك وما يحتاج إلى تأويله ، لا سيما إذا تضمن الحديث حكماً أو أمراً آخر ، وقد تكون هذه الأحاديث من هذا القبيل .

وأما الخبر عن يزيد بن هارون أنه حدَّث أهل المدينة عن قوم فلما حدَّثهم عنه أمسكوا ، فليس فيه ذكر ما يقتضي الإمساك ، وإذا لم يذكر لم يبق إلا أن يحول الظن فيه ، وليس لنا أن نعارض عدالة مقبولة بما قد نظنه جَرْحاً .

وأما ترك يحيى القطان حديثه ؛ فقد ذكرنا أن السبب في ذلك وتكذيبه إياه : روايته[2] عن وهيب بن خالد عن مالك عن هشام ، فهو ومن فوقه في هذا الإسناد تبع لهشام ، وليس ببعيد من أن يكون ذلك هو المنفر لأهل المدينة عنه في الخبر السابق عن يزيد بن هارون ، وقد تقدم الجواب عن قول هشام فيه عن أحمد بن حنبل وعلي بن المديني بما فيه مغنى .

وأما قول ابن نمير أنه يحدث عن المجهولين أحاديث باطلة ؛ فلو لم ينقل توثيقه وتعديله لتردد الأمر في التهمة بها بينه وبين من نقلها عنه ، وأما مع التوثيق والتعديل فالحمل فيها على المجهولين المشار إليهم لا عليه ، وأما الطعن على العالم بروايته عن المجهولين فغريب ،

= والترمذي في الطهارة (باب نجاسة الدم ...) رقم /١٣٨/ .

(١) « إلا بضميمة » : وذلك كأن يكون صاحب بدعة يتعمد الدعوة إليها .

(٢) في « أ » و « ب » و « ج » رواية ، والتصحيح من « د » .

قد حكي ذلك عن سفيان الثوري وغيره ، وأكثر ما فيه التفرقة بين بعض حديثه وبعض ، فيرد ما رواه عن المجهولين ويقبل ما حمله عن المعروفين . وقد روينا عن أبي عيسى الترمذي : سمعتُ محمد بن بشار يقول : سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول : ألا تعجبون من سفيان ابن عيينة : لقد تركت[1] لجابر الجعفي – لما حكي عنه – أكثر من ألف حديث . ثم هو يحدث عنه ؟! قال الترمذي : وقد حدَّث شعبة عن جابر الجعفي وإبراهيم الهجري ومحمد ابن عبيد الله العَرْزَمي وغير واحد ممن يضعف في الحديث .

وأما قول أحمد : يحدِّث عن جماعة بالحديث الواحد ولا يَفصِل كلام ذا من كلام ذا . فقد تتحد ألفاظ الجماعة وإن تعددت أشخاصهم ، وعلى تقدير أن لا يتحد اللفظ فقد يتحد المعنى . روينا عن واثلة بن الأسقع قال : إذا حدثتكم على المعنى فحسبكم . وروينا عن محمد بن سيرين قال : كنت أسمع الحديث من عشرة ، اللفظ مختلف والمعنى واحد . وقد تقدم[2] من كلام ابن المديني أن حديثه ليتبين فيه الصدق يروي مرة حدثني أبو الزناد ومرة ذكر أبو الزناد الفصل ، إلى آخره : ما يصلح لمعارضة هذا الكلام . واختصاص[3] ابن المديني بسفيان معلوم كما علم اختصاص سفيان بمحمد بن إسحاق . وأما قوله : كان يشتهي الحديث فيأخذ كتب الناس فيضعها في كتبه . فلا يتم الجرح بذلك حتى ينفي أن تكون مسموعة له ، ويثبت أن يكون حدث بها . ثم ينظر بعد ذلك في كيفية الإخبار ، فإن كان بألفاظ لا تقتضي السماع تصريحاً فحكمه حكم المدلسين ، ولا يحسن الكلام معه إلا بعد النظر في مدلول تلك الألفاظ . وإن كان يروي ذلك عنهم مصرِّحاً بالسماع ولم يسمع ، فهذا كذب صُرَاح واختلاق محض لا يحسن الحمل عليه إلا إذا لم نجد للكلام مخرجاً غيره . وأما قوله : لا يُبالي عمن يحكي عن الكلبي وغيره . فهو أيضاً إشارة إلى الطعن بالرواية عن الضعفاء ؛ لمحل ابن الكلبي من التضعيف . والراوي عن الضعفاء لا

---

(١) « لقد تركت » : أي حيث قال : لقد تركت ... إلخ .

(٢) تقدم كلام علي بن المديني ص ٥٧ .

(٣) « واختصاص ابن المديني .. » : أي أن سفيان أخذ عن محمد بن إسحاق روايته عن المعروفين ، وترك روايته عن المجهولين ، وكذلك فَعَلَ ابن المديني في أخذه عن سفيان ؛ فرواية الشيخ عن المجهولين أحياناً لا تقتضي رد جميع مروياته .

يخلو حاله من أحد أمرين : إما أن يصرح باسم الضعيف أو يدلسه ؛ فإن صرح به فليس فيه كبير أمر ، يروي عن شخص ولم يعلم حاله ، أو علم وصرَّح به ليبرأ من العهدة . وإن دلَّسه : فإما أن يكون عالما بضعفه أو لا ، فإن لم يعلم فالأمر في ذلك قريب ، وإن علم به وقصد بتدليس الضعيف وتغييره وإخفائه ترويجَ الخبر حتى يُظنّ أنه من أخبار أهل الصدق وليس كذلك ، فهذه جرحة من فاعلها وكبيرة من مرتكبها ، وليس في أخبار أحمد عن ابن إسحاق ما يقتضي روايته عن الضعيف وتدليسه إياه مع العلم بضعفه حتى ينبني على ذلك قدح أصلاً . وجواب ثان : محمد بن إسحاق مشهور بسعة العلم وكثرة الحفظ ، فقد يميز من حديث الكلبي وغيره ممن يجري مجراه : ما يقبل مما يرد ؛ فيكتب ما يرضاه ويترك ما لا يرضاه . وقد قال يعلى بن عبيد : قال لنا سفيان الثوري : اتقوا الكلبي . فقيل له : فإنك تروي عنه ؟ قال : أنا أعرف صدقه من كذبه . ثم غالب ما يُروى عن الكلبي أنساب وأخبار من أحوال الناس وأيام العرب وسِيَرهم وما يجري مجرى ذلك مما سمح كثير من الناس في حمله عمن لا تُحمل عنه الأحكام ، وممن حُكي عنه الترخص في ذلك الإمام أحمد ، وممن حُكي عنه التسوية في ذلك بين الأحكام وغيرها يحيى بن معين ، وفي ذلك بحث ليس هذا موضعَه .

وأما قول عبد الله عن أبيه : لم يكن يُحتج به في السنن . فقد يكون لما آنس منه التسامح في غير السنن التي هي جلّ علمه من المغازي والسير طَرد الباب فيه ، وقاس مروياته من السنن على غيرها . وطَرْدُ الباب في ذلك يعارضه تعديل من عدَّله .

وأما قول يحيى[1] : ثقة وليس بحجة . فيكفينا التوثيق ولو لم يُقبل إلا مثل العمري[2] ومالك لقلَّ المقبولون .

وأما ما نقلناه عن يحيى بن سعيد من طريق ابن المديني ووهب بن جرير فلا يبعد أن يكون قلَّدَ مالكاً ، لأنه روى عنه قول هشام فيه .

وأما قول[1] يحيى : ما أحب أن أحتج به في الفرائض ، فقد سبق الجواب عنه فيما

---

(١) « وأما قول يحيى .. » هو يحيى بن معين .

(٢) « العُمَري » : هو عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب .

نقلناه عن الإمام أحمد رحمه الله ، على أن المعروف عن يحيى في هذه المسألة التسوية بين المرويات من أحكام وغيرها والقبول مطلقاً أو عدمه من غير تفصيل .

وأما ما عدا ذلك من الطعن فأمور غير مفسرة ومعارضة في الأكثر من قائلها بما يقتضي التعديل ، وممن يُصَحِّح حديثَه ويحتج به في الأحكام أبو عيسى الترمذي رحمه الله تعالى[1] ، ولم نتكلف الرد عن طعن الطاعنين فيه إلا لما عارضه من تعديل العلماء له وثنائهم عليه ، ولولا ذلك لكان اليسير من هذا الجرح كافياً في ردِّ أخباره ، إذ اليسير من الجرح المفسر منه وغير المفسر كاف في ردّ من جهلت حاله قبله ولم يُعَدِّله مُعَدِّلٌ .

وقد ذكره أبو حاتم ابن حبان في كتاب « الثقات » له فأعرب عما في الضمير فقال : تكلم فيه رجلان هشام ومالك ؛ فأما هشام فأنكر سماعه من فاطمة ، والذي قاله ليس مما يجرح به الإنسان في الحديث ، وذلك أن التابعين كالأسود وعلقمة سمعوا من عائشة من غير أن ينظروا إليها ، بل سمعوا صوتها ، وكذلك ابن إسحاق كان يسمع من فاطمة والستر بينهما مسبل . قال : وأما مالك فإنه كان ذلك منه مرة واحدة ثم عاد له إلى ما يحب[2] ، وذلك أنه لم يكن بالحجاز أحد أعلم بأنساب الناس وأيامهم من ابن إسحاق ، وكان يزعم أن مالك من موالي ذي أصبح[3] ، وكان مالك يزعم أنه من أنفسها[4] ، فوقع بينهما لذلك مفاوضة ، فلما صنف مالك الموطأ قال ابن إسحاق : ائتوني به فأنا بيطاره . فنُقل ذلك إلى مالك ، فقال : هذا دجال من الدجاجلة يروي عن اليهود . وكان بينهما ما يكون بين الناس ، حتى عزم محمد على الخروج إلى العراق فتصالحا حينئذ ، وأعطاه عند الوداع خمسين ديناراً ونصف ثمرته تلك السنة . ولم يكن يقدح فيه مالك من أجل الحديث إنما كان ينكر عليه تتبعه غزوات النبي ﷺ من أولاد اليهود الذين أسلموا[5] ،

---

(١) في « ب » و « ج » و « د » والمطبوع : « أبو عيسى الترمذي وأبو حاتم بن حبان رحمهما الله تعالى . . » .

(٢) كذا في « أ » وفي « ب » : « ثم عاد إلى ما يَجِبُ » والمعنى في العبارتين : أن الإمام مالك عاد عن الطعن في ابن إسحاق .

(٣) « ذي أصبح » : أصبح : ملك من ملوك اليمن ، وهو من أجداد الإمام مالك بن أنس .

(٤) « من أنفسها » : أي منها صلبية .

(٥) « الذين أسلموا » : في هامش الأصل : ضمير أسلموا راجع لليهود لا للأولاد .

وحفظوا قصة خيبر وقريظة والنضير ، وما أشبه ذلك من الغرائب عن أسلافهم . وكان ابن إسحاق يتتبع ذلك عنهم ليعلم ذلك من غير أن يحتج بهم ، وكان مالك لا يرى الرواية إلا عن متقن صدوق .

قلت : ليس ابن إسحاق أبا عُذْرة[1] هذا القول في نسب مالك ، فقد حكي شيء من ذلك عن الزهري وغيره ، والرجل أعلم بنسبه ، وتأبى له عدالته وإمامته أن يخالف قولُه عملَه .

وأما قول ابن إسحاق : أنا جِهْبذُها ، فقد أتى أمْرَاً إمْراً ، وارتقى مُرتقى وعراً ، ولم يدر ما هنالك مَنْ زَعَم أنه في الإتقان كمالك ، وقد ألقته آمالُه في المهالك ، مَنْ أنفه في الثرى وهو يُطاول النجومَ الشوابك .

الواقدي

وأما الواقدي فهو محمد بن عمر بن واقد ، أبو عبد الله المديني . سمع ابن أبي ذئب ، ومعمر بن راشد ، ومالك بن أنس ، ومحمد بن عبد الله ابن أخي الزهري ، ومحمد بن عجلان ، وربيعة بن عثمان ، وابن جريج ، وأسامة بن زيد[2] ، وعبد الحميد بن جعفر ، والثوري ، وأبا معشر ، وجماعة . روى عنه كاتبه محمد بن سعد ، وأبو حسان الزيادي ، ومحمد بن إسحاق الصاغاني ، وأحمد بن الخليل البُرْجُلاني[3] ، وعبد الله بن الحسين الهاشمي ، وأحمد بن عبيد بن ناصح ، ومحمد بن شجاع الثلجي ، والحارث بن أبي أسامة ، وغيرهم .

ذكره الخطيب أبو بكر ، وقال : هو ممن طبَّق شرقَ الأرض وغربَها ذكرُه ، ولم يخف

---

(١) « ليس ابنَ إسحاق أبا عذرةَ هذا القول » : أي ليس هو أول من قاله .

(٢) أسامة بن زيد : بن أسلم العدوي ، بالولاء ، أبو زيد المدني ، روى عن أبيه عن جده وعن سالم ونافع وغيرهم ، وروى عنه ابن المبارك وابن وهب وغيرهما ، ضعفه أحمد وابن معين من قبل حفظه ، قال أبو حاتم والنسائي : يكتب حديثه ولا يحتج به ، توفي في خلافة المنصور . تهذيب التهذيب ١/٢٠٧ .

(٣) البُرْجُلاني : نسبة إلى قرية من قرى واسط ، وهو أبو جعفر أحمد بن الخليل بن ثابت ، توفي سنة ٢٧٧ هـ . اللباب في الأنساب ١/١٣٤ .

على أحد عرف أخبار الناس أمرُه ، وسارت الركبان بكتبه في فنون العلم من المغازي والسير والطبقات وأخبار النبي ﷺ والأحداث التي كانت في وقته وبعد وفاته ﷺ ، وكتب الفقه واختلاف الناس في الحديث ، وغير ذلك . وكان جواداً كريماً مشهوراً بالسخاء .

وقال ابن سعد : محمد بن عمر بن واقد أبو عبد الله مولى عبد الله بن بريدة الأسلمي ، كان من أهل المدينة ، قدم بغداد في سنة ثمانين ومائة في دَيْن لحقه ، فلم يزل بها ، وخرج إلى الشام والرقَّة ، ثم رجع إلى بغداد فلم يزل بها إلى أن قدم المأمون من خراسان ، فولَّاه القضاء بعسكر المهدي ، فلم يزل قاضياً حتى مات ببغداد ليلة الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة سبع ومائتين ، ودفن يوم الثلاثاء في مقابر الخيزران ، وهو ابن ثمان وسبعين سنة وذكر أنه ولد سنة ثلاثين ومائة في آخر خلافة مروان بن محمد . وكان عالماً بالمغازي واختلاف الناس وأحاديثهم .

الكلام فيه جرحاً وتعديلاً :

وقال محمد بن خلَّاد سمعت محمد بن سلام الجُمَحي يقول : محمد بن عمر الواقدي عالم دهره . وقال إبراهيم الحربي : الواقدي آمن الناس على أهل الإسلام . وقال الحربي أيضاً : كان الواقدي أعلم الناس بأمر الإسلام ، فأما الجاهلية فلم[1] يعمل فيها شيئاً .

وقال يعقوب بن شيبة : لما انتقل الواقدي من الجانب الغربي إلى ها هنا يقال إنه حمل كتبه على عشرين ومائة وِقر . وقيل : كانت كتبه ستمائة قمطر . وقال محمد بن جرير الطبري : قال ابن سعد : كان الواقدي يقول : ما من أحد إلا وكتبه أكثر من حفظه ، وحفظي أكثر من كتبي . وروى عنه غيره قال : ما أدركت رجلاً من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء ولا مولى لهم إلا سألته : هل سمعت أحداً من أهلك يخبرك عن مشهده وأين قتل ؟ فإذا أعلمني مضيت إلى الموضع فأعاينه ، ولقد مضيت إلى المريسيع فنظرت إليها ، وما علمت غزاة إلا مضيت إلى الموضع حتى أعاينه أو نحو هذا الكلام ، وقال ابن منيع : سمعت هارون الفَرْوي يقول : رأيت الواقدي بمكة ومعه ركوة ، فقلت : أين تريد ؟ قال : أريد

---

(١) كذا في الأصول ، وفي تهذيب التهذيب ٣٦٥/٩ : « وأما الجاهلية فلم يعلم فيها شيئاً » .

أن أمضي إلى حُنين حتى أرى الموضع والوقعة ، وقال إبراهيم الحربي : سمعت المسيِّبي[1] يقول : رأيت الواقدي يوماً جالساً إلى أسطوانة في مسجد المدينة وهو يدرس ، فقلنا له : أي شيء تدرس ؟ فقال : حزبي من المغازي .

وروينا عن أبي بكر الخطيب قال : وأخبرنا الأزهري قال : أخبرنا محمد بن العباس قال : حدثنا أبو أيوب قال : سمعت إبراهيم الحربي يقول : وأخبرني إبراهيم بن عمر البرمكي ، حدثنا عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري ، حدثنا محمد بن أيوب ابن المعافى قال : قال إبراهيم الحربي : سمعت المسيبي يقول : قلنا للواقدي : هذا الذي تجمع الرجال تقول : حدثنا فلان وفلان وجئت بمتن واحد ، لو حدثتنا بحديث كل رجل على حدة . قال : يطول . فقلنا له : قد رضينا . قال : فغاب عنا جمعة ، ثم أتانا بغزوة واحداً وعشرين جلداً . وفي حديث البرمكي مائة جلد . فقلنا له ، ردنا إلى الأمر الأول . معنى اللفظين متقارب[2] . وعن يعقوب بن شيبة قال : ومما ذكر لنا أن مالكاً سُئل عن قتل الساحرة[3] ، فقال : انظروا هل عند الواقدي في هذا شيء ؟ فذاكروه ذلك فذكر شيئاً عن الضحاك بن عثمان ، فذكروا أن مالكاً قنع به . وروي أن مالكاً سئل عن المرأة التي سمَّتِ النبيَّ ﷺ بخيبر : ما فعل بها ؟ فقال : ليس عندي بها علم . وسأسأل أهلَ العلم . قال : فلقي الواقدي . فقال يا أبا عبد الله : ما فعلَ النبيُّ ﷺ بالمرأة التي سمَّتْه بخيبر ؟ فقال : الذي عندنا أنه قتلها . فقال مالك : قد سألت أهل العلم فأُخبروني أنه قتلها . وقال أبو بكر الصاغاني لولا أنه عندي ثقة ما حدَّثت عنه ، حدث عنه أربعة أئمة ؛ أبو

---

(١) المسيِّبي : هو محمد بن إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن المسيب المخزومي ، أبو عبد الله المدني ، روى عن أبيه إسحاق المسيبي وابن عيينة وعبد الله بن نافع الصائغ وغيرهم ، وروى عنه مسلم وأبو داود وإبراهيم الحربي وغيرهم ، توفي سنة ٢٣٦ هـ . تهذيب التهذيب ٣٧/٩ .

(٢) « معنى اللفظين متقارب » : مراد هم أن المعنى في حالتي الاختصار والبسط واحد ، وإن اختلف اللفظ ، ولذلك هم يوافقونه على الاختصار .

(٣) قال مالك : الساحرُ كافر يقتل بالسحر ولا يُستتاب ، ولا تُقبل توبته ، بل يتحتم قتله . وبقول مالك قال أحمد بن حنبل ، وهو مروي عن جماعة من الصحابة والتابعين . وقال الشافعية : إن تعلم السحر وتعليمه حرام ، فإن كان يتضمن ما يقتضي الكفر كفر وإلا فلا ، وإذا لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عُزِّر واستتيب منه ، فلا يُقتل عند الشافعية ، فإن تابَ قُبلت توبته .

بكر بن أبي شيبة ، وأبو عبيد وأحسبه ذكر أبا خيثمة ورجلاً آخر . وقال عمرو الناقد : قلت للدراوَردي[1] ما تقول في الواقدي ؟ فقال : تسألني عن الواقدي ؟! سل الواقدي عني . وذكر الدراوردي الواقديَّ فقال : ذلك أمير المؤمنين في الحديث . وسئل أبو عامر العَقَدي عن الواقدي فقال . نحن نسأل عن الواقدي : إنما يُسأل هو عنا ، ما كان يفيدنا الأحاديث والشيوخ بالمدينة إلا الواقدي . وقال الواقدي : لقد كانت ألواحي تضيع فأؤتى بها من شهرتها بالمدينة . يقال : هذه ألواح ابن واقد . وقال مصعب الزبيري : والله ما رأينا مثله قط . قال مصعب : وحدثني من سمع عبدَ الله بن المبارك يقول : كنتُ أقدم المدينةَ فما يفيدني ولا يدلني على الشيوخ إلا الواقدي . وقال مجاهد بن موسى ما كتبتُ عن أحد أحفظ منه . وسئل عنه مصعب الزبيري ، فقال : ثقة مأمون . وكذلك قال المسيبي . وسئل عنه معن بن عيسى ، فقال : أنا أسأل عنه ؟! هو يُسأل عني . وسئل عنه أبو يحيى الزهري ، فقال : ثقة مأمون . وسُئل عنه ابن نمير فقال : أما حديثه عنا[2] فمستوٍ ، وأما حديث أهل المدينة فهم أعلم به . وقال يزيد بن هارون : ثقة . وقال عباس العنبري : هو أحبُّ إليَّ من عبد الرزاق . وقال أبو عُبيد القاسم بن سلَّام : ثقة . وقال إبراهيم[3] : وأما فقه أبي عُبيد فمن كتاب محمد بن عمر الواقدي ، الاختلاف والإجماع كان عنده . وقال إبراهيم الحربي : من قال إن مسائل مالك بن أنس وابن أبي ذئب تؤخذ عمن هو أوثق من الواقدي فلا يصدق لأنه يقول سألت مالكاً وسألت ابن أبي ذئب . وقال إبراهيم بن جابر : حدثني عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : كتب أبي عن أبي يوسف ومحمد ثلاثة قماطر . قلت له : كان ينظر فيها ؟ قال : كان ربما نظر فيها ، وكان أكثر نظره في كتب الواقدي . وسئل إبراهيم الحربي عما أنكره أحمد على الواقدي ، فقال : إنما أنكر عليه جمعه الأسانيد ومجيئه بالمتن واحداً . قال إبراهيم : وليس هذا عيباً ، فقد فعل

---

(١) الدراوردي : نسبة إلى دراورد ، قرية من قرى خراسان ، وهو عبد العزيز بن محمد بن عُبيد ، أبو محمد المدني مولى جهينة ، توفي سنة ١٨٧ هـ . تهذيب التهذيب ٣٥٤/٦ .

(٢) في تهذيب التهذيب ٣٦٦/٩ : « أما أحاديثه هنا .. » وهو يقصد العراق .

(٣) إبراهيم : هو إبراهيم الحربي ، تلميذ الواقدي ، وقد تقدمت الرواية عنه ، والحربي نسبة إلى حربية ، محلة ببغداد . توفي سنة ٢٨٥ هـ . سير أعلام النبلاء ٣٥٦/١٣ .

هذا الزهري وابن إسحاق . قال إبراهيم : لم يزل أحمد بن حنبل يوجه في كل جمعة بحنبل ابن إسحاق إلى محمد بن سعد ، فيأخذ له جزأين من حديث الواقدي ، فينظر فيهما ثم يردهما ويأخذ غيرهما . وكان أحمد بن حنبل ينسبُه لتقليب الأخبار كأنه يجعل ما لمعمَر لابن أخي الزهري ، وما لابن أخي الزهري لمعمَر .

وأما الكلام فيه فكثير جداً قد ضعِّف ونُسب إلى وضع الحديث ، وقال أحمد : هو كذَّاب ، وقال يحيى : ليس بثقة . وقال البخاري والرازي والنسائي : متروك الحديث . وللنسائي فيه كلام أشدُّ من هذا . وقال الدارقطني : ضعيف ، وقال ابن عدي : أحاديثه غير محفوظة والبلاء منه .

قلت : سعة العلم مظنة لكثرة الإغراب ، وكثرةُ الإغراب مظنة للتهمة . والواقدي غير مدفوع عن سعة العلم فكثرت بذلك غرائبه ، وقد روينا عن علي بن المديني أنه قال : للواقدي عشرون ألف حديث لم نسمع بها . وعن يحيى بن معين : أُغرب الواقدي على رسول الله ﷺ في عشرين ألف حديث . وقد روينا عنه من تتبعه آثار مواضع الوقائع وسؤاله من أبناء الصحابة والشهداء ومواليهم عن أحوال سلفهم ما يقتضي انفراداً برواة[1] وأخبار لا تدخل تحت الحصر ، وكثيراً ما يَطعن في الرَّاوي برواية وقعت له : مَنْ أنكر تلك الرواية عليه واستغربها منه ، ثم يظهر له أو لغيره بمتابعة متابع أو سبب من الأسباب ، براءته من مقتضي الطعن فيتخلص بذلك من العهدة . وقد روينا عن الإمام أحمد رحمه الله ورضي عنه أنه قال : ما زلنا ندافع أمر الواقدي حتى روى : عن معمَر ، عن الزهري ، عن نبهان ، عن أم سلمة ، عن النبي ﷺ : « أفعمَيَاوانِ أنتما ؟ »[2] . فجاء بشيء لا حيلة فيه . والحديث حديث يونس لم يروه غيره . وروينا عن أحمد بن منصور الرمادي : قدم علي بن المديني بغداد سنة سبع ومائتين والواقدي يومئذ قاض علينا ، وكنت أطوف مع عليّ على الشيوخ الذين يُسمع منهم ، فقلت : أتريد أن تسمع من الواقدي ؟ ثم قلت له

---

(١) هكذا في « أ » ، وفي « ب » برواية ، وفي « د » بروايات .

(٢) رواه الإمام أحمد في « المسند » ٢٩٦/٦ ، وأبو داود في اللباس (باب في قوله عز وجل : وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) رقم /٤١١٢/ والترمذي في الأدب (باب في احتجاب النساء) رقم /٢٧٧٩/ وقال : حسن صحيح .

بعد ذلك ، فقال[1] : لقد أردت أن أسمع منه . فكتب إليَّ أحمدُ بن حنبل : كيف تستحلّ الرواية عن رجل روى عن معمر حديث نبهان مكاتب أم سلمة . وهذا حديث يونس تفرد به ؟! قال أحمد بن منصور الرمادي : فقدمت مصر بعد ذلك ، فكان ابنُ أبي مريم يحدثنا به عن نافع بن يزيد عن عُقيل عن ابن شهاب عن نبهان ، وقد رواه أيضاً يعقوب ابن سفيان عن سعيد بن أبي مريم عن نافع بن يزيد كرواية الرمادي . قال الرمادي : فلما فرغ ابن أبي مريم من هذا الحديث ضحكتُ . فقال : مم تضحك ؟ فأخبرته بما قال علي وكتب إليه أحمد . فقال لي ابن أبي مريم : إن شيوخنا المصريين لهم عناية بحديث الزهري . وكان الرمادي يقول : هذا مما ظلم فيه الواقدي . فقد ظهر في هذا الخبر أن يونس لم ينفرد به ، وإذ قد تابعه عقيل فلا مانع من أن يتابعه معمر ، وحتى لو لم يتابعه عُقيل لكان ذلك محتملاً ، وقد يكون فيما رمي به من تقليب الأخبار ما ينحو هذا النحو .

وقد أثبتنا من كلام الناس في الواقدي ما يعرف به حاله والله الموفق .

وربما حصل[2] إعلام في بعض الأحيان بغريبٍ يوجد في الخبر ، وتنبيه على مشكل يقع فيه متناً أو إسناداً على وجه الإيماء والإشارة لا على سبيل التقصي وبسط العبارة .

وسميته بعيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير . والله المسؤول أن يجعل ذلك لوجهه الكريم خالصاً ، وأن يؤوينا إلى ظله إذا الظل أضحى في القيامة قالصاً ، بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

* * *

(١) سقطت كلمة « فقال » من « ب » و « د » والمطبوع ، وإثباتها هو الصواب .

(٢) بعد تمام الحديث عن ابن إسحاق والواقدي ، تابع المؤلف شرح منهجه في هذا الكتاب .

ذكرُ نسب سيدنا ونبينا رسول الله ﷺ

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، ويُدعى شيبة الحمد ، ابن هاشم ، وهو عمرو العلا(1) ، بن عبد مناف ؛ واسمه المغيرة ، بن قصي ، ويسمى زيداً ، ويدعى مجمعاً أيضاً قال الشاعر :

أبوكُـم قصيٌّ كانَ يُدعـى مُجَمِّعـاً بـه جمعَ اللهُ القبائِـلَ مِـن فِهْـرِ

ابن كلاب ، بن مرة ، بن كعب ، بن لؤي ، بن غالب ، بن فهر ، بن مالك بن النضر ، بن كنانة ، بن خزيمة ، بن مدركة ، بن إلياس ، بن مضر ، بن نزار ، بن معد ، ابن عدنان .

هذا هو الصحيح المجمع عليه في نسبه ، وما فوق ذلك مختلف فيه . ولا خلاف أن عدنان من ولد إسماعيل نبي الله ابن إبراهيم خليل الله عليهما السلام ، وإنما الخلاف في عدد من بين عدنان وإسماعيل من الآباء ، فمقِلٌّ ومُكثر ، وكذلك من إبراهيم إلى آدم عليهما السلام لا يعلم ذلك على حقيقته إلا الله تعالى . روينا عن ابن سعد : أخبرنا هشام ، أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ كان إذا انتسبَ لم يُجاوز معدَّ بن عدنان بن أدد ، ثم يمسك ويقول : « كذبَ النسَّابون . قال الله عزَّ وجل : ﴿ وقروناً بين ذلك كثيراً ﴾ »(2) [الفرقان : ٣٨] . وقال ابن عباس : لو شاء رسول الله ﷺ أن يُعلِّمَه لعُلِّمَه . وعن عائشة رضي الله عنها : ما وجدنا أحداً يعرف ما وراء عدنان ولا قحطان إلا تخرصاً . وقد روي نحو ذلك عن عمر وعكرمة وغير واحد .

---

(١) استحق عمرو أن يُضاف إلى العلا ؛ لما كان يتصف به من كرم وجود ، وفيه قال عبد الله بن الزِّبَعْرَى :

عمـرو العُـلا هَشَمَ الثريـدَ لقومِـه ورجـالُ مكّـةَ مُسنتـون عِجَـافُ

(٢) الطبقات الكبرى ٥٦/١ ، وإسناد الحديث ضعيف جداً ، فيه هشام بن محمد بن السائب الكلبي متروك ، وأبوه أبو النضر الكلبي مفسر ضعيف جداً كابنه ، وأبو صالح باذام مولى أم هانىء ضعيف ، ولم يسمع من ابن عباس ، باختصار من نور النبراس ، لوحة ٣٦ .

والذي رجَّحه بعض النسابين في نسب عدنان[1] أنه ابن أد ، بن أدد ، بن اليسع ، ابن الهميسع ، بن سلامان ، بن نبت ، بن حمل ، بن قيذار ، بن الذبيح إسماعيل ، بن الخليل إبراهيم ، بن تارح – وهو آزر – بن ناحور ، بن سارُوح ، بن أرغُو ، بن فالِخ ، بن عابر ، بن شَالَخ ، بن أرْفَخشذ ، بن سام ، بن نوح ، بن لَمْك ، بن مَتُّوشَلَخ ، بن أخْنُوخ – وهو إدريس النبي عليه السلام – بن يارد ، بن مَهلاييل ، بن قينان ، بن أنوش ، بن شيث – وهو هبة الله – بن آدم ، عليهما أفضل الصلاة والسلام .

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الفاروثي[2] الإمام بدمشق ، أنبأنا الحسين بن علي العلوي ببغداد ، أنبأنا ابن ناصر[3] قراءة عليه وأنا أسمع ، أنبأنا أبو طاهر بن أبي الصقر الأنباري ، أنبأنا القاضي أبو البركات أحمد بن عبد الواحد بن الفضل الفراء ، أنبأنا الشريف أبو جعفر محمد بن عبد الله بن طاهر الحسيني ، حدثنا أبو سليمان أحمد بن محمد المكي بالمدينة سنة تسع وتسعين ومائتين ، حدثنا إبراهيم بن حمزة الزبيري ، حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي ، عن ابن أبي ذئب ، عمن لا يُتَّهم ، عن عمرو بن العاصي ، فذكر حديثاً وفيه : ثم قال : يعني رسول الله ﷺ : « إن الله اختار العربَ على الناس ، واختارني على من أنا منه » ثم قال : « أنا محمد بن عبد الله ... حتى بلغ النَّضْرَ بن كِنانة » ثم قال : « فَمن قال غيرَ هذا فقد كذب »[4] .

---

(١) في السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٢ والفصول في سيرة الرسول ﷺ للحافظ ابن كثير ص ٧٦ بتحقيقنا : « عدنان بن أدد ، بن مُقوِّم ، بن ناحور ، بن تَيْرح ، بن يَعرب ، بن يَشجُب ، بن نابت ، بن إسماعيل ابن إبراهيم » . وهو مختلف مع ما ذكره المؤلف مما يؤكد ما أشار إليه من اختلاف النسَّابين في ذلك وعدم وصولهم إلى قول صحيح يُركن إليه .
وانظر بقية النسب ما فوق إبراهيم في الكتب المذكورة ، فستجد أنه لا تخلو من بعض الاختلافات .

(٢) الفَارُوثي : نسبة إلى قرية من قرى واسط . نور النبراس ، لوحة ١/٤٠ .

(٣) ابن ناصر : الإمام الحافظ ، أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر السَّلامي ، محدث العراق . قال ابن الجوزي : كان ثقة حافظاً ضابطاً ، من أهل السنة ، لا مغمز فيه . توفي سنة ٥٥٠ هـ . نور النبراس لوحة ٤٠ ، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٢٦٥ .

(٤) إسناده ضعيف ، فيه رجل مبهم ، وقول محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن أبي ذئب : عمن لا يُتَّهم ، لا يكفي في توثيقه . ونبَّه في نور النبراس فقال : توثيق المبهم فيه ثلاثة أقوال ، والصحيح أنه لا يكفي ، والله أعلم .

وبه عن عبد العزيز بن محمد ، عن ابن أبي ذئب ، عن جُبير بن أبي صالح ، عن ابن شهاب ، عن سعد بن أبي وقاص ، قال : قيل : يا رسول الله ! قُتل فلان ـ لرجل من ثقيف ـ فقال : « أبعدَه الله إنَّه كَان يُبغضُ قريشاً »[1] .

وروينا من طريق مسلم ، حدثنا محمد بن مهران الرازي ، ومحمد بن عبد الرحمن بن سَهم ، جميعاً عن الوليد ، قال ابنُ مِهْران : حدثنا الوليدُ بن مسلم ، حدثنا الأوزاعيُّ ، عن أبي عمَّار شدَّادٍ : أنه سمع واثلةَ بن الأسقع يقول : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنَّ الله اصطفى كِنانةَ من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً مِن كِنانة ، واصطفى مِن قُريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم »[2] .

والعرب على ست طبقات : شعب وقبيلة وعمارة وبطن وفَخِذ وفصيلة . وسميت الشعوب لأن القبائل تشعبت منها . وسميت القبائل لأن العمائر تقابلت عليها ، فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر ، والعمارة تجمع البطون ، والبطن تجمع الأفخاذ ، والفَخِذ تجمع الفصائل ، فيقال : مضر شعب رسول الله ﷺ ، وكنانة قبيلته ، وقريش عمارته ، وقصي بطنه ، وهاشم فخذه ، وبنو العباس فصيلته . هذا قول الزبير ، وقيل : بنو عبد المطلب فصيلته ، وعبد مناف بطنه ، وسائر ذلك كما تقدم . وقيل : بعد الفصيلة العشيرة وليس بعد العشيرة شيء . وقيل : الفصيلة هي العشيرة ، وقيل غير ذلك .

ذكر تزويج عبد الله بن عبد المطلب

آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهْرة بن كلاب ، وكانت في حِجْر عمها وهيب بن عبد مناف

قال الزبير : وكان عبد الله أحسن رجل مرئيٍ في قريش قطّ ، وكان أبوه عبد المطلب قد مر به فيما يزعمون على امرأة من بني أسد بن عبد العزى ، وهي أخت ورقة بن نوفل ،

(١) إسناده ضعيف أيضاً ، فيه جُبير بن أبي صالح مجهول ، لم يرو عنه غير ابن أبي ذئب ، وذكره ابن حِبَّان في الثقات ، والزهري لم يسمع من سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه . نور النبراس باختصار لوح ٤١/١ .

(٢) رواه مسلم في الفضائل (باب فضل نسب النبي ﷺ) رقم /٢٢٧٦/ .

وهي عند الكعبة . فقالت له : أين تذهب يا عبد الله ؟ قال : مع أبي . قالت : لكَ مثل الإبل التي نحرت عنك ـ وكانت مائة ـ وقعْ عليَّ الآن . قال : أنا مع أبي ولا أستطيعُ خلافَه ولا فِراقَه . وأنشدَ بعضُ أهلِ العلم في ذلك لعبد الله بن عبد المطلب :

أمـــا الحرامُ فالممـــاتُ دونَـــه ... والحِـــلُّ لا حِـــلَّ فأستبينَـــه

فكيـفَ بالأمـــر الـــذي تبغينَـــه ... (يحمي الكريمُ عِرضَه ودينَـه)[1]

أخبرنا الإمام العلامة أبو العباس أحمد بن إبراهيم الواسطي سماعاً بدمشق ، أنبأنا الأمير أبو محمد الحسن بن علي العلوي ببغداد سماعاً عليه ، قال : أخبرنا الحافظ أبو الفضل محمد ابن ناصر بن محمد بن علي السَّلامي قراءةً عليه وأنا أسمع ، قال : أنبأنا أبو طاهر بن أبي الصقر ، أنبأنا القاضي أبو البركات أحمد بن عبد الوهاب الفراء ، أنبأنا الشريف أبو جعفر محمد بن عبد الله الحسيني ، حدثنا أبو بكر الخضر بن داود بمكة ، حدثنا الزبير بن بكار ، حدثني سفيان بن عيينة ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : ﴿ لقد جاءَكُم رسولٌ من أنفسكم ﴾ [التوبة : ١٢٨] . قال : أحدكم من أنفسكم ، لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية . قال : وكان رسولُ الله ﷺ يقول : « خرجتُ من نكاح ولم أخرجْ من سِفاح »[2] . وروينا عن ابن سعد قال : أنبأنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبيه ، قال : كتبتُ للنبي ﷺ خمسمائة أم ، فما وجدت فيهن سفاحاً ولا شيئاً مما كان من أمر الجاهلية[3] .

وروينا مرفوعاً من حديث ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « خرجتُ من نكاحٍ غير سفاح »[4] .

---

(١) ما بين القوسين زيادة من السهيلي ، وأثبتناها من « ج » وما في البيتين من التعبيرات الإسلامية يدل على أنهما مصنوعان ، ولعل الخبر كلَّه مصنوع من أساسه ، ولهذا أورده أصحاب السير بـ « يزعمون ... » من غير سند .

(٢) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٦٠/١ وتتمته « من لدن آدم ، لم يصبني من سفاح أهل الجاهلية شيء ، لم أخرجْ إلا من طُهْره » وفي صحيح الجامع الصغير ١٠٩/٣ : حديث حسن .

(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٦٠/١ ، وفي سنده الكلبي الابن هشام ، قال الدراقطني عنه : رافضي غير ثقة . والكلبي الأب متهم بالوضع .

(٤) ابن سعد ٦١/١ ، وفي صحيح الجامع الصغير ١٠٩/١ حديث حسن .

رجع إلى الأول : فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وُهيب بن عبد مناف بن زهرة وهو يومئذ سيد بني زهرة سناً وشرفاً ، فزوَّجه آمنة بنت وَهبٍ ، وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً ، فزعموا أنه دخل عليها حين أُمْلِكَها مكانه فوقع عليها ، فحملت برسول الله ﷺ ، ثم خرج من عندها فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت ، فقال لها : ما لك لا تعرضين عليَّ اليومَ ما عرضت بالأمس ؟ فقالت له : فارقك النور الذي كان معك بالأمس ، فليس لي بك اليوم حاجة . وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل أنه كائن في هذه الأمة نبي . قال أبو عمر[1] : كان تزوَّجَهَا وعمره ثلاثون سنة ، وقيل : خمس وعشرون ، وقيل بينهما ثمانية وعشرون عاماً . وتزوَّج عبد المطلب في ذلك المجلس هالة بنت وُهيب بن عبد مناف فولدت له حمزة والمُقَوَّم وحَجْلاً وصفيّة أمّ الزبير . قال محمد بن السائب الكلبي : لما تزوَّج عبدُ الله بن عبد المطلب آمنة أَقَامَ عندها ثلاثاً ، وكانت تلك السُّنةُ عندهم إذا دخل الرجلُ على امرأته في أهلها .

ذكر حمل آمنة برسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق ، ويزعمون فيما يتحدث الناس — والله أعلم — أن أمه كانت تحدث أنها أُتيتْ حين حملتْ به ، فقيل لها : إنك قد حملتِ بِسيّد هذه الأمة ، فإذا وقع إلى الأرض فقولي : أُعيذه بالواحد من شرِّ كلِّ حاسد ، ثم سمّيه محمداً[2] . ومن طريق محمد بن عمر : عن عليّ بن زيد ، عن عبد الله بن وهب بن زمعة ، عن أبيه ، عن عمته ، قالت : كنا نسمع أنَّ رسولَ الله ﷺ لما حملتْ به أُمُّه آمنةُ بنتُ وَهب كانت تقول :

---

(١) أبو عمر : هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البَرّ بن عاصم النمري ، وشهرته بابن عبد البر أشهر وأسير ، وُلد بقرطبة ونشأ في بيت علم ، إذ كان أبوه من فقهاء قرطبة ومحدثيها ، وقد وجهه منذ نعومة أظفاره إلى الدراسات الدينية ، فأصبح إمام الأندلس في علوم الشريعة ورواية الحديث ، ومصنفاته مشهورة منها : « التمهيد » و « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » و « الدرر في اختصار المغازي والسير » و « جامع بيان العلم وفضله » توفي سنة ٤٦٣ هـ . نور النبراس لوحة ٤٤/١ .

(٢) السيرة النبوية ، لابن هشام ١٥٨/١ .

ما شعرت بأني حملت به ، ولا وجدتُ له ثَقَلَةً[1] كما تجد النساء ، إلا أني أنكرت رفعَ حيضتي . وربما كانت تقول : أتاني آتٍ وأنا بين النائم واليقظان فقال : هل شعرتِ أنك حملت ؟ فكأني أقول : ما أدري . فقال : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ونبيِّها . وذلك يوم الاثنين .. الحديث ، وفيه : وأمهلني حتى دنتْ ولادتي أتاني فقال : قولي ، أُعيذه بالواحد[2] . وعن الزهري قال : قالت آمنة : لقد علقتُ به فما وجدتُ له مشقةً حتى وضعتُه[3] .

ذكر وفاة عبد الله بن عبد المطلب

قال ابن إسحاق : ثم لم يلبث عبدُ الله بن عبد المطلب أن هلكَ وأم رسول الله ﷺ حاملٌ به . هذا قول ابن إسحاق . وغيره يقول : إن رسول الله ﷺ كان في المهد حين توفي أبوه ، رويناه عن الدولابي[4] . وذكر ابنُ أبي خيثمة : أنه كان ابنَ شهرين . وقيل : ابنَ ثمانية وعشرين شهراً – وقبره في المدينة في دار من دور بني عدي بن النجار كان خرج إلى المدينة يمتار تمراً – وقيل : بل خرج به إلى أخواله زائراً وهو ابن سبعة أشهر[5] . وفي خبر سيف بن ذي يزن : مات أبوه وأمه ، فكفله جده وعمه . وروى ابن وهب ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، قال : بعث عبد المطلب ابنه عبد الله يمتار له تمراً من يثرب فمات بها وهو شاب عند أخواله ، ولم يكن له ولد غير رسول الله ﷺ .

---

(١) « ثقلة » : ثقلاً وفتوراً ، وفي شرح المواهب للزرقاني ١٠٦/١ « ولا وجدت له ثِقَلاً » .

(٢) الطبقات الكبرى ، لابن سعد ٩٨/١ وفي سنده الواقدي ضعيف ، وعلي بن زيد ضعيف أيضاً . نور النبراس لوحة ٤٥/١ .

(٣) الطبقات الكبرى ، لابن سعد ٩٨/١ وهو خبر مرسل ضعيف .

(٤) الدُّولابي : الحافظ محمد بن أحمد بن حماد الأنصاري الرازي ، سمع محمد بن بشَّار وهارون بن سعيد وطبقتهما ، وروى عن ابن أبي حاتم وابن عديّ وابن حبان وغيرهم ، قال الدارقطني : تكلموا فيه ، وقال ابن عدي : ابن حماد متهم ، وقال ابنُ يونس : ضعيف . لسان الميزان ٤١/٥ وشذرات الذهب ٢٦٠/٢ .

(٥) في « شرح المواهب » ١٠٩/١ : والراجح المشهور كما قال ابن كثير ، ورجحه الواقدي وابن سعد والبلاذري والذهبي هو الأول – يعني أنه مات وهو حمل – والحجة له ما في « المستدرك » ٦٠٥/٢ عن قيس بن مخرمة : توفي أبو النبي ﷺ وأمُّه حُبلى به . قال الحاكم : على شرط مسلم ، وأقره الذهبي .

والذي رجَّحه الواقدي ــ وقال : هو أثبت الأقاويل عندنا في موت عبد الله وسببه[1] ــ أنه كان خرج إلى غزة في عير من عِيرات قريش يحملون تجارات ، ففرغوا من تجاراتهم وانصرفوا فمروا بالمدينة وعبدُ الله بن عبد المطلب يومئذ مريض ، فقال : أنا أتخلف عند أخوالي بني عدي بن النجار ، فأقام عندهم مريضاً شهراً ، ومضى أصحابه فقدموا مكة فسألهم عبدُ المطلب عن عبد الله ، فقالوا : خلّفناه عند أخواله بني عدي بن النجار وهو مريض ، فبعث إليه عبد المطلب أكبرَ ولده الحارث فوجده قد توفي ودُفن في دار التابعة[2] . قيل : كان بينه وبين ابنه عليه الصلاة والسلام ثمانية وعشرون عاماً . وقد تقدم في تزويج عبد الله آمنة ما حُكي عن السلف في ذلك .

ذكر مولد رسول الله ﷺ

وولد سيدنا ونبينا محمد رسول الله ﷺ يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول عام الفيل . قيل : بعد الفيل بخمسين يوماً . وقال الزبير : حملت به أمه ﷺ في أيام التشريق في شعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى . ووُلد ﷺ في الدار التي تُدعى لمحمد بن يوسف أخي الحجاج : يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان . وقيل : بل يوم الاثنين في ربيع الأول لليلتين خلتا منه . قال أبو عمر : وقد قيل : لثمان خلون منه . وقيل : إنه أول اثنين من ربيع الأول . وقيل : لاثنتي عشرة ليلة خلت منه عام الفيل . وقيل : إنه ولد في شعب بني هاشم . ورُوي عن ابن عباس قال : وُلد رسول الله ﷺ يوم الفيل . أخبرناه أبو المعالي أحمد[3] بن إسحاق فيما قرأت عليه ، قلت : قال أخبركم الشيخان أبو الفرج الفتح[4] بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد السلام ، وأبو

---

(١) في الأصل والمطبوع « وسنّه » وأثبتنا ما في « ب » و « ج » .

(٢) الطبقات الكبرى ٩٩/١ ، والتابعة : اسم رجل من بني عدي بن النجار .

(٣) أحمد بن إسحاق : هو الأَبَرْقوهي المُسْنِد المعروف ، قال الذهبي في معجم شيوخه : كان رجلاً خيراً متواضعاً ، حدَّث عن أحمد بن صِرْما وغيره ، توفي سنة ٧٠١ هـ . العبر ٥/٤ .

(٤) الفتح بن عبد الله : بن محمد بن علي بن هبة الله ، أبو الفرج البغدادي ابن عبد السلام ، مُسْنِدُ العراق ، حدث عنه الشهاب الأَبرقُوهيّ ، قال المنذري : كان شيخاً حسناً ، كاتباً أديباً ، وقال ابن الحاجب :

العباس أحمد بن أبي الحسين بن أبي الفتح بن[1] صِرْما « ح » قال : وقرأت على الإمام أبي إسحاق إبراهيم[2] بن علي بن أحمد الحنبلي الزاهد بسفح قاسيون ، قال : قلت له أخبركم أبو البركات داود بن[3] أحمد بن محمد البغدادي ، قالوا : أخبرنا أبو الفضل محمد بن[4] عمر بن يوسف الأرْمَوي سماعاً عليه ، قال أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد[5] بن النقور ، قال أخبرنا أبو الحسين علي بن عمر[6] السكري ، قال : أخبرنا أحمد بن الحسن[7] ابن عبد الجبار ، حدثنا يحيى بن معين ، حدثنا حجّاج بن محمد ، حدثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي[8] إسحاق ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس قال : وُلد رسول الله ﷺ يوم الفيل . وعن قيس بن مخرمة قال : وُلدت أنا ورسول الله ﷺ يوم الفيل فنحنُ

= كان ثقة صحيح السماع . توفي سنة ٦٢٤ . سير أعلام النبلاء ٢٢/٢٧٢ .

(١) ابن صِرْما : أبو العباس ، أحمد بن يوسف بن الشيخ محمد بن أحمد بن صِرمَا الأَزَجيُّ المُشتريُّ ، سمع من ابن ناصر ، توفي سنة ٦٢١ هـ . سير أعلام النبلاء ٢٢/١٩١ .

(٢) إبراهيم بن علي : بن أحمد الحنبلي ، الزاهد ، الشيخ المجمع على غزارة علمه وتعبده وكثرة تلاوته ، وهو من أعيان الحنابلة ، سمع الكثير بدمشق ، وتوفي فيها سنة ٦٩٢ هـ . نور النبراس لوحة ١/٥٠ ، والعبر ٣/٣٧٨ .

(٣) داود بن أحمد : بن محمد بن منصور بن ثابت بن ملاعب الأزجي ، أبو البركات ، وكيل القضاة ، روى عن الأرموي وابن ناصر وطائفة — توفي سنة ٦١٦ هـ العبر ٣/١٦٩ .

(٤) محمد بن عمر : بن يوسف ، أبو الفضل ، الفقيه الشافعي ، تفقه على الشيخ أبي إسحاق ، وانتهى إليه علوُّ الإسناد بالعراق . توفي سنة ٥٤٧ هـ . العبر ٣/٣ .

(٥) أحمد بن محمد : بن النقور ، البغدادي البزار ، المحدِّث الصدوق ، روى عن علي الحربي وأبي القاسم بن حَبَّابة وطائفة ، توفي سنة ٤٧٠ هـ . شذرات الذهب ٣/١٣٤ .

(٦) علي بن عمر : السكري الحربي ، روى عن أحمد بن الحسن بن عبد الجبار ، وغيره . قال العتيقي : كان ثقة مأموناً ، توفي سنة ٣٨٦ هـ . لسان الميزان ٤/٢٤٦ .

(٧) أحمد بن الحسن بن عبد الجبار : أبو عبد الله الصوفي ، روى عن يحيى بن معين وطبقته ، وثقه الدارقطني والخطيب البغدادي ، توفي سنة ٣٠٦ هـ . لسان الميزان ١/١٥١هـ .

(٨) أبو إسحاق : هو السبيعي ، عمرو بن عبد الله ، ثقة ، أحد الأعلام ، توفي سنة ١٢٩ هـ . تقريب التهذيب ص ٤٢٣ .

وسعيد بن جبير تابعي ثقة ، وهذا الأثر عن ابن عباس صحيح الإسناد .

لِدَان[1] . وقيل : بعد الفيل بشهر ، وقيل : بأربعين يوماً ، وقيل بخمسين يوماً . وذكر أبو بكر محمد[2] بن موسى الخُوارزمي قال : كان قدوم الفيل مكة لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم . وقد قال ذلك غير الخوارزمي وزاد : يوم الأحد . قال : وكان أول المحرم تلك السنة يوم الجمعة . قال الخوارزمي : وولد رسول الله ﷺ بعد ذلك بخمسين يوماً يوم الاثنين لثمان خلت من ربيع الأول ، وذلك يوم عشرين من نيسان . قال : وبُعث نبينا يوم الاثنين لثمان خلت من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام الفيل ، فكان من مولده إلى أن بعثه الله أربعون سنة ويوم ، ومن مبعثه إلى أول المحرم من السنة التي هاجر فيها اثنتا عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرون يوماً ، وذلك ثلاث وخمسون سنة تامة من عام الفيل .

وذكر ابن[3] السكن : من حديث عثمان بن أبي العاص ، عن أمه فاطمة بنت عبد الله أنها شهدت ولادة النبي ﷺ ليلاً . فما شيءٌ أنظر إليه من البيت إلا نور ، وإني لأنظر إلى النجوم تدنو حتى إني لأقول لتقعن علي[4] . ويقال : وضعت عليه جفنة فانفلقت عنه فلقتين فكان ذلك من مبادىء أمارات النبوة في نفسه . وذكر ابن أبي خيثمة[5] عن أبي صالح[6] السمان قال : قال كعب : إنا لنجد في كتاب الله : محمد عليه الصلاة والسلام

---

(١) رواه ابن إسحاق في السيرة ١٥٩/١ ، وفي سنده ضعف ، وأثر ابن عباس قبله يشهد له . « لِدَان » : يقال فلان لِدَةُ فلان ؛ إذا وُلد معه في وقت واحد . والصَّوَابُ فيه لِدَتان .

(٢) محمد بن موسى : الخُوارزمي ، رياضي فلكي مؤرخ ، كان قيِّماً على خزانة المأمون ، ترجم كثيراً من الكتب اليونانية ، توفي بعد سنة ٢٣٢ هـ وكنيته في الأعلام ١٨٣/٦ أبو عبد الله . أما أبو بكر الخوارزمي ، فهو محمد بن العباس ، كان كاتباً شاعراً ثقة في اللغة ، توفي سنة ٣٨٣ هـ كما في الأعلام ١٨٣/٦ .

(٣) ابن السكن : الحافظ الحجة ، أبو علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن البغدادي ، سمع أبا القاسم البغوي ، وروى عنه ابن مندة وغيره ، توفي سنة ٣٥٣ هـ . شذرات الذهب ١٢/٣ .

(٤) انظر كلام فاطمة بنت عبد الله أم عثمان بن أبي العاص في « تاريخ الطبري ١٥٧/٢ ، والاستيعاب ٣٨٥/٤ » . وسنده ضعيف جداً .

(٥) ابن أبي خيثمة : أحمد بن زهير بن حرب ، الحافظ الحجة ، صاحب التاريخ الكبير ، قال الدارقطني : ثقة مأمون ، وقال الخطيب : ثقة عالم متقن حافظ ، توفي سنة ٢٧٩ هـ . تذكرة الحفاظ ص ٥٩٦ .

(٦) أبو صالح السمان : هو ذكوان بن عبد الله السمان الزيات ، الحافظ الحجة ، مولى أم المؤمنين جويرية ، وهو من كبار العلماء بالمدينة ، وثقه الإمام أحمد . توفي سنة ١٠١ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ٣٦/٥ .

مولده بمكة . وعن عبد الملك[1] بن عمير قال : قال كعب : إني أجد في التوراة : عبدي أحمد المختار مولده بمكة . وحكى أبو الربيع[2] بن سالم أن بقي بن[3] مخلد ذكر في « تفسيره » : أن إبليس لعنه الله رنَّ[4] أربع رنات : رنة حين لُعن ، ورنة حين أُهبط ، ورنة حين ولد رسول الله ﷺ ، ورنة حين نزلت فاتحة الكتاب .

أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن محمد الدمشقي بقراءتي عليه قلت له : أخبركم الشيخان أبو عبد الله[5] محمد بن نصر بن عبد الرحمن بن محمد بن محفوظ القرشي ، والأمير سيف الدولة أبو عبد الله محمد بن غسان[6] بن غافل بن نِجاد الأنصاري قراءةً عليهما وأنتَ حاضر في الرابعة ، قالا : أخبرنا الفقيه أبو القاسم علي بن[7] الحسن الحافظ قراءة عليه ونحن نسمع ، قال : أخبرنا المشائخ أبو الحسن علي بن[8] المسلَّم بن محمد بن الفتح بن

---

(١) عبد الملك بن عُمير : القَرَسي ، أبو عمرو اللخمي الكوفي ، روى عن جابر بن سمرة وعبد الله بن الزبير وغيرهما ، وروى عنه الأعمش والثوري ، وغيرهما . قال العجلي : صالح الحديث ، توفي سنة ١٣٦ هـ . تهذيب التهذيب ٤١١/٦ .

(٢) أبو الربيع بن سالم : الإمام الحافظ البارع ، محدّث الأندلس ، سليمان بن مُوسى بن سالم بن حسان الحميري الكِلاعي البستي ، توفي شهيداً بيد العدو سنة ٦٣٤ هـ . سير أعلام النبلاء ١٣٤/٢٣ .

(٣) بقي بن مَخْلَد : الحافظ ، شيخ الإسلام ، أبو عبد الرحمن ، صاحب المُسْند الكبير والتفسير الجليل ، وكان ثبتاً حجة ، عديم النظير في زمانه ، ومناقبه جمة ، توفي سنة ٢٧٦ هـ . سير أعلام النبلاء ٢٨٦/٣ .

(٤) رنَّ : صوَّتَ ، يُقال : رنَّت المرأة ترن رنيناً وأرنَّتْ أيضاً : صاحت . والخبر في « الحلية » لأبي نُعيم عن مجاهد بن جبير كما في نور النبراس لوحة ٥٤/١ . وفي الروض الأنف ١٠٥/١ .

(٥) محمد بن نصر : شرف الدين ، الدمشقي ، أديب شاعر ، صالح زاهد ، روى عن ابن عساكر ، توفي سنة ٦٣٥ هـ . العبر ١٤٥/٥ .

(٦) محمد بن غسان : بن غافل بن نِجَاد بن غسان بن ثامر الأنصاريّ الخزرجيّ الحِمْصيّ . حدَّث عنه أبو الفضل بن عساكر ، تفرَّد بأجزاء ، توفي سنة ٦٣٢ هـ . سير أعلام النبلاء ٣٨١/٢٢ .

(٧) علي بن الحسن : بن هبة الله ، الحافظ ابن عساكر ، صاحب تاريخ دمشق ، محدِّث الشام ، ثقة الدِّين ، عُني بالحديث ورجاله ، وساد أهل زمانه في ذلك ، توفي سنة ٥٧١ هـ . العبر ٢١٢/٤ .

(٨) علي بن المسلم بن محمد بن علي بن الفتح السُّلمي الدمشقي ، : أبو الحسن ، مفتي الشام ، جمال الإسلام ، قال ابن عساكر : سمعنا منه الكثير ، وكان ثقة ثبتاً ، عالماً بالمذهب والفرائض . توفي سنة ٥٣٣ هـ سير أعلام النبلاء ٣١/٢٠ .

علي الفقيه ، وأبو الفرج غَيث بن[1] علي بن عبد السلام بن محمد بن جعفر بن الأرمنازي الصُّوري الخطيب ، وأبو محمد عبد الكريم[2] بن حمزة بن الخَضِر بن العباس الوكيل بدمشق ، قالوا : أخبرنا أبو الحسن أحمد بن عبد[3] الواحد بن محمد بن أحمد بن عثمان ابن أبي الحديد السُّلَمي ، أخبرنا جدي أبو بكر محمد[4] بن أحمد أخبرنا أبو بكر محمد ابن[5] جعفر بن محمد بن سهل الخرائطي ، حدثنا علي[6] بن حرب ، حدثنا أبو أيوب يعلى ابن عمران[7] من آل جرير بن عبد الله البَجَليّ ، قال : حَدَّثني مخزوم[8] بن هانىء المخزومي[9] عن أبيه — وأتت له خمسون ومائة سنة — قال : لما كان ليلة وُلد رسول الله

(١) غيث بن علي : بن عبد السلام ، المحدث المفيد ، أبو الفرج الأَرْمَنَازي ، ثم الصُّوري ، خطيبُ صور ومُحدِّثُها . كان ثقة حسن الخط ، توفي بدمشق سنة ٥٠٩ هـ . سير أعلام النبلاء ٣٨٩/٩ .

(٢) عبد الكريم بن حمزة : بن الخضر بن العباس ، أبو محمد السلمي الدمشقي ، الحداد ، وكيل المقرئين ، قال الحافظ ابن عساكر : كان شيخاً ثقة ، مستوراً سهلاً ، توفي سنة ٥٢٦ هـ . سير أعلام النبلاء ٦٠٠/١٩ .

(٣) أحمد بن عبد الواحد : ابن المحدِّث أبي بكر بن محمد بن أحمد بن عثمان بن أبي الحديد السُّلمي الدمشقي ، حدث عنه جمال الإسلام علي بن المسلم ، كان ثقة نبيلاً . توفي سنة ٤٦٩ هـ . سير أعلام النبلاء ٤١٨/١٨ .

(٤) محمد بن أحمد : بن عثمان بن الوليد بن الحَكَم بن أبي الحَديد السُّلَمي الدمشقي ، سمع أبا بكر محمد ابن جعفر الخرائطي وغيره ، وحدَّث عنه حفيده أحمد وعبيد الله ابنا عبد الواحد وغيرهما ، كان ثقة مأموناً ، متفرداً بعلوِّ الرواية . وُلد سنة ٣٠٩ هـ . سير أعلام النبلاء ١٨٤/١٧ .

(٥) محمد بن جعفر : أبو بكر الخرائطي ، الإمام الحافظ الصدوق المصنِّف ، صاحب كتاب « مكارم الأخلاق » ، سمع عليَّ بن حرب وغيره ، وحدث عنه محمد بن أحمد بن عثمان بن أبي الحديد وغيره . توفي سنة ٣٢٧ هـ . سير أعلام النبلاء ٢٦٧/١٥ .

(٦) علي بن حرب : محمد بن علي بن حيَّان بن مازن بن الغضوبة ، الإمام المحدِّث الثقة الأديب ، مسند وقته ، حدث عنه النسائيُّ وقال : صالح . توفي سنة ٢٦٥ هـ بالموصل . سير أعلام النبلاء ٢٥١/١٥ .

(٧) يعلى بن عمران : لم نعثر له على ترجمة .

(٨) مخزوم بن هانىء : قال سبط ابن العجمي : لا أعرف له ترجمة ، والله أعلم . نور النبراس لوحة ٥٥/١ .

(٩) هانىء المخزومي : أبو مخزوم ، ذكره في الصحابة أبو الوليد الدباغ مستدركاً على ابن عبد البر ، وقال الحافظ ابن حجر : وليس في الحديث الذي أخرجه ابن السكن من طريق يعلى بن عمران البجلي ما يدل على صحبته — الإصابة ٥٩٧/٣ . وقد صحح الذهبي في تجريده أنه تابعي ، نور النبراس لوحة ٥٥/١ .

ﷺ ارتجس[1] إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة ، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ، وغاضتْ بُحيرة ساوة ، ورأى المُوبَذان[2] إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها ، فلما أصبح كسرى أفزعه ذلك فصبر عليه تشجعاً ، ثم رأى أن لا يدخر[3] ذلك عن مرازبته ، فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريره ، ثم بعث إليهم فلما اجتمعوا عنده قال : أتدرون فيما بعثت إليكم ؟ قالوا : لا إلا أن يخبرنا الملك . فبينما هم كذلك إذ ورد عليهم كتاب بخمود النيران ، فازداد غماً إلى غمّه ، ثم أخبرهم ما رأى وما هاله . فقال الموبذان : وأنا ــ أصلح الله الملك ــ قد رأيت في هذه الليلة رؤيا ، ثم قصَّ عليه رؤياه في الإبل . فقال : أي شيء يكون هذا يا مُوبذان ؟ قال : حَدَثٌ يكون في ناحية العرب ــ وكان أعلمَهم في أنفسهم ــ فكتب عند ذلك : من كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن المنذر أما بعد : فوجِّه إليَّ برجل عالم بما أُريد أن أسأله عنه ، فوجّه إليه بعبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بُقَيْلَة الغساني ، فلما ورد عليه قال له : ألك علم بما أريد أن أسألك عنه ؟ قال : ليخبرني الملك أو ليسألني عما أحبَّ فإن كان عندي منه علم وإلا أخبرته بمن يعلمه . فأخبره بالذي وجَّه إليه فيه . قال : علم ذلك عند خالٍ لي يسكن مشارف الشام يُقال له سطيح . قال : فأته فاسأله عما سألتك عنه ثم ائتني بتفسيره . فخرج عبدُ المسيح حتى انتهى إلى سطيح ، وقد أشفى على الضريح ، فسلَّم عليه وكلَّمه فلم يرد عليه سطيح جواباً ، ثم أنشأ يقول :

أَصَمُّ أم يسمعُ غِطْرِيفُ اليَمن[4] ؟ .

في أبيات ذكرها . قال : فلما سمع سطيح شعرَه رفع رأسه يقول : عبد المسيح على جمل مشيح إلى سطيح وقد أوفى على الضريح ، بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الإيوان

---

(١) ارْتَجَسَ : اضطرب وتحرك حركة سُمِع لها صوت .

(٢) الموبذان : الرئيس الديني للمجوس ، الفقيه بدياناتهم .

(٣) في الأصل و « ب » و « ج » : ثم رأى أن لا يدخر ــ وقال الفقيه : أنه لا يدخر ــ وما أثبتناه من « د » والمقصود بـ « الفقيه » الحافظ ابن عساكر .

(٤) هو صدر بيت ورد ضمن مقطوعة أوردها الطبري في تاريخه ١٦٧/٢ ، ظاهرة النحل والصنعة ، مطلعها :

أَصَمُّ أم يسمعُ غِطْرِيفُ اليمن ... يا فاصلَ الخُطَّةِ أعْيَتْ مَنْ ومَنْ

وخمود النيران ورؤيا الموبذان ، رأى إبلاً صعاباً تقود خيلاً عراباً قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها ، يا عبد المسيح ! إذا كثرت التلاوة ، وظهر صاحب الهراوة ، وفاض وادي السماوة ، وغاضت بحيرة ساوة ، وخمدت نار فارس ، فليس الشام لسطيح شاماً ، يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات ، وكل ما هو آت آت ، ثم قضى سطيح مكانه ، فنهض عبدُ المسيح إلى راحلته وهو يقول :

شَمِّــر فــإنك مــاضي الهمِّ شِمِّير ... لا يُفزعــنَّكَ تفريــقٌ وتغييــرُ
إن يُمسِ ملكُ بني ساسانَ أفرطهُم ... فــإن ذَا الدَّهــر أطــوارٌ دُهاريــرُ
فــربما ربما أضحَــوا بمنزلــةٍ ... تهابُ صولَهــم الأسدُ المهاصيــرُ
منهم أخــو الصَّرحِ بهْـرَامٌ وإخوتُـه ... والهرمُــزان وسابُــورٌ وسابــورُ
والنَّاسُ أولادُ عَلاَّتٍ فمــن عَلِمُــوا ... أن قــد أقــلَّ فمحقــورٌ ومهجــورُ
وهــم بنــو الأُمِّ إمَّا إن رأوا نَشَبــاً ... فــذاكَ بالغيــب محفــوظٌ ومــنصورُ
والخيــرُ والشَّر مَقْرونَــانِ في قَــرَن ... فالخيــرُ مُتَّبَــعٌ والشَّرُّ محذورُ

فلما قدم عبدُ المسيح على كسرى أخبره بما قال له سطيح فقال كسرى إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكاً كانت أمور وأمور[1] . فملك منهم عشرة في أربع سنين ، وملك الباقون إلى خلافة عثمان رضي الله عنه .

قال ابن إسحاق : فلما وضعته أمه أرسلت إلى جده عبد المطلب : أنه قد ولد لك غلام فانظر إليه ، فأتاه ونظر إليه ، وحدثته بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه وما أُمرت أن تسميه ، فيزعمون أن عبد المطلب أخذه فدخل به الكعبة فقام يدعو الله ويتشكر له ما أعطاه ، ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها .

---

(١) القصة في سيرة ابن هشام ١/١١ — ١٤ ، ودلائل النبوة للبيهقي ١/١٢٦ — ١٢٩ ، ودلائل النبوة لأبي نُعيم ١/١٧٣ — ١٧٧ ، وتاريخ الطبري ٢/١٣١ — ١٣٢ ، وشرح المواهب اللدنية ١/١٢١ ، والبداية والنهاية ٢/٢٦٨ — ٢٦٩ ، والخصائص الكبرى للسيوطي ١/٥١ كلهم من حديث مخزوم ابن هانىء ، عن أبيه .
وهو خبر مرسل ليس بصحيح ، ولا يجوز قوله ولا إنشاده إلا مسنداً على جهة النقد والتمحيص .

وولد ﷺ معذوراً مسروراً ، أي مختوناً مقطوع السُّرة ، ووقع إلى الأرض مقبوضة أصابع يده مشيراً بالسبَّابة كالمسبح بها ، حكاه السهيلي[1] .

أخبرنا أبو حفص عمر بن عبد المنعم الدمشقي بقراءتي عليه بعربيل – قرية بغوطة دمشق – أخبركم أبو القاسم بن الحرستاني قراءة عليه وأنت حاضر في الرابعة فأقرَّ به ، أخبرنا جمال الإسلام أبو الحسن علي بن مسلّم السلمي أخبرنا أبو نصر الحسين بن محمد ابن طَلاّب[2] ، حدثنا ابن جُميع[3] ، حدَّثنا عمر بن موسى بالمِصّيصة[4] ، حدثنا جعفرُ ابن عبد الواحد[5] قال : قال لنا صفوان بن هُبَيرة[6] ومحمد بن البرساني[7] عن ابن جريج

---

(١) الروض الأنف ١/١٨١ .

(٢) كذا في جميع النسخ ، وذكر سبط ابن العجمي في « نور النبراس » أن المؤلف رحمه الله تعالى ضرب في نسخته بخطه على رجال إسناده إلى ابن جُميع ، وأثبت عبارة : وروينا عن ابن جُميع . علماً بأن هذا الإسناد قد أورده المؤلف في مواضع من كتابه ، وفي نهاية الكتاب عند ذكر أسانيده إلى الكتب التي روى منها .

(٣) ابن جُميع : بضم الجيم ، وهو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن يحيى بن جُمَيْع ، الغساني الصيداوي ، صاحب المعجم . سمع ببغداد من المحاملي وابن مخلد وغيرهما ، وحدث عنه ولده السَّكَنُ بن جُمَيْع وغيره . قال الصوريُّ : كان شيخاً صالحاً ثقة مأموناً . توفي سنة ٤٠٢ هـ . سير أعلام النبلاء ١٧/١٥٢ .

(٤) بالمَصِّيصَة : بكسر الميم وفتحها ، وتخفيف الصاد – وشدّها بعضهم – بلدة على ساحل البحر الأبيض ، قريبة من طرسوس .

(٥) جعفر بن عبد الواحد : الهاشمي القاضي ، قال الدارقطني : يضع الحديث ، وقال أبو زُرْعة : روى أحاديث لا أصلَ لها ، وقال ابن عديّ : يسرق الحديث ويأتي بالمناكير عن الثقات ، وذكر ابن عدي هذا الحديث ضمن أحاديث كلها بواطل ، توفي سنة ٢٥٨ هـ . لسان الميزان ٢/١١٨ .

(٦) صفوان بن هُبيرة : التَّيْمي العيشي ، أبو عبد الرحمن البصري ، روى عن أبيه وابن جريج وغيرهما ، قال أبو حاتم : شيخ روى له ابن ماجه حديثاً واحداً في الطب . قال العقيلي : لا يُتابع على حديثه ولا يُعرف إلا به . تهذيب التهذيب ٤/٤٣١ .

(٧) محمد بن بكر البُرْساني : أبو عبد الله البصري ، روى عن ابن جُريج ، وروى عنه أحمد وعلي بن المديني ، وابن معين وغيرهم ، وثقة ابن معين وأبو داود والعجلي وغيرهم ، توفي سنة ٢٠٣ هـ . تهذيب التهذيب ٩/٧٧ .

عن عطاء عن ابن عباس قال : وُلد النبي ﷺ مسروراً مختوناً[1] .

* * *

(١) إسناد الحديث ضعيف جداً ، وقال السيوطي في تخريج أحاديث الشفاء ص ٨ : أخرج ابن سعد والبيهقي في الدلائل بسند ضعيف عن ابن عباس عن أبيه قال : وُلد النبي ﷺ مختوناً مسروراً . وأخرجَ ابن جُميع في « معجمه » بسند واه عن ابن عباس و لم يذكر أباه .
وقد ذكر الحاكم في « المستدرك » ما لفظه : تواترت الأخبار أن رسول الله ﷺ وُلد مختوناً مسروراً . وتعقبه الحافظ الذهبي فقال : ما أعلم صحة ذلك ، فكيف صح متواتراً ! وقال ابن القيم في زاد المعاد ٨٢/١ : وقد وقع في هذه المسألة بين رجلين فاضلين ، صنف أحدهما مصنفاً في أنه وُلد مختوناً ، وأجلبَ فيه من الأحاديث التي لا خِطام لها ولا زِمام ، وهو كمال الدين بن طلحة ، فنقضه عليه كمال الدين بن العديم ، وبين فيه أنه ﷺ خُتن على عادة العرب ، وكان عُموم هذه السُّنة للعرب قاطبة مغنياً عن نقل معيّن فيها ، والله أعلم .

ذكر تسميته محمداً وأحمد ﷺ

روينا عن أبي جعفر محمد بن علي من طريق ابن سعد قال : أُمرتْ آمنةُ وهي حامل برسول الله ﷺ أن تسميه أحمد[1] . وروينا عن ابن إسحاق فيما سلفَ أنها أُتيت حين حملت به فقيل لها : إنك قد حملت بسيد هذه الأمة ، وفيه : ثم سمّيه محمداً[2] .

وروينا من طريق الترمذي ، حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومي ، حدثنا سفيان ، عن الزهري ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لي أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشرُ الناسَ على قدمي ، وأنا العاقب الذي ليس بعدي نبي »[3] وصححه ، وقال : في الباب عن حذيفة . وروى حديثَ جبير البخاري ومسلم والنسائي ، وسيأتي الكلام على بقية الأسماء إن شاء الله تعالى .

وذكر أبو الربيع بن سالم قال : ويُروى أن عبد المطلب إنما سماه محمداً لرؤيا رآها ، زعموا أنه رأى في منامه كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الأرض وطرف في المشرق وطرف في المغرب ، ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور ، وإذا أهل المشرق والمغرب يتعلقون بها ، فقصَّها فعُبِّرتْ له بمولود يكون من صُلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والأرض ؛ فلذلك سمَّاه محمداً مع ما حدثته به أمه .

وروينا عن أبي القاسم السُّهيلي[4] رحمه الله قال : لا يُعرف في العرب من تسمَّى بهذا

---

(١) الطبقات الكبرى ١/١٠٤ ، وهو خبر مرسل ، وفي سنده الواقدي ضعيف .

(٢) انظر الخبر ص ٧٨ .

(٣) رواه الترمذي في الأدب (باب ما جاء في أسماء النبي) رقم /٢٨٤٢/ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح . وهو عند البخاري في المناقب (باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ) رقم /٣٥٣٢/ ، ومسلم في الفضائل (باب في أسمائه ﷺ) رقم /٢٣٥٤/ والنسائي في السنن الكبرى .

(٤) الروض الأنف ١/١٠٥ .

الاسم قبله ﷺ إلا ثلاثة ، طمع آباؤهم حين سمعوا بذكر محمد ﷺ وبقرب زمانه وأنه يُبعث بالحجاز أن يكون ولداً لهم ، ذكرهم ابن فُورَك[1] في كتاب « الفصول » وهم : محمد بن سفيان بن مجاشع جد الفرزدق الشاعر ، والآخر محمد بن أُحيحة بن الجُلاَح ابن الحَريش بن جَحْجَبا بن كُلْفة بن عوف بن عمرو بن مالك بن الأوس ، والآخر محمد ابن حُمْران وهو من ربيعة ، ذكر معهم محمداً رابعاً أنسيته . وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك الأُول ، وكان عنده علم بالكتاب الأوّل ، فأخبرهم بمبعث النبي ﷺ وباسمه ، وكان كلُّ واحد منهم قد خَلَّفَ امرأته حاملاً ، فنذر كل واحد منهم إن وُلد له ولد ذكر أن يسميه محمداً ففعلوا ذلك .

وروينا عن القاضي أبي الفضل عياض رحمه الله في تسميته ﷺ محمداً وأحمد ، قال : ثم في هذين الاسمين من بدائع آياته وعجائب خصائصه أن الله جلَّ اسمه حمى أن يُسمَّى بهما أحدٌ قبل زمانه ، أما أحمد الذي أتى في الكتب وبشَّرت به الأنبياء ، فمنع الله تعالى بحكمته أن يسمى به أحد غيره ، ولا يُدعى به مدعوٌّ قبله ؛ حتى لا يدخل لَبْسٌ على ضعيف القلب أو شك ، وكذلك محمد أيضاً لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده ﷺ وميلاده : أن نبياً يُبعث اسمه محمد ، فسمَّى قومٌ قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو والله أعلم حيث يجعل رسالاته ، وهم : محمد بن أحيحة ابن الجُلاح الأوسي ، ومحمد بن مسلمة الأنصاري ، ومحمد بن براء البكري ، ومحمد بن سفيان بن مجاشع ، ومحمد بن حُمْران الجعفي ، ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع لهم . ويقال : إن أول من سُمِّي به محمدُ بن سفيان ، واليمن تقول : بل محمد بن اليحمد الأزدي . ثم حمى الله كلَّ من تسمّى به أن يدعي النبوة أو يدعيها أحدٌ له ، حتى تحققت التسميتان له ، ولم ينازع فيهما ، والله أعلم[2] .

* * *

---

(١) ابن فُورَك : هو محمد بن الحسن بن فُورَك ، أبو بكر الأصبهاني المتكلم ، صاحب التصانيف في الأصول والعلم ، توفي سنة ٤٠٦ هـ . شذرات الذهب ١٨١/٣ .

(٢) الشفاء ؛ للقاضي عياض ٣١٣/١ ــ ٣١٤ طبعة دار الكتاب العربي ١٤٠٤ هـ .

ذكر الخبر عن رضاعه ﷺ
وما يتصل بذلك من شق الصدر

روينا عن ابن سعد ، أخبرنا محمد بن عمر بن واقد الأسلمي قال : حدثني موسى ابن شيبة ، عن عميرة بنت عبد الله بن كعب بن مالك ، عن برّة بنت أبي تَجْرَاة قالت : أولُ من أرضع رسول الله ﷺ ثويبة بلبن ابن لها يقال له مسروح أياماً ، قبل أن تقدم حليمة ، وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب وبعده أبا سلمة بن عبد الأسد[1] .

أخبرنا أبو العباس الساوي بقراءة والدي عليه ، أخبرنا أبو روح المطهر بن أبي بكر البيهقي سماعاً عليه ، قال : أخبرنا أبو بكر الطوسي ، قال : أخبرنا أبو علي الخُشنامي أخبرنا أحمد بن الحسن النيسابوري ، أخبرنا محمد بن أحمد ، أخبرنا محمد بن يحيى ، حدثنا محمد ابن عبيد ، حدثنا الأعمش عن سعد بن عُبيدةَ ، عن أبي عبد الرحمن ، عن علي قال : قلت يا رسول الله : مالك لا تتوَّق[2] في قريش ولا تتزوج إليهم ؟ قال : « وعندك ؟ » قلت : نعم ابنة حمزة . قال : « تلك ابنة أخي من الرضاعة »[3] .

---

(١) الطبقات الكبرى ١/١٠٨ ، وفي إسناده موسى بن شيبة ، قال أحمد : أحاديثه مناكير ، وقال أبو حاتم : صالح الحديث . وعُميرة بنت عبد الله بن كعب بن مالك ؛ لم نجد لها ترجمة أو ذكراً إلا رواية هذا الخبر . وبرة : صحابية ، روت عن النبي ﷺ . انظر الإصابة ٤/٢٥٠ .
ويشهد له ما رواه البخاري في النكاح (باب : وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم) رقم /٥١٠١/ ، وقال عروة : وثويبةُ مولاةُ أبي لهب ، كان أبو لهب أعتقها ، فأرضعت النبي ﷺ ..

(٢) « تتوَّقُ » : أصلها تتتوَّق ، فعل مضارع من التوَق ، حذفت تاؤه الأصلية تخفيفاً ، والتوقُ : الشوق إلى الشيء والنزوع إليه . والمعنى : لم تتزوج من قريش غيرنا ، وتدعنا نحن بني هاشم .
قال ابن الأثير في « النهاية » ١/٢٠٠ ، ويُروى « تنوَّق » بالنون ، وهو من التنوُّق في الشيء إذا عمل على استحسان وإعجاب به . يقال تنوَّق وتأنق .

(٣) رواه مسلم في الرضاع (باب تحريم ابنة الأخ من الرضاعة) رقم /١٤٤٦/ ، والنسائي في النكاح (باب تحريم بنت الأخ من الرضاعة ٦/٩٩ ، كلاهما عن أبي معاوية ، عن الأعمش .. إلخ .

قرأت على أبي النور إسماعيل بن نور بن قمر الهيتي بسفح قاسيون[1] أخبرك أبو نصر موسى بن عبد القادر الجيلي قراءة عليه وأنت تسمع ، أخبرنا أبو القاسم سعيد بن أحمد ابن البناء قال : أخبرنا أبو نصر محمد بن محمد الزينبي ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن علي الورَّاق ، حدثنا أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث ، حدثنا أبو موسى عيسى بن حمَّاد زُغْبَةُ ، أخبرنا الليث ، عن هشام بن عروة ، عن عروة ، عن زينب بنت أبي سلمة ، عن أم حبيبة أنها قالت : دخل عليَّ رسول الله ﷺ فقلت : هل لك في أختي ابنة أبي سفيان وفيه قالت : فوالله لقد أنبئت أنك تخطب دُرّة بنت أبي سلمة . قال : « ابنة أبي سلمة ؟ »قالت : نعم . قال : « فوالله لو لم تكنْ ربيبتي في حِجْري ما حلَّت لي ، إنها لابنةُ أخي من الرضاعة ، أرضعتني وإياها ثويبةُ ، فلا تعرضْنَ علي بناتكنَّ ولا أخواتكن .. »الحديث[2] .

وذكر الزبير[3] أن حمزةَ أسنُّ من النبي ﷺ بأربع سنين ، وحكى أبو عمر نحوه ، وقال : وهذا لا يصح عندي ، لأن الحديث الثابت أن حمزة وعبد الله بن عبد الأسد أرضعتهما ثوية مع رسول الله ﷺ ، إلا أن تكون أرضعتهما في زمانين[4] . قلتُ : وأقرب من هذا ما روينا عن ابن إسحاق من طريق البكائي أنه كان أسنَّ من رسول الله ﷺ بسنتين ، والله أعلم .

واستُرضع له من بني سعد بن بكر امرأة يقال لها حليمة بنت أبي ذؤيب ، وكانت

---

(١) قاسيون : جبل يُطِلُّ على دمشق من جهة الشمال ، وبني في سفحه حي سكني حديث ، يُعرف بالمهاجرين ، ويعرف قديماً بجبل الصالحية .

(٢) رواه البخاري في النكاح (باب : وربائبكم اللاتي في حجوركم) رقم /٥١٠٦/ورقم /٥١٠٧/ ، ومسلم في الرضاع (باب : تحريم الربيبة) رقم /١٤٤٩/ ، وأبو داود في النكاح (باب : يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب) رقم /٢٠٥٦/ ، وابن ماجه في النكاح (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب) رقم /١٩٣٩/ .

(٣) هو الزبير بن بكار المعروف بقاضي مكة المتوفى سنة ٢٥٦ هـ ، كان علامة حافظاً نسَّابة ، قال أبو بكر الخطيب : كان الزبير ثقة ثبتاً . من كتبه « جمهرة نسب قريش » . انظر سير أعلام النبلاء ٣١١/١٢ .

(٤) الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، لابن عبد البر ٢٧١/١ على هامش الإصابة .

تُحدِّث أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها تُرضعه ، في نسوة من بني سعد بن بكر . قالت : وفي سنة شهباء[١] لم تبق لنا شيئاً . قالت : فخرجتُ على أتانٍ لي قمراء[٢] ، معنا شارفٌ لنا والله ما تَبِضُّ[٣] بقطرة لبن ، وما ننام ليلتنا أجمع مع صبيِّنا الذي معنا من بكائه من الجوع ، ما في ثديَيّ ما يغنيه ، وما في شارفنا ما يغذيه ، ولكنا نرجو الغيث والفرج ، فخرجت على أتاني فلقد أَدَمَّتْ[٤] بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعجفاً ، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء ، فما منا إمرأة إلا وقد عُرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه إذا قيل لها إنه يتيم ، وذلك أنا إنما كنا نرجو المعروف من أبي الصبي ، فكنا نقول : يتيم ! ما عسى أن تصنع أمه وجده ؟ فكنا نكرهه لذلك ، فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعاً ، غيري . فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي : والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعاً ، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه . قال : لا عليك أن تفعلي ، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة . قالت : فذهبت إليه فأخذته ، وما حملني على أخذه إلا أني لم أجد غيره ، فلما أخذته رجعت به إلى رحلي ، فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن ، وشرب حتى رَوي ، وشرب معه أخوه حتى روي ، ثم ناما وما كنا ننام معه قبل ذلك ، فقام زوجي إلى شارفنا تلك فإذا إنها لحافل[٥] ، فحلب منها ما شرب وشربت حتى انتهينا رِيّاً وشِبعاً ، فبتنا بخير ليلة. يقول صاحبي حين أصبحنا : تَعَلَّمي[٦] والله يا حليمة لقد أخذتِ نَسَمةً[٧] مباركة . قلت : والله إني لأرجو ذلك ، ثم خرجت وركبت أتاني وحملته عليها معي ، فوالله لقطعتُ بالركب ما يقدر عليَّ شيءٌ من حمرهم ، حتى إن صواحبي ليقلن لي يا بنت أبي ذؤيب ويحك

---

(١) « سنة شهباء » : مجدبة ، والشهباء : هي الأرض البيضاء التي لا خُضرة فيها .
(٢) « قمراء » : بيضاء فيها كدرة ، ويُقال للحمار إذا كان كذلك : أقمر .
(٣) « ما تَبِضُّ بقطرة » : ما ترشح ولا تسيل بشيء من اللبن ، والشَّارف : المُسِنّة من الإبل .
(٤) انظر شرح المؤلف لها في آخر هذا الخبر ص ٩٥ .
(٥) « لحافل » : ممتلىء ضِرْعُها باللبن .
(٦) « تَعلَّمي » : بفتح التاء وتشديد اللام المفتوحة ، بمعنى : اعلمي .
(٧) « نسمة » : بفتح النون والسين ، النَّفس .

اربعي[1] علينا ، أليست هذه أتانك التي كنتِ خرجت عليها ؟ فأقول لهن : بلى والله إنها هي . فيقلن : والله إن لها لشأناً . قالت : ثم قدمنا منازلنا من بني سعد ولا أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها ، فكانت غنمي تروح عليَّ حين قدمنا به معنا شباعاً لُبَّناً ، فنحلب ونشرب وما يحلب إنسان قطرة لبن ولا يجدها في ضَرع ، حتى كان الحاضر[2] من قومنا يقولون لرعيانهم : ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب ، فتروح أغنامهم جياعاً ما تبض بقطرة لبن ، وتروح غنمي شباعاً لُبَّناً ، فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته ، وكان يَشِبُّ شباباً لا يشبُّه الغلمان ، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جَفْراً[3]. فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا لما نرى من بركته ، فكلمنا أمه ، وقلتُ لها : لو تركت بني عندي حتى يغلظ فإني أخشى عليه وباء مكة ، فلم نزل بها حتى ردته معنا فرجعنا به ، فوالله إنه بعد مقدمنا به بأشهر مع أخيه لفي بَهم لنا خلف بيوتنا ، إذ أتانا أخوه يشتد فقال لي ولأبيه : ذاك أخي القرشي عبد الله قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض ، فأضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه . قالت : فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائماً منتقعاً وجهه ، قال : فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا : ما لك يا بني ؟ قال : جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني فشقا بطني فالتمسا فيه شيئاً لا أدري ما هو . قالت : فرجعنا به إلى خبائنا ، وقال لي أبوه : يا حليمة ! لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أُصيب فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به . قالت : فاحتملناه فقدمنا به على أمه . فقالت : ما أقدمك يا ظئرُ[4] ؟ ولقد كنتِ حريصة عليه وعلى مكثه عندك . قلت : قد بلَّغ الله بابني ، وقضيت الذي عليَّ وتخوفت الأحداث عليه فأديته عليك كما تحبين . قالت : ما هذا شأنك فاصدُقيني خبرك . قالت : فلم تدعْني حتى أخبرتها . قالت : أفتخوفت عليه الشيطان ؟ قلت : نعم . قالت : كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وإن لبُنيَّ لشأناً أفلا أخبرك خبره ؟ قلت : بلى . قالت : رأيت حين حملت به أنه خرج

---

(١) « اربعي » : ارفقي وانتظري علينا .

(٢) « الحاضر من قومنا » : المقيمون في الحضر ، وضدها أهل البادية .

(٣) « جَفْراً » : مستقلاً بأموره ، بنومه وأكله وشربه . والأنثى : جفرة .

(٤) « ياظِئر » : الظِّئر : المرأة التي تُرضعُ غير ولدها .

مني نور أضاء له قصورُ بصرى من أرض الشام ، ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف منه ولا أيسر منه ، ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض رافع رأسه إلى السماء ، دعيه عنك وانطلقي راشدة[1] .

قال السهيلي : وذكر غيرُ ابن إسحاق في حديث الرضاع أن رسول الله ﷺ كان لا يُقبل إلا على ثديها الواحد ، وتَعرض عليه الآخر فيأباه ، كأنه قد أُشعر أن معه شريكاً في لبانها ، وكان مفطوراً على العدل مجبولاً على جميل المشاركة والفضل ﷺ[2] .

ويُروى أن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا له : يا رسول الله ؛ أخبرنا عن نفسك . قال : « نعم ، أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بن مريم عليهما الصلاة السلام ، ورأت أمي حين حملت بي أنه قد خرج منها نور أضاء له قصور الشام ، واستُرضعت في بني سعد بن بكر ، فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بَهماً لنا أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجاً ، فأخذاني فشقا بطني ، ثم استخرجا قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ، ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه ، ثم قال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزنني بعشرة فوزنتهم ، ثم قال : زنه بمائة من أمته فوزنني بهم فوزنتهم ، ثم قال زنه بألف من أمته فوزنني بهم فوزنتهم . فقال : دعه عنك فلو وزنته بأمته لوزنها[3] .

وفي رواية : « فاستخرجا منه مَغْمَزَ الشيطان وعَلَق الدم » . وفيها : « وجعلَ الخاتم بين كتفي كما هو الآن »[3] .

---

(١) روى قصة الرضاع وما وقع فيها من بشائر النبوة : ابن إسحاق ، وابن راهَوْيه ، وأبو يَعلى ، والطبراني ، وابن حِبَّان : عن عبد الله بن جعفر رضي الله تعالى عنهما قال : حدثتني حليمة . والبيهقي وابن عساكر . عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وفي سنده من تُكُلِّم فيه ، لكن لأكثره شاهد قويٌّ . والبيهقي : عن الزهري ، وأبو يعلى وأبو نُعيم : عن شداد بن أوس مرفوعاً مختصراً . والإمام أحمد والدارميّ : عن عتبة ابن عبد الله مرفوعاً مختصراً . وأبو نُعيم : عن بُريدة . وابن سعد وأبو نُعيم وابن عساكر : عن يحيى بن يَزيد السعدي . وابن سعد : عن زيد بن أسلم . رضي الله تعالى عنهم . السيرة الشامية ١/٤٧٠ .

(٢) الروض الأنف ١/١٨٧ .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٦٠٠ ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي وهو في السيرة

شرح الغريب :

قوله في هذا الخبر : « وما في شارفنا ما يغذيه » : قيل بالدال المهملة من الغداء وقيل بالمعجمة . وقال أبو القاسم : وهو أتم من الاقتصار على ذكر الغداء دون العشاء . وعند بعض الناس : يُغْذبه : ومعناه ما يقنعه حتى يرفع رأسه وينقطع عن الرضاع ، يقال منه : عذبته وأعذبته إذا قطعته عن الشرب ونحوه ، والعَذُوب ، وجمعه عُذوب بالضم ، ولا يُعرف فَعول جُمع على فُعول غيره ، قاله أبو عبيد . انتهى كلام السُّهيلي[1] رحمه الله . وأنشدني أبي رحمه الله لبعض العرب يهجو قوماً بات ضيفهم :

بتنا عُذوباً وباتَ البَقُّ يَلبسُنا ... نشوى القَراح كأن لاحيَّ بالوادي

وذُكر في فَعول على فُعول غير عذوب ، وحكي ذلك عن « كتاب ليس » لابن خالويه .

وقوله : « أدمّت بالركب » حبستهم وكأنه من الماء الدائم وهو الواقف . ويروى أذمّت : أي الأتان ، أي جاءت بما تذم عليه ، أويكون من قولهم : بئر ذَمّة : أي قليلة الماء .

وقوله « يسوطانه » . يقال : سُطْتُ اللبن أو الدم أو غيرهما أسوطه ، إذا ضربتَ بعضه ببعض ، و « المِسْوطُ » : عود يُضرب به .

وقوله : « مغمز الشيطان » : هو الذي يغمزه الشيطان من كل مولود إلا عيسى بن مريم وأمه لقول أمها حنة : ﴿ وإني أعيذُها بكَ وذُرِّيَّتهَا من الشيطان الرجيم ﴾ [آل عمران : ٣٦] ولأنه لم يخلق من مَنِيِّ الرجال وإنما خُلق من نفخة روح القدس . قال السهيلي : ولا يدل هذا على فضل عيسى عليه الصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ ؛ لأن محمداً عندما نزع ذلك منه مُلىء حكمة وإيماناً بعد أن غسله روحُ القدس بالثلج والبرد[2] .

النبوية ؛ لابن هشام ١٧٧/١ ، ودلائل النبوة ؛ للبيهقي ١٤٥/١ ، والبداية والنهاية ٢٧٥/٢ .
وحديث شق صدره ﷺ في سن الرضاع رواه مسلم في الإيمان (باب الإسراء برسول الله ﷺ) رقم /١٦٢/ ، والنسائي في الصلاة (باب أين فُرضت الصلاة) ٢٢٤/١ .

(١) الروض الأنف ١٨٦/١ .

(٢) الروض الأنف ١٨٩/١ .

وقد روي أنه عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء أُتي بطست من ذهب ممتلىء حكمةً وإيماناً فأُفرغ في قلبه ، وأنه غُسل قلبُه بماء زمزم ، فوهم بعض أهل العلم مَنْ روى ذلك ذاهباً في ذلك إلى أنها واقعة واحدة متقدمة التاريخ على ليلة الإسراء بكثير . قال السهيلي : وليس الأمر كذلك بل كان هذا التقديس وهذا التطهير مرتين : الأولى في حال الطفولية لِيُنقَّى قلبُه من مغمز الشيطان ، والثانية : عندما أراد الله أن يرفعه إلى الحضرة المقدسة ، وليُصلِّي بملائكة السماوات ، ومن شأن الصَّلاة الطهور ، فقدس باطناً وظاهراً وملىء قلبه حكمة وإيماناً ، وقد كان مؤمناً ، ولكن الله تعالى قال : ﴿ ويزدَادَ الذينَ آمَنُوا إيمَاناً ﴾ [المدثر : ٣١][1] .

رَجْعٌ إلى الأول : وانطلق به أبو طالب[2] ، وكانت حليمة بعد رجوعها من مكة لا تدعه أن يذهب مكاناً بعيداً ، فغفلت عنه يوماً في الظهيرة ، فخرجت تطلبه حتى تجده مع أخته . فقالت : في هذا الحر ؟ فقالت أخته يا أمّه ما وجد أخي حراً ، رأيت غمامة تظل عليه إذا وقف وقفت وإذا سار سارت ، حتى انتهى إلى هذا الموضع . تقول أمها : أحقاً يا بنية ؟ قالت : إي والله . قال : تقول حليمة : أعوذ بالله من شر ما يحذر على ابني . فكان ابن عباس يقول : رجع إلى أمه وهو ابن خمس سنين . وكان غيره يقول : رُدَّ إليها وهو ابن أربع سنين ، وهذا كلُّه عن الواقدي[3] .

وقال أبو عمر : ردته ظئرُه حليمة إلى أمه بعد خمس سنين ويومين من مولده ، وذلك سنة ست من عام الفيل ، وأسلمت حليمةُ بنت أبي ذؤيب ، وهو[4] عبد الله بن الحارث ابن شجنة بن جابر بن رزام بن ناضرة بن قبيصة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن . قال أبو عمر : روى زيدُ بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، قال : جاءت حليمةُ ابنة عبد الله أم النبّي ﷺ من الرضاعة إلى النبي ﷺ يوم حنين فقام إليها وبسطَ لها رداءَه فجلست

---

(١) الروض الأنف ١/١٩٠ .

(٢) « وانطلق به أبو طالب » : هذا الكلام غير منتظم مع ما قبله ، ولعله سقط منه شيء ، والله أعلم . نور النبراس لوحة ١/٧٦ .

(٣) الطبقات الكبرى ١/١١٢ .

(٤) وهو عبد الله : هو اسم أبي ذؤيب والدحليمة السعدية .

عليه ، وروت عن النبي ﷺ وروى عنها عبد الله بن جعفر[1] .

قُرىء على أبي العباس أحمد بن يوسف الصوفي وأنا أسمع منه سنة ست وسبعين[2] قال : أخبرنا أبو روح البيهقي سماعاً عليه سنة خمس وستمائة ، قال : أخبرنا الإمام أبو بكر محمد بن علي الطوسي قراءة عليه ونحن نسمع ، أخبرنا أبو علي نصر الله بن أحمد بن عثمان الخُشْنَامي ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن النيسابوري ، أخبرنا أبو علي محمد بن أحمد المِيداني ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن خالد بن فارس ، حدثنا أبو عاصم النبيل ، عن جعفر بن يحيى بن ثوبان ، عن عمه عمارة ، عن أبي الطفيل ، قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ يقسم لحماً بالجعرانة وأنا غلامٌ شاب ، فأقبلت امرأة ، فلما رآها رسول الله ﷺ بَسَطَ لها رداءَه ، فقعدتْ عليه . فقال : من هذه ؟ قال : أمُّه التي أرضعته[3] .

هكذا روينا في هذا الخبر ، وكذا حكى أبو عمر بن عبد البر[4] عن حليمة بنت أبي ذؤيب أنها أسلمت وروت . ومن الناس مَنْ يُنكر ذلك . وحكى السهيليُّ أنها كانت وفدتْ على النبي ﷺ قبل ذلك بعد تزويجه خديجة تشكو إليه السَّنَةَ[5] وأن قومَها قد أسنتوا ، فكلَّم لها خديجة فأعطتها عشرين رأساً من غنم وبَكَرَات[6][7] .

---

(١) الاستيعاب في أسماء الأصحاب ؛ لأبي عمر بن عبد البر ٢٧٠/٤ ، وهو خبر مرسل ، جيد الإسناد . والمشهور أن التي جاءته يوم حُنين هي أخته الشيماء ، فأكرمها ووصلها ، أما أمه حليمة فالمناسب فيها ما سيورده المؤلف بعد قليل حكاية عن السهيلي من أنها وفدت إليه في سنة قحط بعد زواجه من خديجة رضي الله عنها .

(٢) لعلها سنة ست وسبعين وستمائة .

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد ، وأبو داود ، والطبراني ، وابن حِبَّان في صحيحه عن أبي الطفيل ، واسمه : عامر بن واثلة الكناني ، له رؤية ورواية ، توفي سنة مائة .

(٤) الاستيعاب ٢٧٠/٤ ، وقد ألَّف الحافظ مغلطاي رحمه الله تعالى جزءاً في إيمان حليمة . انظر خلاصة ذلك مع زيادة في السيرة الشامية ٤٦٦/١ — ٤٦٩ .

(٥) « السَّنَة » : الجدب ، وأسنتوا : أجدبوا .

(٦) « بكرات » : جمع بَكْرَة ، وهي الفتية من الإبل .

(٧) الروض الأنف ١٩٢/١ .

وذكر أبو إسحاق[1] بن الأمين في استدراكه على أبي عمر : خولة بنت المنذر بن زيد ابن لبيد بن خداش التي أرضعت النبي[2] ﷺ . وذكر غيره[3] فيهن أيضاً أم أيمن بركة حاضنته عليه الصلاة والسلام .

* * *

---

(١) أبو إسحاق بن الأمين : هو إبراهيم بن يحيى بن إبراهيم ، مؤرخ أندلسي ، من أهل قرطبة ، أصله من طليطلة ، له كتاب « الإعلام بالخيرة الأعلام من أصحاب النبي عليه السلام » جعله استدراكاً على كتاب ابن عبد البر في الصحابة ، توفي سنة ٥٤٤ هـ . الأعلام ٧٩/١ .

(٢) وقد وَهِمَ ابن الأمين في ذلك ، إنما أرضعت خولةُ ابن النبي ﷺ إبراهيم ، كما ذكر ابن سعد وأبو عمر وغيرهما ، وعليه جرى الحافظ ابن حجر في الإصابة ٢٩٣/٤ . وانظر السيرة الشامية ٤٦٠/١ .

(٣) ذكرها القرطبي ، والمشهور أنها من الحواضن لا من المراضع . السيرة الشامية ٤٦٠/١ .

ذكر الخبر عن وفاة أمه آمنة بنت وهب وحضانة أم أيمن له وكفالة عبد المطلب إياه

قال ابن إسحاق : فكان رسولُ الله ﷺ مع أمه آمنة وجده عبد المطلب في كلاءة الله وحفظه ينبته الله نباتاً حسناً ؛ لما يريد به من كرامته ، فلما بلغ رسولُ الله ﷺ ست سنين تُوفيّت أمُّه آمنة بالأبواء بين مكة والمدينة .

قال أبو عمر بن عبد البر : وقيل : ابن سبع سنين . قال : وقال محمد بن حبيب[1] في « المحبر » : توفيت أمه ﷺ وهو ابن ثمان سنين . وقال : وتوفي جده عبد المطلب بعد ذلك بسنة وأحد عشر شهراً ، سنة تسع من عام الفيل . وقيل : إنه توفي جده عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين .

رجع إلى ابن إسحاق : قال : وكانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار تزيره إياهم ، فماتت وهي راجعة إلى مكة فكان رسول الله ﷺ مع جده عبد المطلب ، وكان يُوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة ، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه ، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً ، فكان رسولُ الله ﷺ يأتي وهو غلام جَفْرٌ حتى يجلسَ عليه ، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه ، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم : دعوا بُنَيَّ فوالله إن له لشأناً ، ثم يُجلسه معه عليه ، ويمسحُ ظهره بيده ، ويَسُرُّه ما يراه يصنع[2] .

قرأتُ على أحمد بن محمد المقدسي الزاهد ، أخبرك أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان ، عن محمد بن عبد الباقي ، عن أحمد بن الحسن ، قال أبو إسحاق : وأخبرنا أحمد بن محمد بن

---

(١) محمد بن حَبِيب : بن أمية بن عمرو ، الهاشمي بالولاء ، أبو جعفر البغدادي ، من موالي بني العباس ، علّامة بالأنساب والأخبار واللغة والشعر ، كان مؤدباً ، قال ابن النديم : وكتبه صحيحة . ومن كتبه « المُحَبَّر » وإليه ينسب مؤلفه ، فيقال : المُحَبَّرِيّ . اللباب ١٠٤/٣ ، والأعلام ٧٨/٦ .

(٢) السيرة النبوية ، لابن هشام ١٦٨/١ .

علي بن صالح ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسين ، قالا : أخبرنا أبو علي بن شاذان ، أخبرنا ابن درستويه قال : أخبرنا يعقوب بن سفيان : حدثنا أبو الحسن مهدي بن عيسى ، أخبرنا خالد بن عبد الله الواسطي ، عن داود بن أبي هند ، عن العباس بن عبد الرحمن عن كِنْدير ابن سعيد ، عن أبيه قال : حججتُ في الجاهلية فبينا أنا أطوفُ بالبيت ، إذا رجل يقول :

رُدَّ إلـيَّ راكبـي محمـداً ... ارْدُدْهُ ربِّ واصطنعْ عندي[1] يـدا

قال : قلت : من هذا ؟ قال : عبد المطلب بن هاشم بعث ابن ابنه في إبل له ضلَّتْ ، وما بعثه في شيء إلا جاء به ، قال : فما برحتُ حتى جاء وجاء بالإبل معه . قال : فقال له : يا بني حزنت عليك حزناً لا يفارقني بعده أبداً[2] .

قالوا : وكانت أم أيمن تُحَدِّثُ تقول : كنتُ أحضن رسولَ الله ﷺ فغفلتُ عنه يوماً ، فلم أدرِ إلا بعبد المطلب قائماً على رأسي يقول : يا بركة ! قلتُ لبَّيك . قال : أتدري أين وجدتُ ابني ؟ قلت : لا أدري . قال : وجدتُه مع غِلمان قريباً من السِّدْرة . لا تغفلي عن ابني ، فإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني نبيُّ هذه الأمة ، وأنا لا آمَنُ عليه منهم . وكان لا يأكل طعاماً إلا قال عليّ بابني فيؤتى به إليه[3] .

وروينا عن ابن سعد قال : أخبرنا هشام ابن محمد بن السائب الكلبي ، قال : حدثني الوليد بن عبد الله بن جُميع الزهري ، عن ابن لعبد الرحمن بن موهب بن رباح الأشعري حليفِ بني زهرة ، عن أبيه ، قال : حدثني مخرمةُ بن نوفل الزهري ، قال : سمعت أمي رُقَيْقَة[4] بنت أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف تحدث – وكانت لدة[5] عبد المطلب –

---

(١) معنى الشطر الأول من البيت : أيها الراكب الذي أرسلته في طلب الإبل صحبة محمد رُدَّ إليَّ ابني محمداً .

(٢) الخبر رواه الحاكم في المستدرك ٦٠٣/٢ ، وقال : على شرط مسلم ، ولم يتعقبه الذهبي . وقال سبط ابن العجمي : وقد رأيته في مسند أبي يعلى الموصلي عن كِنْدير بن سعيد ، عن أبيه . رواه عن وهب بن بقية أبي خالد ، عن داود ، عن عباس ، عنه ، والله أعلم . نور النبراس لوحة ٨٣/١ . وهو عند البخاري في التاريخ الكبير .

(٣) الوفا ؛ لابن الجوزي ١٢٠/١ .

(٤) رقَيْقَة : بضم الراء وسكون الياء وقافين مفتوحتين .

(٥) « لِدَة » : اللِّدة : الترب ، والمتفق مع الآخر في تاريخ ولادته .

قالت : تتابعت على قريش سنون ذهبن بالأموال وأشفين[1] على الأنفس . قالت : فسمعت قائلاً يقول في المنام : يا معشر قريش ! إن هذا النبيَّ المبعوث : منكم ، وهذا إبَّانُ خروجه . وبه يأتيكم الحيا والخِصب ، فانظروا رجلاً من أوسطكم نسباً طُوالاً[2] عُظَاماً ، أبيضَ ، مقرونَ الحاجبين ، أهدبَ الأشفار ، جعداً[3] ، أسهل[4] الخدين ، رقيق العرنين[5] ، فليخرج هو وجميع ولده ، وليخرج منكم من كل بطن رجلٌ ، فتطهروا وتطيبوا ، ثم استلموا الركن ، ثم ارقَوْا إلى رأس أبي قُبيس ، ثم يتقدم هذا الرجل فيستسقي وتؤمنون ، فإنكم ستُسقون . فأصبحتْ فقصت رؤياها عليهم ، فنظروا فوجدوا هذه الصفة صفة عبد المطلب ، فاجتمعوا إليه ، وخرج من كل بطن منهم رجل ، ففعلوا ما أمرتهم به ، ثم علَوا على أبي قبيس ، ومعهم النبي ﷺ وهو غلام . فتقدم عبد المطلب وقال : لاهم[6] ! هؤلاء عبيدك وبنو عبيدك وإماؤك وبنو[7] إمائك ، وقد نزل بنا ما ترى ، وتتابعت علينا هذه السنون ، فذهبت بالظِّلف والخف والحافر[8] ، وأشفت على الأنفس ، فأذهبْ عنا الجدب وائتنا بالحيا والخصب ، فما برحوا حتى سالت الأودية ، وبرسول الله ﷺ سُقوا ، فقالت رُقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف :

بشيبةَ الحمدِ أسْقَى اللّهُ بلدتَنا ... وقد فقدْنَا الحَيا واجْلَوَّذ المطرُ[9]

---

(١) « وأشفينَ على الأنفس » : أشرفن على الهلاك .

(٢) « طوالاً عُظَاماً » : على وزن فُعال ، بالغ الطول . و« عُظاماً » : بالغ العِظم ، فكلاهما من أبنية المبالغة ومثلهما : طوّالاً وعظّاماً بالتشديد .

(٣) « جَعْدَاً » هي هنا تعني أنه شديد الأسْر والخَلْق .

(٤) « أسْهَل الخدين » : سائل الخدين ، وفي « جـ » و « د » : « أسيل » .

(٥) « رقيق العِرْنيْن » : بكسر العين ؛ الأنف ، وقيل : رأسه .

(٦) أي : اللهم .

(٧) وفي هامش « ب » : « وبنات إمائك » ولعلها الأنسب .

(٨) والحافر ، كذا في « أ » .

(٩) « واجْلَوَّذَ المطرُ » : تأخر نزوله ، وامتدَّ وقتُ انقطاعه .

فجــادَ بــالماء جَوْنـــيٌّ لـــه سَبَـــلٌ   دانٍ فعـاشتْ بـه الأنعـامُ والشجـر[1]
مَنـّـاً مِـــن الله بالميمـــون طائِـــرُهُ   وخيـرِ مـن بُشّرتْ يومـاً بـه مُضَرُ
مُبـاركُ الأمـرِ يُستسقـى الغمـامُ بـه   ما في الأنامِ له عِـدْلٌ ولا خَطَـرُ[2] [3]

* * *

(١) جونيٌّ : نسبة إلى الجون ، وهو السحاب الأسود المحمَّل بالمطر . و « سَبَلٌ » : السبل : المطر النازل المتواصل بين السماء والأرض .
(٢) « عِدلٌ ولا خطَر » : لا نظير له ولا عِوض .
(٣) خبر استسقاء أهل مكة بجدّه ، وهو ﷺ معهم ، وسقياهم ببركته ؛ رواه ابن سعد ١/٩٠ ، والبلاذري ، وابن أبي الدنيا ، والطبراني ، والبيهقي ٢/١٥ — ١٩ ، والسيرة الشامية ٢/١٧٨ — ١٧٩ .

ذكر وفاة عبد المطلب
وكفالة أبي طالب للنبي ﷺ

ثم إن عبد المطلب بن هاشم هلك عن سن عالية مختلف في حقيقتها ، قال أبو الربيع ابن سالم : أدناها فيما انتهى إليَّ ووقفتُ عليه : خمس وتسعون سنة ، ذكره الزبير ، وأعلاها فيما ذكره الزبير أيضاً عن نوفل بن عمارة ، قال : كان عُبيد بن الأبرص تِرْبَ عبد المطلب ، وبلغ عُبيد مائة وعشرين سنة ، وبقي عبد المطلب بعده عشرين سنة . وكانت وفاته سنة تسع من عام الفيل ، وللنبي ﷺ يومئذ ثمان سنين ، وقيل : بل توفي عبد المطلب وهو ابن ثلاث سنين . حكاه أبو عمر[1] .

وبقي رسولُ الله ﷺ بعد مَهلك جده عبد المطلب مع عمه أبي طالب ، وكان عبد المطلب يوصيه به فيما يزعمون ، وذلك أن عبدَ الله أبا رسول الله ﷺ وأبا طالب أخوان لأب وأم ؛ فكان أبو طالب هو الذي يلي رسولَ الله ﷺ بعد جده ، فكان إليه ومعه .

وذكر الواقدي أن أبا طالب كان مُقِلاً من المال ، وكانت له قطعة من الإبل تكون بعُرَنة[2] ، فيبدو[3] إليها فيكون فيها ، ويُؤتى بلبنها إذا كان حاضراً بمكة ، فكان عِيالُ أبي طالب إذا أكلوا جميعاً أو فُرادى لم يشبعوا ، وإذا أكَلَ معهم النبيُّ ﷺ شبعوا ، فكان أبو طالب إذا أرادَ أن يُغدِّيهم أو يُعشِّيهم يقول : كما أنتم حتى يأتي ابني . فيأتي رسولُ الله ﷺ فيأكل معهم فيُفْضلون من طعامهم ، وإن كان لبناً شربَ رسول الله ﷺ أوَّلَهم ، ثم يُناول القَعْبَ[4] فيشربون منه فيرْوَوْنَ من عند آخرهم من القعْب الواحد ، وإن كان أحدُهم ليشربُ قَعْباً وحدَه ، فيقول أبو طالب : إنَّك لمبارك . وكان الصبيان يُصبحون

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢٢/١ على هامش الإصابة .

(٢) « عُرَنة » : مسيل الوادي الواقع في مدخل عرفات مما يلي مكة ، والمسجد واقع فيها .

(٣) « فيبدو » : من بدا ؛ أي نزل البادية .

(٤) « القعب » : القدح .

شُعْثاً رُمْصاً[1] ، ويصبح رسول الله ﷺ دهيناً كحيلاً .

وقالت أمُّ أيمن – وكانت تحضنه – ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ شكا جُوعاً قطُّ ولا عطشاً ، وكان يغدو إذا أصبحَ فيشربُ من ماء زمزم شَرْبَةً ، فربما عرضنا عليه الغداءَ فيقول : أنا شبعان .

* * *

---

(١) « رُمْصاً » : جمع أرمص ، والرَّمَص : وسخ يجتمع في مُوق العين .

ذكر سفره ﷺ مع عمه أبي طالب إلى الشام

وخبره مع بحيرا الراهب

وذكر نبذة من حفظ الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام قبل النبوة

قال أبو عمر : سنة ثلاث عشرة من الفيل . وشهد بعد ذلك بثمان سنين يوم الفجار[1] سنة إحدى وعشرين[2] . وقال أبو الحسن[3] الماوردي : خرج به عليه الصلاة والسلام عمه أبو طالب إلى الشام في تجارة له وهو ابن تسع سنين . وذكر ابن سعد بإسناد له عن داود[4] بن الحصين : أنه كان ابن اثنتي عشرة سنة [5] .

قال ابن إسحاق : ثم إن أبا طالب خرج في ركب إلى الشام فلما تهيأ للرحيل صَبَّ به رسول الله ﷺ فيما يزعمون فرقَّ له أبو طالب ، وقال : والله لأخرجن به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً أو كما قال . فخرج به معه ، فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام ، وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة له ، وكان انتهى إليه علمُ أهل النصرانية ، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قَطّ[6] راهبٌ ، إليه يصيرُ علمهم عن كتاب فيها – فيما يزعمون – يتوارثونه كابراً عن كابر . فلما نزلوا ذلك العام ببحيرا ، وكانوا كثيراً مايمُرُّون به قبل ذلك فلا يُكلِّمُهم ولا يعرض لهم ، حتى كان ذلك العام ، فلما نزلوا به قريباً من صومعته صنعَ لهم طعاماً كثيراً ، وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته ، يزعمون أنه رأى رسولَ الله ﷺ في الركب حين أقبلوا وغمامةٌ تُظِلُّه من بين

---

(١) « الفِجار » : بكسر الفاء بمعنى المفاجرة ، سميت بذلك لوقوع القتال في الشهر الحرام .

(٢) الاستيعاب ١٥/١ مع الإصابة .

(٣) أبو الحسن الماوردي : هو علي بن محمد بن حبيب القاضي البصري الشافعي ، له تصانيف كثيرة منها « الحاوي » و« الأحكام السلطانية » ، توفي سنة ٤٥٠ هـ . شذرات الذهب ٢٨٥/٣ .

(٤) داود بن الحصين : هو مولى عمرو بن عثمان بن عفان ، روى عن عكرمة وعبد الرحمن الأعرج ، وروى عنه مالك وابن إسحاق وغيرهما ، وثقة ابن معين وضعفه غيره . الجرح والتعديل ٤٨٠/٣ .

(٥) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١٢٠/١ – ١٢١ وفي سنده الواقدي .

(٦) « قَطّ » : بتشديد الطاء وكسرها ، بمعنى الدهر ، مخصوصاً بالماضي .

القوم ، ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة منه ، فنظرَ إلى الغمامة حتى أظلَّت الشجرة وتهصرت[1] أغصانُ الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظلَّ تحتها ، فلما رأى ذلك بحيرا نزل من صومعته ، وقد أمر بذلك الطعام فصُنع ، ثم أرسل إليهم : إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشرَ قريش وأحبُّ أن تحضروا كلُّكم صغيرُكم وكبيرُكم ، وعبيدُكم وحرُكُم ، فقال له رجلٌ منهم : والله يا بحيرا إن بك اليوم لشأناً ، ما كنتَ تصنعُ هذا بنا وقد كنا نمرُّ بك كثيراً ، ما شأنك اليوم ؟ قال له بحيرا : صدقتَ ، قد كان ما تقول ، ولكنَّكم ضيفٌ ، وقد أحببتُ أن أكرمَكم وأصنعَ لكم طعاماً فتأكلوا منه كلُّكم ، فاجتمعوا إليه وتخلَّفَ رسولُ الله ﷺ من بين القوم لحداثةِ سنِّه في رِحَال القوم ، فلما نظر بحيرا في القوم لم ير الصفة التي يعرفُ ويجدُ عنده ، فقال : يا معشرَ قريش لا يتخلفنَّ أحدٌ منكم عن طعامي . قالوا له : يا بحيرا ما تخلَّف عن طعامِك أحدٌ ينبغي له أن يأتيَك إلا غلام ، وهو أحدثُ القوم سِنّاً ، فتخلَّفَ في رحالهم . قال : لا تفعلوا ، ادعُوه فليحضرْ هذا الطعام معكم . فقال رجلٌ من قريش : واللات والعزى إن كان للؤماً بنا أن يتخلَّف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا . ثم قام إليه فاحتضنه وأجلسَه مع القوم ، فلما رآه بحيرا جعل يلحظُه لحظاً شديداً ، وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته ، حتى إذا فرغَ القومُ من طعامهم وتفرَّقوا ، قام إليه بحيرا ، فقال له : يا غلام ! أسألُك بحقِّ اللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه – وإنما قال له بحيرا ذلك لأنه سمعَ قومَه يحلفون بهما – فزعموا أن رسولَ الله ﷺ قال : لا تسألني باللات والعزى شيئاً ، فوالله ما أبغضتُ شيئاً قطُّ بغضَهما . فقال له بحيرا : فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه . فقال له : سلني عما بدَا لك . فجعل يسأله عن أشياء من حاله : من نومه ، وهيئته ، وأموره . ويخبرُه رسولُ الله ﷺ فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته . ثم نظرَ إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده ، فلما فرغ أقبلَ على عمِّه أبي طالب فقال : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابني . قال : ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكونَ أبوه حيّاً . قال : فإنه ابن أخي . قال : فما فعلَ أبوه ؟ قال : ماتَ وأمُّه حُبلى به . قال : صدقتَ ، فارجعْ بابن أخيك إلى بلده واحذرْ عليه يهود ، فوالله لئن رأوه

(١) « تهصَّرتْ » : تهدلت .

وعرفوا منه ما عرفتُ لَيَبْغُنَّه شراً ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأنٌ عظيم ، فأسرعْ به إلى بلاده . فخرجَ به عمُّه أبو طالب سريعاً حتى أقدَمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام ، فزعموا أن نفراً من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله ﷺ مثلَ ما رأى بحيرا في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمِّه أبي طالب ، فأرادوه فردَّهم عنه بحيرا في ذلك ، وذكَّرهم الله تعالى ، وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفاته ، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا لم يخلصوا إليه ، حتى عرفوا ما قال لهم وصدقوه بما قال ، فتركوه وانصرفوا عنه[1] .

● **قوله** : فصبَّ به رسول الله ﷺ ، الصبابة : رقّةُ الشوق ، وصببت أصَبُّ . وعند بعض الرواة فضَبَثَ به : أي لزِمَه . قاله السهيلي[2] .

وروينا من طريق الترمذي : حدثنا الفضلُ بن سهل أبو العباس الأعرج البغدادي ، حدثنا عبد الرحمن بن غَزوان أبو نوح ، قال : أخبرنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي بكر ابن أبي موسى ، عن أبيه ، قال : خرجَ أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبيُّ ﷺ في أشياخٍ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلُّوا رِحَالَهم ، فخرج إليهم الراهب ، وكانوا قبل ذلك يمرُّون به فلا يخرجُ إليهم ولا يلتفتُ . قال[3] : فهم يَحلُّون رحالهم ، فجعلَ يتخلَّلهم الراهبُ حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ، ثم قال : هذا سيّد العالمين ، هذا رسولُ ربِّ العالمين ، يبعثه الله رحمة للعالمين . فقال الأشياخُ من قريش : ما عِلمُكَ ؟ فقال : إنكم حين أشرفتُم على العقبة لم يبقَ شجرٌ ولا حجرٌ إلا خرَّ ساجداً ، ولا يسجدان إلا لنبي ، وإني لأعرفه بخاتَم النبوة أسفل من غُضروف كتفه مثل التفاحة ، ثم رجعَ فصنع لهم طعاماً ، فلما أتاهم به وكان هو في رِعْيَةِ[4] الإبل . قال : أرسلوا إليه . فأقبل وعليه غَمامةٌ تُظِلُّه ، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فَيءِ الشجرة ، فلما جلس مال فَيءُ الشجرة عليه ، فقال : انظروا إلى فَيءِ الشجرة مالَ عليه . قال : فبينما هو قائمٌ عليهم

---

(١) السيرة النبوية » لابن هشام ١/١٨٠، ودلائل النبوة لأبي نعيم ١/١٢٥ ، ودلائل النبوة » للبيهقي ٢/٢٤ — ٢٩ وشرح المواهب ١/١٩٠ ، والخصائص الكبرى ١/٨٥ .

(٢) الروض الأنف ١/٢٠٦ .

(٣) أي : قال راوي الحديث .

(٤) « رعية الإبل » : أي كان في رعيها .

وهو يُناشدُهم أن لا يذهبوا إلى الروم ، فإن الرومَ إن رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه . فالتفتَ فإذا سبعةٌ قد أقبلوا من الروم ، فاستقبلَهم فقال : ما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا ، إن هذا النبيُّ خارجٌ في هذا الشهر فلم يبقَ طريقٌ إلا بُعث إليه بأناس ، وإنا قد أُخبرنا خبرَه بَعْثنا إلى طريقك هذا . فقال هل خلفكم أحد هو خيرٌ منكم ؟ قالوا : إنما اخترنا[1] خِيرَة بُعثنا لطريقك هذا . قال : أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيَه ، هل يستطيع أحدٌ من الناس ردَّه ؟ قالوا : لا . قال : فبايَعوه وأقاموا معه . قال : أنشدُكم بالله أيُّكم وليه ؟ قالوا : أبو طالب . فلم يزل يُناشدُه حتى ردَّه أبو طالب ، وبعثَ معه أبو بكر بلالاً ، وزوده الراهبُ من الكعك والزيت . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن[2] غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

قلت : ليس في إسناد هذا الحديث إلا من خرج له في الصحيح ، وعبد الرحمن بن غزوان أبو نوح لقبه قراد انفرد به البخاري . ويونس بن أبي إسحاق انفرد به مسلم . ومع ذلك ففي متنه نكارة وهي إرسال أبي بكر مع النبي ﷺ بلالاً . وكيف وأبو بكر حينئذ لم يبلغ العشر سنين فإن النبيَّ ﷺ أسنُّ من أبي أبكر بأزيدَ من عامين ، وكانت للنبي ﷺ تسعة أعوام على ما قاله أبو جعفر محمد بن جرير الطبري وغيره ، أو اثنا عشر على ما قاله آخرون ، وأيضاً فإن بلالاً لم ينتقل لأبي بكر إلا بعد ذلك بأكثر من ثلاثين عاماً ، فإنه كان لبني خلف الجمحيين ، وعندما عُذِّبَ في الله على الإسلام اشتراه أبو بكر رضي الله عنه رحمة له واستنقاذاً له من أيديهم ، وخبره بذلك مشهور . وقوله : فبايعوه ، إن كان المراد فبايعوا بحيرا على مسالمة النبي ﷺ فقريب ، وإن كان غير ذلك فلا أدري ما هو .

رجع إلى خبر ابن إسحاق : وكان ﷺ يحدث عما كان الله يحفظه به في صغره أنه قال : « لقد رأيتني في غلمان من قريش ، ننقلُ حجارةً لبعض ما يلعبُ به الغلمان ، كلنا قد

(١) كذا في « ب » و« ج » و« د » ، وفي « أ » وسنن الترمذي ٢٢٤/٩ « إنما أُخبرنا خبره بطريقك هذا » وبهامشه : في ب [إنما اخترنا خيرة لطريقك هذا] .

(٢) رواه الترمذي في المناقب (باب ما جاء في بدء نبوة النبي ﷺ) رقم /٣٦٢٤/ ، قال الحافظ ابن حجر في الإصابة : الحديث رجاله ثقات ، وليس فيه منكر سوى اللفظ ، فيحتمل أنها مدرجة فيه من حديث آخر وَهَماً من أحد رواته .

تعرَّى وأخذَ إزاراً وجعلَه على رقبتِه يحملُ عليها الحجارةَ ، فإني لأُقبلُ معهم كذلك وأُدبر إذ لكمني لاكمٌ ما أراه لكمةً وجيعةً ، ثم قال : شدَّ عليكَ إزارَك . قال : فأخذتُه فشددتُه عليَّ ثم جعلتُ أحملُ الحجارةَ على رقبتي ، وإزاري عليَّ من بين أصحابي »[1] .

قال السهيلي : وهذه القصة إنما وردت في الحديث الصحيح[2] في خبر بُنيان الكعبة ، كان ﷺ يحملُ الحجارةَ وإزارُه مشدودةٌ عليه ، فقال له العباس : يا ابن أخي ، لو جعلتَ إزارَك على عاتِقك ، ففعلَ ، فسقطَ مغشيّاً عليه . ثم قال : « إزاري إزاري » فشدَّ عليه إزارَه ، وقام يحملُ الحجارة . وفي حديث آخر : أنه لما سقط ضمَّه العباسُ إلى نفسه ، وسأله عن شأنه ، فأخبره أنه نودي من السماء : أن اشْدُدْ عليكَ إزارَكَ يا محمد . قال : وإنَّه لأوَّل ما نُودي . قال : وحديث ابن إسحاق إن صَّح محمولٌ على أنَّ هذا الأمر كان مرتين : في حال صِغَره ، وعند بنيان الكعبة[3] .

وذكر البخاري عنه ﷺ أنه قال : « ما هممتُ بسوءٍ من أمر الجاهلية إلا مرتين »[4] .

وقد قرأتُ على أبي عبد الله بن أبي الفتح الصُّوري بمرج دمشق : أخبركم أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن الحرستاني سماعاً عليه ، قال : أخبرنا أبو محمد طاهر بن سهل ابن بشر بن أحمد الإسفرايني ، قال : أخبرنا أبو الحسين محمد بن مكي بن عثمان الأزدي ، أخبرنا القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن إسحاق الحلبي ، حدثنا أبو عبد الله الحسين ابن إسماعيل المحاملي ببغداد ، حدثنا أبو الأشعث أحمد بن المقدام ، حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي ، عن محمد بن إسحاق . قال : وحدثني محمد بن عبد الله بن قيس بن مخرمة ، عن الحسن بن محمد بن علي ، عن أبيه ، عن جده علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال :

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/١٩٧ .
(٢) رواه البخاري في مناقب الأنصار (باب بنيان الكعبة) رقم /٣٨٢٩/ ، ومسلم في الحيض (باب الاعتناء بحفظ العورة) رقم /٣٤٠/ .
(٣) الروض الأنف ١/٢٠٨ .
(٤) قال سبط ابن العجمي في « نور النبراس » لوحة ١/٩٢ : هذا ذكره البخاري في غير الصحيح فاعلمه ، وما كان ينبغي للمؤلف أن يطلق هذه العبارة ؛ لأن المتبادر إلى أفهام الناس أن ذلك في الصحيح ، والله أعلم .

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما هممت بقبيح مما يَهُمُّ به أهلُ الجاهلية إلا مرتين من الدهر ، كلتاهما عَصمني الله عزَّ وجلَّ منهما : قلتُ ليلةً لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في غنمٍ لأهله يرعاها : أبصرْ لي غنمي حتى أسمرَ هذه الليلة بمكةَ كما يسمرُ الفتيانُ . قال : نعم . فخرجتُ فلما جئتُ أدنى دار من دور مكة سمعتُ غِناءً وصوتَ دفوفٍ ومَزامير ، فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : فلانٌ تزوَّجَ فلانة لرجل من قريش تزوَّجَ امرأةً من قريش ، فلهوتُ بذلك الغِناء وبذلك الصوت حتى غلبتني عيني فنمتُ ، فما أيقظني إلا مَسُّ الشمس ، فرجعتُ إلى صاحبي . فقال : ما فعلتَ ؟ فأخبرتُه . ثم فعلتُ الليلة الأُخرى مثلَ ذلك ، فخرجتُ فسمعتُ مثل ذلك ، فقيل لي مثل ما قيل لي ، فسمعتُ كما سمعتُ حتى غلبتني عيني فما أيقظني إلا مسُّ الشمس ، ثم رجعتُ إلى صاحبي فقال لي ما فعلتَ ؟ فقلت : ما فعلت شيئاً . قال رسولُ الله ﷺ والله ما هممتُ بغيرهما بسوء مما يعملُه أهلُ الجاهلية حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته »[1] .

وذكر الواقديُّ عن أمِّ أيمنَ قالت : كانت بُوانة[2] صنماً تحضره قريش ، وتعظمه وتنسكُ له ، وتحلقُ عنده ، وتعكف عليه يوماً إلى الليل في كل سنة ، فكان أبو طالب يحضرُه مع قومه ، ويُكلِّم رسولَ الله ﷺ أن يحضرَ ذلك العيد معهم ، فيأبى ذلك . قالت : حتى رأيتُ أبا طالب غضبَ عليه ، ورأيتُ عماتِه غضبن يومئذ أشدَّ الغضب وجعلنَ يقلن : إنا لنخافُ عليك مما تصنعُ من اجتناب آلهتنا ، ويقلنَ : ما تريدُ يا محمد أن تحضر لقومك عيداً ولا تكثِّر لهم جمعاً ؟! فلم يزالوا به حتى ذهبَ ، فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجعَ مرعوباً فزعاً ، فقلنا:ما دهاك ؟ قال : إني أخشى أن يكون بي لَمَمٌ[3] . فقلنا : ما كان

(١) الحديث رواه ابن إسحاق ، وابن راهويه في « مسنده » ، والبزار ، والبيهقي في دلائل النبوة ٣٣/٢ ــ ٣٤ وأبو نُعيم في دلائل النبوة ٢٣٦/١ ، وابن كثير في البداية والنهاية ٨٧/٢ ، والسيوطي في الخصائص الكبرى ٨٩/١ ، والسيرة الشامية ٢٠٠/٢ . قال الحافظ ابن حجر : إسناده حسن متصل ، ورجاله ثقات ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢٦/٨ : رواه البزار ورجاله ثقات .
وقال ابن كثير : وهذا حديث غريب جداً ، وقد يكون عن علي نفسه ، ويكون قوله في آخره « حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته » مقحماً .

(٢) بُوَانة : بفتح الباء وضمها ، وتخفيف الواو .

(٣) « لمم » : مسٌّ من الشيطان .

الله عز وجل ليبتليَك بالشيطان ، وكان فيك من خِصال الخير ما كان ، فما الذي رأيتَ ؟ قال : كلما دنوتُ من صنم منها تمثَّل لي رجلٌ أبيضُ طويلٌ يصيحُ بي : وراءَك يا محمد لا تمسّه . قالت : فما عادَ إلى عيد لهم حتى تنبأ[1] ﷺ .

* * *

(١) الطبقات الكبرى ١٥٨/١ ، وأبو نعيم في دلائل النبوة ٢٣٧/١ ــ ٢٣٨ ، والسيوطي في الخصائص الكبرى ٢٢١/١ عن أبي بكر العامري ، عن حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : حدثتني أم أيمن .. وإسناده ضعيف جداً ، فيه أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي سبرة العامري : رُمي بالوضع .
ورواية الواقدي عن أم أيمن معضلة ، لأنه وُلد سنة ١٣٠ هـ ، وأم أيمن توفيت على أبعد الأقوال في خلافة عثمان . انظر نور النبراس لوحة ٩٣/١ .

ذكر رعيته ﷺ الغنم

روينا عن محمد بن سعد : أخبرنا سُويد بن سعيد وأحمد بن محمد الأزرقي ، قالا : حدثنا عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص القرشي ، عن جده سعيد يعني ابن عمرو ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما بعث الله نبياً إلا راعي غنم . قال له أصحابه : وأنتَ يا رسولَ الله ؟ قال : وأنا رعيتها لأهل مكة بالقراريط[1] » .

وروينا عن ابن سعد قال : أخبرنا أحمد بن عبد الله بن يونس ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو إسحاق[2] قال : كان بين أصحاب الإبل وأصحاب الغنم تنازع ، فاستطالَ أصحاب الإبل ، قال : فبلغنا ــ والله أعلم ــ أن النبيَّ ﷺ قال : « بُعث موسى وهو راعي غنم ، وبُعث داود وهو راعي غنم ، وبُعثت وأنا راعي غنمِ أهلي بأجياد »[3] .

---

(١) رواه البخاري في الإجارة (باب رعي الغنم على قراريط) رقم /٢٢٦٢/ ، وابن ماجه في التجارات (باب الصناعات) رقم /٢١٤٩/ ، وابن سعد في الطبقات الكبرى ١/١٢٥ .
والقراريط : جمع قيراط ، وهو أحد أجزاء الدينار ، والمراد أنه ﷺ كان يأخذ أجرة في مقابل رعيه الغنم .

(٢) أبو إسحاق : هو السَّبيعي عمرو بن عبد الله ، المتوفى سنة ١٢٦ هـ وتعتبر روايته هذه عند ابن سعد في الطبقات الكبرى ١/١٢٦ بلاغاً .
والحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٣/٤٢ ، ٩٦ ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : افتخر أهلُ الإبل والشاء ، فقال رسول الله ﷺ : « بُعث موسى وهو راعي غنم ، وبُعث داود وهو راعي غنم ، وبُعثتُ وأنا راعي غنم لأهلي بأجياد » .
قال سبط ابن العجمي : وهذا أحسن مما ذكره المؤلف ؛ لأن هذا مسند وذاك بلاغ ، والله تعالى أعلم نور النبراس . لوحة ١/١٩٤ .

(٣) قال في نور النبراس لوحة ٩٤ : **فائدة** : إنما جُعل هذا ــ أعني رعي الغنم ــ في الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، تقدمة لهم ، ليكونوا رعاة الخلق ، ولتكون أممهم رعاياهم ، ولغير ذلك من المعاني ، والله تعالى أعلم .

شهوده ﷺ يوم الفِجار ثم حلف الفُضول

قال السُّهيلي : والفِجار بكسر الفاء بمعنى المفاجرة كالقتال والمقاتلة ، وذلك أنه كان قتالاً في الشهر الحرام ، ففجروا فيه جميعاً ، فسُمِّي الفِجار ، وكانت للعرب فِجارات أربعة ذكرها المسعودي ، آخرُها فِجار البَرّاض ، وهو هذا ، وكان لكِنانة ولقيس فيه أربعة أيام مذكورة : يوم شَمطَة ويوم العَبْلاء ، وهما عند عكاظ . ويوم الشَّرب وهو أعظمها يوماً وفيه قيَّد حربُ بن أمية وسفيانُ وأبو سفيان ابنا أمية أنفسَهم كي لا يفروا فسُمُّوا العنابس[1] . ويوم الحُرَيْرة عند نخلة . ويوم الشَّرب انهزمت قيس إلا بني نصر منهم فإنهم ثبتوا . وكان انقضاء أمر الفجار على يدي عتبة بن ربيعة ، وذلك أن هوازن تواعدوا مع كنانة للعام المقبل بعكاظ فجاؤوا للوعد ، وكان حرب بن أمية رئيس قريش وكنانة ، وكان عتبة بن ربيعة يتيماً في حجره ، فضنَّ به حربٌ وأشفقَ من خروجه معه ، فخرجَ عتبةُ بغير إذنه فلم يشعروا إلا وهو على بعيره بين الصفين يُنادي : يا معشر مضر ، علام تفانون ؟ فقالت له هوازن : ما تدعو إليه ؟ قال : الصلح على أن ندفع لكم دية قتلاكم وتعفوا عن دمائنا . قالوا : وكيف ؟ قال : ندفع لكم رُهُناً منا ، قالوا : ومن لنا بهذا ؟ قال : أنا . قالوا : ومن أنت ؟ قال : أنا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس . فرضوا به ورضيت به كنانة ، ودفعوا إلى هوازن أربعين رجلاً فيهم حكيم بن حزام ، فلما رأت بنو عامر بن صعصعة الرُّهن في أيديهم عفوا عن الدماء وأطلقوهم وانقضت حرب الفجار ، وزُعم أن النبي ﷺ لم يقاتل فيها[2] .

وروينا عن ابن سعد : أن النبي ﷺ شهدها وله عشرون سنة وقال : قال عليه الصلاة والسلام : « قد حضرته مع عمومتي ورميتُ فيه بأسهم ، وما أُحبُّ أني لم أكنْ

---

(١) « العنابس » : الأسود ، مفردها عَنْبس ، وهو فنعل من العبوس .

(٢) الروض الأنف ٢٠٩/١ ، وقال السهيلي : وإنما لم يُقاتل لأنها كانت حرب فجار ، وكانوا أيضاً كلهم كفار ، ولم يأذن الله لمؤمن أن يقاتل إلا لتكون كلمة الله هي العليا .

فعلتُ »[1] . وشهد رسول الله ﷺ حلف الفُضول منصرفَ قريش من الفِجار . قال محمد بن عمر : وكان الفِجار في شوال ، وهذا الحلف في ذي القعدة وكان أشرف حلف كان قطّ ، وأوّل من دعا إليه الزبير بن عبد المطلب ، فاجتمعت بنو هاشم وزهرة وبنو أسد بن عبد العزى في دار ابن جدعان ، فصنع لهم طعاماً فتعاقدوا وتعاهدوا بالله لنكونن مع المظلوم حتى يُؤدَّى إليه حقُّه ما بلَّ بحرٌ صوفة . وقال عليه الصلاة والسلام : « ما أحبُّ أنَّ لي بحلفِ حضرتُه في دارِ ابنِ جُدْعَان حُمْرَ النَّعَم وأني أغدر به ـ بعينه ـ »[2].

قال محمد بن عمر : ولا نعلم أحداً سبق بني هاشم بهذا الحلف[3] .

* * *

(١) طبقات ابن سعد ١٢٨/١ ، وتتمته « وكنت أُنَبِّل على أعمامي » . وهو مرسل رواه ابن سعد عن محمد ابن عمر الواقدي .

(٢) رواه ابن إسحاق عن طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري ١٣٤/١ ، وابن سعد ١٢٩/١ ، والبيهقي ٣٨/٢ عن جُبير بن مطعم رضي الله عنه . وسنده قوي في أحد طرقه عند البيهقي في الدلائل .

(٣) الطبقات الكبرى ١٢٩/١ .

ذكر سفره عليه الصلاة والسلام إلى الشام مرة ثانية
وتزويجه خديجة بعد ذلك

قال ابن إسحاق : ولما بلغ رسولُ الله ﷺ خمساً وعشرين سنة تزوَّج خديجةَ بنت خويلد فيما ذكره غيرُ واحد من أهل العلم[(١)] .

وقال ابن عبد البر : وخرجَ رسولُ الله ﷺ إلى الشام في تجارة لخديجة سنة خمس وعشرين ، وتزوَّج خديجة بعد ذلك بشهرين وخمسة وعشرين يوماً في عقبِ صفرَ سنة ست وعشرين ، وذلك بعد خمس وعشرين سنة وشهرين وعشرة أيام من يوم الفيل[(٢)] .

وقال الزهري : كانت سنُّ رسول الله ﷺ يوم تزوج خديجة إحدى وعشرين سنة . قال أبو عمر : وقال أبو بكر بن عثمان وغيره ، كان يومئذ ابن ثلاثين سنة . قالوا : وخديجة يومئذ بنت أربعين سنة .

ورويناه عن أبي بشر[(٣)] الدولابي ، قال : وحدثني ابن البُرْقِي[(٤)] أبو بكر ، عن ابن هشام ، عن غير واحد ، عن أبي عمرو بن العلاء ، قال : تزوَّج رسول الله ﷺ خديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة .

ورويناه عن أبي الربيع بن سالم ، قال : وذكر الواقدي بإسناد له إلى نفيسة بنت[(٥)] مُنْيَةَ أخت يعلى بن مُنية ، قال وقد رويناه أيضاً من طريق أبي علي بن السكن ، وحديث أحدهما داخلٌ في حديث الآخر مع تقارب اللفظ ، وربما زاد أحدُهما الشيءَ اليسيرَ على

(١) السيرة النبوية ١/١٨٧ .

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١/٢٣ على هامش الإصابة .

(٣) أبو بشر الدولابي : هو محمد بن أحمد بن حماد الأنصاري ، تقدمت ترجمته .

(٤) ابن البرقي : هو أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم ، صاحب التاريخ وراوي السيرة عن ابن هشام ، منسوب إلى برقة . نور النبراس لوحة ١٠٠ .

(٥) نفيسة بنت مُنية : قال أبو عمر : لها صحبة ورواية ، وقال ابن سعد : أمها مُنْيَة بنت جابر بن وهب ، أسلمت نفيسة بنت مُنْية ، وهي التي مشت بين خديجة والنبي ﷺ حتى تزوجها . الإصابة ٤/٤١٩ .

الآخر ، وكلاهما ينمي إلى نفيسة قالت : لما بلغ رسولُ الله ﷺ خمساً وعشرين سنة وليس له بمكة اسم إلا الأمين ، لما تكاملَ فيه من خصال الخير ، قال أبو طالب : يا ابن أخي ! أنا رجل لا مال لي وقد اشتد الزمانُ علينا وأُلحَّت علينا سنون منكرة ، وليس لنا مادة ولا تجارة ، وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام ، وخديجة بنت خويلد تبعث رجالاً من قومك في عيرانها[١] فيتجرون لها في مالها ويُصيبون منافع ، فلو جئتها فوضعت[٢] نفسك عليها لأسرعتْ إليك وفضلتك على غيرك ؛ لما يبلُغها عنك من طهارتِك ، وإن كنتُ لأكره أن تأتيَ الشام وأخافُ عليك من يهود ، ولكن لا نجد من ذلك بدّاً ، وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال كثير وتجارة ، وتبعث بها إلى الشام ، فتكون عيرُها كعامة عير قريش ، وكانت تستأجر الرجال وتدفع إليهم المال مضاربةً ، وكانت قريش قوماً تجاراً ، ومن لم يكن تاجراً من قريش فليس عندهم بشيء . فقال رسول الله ﷺ : فلعلَّها ترسلُ إليَّ في ذلك . فقال أبو طالب : إني أخافُ أن تولّي غيرَك ، فتطلبَ أمراً مُدبراً ، فافترقا .

وبلغَ خديجةَ ما كان من مُحاورةِ عمِّه له ، وقبل ذلك ما بلغَها من صدقِ حديثِه وعِظَمِ أمانتِه وكرمِ أخلاقه ، فقالت : ما علمتُ أنه يريد هذا ، ثم أرسلتْ له فقالت : إنه دعاني إلى البعثة إليك ما بلغني من صدق حديثِك وعِظَمِ أمانتِك وكرمِ أخلاقك ، وأنا أعطيك ضعفَ ما أُعطي رجلاً من قومك . ففعلَ رسولُ الله ﷺ ، ولقي أبا طالب فذكر له ذلك ، فقال : إنَّ هذا لرزقٌ ساقه الله إليك . فخرجَ مع غلامها مَيْسَرَةَ حتى قدمَ الشَّام ، وجعل عمومته يُوصون به أهل العير حتى قدم الشام ، فنزلا في سوق بُصرى في ظلِّ شجرةٍ قريباً من صومعةِ راهب يُقال له نسطورا ، فاطَّلع الراهبُ إلى ميسرةَ وكان يعرفُه ، فقال : يا ميسرةُ ! من هذا الذي نزلَ تحتَ هذه الشجرة ؟ فقال ميسرة : رجل من قريش من أهل الحرم . فقال له الراهب : ما نزلَ تحت هذه الشجرة إلا نبيّ . ثم قال له : في عينيه حمرةٌ ؟ قال ميسرةُ : نعم لا تُفارقه . قال الراهب : هُوَ هُوَ ، وهوآخرُ الأنبياء ، ويا ليتَ أني أدركُه حين يُؤمر بالخروج . فوعى ذلك ميسرة .

---

(١) « عَيْرانها » : جمع عِير ، وهي الدواب والإبل التي كانوا يُتاجرون لخديجة عليها .

(٢) « فوضعتَ » : عرضتَ .

ثم حضرَ رسولُ الله ﷺ سوقَ بُصرى فباعَ سِلعتَه التي خرج بها ، واشترى فكان بينه وبين رجل اختلاف في سِلْعة ، فقال الرجل : احلفْ باللات والعزى . فقال رسول الله ﷺ : ما حلفتُ بهما قطُّ . فقال الرجل : القول قولُك . ثم قال لميسرة ــ وخلا به ــ يا ميسرة ! هذا نبيّ ، والذي نفسي بيده ، إنه لهو تجدهُ أحبارُنا منعوتاً في كتبهم . فوعى ذلك ميسرة . ثم انصرفَ أهل العير جميعاً ، وكان ميسرةُ يرى رسولَ الله ﷺ إذا كانت الهاجرة واشتدَّ الحرُّ يرى ملكين يُظلانه من الشمس وهو على بعيره ، قال : وكان الله عز وجل قد ألقى على رسول الله ﷺ المحبَّةَ من ميسرةَ ، فكان كأنَّه عبدٌ لرسول الله ﷺ . فلما رجعوا وكانوا بمرِّ الظَّهْران[1] تقدم رسولُ الله ﷺ حتى دخل مكة في ساعة الظهيرة ، وخديجَةُ في عِلِّيَّةٍ لها ، معها نساءٌ فيهن نفيسةُ بنت مُنْية ، فرأتْ رسولَ الله ﷺ حين دخل وهو راكبٌ على بعيره ومَلكان يُظلاّن عليه ، فأرته نساءَها فعجبنَ لذلك ، ودخل عليها رسولُ الله ﷺ فخبَّرها بما ربحوا ، فسُرَّتْ بذلك ، فلما دخلَ عليها ميسرةُ أخبرته بما رأت ، فقال لها ميسرة : قد رأيتُ هذا منذ خرجنا من الشام ، وأخبرَها بقول الراهب نسطورا ، وقول الآخر الذي خالفه في البيع .

قالوا : وقدم رسولُ الله ﷺ بتجارتها ، فربحتْ ضعفَ ما كانت تربح ، وأضعفت له ما سمَّتْ له ، فلما استقرَّ عندَها هذا ، وكانت امرأةً حازمةً شريفةً لبيبةً مع ما أرادَ الله بها من الكرامة والخير ، وهي يومئذٍ أوسطُ نساء قريش نسباً ، وأعظمهُنَّ شرفاً ، وأكثرهُنَّ مالاً ، وكلُّ قومها كان حريصاً على نكاحِها لو يقدرُ عليه ، فعرضتْ عليه نفسَها ، فقالت له فيما يزعمون : يا ابن عم ! إني قد رغبتُ فيك لقرابتِك وسِطتِكَ[2] في قومِك وأمانتِك وحسنِ خُلقِك وصدقِ حديثِك ، فلما قالت ذلك له ، ذكر ذلك لأعمامه فخرجَ معه عمُّه حمزةُ بن عبد المطلب رضي الله عنه ، حتى دخل على خُويلد ابن أسد فخطبَها إليه ، فتزوجها .

---

(١) « مَرُّ الظهران » : هو وادٍ بين مكة وعُسفان الذي تسميه العامة ببطن مر ، وهو المشهور الآن بوادي فاطمة .

(٢) « سِطَتِكَ » : السِّطة : مصدر من الوسط ، كالعِدة من الوعد ، وهي الفضلُ والمكانة .

قال أبو الربيع : هكذا ذكر ابن إسحاق[١] . وذكر الواقدي وغيرُه من حديث نفيسةَ ؛ أن خديجةَ أرسلتْها إليه دسيساً[٢] فدعتْه إلى تزويجها .

قلت : وقد روينا ذلك عن ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر بن واقد الأسلمي ، حدثنا موسى بن شيبة ، عن عُميرة بنت عبد الله بن كعب بن مالك ، عن أم سعد بنت سعد بن الربيع ، عن نفيسة بنت مُنْيَةَ ، قالت : كانتْ خديجةُ بنتُ خويلد امرأةً حازمةً جلدةً شريفة ، مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير ، وهي يومئذ أوسطُ نساء قريش نسباً ، وأعظمُهم شرفاً ، وأكثرُهم مالاً ، وكلُّ قومِها كان حريصاً على نكاحِها لو قدر على ذلك ، قد طلبوها وبذلوا لها الأموال ، فأرسلتني دسيساً إلى محمد بعد أن رجع في عيرها من الشام ، فقلت : يا محمد ! ما يمنعك أن تزوَّج ؟ قال : ما بيدي ما أتزوَّجُ به . قلت : فإن كفيتَ ذلك ، ودُعِيتَ إلى المال والجمال والشرف والكفاءة ، ألا تجيب ؟ قال : فمن هي ؟ قلت : خديجة . قال : فكيف لي بذلك ؟ قالت : قلتُ : عليَّ . قال : فأنا أفعل . فذهبت فأخبرتها ، فأرسلتْ إليه أن ائتِ لساعةِ كذا وكذا ، فأرسلتْ إلى عمِّها عمرو بن أسد ليزوِّجَها ، فحضرَ ودخلَ رسولُ الله ﷺ في عمومتِه ، فزوَّجه أحدُهم ، فقال عمرو بن أسد : هذا الفحلُ لا يُقدعُ أنفه[٣]. وتزوجها رسول الله ﷺ وهو ابنُ خمسٍ وعشرين سنة ، وهي يومئذ بنتُ أربعين سنة ، ولدتْ قبل الفيل بخمسَ عشرة سنة[٤] .

وذكر ابن إسحاق أن أباها خويلد بن أسد هو الذي أنكحها من رسول الله ﷺ[٥] .

وكذلك وجدته عن الزهري وفيه : وكان خُويلد أبوها سكران من الخمر ، فلما كُلِّم في ذلك أنكحها ، فألقت عليه خديجة حلةً وضمَّختْه بخلوق ، فلما صحا من سُكْره قال : ما هذه الحُلَّةَ والطِّيب ؟ فقيل له : أنكحتَ محمداً خديجة ، وقد ابتنى بها . فأنكر ذلك ثم رضيَه وأمضاه[٦] .

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/١٨٧ — ١٩٠ ، والطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١/١٣١ — ١٣٣ .
(٢) « دسيساً » : خفية .
(٣) « لا يُقدع أنفُه » : كريم لا يرد ، من قولهم : قدع فلان الفحل ؛ أي ضربَ أنفه بشيء ليرتد .
(٤) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١/١٣١ — ١٣٢ وفيها « هذا البُضْعُ لا يُقْرَعُ أنفه » .
(٥) السيرة النبوية ١/١٩٠ .
(٦) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١/١٣٣ .

وقال محمد بن عمر : الثبتُ عندنا المحفوظُ من أهل العلم أن أباها خويلد بن أسد مات قبل الفِجَار وأن عمَّها عمرو بن أسد زوَّجها رسولَ الله ﷺ[1]. ورأيتُ ذلك عن غير الواقدي . وقد قيل إنَّ أخاها عمرو بن خويلد هو الذي أنكحها منه ، والله أعلم .

وروينا عن أبي بشر الدولابي ، قال : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، عن عبد الله بن وهب ، قال : أخبرني يُونس بن يزيد ، عن ابن شهاب الزهري ، قال : فلما استوى رسولُ الله ﷺ وبلغ أشدَّه ، وليس له كبير مال ، استأجرته خديجةُ بنت خويلد إلى سوق حُبَاشة ، وهو سوق بتهامة . واستأجرت معه رجلاً آخر من قريش . فقال رسولُ الله ﷺ وهو يُحدِّث عنها : ما رأيتُ من صاحبةٍ لأجير خيراً من خديجة ، ما كنا نرجعُ أنا وصاحبي إلا وجدنا عندها تُحفةً من طعام تَخْبَؤُه لنا .

وروينا عن أبي بشر محمد بن أحمد بن حماد ، قال : وحدثني أبو أسامة الحلبي ، حدثنا حجَّاج بن أبي منيع ، حدثنا جدي ، عن الزهري قال : تزوَّجتْ خديجةُ بنتُ خُويلد بن أسد قبلَ رسول الله ﷺ رجلين : الأول منهما عتيق بن عايذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فولدت له جاريةً ، وهي أم محمد بن صيفي المخزومي ، ثم خلفَ على خديجةَ بعد عتيق بن عايذ أبو هالة التميمي ، وهو من بني أُسَيِّد بن عمرو ، فولدت له هند بن هند .

كذا وقع في هذه الرواية : عتيق بن عايذ . والصواب عابد[2]، قاله الزبير . وسمَّى الزبيرُ الجاريةَ التي ولدتها منه : هنداً .

واسم أبي هالة : هند بن زرارة بن النَّبَّاش بن غُدَي[3] بن حُبيب بن صُرد بن سلامة ابن جروة بن أُسيّد بن عمرو بن تميم ، فيما رويناه عن الدولابي : حدثنا أبو الأشعث أحمد ابن المقدام العجلي ، حدثنا زهير بن العلاء ، حدثنا سعيد بن أبي عَروبة ، عن قتادة بن دعامة ، فذكره .

قال ابن إسحاق : وكانت خديجةُ قد ذكرت لورقةَ بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ،

---

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١/١٣٣ .

(٢) « عابد » : بالباء الموحدة والدال المهملة .

(٣) « غُدَي » : بالمعجمتين .

وكان ابن عمها ، وكان نصرانياً قد تتبع الكتبَ ، وعلم من علم الناس ما ذكر لها غلامها ميسرةُ من قول الراهب ، وما كان يرى منه إذ كان المَلكان يُظلاّنه . فقال ورقةُ : لئن كان هذا حقاً يا خديجة إن محمداً لنبيُّ هذه الأمة ، قد عرفتُ أنه كائن لهذه الأمة نبيّ يُنتظر ، هذا زمانه . أو كما قال[1] .

قال : فجعلَ ورقةُ يستبطيءُ الأمرَ ، وله في ذلك أشعارٌ ، منها ما رواه يُونس بن بُكير ، عن ابن إسحاق :

أتُبْكِـــرُ أم أنتَ العشيـــةَ رائـــحُ ... وفي الصَّدر من إضمارِكَ الحزنَ قادحُ
لفرقـــةِ قـــومٍ لا أحبُّ فِرَاقَهـــم ... كـأنَّكَ عنهم بعـدَ يـومين نـازحُ
وأخبـارِ صدقٍ خَبَّـرَتْ عـن محمّـدٍ ... يُخَبِّرُهَـا عنـه إذا غـابَ نَـاصِحُ
بـأن ابـنَ عبـد الله أحمدَ مـرسلٌ ... إلى كـلِّ من ضَمَّتْ عليه الأباطـحُ
وظنـي بـه أنْ سوفَ يُبعثُ صادقـاً ... كما أُرسلَ العَبْـدانِ هـودٌ وصالـحُ

في أبيات ذكرها[2] .

* * *

---

(١) السيرة النبوية ١/١٩١ .
(٢) الروض الأنف ، للسهيلي ١/٢٢٠ وقد بلغت اثني عشر بيتاً .

ذكر بنيان قريش الكعبة شرَّفَها الله تعالى

ولما بلغ رسول الله ﷺ خمساً وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة . قال موسى ابن عقبة : وإنما حمل قريشاً على بنائها أن السيل كان أتى من فوق الردم الذي صنعوه ، فأخربه ، فخافوا أن يدخلَها الماء ، وكان رجل يُقال له مُلَيْح سرقَ طِيْبَ الكعبة ، فأرادوا أن يشيدوا بنيانها ، وأن يرفعوا بابها حتى لا يدخل إلا من شاؤوا ، وأعدُّوا لذلك نفقةً وعمّالاً ، ثم عمدوا إليها ليهدموها على شفق وحذر من أن يمنعهم الله الذي أرادوا .

قال ابن إسحاق : ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنيانها[1]، كل قبيلة تجمع على حدة ، ثم بَنَوْها حتى بلغَ البنيان موضع الركن[2] ، فاختصموا فيه ، كلُّ قبيلة تُريد أن ترفعَه إلى موضعه دونَ الأخرى ، حتى تحاوروا[3] وتحالفوا وأعدوا للقتال ، فقرَّبت بنو عبد الدار جفنةً مملوءةً دماً ، ثم تعاقدوا هم وبنو عديّ على الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة ، فسُمُّوا لعَقَة الدم ، فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمساً .

ثم إنهم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا وتناصفوا ، فزعمَ بعضُ أهل الرواية أن أبا أميَّةَ ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكان عامئذٍ أسنَّ قريشٍ كلِّها ، قال : يا معشر قريش ؛ اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أوَّلَ من يدخلُ من باب هذا المسجد يقضي بينكم . ففعلوا ، فكان أوَّلَ داخلٍ رسولُ الله ﷺ ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، رضينا ، هذا محمد . فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبرَ . قال ﷺ : هلمَّ إليّ ثوباً . فأُتي به ، فأخذ الركن فوضعَه فيه بيده . ثم قال لتأخذ كلُّ قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه جميعاً ، ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعَه وضعَه هو بيده ﷺ ، ثم بنى عليه .

---

(١) في « ب » والسيرة النبوية ١/١٩٦ : لبنائها .

(٢) « الركن » : الحجر الأسود ، وسُمي ركناً ؛ لأنه مبني في الركن .

(٣) « تحاوروا » : من المحاورة ، وهي المجاوبة والمجادلة ، وفي السيرة النبوية ١/١٩٦ « حتى تحاوزوا وتحالفوا » أي : صاروا فرقاً ، وانحازت كل قبيلة إلى جهة .

وحكى السهيلي : أنها كانت تسع أذرع من عهد إسماعيل ، يعني ارتفاعها ، ولم يكن لها سقف ، فلما بنتها قريشٌ قبل الإسلام زادوا فيها تسعَ أذرع ، فكانت ثماني عشرة ذراعاً ، ورفعوا بابها عن الأرض ، فكان لا يُصعدُ إليها إلا في درج أو سُلّم ، وأوّل من عمل لها غَلَقاً[1] تُبّعُ ، ثم لما بناها ابنُ الزبير زاد فيها تسع أذرع ، فكانت سبعاً وعشرين ذراعاً ، وعلى هذا هي إلى الآن[2] .

وكان بناؤها في الدهر خمسَ مراتٍ ، الأولى : حين بناها شيث بن آدم ، والثانية : حين بناها إبراهيم على القواعد الأولى ، والثالثة حين بنتها قريش قبل الإسلام بخمسة أعوام ، والرابعة : حين احترقت في عهد ابن الزبير بشررة طارت من أبي قُبَيْس ، فوقعت في أستارها ، فاحترقت . وقيل : إن امرأة أرادت أن تجمِّرَها فطارتْ شرارةٌ من المجمرة في أستارها فاحترقت ، فشاورَ ابن الزبير في هدمها من حضره ، فهابوا هدمها ، وقالوا : نرى أن تصلحَ ماوهَى ولا تهدم . فقال : لو أن بيتَ أحدكم احترق لم يرض له إلا بأكمل إصلاح ، ولا يكمل إصلاحُها إلا بهدمها ، فهدمَها حتى انتهى إلى قواعد إبراهيم ، فأمرهم أن يزيدوا في الحفر ، فحرَّكوا حجراً منها فرأوا تحته ناراً وهولاً أفزعهم ، فأمرهم أن يُقرُّوا القواعدَ وأن يبنوا من حيث انتهى الحفر . وفي الخبر أنه سترها حين وصل إلى القواعد ، فطاف الناس بتلك الأستار ، فلم تخلُ من طائف ، حتى لقد ذُكر أن يوم قتل ابن الزبير اشتدت الحربُ واشتغلَ الناس فلم يُر طائفٌ يطوف بالكعبة إلا جملٌ يطوف بها . فلما استتمَّ بنيانَها ألصق بابها بالأرض وعمل لها خَلْفاً ، أي باباً آخر من ورائها ، وأدخلَ الحِجْر فيها ، وذلك لحديث حدَّثته به خالتُه عائشة ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ألم تري قومَكِ حين بنوا الكعبةَ اقتصروا على قواعد إبراهيم حين عجزتْ بهم النفقةُ ؟. ثم قال عليه الصلاة والسلام : لولا حِدْثَان[3] قومِك بالجاهلية لهدمتها وجعلت لها خَلْفاً ، وألصقتُ

---

(١) « غَلَقاً » : المِغْلاق ، وهو ما يُغلق به الباب .

(٢) الروض الأنف ١/٢٢١ .

(٣) « حِدْثان » : بكسر الحاء وسكون الدال ، أي قرب عهدهم بها . وهو مصدر حدث ، يقال : حدث حدوثاً وحِدثاناً ، كوجد وجداً ووجداناً .

بابها بالأرض ، ولأدخلت الحِجْرَ فيها[1] » أو كما قال عليه الصلاة والسلام . قال ابن الزبير : فليس بنا اليوم عجز عن النفقة ، فبناها على مقتضى حديث عائشة .

فلما قام عبد الملك بن مروان قال : لسنا من تخليط أبي خُبيب بشيء ، فهدمَها وبناها على ما كانت عليه في عهد رسول الله ﷺ : فلما فرغَ من بنائها جاءه الحارثُ بن أبي ربيعة المعروف بالقُبَاع ، وهو أخو عمر بن أبي ربيعة الشاعر ومعه رجل آخر ، فحدَّثاه عن عائشة عن رسول الله ﷺ بالحديث المتقدم ، فندمَ وجعلَ ينكت في الأرض بمِخْصَرة[2] في يده ويقول : وَدِدْتُ أني تركتُ أبا خبيب وما تحمَّلَ من ذلك . فهذه المرة الخامسة .

فلما قامَ أبو جعفر المنصور أراد أن يبنيها على ما بناها ابنُ الزبير ، وشاورَ في ذلك . فقال له مالك بن أنس ، أُنشُدك الله يا أمير المؤمنين وأن تجعل[3] هذا البيت ملعبةً للملوك بعدكَ ، لا يشاءُ أحدٌ منهم أن يُغيِّره إلا غيَّره ، فتذهبَ هيبتُه من قلوب الناس ، فصرَفه عن رأيه فيه[4] .

وقد قيل : إنه بُني في أيام جُرهم مرة أو مرتين ؛ لأن السيل كان قد صدعَ حائطَه ولم يكن ذلك بنياناً ، وإنما كان إصلاحاً لما وهى منه وجداراً يبنى بينه وبين السيل ، بناه عامر الجادر .

وكانت الكعبةُ قبل أن يبنيها شيث عليه السلام خيمةً من ياقوتة حمراء يطوفُ بها آدم ويأنس بها ؛ لأنها أُنزلت إليه من الجنة . وكان قد حجَّ إلى موضعها من الهند . وقد قيل أيضاً : إن آدمَ هو أوَّل من بناها . ذكره ابن إسحاق في غير رواية البكّائيّ . وفي الخبر

---

(١) رواه البخاري في الحج (باب فضل مكة وبنيانها) رقم /١٥٨٥/ ، ومسلم في الحج (باب نقض الكعبة وبنائها) رقم /١٣٣٣/ ، والموطأ في الحج (باب ما جاء في بناء الكعبة) ٣٦٣/١ ، والنسائي في الحج (باب بناء الكعبة) ٢١٤/٥ — ٢١٦ ، وهو عند أحمد في المسند ١١٣/٦ — ١٧٧ .

(٢) « مِخْصَرة » : ما يُتوكأ عليها كالعصا ونحوها ، وقضيب يُشار به في أثناء الخطابة والكلام .

(٣) « وأن تجعلَ » : معطوف على منفي محذوف ، والتقدير : أنشدك الله أن لا تفعل وأن تجعلَ ... إلخ .

(٤) الروض الأنف ، للسهيلي ٢٢١/١ — ٢٢٢ .

أن موضعها كان غُثاءةً[1] على الماء قبل أن يخلق الله السمٰوات والأرض ، فلما بدأ الله يخلقُ الأشياءَ خلقَ التربةَ قبل السماء ، فلما خلق السماءَ وقضاهنَّ سبعَ سماواتٍ دَحَى الأرض ، أي : بسطها ، وذلك قوله سبحانه وتعالى ﴿ والأرضَ بعدَ ذلك دَحَاهَا ﴾ [النازعات : ٣٠] . وإنما دحَاهَا من تحت مكة ، ولذلك سُميت أم القرى . وفي التفسير : أن الله سبحانه حين قال للسماواتِ والأرض ﴿ ائتيا طَوْعاً أو كَرْهاً قالتَا أتَيْنا طَائِعين ﴾ [فصلت : ١١] لم يُجبْه بهذه المقالة إلا أرض الحرم ، فلذلك حرَّمها . وفي الحديث « أن الله حرَّم مكة قبلَ أن يخلقَ السماوات والأرض »[2] الحديث[3] .

* * *

(١) « غثاءة » : ما يحمله السيل من رغوة ومن فتات الأشياء على وجه الأرض ، وجمعها : أغثاء .
(٢) رواه البخاري في العلم (باب ليبلِّغ العلمَ الشاهد الغائبَ) رقم /١٠٤/ ، ومسلم في الحج (باب تحريم مكة وصيدها ..) رقم /١٣٥٣/ ، والترمذي في الحج (باب ماجاء في حرمة مكة) رقم /٨٠٩/ ، وابن ماجه في المناسك (باب فضل مكة) رقم /٣١٠٨/ ، وهو عند أحمد في المسند ٢٥٣/١ ، ٢٥٩ .
(٣) الروض الأنف ؛ للسُهيلي ٢٢٢/١ .

ذكر شيء مما حُفظ عن الأحبار والرهبان والكهان
وعبدة الأصنام مِن أمر رسول الله ﷺ سوى ما تقدم

قال ابن إسحاق : وكانت الأحبارُ من يهود ، والرهبان من النصارى ، والكهان من العرب ، قد تحدَّثوا بأمر رسول الله ﷺ قبلَ مبعثه لما تقاربَ من زمانه . أما الأحبار من يهود والرهبان من النصارى فعما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه ، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه . وأما الكهان من العرب فأتتهم به الشياطين فيما تسترق من السمع ؛ إذ كانت لا تُحجبُ عن ذلك ، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض أموره ، ولا تُلقي العرب لذلك فيه بالاً ، حتى بعثه الله ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون فعرفوها ، فلما تقاربَ أمر رسول الله ﷺ وحضرَ مبعثُه حُجبت الشياطين عن السمع وحِيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعدُ فيها لاستراقه ، فرُموا بالنجوم ، فعرف الجنُّ أن ذلك لأمر حدث من أمر الله في العباد . يقول الله تعالى لنبيِّه محمد ﷺ حين بعثه يقصُّ عليه خبرهم إذ حُجبوا : ﴿ قل أُوحِيَ إليَّ أنه استمعَ نفرٌ من الجنِّ فقالوا إنَّا سمعنا قرآناً عجباً . يهدي إلى الرُشْدِ فآمنا به ولن نُشركَ بربِّنا أحداً . وأنَّه تعالى جَدُّ رَبِّنا ما اتَّخَذَ صاحبَة ولا وَلَداً . وأنه كان يقولُ سفيهُنا على الله شَطَطَاً . وأنا ظَنَنا أن لن تقولَ الإنسُ والجِنُّ على الله كَذِباً . وأنه كانَ رجالٌ من الإنسِ يَعوذُون برجالٍ من الجِنِّ فزادُوهم رَهَقاً . وأنَّهم ظَنُّوا كما ظننتُم أن لن يبعثَ الله أحداً . وأنا لَمَسْنَا السماءَ فوجدنَاها مُلِئَتْ حَرَساً شديداً وشُهُباً . وأنَّا كُنَّا نقعدُ منها مقاعدَ للسَّمع فمنْ يَستمعِ الآنَ يجِدْ له شهاباً رَصَداً . وأنَّا لا ندري أشرٌّ أُريدَ بمن في الأرضِ أم أرادَ بهم ربُّهم رَشَداً ﴾ [الجن : ١-١٠] .

فلما سمعت الجن القرآن عرفت أنها منعت من السمع قبل ذلك لئلا يُشكلَ الوحي بشيءٍ من خبر السماء فيُلبس على أهل الأرض ما جاءَهم من الله فيه لوقوع الحجة وقطع الشبهة ، فآمنوا به وصدَّقوا ثم ﴿ وَلَّوا إلى قومِهم مُنذرين . قالوا يا قومَنا إنَّا سَمِعْنَا كتاباً أُنزلَ من بعد موسى مُصَدِّقاً لما بَينَ يديْه يَهدي إلى الحقِّ وإلى طَريقٍ مُستقيم ﴾

[الأحقاف : ٢٩ ـ ٣٠][1]. وقول الجنّ ﴿ وأنّه كانَ رِجالٌ من الإنسِ يَعوذونَ برجالٍ من الجِنِّ ﴾ الآية [الجن : ٦] هو أنَّ الرجلَ من العرب من قريش وغيرهم كان إذا سافر فنزلَ بطنَ وادٍ من الأرض ليبيتَ فيه قال : إني أعوذ بعزيز هذا الوادي من الجِنِّ الليلة من شرِّ ما فيه .

وذكر أن أوَّلَ العرب فزِعَ للرمي بالنجوم حين رُمي بها ثقيف ، وأنهم جاؤوا إلى رجل منهم يُقال له عمرو بن أمية أحد بني عِلاج ، وكان أدهى العرب وأمكرها[2] رأياً . فقالوا له : يا عمرو ! ألم ترَ ما حدث في السماء من القذف بهذه النجوم ؟ قال : بلى ، فانظروا فإن كانت معالم النجوم التي يُهتدى بها في البرِّ والبحر ، ويُعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء لما يُصلح الناس في معايشهم هي التي يُرمى بها ، فهو والله طيُّ هذه الدنيا وهلاكُ هذا الخلق الذي فيها ، وإن كانت نجوماً غيرَها وهي ثابتة على حالها ، فهذا لأمرٍ أرادَ الله بهذا الخلق[3] .

وقد روى أبو عمر النمَري من طريق أبي داود ، حدثنا وهب بن بقية ، عن خالد ، ح[4] وحدثنا محمد بن العلاء ، عن ابن إدريس[5] ، كلاهما عن حُصين ، عن عامر الشعبي ، قال : لما بُعث النبيُّ ﷺ رُجمتِ الشياطينُ بنجوم لم يكن يُرجم بها قبلُ . فأتوا عبدَ يا ليل بن عمرو الثقفي ، فقالوا : إنَّ النَّاسَ قد فَزِعوا ، وقد أعتقوا رقيقَهم وسيَّبوا أنعامَهم لما رأوا في النجوم . فقال لهم : وكان رجلاً أعمى ، لا تعجلوا وانظروا ، فإن كانت النجومُ التي تُعرف فهي عند فناء الناس ، وإن كانت لا تُعرف فهو من حدثٍ .

(١) الآيتان من سورة الأحقاف رقم ٢٩ و٣٠ وأولهما : ﴿ وإذْ صَرَفْنَا إليكَ نَفَراً من الجِنِّ يستمعون القرآنَ فلمَّا حَضَرُوه قالوا أنصتوا فلما قُضِيَ وَلَّوا إلى قومهم مُنذرين ... ﴾ .

(٢) كذا في الأصل وفي « ب » ، أما في « ج » و« د » والسيرة النبوية ٢٠٦/١ « وأنكرها رأياً » من قولهم : نَكِرَ فلان نَكَراً ونُكراً ونكارةً : فَطِن وجاد رأيه .

(٣) السيرة النبوية ٢٠٤/١ ـ ٢٠٧ وفي نهاية الخبر « فهذا لأمرٍ أرادَ اللهُ بهذا الخلق ، فما هو ؟ » .

(٤) « ح » تحويل السند .

(٥) ابن إدريس : هو عبد الله بن إدريس بن يزيد الأودي ، أحد الأعلام ، روى عن أبيه ، وعن داود وحصين وهشام بن عروة ، وروى عنه أحمد وإسحاق والعطاردي وغيرهم ، روى له الجماعة . توفي سنة ١٩٣هـ . نور النبراس لوحة ١١٧/١ .

فنظروا فإذا هي نجومٌ لا تُعرف . فقالوا : هذا من حدثٍ . فلم يلبثوا حتى سمعوا بالنبيِّ ﷺ[1] .

ورويّنا من طريق مسلم ، حدثنا الحسن بن علي الحلواني ، وعبد بن حُميد ، قال حسن : حدثنا يعقوب ، وقال عبد : حدثني يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، حدثنا أبي ، عن صالح ، عن ابن شهاب ، قال : حدثني عليُّ بن حُسين أنَّ عبدَ الله بن عباس قال : أخبرني رجلٌ من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار ، أنهم بينما هم جلوسٌ ليلةً مع رسول الله ﷺ رُمي بنجمٍ فاستنار ، فقال لهم رسول الله ﷺ : « ما كنتُم تقولون في الجاهلية إذا رُمي بمثل هذا ؟ » قالوا : الله ورسولُه أعلمُ ، كنَّا نقولُ : وُلد الليلةَ رجلٌ عليمٌ وماتَ رجلٌ عظيم . فقال رسول الله ﷺ : « فإنها لا يُرمى بها لموتِ أحدٍ ولا لحياتِه ، ولكنَّ ربَّنا تباركَ اسمُه إذا قضى أمراً سبَّح حملةُ العرش ، ثم سبَّح أهلُ السماء الذين يَلونهم ، حتى يبلغَ التسبيحُ أهلَ هذه السماءِ الدنيا ، ثم قال الذين يَلُون حملةَ العرش لحملةِ العرشِ : ماذا قالَ ربُّكم ؟ فيُخبرونَهم ماذا قال . فيستخبرُ بعضُ أهل السماوات بعضاً حتى يبلغَ الخبرُ هذه السماء الدنيا ، فتخطفُ الجِنُّ السمعَ فيقذفونَ إلى أوليائهم ، ويُرمون ، فما جاؤوا به على وجهه فهو حقٌّ ، ولكنَّهم يَقذفونَ فيه ويَزيدون »[2] .

أخبرنا أبو محمد بن إسماعيل المسكي قراءةً عليه وأنا أسمعُ ، أخبرنا أبو عبد الله بن أبي المعالي بن محمد بن الحسين نزيل الاسكندرية سماعاً ، أخبرنا أحمد بن محمد الشافعي قراءة عليه وأنا أسمع ، أخبرنا أحمد بن علي بن الحسين ، أخبرنا الحسن بن أحمد ، أخبرنا عبد الله ابن جعفر ، أخبرنا يعقوب بن سفيان ، حدثنا يوسف بن حماد[3] المَعْنِي ، حدثنا

(١) الخبر مرسل من كلام الشعبي ، قال في « نور النبراس » : وهذا ليس في شيء من الكتب الستة ، ولا في مراسيل أبي داود ، والله أعلم . لوحة ١١٨ .

(٢) رواه مسلم في كتاب السلام (باب تحريم الكِهانة وإتيان الكهان) رقم /٢٢٢٩/ والترمذي في التفسير (باب ومن سورة سبأ) رقم /٣٢٢٢/ ، وهو عند أحمد في المسند رقم /١٨٨٢/ و/١٨٨٣/ تخريج وشرح الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى .

(٣) يوسف بن حماد : المَعْني ، نسبة إلى مَعْن بن زائدة ، وهو جدُّه ، روى عن حماد بن زيد وعبد الوارث ، وعنه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة ، ثقة توفي سنة ٢٤٨ هـ . نور النبراس لوحة ١/١١٨ .

عبد الأعلى ، عن محمد بن إسحاق ، ح وروينا من طريق البكّائي ، عن ابن إسحاق ، ومعناهما واحد ، وهذا اللفظ للبكّائي عن ابن إسحاق ، قال : وحدثني صالح[1] بن إبراهيم ، عن محمود بن[2] لبيد ، عن سلمةَ بن سلامة بن وَقْش[3] ، وكان من أصحاب بدر ، قال : كان لنا جارٌ من يهود من بني عبد الأشهل ، فذكرَ القيامةَ والبعثَ والحسابَ والميزانَ والجنَّةَ والنَّار ، فقال ذلك لقومٍ أهلِ شركٍ أصحابِ أوثانٍ لا يرون أن بعثاً كائن بعد الموت . فقالوا له : ويحك يا فلان ! أوترى هذا كائناً أن النَّاسَ يُبعثون بعد موتهم إلى دارٍ فيها جنّة ونار يُجزون فيها بأعمالهم ؟! قال : نعم والذي يُحلف به ، ولودَّ أن له بحظِّه من تلك النَّار أعظمَ تنور في داره يَحمُونه ثم يُدخلونه إياه فيُطبقونَه عليه بأن ينجوَ من تلك النَّار غداً . فقالوا له : ويحك يا فلان ! وما آيةُ ذلك ؟ قال : نبيٌّ مَبعوثٌ من نحو هذه البلاد وأشارَ بيده إلى مكة واليمن . فقالوا : ومتى[4] نراه ؟ فنظر إلي وأنا من أحدثهم سِنَّاً ، فقال : إن يستنفدْ هذا الغلامُ عمرَه يُدركْه . قال سلمة : فوالله ما ذهبَ الليل والنَّهار حتى بعثَ الله رسولَه محمداً ﷺ وهو بين أظهرنا ، فآمنا به وكفرَ به بغيَاً وحَسَداً ، فقلنا له : ويحك يا فلان : ألستَ الذي قلتَ لنا فيه ما قلتَ ؟ قال : بلى ولكنْ ليس به[5] .

وروينا عن محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني الحجاج بن صفوان ، عن أبي حسين ، عن شهر بن حَوْشب ، عن عمرو بن عَبَسة السُّلَمي قال : رغبتُ عن آلهة قومي في الجاهلية ، وذلك أنَّها باطلٌ ، فلقيتُ رجلاً من أهل الكتاب من

---

(١) صالح بن إبراهيم : بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، أبو عبد الرحمن المدني ، ثقة ، روى له البخاري ومسلم ، توفي قبل سنة مائة وعشرين ، في ولاية إبراهيم بن هشام . تقريب التهذيب ص ٢٧١ .

(٢) محمود بن لبيد : أخي بَني عبد الأشْهل ، أبو نعيم المدني ، صحابي صغير ، وجُلُّ روايته عن الصحابة ، توفي سنة ٩٦ هـ . تقريب التهذيب ص ٥٢٢ .

(٣) وَقْش : بفتح الواو والقاف ، وإسكانها ، وبالشين المعجمة ، وسلمة : صحابي عقَبيّ بدريّ مشهور رضي الله عنه . نور النبراس لوحة ١/١١٨ .

(٤) في « ج » و « د » : قالوا له : ومتى نراه ؟

(٥) السيرة النبوية ٢١٢/١ ، ودلائل النبوة ؛ للبيهقي ٧٨/٢ — ٧٩ ، وأخرجه أحمد في المسند ٤٦٨/٣ عن يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا أبي ، عن ابن إسحاق ، فذكره .. كما أخرجه الحاكم في المستدرك ٤١٧/٣ وقال : صحيح على شرط مسلم ، وأقره الذهبي .

أهل تَيْمَاء ، فقلت : إني امرؤ ممن يعبدُ الحجارةَ ، فينزلُ الحيُّ ليس معهم إلّه ، فيخرجُ الرجلُ منهم فيأتي بأربعةِ أحجارٍ فينصبُ ثلاثةً لقدرِه ويجعلُ أحسنَها إلّهاً يعبدُه ، ثم لعلّه يجدُ ما هو أحسنَ منه قبل أن يرتحلَ فيتركَه ويأخذَ غيرَه إذا نزلَ منزلاً سواه ، فرأيتُ أنه إلّه باطلٌ لا ينفعُ ولا يضرُّ ، فدلّني على خير من هذا . فقال : يخرجُ من مكة رجلٌ يرغبُ عن آلهة قومه ويدعو إلى غيرها ، فإذا رأيتَ ذلك فاتَّبِعْه ، فإنه يأتي بأفضلِ الدين . فلم يكن لي همّة منذ قال لي ذلك إلا مكة ، فآتي فأسأل هل حدثَ فيها حدثٌ ؟ فيقال لا . ثم قدمت مرة فسألت ، فقالوا : حدث فيها رجل يرغب عن آلهة قومه ، ويدعو إلى غيرها ، فشددت راحلتي برحلها ، ثم قدمت منزلي الذي كنت أنزل بمكة ، فسألت عنه فوجدته مستخفياً ، ووجدت قريشاً عليه أشداء ، فتلطفت له حتى دخلت عليه ، فسألته فقلت : أي شيء أنت ؟ قال : نبي . قلت : ومن أرسلك ؟ قال : الله . قلت : وبم أرسلك ؟ قال : بعبادة الله وحده لا شريك له ، وبحقن الدماء ، وبكسر الأوثان ، وصلة الرحم ، وأمان السبيل . فقلت : نعم ما أُرسلت به ، قد آمنت بك وصدقتك . أتأمرني أن أمكث معك أو أنصرف ؟ فقال : ألا ترى كراهة الناس ما جئتُ به ، فلا تستطيع أن تمكث ، كن في أهلك ، فإذا سمعت بي قد خرجت مخرجاً فاتبعني ، فمكثت في أهلي حتى إذا خرج إلى المدينة سرت إليه فقدمت المدينة ، فقلت : يا نبي الله ! أتعرفني ؟ قال : نعم أنت السُّلَمي الذي أتيتني بمكة وذكر باقي الحديث[1] .

وروينا عن ابن إسحاق قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة[2] ، عن رجال من قومه قالوا : إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله لنا وهداه ، ما كنا نسمعُ من أحبار يهود ، كنّا أهلَ شرك أصحابَ أوثان ، وكانوا أهلَ كتاب ، عندهم علم ليس لنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا نلنا منهم بعضَ ما يكرهون قالوا لنا : إنه قد تقاربَ زمانُ نبيٍّ يُبعث الآن يقتلُكُم قتلَ عاد وإرم ، فكنّا كثيراً ما نسمعُ ذلك منهم ، فلما بعثَ الله

(١) الطبقات الكبرى ٢١٤/٤ .

(٢) عاصم بن عمر بن قتادة : بن النعمان ، أبو عمر الظَّفري الأنصاري المدني ، جده من فضلاء الصحابة ، حدث عن ابن إسحاق ، وكان عارفاً بالمغازي ، وثقه أبو زرعة والنسائي وغيرهما ، توفي سنة ١١٩ هـ . انظر سير أعلام النبلاء ٢٤٠/٥ .

رسولَه محمداً ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله عز وجل ، وعرفنا ما كانوا يتواعدُوننا به ، فبادرناهم إليه فآمنا به وكفروا ، ففي ذلك نزلتْ هذه الآيات في البقرة ﴿ ولما جَاءَهم كتابٌ من عند الله مُصَدِّقٌ لِما معهم وكانُوا من قبلُ يستفتحونَ على الذين كفروا فلما جاءَهم ما عَرفوا كفروا به فلعنةُ الله على الكافرين ﴾[١] [البقرة : ٨٩] .

وذكر الواقديُّ عن عطاء بن يسار ، قال : لقيتُ عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقلت : أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة . قال : أجل ، والله إنه لموصوفٌ في التوراة ببعض صفته في القرآن ، يا أيُّها النبيُّ إنا أرسلناكَ شاهداً ومُبَشِّراً ونذيراً وحِرزاً للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سمَّيتك المتوكل ، ليس بفظٍّ ولا غليظ ولا سَخَّابٍ في الأسواق ، ولا يدفعُ السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضَه الله حتى يُقيمَ به المِلَّة العَوْجَاءَ بأن يقولوا لا إله إلا الله ، يفتحُ بها أعيناً عمياً ، وآذاناً صُمَّاً ، وقُلوباً غُلْفاً . قال عطاء : ثم لقيتُ كعبَ الأحبار فسألْتُه فما اختلفا في حرف[٢] .

وروينا عن ابن إسحاق قال : وحدثني عاصم بن عمر ، عن شيخ من بني قريظة ، قال : قال لي : هل تدري عمَّ كان إسلامُ ثعلبة بن سَعْيَة ، وأُسيد بن سعية[٣] ، وأُسيد ابن عُبيد ، نفر من هَدْل[٤] ، إخوة قريظة ، كانوا معهم في جاهليتهم ، ثم كانوا ساداتهم في الإسلام ؟ قال : قلت : لا . قال : فإن رجلاً من يهود من أهل الشام يقال له ابن الهَيِّبان ، قدم علينا قبل الإسلام بسنين ، فحلَّ بين أظهرنا ، لا والله ما رأينا رجلاً قط لا يُصلِّي الخمسَ[٥] أفضل منه ، فأقام عندنا فكنا إذا قَحِط المطر قلنا له : اخرج يا ابن

---

(١) السيرة النبوية ٢١١/١ — ٢١٢ .

(٢) طبقات ابن سعد ٣٦٢/٢ ، وفي إسناده الواقدي ضعيف ، وفي مسند الإمام أحمد أن وَهْبَ بن عبد الله سأل عبد الله بن عمرو بن العاص ، وفي الإسناد ابن لهيعة ضعيف أيضاً ، وعَلَّق البخاري في البيوع سؤال عطاء لعبد الله بن سلام ، ووصله ابن حجر في تغليق التعليق ٢٣٤/٣ وقال : ولحديث ابن سلام شاهد رواه ابن سعد في الطبقات . وانظر المسند ١٧٤/٢ .

(٣) أُسيد بن سعية : كذا في الأصول ، وقيل أسد ، أو أُسَيْد . نور النبراس لوحة ١٢١ .

(٤) بنو هَدْل : فرع مستقل من يهود ، كانوا على حلف مع بني قُريظة .

(٥) « لا يُصلِّي الخمس » : يريد ما رأينا رجلاً غير مسلم أفضل منه .

الهَيِّبان فاستسق لنا . فيقول : لا والله حتى تقدموا بين يدي نجواكم صدقة . فنقول له : كم ؟ فيقول : صاعاً من تمر أو مدين من شعير ، فنخرجها ، ثم يخرج بنا إلى ظاهر حرتنا فيستسقي لنا ، فوالله ما يبرح مجلسَه حتى يمرَّ السحابُ ونُسقى ، قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث ، ثم حضرته الوفاة عندنا ، فلما عرف أنه ميت قال : يا معشر يهود ! ما ترونه أخرجني من أمر الخمر[1] والخمير إلى أرض البؤس والجوع ، فقلنا : أنت أعلم . قال : فإنما قدمت هذه البلدة أتوَكَّفُ[2] خروج نبي قد أظلَّ زمانه ، وهذه البلدة مهاجره ، فكنت أرجو أن يبعث فأتّبعه ، وقد أظلكم زمانه ، فلا تسبقن إليه يا معشر يهود ، فإنه يُبعث بسفك الدماء ، وسبي الذراري والنساء ممن خالفه ، فلا يمنعنكم ذلك منه ، فلما بَعث الله رسوله محمداً ﷺ وحاصر بني قريظة ، قال هؤلاء الفتية ــ وكانوا شباناً أحداثاً ــ : يا بني قريظة ؛ والله إنه للنبي الذي عهد إليكم فيه ابن الهَيِّبان . قالوا : ليس به . قالوا : بلى والله إنه لهو بصفته ، فنزلوا وأسلموا ، فأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم[3] .

وذكر الواقدي عن النعمان السَّبَئي[4] ، قال : وكان من أحبار يهود باليمن ، فلما سمع بذكر النبي ﷺ قدم عليه ، فسأله عن أشياء . ثم قال : إن أبي كان يختم على سِفْرٍ يقول : لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبيٍّ قد خرج بيثربَ ، فإذا سمعت به فافتحه . قال نعمان : فلما سمعت بك فتحت ذلك السفر فإذا فيه صفتك كما أراك الساعة ، وإذا فيه ما تُحِلُّ وما تُحَرِّم ، وإذا فيه أنك خيرُ الأنبياء ، وأمتك خير الأمم ، واسمك أحمد صلى الله عليك

---

(١) « الخمَر » : بفتح الميم ، ومثلها : الخَمَار : الجماعة الكثيرة من الناس ، والعبارة تشير إلى ما كان عليه في بلاده في وَفْر ووفرة .

(٢) « أَتَوَكَّفُ » : من قولهم : توكَّف فلان الخبر : توقعه وسأل عنه .

(٣) السيرة النبوية ٢١٣/١ ــ ٢١٤ . ودلائل النبوة ؛ لأبي نُعيم ٢٣/٢ ــ ٢٤ وللبيهقي ٨٠/٢ ــ ٨١ عن ابن إسحاق ، وفي إسناده انقطاع ، فهو ضعيف .

(٤) « السَّبَئي » : نسبة إلى سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

وسلم ، وأمتك الحمّادون ، قربانهم[1] دماؤهم ، وأناجيلهم[2] صدورهم ، لا يحضرون قتالاً إلا وجبريل معهم ، يتحنن الله عليهم كتحنن الطير على أفراخه ، ثم قال لي : إذا سمعت به فاخرجْ إليه وآمن به وصدق به ، فكان النبي ﷺ يحب أن يسمع أصحابُه حديثَه ، فأتاه يوماً فقال له النبي ﷺ : يا نعمان ! حدثنا . فابتدأ النعمان الحديث من أوله ، فرئيَ رسولُ الله ﷺ يتبسم ثم قال : أشهد أني رسول الله . ويُقال : إن النعمان هذا هو الذي قتله الأسود العنسي ، وقطّعه عضواً عضواً وهو يقول : أشهد أن محمداً رسول الله وأنك كذاب مفتر على الله عز وجل ، ثم حرّقه بالنار[3] .

أخبرنا الشيخان أبو الفضل عبد الرحيم بن يوسف بن يحيى المَوْصلي ، وأبو الهيجاء غازي بن أبي الفضل بن عبد الوهاب قراءة على الأول وأنا أسمع ، وبقراءتي على الثاني ، قالا : أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن معمر بن طبرزد الدارَقَزّي[4] قراءةً عليه ، قال الأول : وأنا في الخامسة ، وقال الثاني : وأنا أسمعُ . قال : أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحصين الشيباني ، قال : أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان البزاز ، قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي ، حدثنا محمد بن يونس ، حدثنا يعقوب بن محمد الزهري ، حدثنا عبد العزيز بن عمران ، عن عبد الله بن جعفر ، عن أبي عون ، عن المسور بن مخرمة ، عن ابن عباس ، عن أبيه العباس ابن عبد المطلب ، قال : قال لي أبي عبد المطلب بن هاشم : خرجتُ إلى اليمن في رحلة الشتاء والصيف ، فنزلت على رجل من اليهود يقرأ الزبور[5] ، فقال : يا عبد المطلب بن

---

(١) « قربانهم دماؤهم » : يتقربون إلى الله تعالى بإراقة دمائهم في الجهاد .
(٢) في « ج » و« د » وهامش « ب » : أناجيلهم في صدورهم .
(٣) الطبقات الكبرى ٥/٥٣٥ .
(٤) الدارَقَزّي : نسبة إلى دار القز ، محلة ببغداد ، لبيع القز ؛ كالدارقطنيّ منسوباً إلى دار القطن ، وهو عمر ابن محمد بن معمر بن أحمد بن يحيى ، أبو حفص البغدادي ابن طبرزد . انظر سير أعلام النبلاء ٢١/٥٠٧ .
(٥) « الزبور » : هو في اللغة بمعنى الكتاب ، والمراد به هنا : التوراة كتاب اليهود ، لا زبور داود عليه السلام .

هاشم ! ائذن لي أنظر في بعض جسدك . قال : قلت انظر ما لم يكن عورة . قال : فنظر في مَنْخِري ، قال : أجد في إحدى منخريك مُلْكاً وفي الأخرى نبوّة ، فهل لك من شاعة ؟ قال : قلت : وما الشاعة ؟ قال : الزوجة . قال : قلت : أما اليوم فلا . قال : فإذا قدمت مكة فتزوج . قال : فقدم عبد المطلب مكة فتزوج هالة بنت وهيب بن زُهرة ، فولدت له حمزة وصفية ، وتزوج عبد الله آمنة بنت وهب ، فولدت له رسولَ الله ﷺ ، فكانت قريش تقول : فلج[1] عبد الله على أبيه .

* * *

(١) « فَلَجَ » : ظهرَ وفازَ .

خبر إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه[1]

روينا عن ابن إسحاق ، قال : حدثني عاصم[2] ، عن محمود ، عن ابن عباس قال : حدثني سلمان الفارسي من فِيه ، قال : كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان من قرية يُقال لها جَيّ[3] ، وكان أبي دِهْقان[4] قريته ، وكنتُ أحبَّ خلق الله إليه ، ولم يزل حبُّه إياي حتى حبسني في بيت كما تُحبس الجارية ، واجتهدت في المجوسية حتى كنت قَطِنَ[5] النار الذي يُوقدها ، لا يتركها تخبو ساعة ، وكانت لأبي ضيعة عظيمة ، فشغل في بنيان له يوماً ، فقال لي : يا بني إني قد شغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي ، فاذهب إليها فاطْلُعها[6] ، وأمرني فيها ببعض ما يريد ، ثم قال لي : ولا تحتبس عني فإنك إن احتبست عني كنت أهم إلي من ضيعتي ، وشغلتني عن كل أمر من أمري . فخرجتُ أريد ضيعته التي بعثني إليها ، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى ، فسمعت أصواتهم فيها وهم يُصلّون ، وكنت لا أدري ما أمرُ الناس ، لحبس أبي إياي في بيته ، فلما سمعتُ أصواتهم دخلتُ عليهم أنظرُ ما يصنعون ، فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ، ورغبت في أمرهم وقلت هذا والله خير من الذي نحن عليه ، فوالله ما برحتُهم حتى غربت الشمس ، وتركت ضيعة أبي فلم آتها ، ثم قلت لهم أين أصلُ هذا الدين ؟ قالوا : بالشام . فرجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي ، وشغلته عن عمله كله ، فلما جئته قال : أي بني ! أين كنتَ ؟ ألم أكن عهدتُ إليك ما عهدتُ ؟ قلت : يا أبت ! مررت بالناس يُصلُّون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيتُ من

---

(١) كذا في « ج » وفي « أ » و « ب » : خبرُ سلمان الفارسيّ . وفي « د » ونور النبراس : إسلامُ سلمانَ الفارسيّ .

(٢) عاصم : هو عاصم بن عمر بن قتادة الإمام العلامة في المغازي ، تقدمت ترجمته .

(٣) « جَيّ » : في معجم البلدان ٢/٢٠٢ اسم مدينة في ناحية أصبهان القديمة ، وتسمى الآن « شهرستان » .

(٤) « دِهقانُ قريته » : رئيس القرية ، وهو صاحب أملاك زراعية وأتباع .

(٥) « قَطِنَ النار » : خادمها .

(٦) « فاطْلُعْها » : انظر فيها .

دينهم ، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس . قال : أي بني ! ليس في ذلك الدين خيرٌ ، دينك ودين آبائك خيرٌ منه . فقلت له : كلا والله ، إنه لخير من ديننا . قال : فخافني ، فجعلَ في رجليَّ قيداً ، ثم حبسني في بيته .

(رحلته في طلب الحق) :

وبعثت إلى النصارى ، فقلت لهم : إذا قدم عليكم ركبٌ من الشام فأخبروني بهم . فقدم عليهم تجارٌ من النصارى فأخبروني ، فقلت لهم : إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنوني بهم . قال : فلما أرادوا الرجعة أخبروني بهم ، فألقيتُ الحديدَ من رجليَّ ، ثم قدمتُ معهم حتى قدمتُ الشام .

(مع أسقف الشام) :

فلما قدمتُها قلت : مَنْ أفضلُ أهل هذا الدين علماً ؟ قالوا الأسقف[1] في الكنيسة . فجئتُه فقلت له : إني قد رغبت في هذا الدين ، وأحببت أن أكونَ معك ، فأخدمَك في كنيستك ، وأتعلَّم من علمك ، وأصلِّي معك . قال : ادخل فدخلت معه . فكان رجلَ سوءٍ يأمُرهم بالصدقة ويرغِّبهُم فيها ، فإذا جمعوا إليه شيئاً منها اكتنزَه لنفسه ولم يعطِه المساكين ، حتى جمعَ سبعَ قِلالٍ من ذهبٍ وورِق ، فأبغضتُه بغضاً شديداً لما رأيته يصنع ، ثم مات واجتمعت النصارى ليدفنوه . قلت لهم إن هذا كان رجلَ سوء يأمُركم بالصدقة ويرغبكم فيها ، فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ، ولم يعط المساكين منها شيئاً . فقالوا لي : وما علمُك بذلك ؟ قلت : أنا أدلُّكم على كنزه . فأريتُهم موضعَه ، فاستخرجوا سبعَ قلالٍ مملوءةٍ ذهباً وورِقاً ، فلما رأوها قالوا : والله لا ندفنه أبداً ، فصلبوه ورمَوْه بالحجارة .

وجاؤوا برجل آخر فجعلوه مكانه ، فما رأيت رجلاً لا يصلي[2] الخمس أُرى أنه أفضلُ منه ، وأزهدُ في الدنيا ، ولا أرغبُ في الآخرة ولا أدأبُ ليلاً ونهاراً منه ، فأحببته حباً لم أحبّه شيئاً قبله ، فأقمت معه زماناً ، ثم حضرته الوفاة ، فقلت له : يا فلان ! إني

---

(١) « الأسقفُ » : بتشديد الفاء وتخفيفها ، عالم رئيس ، من علماء النصارى ورؤسائهم .

(٢) انظر تعليقنا رقم (٥) ص ١٣٠ في شرح مثل هذه العبارة .

قد كنت معك وأحببتُك حباً شديداً لم أحبه شيئاً قبلك ، وقد حضركَ من الأمر ما ترى فإلى من تُوصي بي ؟ وبم تأمُرني ؟ فقال : أي بني ! والله ما أعلم أحداً على ما كنتُ عليه ، ولقد هلكَ الناس ، وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلاً بالمَوْصل ، وهو فلان ، وهو على ما كنتُ عليه .

(مع أسقف الموصل) :

فلما مات وغُيِّبَ لحقتُ بصاحب المَوْصل ، فقلت له : يا فلان ! إن فلاناً أوصاني عند موته أن ألحقَ بك ، وأخبرني أنك على أمره . فقال لي : أقم عندي ، فأقمت عنده ، فوجدته خيرَ رجلٍ ، على أمر صاحبه ، فلم يلبث أن مات ، فلما حضرته الوفاةُ قلت : يا فلان ! إن فلاناً أوصى بي إليك وأمرني باللحوق بك ، وقد حضرك من أمر الله ما ترى ، فإلى من توصي بي ؟ وبم تأمرني ؟ قال : يا بني والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بنَصِيبين ، وهو فلان ، فالحق به .

(مع أسقف نصيبين) :

فلما مات وغيِّب لحقت بصاحب نَصيبين ، فأخبرته خبري وما أمرني به صاحبي . فقال أقم عندي ، فأقمت عنده ، فوجدته على أمر صاحبه ، فأقمت مع خير رجل ، فوالله ما لبث أن نزل به الموت ، فلما حُضِرَ قلت له : يا فلان ؟ إن فلاناً كان أوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى من توصي بي ؟ وبم تأمرني ؟ قال : يا بني والله ما أعلم بقي أحدٌ على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلاً بعمُّوريّة من أرض الروم فإنه على مثل ما نحن عليه ، فإن أحببت فأته .

(مع أسقف عمّورية) :

فلما مات وغيِّب لحقت بصاحب عمّورية فأخبرته خبري . فقال : أقم عندي ، فأقمتُ عند خير رجل ، على هدي أصحابه وأمرهم ، واكتسبت حتى كانت لي بقرات وغُنيمة ، ثم نزل به أمر الله ، فلما حُضر قلت له:يا فلان إني كنت مع فلان فأوصى بي إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى من توصي بي ؟وبم

تأمرني ؟ قال : أي بني ! والله ما أعلمه أصبح على مثل ما كنا عليه أحد من الناس ، آمرك أن تأتيه ، ولكنه قد أظلَّ زمان نبي مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب ، مُهاجره إلى أرض بين حرتين بينهما نخل ، به علامات لا تخفى ، يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تلحقَ بتلك البلاد فافعل . ثم مات وغُيِّب .

(إلى وادي القرى) :

فمكثت بعمّورية ما شاء الله أن أمكثَ ، ثم مرَّ بي نفر من كلب تجار ، فقلت لهم : احملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه ، فقالوا : نعم . فأعطيتهموها وحملوني معهم ، حتى إذا بلغوا وادي القرى ظلموني ، فباعوني من رجل يهوديّ ، فكنت عنده ، فرأيتُ النخلَ ، فرجوتُ أن يكون البلدة التي وصف لي صاحبي ولم يحقَّ في نفسي[1] ؟

(في المدينة) :

فبينا أنا عنده إذ قدم عليه ابن عمٍّ له من بني قُريظة من المدينة ، فابتاعني منه ، فحملني إلى المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي ، فأقمتُ بها .

وبُعث رسولُ الله ﷺ ، وأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق ، ثم هاجر إلى المدينة ، فوالله إني لفي رأس عَذْقٍ[2] لسيدي أعمل له فيه بعض العمل ، وسيدي جالس تحتي ، إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه . فقال : يا فلان ! قاتل الله بني قَيْلة ، والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبيّ . فلما سمعتها أخذتني العُرَوَاء[3] ، حتى ظننت أني ساقط على سيدي ، فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك : ما تقول ؟ فغضب سيدي ولكمني لكمة شديدة ، ثم قال : مالك ولهذا ؟ أقبل على عملك . فقلت : لا شيء ، إنما أردت أن أستثبته عما قال .

---

(١) في « ج » و« د » : ولم يحقَّ عندي .

(٢) « عَذْق » : بفتح العين : النخلة ، وبكسرها : اسم للعرجون .

(٣) « العُرَوَاء » : الرِّعدة من البرد أو الحمَّى ، وفي « ج » و« د » : فأخذتني الرِّعدةُ العُرَوَاءُ .

(لقاؤه مع رسول الله ﷺ) :

وقد كان عندي شيء جمعته ، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء ، فدخلت عليه ، فقلت له : إنه قد بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة ، وهذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم أحقَّ به من غيركم ، فقربته إليه . فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : كلوا ، وأمسك يده فلم يأكل . فقلت في نفسي هذه واحدة ، ثم انصرفت عنه ، فجمعت شيئاً ، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة ، ثم جئته ، فقلت : إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها ، فأكل رسول الله ﷺ وأمر أصحابه فأكلوا معه ، فقلت في نفسي ، هاتان ثِنْتان . ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد قد تبعَ جنازة رجل[1] من أصحابه ، عليّ[2] شملتان لي ، وهو جالس في أصحابه ، فسلمت عليه ثم استدرتُ أنظرُ إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي ؟ فلما رآني رسولُ الله ﷺ استدبرته عرفَ أني أستثبت في شيء وُصف لي ، فألقى الرداءَ عن ظهره فنظرتُ إلى الخاتم فعرفتُه ، فأكببتُ عليه أُقَبِّلُه وأبكي . فقال[3] لي رسولُ الله ﷺ : تحوّل ، فتحولت فجلست بين يديه ، فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس . فأعجب رسولَ الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابه .

(مكاتبته) :

ثم شغل سلمانَ الرقُّ حتى فاتَه مع رسول الله ﷺ بدر وأحد . قال سلمان : ثم قال لي رسولُ الله ﷺ : كاتبْ يا سلمان ! فكاتبتُ صاحبي على ثلثمائة نخلة أُحييها له بالفقير[4] ، وأربعين أوقيّة ، فقال رسول الله ﷺ : أعينوا أخاكم ، فأعانوني بالنخل ، الرجل بثلاثين ودِيّة[5] ، والرجل بعشرين ودِيّة ، والرجل بخمس عشرة ، والرجل بعشر ،

---

(١) سقطت كلمة « رجل » من « ب » .

(٢) في « ج » و« د » : وقد تبعَ جنازةَ رجلٍ من أصحابه ، وعليَّ شملتان ...

(٣) « لي » سقطت من « ج » و « د » .

(٤) « الفقير » : البئر ، وفم الوادي . وكل حفرة تُحفر للفسيلة لتغرسَ فيها تُسمَّى فُقْرة وفقير .

(٥) « وَدِيّة » : الفسيلة من النخل .

يعين الرجلَ بقدر ما عنده ، حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودِيّة . فقال لي رسول الله ﷺ : اذهب يا سلمان ففقِّرْ[1] لها ، فإذا فرغت فأتني أكن أنا أضعُها بيدي ، فَفَقَّرْتُ ، وأعانني أصحابي ، حتى إذا فرغت جئته فأخبرته ، فخرج معي إليها ، فجعلنا نُقرِّبُ إليه الودِيّ ويضعُه رسول الله ﷺ بيده حتى فرغت ، فوالذي نفس سلمان بيده ما ماتَ منها وديّة واحدة ، فأديتُ النخلَ وبقي عليَّ المال ، فأُتي رسولُ الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن ، فقال : ما فعل الفارسيُّ المكاتب ؟ فدُعيت له ، فقال : خذ هذه فأدها مما عليك يا سلمان . قلت : وأين تقع هذه يا رسول الله مما عليَّ ؟ قال : خذها فإن الله سيؤدي بها عنك . فأخذتُها فوزنت لهم منها ، والذي نفس سلمان بيده أربعين أوقيّة ، فأوفيتُهم حقَّهم ، فشهدتُ مع رسول الله ﷺ الخندق (حُرّاً)[2] ثم لم يفتني معه مشهد[3] .

وذكر أبو عمر في خبر سلمان ، من طريق زيد بن الحباب ، قال : حدثني حسين ابن واقد ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه ، أن سلمانَ أتى رسول الله ﷺ ، وفيه : فاشتراه رسولُ الله ﷺ من قوم من اليهود بكذا وكذا درهماً ، وعلى أن يغرسَ لهم كذا وكذا من النخل ، يعمل فيها سلمان حتى تدركَ[4] ، فغرسَ رسولُ الله ﷺ النخل كلَّه

---

(١) « فَفَقِّرْ لها » : احفر لها موضعاً .
(٢) « حُرّاً » زيادة من « ج » و « د » والسيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٢١/١ .
(٣) خبر إسلام سلمان الفارسي في السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٤٧/١ — ٢٥٢ ، وطبقات ابن سعد ٧٥/٤— ٨٠ ، وصفة الصفوة ٥٢٣/١ — ٥٣٣ ، ودلائل النبوة ؛ للبيهقي ٨٢/٢ — ١٠٠ ، وحلية الأولياء ١٩٣/١ — ١٩٥ ، وتاريخ بغداد ١٦٥/١ — ١٦٩ ، وتهذيب تاريخ دمشق ١٩١/٦ — ١٩٣ ، وسير أعلام النبلاء ٥٠٦/١ — ٥١١ ، وأسد الغابة ٤١٧/٢ — ٤١٩ ، ومجمع الزوائد ٣٣٢/٩ — ٣٣٧ . وأخرجه الإمام أحمد في « المسند » ٤٤١/٥ — ٤٤٤ ، والطبراني في « المعجم الكبير » ٢٧٢/٦ — ٢٧٧ رقم (٦٠٦٥) عن ابن إسحاق ، وإسناده قوي ، رجاله ثقات . ورواه ابن حبان في صحيحه (٥٥٨) و (٥٥٩) موارد ، عن قرة الكندي من غير طريق ابن إسحاق ، ورجاله ثقات . والحاكم في المستدرك ٥٩٩/٥/٣ — ٦٠٢ من غير طريق ابن إسحاق ، عن زيد بن صوحان وصححه ، وتعقبه الذهبي فقال : بل مجمع على ضعفه .
(٤) « حتى تُدركَ » : حتى تبلغَ الإثمار والإنتاج .

إلا نخلة غرسها عمر ، فأطعم النخل كلُّه إلا تلك النخلة التي غرسها عمر ، فقال رسول الله ﷺ : من غرسَها ؟ قالوا : عمر . فقلعَها وغرسَها رسولُ الله ﷺ فأطعمتْ من عامها[1] .

وذكر البخاري[2] رحمه الله حديث سلمان كما ذكره ابن إسحاق ، غير أنه ذكر أن سلمان غرسَ بيده وَديّة واحدة ، وغرسَ رسول الله ﷺ سائرها ، فعاشت كلُّها إلا التي غرسَ سلمان . هذا معنى حديث البخاري رحمه الله .

(عودٌ للحديث عن رحلته إلى المدينة) :

وعن سلمان أنه قال لرسول الله ﷺ حين أخبره بخبره : أن صاحب عمّوريّة قال له : إئت كذا وكذا من أرض الشام فإن بها رجلاً بين غيضتين[3] ، يخرج في كل سنة من هذه الغيضة إلى هذه الغيضة مستجيزاً ، يعترضه ذوو الأسقام ، فلا يدعو لأحد منهم إلا شفي ، فسله عن هذا الدين الذي تبتغي فهو يخبرك عنه . قال سلمان : فخرجت حتى جئت حيث وصف لي ، فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هناك ، حتى خرج لهم تلك الليلة مستجيزاً من إحدى الغيضتين إلى الأخرى ، فغشيَه الناسُ بمرضاهم لا يدعو لمريض إلا شفي ، وغلبوني عليه فلم أخلص إليه حتى دخل الغيضة التي يريد أن يدخل إلا منكبه ، فتناولته . فقال : من هذا ؟ والتفت إلي ، فقلت : يرحمك الله ! أخبرني عن الحنيفية دين إبراهيم ؟ قال : إنك لتسأل عن شيء ما يسأل عنه الناس اليوم ، قد أظلّكَ نبيٌّ يُبعث بهذا الدين من أهل الحرم فأته فهو يحملك عليه . ثم دخل . فقال رسول الله ﷺ : لئن كنتَ صدقتني لقد لقيتَ عيسى بن مريم[4] .

---

(١) رواه الإمام أحمد في « المسند » ٣٥٤/٣ ، والاستيعاب ٥٧/٢ . وإسناده حسن . قال في نور النبراس : كان ينبغي للمؤلف عزوه للمسند لا لأبي عمر . لوحة ١٣١ .

(٢) روى البخاري قصة إسلام سلمان في المغازي (باب غزوة الخندق ، وهي الأحزاب) رقم /٤١١٣/ ، وذكر حديث سلمان كما ذكره ابن إسحاق في غير الصحيح .

(٣) « غيضتين » : الغيضة : الشجر الملتف .

(٤) السيرة النبوية ، لابن هشام ٢٢١/١ — ٢٢٢ ، وقال السهيلي : إسناد هذا الحديث مقطوع ، وفيه رجل مجهول ، ويقال : إن الرجل هو الحسن بن عمارة ، وهو ضعيف بإجماع منهم ..

رواه ابن إسحاق عن داود بن الحصين قال حدثني من لا أتهم ، عن عمر بن عبد العزيز ، قال : قال سلمان ، فذكره .

قيل : إن الرجل المطوي[1] الذكر في هذا الإسناد هو الحسن بن[2] عُمارة ، فإن يكنه فهو ضعيف عندهم قاله السهيلي . وقال : وإن صح هذا الحديث فلا نكارة في متنه ، فقد ذكر الطبري أن المسيح عليه السلام نزل بعدما رُفع ، وأمُّه وامرأة أخرى عند الجذع الذي فيه الصليب[3] تبكيان ، فكلَّمَهما وأخبرَهما أنه لم يُقتل ، وأن الله رفعه وأرسله إلى الحواريين ووجههم إلى البلاد . وإذا جاز أن ينزل مرة جاز أن ينزل مراراً ، ولكن لا يُعلم به أنه هو حتى ينزل النزول الظاهر فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما جاء في الصحيح ، والله أعلم .

ويُروى أنه إذا نزل تزوج امرأة من جذام ويدفن إذا مات في روضة النبي ﷺ .

- وقوله : « فَقَّرْ لثلمائة ودِيّة » معناه : حَفَّرْ .
- وقوله : « أُحييها له بالفقير » قيل : الوجه بالتفقير[4] .
- « وقَطَن النار » خازن النار وخادمُها .
- « والعُرَواء » : الرعدة . ورأيت بخط جدي رحمه الله فيما علَّقه على نسخته بكتاب « السيرة الهشامية » من حواشي كتاب أبي الفضل عياضِ بن موسى وغيره ، قال

= وقال سبط ابن العجمي في « نور النبراس » لوحة (١٣٢) : وهذا منقطع ؛ لأن عمر بن عبد العزيز لم يُدرك سلمان ، لأن عمر ولد بمصر سنة ٦١ هـ وفي طبقات ابن سعد سنة ٦٣ هـ وسلمان توفي بالمدائن سنة ٣٦ هـ وقيل سنة ٣٥ هـ .

(١) « الرجل المطوي » : الرجل الذي لم يُسمّ ، وأشار إليه بقوله « من لا أتهم » .

(٢) قال في « نور النبراس » : والحسن بن عمارة قد حسَّن السهيلي الكلام فيه وهو متروك وساقط ، وقد قال ابن المديني : إنه كان يضع الحديث . والكلام فيه كثير ، وهذا أشد ما قيل فيه ، والله أعلم . لوحة ١٣٢/١ .

(٣) « الصليب » : الرجل الذي صلبوه ، لاعتقاد أنه عيسى عليه السلام ، فالصليب هنا بمعنى المصلوب وهو يهوذا الذي شُبِّه لهم .

(٤) « الوجه بالتفقير » : أي أن التعبير بالتفقير — وهو الحض — أنسبُ للمقام .

الصَّدَفي : العُرَواء : الحمى النافض ، والبُرَحَاء : الحمى الصَّالب ، والرُّحَضَاء : الحمى التي تأخذ بالعروق ، والمُطَواء : التي تأخذ بالتمطي ، والثُّوبَاء : التي تأخذ بالتثاؤب .

(ذكر خبر زيد بن نفيل) :

وذكر ابن إسحاق في خبر زيد بن عمرو بن نفيل قال : وكان زيد قد أجمع الخروجَ من مكة ليضربَ في الأرض ، يطلب الحنيفية دينَ إبراهيم عليه السلام ، فكانت امرأته صفية بنت الحضرمي كلما رأته تهيأ للخروج وأراده آذنت به الخطاب بن نفيل ، وكان الخطاب وكَّلها به فقال : إذا رأيته همَّ بأمر فآذنيني به . ثم خرج يطلب دينَ إبراهيم عليه السلام ويسأل الرهبان والأحبار حتى بلغ الموصل والجزيرة كلَّها ، ثم أقبل فجال الشام كلها حتى إذا انتهى إلى راهب بميفعة[1] من الأرض البلقاء كان ينتهي إليه علم أهل النصرانية فيما يزعمون ، فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام فقال : إنك لتطلب ديناً ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ، ولكن قد أظلَّكَ زمان نبيّ يخرج من بلادك التي خرجت منها ، يُبعث بدين إبراهيم الحنيفية ، فالحق به فإنه مبعوث الآن ، هذا زمانه . وقد كان زيد شامّ[2] اليهودية والنصرانية فلم يرض منها شيئاً ، فخرج سريعاً حين قال له ذلك الراهب ما قال يريد مكة ، حتى إذا توسط بلاد لَخمْ عَدَوا عليه فقتلوه[3] .

(خبر رسول الله ﷺ من الإنجيل) :

قال ابن إسحاق : وكان فيما بلغني عما كان وَضَع[4] عيسى بنُ مريم فيما جاءه من الله من الإنجيل من صفة رسول الله ﷺ ، مما أثبت لهم يُحَنَّس الحواري حين نسخ لهم الإنجيل ، من عهد عيسى بن مريم إليهم في رسول الله ﷺ ، قال : من أبغضني فقد أبغض

---

(١) « بميفعة » : الميفعة : المرتفع من الأرض .

(٢) « شامَّ اليهودية والنصرانية » : بتشديد الميم ، وقد تُخفف ؛ بمعنى : اختبرهما .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٢٢٥ — ٢٣٢ . وفي « نور النبراس » لوحة (١٣٣) : وحديث زيد ابن عمرو بن نُفيل هو في صحيح البخاري بغير هذا اللفظ ، ولو أخرجه منه لكان أحسن . وهو في البخاري في كتاب المناقب (باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل) رقم /٣٨٢٦/ .

(٤) « وَضَع » : هنا بمعنى أثبت .

الرب ، ولولا أني صنعتُ بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحدٌ قبلي ما كانت لهم خطيئة ، ولكن من الآن بَطِروا وظنوا أنهم يعِزُّونني[١] ، وأيضاً للرب ، ولكن لا بد أن تتم الكلمة التي في الناموس أنهم أبغضوني مجاناً ، أي باطلاً ، فلولا قد جاء المُنْحَمِنَّا ، هذا الذي يرسله الله إليكم من عند الرب ، روح القسط[٢] هذا الذي من عند الرب خرج ، فهو شهيد علي وأنتم أيضاً ، لأنكم قديماً كنتم معي في[٣] هذا قلت لكم : لكي لا تشكوا .

و« المنْحَمِنّا » بالسريانية هو محمد ﷺ ، وهو بالرومية البَرَقليطس[٤] .

(خبره ﷺ عند رؤساء نجران وملك الروم) :

قال ابن هشام وبلغني أن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتباً عندهم ، فكلما مات رئيس منهم فأفضت الرئاسة إلى غيره ختم على تلك الكتب خاتماً مع الخواتم التي قبله و لم يكسرها ، فخرجَ الرئيسُ الذي كان في عهد النبي ﷺ يمشي فعَثَرَ ، فقال ابنه : تَعِسَ الأبعدُ – يُريد النبيَّ ﷺ – فقال له أبوه : لا تفعل فإنه نبيّ ، واسمه في الوضائع – يعني الكتب – فلما مات لم يكن له همة إلا أن شدَّ فكسر الخواتم ، فوجد ذكر النبي ﷺ فأسلم وحسن إسلامه ، فحجَّ وهو الذي يقول :

إليك تغدو قلقاً وضينُها ... مُعترضاً في بَطنها جَنينُها[٥]

مُخالفاً دينَ النصارى دينُها[٦]

---

(١) « يَعِزُّونني » : يغلبونني ويتسلطون عليّ .

(٢) « روح القسط » : القسط : العدل . وفي ابن هشام ٢٣٣/١ : روح القدس .

(٣) زيادة من ابن هشام عما في جميع النسخ .

(٤) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٣٣/١ – ٢٣٤ .

(٥) « وضينها » : الوضين : بطان منسوج بعضه على بعض ، يُشدُّ به الرحل على البعير ، وهو كالحزام للسرج .

(٦) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥٧٤/١ .

وقد روينا عن دحية بن خليفة الكلبي في توجهه بكتاب النبي ﷺ إلى ملك الروم وأن ملك الروم قال لقومه : هذا كتابُ النبيّ الذي بشرنا به المسيح من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام . وسيأتي بسنده[1] إن شاء الله تعالى عند ذكر كتب النبيّ ﷺ إلى الملوك .

(خبر سليمان عليه السلام) :

أخبرنا الإمام أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المقدسي حضوراً في الرابعة بقراءة والدي رحمة الله عليه بالقاهرة ، وأبو عبد الله محمد بن عبد المؤمن بن أبي الفتح بقراءتي عليه بمرج دمشق ، قالا : أخبرنا أبو البركات داود بن أحمد بن محمد بن ملاعب ، أخبرنا أبو الفضل محمد بن عمر بن يوسف الأرموي[2] ، أخبرنا أبو القاسم يوسف بن أحمد بن محمد المهرواني بانتقاء أبي بكر الخطيب البغدادي الحافظ عليه ، قال : أخبرنا أبو سهل محمود ابن عمر العكبري ، حدثنا أبو صالح سهل بن إسماعيل الموسوي ، حدثنا أبو العباس عبد الله ابن وهب الغزي بالرملة ، حدثنا محمد بن أبي السَّرِيّ العسقلاني ، حدثنا شيخ بن أبي خالد البصري ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « كان نقش خاتم سليمان بن داود عليهما السلام : لا إله إلا الله محمد رسول[3] الله » .

---

(١) تعقب سبط ابن العجمي المؤلف فقال : لم يذكر هذا ؛ وإنما ذكر حديث الصحيحين ، وهو كتابه عليه الصلاة والسلام إلى هرقل ، وذكر في آخره زيادة ليست هذه ، وكان ينبغي له أن يذكر حديث دحية الذي أشار إليه هنا .. ثم قال : فما كان ينبغي أن يقول : وقد روينا عن دحية الكلبي ، فإن الحديث ليس له وإنما هو حديث ابن عباس عن أبي سفيان صخر بن حرب ، وفيه توجه دحية بكتابه عليه الصلاة والسلام إلى هرقل ، وما أظن أن المؤلف أراد ذلك ، والمؤلف أعلى مقاماً من ذلك ، وإنما هو شيء وقف عليه ، والله أعلم . نور النبراس لوحة ١٣٦/١ .

(٢) « الأُرموي » : بضم الهمزة ، وأُرمية : مدينة قديمة بأذربيجان .

(٣) الحديث باطل وموضوع ، في إسناده دجال ووضَّاع ، هو شيخ بن أبي خالد ، قال الذهبي في « ميزان الاعتدال » ٢٨٦/٢ : شيخ بن أبي خالد عن حماد بن سلَمة : متهم بالوضع ، فمن أباطيله ... « كان نقش خاتم سليمان .. » وذكر ذلك الحافظ ابن حجر في لسان الميزان ١٥٩/٣ ، كما ذكر الحافظ ابن الجوزي هذا الحديث في « الموضوعات » . نور النبراس لوحة ١٣٦/١ .

(خبر تميم الداري) :

وروينا عن محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، حدثني العطَّاف بن خالد ، عن خالد بن سعيد ، قال : قال تميم الداري : كنت بالشام حين بُعث رسولُ الله ﷺ ، فخرجتُ إلى بعض حاجتي فأدركني الليل ، فقلت : أنا في جوار عظيم هذا الوادي ، فلما أخذت مضجعي إذا مناد يُنادي لا أراه : عذْ بالله ، فإن الجِنَّ لا تُجير أحداً على الله . فقلت : أيمَ[1] تقول ؟ فقال : قد خرج رسول الأميين رسول الله ، وصلينا خلفه بالحَجُون[2] وأسلمنا واتبعناه ، وذهب كيد الجن ، ورُميتْ بالشهب ، فانطلق إلى محمد فأسلم . فلما أصبحت ذهبت إلى دير أيوب ، فسألت راهباً به وأخبرته الخبر ، فقال : صدقوك ، نجده يخرج من الحرم ، ومهاجره الحرم ، وهو خير الأنبياء فلا تُسبقْ إليه . قال تميم : فتكلفت الشخوص حتى جئت رسول الله ﷺ فأسلمت[3] .

* * *

(١) « أيم » : بتشديد الياء وإسكانها ، وفتح الميم : كلمة استفهام .

(٢) « الحَجُون » : جبل معروف بمكة .

(٣) طبقات ابن سعد ٣٥٨/٧ ، وإسناده ضعيف ، فيه العطاف بن خالد ؛ قال الحاكم : ليس بالمتين عندهم ، غمزه مالك . ميزان الاعتدال ٦٩/٣ ، وخالد بن سعيد المدني لا يُتابع على حديثه . ميزان الاعتدال ٦٣١/١ .

خبرُ قُسِّ[1] بن ساعدةَ الإيادي

قرىء على الشيخة الأصيلة أمَة الحق شامية ابنة الإمام الحافظ أبي علي الحسن بن محمد ابن محمد بن محمد البكري ، وأنا أسمع بالقاهرة ، قالت : أخبرنا أبو محمد عبد الجليل بن أبي غالب بن أبي المعالي بن مَنْدُويَة الأصبهاني قراءة عليه وأنا أسمع سنة عشر وستمائة ، قال : أخبرنا أبو المحاسن نصر بن المظفر بن الحسين البرمكي الجرجاني سماعاً عليه سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن النقور ، أخبرنا أبو الحسين علي ابن عمر بن محمد بن الحسن الحربي ، حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ، حدثنا محمد بن حسان بن خالد السمتي أبو جعفر سنة ثمان وعشرين ومائتين ، وفيها توفي . حدثنا محمد بن الحجاج اللخمي ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن ابن عباس قال : قدم وفدُ عبد القيس على رسول الله ﷺ ، فقال : أيُّكم يعرفُ القُسَّ بن ساعدةَ الإيادي ؟ قالوا : كلُّنا يا رسولَ الله يعرفه . قال : فما فعل ؟ قالوا : هلكَ . قال : ما أنساه بعكاظ على جملٍ أحمر ، وهو يقول : أيُّها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا ، من عاشَ ماتَ ، ومن ماتَ فات ، وكلُّ ما هو آتٍ آت ، إنَّ في السماء لخبراً ، وإنَّ في الأرض لعِبَراً ، مهادٌ موضوع وسقفٌ مرفوع ، ونجومٌ تمورُ وبحارٌ لا تغور ، أقسم قسٌّ قسماً حتماً : لئن كان في الأمر رضىً ليكوننَّ سخطاً ، إن لله لديناً هو أحبُّ إليه من دينكم الذي أنتم عليه ، ما لي أرى الناسَ يذهبون ولا يَرجعون ، أرضُوا بالمُقام فأقاموا أم تُركوا فناموا ؟ . ثم قال : أيُّكم يروي شعرَه ؟ فأنشدُوه :

في الذَّاهبيـــنَ الأوَّليـــــ ـنَ من القـرونِ لنـا بصَائـر
لما رأيتُ مَـــوَارداً للمـوتِ لـيس لها مَصَادر
ورأيتُ قومِـي نحوَهـا تمضي الأصَاغِـر والأكَابـر
لا يرجــعُ الماضي إلــيَّ ولا مـن البَـاقين غَابـر

---

(١) قال الذهبي في « تجريد أسماء الصحابة » : تناكد مَنْ أوردَه في الصحابة ، كعبدان وابن شاهين . نور النبراس لوحة ١/١٣٧ .

أيقـــــنتُ أني لا مَحَالـــــ ـةَ حيثُ صارَ القــومُ صَائــر[1]

وقرأتُ على أبي الفتح يوسف بن يعقوب الشيباني بدمشق ، أخبركم أبو اليمن زيد بن الحسن الكِنْدي قراءةً عليه وأنتم تسمعون ، قال : أخبرنا الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي قراءة عليه وأنا أسمع ، أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن ، حدثنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي ، حدثنا أبو العباس الوليد بن سعيد بن حاتم بن عيسى الفُسطاطي بمكة من حفظه ، وزعم أن له خمساً وتسعين سنة في ذي الحجة سنة ست وستين وثلثمائة على باب إبراهيم ، أخبرنا محمد بن عيسى بن محمد الأخباري ، حدثنا أبو عيسى بن محمد بن سعيد القرشي ، حدثنا علي بن سليمان ، عن سليمان بن علي ، عن علي بن عبد الله ، عن عبد الله بن عباس قال : قدم الجارود بن عبد الله ، وكان سيداً في قومه على رسول الله ﷺ ، فقال : والذي بعثك بالحق لقد وجدت صفتك في الإنجيل ، ولقد بشر بك ابن البتول ، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله . قال : فآمنَ الجارود وآمنَ من قومه كل سيد . فسُرَّ النبيُّ ﷺ بهم ، وقال : يا جارود ! هل في جماعة وفد عبد القيس من يعرف لنا قساً ؟ قالوا : كلنا نعرفه يا رسول الله ، وأنا من بين يدي القوم كنت أقفو أثره ، كان من أسباط العرب ، فصيحاً ، عُمِّر سبعمائة سنة ، (أدركَ من الحواريين سمعانَ ، فهو أول من تألّه من العرب)[2] ، كأني أنظر إليه يقسم بالرب الذي هو له ، ليبلغن الكتاب أجله ، وليوفين كل عامل عمله ، ثم أنشأ يقول : !!

هاجَ للقلبِ مـن جَـوَاه ادِّكارُ وليــــالٍ خـــــلالهنَّ نهارُ

في أبيات آخرها :

والذي قد ذكرت دلَّ على اللـ ـهِ نفـوساً لها هـدىً واعتبـارُ

فقال النبي ﷺ : على رسلك يا جارود ، فلست أنساه بسوق عكاظ على جمل

---

(١) الموضوعات ؛ لابن الجوزي ٢١٣/١ ، وقال : هذا حديث من جميع جهاته باطل . وفي إسناده محمد ابن حسان بن خالد السَّمْتي ؛ ليس بالقوي ، ومحمد بن الحجاج اللخمي الواسطي ؛ منكر الحديث كذاب وضَّاع . نور النبراس لوحة ١٣٧/١ . « أسباط » : جمع سبط ، وهو الرجل الحسن القَدِّ .

(٢) ما بين القوسين سقط من « أ » وهو موجود في بقية النسخ .

أورق[1] ، وهو يتكلم بكلام ما أظن أني أحفظه . فقال أبو بكر : يا رسول الله ! فإني أحفظه ، كنت حاضراً ذلك اليوم بسوق عكاظ ، فقال في خطبته : يا أيها الناس ! اسمعوا وعوا ، وإذا وعيتم فانتفعوا ، إنَّه من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت ، مطر ونبات وأرزاق وأقوات ، وآباء وأمهات وأحياء وأموات ، جمع وأشتات وآيات بعد آيات ، إن في السماء لخبراً وإن في الأرض لعبراً ، ليلٌ داج ، وسماء ذات أبراج ، وأرض ذات رِتاج[2] ، وبحار ذات أمواج ، مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ، أرضُوا بالمقام فأقاموا ، أم تركوا هناك فناموا ؟ أقسم قس قسماً لا حانثاً فيه ولا آثماً أن لله ديناً هو أحب إليه من دينكم الذي أنتم عليه ، ونبياً قد حان حينه وأظلَّكم أوانه ، فطوبى لمن آمن به فهداه ، وويل لمن خالفه وعصاه . ثم قال : تباً لأرباب الغفلة من الأمم الخالية والقرون الماضية ، يا معشر إياد ! أين الآباء والأجداد ؟ وأين المريض والعواد ؟ وأين الفراعنة الشداد ؟ أين من بنى وشيَّدَ ؟ وزخرفَ ونجَّدَ[3] ، وغره المال والولد ؟ أين من بغى وطغى ، وجمع فأوعى ، وقال أنا ربكم الأعلى ؟ ألم يكونوا أكثر منكم أموالاً ، وأطول منكم آجالاً ، وأبعد منكم آمالاً ؟ طحنهم الثرى بكلكله ، ومزقهم بتطاوله ، فتلك عظامهم بالية ، وبيوتهم خاوية ، عمرتها الذئاب العاوية ، كلا بل هو الله الواحد المعبود ، ليس بوالد ولا مولود ، ثم أنشأ يقول :

فِـي الذَّاهِبِيـنَ الأَوَّلِيـ ... ـنَ مِـن القُـرونِ لنـا بَصَائـر
لما رأيتُ مَـــوارداً ... للمـوتِ لـيس لها مَصَادر
ورأيتُ قومـي نحوَهـا ... تمضي الأصاغـرُ والأكابـر
لا يرجـعُ الماضي إلـيّ ... ولا مـن البَـاقين غابـر
أيقـنـت أني لا مَحَـا ... لَة حيثُ صَارَ القومُ صائر

قال : ثم جلس وقام رجل أشدقُ أجشُّ الصوت ، فقال : لقد رأيتُ من قس عجباً ، خرجت أطلب بعيراً لي حتى إذا عسعس الليل وكاد الصبح أن يتنفس ، هتف بي هاتف يقول :

(١) « الأورق » : الأبيض المشوب بسواد .
(٢) « رِتَاج » : الحجاب الغليظ .
(٣) « ونَجَّدَ » : من قولهم : نَجَّدَ البيت : إذا زينه بستائر وفرش .

يا أيُّها الراقدُ في الليل الأحمّ ... قد بعثَ الله نبياً في الحَرَم[1]
من هاشمٍ أهلِ الوفاء والكرم ... يجلُو دُجُنَّاتِ الليالي والبُهَم[2]

قال : فأدرت طرفي فما رأيت شخصاً ، فأنشأت أقول :

يا أيها الهاتف في داجي الظلم ... أهلاً وسهلاً بك من طيف ألم
بيِّنْ هداك الله في لحن الكلم ... من ذا الذي تدعو إليه يُغتنم

قال : فإذا أنا بنحنحة وقائل يقول : ظهر النور ، وبطل الزور ، وبعث الله محمداً ﷺ بالحبور ، صاحب النجيب الأحمر ، والتاج والمغفر ، والوجه الأزهر ، والحاجب الأقمر ، والطرف الأحور ، صاحب قول شهادة أن لا إله إلا الله ، فذلك محمد المبعوث إلى الأسود والأحمر ، أهل المدر والوبر ، ثم أنشأ يقول :

الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبث ... و لم يُخَلِّنا سُدًاً من بعد عيسى واكترث
أرسل فينا أحمداً خير نبي قد بعث ... صلى عليه الله ما حجَّ له ركبٌ وحث

قال : ولاح الصباح ، وإذا بالفَنِيق[3] يشقشق[4] إلى النوق ، فملكت خِطامه وعلوت سنامه ، حتى إذا لَغِبَ فنزل في روضةٍ خضرة ، فإذا أنا بقس بن ساعدة في ظل شجرة ، وبيده قضيب من أراك ينكت به في الأرض وهو يقول :

يا ناعيَ الموت والملحود في جدثٍ ... عليهم من بقايا بزهم خِرَق
دعهم فإن لهم يوماً يُصاح بهمْ ... فهم إذا انتبهوا من نومهم فَرِقوا
حتى يَعودوا بحالٍ غير حالهمُ ... خلقاً جديداً كما من قبله خُلقوا
منهم عراةٌ ومنهم في ثيابهمُ ... منها الجديدُ ومنها المُنْهجُ[5] الخَلِق

قال : فدنوت منه فسلمت عليه فرد عليَّ السلام ، فإذا أنا بعين خرارة في أرض

---

(١) « الأحمّ » : الأسود .
(٢) « دجُنَّات » : جمع دُجنّة ، وهي الظلمة . و« البُهم » : جمع أبهم ، وهو الأسود .
(٣) « الفَنِيق » : الفحل من الإبل .
(٤) « يشقشق » : يهدر ويصيح .
(٥) « المُنْهِجُ » : من قولهم : أنهج الثوبُ : إذا أخذ في البِلى .

خَوَّارة[1] ، ومسجد بين قبرين ، وأسدين عظيمين يلوذان به ، وإذا بأحدهما قد سبق الآخر إلى الماء ، فتبعه الآخر يطلب الماء فضربه بالقضيب الذي في يده ، وقال : ارجع ثكلتك أمك حتى يشرب الذي ورد قبلك ، فرجع ثم ورد بعده . فقلت له : ما هذان القبران ؟ قال : هذان قبرا أخوين كانا لي يعبدان الله عز وجل معي في هذا المكان ، لا يشركان بالله شيئاً ، فأدركهما الموت فقبرتهما وها أنا بين قبريهما حتى ألحق بهما ، ثم نظر إليهما وجعل يقول :

خليليَّ هُبَّا طالما قد رقدتُما ... أجِدَّكما لا تقضيان كَراكُما
ألم تعلما أني بسمعانَ مفرداً ... وما لِيَ فيه من خليلٍ سواكما
مقيمٌ على قبريكما لستُ بارحاً ... طَوال الليالي أو يُجيب صَداكما
أُبكِّيكُما طولَ الحياة وما الذي ... يردُّ على ذي لوعةٍ إن بكَاكما
كأنكما والموتُ أقربُ غائبٌ ... بروحيَ في قبريْكما قد أتاكما
أمن طولِ نوم لا تُجيبان داعياً ... كأنَّ الذي يُسقي العُقَار[2] سقاكما
فلو جُعلتْ نفسٌ لنفسٍ وقايةً ... لجدتُ بنفسي أن تكون فداكما

فقال رسولُ الله ﷺ : « رحمَ الله قسّاً إني أرجو أن يبعثَه الله عزَّ وجلَّ أمةً وحده »[3] .

خبر سواد بن قارب :
وكان يتكهن في الجاهلية ، وكان شاعراً ثم أسلم :

قرأتُ على أبي عبد الله بن أبي الفتح بن وثاب الصوري بالزُّعَيْزِعيّة[4] بمرج دمشق ،

---

(١) « خوارّة » : هشة لينة .
(٢) « العقّار » : الخمر .
(٣) قال السيوطي في « اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة » : آثار الوضع على هذا الخبر لائحة ، وقال الحافظ ابن حجر في « الإصابة » : وقد أفرد بعض الرواة طرق حديث قسٍّ بن ساعدة ، وهي في الطوالات للطبراني وغيرها ، وطرقه كلُّها ضعيفة ، وقال الحافظ ابن كثير في السيرة النبوية ١٥٣/١ : طرق قصة قسّ كلها ضعيفة ، وهي مع ضعفها كالمتعاضدة على إثبات أصل القصة .
(٤) « الزُّعَيزِعيّة » : اسم مكان في مرج دمشق .

قلت له : أخبركم الشيخان المُؤَيِّد هشام بن عبد الرحيم بن أحمد بن محمد البغدادي نزيل أصبهان وأم حبيبة عائشة بنت مَعْمَر بن الفاخِر القرشية إجازة ؟ قالا : أخبرنا أبو الفرج سعيد بن أبي الرجاء الصيرفي قراءة عليه ونحن نسمع بأصبهان ، قال : أخبرنا أبو نصر إبراهيم بن محمد بن علي الأصبهاني الكِسَائِي ، قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن المقرىء ، قال : أخبرنا أبو يَعلى أحمدُ بن علي بن المثنى الموصِلي ، قال : حدثنا يحيى بن حُجْر بن النعمان السَّامي ، قال : حدثنا علي بن منصور الأنباري ، عن عثمان بن عبد الرحمن الوقَّاصي ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات يوم جالساً إذ مرَّ به رجلٌ ، فقيل : يا أمير المؤمنين ! أتعرف هذا المارّ ؟ قال : ومن هذا ؟ قالوا : هذا سواد بن قارب الذي أتاه رِئيّه بظهور النبي ﷺ ، قال : فأرسل إليه عمر رضي الله عنه ، فقال له : أنت سواد بن قارب ؟ قال : نعم . قال : أنت الذي أتاك رِئيُّكَ[1] بظهور رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم . قال : فأنت على ما كنت عليه من كهانتك ؟ قال : فغضب ، وقال : ما استقبلني بهذا أحدٌ منذ أسلمتُ يا أمير المؤمنين . فقال عمر : سبحان الله ! ما كنَّا عليه من الشرك أعظمُ مما كنتَ عليه من كهانتك ، فأخبرني بإتيانك رِئيّك بظهور رسول الله ﷺ . قال نعم يا أمير المؤمنين ! بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان ، إذ أتاني رِئِيِّي فضربني برجله ، وقال : قمْ يا سوادُ ابن قارب فاسمع مقالتي ، واعقل إن كنت تعقل ، إنه قد بُعث رسولٌ من لؤي بن غالب يدعو إلى الله عزَّ وجلَّ وإلى عبادته ، ثم أنشأ يقول :

عجبتُ للجِنِّ وتَطلابِها ... وشدِّها العيسَ بأقتابها
تهوِي إلى مكةَ تبغي الهُدى ... ما صادقُ الجِنِّ كَكَذَّابِها
فارحلْ إلى الصفوة من هاشمٍ ... ليس قُدَّاماها كأذنابها

قال : قلت : دعني أنامُ فإني أمسيتُ ناعساً ، فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضربني برجله ، وقال : قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي ، واعقل إن كنتَ تعقل ، إنه قد بُعث رسولٌ من لؤيّ بن غالب ، يدعو إلى الله عز وجل وإلى عبادته ، ثم أنشأ يقول :

---

(١) « رئيُّكَ » : الرِّئِيُّ : التابع من الجِنّ .

عجـبت للجِـنِّ وتخبارهـا وشدِّهـا العـيسَ بأكوارهـا
تهوي إلى مكـةَ تبغـي الهُـدى مـا مؤمـنُ الجِـن ككفارهـا
فارحلْ إلى الصفوة مـن هـاشم بين روابيها وأحجارهـا

قال : قلت : دعني أنام فإني أمسيت ناعساً ، فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله ، وقال : قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي ، واعقل إن كنتَ تعقل ، إنه قد بُعث رسول من لؤيٍّ بن غالب يدعو إلى الله عز وجل وإلى عبادته ، ثم أنشأ يقول :

عجـبتُ للجِـنِّ وتَجْسَاسِهَـا وشدِّهـا العـيس بأحلاسهـا
تهوي إلى مكـة تبغـي الهدى مـا خَيِّـرُ الجِـنِّ كأنجاسهـا
فارحلْ إلى الصفوة مـن هـاشم واسمُ بعيْنَـيكَ إلى راسهـا

فقمت فقلت : قد امتحن الله قلبي ، فرحَلْتُ ناقتي ، ثم أتيت المدينة فإذا رسول الله ﷺ وصحبه حوله ، فدنوتُ فقلت : اسمع مقالتي يا رسول الله . قال : هاتِ . فأنشأتُ أقول :

أتـاني نَجِيِّـي بعـد هـدءٍ ورَقْـدَةٍ ولم يكُ فيما قـد بلـوتُ بكـاذب
ثـلاثَ ليـالٍ قولُـه كـلَّ ليلـة أتاك رسولٌ من لـؤيٍّ بـن غـالب
فشمَّـرْتُ مـن ذيلي الإزارَ ووسطت بيَ الذِّعْلِبُ الوَجناءُ بين السباسب[1]
فأشهـدُ أنْ الله لا ربَّ غيـرُه وأنك مأمـونٌ على كـلِّ غـائب
وأنـكَ أدنـى المرسـلين وسيلـةً إلى الله يـا بـن الأكرميـنَ الأطـايب
فمرنـا بما يأتـيك يـا خيـرَ مُـرْسَلٍ وإن كان فيمـا جاءَ شَيبُ الـذوائب
وكـن لي شفيعاً يـومَ لا ذو شفاعـةٍ سِواكَ بمغنٍ عـن سوادِ بـن قـارب

قال : ففرحَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه بمقالتي فرحاً شديداً ، حتى رُؤي الفرحُ في وجوههم .

قال : فوثبَ إليه عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه ، فالتزمه وقال : قد كنتُ أشتهي

---

(١) « الذِّعْلِبُ » : الناقة السريعة . و « الوجناء » : الناقة الغليظة الوجنتين في صلابة .

أن أسمعَ هذا الحديث منك ، فهل يأتيك رَئِيُّك اليوم ؟ قال : أمَّا منذ قرأتُ القرآن فلا ، ونعم العوض كتاب الله من الجنِّ ، ثم أنشأ عمر يقول : كنا يوماً في حيٍّ من قريش يُقال لهم آل ذريح وقد ذبحوا عجلاً لهم ، والجزار يُعالجه ، إذ سمعنا صوتاً من جوف العجل ولا نرى شيئاً : يا آل ذريح ، أمرٌ نجيح ، صائحٌ يصيح بلسان فصيح ، يشهد أن لا إله إلا الله(١) .

وقد روينا خبر سواد هذا من طريق البخاري(٢) ، حدثنا يحيى بن سليمان ، حدثني ابنُ وهب ، حدثني عمر أن سالماً حدثه عن عبد الله بن عمر فذكر الخبر أخصرَ مما سقناه وفي الألفاظ اختلاف .

قال السهيلي(٣) : ولسواد بن قارب هذا مقام حميد في دَوْس حين بلغهم وفاة رسول الله ﷺ .

قال : ومن هذا الباب خبر سوداء بنت زهرة بن كلاب ، وذلك أنها حين ولدت ورآها أبوها زرقاء شيماء(٤) أمر بوأدها ، وكانوا يئدون من البنات ما كانت على هذه الصفة ، فأرسلَها إلى الحجون لتدفنَ هناك ، فلما حفر لها الحافرُ وأراد دفنَها ، سمع هاتفاً يقول : لا تئد الصبية ، وخلِّها في البريّة . فالتفت فلم ير شيئاً ، فعادَ لدفنها ، فسمع الهاتف يسجع

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٠٩/١ عن عبد الله بن كعب مولى عثمان بن عفان ، وابن الجوزي في الوفاء ص ١٥١ ، عن محمد بن كعب القرظي ، والبيهقي في الدلائل ٢٤٨/٢ — ٢٥٤ عن البراء ، وعن محمد بن كعب القرظي ، وعن سواد بن قارب ، والسيرة النبوية ، لابن كثير ٣٤٤/١ — ٣٤٥ ، والسيرة الشامية ؛ للصالحي ٢٨١/٢ .
وقد أخرج الحاكم قصة سواد بن قارب في المستدرك ١٥٢/٣ ، وتعقبه الذهبي بأن الإسناد منقطع .
وقال سبط ابن العجمي في « نور النبراس » لوحة (١٤٦) : وهذه القصة ضعيفة ؛ لأن مدارها على عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي ، وهو ضعيف جداً ، ضعفه يحيى بن معين وابن المديني والبخاري والنسائي وغيرهم . ومحمد بن كعب القرظي لم يلق عمر ، وروايته عنه مرسلة . وانظر فتح الباري ١٧٩/٧ — ١٨٠ .

(٢) رواه البخاري في المناقب (باب إسلام عمر بن الخطاب) رقم /٣٨٦٦/ .

(٣) الروض الأنف ٢٤٤/١ .

(٤) « شيماء » : فطساء الأنف مرتفعة الشفة العليا .

بسجع آخر في المعنى ، فرجعَ إلى أبيها وأخبرَه بما سمع . فقال : إن لها شأناً وتركها ، فكانت كاهنة قريش ، فقالت يوماً لبني زُهرة ، إن فيكم نذيرة أو تلد نذيراً ، فاعرضوا عليَّ بناتِكم ، فعُرضْنَ عليها ، فقالت : في كل واحدة منهن قولاً ظهر بعد حين ، حتى عُرِضت عليها آمنةُ بنت وهب فقالت : هذه النذيرة أو ستلد نذيراً . وهو خبر طويل ذكر الزبير يسيراً منه . وذكره بطوله أبو بكر النقاش[1] ، رحمه الله تعالى .

خبر مازن بن الغَضُوبة[2] :

أخبرنا علي بن محمد الثعلبي ، أخبرنا محمد بن غسان بن غافل وغيره ، قالا : أخبرنا علي بن الحسين الدمشقي ، أخبرنا الشيخان أبو القاسم زاهر وأبو بكر وَجِيه ابنا طاهر ابن محمد الشحاميان بنيسابور ، قالا : أخبرنا أبو حامد أحمد بن الحسن الأزهري ، أُخبرنا أبو محمد الحسن بن أحمد المَخْلَدي ، أخبرنا أبو عمران موسى بن العباس الجويني ، حدثنا علي بن حرب ، حدثنا أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب ، عن أبيه ، عن عبد الله العُمَاني ، عن مازن بن الغَضُوبة ، قال : كنت أسدُن صنماً بسَمَّال ، قريةٍ بعمان ، فعترنا ذات يوم عنده عتيرة ، وهي الذبيحة ، فسمعنا صوتاً من الصنم يقول : يا مازنُ اسمعْ تُسَرّ . ظهرَ خيرٌ وبَطَنَ شرّ . بُعثَ نبيٌّ من مُضرْ . بدين الله الكُبَر . فدعْ نَحِيتاً من حَجر . تسلمْ من حَرِّ سَقَرْ . قال : ففزعتُ لذلك ، فقلت : إن هذا لعجبٌ[3] : ثم عترتُ بعد أيام عتيرةً فسمعتُ صوتاً من الصنم يقول : أقبلْ إليّ أقبلْ . تسمعْ ما لا يُجهل . هذا نبيّ مُرسل . جاءَ بحقٍّ مُنزلْ . فآمن به كي تُعدل . عن حَرِّ نارٍ تُشعلْ . وَقُودها بالجندلْ . فقلت : إن هذا لعجبٌ[4] ، وإنه لخير يُراد بي ، فبينا نحن كذلك إذ قدم رجل من أهل

---

(١) الروض الأنف ١/٢٤٥ – ٢٤٦ وأبو بكر النقاش : محمد بن الحسن بن زياد الموصلي البغدادي النقاش ، المقرىء المفسر : قال طلحة بن محمد الشاهد : كان النقاش يكذب في الحديث ، والغالب عليه القصص . وقال البرقاني : كل حديث النقاش منكر ، وذكر الذهبي في « ميزان الاعتدال » وابن الجوزي في « الموضوعات » ما يُفيد أنه وضَّاع . نور النبراس لوحة ١/١٤٩ .

(٢) هو مازن بن الغَضُوبة بن غراب بن بشر الطائيّ ، له صحبة ؛ ذكره أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب ، وابن حجر في الإصابة ٣/٣٣٦ .

(٣) في « أ » و « ب » و « ج » : إن هذا لعجباً . والتصحيح من « د » والعتيرة : الذبيحة .

الحجاز ، قلنا : ما الخبر وراءك ؟ قال : ظهر رجل يُقال له أحمد ، يقول لمن أتاه : أجيبوا داعيَ الله . فقلت : هذا نبأ ما سمعتُه ، فثرت إلى الصنم فكسرته جُذاذاً ، وركبت راحلتي فقدمت على رسول الله ﷺ ، فشرح لي الإسلام ، فأسلمت وقلت شعراً :

كسَّرْتُ بادرَ أجْذَاذاً وكان لنا ... ربَّاً نُطيفُ به ضُلاً بتَضْلال
بالهاشميّ هَدَانا من ضَلاَلتِنَا ... ولم يكنْ دينُه مِنِّي على بالِ
يا راكباً بلِّغَنْ عَمْراً وإخوتَها ... أنِّي لمن قال ربِّي بادرٌ قالِ

يعني بعمرو : بني الصامت . وإخوتها : بني الخطامة .

قال مازن : فقلت : يا رسول الله ، إني مُولَعٌ بالطرب ، وبشرب الخمر ، وبالهَلُوكِ[١] من النساء ، وألحَّت علينا السِّنون فذهبنَ بالأموال وَهَزَلْن الذراريَ والعيال ، وليس لي ولد ، فادعُ الله أن يُذْهبَ عني ما أجد ويأتيني بالحيا[٢] ، ويهب لي ولداً . فقال النبيُّ ﷺ : « اللهم أبدلْه بالطرب قراءةَ القرآن ، وبالحرام الحلال ، وبالخمر رِيّاً لا إثم فيه ، وبالعِهْرِ عفة الفرج ، وائته بالحيا ، وهب له ولداً » . قال مازن : فأذهبَ الله عني ما كنتُ أجد ، وتعلَّمت شطرَ القرآن ، وحججتُ حججاً ، وأخصبت عُمان ، ووهب الله لي حَيَّان بن مازن ، وأنشدتُ أقول :

إليك رسولَ الله خبَّتْ مطيّتي ... تجوبُ الفيافي من عُمانَ إلى العَرج
لتشفعَ لي يا خيرَ من وَطِىءَ الحصى ... فيغفرَ لي ربِّي وأرجعَ بالفُلْج[٣]
إلى معشرٍ خالفتُ في الله دينَهم ... فلا رأيُهم رأيي ولا شرْجَهم شرجي[٤]
وكنتُ امرءاً بالزَّعْب والخَمر مُولعاً ... شبابي حتى آذنَ الجسمُ بالنهج[٥]
فبدَّلني بالخمر خَوْفاً وخشيةً ... وبالعِهْرِ إحصاناً فحصَّن لي فَرجي

---

(١) « الهَلُوك » : المرأة المتساقطة على الرجال .
(٢) « الحيا » : المطر والخِصبُ .
(٣) « الفُلْج » : الفوز والظَّفر .
(٤) « الشَّرج » : المقصود به هنا : الطبيعة والشكل .
(٥) « الزَّعْب » : الجماع . و « النَّهج » : البلى ، يقال : نهج الثوبُ وأنهجَ ؛ إذا بلي .

فأصبحت هَمِّي في الجهاد ونيّتي ... فللّهِ ما صَوْمي ولله ما حَجّي[1]

(خبر زِمْل بن عمرو) :

وروينا عن زمل بن عمرو العذري[2]، قال : كان لبني عُذْرة صنم يُقال له خُمَام فكانوا يعظمونه ، وكان في بني هند بن حرام بن ضِنّة بن عبد بن كَثير بن عُذْرة ، وكان سادنه رجلاً يقال له طارق ، وكانوا يَعْتِرون عنده ، فلما ظهر النبي ﷺ سمعنا صوتاً يقول : يا بني هند بن حَرَام ، ظهر الهدى وأودى خُمام ، ودفع الشركَ الإسلامُ . قال : ففزعنا لذلك وهالنا ، فمكثنا أياماً ، ثم سمعنا صوتاً وهو يقول : يا طارق يا طارق ، بُعث النبيُّ الصادق ، بوحيٍ ناطق ، صدع صادعهُ بأرض تهامةَ ، لناصريه السلامة ، ولخاذليه الندامةُ ، هذا الوداع مني إلى يوم القيامة . قال زِمْل : فوقع الصنم لوجهه . قال زِمْل : فابتعثُ راحلة ورحلت ، حتى أتيتُ النبي ﷺ مع نفر من قومي ، وأنشدتُه شعراً ، قلت :

إليكَ رسولَ الله أعملت نَصّها ... أكلّفها حَزْناً وقَوْزاً من الرمل[3]
لأنصرَ خيرَ النّاسِ نَصْراً مُؤَزَّراً ... وأعقدَ حبلاً من حبالك في حَبْلي
وأشهدُ أنّ الله لا شيءَ غيرُه ... أدِينُ له ما أثقلتْ قدمي نعلي

في خبرٍ ذكرَه[4] .

---

(١) دلائل النبوة ، للبيهقي ٢/٢٥٥ ــ ٢٥٨ ، والإصابة ٣/٣٣٦ ، وقال الحافظ ابن حجر : أخرج الطبراني والفاكهي في كتاب « مكة » ، والبيهقي في « الدلائل » ، وابن السكن وابن قانع .. وقال الصالحي في « السيرة الشامية » ٢/٢٨٦ : روى الطبراني وأبو نُعيم والبيهقي .. وقال الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٨/٢٤٨ : رواه الطبراني من طريق هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبيه ، وكلاهما متروك .

(٢) زِمْل بن عمرو : قال أبو عمر بن عبد البر : زَمِيْل ، ويُقال : زِمْل بن ربيعة الضِّني ثم العُذْري ، وهو صاحب شرطة معاوية ، له وِفادة ، وقُتل بمرج راهط . نور النبراس لوحة ١/١٥٤ .

(٣) « نصَّها » : النص : السير الشديد . « قَوْزاً » : كثبان الرمل .

(٤) السيرة النبوية ؛ لابن كثير ١/٣٦٨ ، والسيرة الشامية ؛ للصالحي ٢/٢٩٤ وقال : رواه ابن عساكر عن زَميل ، ويُقال زِمْل بن عمرو .. وإسناد القصة ضعيف .

(خبر عبَّاس بن مِرْدَاس السُّلَمي[1]) :

وروينا عن ابن هشام ، أن بعض أهل العلم حدَّثه ، أنه كان لمرداس أبي عباس بن مِرداس السلمي وثن يعبده ، وهو حجر يقال له ضِمار[2] ، فلما حُضِرَ مرداس قال لعباس : أي بنّي اعبُدْ ضِمار فإنه ينفعُك ويضرُّك . فبينما عباس يوماً عند ضِمار إذ سمع من جوف ضِمار منادياً يقول :

قُـلْ للقبائـل مـن سُلَيم كلِّها ... أودى ضِمارُ وعاش أهلُ المسجدِ
إن الـذي ورِثَ النُّبـوَّة والهدى ... بعد ابن مريمَ من قريشٍ مُهتدي
أودى ضِمـارُ وكانَ يُعبـد مـرةً ... قبلَ الكِتاب إلى النبـيِّ مُحمَّـدِ

فحرق العباسُ ضِمارَ ولحِقَ بالنبيّ المختار ﷺ[3] .

وروى أبو جعفر العقيلي ، عن رجل من بني لِهْب ـ يُقال لهُ لُهيب أو لَهيب[4] بن مالك ـ قال : حضرتُ مع رسول الله ﷺ فذُكرتْ عنده الكِهانةُ ، فقلتُ : بأبي وأمي نحن أول من عرف حِراسةَ السماء ، وزجرَ الشياطين ومنعَهم من استراق السمع عند قذف النجوم ، وذلك أنا اجتمعنا إلى كاهن لنا يُقال له خَطَرُ بن مالك وكان شيخاً كبيراً قد أتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة ، وكان من أعلم كهاننا ، فقلنا له : يا خطرُ هل عندك

(١) ابن مرداس السُّلَمي : هو العباس بن مرداس بن أبي عامر بن جاروبة السُّلَمي ، أبو الهيثم ، وقيل أبو الفضل ، أسلم قبيل الفتح ، وكان أبوه صديقاً لحرب بن أمية ، فقتلتهما الجِنّ معاً . وقد شهد العبَّاس بن مرداس الفتح في شعبان في تسعمائة من قومه ، وكان شريفاً مطاعاً ، من المؤلفة قلوبهم . نور النبراس لوحة ١٥٥/١ .

(٢) في هامش « أ » : « ضِمار » : بكسر الضاد المعجمة ، على ما نقل عن الاستيعاب ، و « الذيل والتكملة » للصغاني . وضبطه السهيلي بفتح الضاد ، فالأول على وزن كِتاب ، فهو مصروف ، والثاني على وزن حَذام ، ففيه الخلاف المشهور .

(٣) خبر العباس بن مِرْداس في « دلائل النبوة » ؛ لأبي نُعيم ١٤٦/١ ـ ١٤٧ ، والسيرة النبوية ، لابن كثير ٣٥٨/١ عن الخرائطي وأبي نُعيم ، والخصائص الكبرى ٢٦٨/١ ، والسيرة الشامية ؛ للصالحي ٢٨٩/٢ ـ ٢٩٠ وقال : روى ابن جرير والطبراني وابن أبي الدنيا وأبو نُعيم والخرائطي عن العباس بن مِرْداس .. وإسناد القصة ضعيف جداً .

(٤) لُهيب بن مالك اللهبي ، ويقال : لهب ، روى خبراً عجيباً في الكِهانة وأعلام النبوة . الاستيعاب ٣٣٠/٣ ، والإصابة ٣٣١/٣ .

علم من هذه النجوم التي يُرمى بها ؟ فإنا قد فزعنا لها وخفنا سوء عاقبتها ، فقال : ائتوني بسَحَرٍ ، أخبرْكم الخبرَ ، ألخير أم ضرر ، أو لأمنٍ أو حذر . قال : فانصرفنا عنه يومنا فلما كان من غدٍ في وجه السَّحَر أتيناه ، فإذا هو قائم على قدميه شاخصٌ في السماء بعينيه ، فناديناه يا خَطر يا خَطر ! فأومأ إلينا : أمسكوا . فأمسكنا ، فانقضَّ نجمٌ عظيمٌ من السماء وصرخ الكاهنُ رافعاً صوته :

أصَابه إصابُه خامَرَه عقابُه[1]
عاجله عذابُه أحرقه شهابُه
زايلَه جوابُه
يا ويلَه ما حالُه بَلْبَلَه بلبالُه[2]
عاوده خبالُه تقطَّعتْ حِبالُه
وغيَّرت أحوالُه

ثم أمسك طويلاً وهو يقول : يا معشر بني قحطان :

أُخبركم بالحقِّ والبيان أقسمتُ بالكعبة والأركانِ
والبلد المؤتمن السُّدَّانِ[3] قد مُنع السمعَ عتاةُ الجانِ
بثاقبٍ بكفِّ ذي سُلطانِ من أجلِ مبعوثٍ عظيمِ الشَّانِ
يُبعثُ بالتنزيل والفُرقانِ وبالهُدى وفاضلِ القرآنِ
تبطُلُ به عبادةُ الأوثانِ

قال : فقلت : ويحك يا خطر ! إنك لتذكرُ أمراً عظيماً فماذا ترى لقومِك ؟ فقال :

أرى لقومي ما أرى لنفسي أنْ يتبعوا خيرَ نبيِّ الإنسِ
برهانُه مثلُ شُعاعِ الشَّمسِ يُبعث في مَكَّةَ دارِ الحُمْسِ
بمحكمِ التنزيلِ غيرِ اللَّبْسِ

---

(١) « أصابه إصابُه » : حلَّ به الإصاب ؛ وأصل الإصاب الوِصاب ، جمع الوصيب ، وهو المرض ، قلبت واوه همزة ، مثل إشاح ووشاح .
(٢) « بلبله بلبَاله » : أحزنه همُّه ووسواسُ صدره .
(٣) « السُّدَّانُ » : جمع سادن ، وهو الخادم ، كخدَّام وخادم .

فقلنا له : يا خطر ! وممن هو ؟ فقال : والحياة والعيش إنه لمن قريش ، ما في حكمه طيش ، ولا في خلقه هَيْش[1] ، يكون في جيش وأي جيش ، من آل قحطان وآل أَيْش[2] . فقلنا : بيّن لنا من أي قريش هو ؟ فقال : والبيت ذي الدعائم ، إنه لمن نجل هاشم ، من معشر أكارم ، يُبعث بالملاحم ، وقتل كل ذي ظالم . ثم قال : هذا هو البيان ، أخبرني به رئيس الجان . ثم قال:الله أكبر جاء الحق وظهر ، وانقطع عن الجن الخبر . ثم سكت وأغمي عليه فما أفاق إلا بعد ثالثة ، فقال : لا إله إلا الله .

فقال رسولُ الله ﷺ : « سبحانَ الله ، لقد نَطق عن مثل نبوة ، وإنه ليُبعث يوم القيامة أمة وحده »[3] .

● قال السهيلي[4] : المعنى وصابه . مثل وشاح وأشاح وتكون الهمزة بدلاً من واو مكسورة .

وروينا من طريق ابن ماجه ، حدثنا محمد بن يحيى ، حدثنا إسرائيل ، حدثنا سماك ابن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن قريشاً أتوا امرأةً كاهنة ، فقالوا لها : أخبرينا

---

(١) « هَيْش » : فساد .

(٢) « وأيُّ أيش » : وأي قبيلة أخرى مهما عَظُم شأنُها .

(٣) قال ابن عبد البر في « الاستيعاب » ٣/٣٣٤ : بعد أن ساق الخبرَ بطوله : وذكر هذا الخبرَ أبو جعفر العقيلي في كتاب « الصحابة » له ، فقال : أخبرنا عبد الله بن أحمد البلوي ، قال : أخبرني عمارة بن زيد ، قال : حدثني عبد الله بن العلاء ، عن أبي الشعشاع زنباع بن الشعشاع ، قال : حدثني أبي ، عن لُهيب بن مالك اللهبي ... إلخ الخبر .

قال أبو عمر : هذا الحديث ضعيف ، ولو كان فيه حكم لم أذكره ، لأن رواته مجهولون ، وعمارة بن زيد متهم بوضع الحديث ، ولكنه في معنى حسن ، من أعلام النبوة ، والأصولُ في مثله لا تدفعه ، بل تصححه وتشهد له ، والحمد لله .

ونقل الحافظ ابن حجر كلام أبي عمر بعد أن ساق الخبر في « الإصابة » ٣/٣٣١ — ٣٣٢ مختصراً ، وقال : يُستفاد من هذا أنه تجوز رواية الحديث الموضوع إذا كان بهذين الشرطين : أن لا يكون فيه حكم ، وأن تشهد له الأصول ، وهو خلاف ما نقلوه من الاتفاق على عدم جواز ذلك ، ويمكن أن يُقال : ذكر هذا الشرط من جملة البيان . وانظر « نور النبراس » لوحة ١/١٥٦ .

(٤) الروض الأنف ١/٢٤١ .

أشبهَنا أثراً[1] بصاحب المقام[2] ؟ فقالت : إن أنتم جررتم كساءً على هـذه السُّهلـة[3] ، ثم مَشيتم عليها أنبأتكم ، فجروا كساءً ، ثم مشى الناس عليها ، فأبصرتْ أثرَ رسول الله ﷺ ، فقالت : هذا أقربُكم إليه شبهاً . ثم مكثوا بعد ذلك عشرين سنة أو ما شاء الله ثم بَعث الله محمداً ﷺ[4] .

وذكر ابن أبي خيثمة ، حدثنا موسى ، حدثنا حماد ، عن حميد ، عن عكرمة ؛ أن نفراً من قريش مروا بجزيرة من جزائر البحر ، فإذا هم بشيخ من جُرهم ، فقال : ممن أنتم ؟ قلنا نحن من أهل مكة من قريش . فقال الشيخ ذات يوم : لقد طلع الليلة نجمٌ ، لقد بُعث فيكم نبيٌّ . قال : فنظروا فإذا النبيُّ ﷺ قد بُعث تلك الليلة[5] .

قرىء على أبي عبد الله محمد بن عبد المؤمن المقدسي وأنا أسمع بغوطة دمشق ، أخبرتكم أمُّ النور عينُ الشمس بنت أحمد بن أبي الفرج الثقفي إجازة ؟ قالت أخبرنا أبو الفتح إسماعيل ابن الفضل بن أحمد بن الإخشيد ، قراءة عليه ، حدثنا الشيخ الزكي أبو القاسم الفضل ابن أحمد بن أحمد بن محمود الثقفي ، حدثنا أبو بكر أحمد بن يوسف بن إبراهيم الثقفي ، حدثنا أبو علي الحسن بن محمد بنُ أَلْهِ المُعَدِّل ، حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا عبيد الله ابن عبد المجيد ، حدثنا القاسم بن الفضل ، حدثنا أبو نضرة[6] ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : بينما راعٍ يَرعى بالجزيرة إذ عرض الذئب لشاة من شائه ، فحال الراعي بين الذئب وبين الشاة ، فأقعى الذئبُ على ذنبه ، فقال : ألا تتقي الله ، تحول بيني

---

(١) « أثراً » : أي أثر القدم على الأرض .

(٢) « بصاحب المَقَام » : مقام إبراهيم ، والمراد أنه أقرب اتباعاً لإبراهيم عليه السلام .

(٣) « السُّهلة » : الأرض اللينة حيث يظهر عليها الأثر .

(٤) رواه الإمام أحمد في « المسند » ٣٣٢/١ ، وابن ماجه في كتاب الأحكام (باب القافة) رقم /٢٣٥٠/ وفي الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات .

(٥) ابن أبي خيثمة : أحمد بن زهير بن حرب بن شداد النسائي البغدادي ، الحافظ ، المتوفى سنة ٢٧٩ هـ ، وربما ذكر هذا في كتابه « التاريخ » مخطوط ، وهو خبر عن عكرمة مولى ابن عباس الثقة عن شيخ مجهول من جرهم . نور النبراس لوحة ١٥٩/١ .

(٦) أبو نضرة : بالضاد المعجمة ، واسمه منذر بن مالك بن قطعة العبدي ، روى عن علي مرسلاً وعن ابن عباس وأبي سعيد ، وروى عنه قتادة وعوف وابن أبي عروبة ، وكان فصيحاً مفوهاً ثقة يُخطىء ، توفي

وبين رزق ساقه الله إلي . فقال الراعي : هل أعجبُ من ذئب مقع على ذنبه يكلمني بكلام الإنس . فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجبَ مني ؟ رسولَ الله ﷺ بين الحرتين ، يحدث الناس بأنباء ما قد سبق . فساق الراعي شاءَه فأتى المدينة فغدا على رسول الله ﷺ يُحدِّثه بما قال الذئب . فقال رسول الله ﷺ : صدق الراعي ، إن من أشراط الساعة كلامُ السِّباع الإنسَ ، والذي نفسي بيده لا تقومُ الساعة حتى يُكلِّم الرجلَ شِراكُ نعله ، وعذبة صوته ، ويُخبرَه بما صنع أهلُه[1] .

وذكر الواقدي بإسناد له ، قال : كان أبو هريرة يُحدث أن قوماً من خثعم كانوا عند صنم لهم جلوساً . ـ وكانوا يتحاكمون إلى أصنامهم ـ وفيه : قال أبو هريرة رضي الله عنه : فبينا الخثعميون عند صنمهم إذ سمعوا هاتفاً يهتف :

يا أيُّها النـاس ذوو الأجسام ... ومسندو الحكم إلى الأصنام
أكلُّكـم أَوْرَهُ[2] كالكَهـام ... أمـا تـرون مـا أرى أمامـي
من ساطعٍ يجلو دُجى الظلام ... ذاك نبـيٌّ سيّـدُ الأنـام
من هـاشم في ذُروة السَّنـام ... مستعلـنٌ بالبلـد الحرام
جـاء يهدُّ الكفـر بـالإسلام ... أكرمه الـرحمنُ مـن إمـام

قال أبو هريرة : فأمسكوا عنه ساعة حتى حفظوا ذلك ، ثم تفرقوا فلم تمض بهم ثالثة حتى فجأهم[3] خبرُ رسولِ الله ﷺ أنه قد ظهر بمكة . فمـا أسلـم الخثعميـون حتـى استأخر إسلامُهم ورأوا عبراً عند صنمهم[4] .

= سنة ١٨٠ هـ . نور النبراس لوحة ١/١٦١ والميزان ١٨١/٤ .

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٨٤/٣ ، وإسناده حسن ، كما أخرجه بإسناد له آخر إلى شهر عن أبي سعيد فذكر نحوه ، وذكر أيضاً من حديث أبي هريرة ، فذكر نحوه ، وهذا في الصحيح باختصار . نور النبراس لوحة ١٦١/١ .

(٢) « أَوْرَهُ كالكَهام » : الأَوْرَهُ : الأحمق ، والكَهام : بفتح الكاف ، الرجل الكليل الذي لا غناء عنده في رأي أو حركة .

(٣) « فجأهم » : يقال : فجأة الأمر وفجئه : أتاه بغتة .

(٤) الاكتفاء ٢٢٣/١ عن الواقدي ، وتهذيب ابن عساكر ٣٦٥/١ عن ابن إسحاق ، والسيرة الشامية ٢٨٥/٢ .

قال ابن إسحاق : وحدثني علي بن نافع الجُرَشي ؛ أن جَنْباً ـ بطناً ـ من اليمن كان لهم كاهن في الجاهلية ، فلما ذُكر أمرُ رسول الله ﷺ وانتشر في العرب ، قالت له جَنْبُ : انظر لنا في أمر هذا الرجل . واجتمعوا إليه في أسفل جبل ، فنزل إليهم[1] حين طلعت الشمس ، فوقف لهم قائماً متكئاً على قوس له ، فرفع رأسه إلى السماء طويلاً ، ثم جعل ينزو ، ثم قال : أيُّها الناس إن الله أكرم محمداً واصطفاه ، وطهَّر قلبَه وحشاه[2] ، ومكثه فيكم أيها الناس قليل . ثم اشتد في جبله راجعاً من حيث جاء[3] .

والأخبار[4] في هذا كثيرة .

* * *

---

(١) في « أ » و« ب » : عليهم .

(٢) « حَشَاهُ » : مفرد أحشاء .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٠٩/١ .

(٤) انظر هذه الأخبار في السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٠٤/١ — ٢٠٩ ودلائل النبوة ؛ لأبي نعيم ١١٤/١ — ١٢٧ ، ودلائل النبوة ؛ للبيهقي ٧٤/٢ — ١٢٠ ، والسيرة النبوية ؛ لابن كثير ٢٨٦/١ — ٣٠٨ والسيرة النبوية من تاريخ الإسلام اللذهبي ص ٢٠٢ — ٢٠٩ ، والسيرة الشامية ٢٤٦/٢ — ٢٨٠ ، وغيرها .

ذكر المبعث

متى وجبت له ﷺ النبوة ؟

قُرِىءَ على أبي عبد الله محمد بن عبد المؤمن بن أبي الفتح الصُّوري وأنا أسمع ، أخبرَكم أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل بن الحَرَسْتاني قراءةً عليه وأنتم تسمعون ؟ فأقرَّ به . قال أنبأنا أبو محمد عبد الكريم بن حمزة بن أبي الخَضر السُّلَمي سماعاً عليه ، أنبأنا أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الكَتَّاني[1] ، أنبأنا تمَّام بن محمد الرازي ، أنبأنا أحمد ابن سُليمان ، حدثنا يزيد بن محمد ، حدثنا أبو الجُمَاهر ، حدثنا سعيد بن بشير ، حدثنا قتادة ، عن الحسن ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ؛ أن رسولَ الله ﷺ قال : « كنتُ أوّلَ النبيين في الخلق وآخرَهم في البعث »[2] . أخبرنا محمد بن إسماعيل بن عبد الله بن الأنماطي بقراءة والدي عليه وأنا أسمع ، أنبأنا ابن الحرستاني سماعاً ، وأبو الحسن المؤيَّد ابن محمد بن علي الطرسوسي إجازةً ، قال : أنبأنا ابن الحرستاني أنبأنا الإمام أبو عبد الله محمد ابن الفضل بن أحمد الفَزَاري[3] ، أنبأنا أبو حفص بن مسرور ، أنبأنا أبو عمرو بن نُجَيد[4] ، حدثنا محمد بن أيوب الرازي ، أنبأنا محمد بن سِنان العَوَقي ، حدثنا إبراهيم بن

---

(١) الكتَّاني : بفتح الكاف وتشديد التاء ، وهو محدث دمشق ، أبو محمد ، عبد العزيز بن أحمد بن محمد ابن علي بن سليمان الكتاني ، حدث عن تمام الرازي وطبقته ، توفي سنة ٤٦٦ هـ . نور النبراس لوحة ١٦٢/١ .

(٢) قال الحافظ المحدِّث سبط ابن العجمي : هذا الحديث ليس في الكتب الستة ، والحسن البصري لم يسمع من أبي هريرة ، وما رآه قط .. وسعيد بن بشير ؛ قال البخاري : يتكلمون في حفظه ، ووثقه غيره .. نور النبراس لوحة ١٦٢/١ .

(٣) الفَزَاري : نسبة إلى فزارة ؛ بُليدة من ثغر خراسان ، وهي بفتح الفاء وضمها ، وهو الملقب بفقيه الحرم ، من تلامذة إمام الحرمين ، كان رجلاً فقيهاً صالحاً محدِّثاً ، توفي سنة ٥٣٠ هـ . نور النبراس لوحة ١٦٢/١ .

(٤) ابن نُجَيْد : اسمه إسماعيل بن نُجَيْد بن أحمد بن يوسف النيسابوري ، حدث عن محمد بن أيوب الرازي وأبي مسلم الكِجِّي وغيرهما ، وهو أحد الأئمة ، نور النبراس لوحة ١٦٣/١ .

طهمان ، عن بُديل ، عن عبد الله بن شقيق ، عن ميسرة الفَجْر[1] ، قال : قلت يا رسول الله متى كنتَ نبياً قال : « كنتُ نبياً وآدمُ بين الروح والجسد »[2] .

كم كانت سِنُّه ﷺ حين بُعث ؟

أخبرنا أبو حفص عمر بن عبد المنعم بن القوَّاس بقراءتي عليه بِعِرْبيل بغوطة دمشق ، قلتُ له أخبركم القاضي الإمام أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري قراءة عليه بحضورك في الرابعة ؟ فأقرَّ به . قال : أخبرنا جمال الإسلام أبو الحسن السُّلمي ، أخبرنا أبو نصر الحسين بن محمد بن طَلَّاب ، أخبرنا أبو الحسين بن جُمَيْع ، حدثنا خالد ابن محمد بدِمْياط ، حدثنا محمد بن علي الصائغ ، حدثنا محمد بن بشير التِّنِيسيّ ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني رَبيعة بن أبي عبد الرحمن ، حدثني أنس بن مالك : أن رسول الله ﷺ بُعث على رأس الأربعين وقُبض على رأس الستين وما في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء[3] .

(١) الفَجْر : هو بإسكان الجيم ، وقيده البخاري في « التاريخ » بفتحها ، وكذا الجوهري في الصحاح . وميسرة الفجرَ : صحابي ، ذكره البخاري والبغوي وابن السكن وغيرهم في الصحابة .. وقيل إن اسمه عبد الله ابن أبي الجدعاء ، وميسرة لقبه . الإصابة ٣ /٤٧٠ .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٥/٥٩ ، وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة : إسناده قوي لكن اختلف على بديل بن ميسرة .. وسئل العلامة أبو العباس بن تيمية عن حديث « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » وكذا « كنت نبياً ولا ماء ولا طين » فقال : هذا اللفظ كذب وباطل ، والمأثور رواه الترمذي وغيره « وآدم بين الروح والجسد » . نور النبراس لوحة ١٦٣/١ .
ورواه الترمذي في المناقب (باب ما جاء في فضل النبي ﷺ) رقم /٣٦١٣/ عن أبي هريرة ، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ، وهو عند الإمام أحمد في المسند ٦٦/٤ و٣٧٩/٥ من حديث عبد الله بن شقيق عن رجل ..

(٣) رواه مسلم في كتاب الفضائل (باب في صفة النبي ﷺ ، ومبعثه ، وسنه) رقم /٢٣٤٧/ ؛ حدثنا يحيى بن يحيى ، قال : قرأت على مالك ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن أنس بن مالك ... وذكره بأطول مما ذكره ابن سيد الناس رحمه الله تعالى .
وقال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم : الصوابُ أنه ﷺ بُعث على رأس الأربعين سنة . هذا هو المشهور الذي أطبق عليه العلماء . شرح النووي على صحيح مسلم ٩٩/١٥ .

خبر عموم بعثتِهِ عليه الصلاة والسلام(١)

أخبرنا أبو محمد عبد العزيز بن عبد المنعم الحرَّاني بقراءة والدي عليه ، أخبركم أبو علي ضياء بن أبي القاسم بن الخُرَيْف ؟ أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد الأنصاري أخبرنا أبو الحسن علي بن عيسى الباقلاني ، أخبرنا أحمد بن جعفر ، حدثنا الحسن بن الطيب(٢) البلخي ، حدثنا قُتيبة بن سعيد ، حدثنا بكر بن مضر ، عن ابن الهَادي ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه(٣) ، عن جده ؛ أن رسول الله ﷺ عامَ تَبوك قام من الليل يُصلي ، فاجتمع رجالٌ من أصحابه يحرسُونه ، حتى إذا صلَّى وانصرفَ إليهم ، قال لهم : « لقد أُعطيت الليلة خمساً ما أُعطيَهنَّ أحدٌ قبلي : أما أولاهن فأرسلتَ إلى الناس كلهم عامة وكان من قبلي إنما يُرسل إلى قومه . ونُصرتُ بالرعب على العدو ولو كان بيني وبينه مسيرةُ شهر لملىء مني رعباً . وأُحلت لي الغنائم كلُّها ، وكان من قبلي يعظمونها وكانوا يحرمونها . وجُعلت لي الأرضُ مسجداً وطهوراً أينما أدركتني الصلاة تمسَّحتُ وصلَّيتُ ، وكان مَنْ قبلي يُعظمون ذلك إنما كانوا يُصلُّون في كنائسهم وبيعهم . والخامسة : قيل لي سَلْ فإن كلَّ نبي قد سأل ، فأخَّرتُ مسألتي إلى يوم القيامة ، فهي لكم ولمن شهد أن لا إله إلا الله »(٤) .

---

(١) كذا في « أ » وفي بقية النسخ « إلى الأسود والأحمر » .

(٢) الحسن بن الطيب البلخي : عن قتيبة ، قال ابن عدي كان له عم يقال له الحسن بن شجاع ، فادعى كتبه ، وحدَّث أيضاً بأحاديث سرقها . وقال البَرْقَاني : ذاهب الحديث ، وقال الدارقطني : لا يساوي شيئاً .. توفي سنة ٣٠٧ هـ . ميزان الاعتدال ٥٠١/١ .

(٣) عمرو بن شعيب : عن أبيه ، أي عن شعيب بن محمد والد عمرو . عن جده : أي عن جد شعيب ، وهو عبد الله بن عمرو بن العاص ؛ لأن شعيباً لم ير أباه ، إذ مات أبوه وهو صغير ، فروايته إنما هي عن جده الذي نشأ وتربَّى في كنفه . وعمرو بن شعيب : حجة إذا صحَّ السند إليه على القول الأكثر .. انظر نور النبراس لوحة ١٦٥/١ .

(٤) رواه الإمام أحمد في « المسند » ٢٢٢/٢ عن قتيبة بن سعيد ، حدثنا بكر بن مضر عن ابن الهادي ، عن عمرو بن شعيب .. وذكره في مجمع الزوائد ٣٦٧/٨ وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات . وقال أحمد شاكر رحمه الله تعالى تحت رقم /٧٠٦٨/ ، إسناده صحيح . أما الحسن بن الطيب فقد ورد في سند المؤلف ولم يؤثر في ضعف الحديث شيئاً ، لورود الحديث من طريق آخر صحيح .

قرىء على عبد الرحيم بن يوسف الموصلي وأنا أسمع ، أخبرَكم ابنَ طَبْرَزَذ ، أخبرنا ابن(1) الحُصَيْن ، أخبرنا ابنُ غيلان(2) ، عن أبي بكر(3) الشافعي ، حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن مسلم ، حدثنا سليمان بن حرب ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر(4) ، عن سعيد بن جبير ، عن أبي موسى ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ سمع بي من يهوديّ أو نصرانيّ ثم لم يُسلم دخلَ النار »(5) .

قال ابنُ إسحاق فلما بلغَ رسولُ الله ﷺ أربعينَ سنة بعثه الله رحمةً للعالمين وكافةً للناس ، وكان الله قد أخذَ له الميثاق على كل نبيّ بعثَه قبلَه بالإيمان به والتصديق له والنصر على من خالفه ، وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك إلى كل من آمن بهم وصدَّقهم ، فأدَّوْا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه ، يقول الله تعالى لنبيّه محمد ﷺ : ﴿ وإذْ أخذَ الله ميثاقَ النبيِّينَ لما آتيتكُم من كتابٍ وحِكْمة ثم جاءَكم رسولٌ مُصدِّقٌ لما معكم لَتُؤمِنُنَّ به ولتنصُرُنَّه قال أأقْررتُم وأخذتُم على ذلكم إصْري ﴾ أي : ثقل ما حملتكم من عهدي ﴿ قالوا أقرَرْنا قال فاشهدُوا وأنا معكم من الشَّاهدين ﴾ [آل عمران : ٨١] فأخذ الله الميثاقَ عليهم جميعاً بالتصديق له والنصر ، وأدَّوا ذلك إلى من آمنَ بهم وصدَّقَهم من أهل هذين الكتابين(6) .

وعن عائشة رضي الله عنها : أن أوَّلَ ما ابتُدىء به رسولُ الله ﷺ من النبوة حين أراد الله به كرامتَه ورحمةَ العباد به الرؤيا الصادقة ، لا يرى رُؤيا إلا جاءت كفلق الصبح(7) ، وحَبَّبَ الله إليه الخلوة ، فلم يكن شيءٌ أحبَّ إليه من أن يخلوَ وحده(6) . وروينا عن أبي

(١) ابن الحُصين : هو المسند الرئيس أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحصين الشيباني .
(٢) ابن غَيْلان : هو أبو طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان البزاز .
(٣) أبو بكر الشافعي : هو محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي ، الإمام الحجة ، محدث العراق البغدادي ، قال الخطيب : كان ثقة ثبتاً كثير الحديث حسن التصنيف .. توفي سنة ٣٤٤ هـ نور النبراس لوحة ١٦٥/١ .
(٤) أبو بِشر : جعفر بن أبي وَحشيّة ، صدوق معروف ، ضعَّف يحيى بن القطان روايته عن حبيب بن سالم خاصة . ميزان الاعتدال ٤٩٥/٤ .
(٥) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ، في كتاب التفسير ، وإنما آثر المؤلف روايته من « الغيلانيات » ولم يذكره من النسائي ؛ لأنه يقع له أعلى .. نور النبراس لوحة ١٦٦/١ .
(٦) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٣٣/١ — ٢٣٤ .
(٧) « فلق الصبح » : ضياؤه وإنارته .

بِشر الدُّولابي : حدثني محمد بن حُميد أبو قرة ، حدثنا سعيد بن عيسى بن تليد ، حدثني المفضل بن فضالة ، عن أبي الطاهر عبد الملك بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم ، عن عمه عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أنه كان من بدءِ أمر رسولِ الله ﷺ أنه رأى في المنام رؤيا فشقَّ ذلك عليه ، فذكر ذلك لصاحبته خديجة بنت خويلد ، فقالت له : أبشر فإن الله لا يصنعُ بك إلا خيراً ، فذكر لها أنه رأى أن بطنه أُخرج فطُهِّر وغُسل ، ثم أُعيد كما كان . قالت : هذا خير فابشر . ثم استعلنَ[1] به جبريلُ ، فأجلسَه على ما شاء الله أن يجلسَه عليه وبشَّره برسالة ربه حتى اطمأن ، ثم قال : اقرأ . قال كيف أقرأ . قال : ﴿ اقرأ باسم رَبّك الذي خلق . خلقَ الإنسانَ من عَلَق . اقرأ وربُّك الأكرم ﴾ [العلق : ١ ــ ٣] . فقبلَ رسولُ الله ﷺ رسالةَ ربه ، واتَّبعَ الذي جاء به جبريلُ من عند الله ، وانصرفَ إلى أهله ، فلما دخل على خديجةَ قال : « أرأيتك الذي كنت أحدثك ورأيته في المنام فإنه جبريل استعلن » فأخبرَها بالذي جاءه من الله عز وجل وسمعَ . فقالت : ابشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً ، فاقبل الذي أتاك الله ، وابشر فإنك رسولُ الله حقاً[2] .

وروينا من طريق الدولابي عن محمد بن عايذ ، حدثنا محمد بن شُعيب ، عن عثمان ابن عطاء الخراساني ، عن أبيه عطاء بن أبي مسلم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : بعثَ الله عز وجل محمداً على رأس خمس سنين من بنيان الكعبة ، وكان أول شيء أراه إياه من النبوة رؤيا في النوم ، فذكر نحو ما تقدم ، وفي آخره : فلما قُضي إليه الذي أُمر به ، انصرفَ رسولُ الله ﷺ منقلباً إلى أهله لا يأتي على حجر ولا شجر إلا سلَّم عليه : سلامٌ عليك يا رسول الله . فرجعَ إلى بيته وهو موقنٌ قد فاز فوزاً عظيماً ــ الحديث[3] .

وروينا من طريق مسلم ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا يحيى بن أبي بُكير ،

(١) « استعلن » : جاءه علانية وجهاراً .

(٢) رواه الدولابي ، وهو مرسل ، إسناده حسن .

(٣) رواه الدولابي ، وإسناده ضعيف ، فيه عثمان بن عطاء بن أبي مسلم الخراساني ، يروي عن أبيه ، ضعفه مسلم ، ويحيى بن معين ، والدارقطني . وعطاء بن أبي مسلم الخراساني ، ضعَّفه البخاري ، وروايته عن ابن عباس مرسلة ، قال أبو داود : لم يدرك ابن عباس . وانظر ميزان الاعتدال ٣/٤٨ ــ ٤٩ و ٧٣ ــ ٧٥ .

عن إبراهيم بن طهمان ، قال : حدثني سماك بن حرب ، عن جابر بن سمرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأعرفُ حجراً بمكة كان يُسلِّم عليَّ قبل أن أُبعث ، إني لأعرفه الآن »[1] .

وفي رواية يونس عن ابن إسحاق بسنده إلى أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل ؛ أن رسولَ الله ﷺ قال لخديجةَ : إني إذا خلوتُ وحدي سمعتُ نداءً ، وقد خشيتُ والله أن يكون لهذا أمرٌ . قالتْ : معاذ الله ، ما كان الله ليفعلَ ذلك بك ، فوالله إنك لتؤدي الأمانة ، وتصلُ الرحم ، وتصدق الحديث . فلما دخل أبو بكر وليس رسولُ الله ﷺ ثَمَّ ، ذكرتْ خديجةُ له ، فقالت : يا عتيق اذهب مع محمد إلى ورقة ، فلما دخل رسولُ الله ﷺ أخذ أبو بكر بيده وقال : انطلق بنا إلى ورقة ، فقال : ومن أخبرك ؟ قال : خديجة . فانطلقا إليه ، فقصَّا عليه ، فقال : إني إذا خلوتُ وحدي سمعت نداءً خلفي يا محمد يا محمد ، فأنطلق هارباً في الأرض ، فقال له : لا تفعلْ ، إذا أتاك فاثبتْ حتى تسمعَ ما يقولُ لك ثم ائتني ، فأخبرني ، فلما خلا ناداه يا محمد يا محمد ، قل : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين . حتى بلغ ولا الضالين . قل : لا إلّه إلا الله . فأتى ورقةَ فذكَر له ذلك . فقال له ورقة : ابشر فأنا أشهدُ أنك الذي بشرَّ به ابنُ مريم وأنك على مثل ناموس موسى ، وأنك نبيٌّ مرسل ، وأنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ، ولئن أدركني ذلك لأجاهدنَّ معك . فلما توفي ورقةُ قال رسولُ الله ﷺ : « لقد رأيتُ القَسَّ في الجنة وعليه ثياب الحرير ؛ لأنه آمنَ بي وصدقني » - يعني ورقة[2] - .

وروينا عن أبي بكر الشافعي ، حدثنا محمد بن يونس بن موسى ، حدثنا عثمان بن عمر ابن فارس ، أخبرنا علي بن المبارك الهنائيّ ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة قال : سألتُ جابرَ بن عبد الله فقال : لا أحدثك إلا ما حدثنا رسولُ الله ﷺ ، قال : « جاورتُ بحراء ، فلما قضيت جواري هبطتُ ، فنُوديت فنظرتُ عن يميني فلم أر شيئاً ، فنظرتُ

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفضائل (باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة) رقم /٢٢٧٧/ .

(٢) السيرة الشامية ٣٢٦/٢ ، وقال محمد بن يوسف الصالحي : رواه البيهقي وأبو نعيم .. وفي سنده انقطاع . وقال سبط ابن العجمي : وهذا الحديث مرسل ، وهذا ظاهر . نور النبراس لوحة ١٦٨/١ .

عن يساري فلم أر شيئاً ، فنظرتُ من خلفي فلم أر شيئاً ، فرفعتُ رأسي فرأيتُ شيئاً بين السماء والأرض ، فأتيتُ خديجةَ فقلتُ دثروني وصبُّوا عليَّ ماءً بارداً » . فدثروني وصبُّوا عليَّ ماءً بارداً ، فنزلتْ هذه الآية : ﴿ يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربَّك فكبِّر ﴾ [المدثر : ١ ـ ٣] رواه[1] مسلم عن ابن مثنى ، عن عثمان بن عمر بن فارس .

وروينا من حديث الزهري قال أخبرني عروة بن الزبير ؛ أن عائشة زوجَ النبي ﷺ أخبرته : أنها قالت : كان أوّل ما بُدىء به رسولُ الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبِّبَ إليه الخلاء ، فكان يخلو بغار حراءَ يتحنث فيه ــ وهو التعبد ــ الليالي أولات[2] العدد قبل أن يرجعَ إلى أهله ويتزودَ لذلك ، ثم يرجعُ إلى خديجة فيتزودُ لمثلها ، حتى فجأهُ الحقُّ وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ . قال : ما أنا بقارىء . قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد[3] ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارىء . قال : فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت : ما أنا بقارىء . فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : ﴿ اقرأْ باسم ربِّكَ الذي خلق . خلقَ الإنسانَ من عَلَق . اقرأ وربُّك الأكرم . الذي عَلَّمَ بالقلم . عَلَّمَ الإنسانَ ما لم يعلم ﴾ [العلق : ١ ـ ٥] فرجعَ بها رسولُ الله ﷺ ترجفُ بوادرُه[4] حتى دخل على خديجةَ ، فقال : زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهبَ عنه الرَّوْع ، ثم قال لخديجة : أي خديجة ، مالي ؟ وأخبرها الخبرَ . قال : لقد خشيتُ على نفسي . قالت له خديجة : كلا ، ابشر فوالله لا يُخزيك الله أبداً ، إنك لتصلُ الرحم وتصدق الحديث ، وتحمل الكَلّ وتَكْسِبُ المعدومَ ، وتَقري الضيفَ ، وتُعين على نوائب الحق . فانطلقتْ به خديجةُ حتى أتتْ به ورقةَ بن نوفل ابن أسد بن عبد العزى ، وهو ابن عم خديجة أخي أبيها ، وكان امرأً تنصر في الجاهلية ،

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ) ، وهو عند البخاري في بدء الوحي رقم /٤/ والترمذي والنسائي . ولكن المؤلف رحمه الله تعالى آثر روايته من « الغيلانيات » ليقع له أعلى إسناداً .

(٢) كذا في جميع النسخ ، وفي البخاري « ذوات » .

(٣) « الجُهْدُ » : بالضم ، الطاقة . و« الجَهْدُ » : بالفتح ، المشقة .

(٤) « بوادرُه » : جمع بادرة ، وهي اللحمة تكون بين عنق الإنسان ومنكبه ، وكذلك في غير الإنسان .

وكان يكتبُ الكتابَ العربي ، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتبَ ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي . فقالت له خديجة : أي عم ، اسمع من ابن أخيك . قال ورقة بن نوفل يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسولُ الله ﷺ خبرَ ما رأى . فقال له ورقةُ : هذا الناموسُ الذي أُنزل على موسى ، يا ليتني فيها جَذَعاً ، يا ليتني أكون حياً حين يُخرجك قومُك . قال رسولُ الله ﷺ : أو مخرجي هم ؟ قال ورقة : نعم لم يأتِ رجلٌ قط بما جئت به إلا عُودي وإن يُدركْني يومُك أنصرْك نصراً مؤزراً . رويناه من حديث مسلم عن أبي الطاهر عن ابن وهب بن يونس عنه ، وهذا لفظه(١) . ورويناه من طريق البخاري وغيره ولفظهم متقارب .

ورويناه من طريق الدولابي ، حدثنا يُونس بن عبد الأعلى ، حدثنا عبد الله بن وهب ، أخبرني يُونسُ بن يزيد ، عن الزهري ، عن عروةَ عن عائشة رضي الله عنها ، فذكر نحوَ ما تقدم ، وفي آخره : ثم لم يَنْشَبْ ورقةُ أن توفي ، وفترَ الوحيُ فترةً حتى حزنَ رسولُ الله ﷺ فيما بلغنا حزناً غدا منه مِراراً كي يتردَّى من رؤوس شواهق الجبال ، فكلما أوفى بذروةٍ كي يُلقي نفسه منها ، تبدَّى له جبريلُ عليه السلام ، فقال : يا محمد ، إنك رسولُ الله حقاً ، فيسكن لذلك جأشُه ، وتقرُّ نفسُه ، فيرجعُ ، فإذا طال عليه فترةُ الوحي غدا لمثل ذلك ، فإذا أوفى ذروة تبدَّى له جبريلُ فقال مثل ذلك(٢) .

وعن عُبيد بن عُمير : كان رسولُ الله ﷺ يجاور في حراء من كل سنة شهراً ، وكان ذلك مما تتحنّثُ به قريش في الجاهلية ــ والتحنث التبرُّر ــ فكان يُجاور ذلك الشهر من كل سنة ، يُطعم من جاءه من المساكين ، فإذا قضى جوارهُ من شهره ذلك كان أوَّل ما يبدأ به إذا انصرف قبل أن يدخل بيته : الكعبة ، فيطوفُ بها سبعاً أو ما شاء الله ، ثم يرجعُ إلى بيته حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله به فيه ما أراد من كرامته ، وذلك الشهر رمضان ، خرج رسول الله ﷺ إلى حِرَاء كما كان يخرج لجواره ، ومعه أهله ، حتى إذا كانت الليلة

---

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي (باب ٣) رقم /٣/ ، ومسلم في كتاب الإيمان (باب بدء الوحي برسول الله ﷺ) رقم /١٦٠/ ، والترمذي في كتاب المناقب (باب رقم ١٣) رقم /٣٦٣٦/ .

(٢) رواه البخاري في كتاب التعبير (باب أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من الرؤيا الصالحة) رقم /٦٩٨٢/ وهذه الزيادة من بلاغات الزهري وليست موصولة . انظر فتح الباري ٣٥٩/١٢ .

التي أكرمه الله فيها برسالته ، ورحم العباد بها ، جاءه جبريل بأمر الله تعالى ، قال رسول الله ﷺ : فجاءني وأنا نائم بنمط من دِيباج[1] فيه كتاب ، فقال : اقرأ . قلتُ : ما أقرأ . فغتني به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ . فقلت ما أقرأ . فغتني[2] به حتى ظننتُ أنه الموت . ثم أرسلني فقال : اقرأ . قلتُ : ماذا أقرأ ؟ ما أقولُ ذلك إلا افتداءً منه أن يعودَ لي بمثل ما صنعَ . قال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلقَ الإنسانَ من علق . اقرأ وربُّك الأكرم . الذي عَلَّمَ بالقلم . عَلَّمَ الإنسانَ ما لم يَعلم ﴾ [العلق : ١ — ٥].

فقرأتُها ، ثم انتهى فانصرف عني ، وهببتُ من نومي فكأنما كَتَبَ في قلبي كتاباً ، فخرجتُ حتى إذا كنت في وسطٍ من الجبل ، سمعتُ صوتاً من السماء يقولُ : يا محمد ! أنتَ رسولُ الله وأنا جبريل . فرفعتُ رأسي إلى السماء أنظر فإذا جبريل في صورة رجل صَافٌّ قدميه في أفق السماء ، يقول : يا محمد أنت رسولُ الله وأنا جبريل . فوقفتُ أنظرُ إليه فما أتقدَّم وما أتأخر ، وجعلتُ أصرف وجهي عنه في آفاق السماء ، فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيتُه كذلك ، فما زلتُ واقفاً ما أتقدم أمامي وما أرجعُ ورائِي حتى بعثتْ خديجةُ رسلَها في طلبي ، فبلغوا مكةَ ورجعوا إليها وأنا واقفٌ في مكاني ذلك ، ثم انصرفَ عني وانصرفتُ راجعاً إلى أهلي ، حتى أتيتُ خديجةَ فجلستُ إلى فخذها مُضيفاً[3] إليها . فقالت : يا أبا القاسم أين كنت ؟ فوالله لقد بعثتُ رسلي في طلبك ، فبلغوا مكة ورجعوا إلي . ثم حدثتها بالذي رأيتُ ، فقالت : ابشر يا ابنَ عمي . واثبت ، فوالذي نفسي بيده ، إني لأرجو أن تكونَ نبيَّ هذه الأمة . ثم قامتْ فجمعتْ عليها ثيابَها ثم انطلقتْ إلى ورقةَ ابن نوفل ، وهو ابن عمها ، وكان قد تنصر وقرأ الكتب ، وسمع من أهل التوراة والإنجيل ، فأخبرته بما أخبرها به رسولُ الله ﷺ أنه رأى وسمع . فقال ورقةُ : قدوس[4] قدوس ، والذي نفسي بيده ، لئن كنتِ صدقتني يا خديجة ، لقد جاءه الناموسُ الأكبر الذي كان

---

(١) « بنمط من ديباج » : النمط : البساط ، والديباج : الحرير المزركش ، المنسوج .

(٢) « فغتني » : الغت : حبس النفس .

(٣) « مُضيفاً » : مُسنداً .

(٤) « قدوس » : القدوس : اسم من أسماء الله الحسنى ، ومعناه : الطاهر والمنزه عن العيوب والنقائص ، وهي هنا للتعجب ، مثل قول القائل في مواقف التعجب : الله ! الله ! .

يأتي موسى ، وإنه لنبيُّ هذه الأمة ، فقولي له فليثبتْ . فرجعتْ خديجةُ إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بقول ورقة .

فلما قضى رسولُ الله ﷺ جوارَه وانصرفَ صنعَ كما كان يصنعُ ، بدأ بالكعبة فطافَ بها فلقيَه ورقةُ بن نوفل وهو يطوفُ بالكعبة ، فقال له : يا ابن أخي ! أخبرني بما رأيتَ وسمعتَ . فأخبره رسولُ الله ﷺ . فقال له ورقةُ : والذي نفسي بيده إنك لنبيُّ هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموسُ الأكبرُ الذي جاء موسى ، ولتُكَذبنَّه ولتُؤذينَّه ولتُقاتلنَّه ، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرنَّ الله نصراً يعلمه . ثم أدنى رأسه منه فقبّل يأفوخه ، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله[1] .

وروينا عن أبي بشر ، حدثنا عبد الله بن عبد الرحيم ،

حدثنا عبد الملك بن هشام ، عن زياد ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدثني إسماعيل بن أبي حكيم ، مولى آل الزبير أنه حُدِّثَ عن خديجة ، أنها قالت لرسول الله ﷺ : أي ابنَ عم ! أتستطيعُ أن تخبرَني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك ؟ قال : نعم ، قالت : فإذا جاءك فأخبرني به . فجاءَه جبريلُ عليه السلام . فقال رسولُ الله ﷺ يا خديجةُ : هذا جبريلُ قد جاءني . قالت : قم يا ابنَ عم فاجلسْ على فخذي اليُسرى . قال : فقام رسول الله ﷺ فجلسَ عليها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم . قالت : فتحولْ فاقعدْ على فخذي اليمنى . قال فتحولَ رسولُ الله ﷺ فقعدَ على فخذها اليمنى . فقالت : هل تراه ؟ قال : نعم . قالت فتحولْ فاجلس في حِجري . فتحول فجلسَ في حجرها . ثم قالت : هل تراه ؟ قال : نعم . قال : فَتَحَسَّرَتْ فألقت خِمارها ، ورسولُ الله ﷺ جالسٌ في حِجْرها . ثم قالت : هل تراه ؟ قال : لا . قالت : يا ابن عم ! اثبت وابشر فوالله إنه لَملَك ، ما هذا بشيطان[2] .

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٣٦/١ — ٢٣٨ ، وهو مرسل صحيح الإسناد ؛ لأن عُبيد بن عمير بن قتادة الليثي ، تابعي ، ولد على عهد النبي ﷺ ، وكان قاصّ أهل مكة ، مجمع على ثقته ، روى له الجماعة . تقريب التهذيب ص ٣٧٧ .

(٢) رواه الدولابي ، وهو خبر ضعيف ، لقوله : حُدِّث عن خديجة ، فهو مبني للمجهول ، فالمحدث عنها مجهول ، وقال في نور النبراس : وأقل ما يكون بينه وبين خديجة اثنان ، والله أعلم .

وفي رواية يُونس ، وروى عطاء بن السائب ، وأبو بشر وأبو إسحاق ، كلُّهم عن سعيد ابنُ جُبير ، دخل حديث بعضهم في بعض ، عن ابن عباس ، قال : كان لكل قبيل من الجن مقعدٌ من السماء يستمعون فيه ، فلما رُموا بالشهب وحيل بينهم وبين خبر السماء قالوا : ما هذا إلا لشيء حدث في الأرض ، وشكوا ذلك إلى إبليس لعنه الله ، فقال : ما هذا إلا لأمر حدث فائتوني من تربة كل أرض . فانطلقوا يضربون مشارقَ الأرض ومغاربها يبتغون علم ذلك ، فأتوه من تربة كلِّ أرض ، فكان يشمُّها ويرمي بها ، حتى أتاه الذين توجهوا إلى تهامة بتربة من تربة مكة ، فشمَّها وقال : من ها هنا يحدث الحدث . فنظروا فإذا النبيُّ ﷺ قد بُعث ، ثم انطلقوا فوجدوا رسولَ الله ﷺ وطائفةً معه من أصحابه بنخلةَ عامدين إلى سوق عكاظ وهو يُصلّي بهم صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآنَ استمعوا له ، فقالوا : هذا والله الذي حال بيننا وبين خبر السماء ، فولَّوا إلى قومهم منذرين ، فقالوا : ﴿ إنا سمعنا قرآناً عجباً . يهدي إلى الرشد ﴾ [الجن : ١ ــ ٢] وذكر تمام الخبر[١] .

وقال شعبةُ ، عن مغيرة ، عن إبراهيم النخعي : نزلت عليه ﴿ يا أيها المدثر ﴾ وهو في قطيفة .

وقال شيبان عن الأعمش ، عن إبراهيم : أولُ سورة أنزلت عليه ﴿ اقرأْ باسمِ رَبِّكَ الذي خَلَق ﴾ وهو قول عائشة ، وعُبيد بن عُمير ، ومحمد بن عَبّاد بن جعفر ، والحسن البصري ، وعكرمة ، ومجاهد ، والزهري .

وروينا عن أبي علي بن الصواف ، حدثنا جعفر بن أحمد ، حدثنا محمد بن خالد بن عبد الرحمن ، حدثنا إبراهيم بن عثمان ــ وهو أبو شيبة[٢] ــ عن الحكم بن عُتيبة ، عن مقسم ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : « كان من الأنبياء من يسمعُ الصوتَ فيكون

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير (تفسير سورة الجن) رقم /٤٩٢١/ ، ومسلم في كتاب الصلاة (باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن) رقم /٤٤٩/ عن أبي بِشْر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس .. لم يرد فيه ذكر إبليس ، إنما ورد ذكره فيما رواه الطبري وابن مردويه وغيرهما من طريق عطاء ابن السائب ، عن سعيد بن جُبير مطولاً .. انظر فتح الباري ٦٧١/٨ .

(٢) في جميع النسخ « ابن أبي شيبة » ، والتصحيح من الكامل « لابن عدي ٢٣٩/١ .

بذلك نبياً ، وإن جبريلَ يأتيني فيكلمني كما يأتي أحدَكم صاحبُه فيكلّمه »[1].

أخبرنا عبد الله بن أحمد بن فارس التميمي وغيره سماعاً وقراءة ، قالوا : أخبرنا أبو اليُمن الكِنْدي قراءة عليه ونحن نسمع ، أخبرنا أبو القاسم الحريري أخبرنا أبو طالب العُشَاري ، أخبرنا أبو الحسين الواعظ ، حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد المصري ، حدثنا بكر ابن سهيل ، حدثنا شُعيب بن يحيى ، حدثنا الليث بن سعد ، قال : حدثني سعيد بن أبي سعيد ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيتُ وحياً أوحاه الله عزَّ وجل إليَّ ، فأرجو أن أكونَ أكثَرهم تابعاً يوم القيامة »[2] .

وكان نزول جبريل له عليه السلام فيما ذكر يوم الاثنين لسبع في رمضان ، وقيل : لسبع عشرة مضت منه ، رواه البراء بن عازب وغيره . وعن أبي هريرة أنه كان في السابع والعشرين من رجب . وقال أبو عُمر : يوم الاثنين لثمان من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام الفيل ، وقد قيل غير ذلك .

ذكر فوائد تتعلق بهذه الأخبار

● حديث أنس أن رسولَ الله ﷺ بُعث على رأس أربعين .

المتفق عليه بين أهل النقل مما فيه[3] : إقامتُه عليه السلام بالمدينة عشراً ، وأما إقامته بمكة فمختلف في مقدارها ، وسيأتي ذلك في آخر الكتاب عند ذكر وفاته عليه الصلاة والسلام .

وأما سِنُّه عليه الصلاة والسلام حين نُبِّيءَ ؛ فالمروي عن ابن عباس ، وجُبير بن مُطعم ،

---

(١) في إسناده إبراهيم بن عثمان ، أبو شيبة العبسي ، ضعيف جداً ، لا يحتج بحديثه ، قال الإمام أحمد : منكر الحديث ، وقال النسائي : متروك الحديث . الكامل في ضعفاء الرجال ١/٢٣٩ ــ ٢٤١ .

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن (باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل) رقم /٤٩٨١/ ، ومسلم في كتاب الإيمان (باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ) رقم /١٥٢/ .

(٣) « مما فيه » أي مما ورد في حديث أنس من تحديد زمني لبعثة رسول الله ﷺ ووفاته .

وقَباث بن أشيم ، وعطاء ، وسعيد بن المسيب ، كالمروي عن أنس ، وهو الصحيح عند أهل السير وغيرهم ؛ قال أبو القاسم السهيلي[1] : وقد روي أنه نُبِّىء لأربعين وشهرين .

●وفي حديث عمرو بن شُعيب : فاجتمع رجال من أصحابه يحَرسونه حتى إذا صلَّى .

والمرادُ – والله أعلم – ينتظرون فراغه من الصلاة ، وأما حَرْسُ[2] رسول الله ﷺ من المشركين فقد كان انقطع منذ نزلت ﴿ والله يعصمُك من الناس ﴾ [المائدة : ٦٧] وذلك قبل تبوك ، والله أعلم .

● وحديث جابر بن سَمُرة : « إني لأعرف حجراً بمكة كان يُسَلِّم عليَّ » .

هذا هو المعروف بغير زيادة ، وقد رُوي أن ذلك الحجر هو الحجر الأسود ، ويُحتمل أن يكون هذا التسليم حقيقة ، وأن يكون الله أنطقه بذلك ، كما خلق الحنينَ في الجِذْع . ويُحتمل أن يكون مضافاً إلى ملائكة يَسكنون هناك من باب ﴿ واسأَلِ القريةَ ﴾ [يوسف : ٨٢] ، فيكون من مجاز الحذف ، وهو عَلَمٌ ظَاهرٌ من أعلام النبوة على كلا التقديرين .

● وفي حديث عُبيد بن عُمير في خبر نزول جبريل عليه السلام ، قال رسول الله ﷺ : « فجاءني وأنا نائم » . فهذه حالة ، وحديث عائشة وغيرها أنه كان في اليقظة ، فهذه حالة ثانية ، ولا تعارضَ لجواز الجمع بينهما بوقوعهما معاً ، ويكون الإتيان في النوم توطئة للإتيان في اليقظة . وقد قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : أوّلُ ما بُدىء به عليه الصلاة والسلام من الوحي الرؤيا الصادقة . وعن الشَّعْبيّ أن رسولَ الله ﷺ وُكِّل به إسرافيلُ فكان يَتراءى له ثلاث سنين ، ويأتيه بالكلمة من الوحي ، ثم وُكِّل به جبريلُ فجاءه بالقرآن والوحي[3] ، فهذه حالة ثالثة لمجيء الوحي . ورابعة : وهي أن يُنفثَ في رُوعه

---

(١) الروض الأنف ١/٢٦٥ .

(٢) « حَرْسُ » : مصدر كالحراسة .

(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١/١٩١ ، وهو مرسل صحيح الإسناد ، وقد أنكر الواقديُّ خبر الشَّعبيّ وقال : لم يُقرن به من الملائكة إلا جبريل ، وذكر الصالحي في سيرته ٢/٣١٠ أخباراً توهن خبر الشعبي .

الكلامُ نفثاً ؛ كما قال عليه الصلاة والسلام : « إن روحَ القُدُس نَفَثَ في رُوعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها ورزقها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب »[1] . وخامسةٌ : وهي أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجَرَس ، وهو أشدُّه عليه ، وقيل : إن ذلك ليستجمعَ قلبُه عند تلك الصلصلة فيكون أوعى لما يَسمع . وسادسةٌ : وهي أن يُكلِّمَه الله من وراء حجاب إما في اليقظة كما في ليلة الإسراء ، وإما في النوم كما في حديث معاذ « أتاني ربِّي في أحسن صورة ، فقال : فيم يختصمُ الملأُ الأعلى »[2] . وكان المَلَك يأتيه عليه الصلاة والسلام تارة في صورته ، له ستمائة جناح ؛ كما روي . وتارة في صورة دِحيةَ الكلبيّ . فهذه حالات متعددة ذكر معناها السُّهَيْلي[3] .

● وقوله فغطني ، ويُروى فسأبني ، ويُروى سأتني ، ويُروى فدعتني ، وكلُّها واحد ، وهو الخنق والغم .

● والناموسُ : صاحب سِرِّ المَلِكِ . وقال بعضُهم : الناموس : صاحبُ سِرّ الخير ، والجاسوس : صاحب سِرّ الشر .

● ومؤزراً : من الأزر ، وهو القوة والعون .

● واليأفوخ : مهموز ، ولا يُقال في رأس الطفل يأفوخ حتى يشتدَّ ، وإنما يُقال له الغاذية .

● وفترة الوحي : لم يذكرْ لها ابنُ إسحاق مدة معينة ، قال أبو القاسم السُّهيلي[4] : وقد جاء في بعض الأحاديث المسندة أنها كانت سنتين ونصف سنة ، والله أعلم .

---

(١) رواه من الصحابة : أنس بن مالك ، وأبو أمامة ، وجابر بن عبد الله ، وابن مسعود ، وحذيفة ، وأبو الدرداء ، وأبو هريرة ، وأبو حُميد الساعدي . وهو حديث صحيح . انظر هامش جامع الأصول ١١٧/١٠ .

(٢) رواه الترمذي في كتاب التفسير (باب ومن سورة صٓ) رقم /٣٢٣١/ و/٣٢٣٢/ ، وهو عند أحمد في « المسند » ٣٦٨/١ ، وهو حديث صحيح . انظر هامش جامع الأصول ٥٤٨/٩ .

(٣) الروض الأنف ٢٦٨/١ — ٢٧٠ .

(٤) الروض الأنف ٢٨١/١ .

ذكرُ صلاتِه عليه الصلاة والسلام أوّل البعثة

قال ابن إسحاق : حدثني بعضُ أهل العلم أن الصلاة حين افتُرضت على رسول الله ﷺ ، أتاه جبريل وهو بأعلى مكة فهمز له بعقبه في ناحية الوادي ، فانفجرت منه عين ، فتوضأ جبريلُ ، ورسولُ الله ﷺ ينظرُ ليريَه كيف الطُّهور للصلاة ، ثم توضأ رسولُ الله ﷺ كما رأى جبريلَ يتوضأ ، ثم قام به جبريلُ فصلَّى به ، وصلَّى رسولُ الله ﷺ بصلاته ، ثم انصرف جبريلُ ، فجاء رسولُ الله ﷺ خديجةَ فتوضأ لها ليريَها كيف الطُّهور للصلاة ، كما أراه جبريل ، فتوضأتْ كما توضأ لها رسولُ الله ﷺ ثم صلَّى بها رسولُ الله ﷺ كما صلَّى به جبريل ، فصلَّتْ بصلاته . كذا ذكره ابن إسحاق[1] مقطوعاً . وقد وصلَه الحارثُ بن أبي أسامة : حدثنا الحسن بن موسى ، عن ابن لهيعة ، عن عُقيل بن خالد ، عن الزهري ، عن عروة ، عن أسامة بن زيد ، قال : حدثني أبي زيدُ بن حارثة ، أن رسولَ الله ﷺ في أوّل ما أُوحي إليه ، أتاه جبريلُ عليه السلام فعلَّمه الوضوءَ ، فلما فرغَ من الوضوء ، أخذ غرفةً من ماء فنضحَ بها فرجَه . قاله السهيلي[2] .

وقد رويناه من طريق ابن[3] ماجه ، عن إبراهيم بن محمد الفريابي ، عن حسان بن عبد الله ، عن ابن لهيعة ، عن عُقيل عن الزهري بسنده بمعناه .

وقد رُوي نحوه عن البراء بن عازب وابن عباس رضي الله عنهم . وفي حديث ابن عباس وكان ذلك أوّلَ من الفريضة .

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٢٤٤ .

(٢) الروض الأنف ١/٢٨٣ — ٢٨٤ ، وقال السهيلي : تعلم الرسول الوضوء من جبريل حديث مقطوع في السيرة ، ومثله لا يكون أصلاً في الأحكام الشرعية ، ولكنه قد روي مسنداً إلى زيد بن حارثة — يرفعه — غير أن هذا الحديث يدور على عبد الله بن لَهيعة وقد ضُعِّف ، ولم يخرج عنه مسلم ولا البخاري ؛ لأنه يقال : إن كتبه احترقت ، وكان يُحدِّثُ من حفظه ، وكان مالكُ بن أنس يُحَسِّن فيه القول .

(٣) رواه ابن ماجه في كتاب الطهارة (باب ما جاء في النضح بعد الوضوء) رقم /٤٦٢/ ، وقال في الزوائد : إسناده ضعيف ؛ لضعف ابن لهيعة .

وعن مُقاتل بن سليمان : فرض الله في أوّل الإسلام الصلاةَ ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي ، ثم فرض الخمسَ ليلة المعراج .

وأما إمامةُ جبريل بالنبي ﷺ عند البيت ليريَه أوقاتَ الصلوات الخمس فليس هذا موضع الحديث[1] ، وإن كان ابن إسحاق وضَعه هنا من طريق ابن عباس ، لاتفاق أصحاب الحديث الصحيح على أن هذه الواقعة كانت صبيحةَ الإسراء ، وهو بعد هذا بأعوام ، كما سيأتي مُبيناً عند ذكر أحاديث المعراج والإسراء ، إن شاء الله تعالى .

ذكر أوّل الناس إيماناً بالله ورسوله ﷺ

وأوّل الناس إيماناً **خديجة بنت خويلد** بن أسد بن عبد العزى بن قصيّ بن كلاب فيما أتت به الآثار ، وذكره أهلُ السير والأخبار ، منهم ابن شهاب وقتادة وغيرهما .

وروينا عن الدولابي ، حدثنا أبو أسامة الحلبي ، حدثنا حجاج بن أبي منيع ، حدثنا جدي ، عن الزهري قال : كانت خديجة أوّلَ من آمنَ برسول الله ﷺ .

وروينا عن الدولابي[2] أيضاً ، حدثنا أحمد بن المقدام ؛ أبو الأشعث ، حدثنا زهير ابن العلاء ، حدثنا سعيد بن أبي عَرُوبة ، عن قتادة ، قال : كانت خديجةُ أوّلَ من آمن بالنبيِّ ﷺ من النساء والرجال . وهو قولُ موسى بن عقبة ، وابن إسحاق ، والواقدي ، والأموي ، وغيرهم .

قال ابن إسحاق : كانت خديجةُ أوّلَ من آمنت بالله ورسوله وصدَّقت ما جاء من عند الله عز وجل ووازرته[3] على أمره ، فخفَّف الله بذلك عن رسوله ، فكان لا يسمع شيئاً يكرهه من ردٍّ عليه وتكذيب له ، فيحزنه ذلك إلا فرَّج الله عنه بها إذا رجع إليها ،

---

(١) قاله السهيلي في الروض الأنف ١/٢٨٤ .

(٢) السيرة الشامية ؛ للصالحي ٢/٤٠٢ وقال : وحكى الإمام الثَّعْلَبيُّ اتفاق العلماء على ذلك ، وإنما اختلافهم في أوّلِ من أسلمَ بعدَها . وقال النووي : إنه الصواب عند جماعة من المحقّقين .

(٣) « ووازرته » : عاونته .

تثبته وتخفّف عليه ، وتصدّقه ، وتهوّن عليه أمرَ الناس ، حتى ماتت رحمها الله تعالى[1] .

أخبرنا عبد الرحيم بن يوسف المِزّي بقراءة والدي عليه ، قال أنبأنا أبو حفص بن طَبرزذ ، أنبأنا محمد بن عبد الباقي ، أنبأنا الحسن بن علي الجوهري ، أنبأنا ابن الشخير ، أنبأنا إسحاق – يعني ابن موسى الرَّملي – حدثنا سهل بن بحر ، حدثنا عُبيد – يعني ابن يعيش – حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن الشيباني ، عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه ، قال : بشَّر رسولُ الله ﷺ خديجةَ ببيتٍ في الجنة من قَصَبٍ ، لا صخبَ فيه ولا نصب[2] .

أخبرنا أحمد بن[3] عبد الرحمن الحارثي ، ويحيى بن أحمد الجُزَامي في آخرين ، قالوا : أخبرنا أبو عبد الله بن أبي المعالي ، أخبرنا أبو محمد السعدي ، أخبرنا علي بن الحسين المصري ، أخبرنا أبو العباس أحمد بن الحسين بن جعفر العطار قراءة عليه وأنا أسمع ، حدثنا أبو محمد الحسن بن رشيق العسكري ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن رزيق بن جامع المديني سنة سبع وتسعين ومائتين ، حدثنا أبو الحسين سفيان بن بشر الأسدي الكوفي ، حدثنا علي بن هاشم بن البَرِيد ، عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع ، عن أبيه ، عن جده أبي رافع ، قال : صلَّى النبي ﷺ أول يوم الاثنين ، وصلت خديجة رضي الله عنها آخر يوم الاثنين ، وصلَّى عليٌّ يوم الثلاثاء من الغد[4] ... الحديث .

ثم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، واسم أبي طالب عبدُ مناف بن عبد المطلب

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٢٤٠ .

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبيِّ ﷺ (باب تزويج النبي ﷺ خديجة ، وفضلها) رقم /٣٨١٨/ ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة (باب من فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها) رقم /٢٤٣٣/ .
و « القصب » : اللؤلؤ المجوف ، وقيل هو جوهر طويل مجوف .
و« صخب » : الصَّخب : الضجة والغلبة . و« نصب » : النَّصَبُ : التعب .

(٣) في « ج » و« د » : أخبرنا أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن الحارثي .

(٤) حديث أبي رافع لم نجده في المراجع الحديثية المتوافرة لدينا ، وإسناده ضعيف ، فيه : علي بن هاشم بن البريد ، وثقة بعضهم ، وضعفه آخرون ، وهو شيعي مفرط ، وقال ابن حِبَّان : روى المناكير عن المشاهير . وفيه : محمد بن عبيد الله بن أبي رافع ، ضعفوه ، وقال ابن عدي : يروي في الفضائل ، لا يُتابع عليها . نور النبراس لوحة ١/١٧٢ .

ابن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ بن كِلاب ، وكان عليٌّ أصغرَ من جعفر بعشر سنين ، وجعفرُ أصغر من عقيل بعشر سنين ، وعقيل أصغر من طالب بعشر سنين .

قال أبو عمر[1] : وقد روي عن سلمان وأبي ذر والمقداد وخبّاب وجابر وأبي سعيد الخدري وزيد بن أرقم : أن عليَّ بن أبي طالب أول من أسلم . وكذلك قال ابن إسحاق[2] ، وهو قول ابن شهاب إلا أنه قال : من الرجال بعد خديجة ، وهو قول الجميع في خديجة . وأسلم أخواه جعفر وعقيل بعد ذلك ، وكان يومئذ ابن ثمان سنين ، وقيل : عشرة ، وقيل اثنتي عشرة ، وقيل خمس عشرة .

قال ابنُ إسحاق : وكان مما أنعم الله عليه أنه كان في حِجْر رسول الله ﷺ قبل الإسلام ، وذلك أن قريشاً أصابتهم أزمةٌ شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة ، فقال رسول الله ﷺ للعباس عمه ، وكان من أيسر بني هاشم ، يا عباس ! إن أخاك أبا طالب كثيرُ العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا إليه فلنخفف من عياله ، آخذ من بنيه رجلاً وتأخذُ أنت رجلاً فنكفُّهما عنه . قال العباس : نعم . فانطلقا حتى أتيا أبا طالب ، فقالا : إنا نُريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشفَ عن الناس ما هم فيه ، فقال لهما أبو طالب : إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما . ويُقال : عقيلاً وطالباً . فأخذ رسولُ الله ﷺ عليّاً فضمَّه إليه ، وأخذ العباسُ جعفراً فضمَّه إليه ، فلم يزلْ عليٌّ مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نبياً ، فاتبعه علي وآمنَ به وصدقه ، ولم يزل جعفرُ عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه[3] .

وروينا من طريق أبي بكر الشافعي بالإسناد المتقدم ، حدثنا محمد بن بشر بن مطر ، حدثنا محمد بن حُميد ، حدثنا سلمة[4] بن الفضل ، حدثني محمد بن إسحاق ، عن يحيى

---

(١) الاستيعاب ٣١/٣ — ٣٢ بهامش الإصابة .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٤٥/١ .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٤٦/١ ، والخبر مرسل من كلام مجاهد بن جَبْر أبي الحجاج المخزومي المقرىء ، مولى السائب بن أبي السائب ، وُلد سنة ٢١ هـ في خلافة عمر ، وتوفي سنة ١٠٤ هـ . تقريب التهذيب .

(٤) كذا في جميع النسخ : « سلمة بن الفضل » ، وفي ميزان الاعتدال ، وذكر في نور النبراس لوحة ١٧٢/١ أنه وجد في نسخة مصححة من الغيلانيات « مسلمة بن الفضل » . وهو الأبرش ، قاضي الري ، وراوي

ابن أبي الأشعث ، عن إسماعيل بن إياس بن عفيف الكندي - وكان عفيفٌ أخا الأشعث ابن قيس لأمه ، وكان ابن عمه - عن أبيه ، عن جده عفيف الكندي ، قال : كان العباسُ بن عبد المطلب لي صديقاً ، وكان يختلف إلى اليمن يشتري العِطْر ويبيعه أيام الموسم ، فبينما أنا عند العباس بمنى فأتاه رجل مجتمع[1] ، فتوضأ فأسبغ الوضوء ، ثم قام يُصلي ، فخرجتِ امرأةٌ فتوضأت ثم قامت تصلي ، ثم خرج غلام قد راهق ، فتوضأ ثم قام إلى جنبه يصلي ، فقلت : ويحك يا عباس ما هذا الدين ! قال : هذا دين محمد بن عبد الله ابن أخي ، يزعم أن الله بعثه رسولاً ، وهذا ابن أخي علي بن أبي طالب قد تابعه على دينه ، وهذه امرأته خديجة قد تابعته على دينه . فقال عفيف بعد أن أسلم ورسخ في الإسلام : ياليتني كنتُ رابعاً[2] .

وذكر ابنُ إسحاق عن بعض أهل العلم أن رسولَ الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة ، وخرجَ معه عليُّ بن أبي طالب مستخفياً من أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه ، فيُصلّيان الصلوات فيها ، فإذا أمسيا رجعا كذلك ، فمكثا ما شاء الله أن يمكثا ، ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يُصلّيان ، فقال لرسول الله ﷺ : يا ابن أخي ما هذا الدين الذي أراكَ تدينُ به ؟ قال : أي عم ، هذا دين الله ودين ملائكته ورسله ، ودين أبينا إبراهيم - أو كما قال ﷺ - بعثني الله به رسولاً إلى العباد ، وأنت أي عم أحقُّ من بذلتُ له النصيحة ودعوته إلى الهدى ، وأحقُّ من أجابني إليه وأعانني عليه - أو كما قال - فقال أبو طالب : أي ابن أخي ، إني لا أستطيع أن أفارقَ دِيَن آبائي وما كانوا عليه ، ولكن والله لا يُخلَصُ إليك بشيء تكرهه ما بقيت . وذكروا أنه قال لعلي : أي بنيّ ، ما هذا الدين الذي أنت عليه ؟ فقال : يا أبت آمنتُ برسول الله ﷺ

= المغازي عن ابن إسحاق ، ضعفه ابن راهويه والنسائي وابن المديني وغيرهم ، وقال ابن معين : كتبنا عنه وليس به بأس . توفي سنة ١٩١ هـ .

(١) « مجتمع » : الرجل المجتمع : الذي بلغ أشدّه ، ولا يُقال ذلك في النساء .

(٢) الاستيعاب ١٦٣/٣ وقال أبو عمر : إن عفيف الكندي له صحبة ، روى عنه ابناه يحيى وإياس أحاديث ، منها نزوله على العباس في أول الإسلام حديث حسن جداً . كما أخرجه الحاكم في « المستدرك » ١٨٣/٣ وصححه ، وأقره الذهبي .

وصدقت بما جاء به ، وصلَّيتُ معه لله واتبعته . فزعموا أنه قال له : أما إنه لم يدعُكَ إلا إلى خيرٍ فالزمْه[1] .

قال ابن إسحاق : ثم أسلم **زيد بن حارثة** بن شَرَاحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرىء القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ودّ بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عُذْرة بن زيد الله بن رُفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة ، كذا عند ابن هشام الكلبي ، مولى رسول الله ، فكان أوّل ذَكَرٍ أسلم ، وصلَّى بعد عليٍّ بن أبي طالب ، وكان زيد أصابه سِباء في الجاهلية ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد بأربعمائة درهم ، ثم وهبته خديجة لرسول الله ﷺ بعد ذلك ، وتتبع أهلُه خبرَه حتى دُلّوا عليه ، فأتوا في طلبه ، فخيّره رسولُ الله ﷺ بين المُكْث عنده أو الرجوع مع أهله ، فاختار رسولَ الله ﷺ ، فأقام عنده وخبرُه بذلك مشهور[2] .

ثم أسلم **أبو بكر بن أبي قُحافة** رضي الله عنه ، واسمه عتيق ، وقيل : عبد الله . وعتيق لقب لحسن وجهه وعِتْقه[3] ، وقيل : غير ذلك . واسم أبي قُحافة : عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي ، فلما أسلم أظهرَ إسلامَه ودعا إلى الله وإلى رسوله ، وكان أبو بكر مَألفاً[4] لقومه محبباً سهلاً ، وكان أنسب قريش لقريش وأعلمهم بها ، وبما كان فيها من خير وشر ، وكان تاجراً ذا خلق ومعروف ، فكان رجال قومه يأتونه ويألفونه (لغير واحد من الأمر :)[5] لتجارته وحسن مجالسته وغير ذلك ، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه ، فأسلم بدعائه فيما بلغني :

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٢٤٦ — ٢٤٧ .
(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٢٤٧ — ٢٤٨ .
(٣) « وعِتْقِهِ » : لنجاته من الموت ، لأن أمه — فيما قيل — كان لا يعيش لها ولد . فنذرت إن عاش لها ولد ، أن تسميه عبد الكعبة ، فلما عاش لها وشبَّ سمي عتيقاً ، ولما أسلم سماه رسولُ الله ﷺ عبد الله . انظر الروض الأنف ١/٢٨٧ — ٢٨٨ .
(٤) « مألفاً » : محلاً لألفتهم ومحبتهم ، وفي « الروض الأنف » ١/٢٨٨ مُؤلفاً ، وهي من الإيلاف .
(٥) ما بين القوسين سقط من « أ » و« ج » .

عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب ابن مُرة .

والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي .

وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة .

وسعد بن أبي وقاص واسم أبي وقّاص مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب .

وطلحة بن عبيد بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة .

فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له فأسلموا وصلوا ، فكان رسول الله ﷺ يقول فيما بلغني : « ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده فيه كبوة ونظر وتردد ، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ، ماعَكَمَ[1] عنه حين ذكرته له وما تردد فيه » . قال : فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام فصلّوا وصدّقوا رسولَ الله ﷺ ، وصدقوا ما جاءه من عند الله[2] .

ثم أسلم : **أبو عُبيدة عامر بن عبد الله بن الجرَّاح** بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر .

وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هِلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة ابن مرة بن كعب بن لؤي . **والأرقم** بن أبي الأرقم عبد مناف بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

وعثمان بن مظعون بن حبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصيص ابن كعب بن لؤيّ وأخواه **قُدامة وعبد الله** .

وعُبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف بن قُصيّ بن كِلاب .

وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل بن عبد العزى بن رِياح بن عبد الله بن قُرطْ بن

---

(١) « ماعَكَمَ » : ما تلبَّث وما تأخر .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٢٥٠ – ٢٥٢ .

رَزاح بن عديّ بن كعب بن لؤيّ ، وعند ابن هشام تقديم عبد الله بن قُرط على رِياح . وامرأته **فاطمة بنت الخطاب** بن نفيل المذكور .

وأسماء ابنة أبي بكر ، وعائشة أختها وهي صغيرة . كذا روينا عن ابن إسحاق في إسلام عائشة وليس بمستقيم ، فإن عائشة لعلها في هذا التاريخ لم تكن وُلدتْ[1] .

وخبَّاب بن الأرّت بن جندلة بن سعد بن خُزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مَناة بن تميم الخُزاعي ولاءً ، الزهري حلفاً . **وعُمير بن أبي وقَّاص** أخو سعد .

وعبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شَمْخ بن فأر بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة . وعند ابن هشام فيه خلاف ما ذكرناه ، حليف بني زهرة .

ومسعود بن ربيعة القارىء بن عمرو بن سعد بن عبد العزى بن حمالة بن غالب ابن مُحلِّم بن عايذة بن سُبيع بن الهُون بن خُزيمة بن القَارة .

وسَليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ابن لؤي .

وعيَّاش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . وامرأته أسماء بنت سَلامة بن مُخَرِّبة بن جندل بن أُبَيْر بن نَهشل بن دارم الدارمية التميمية .

وخُنَيْس بن حُذافة بن قيس بن عديّ بن سُعَيْد بن سَهم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي .

وعامر بن ربيعة العَنْزي بإسكان النون ، وهو فيما ذكر ابن الكلبيّ عامر بن ربيعة الأصغر بن حُجير بن سَلامان بن مالك بن ربيعة الأكبر بن رفيدة بن عبد الله ، وهو عنز ابن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعْمى بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، حكاه الرشاطي[2] . قال : وذكر أبو عمر في نسبه اختلافاً كثيراً لا يتحصل منه شيء ،

---

(١) في « د » : كذا روينا عن ابن إسحاق ، وليس بمستقيم في إسلام عائشة ، وقد ذكر هو في آخر الكتاب أنها وُلدت في السنة الخامسة من النبوة ، وهذا أقربُ إلى الصواب .

(٢) الرُّشَاطي : هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي بن أحمد ، الحافظ النسَّابة ، أبو محمد اللخمي ، أَلَّفَ

وهو حليف آل الخطاب .

وعبد الله بن جحش بن رِئاب بن يَعمر بن صَبَرة بن مُرة بن كبير بن غنم بن دودان ابن أسد بن خزيمة ، وأخوه أبو أحمد[1] حليفا بني أمية .

وجعفر بن أبي طالب . وامرأته أسماء بنت عُميس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة من خثعم ، كذا هو عند ابن إسحاق . وعند أبي عمر : أسماء بنت عميس بن معد ابن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن معاوية ابن زيد بن مالك بن نسر بن وهب الله بن شهران بن عفرس بن حلف بن أفتل ، وهو جماعة خثعم بن أنمار على اختلاف في أنمار . وقيل : أسماء بنت عميس بن مالك بن النعمان ابن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن زيد بن نسر بن وهب الله .

وحاطب بن الحارث بن مَعمر بن حبيب بن وهب بن حُذافة بن جُمح . وامرأته فاطمة بنت المُجلَّل بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤي ، وأخوه خَطَّاب وامرأته فُكيهة بنت يَسار .

ومَعمَر بن الحارث بن معمَر بن حبيب بن وهب بن حُذافة بن جُمح .

والسائب بن عثمان بن مظعون .

والمطلّب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة . وامرأته رملة بنت أبي عوف بن صُبيرَة بن سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب بن لؤي .

والنَّحَّام نُعيم بن عبد الله بن أَسِيد بن عبد الله بن عوف بن عُبيد بن عَويج بن عديّ ابن كعب .

وعامر بن فُهيرة مولى أبي بكر .

وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، وامرأته أُمينَة بنت خلف بن أسعد

= كتابه الحافل المسمى « اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب رواة الآثار » وكان ضابطاً محدثاً بليغاً متقناً .. توفي سنة ٥٤٢ هـ . نور النبراس لوحة ١٧٥/١ .

(١) أبو أحمد : هو عبد بن جحش ، الشاعر ، أخوه عبد الله ، وأخته أم المؤمنين زينب بنت جحش ، من قدماء السابقين إلى الإسلام . الإصابة ٣/٥ — ٥ طبعة دار الكتب العلمية .

ابن عامر بن بَياضة بن سُبيع بن خثعمة بن سعد بن مُليح بن عمرو بن خُزاعة .

وحاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر ابن لؤيّ .

وأبو حذيفة مهشم بن عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف .

وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عَرين بن ثعلبة بن يَربوع بن حنظلة بن مالك ابن زيد مَناة بن تميم حليف بني عديّ .

وخالد وعامر وعاقل وإياس بنو البُكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة ، من بني سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كِنانة حلفاء بني عديّ .

وعمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوديم بن ثعلبة ابن عوف بن حارثة بن عامر الأكبر بن يام بن عنس وهو زيد بن مالك بن أدد ، ومالك جماع مَذحِج حليف بني مخزوم .

وصُهيب بن سنان بن مالك بن عبد عمرو بن عقيل بن عامر بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن أسلم بن أوس مناة بن النمر بن قاسط كذا هو عند ابن الكلبي .

وعند أبي عمر : **سنان بن خالد** بن عبد عمرو بن عقيل بن عامر بن جندلة بن سعد ابن خزيمة بن كعب بن سعد ، قال : إلى هنا نسبه ابن إسحاق ، ونسبه الواقدي وخليفة وابن الكلبيّ وغيرُهم فقالوا : صُهيب بن سِنان بن خالد بن عبد عمرو بن طُفيل بن كعب ابن سعد ، ومنهم من يقول : ابن سفيان بن جندلة بن مسلم بن أوس بن زيد مناة من النمر بن قاسط ، يُقال له الرومي ، وكان مولى لعبد الله بن جُدْعان[1] .

وذكر أبو عمر في السابقين[2] : أبا ذر جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار بن مُليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة .

---

(١) انظر ذكر السابقين إلى الإسلام في السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٢٥٢ — ٢٦٢ .

(٢) انظر خبر السابقين إلى الإيمان برسول الله ﷺ في « الدُّرَر في اختصار المغازي والسِّيَر » ؛ لابن عبد البر ص ٣٩ — ٤١ .

وأبا نجيح السلمي عمرو بن عبسة بن منقل بن خالد بن حذيفة بن عمر بن خلف ابن مازن بن مالك بن ثعلبة بن بهثة بن سليم .

ومازن بن مالك أمه بَجْلة بنت هناءة بن مالك بن فهم وإليها ينسب البَجْلي بسكون الجيم . ذكره كذلك الرُّشَاطي .

وحُكي عن أبي عمر في نسبه غير ذلك وصحَّح ما ذكرناه . وحكي عن أبي عمر في نسبه غاضرة بن عَتَّاب ، وزعم أنه خطأ ، وأن الصواب في ذلك النسب ناضرة بن خُفاف . قال أبو عمر : ولكنهما ، يعني أبا ذر وأبا نجيح رجعا إلى بلاد قومهما .

وذكر فيهم عتبة بن مسعود أخا عبد الله بن مسعود .

وكان سبب إسلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ما رويناه من طريق أبي علي بن الصواف بالسند المتقدم ، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، ورويناه من طريق الطبراني في معجمه الصغير ، قال : حدثنا عمر بن عبد الرحمن السُّلمي ، قالا : حدثنا إبراهيم بن الحجاج السَّامي واللفظ للأول ، قال : حدثنا سلَّام أبو المنذر ، حدثنا عاصم بن بهدلة ، عن زر بن حُبيش ، عن عبد الله بن مسعود قال : كنت في غنم لآل عقبة بن أبي مُعيط ، فجاء رسولُ الله ﷺ ومعه أبو بكر بن أبي قحافة ، فقال النبي ﷺ : هل عندك لبن ؟ قلت : نعم ولكني مُؤتمن . قال : فهل عندك من شاة لم ينز عليها الفحل ؟ قلت : نعم فأتيته بشاة شَصُوص[1] ، قال سلام : وهي التي ليس لها ضَرْع ، فمسحَ النبيُّ ﷺ مكانَ الضَّرْع وما لها ضرع ، فإذا ضَرْع حافل مملوء لبناً . قال : فأتيتُ النبيَّ ﷺ بصخرة منقعرةٍ فاحتلب النبيُّ ﷺ ، فسقى أبا بكر وسقاني ، ثم شرب ، ثم قال : للضرعِ اقلصْ فرجعَ كما كان . قال : فلما رأيتُ هذا من رسول الله ﷺ قلتُ يا رسول الله علمني ، فمسحَ رأسي وقال : بارك الله فيك فإنك غلام مُعَلّم . قالَ فأتيتُ النبيَّ ﷺ فبينا نحن عنده على حِراء إذ أُنزلت عليه سورة المرسلات ، فأخذتُها وإنها لرطبة بفيه – وإنَّ فاه لرطب بها – فلا أدري بأي الآيتين ختم ﴿ وإذا قِيلَ لهمُ ارْكَعوا لا يَرْكعون ﴾ [المرسلات : ٤٨] أو ﴿ فبأيِّ حديثٍ بعدَه يُؤمنون ﴾ [المرسلات : ٥٠] .

---

(١) « شَصُوص » : الشاة التي قلّ لبنها جداً ، أو ذهب .

وأخذتُ من في رسول الله ﷺ سبعينَ سورةً ، وأخذت بقية القرآن من أصحابه ، فبينا نحن نيام على حِراء - أو على الجبل - فما نبهنا إلا صوتُ النبيّ ﷺ منعها منكم الذي منعكم منها . قال : قلت يا رسول الله وما ذاك ؟ قال : حية خرجت من ناحية الجبل[1] .

ذكرُ دعاءِ رسولِ الله ﷺ قومَه وغيرَهم إلى الإسلام

قال ابن إسحاق : ثم دخل الناسُ في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الإسلام بمكة ، وتحدث الناسُ به ، ثم إن الله عز وجل أمَرَ رسولَه ﷺ أن يصدعَ بما جاءه منه ، وأن يُنادي في الناس بأمره ويدعوَ إليه ، وكان مدة ما أخفى رسولُ الله ﷺ أمرَه واستسرَّ به إلى أن أمره الله تعالى بإظهاره ثلاث سنين فيما بلغني من مبعثه ، ثم قال الله تعالى له : ﴿ فاصدعْ بما تُؤمر وأعرضْ عن المشركين ﴾ [الحجر : ٩٤] ثم قال : ﴿ وأنذرْ عشيرتَك الأقربين . واخفضْ جناحَك لمن اتَّبعكَ من المؤمنين ﴾ [الشعراء : ٢١٥ - ٢١٦] . ﴿ وقلْ إني أنا النذيرُ المبين ﴾ [الحجر : ٨٩] . فلما بادى رسولُ الله ﷺ قومَه بالإسلام وصدعَ به كما أمره الله ، لم يَبعدْ منه قومُه ولم يردّوا عليه حتى ذكر آلهتهم وعابَها ، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه وأجمعوا خلافه وعداوته ﷺ إلا من عصم الله منهم بالإسلام ، وهم قليل مستخفون ، وحَدِبَ[2] على رسول الله ﷺ عمُّه أبو طالب ومنعه وقام دونه .

ومضى رسولُ الله ﷺ مُظهراً له ، لا يردُّه عنه شيء ، فلما رأت قريش أن رسولَ الله ﷺ لا يُعتبهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم ، ورأوا أن عمَّه أبا طالب قد حَدِب عليه وقام دونه ولم يُسلمه لهم ، مشى رجالٌ من أشرافهم إلى أبي طالب فقالوا :

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الصغير ١/١٨٦ - ١٨٧ إلى قوله : من أصحابه . وقال عقبة : لم يروه عن سلام إلا إبراهيم .
ورواه الإمام أحمد في المسند ١/٤٦٢ مختصراً عن عفان ، عن حماد بن سلمة ، عن عاصم بن بَهْدلة ، عن زِرِّ بن حُبَيْش ، عن ابن مسعود . وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تحت رقم /٤٤١٢/ : إسناده صحيح .

(٢) « وحَدِب » : عطف .

يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سبَّ آلهتنا وعابَ ديننا وسفَّه أحلامنا وضلَّل آباءنا ، فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلِّي بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً ، وردهم رداً جميلاً ، فانصرفوا عنه ، ومضى رسولُ الله ﷺ على ما هو عليه يُظهر دينَ الله ويدعو إليه ، ثم شَرِيَ[1] الأمر بينه وبينهم ، حتى تباعد الرجال وتضاغنوا ، وأكثرت قريش ذكر رسول الله ﷺ بينها ، فتذامروا عليه[2] وحضَّ بعضهم بعضاً عليه .

ثم إنهم مشوْا إلى أبي طالب مرة أخرى ، فقالوا له : يا أبا طالب إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا ، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك ، حتى يهلِكَ أحدُ الفريقين أو كما قال . ثم انصرفوا عنه فعظُم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يَطِبْ نفساً بإسلام رسول الله ﷺ ولا خذلانه . وذُكر أن أبا طالب لما قالت له قريش هذه المقالة بعث إلى رسول الله ﷺ ، فقال له : يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا — للذي قالوا له — فأبق عليَّ وعلى نفسك ولا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق . فظنَّ رسولُ الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بَدَاءٌ[3] ، وأنه خاذلُه ومسلمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه ، فقال له : يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمرَ حتى يظهرَه الله أو أهلِكَ فيه ما تركته . ثم استعبرَ رسولُ الله ﷺ فبكى ، ثم قام فلما ولَّى ناداه أبو طالب فقال له : أقبل يا ابن أخي . فأقبل عليه ، فقال : اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببتَ ، فوالله لا أسلمُك لشيء أبداً .

ثم إن قريشاً حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خِذلان رسول الله ﷺ وإسلامَه ، وإجماعَه[4] لفراقهم في ذلك وعداوتهم ، مشوْا إليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة ، فقالوا

---

(١) « شَرِيَ » : كثر وتفاقم ، من قولهم : شَرِيَ البرقُ : إذا كثُر لمعانه .

(٢) « فتذامَروا عليه » : حثَّ بعضُهم بعضاً على حربه وعداوته ومقاطعته .

(٣) « بَدَاءٌ » : نشأ له فيه رأي .

(٤) « وإجماعَه لفراقهم » : أي وعرفوا إجماعَه لفراقهم .

له : يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهدُ[1] فتًى من قريش وأجملُه فخذه فلك عقله ونصره ، واتخذه ولداً ، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم ، فنقتلَه فإنما هو رجل كرجل . قال : والله لبئس ما تسومونني ، أتعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه ، هذا والله مالا يكون أبداً . فقال المطعم بن عدي : والله يا أبا طالب لقد أنصفَك قومُك وجَهدوا على التخلص مما تكرهُه ، فما أراك تُريد أن تقبل منهم شيئاً . فقال له أبو طالب والله ما أنصفوني ولكنك قد أجمعتَ خذلاني ومظاهرة القوم عليَّ ، فاصنع ما بدا لك ، فحقِبَ[2] الأمر ، وتنابذَ القوم ، وبادى بعضُهم بعضاً .

قال : ثم إن قريشاً تذامروا بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أسلموا معه ، فوثبت كلُّ قبيلة على من فيهم من المسلمين يُعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، ومنعَ الله تعالى منهم رسولَه بعمه أبي طالب ، وقد قام أبو طالب حين رأى قريشاً يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه ، فاجتمعوا إليه وأقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه ، إلا ما كان من أبي لهب[3] .

روينا عن أبي بكر الشافعي ، حدثنا إسحاق بن الحسن بن ميمون الحربي ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، حدثنا سعيد بن سَلمة بن أبي الحسام ، حدثنا محمد بن المنكدر ؛ أنه سمع ربيعة بنَ عَبَّاد أو عِباد الدؤلي يقول : رأيتُ رسولَ الله ﷺ يطوفُ على الناس في منازلهم[4] قبل أن يهاجرَ إلى المدينة ، يقول : « يا أيها الناسُ إن الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً » . قال : ووراءه رجل يقول : يا أيها الناس إن هذا يأمُركم أن تتركوا دينَ آبائكم . فسألت من هذا الرجل ؟ فقيل : أبو لهب[5] .

---

(١) « أنهدُ فتًى » : أقوى وأجلد .

(٢) « فحَقِبَ الأمرُ » : اشتد .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٦٢/١ ــ ٢٦٩ .

(٤) « في منازلهم » : يعني في منازل القبائل في المواسم .

(٥) رواه الحاكم في « المستدرك » ١٥/١ وصححه ، وأقره الذهبي ، وهو عند الإمام أحمد في « المسند » ٤٩٢/٣ .

قال ابن إسحاق : ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر الموسمَ فقال لهم : يا معشر قريش إنه قد حضرَ هذا الموسم وإن وفود العرب ستقدم عليكم ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمِعوا فيه رأياً ولا تختلفوا فيكـذب بعضُكم بعضاً . قالوا : فأنتَ يا أبا عبد شمس فقل ، وأقم لنا رأياً نقول فيه . قال : بل أنتم فقولوا أسمع . قالوا : نقول كاهن . قال : والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا بسجعه . قالوا فنقول : مجنون . قال والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخَنِقه ولا تخالجه ولا وسوسته . قالوا : فنقول شاعر . قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كلَّه رَجَزَهَ وهَزَجه وقريضه ومقبوضَه ومبسوطه ، فما هو بالشعر . قالوا : فنقول : ساحر . قال : ما هو بساحر ، قد رأينا السُّحار وسحرهم ، فما هو بنفثه ولا عُقَدِه . قالوا : فما تقول يا أبا عبد شمس ؟ قال : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لعَذْق وإن فرعَه لجَنَاة ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا أعرف أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر ، جاء بقول هو سحر يُفرِّق به بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته . فتفرقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذَّروه إياه ، وذكروا له أمرَه ، وصدرتِ العربُ من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ فانتشرَ ذكْرُه في بلاد العرب كلِّها[1] .

● قوله : لعَذْق بفتح العين المهملة وسكون الذال إستعارة من النخلة التي ثبت أصلُها وهو العَذْق . ورواية ابن هشام : لغَدِق بغين معجمة وكسر الدال المهملة من الغَدَق ، وهو الماء الكثير . قال السهيلي : ورواية ابن إسحاق أفصح لأنها استعارة تامة تُشبِّه آخرَ الكلام بأوله .

* * *

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٢٧٠ — ٢٧٢

ذكرُ ما لَقِيَ رسولُ الله ﷺ

من أذى قومِهِ وصبرِه وما مَنَّ الله به من حمايتِهِ له

أخبرنا الإمام أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المقدسي ، وأبو محمد عبد العزيز بن عبد المنعم الحرَّاني قراءة عليهما وأنا حاضر ، فالأول قال : أخبرنا أبو اليُمْن الكِندي ، والثاني قال : أخبرنا أبو علي بن أبي القاسم البغدادي ، قالا : أخبرنا محمد بن عبد الباقي ، أخبرنا ابن حَسنُون ، أخبرنا أبو القاسم السرَّاج هو موسى بن عيسى بن عبد الله ، حدثنا محمد ابن محمد بنُ سليمان ، حدثنا أبو طاهر أحمد بن عمر بن السَّرح ، حدثنا عبد الله بن وهب ، قال : أخبرني الليث بن سعد ، عن إسحاق بن عبد الله ، عن أبَانِ بن صالح ، عن علّي بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه ، عن العباس بن عبد المطلب قال : كنتُ يوماً في المسجد فأقبلَ أبو جهل فقال : إن لله عليَّ إن رأيتُ محمداً أن أطأَ على عنقه ، فخرجتُ إلى رسولِ الله ﷺ حتى دخلتُ عليه فأخبرته بقول أبي جهل ، فخرج غضبانَ حتى دخلَ المسجدَ ، فعجلَ أن يدخلَ من الباب ، فاقتحم من الحائط . فقلت هذا يوم شر نبشته ، فدخل رسولُ الله ﷺ فقرأ : ﴿ اقرأْ باسمِ ربِّك الذي خلق ﴾ [العلق : ١] حتى بلغ شأن أبي جهلٍ ﴿ كلَّا إن الإنسانَ ليَطغى . أن رآهُ استغنى ﴾ [العلق : ٦ — ٧] قال : فقال إنسانٌ لأبي جهل : يا أبا الحكم ! هذامحمد . فقال أبو جهل : ألا ترون ما أرى ؟ والله لقد سدَّ أفق السماء عليَّ ، فلما بلغ رسولُ الله ﷺ آخر السورة سجد[1] .

قرأتُ على الإمام الزاهد أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن أحمد بسفح قاسيون ، أخبركم أبو البركات داود بن أحمد بن محمد البغدادي قراءة عليه وأنت تسمع ، فأقر به ، أخبرنا أبو الفضل محمد بن عمر بن يوسف ، أخبرنا أبو الغنائم عبد الصمد بن علي بن محمد بن

---

(١) هذا الحديث ليس في الكتب الستة ، كما ذكر في نور النبراس لوحة ١٨٤/١ . وفي إسناده إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة المتوفى سنة ١٤٤ هـ ، متروك ، لا يُحتج بحديثه . تهذيب التهذيب ٢٤٠/١ — ٢٤١ .

المأمون ، أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني ، حدثنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن سعيد البزَّاز ، ومحمد بن هارون الحضرمي قالا : حدثنا محمد بن منصور الطوسي ، حدثنا أبو أحمد الزبيري ، حدثنا عبد السلام هو ابن حرب ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما نزل ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ جاءت امرأة أبي لهب إلى النبي ﷺ ومعه أبو بكر رضي الله عنه ، فلما رآها قال : يا رسول الله إنها امرأة بَذِيّة[1] ، فلو قمتَ لا تؤذيك . قال : « إنها لن تراني . فجاءت فقالت : يا أبا بكر صاحبك هجاني . قال : لا ، وما يقول الشعر . قالت : أنت عندي تُصَدَّقُ وانصرفت . قلت : يا رسول الله ! لَمْ تركَ ؟ قال : لا ، لم يزل مَلَكٌ يَسترني منها بجناحه »[2] .

قرأتُ على أبي عبد الله محمد بن عثمان بن سلامة بدمشق ، أخبرك أبو القاسم الحسن ابن علي بن الحسين بن الحسن بن محمد بن البُنّ الأسدي قراءةً عليه وأنت تسمع ، فأقر به : أخبرنا جدي ، أخبرنا القاسم بن أبي العلاء ، أخبرنا أبو محمد بن أبي نصر ، أخبرنا خيثمة ، حدثنا هلال يعني ابن العلاء الرَّقي ، حدثنا سعيد بن عبد الملك ، حدثنا محمد ابن سلمة ، عن أبي عبد الرحيم ، عن زيد هو ابن أبي أُنيسة ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو ابن ميمون الأَوْدي ، حدثنا عبد الله بن مسعود ، قال : كنا مع رسول الله ﷺ في المسجد الحرام ، ورُفقة من المشركين من قريش ، ونبي الله ﷺ يُصلي وقد نُحر قبلَ ذلك جَزور ، وقد بقي فرثه[3] وقذره ، فقال أبو جهل : ألا رجلٌ يقوم إلى هذا القذر يُلقيه على محمد . ونبي الله ﷺ ساجد ، إذ انبعث أشقاها ، فقام فألقاها عليه . قال عبد الله : فهِبنا أن نلقيَه عنه ، حتى جاءت فاطمة رضي الله عنها فألقته عنه ، فقام فسمعته يقول ، وهو قائم يُصلّي : « اللهم اشدد وطأتك على مضر ، سنين كسني يوسف ، عليك بأبي الحكم بن هشام – وهو أبو جهل – وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وعقبة

---

(١) « بذية » : من البذاء ، وهو الفحش في القول .

(٢) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٤٤/٧ وقال : رواه أبو يعلى والبزار بنحوه ، وقال البزار : إنه حسن الإسناد . قلت : ولكن فيه عطاء بن السائب وقد اختلط .

(٣) « فرثه » : الفرث : ما في الكرش من طعام متحول ؛ كما هو مشاهد في كروش الذبائح .

ابن أبي معيط ، وأمية بن خلف ورجل آخر . ثم قال : رأيتهم من العام المقبل صرعى بالطوّي طوي بدر ، صرعى بالقَلِيب »[1] .

وأخبرنا ابن الواسطي[2] فيما قرأت عليه ، أخبرنا ابن ملاعب أخبرنا الأرموي ، أخبرنا ابن المأمون ، أخبرنا الدارقطني ، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن صالح الأزدي ، حدثنا الزبير بن بكار ، حدثني أبو يحيى هارون بن بكر بن عبد الله الزهري ، عن عبد الله بن سلمة ، عن عبد الله بن عروة بن الزبير ، عن أبيه عروة بن الزبير ، قال : حدثني عمرو بن عثمان بن عفان ، عن أبيه عثمان بن عفان ، قال : أكثر ما نالت قريش من رسول الله ﷺ أني رأيته يوماً ـ قال عمرو : فرأيت عيني عثمان بن عفان زرفتا من تذكر ذلك ـ قال عثمان بن عفان : كان رسول الله ﷺ يطوف بالبيت ويدُه في يد أبي بكر ، وفي الحِجْر ثلاثة نفر جلوس : عقبة بن أبي معيط ، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، فمر رسولُ الله ﷺ فلما حاذاهم أسمعوه بعضَ ما يكره ، فعُرِف ذلك في وجه النبي ﷺ ، فدنوت منه حتى وَسَطْتُه ، فكان بيني وبين أبي بكر ، وأدخل أصابعَه في أصابعي حتى طفنا جميعاً ، فلما حاذاهم قال أبو جهل : والله لا نصالُحك ما بلَّ بحرٌ صوفة ، وأنت تنهى أن نعبد ما كان يعبدُ آباؤنا . فقال رسول الله ﷺ : أنا ذلك . ثم مضى عنهم ، فصنعوا به في الشوط الثالث مثل ذلك ، حتى إذا كان في الشوط الرابع ناهضوه ، ووثب أبو جهل يُريد أن يأخذ بمجامع ثوبه ، فدفعتُ في صدره ، فوقع على استه ، ودفع أبو بكر أميّةَ بن خلف ، ودفع رسولُ الله ﷺ عقبة بن أبي مُعيط ، ثم انفرجوا عن رسول الله ﷺ وهو واقف ، ثم قال : أما والله لا تنتهون حتى يَحلَّ بكم عقابه عاجلاً . قال

---

(١) قال سبط ابن العجمي : الحديث أخرجه البخاري (٢٤٠) ومسلم (١٧٩٤) والنسائي ١٦١/١ ــ ١٦٢ ، من طريق أبي إسحاق ، والمؤلف ذكره من الطريق التي ذكره منها من باب التنوع في الروايات ، وإلا فلو رواه من هذه الكتب التي هو فيها وقع له بعلو هذه الطريق التي ذكرها ، والله أعلم . نور النبراس لوحة ١٨٥/١ .

(٢) ابن الواسطي : هو الإمام العلامة ، أبو إسحاق ، تقي الدين ، إبراهيم بن علي بن أحمد الواسطي ، من أعيان الحنابلة ، سمع الكثير بدمشق ، وتوفي بها سنة ٦٩٢ هـ . نور النبراس لوحة ١٨٥/١ .

عثمان : فوالله ما منهم رجل إلا وقد أخذه أفكل[1] وهو يرتعد ، فجعلَ رسولُ الله ﷺ يقول : بئس القوم أنتم لنبيكم ، ثم انصرف إلى بيته وتبعناه خلفه ، حتى انتهى إلى باب بيته ووقف على السدة[2] ، ثم أقبل علينا بوجهه ، فقال : أبشروا فإن الله عز وجل مظهرٌ دينَه ، ومتمٌّ كلمتَه ، وناصرٌ نبيَّه ، وإن هؤلاء الذين ترون مما يذبحِ الله بأيديكم عاجلاً ، ثم انصرفنا إلى بيوتنا ، فوالله لقد رأيتهم قد ذبحهم الله بأيدينا .

(خبر إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه)

ومن ذلك خبر إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه :

روينا عن ابن إسحاق : حدثني رجلٌ من أسلم ، وكان واعية ، أن أبا جهل مر برسول الله ﷺ عند الصفا فآذاه وشتمه ، ونال منه بعضَ ما يُكره ، من العيب لدينه والتضعيف لأمره ، فلم يكلّمْه رسول الله ﷺ ، ومولاةٌ لعبد الله بن جُدْعان في مسكن لها تسمعُ ذلك ، ثم انصرفَ عنه ، فعمدَ إلى نادي قريش فجلس معهم ، فلم يلبث حمزةُ بن عبد المطلب أن أقبل متوشحاً سيفه راجعاً من قَنَصٍ[3] له ، وكان صاحبَ قَنَصٍ يرميه ويخرج له ، وكان إذا رجع من قَنَصه لم يصل إلى أهله حتى يطوفَ بالكعبة ، وكان إذا فعل ذلك لم يمرَّ على نادٍ من قريش إلا وقف وسلَّمَ وتحدَّث معهم ، وكان أعزَّ فتًى في قريش وأشدَّه شكيمةً ، فلما مرَّ بالمولاة وقد رجع رسولُ الله ﷺ إلى بيته . قالت له : يا أبا عمارة ، لو رأيتَ ما لقي ابن أخيك محمدٌ آنفاً من أبي الحكم بن هشام ، وجده ها هنا جالساً فآذاه وسبَّه وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ولم يكلّمه محمد . فاحتمل حمزةَ الغضبُ لما أراد الله به من كرامته ، فخرج يسعى ولم يقف على أحد مُعِدّاً لأبي جهل إذا لقيه أن

---

(١) « أَفْكَل » : بفتح الهمزة ، وسكون الفاء ، وفتح الكاف : الرعدة ، ولا فعل له ، يُقال : أخذه أفكلٌ : إذا ارتعدَ من برد أو خوف ، وهو مصروف ، لأنه ليس بعلم ولا صفة .

(٢) « السُّدة » : مدخل باب الدار الذي يكون مرتفعاً كالعتبة .

(٣) « قَنَص » : القَنَص : بفتح القاف والنون ، الصيد .

يقع به ، فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم فأقبلَ نحوه ، حتى إذا قام على رأسه ، رفع القوسَ فضربه بها ، فشجه شَجةً منكرة ، ثم قال : أتشتمُه ؟ فأنا على دينه ، أقول ما يقول ، فَرُدَّ عليَّ ذلك إن استطعتَ . فقامت رجالٌ من بني مخزوم إلى حمزةَ لينصروا أبا جهل ، فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة فإني والله قد سببتُ ابن أخيه سباً قبيحاً . وتمَّ حمزةُ على إسلامه ، وعلى ما تابع عليه رسول الله ﷺ من قوله . فلما أسلم حمزة علمت قريش أن رسولَ الله ﷺ قد عزَّ وامتنعَ ، وأن حمزةَ سيمنعه ، فكفُّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه[1] .

وروينا عن ابن إسحاق قال : حدثني يزيد بن أبي زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : حُدِّثْتُ أن عتبة بن ربيعة ــ وكان سيداً ــ قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ، والنبي ﷺ جالس في المسجد وحده : يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرضَ عليه أموراً لعله يقبل بعضها ، فنعطيه أيَّها شاء ويكفّ عنا ، وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا أصحابَ رسول الله ﷺ يكثرون ويزيدون ، فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، فقم إليه فكلّمه ، فقام إليه عتبةُ حتى جلس إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا ابن أخي ، إنك منا حيثُ قد علمتَ من السِّطة[2] في العشيرة ، والمكانِ في النسب وإنك قد أتيتَ قومك بأمر عظيم فرَّقتْ به جماعتهم وسفَّهتْ به أحلامهم ، وعِبْتَ به آلهتهم ودينهم ، وكفَّرتَ به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها . قال : فقال له رسول الله ﷺ : قل يا أبا الوليد أسمع . قال : يا ابن أخي إن كنتَ إنما تُريد بما جئتَ به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثَرَنا مالاً ، وإن كنتَ تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنتَ تريد ملكاً مَلَّكْناكَ علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رَئِيّاً[3] تراه لا تستطيع ردَّه عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا ، حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يُداوى منه ، أو كما قال له . حتى إذا فرغ عتبة ورسولُ الله ﷺ يسمع منه ، قال : أقد فرغتَ يا أبا الوليد ؟

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٢٩١ ــ ٢٩٢ .
(٢) « السِّطة » : مصدر فعلُه وَسَطَ ،كوصفه صفةً ، وهي في النسب أشرف ما يكون من المراتب .
(٣) « رَئِيّاً » : على وزن فعيل ، وقد تكسر راؤه ، وهو التابع من الجن .

قال : نعم . قال : فاسمع مني . قال : أفعل . قال : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . حمٓ . تنزيلٌ من الرحمن الرحيم . كتابٌ فُصِلَتْ آياتهُ قرآناً عربياً لقوم يعلمون . بشيراً ونذيراً فأعرضَ أكثرُهم فهم لا يَسمعون ﴾ [فصلت : ١ ـ ٤] . ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرأها عليه ، فلما سمعها عتبةُ منه ، أنصتَ لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليها يسمعُ منه ، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها ، فسجدَ . ثم قال : قد سمعتَ يا أبا الوليد ما سمعتَ فأنت وذاك . فقام عتبةُ إلى أصحابه ، فقال بعضُهم لبعض يحلفُ بالله : لقد جاءَكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به ، فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءَك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي أني سمعتُ قولاً والله ما سمعتُ مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ، ولا بالكِهانة ، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي ، خَلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه ، فوالله ليكوننَّ لقوله الذي سمعت منه نبأ ، فإن تصبْه العربُ فقد كُفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فمُلْكُه ملكُكُم ، وعزُّه عزُّكم ، وكنتم أسعدَ الناس به . قالوا : سحركَ والله يا أبا الوليد بلسانه . قال : هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم[1] .

وروينا عن الطبراني ، حدثنا القاسم بن عيَّاش بن حمّاد أبو محمد الجُهني الحذاء المَوْصلي ، حدثنا محمد بن موسى الحرشي ، حدثنا أبو خلف عبد الله بن عيسى الخزاز ، حدثنا داود بن أبي هند عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أن قريشاً دعتْ رسولَ الله ﷺ إلى أن يُعطوه مالاً فيكون أغنى رجل بمكة ، ويزوِّجوه ما أراد من النساء . فقالوا : هذا لك عندنا يا محمد وكفَّ عن شتم آلهتنا ولا تذكرها بسوء ، فإن لم تفعل فإنا نعرضُ عليك خَصْلَةً واحدة ولك فيها صلاح . قال : ما هي ؟ قالوا : تعبدُ آلهتنا سنةً ـ اللات والعزى ـ ونعبدُ إلٰهك سنة . قال : « حتى أنظر ما يأتيني من ربِّي » . فجاء الوحيُ من عند الله عزَّ وجلَّ من اللوح المحفوظ : ﴿ قلْ يا أيُّها الكافرون . لا أعبدُ ما تَعبدون ﴾ [الكافرون : ١ ـ ٢] السورة وأنزل الله عز وجل ﴿ قل أفغيرَ الله تأْمُرونِّي أعبدُ أيُّها الجاهلون ﴾ ﴿ بلِ اللهَ فاعبدْ وكنْ من الشاكرين ﴾[2] [الزمر : ٦٤ و ٦٦] .

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٢٩٣ ـ ٢٩٤ .

(٢) رواه الطبراني وابن جرير الطبري وابن أبي حاتم ، وفيه أبو خلف عبد الله بن عيسى الخزاز : ضعيف . نور النبراس لوحة ١/١٨٨ ، وانظر السيرة الشامية ؛ للصالحي ٢/٥٥٩ .

وروينا من طريق الترمذي ، حدثنا عبد بن حُميد ، أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن عبد الكريم الجزري ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ﴿ سندعُ الزبانية ﴾ قال : قال أبو جهل : لئن رأيتُ محمداً يُصلّي لأطأن على عنقه . فقال رسولُ الله ﷺ : « لو فعلَ لأخذته الملائكةُ عَياناً »[1] .

قال : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان النبيُّ ﷺ يُصلّي ، فجاءَ أبو جهل ، فقال : ألم أنهكَ عن هذا ؟ فانصرفَ النبيُّ ﷺ ، فزبَرَه ، فقال أبو جهل : إنك لتعلم ما بها نادٍ أكثرُ مني . فأنزلَ الله تعالى : ﴿ فليدعُ ناديَه . سندعُ الزبانية ﴾ [العلق : ١٧ ـ ١٨] قال ابن عباس : والله لودعا ناديَه لأخذته زبانيةُ الله[1] .

وروينا عن ابن عباس ، من طريق محمد بن إسحاق ، اجتماعَ قريش وعرضهم على النبيّ ﷺ ما عرضوا عليه من أموالهم وغير ذلك ، وقوله عليه الصلاة والسلام : ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني إليكم رسولاً ، وأنزل عليَّ كتاباً ، وأمرني أن أكونَ لكم بشيراً ونذيراً ، فبلَّغتكم رسالاتِ ربّي ونصحتُ لكم ، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظُّكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردُّوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكمَ الله بيني وبينكم ، أو كما قال ﷺ . فقالوا له : فسلْ ربَّك أن يُسيِّر عنا هذه الجبال التي قد ضيَّقتْ علينا ، وليبسطْ علينا بلادَنا ، وليخرقْ فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعثْ لنا مَنْ مضى من آبائنا ، وليكنْ فيمن يبعث لنا منهم قصيّ بن كلاب ، فإنه كان شيخ صدق ، فنسألهم عما تقول أحقّ هو أم باطل ؟ . وفيه : قالوا له : سلْ ربَّك أن يبعثَ معك مَلَكاً يُصدقك بما تقول ويراجعنا عنك ، واسألْه فليجعلْ لنا جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يُغنيكَ بها عما تراك تبتغي ، فإنك تقومُ بالأسواق وتلتمسُ المعاش . وذكر قولهم : فأسقِطِ السماءَ علينا كِسفاً كما زعمتَ أن ربَّك إن شاء

---

(١) رواه الترمذي في كتاب التفسير (باب ومن سورة اقرأ باسم ربك) رقم /٣٣٤٦/ ، وقال : حسن غريب صحيح ، وهو عند الإمام أحمد في المسند رقم /٢٣٢١/ و/٣٠٤٥/ بتحقيق الشيخ أحمد شاكر ، وقال : إسناده صحيح .

فعلَ . وقال قائلهم : نحن نعبدُ الملائكة ، وهي بناتُ الله . وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً . وقال : إنه قد بلغنا أنك إنما يعلِّمُكَ هذا رجلٌ باليمامة يقال له الرحمن ، وإنا والله لن نؤمن بالرحمن أبداً . فلما قالوا له ذلك . قام رسول الله ﷺ عنهم ومعه عبد الله بن أبي أمية المخزومي وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب ، فقال : والله لا نؤمن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً ، ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها ثم تأتي معك بصكٍّ معه أربعة من الملائكة يشهدون لك كما تقول ، وايم الله أن لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك .

وقال أبو جهل : يا معشر قريش إني أعاهد الله لأجلسنَّ له غداً بحجر ما أطيق حمله أو كما قال ، فإذا سجد في صلاته فضختُ به رأسه ، فأسلموني عند ذلك أو امنعوني ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم . قالوا : والله لا نسلمك لشيء أبداً فامض لما تريد ، فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً كما وصف ، ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره ، وغدا رسولُ الله ﷺ كما كان يغدو ، فلما سجد رسولُ الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجرَ ثم أقبل نحوَه حتى إذا دنا منه رجع منهزماً منتقعاً لونه مرعوباً قد يبست يداه على حجره ، حتى قذف الحجر من يده ، وقامت إليه رجال من قريش ، فقالوا له : مالك يا أبا الحكم ؟ قال : قمت إليه لأفعل ما قلتُ لكم البارحة ، فلما دنوتُ منه عرض لي دونه فحلٌ من الإبل لا والله ما رأيت مثل هامته ولا قصَرته[1] ولا أنيابه بفحل قط ، فهمَّ بي أن يأكلني[2] . قال ابن إسحاق : فُذكر لي أن رسول الله ﷺ قال : ذلك جبريل لودنا لأخذه .

وذُكِرَ في الخبر بعثُ قريش النضرَ بن الحارث بن كَلَدَة[3] ، وبعثوا معه عقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود وقالوا لهما : سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته ، وأخبراهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء ، فخرجا حتى قدما

---

(١) « قَصَرَته » : القَصَرَة : أصل العنق .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٢٩٥ — ٢٩٩ .

(٣) كَلَدة : بفتح الكاف واللام ، كطبقة ورقبة .

المدينة ، وسألا أحبار يهود ، فقالت لهما : سلوه عن ثلاث ، فإن أخبركم بهن فهو نبيٌّ مرسل ، وإن لم يفعل فالرجل متقوّل . سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول : ما كان من أمرهم ؟ فإنه قد كان لهم حديث عجيب . وسلوه عن رجل طوَّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها . ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح : ما هو ؟ فإذا أخبركم بذلك فاتّبعوه فإنه نبي وإن لم يفعل فهو رجلٌ متقول .

فأقبل النضرُ وعقبة فقالا : قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، فجاؤوا رسولَ الله ﷺ فيما يذكرون ، فقال عليه الصلاة والسلام : أخبركم غداً ، ولم يستثن . فانصرفوا ، فمكثَ رسولُ الله ﷺ فيما يذكرون خمس عشرة ليلة لا يُحْدِثُ الله إليه في ذلك وحياً ، ولا يأتيه جبريلُ حتى أرجف أهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه . حتى أحزن رسولَ الله ﷺ مُكْثُ الوحي عنه ، وشقَّ عليه ما يتكلم به أهل مكة ، ثم جاءه جبريلُ من الله بسورة أصحاب الكهف ، قال ابن إسحاق : فُذكِرَ لي أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : لقد احتبست عني يا جبريل ، فقال ﴿ وما نتنزلُ إلا بأمرِ ربِّك ﴾ [مريم : ٦٤] الآية . وافتتح السورة بحمده وذكر نبوة رسوله عليه الصلاة والسلام ، وفيها ذكرُ الفتية الذين ذهبوا وهم أصحاب الكهف ، وذكرُ الرجل الطوّاف وهو ذو القرنين ، وقال فيما سألوه عنه من الروح ﴿ ويسألونكَ عن الروح قل الروحُ من أمر ربِّي وما أُوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ [الإسراء : ٨٥] الحديث(١) بطوله وأنا اختصرته .

قال : وحُدثت عن ابن عباس أنه قال : لما قدم رسولُ الله ﷺ المدينة ، قالت أحبارُ يهود : يا محمد أرأيتَ قولك ﴿ وما أُوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ [الإسراء : ٨٥] إيانا تريد أم قومك ؟ قال : كُلًّا . قالوا : فإنك تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراة فيها بيان كل شيء . فقال رسول الله ﷺ : إنها في علم الله قليل ، وعندكم من ذلك ما يكفيكم لو أقمتموه . قال : فأنزل الله عليه فيما سألوه عنه من ذلك ﴿ ولو أنَّما في الأرضِ من شجرةٍ أقلامٌ والبحرُ يمدُّه من بعدِه سبعةُ أبحرٍ ما نَفِدَتْ كلماتُ الله إنَّ اللهَ عزيزٌ حكيم ﴾

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٣٠٠ — ٣٠٨ .

[لقمان : ٢٧] أي : إن التوراة في هذا من علم الله قليل[١] .

قال : وأنزل الله فيما سأله قومه لأنفسهم من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وبعث من مضى من آبائهم من الموتى ﴿ ولو أنَّ قرآناً سُيِّرتْ به الجبالُ أو قُطِّعَتْ به الأرضُ أو كُلِّمَ به الموتى بل لله الأمرُ جميعاً ﴾ [الرعد : ٣١] أي لا أصنع من ذلك الأمر إلا ما شئت[٢] . وأنزل الله عليه فيما سألوه أن يأخذ لنفسه ﴿ وقالُوا ما لهذا الرسولِ يأكلُ الطعامَ ويمشي في الأسواق لولا أُنزل إليه مَلَكٌ فيكونَ معه نذيراً . أو يُلقى إليه كنز ﴾ إلى ﴿ وكانَ ربُّك بصيراً ﴾[٣] [الفرقان : ٧ – ٢٠] .

وأنزل الله فيما قال عبد الله بن أبي أمية ﴿ وقالوا لن نُؤمنَ لك حتى تَفْجُرَ لنا من الأرض يَنْبُوعَاً . أو تكونَ لك جنةٌ من نخيل وعِنَب ﴾ إلى قوله ﴿ قلْ سبحانَ ربِّي هل كنتُ إلا بشراً رسولاً ﴾[٤] [الإسراء : ٩٠ – ٩٣] .

وأنزل عليه في قولهم إنما يُعلمك رجل باليمامة يُقال له : الرحمن : ﴿ كذلكَ أرسلناكَ في أمة قد خلتْ من قبلِها أممٌ لتتلوَ عليهم الذي أوحينَا إليكَ وهم يَكفرون بالرحمٰن ﴾[٥] [الرعد : ٣٠] .

وأُنزل عليه فيما قال أبو جهل ، وما همَّ به ﴿ أرأيتَ الذي ينهى . عبداً إذا صلَّى ﴾ [العلق : ٩ – ١٠] حتى آخر السورة[٦] .

وأُنزل عليه فيما عرضوا من أموالهم ﴿ قلْ ما سألْتُكم من أجرٍ فهو لكم إنْ أجريَ إلا على الله وهو على كلِّ شيءٍ شهيد ﴾ [سبأ : ٤٧] . فلما جاءهم رسولُ الله ﷺ بما عرفوا من الحق حال الحسدُ بينهم وبين اتّباعه .

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٣٠٨/١ .
(٢) السيرة النبوية ؛ ٣٠٨/١ – ٣٠٩ .
(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٣٠٩/١ .
(٤) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٣٠٩/١ .
(٥) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٣١١/١ .
(٦) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٣١١/١ .

فقال قائلهم : لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ، أي : اجعلوه لغواً وباطلاً واتخذوه هزواً لعلكم تغلبونه بذلك فإنكم إن ناظرتموه أو خاصمتموه غلبكم . فقال أبو جهل يوماً وهو يهزأ برسول الله ﷺ وما جاء به من الحق يا معشر قريش يزعم محمد أن جنودَ الله الذين يعذبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر ، وأنتم الناس كثرة وعدداً ، أفيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم ؟ فأنزل الله عز وجل في ذلك من قوله ﴿ وما جعلنا أصحابَ النَّارِ إلا ملائكة وما جعلنا عِدَّتَهم إلا فتنةً للذين كفروا ﴾ [المدثر : ٣١] إلى آخر القصة [١] . فلما قال ذلك بعضهم لبعض جعلوا إذا جهر رسول الله ﷺ بالقرآن وهو يُصلي يتفرقون عنه ويأْبَوْن أن يستمعوا له ، فكان الرجل منهم إذا أراد أن يستمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو من القرآن وهو يصلي استرق السمعَ دونهم فَرَقاً منهم ، فإن رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع منه ذهب خشية أذاهم فلم يستمعْ ، وإن خفضَ رسولُ الله ﷺ صوتَه فظنَّ الذي يستمعُ أنهم لا يسمعون شيئاً من قراءته وسمع هو شيئاً دونهم أَصاخ له يستمع منه ، وروي عن داود بن الحصين ، عن عكرمة عن ابن عباس إنما نزلت هذه الآية ﴿ ولا تجهرْ بصلاتِك ولا تُخافتْ بها ﴾ [الإسراء : ١١٠][٢] في ذلك[٣] .

قال أبو عمر : وكان المجاهرون بالظلم لرسول الله ﷺ ولكل من آمن به :

من بني هاشم : عمَّه أبا لهب ، وابنَ عمه أبا سفيان بن الحارث .

ومن بني عبد شمس : عتبةَ وشيبةَ ابني ربيعة ، وعقبةَ بن أبي مُعَيط ، وأبا سفيان بن حرب ، وابنه حنظلة ، والحكم بن أبي العاص بن أمية ، ومعاوية بن المغيرة بن العاص بن أمية .

ومن بني عبد الدار : النضرَ بن الحرث .

ومن بني أسد بن عبد العزى : الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى ، وابنَه

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٣١١/١ .

(٢) في جميع النسخ : يعني في ذلك .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٣١٣/١ ــ ٣١٤ .

زَمْعة ، وأبا البَخْتَري العاص بن هشام .

ومن بني زهرة : الأسود بن عبد يغوث .

ومن بني مخزوم : أبا جهل بن هشام ، وأخاه العاص بن هشام ، وعمَّهما الوليد بن المغيرة ، وابنه أبا قيس بن الوليد بن المغيرة ، وابن عمه قيس بن الفاكِه بن المغيرة ، وزهير ابن أبي أمية بن المغيرة أخا أم سلمة ، وأخاه عبد الله بن أبي أمية ، والأسود بن عبد الأسد أخا أبي سلمة ، وصيفي بن السائب .

ومن بني سهم : العاص بن وائل ، وابنه عَمراً ، وابن عمه الحارث بن قيس بن عدي ، ونُبيهاً ومُنبِّهاً ابني الحجاج .

ومن بني جُمح : أميةَ وأُبيّاً ابني خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، وأنيس بن معير أخا أبي محذورة ، والحارث بن الطُلاطلة الخزاعي ، وعدي بن الحمراء الثقفي .

فهؤلاء كانوا أشد على المؤمنين مثابرة بالأذى ، ومعهم سائر قريش ، فمنهم من يعذبون ـ ممن لا منعة له ولا جوارَ ـ من قومه ، ومنهم من يُؤذون .

ولقي المسلمون من كفار قريش وحلفائهم من الأذى والعذاب والبلاء عظيماً ، ورزقهم الله من الصبر على ذلك عظيماً ، ليدخر لهم ذلك في الآخرة ، ويرفع به درجاتهم في الجنة . والإسلام في كل ذلك يفشو ويظهر في الرجال والنساء . وأسلم الوليد بن الوليد ابن المغيرة ، وسلمة بن هشام أخو أبي جهل ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وجماعة أراد الله هداهم .

وأسرفَ بنو جُمح على بلال بالأذى والعذاب ، فاشتراه أبو بكر الصديق منهم واشترى أمَّه حمامة ، فأعتقهما ، وأعتق عامرَ بن فهيرة . وروي أن قحافة قال لابنه أبي بكر : يا بني أراك تعتق قوماً ضعفاء فلو أعتقت قوماً جلداء[1] يمنعوك ، فقال : يا أبت إني أريد ما أريد . فقيل : فيه نزلت ﴿ وسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى . الذي يُؤْتِي مالَه يَتَزَكَّى . وما لأحدٍ﴾ [الليل : ١٧ ـ ١٩] إلى آخر السورة[2] .

---

(١) « جُلَداء » : ومثلُها جُلُدٌ ، جمع جليد ، وهو القوي الشديد .

(٢) الدرر في اختصار المغازي والسير ص ٤٤ ـ ٤٦ .

وذكر الزهري أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس بن شُرَيق خرجوا ليلةً ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يُصلي من الليل في بيته ، فأخذ كلُّ رجل منهم مجلساً يستمعُ فيه ، وكلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فتلاوموا وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا ، فلو رآكم بعضُ سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ، ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كلُّ رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجرُ تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ، ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كلُّ رجل منهم مجلسَه فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض : لا نبرحُ حتى نتعاهد أن لا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ، ثم تفرقوا ، فلما أصبح الأُخنسُ بن شريق أخذ عصاه ، ثم ذهب حتى أتى أبا سفيان في بيته ، فقال : أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعتَ من محمد . فقال : يا أبا ثعلبة : والله لقد سمعتُ أشياءَ أعرفها وأعرف ما يُراد بها ، وسمعتُ أشياءَ ما عرفت معناها ولا ما يُراد بها . قال الأخنس : وأنا والذي حلفت به ، ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل ، فدخل عليه بيته ، فقال : يا أبا الحكم ! ما رأيك فيما سمعتَ من محمد ؟! قال ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرفَ ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاذينا[1] على الرُّكَب ، وكنا كفرسي رِهان ، قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك هذه ! والله لا نؤمن به أبداً ، ولا نصدقه ، فقام عنه الأخنس وتركه[2] .

وذكر ابن إسحاق حديث الإراشي (والإراشي هذا اسمه :كهلة الأصغر بن عصام بن كهلة الأكبر بن وهْب ، بن ذئبان بن سيلان ، بن مُودِّع بن عبد الله ، وهو)[3] الذي ابتاعَ منه أبو جهل الإبل ومَطَلَه بأثمانها ، ودِلالة قريش إيَّاه على رسول الله ﷺ لينصفه من أبي جهل استهزاء ؛ لما يعلمون من العداوة بينهما . قال : وخرج رسول الله ﷺ حتى

(١) « تَجاذَينا » : تجاثينا ، والثلاثي منه : جذا يجذو ، كجثا يجثو ، والمعنى التساوي في القدر .
(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٣١٥/١ — ٣١٦ .
(٣) ما بين القوسين سقط من « أ » وأثبتناه من باقي النسخ .

جاءه فضربَ عليه بابه ، فقال : من هذا ؟ فقال : محمد . فخرج إليه وما في وجهه من رائحة[1] ، قد انتقع لونه . فقال : أعطِ هذا حقَّه . قال : نعم لا تبرحُ حتى أعطيَه الذي له ، فدفَعه إليه . فذكر له الإراشي ذلك ، فقالوا لأبي جهل : ويلك ! ما رأينا مثل ما صنعتَ . قال : ويحكم ! والله ما هو إلا أن ضرب على بابي وسمعتُ صوته فمُلئت رُعباً ، ثم خرجتُ إليه وإن فوق رأسه لفحلاً من الإبل ما رأيتُ مثل هامته . ولا قَصَرتِهِ ولا أنيابه لفحلٍ قط ، والله لو أبيتُ لأكلني[2] .

وذكر الواقدي عن يزيد بن رومان ، قال بينا رسولُ الله ﷺ جالسٌ في المسجد معه رجال من أصحابه ، أقبل رجلٌ من بني زُبَيد يقول : يا معشر قريش ! كيف تدخل عليكم المادة[3] أو يجلب إليكم جلب ، أو يَحُلُّ تاجرٌ بساحتكم ، وأنتم تظلمون من دخل عليكم في حرمكم ؟ يقف على الحِلَق حَلْقَة حَلْقَة حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ في أصحابه ، فقال رسولُ الله ﷺ : ومن ظلمك ؟ فذكر أنه قدم بثلاثة أجمال كانت خيرةَ إبله ، فسامه بها أبو جهل ثلثَ أثمانها ، ثم لم يسمْهُ بها لأجلهِ سائمٌ . قال : فأكسدَ عليَّ سلعتي وظلمني . قال رسولُ الله ﷺ : وأين أجمالُك ؟ قال : هي هذه بالحَزْوَرَة[4] . فقام رسولُ الله ﷺ معه وقام أصحابهُ ، فنظر إلى الجمال فرأى الجمال فُرْهَاً[5] ، فساوم الزُّبيديَّ حتى ألحقه برضاه ، فأخذها رسولُ الله ﷺ فباع جملين منها بالثمن ، وأفضلَ بعيراً باعه وأعطى أراملَ بني عبد المطلب ثمنَه ، وأبو جهل جالسٌ في ناحية من السوق لا يتكلّم ، ثم أقبلَ إليه رسولُ الله ﷺ فقال : يا عمرو ! إياك أن تعودَ لمثل ما صنعتَ بهذا الأعرابي فترى مني ما تكره . فجعل يقول : لا أعودُ يا محمد ، لا أعود يا محمد ، فانصرف رسولُ الله ﷺ ، وأقبلَ عليه أمية بن خلف ومن حضر من القوم ، فقالوا : ذَلَلْتَ في يدي محمد ؛ فإما أن تكون تريدُ أن تتبعه ، وإما رعبٌ دخلك منه . قال : لا أتبعه أبداً ، إن الذي رأيتم مني ؛ لما رأيتُ

---

(١) « من رائحة » : من بقية روح أو حياة . و « انتقع » كامتقع مبنياً للمجهول ، تغير لونه .
(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٣٨٩/١ — ٣٩٠ .
(٣) « المادة » : كيف يدخل المدد ؛ أي التجارة مرة بعد أخرى .
(٤) « الحزورة » : قال في نور النبراس : وكانت سوقَ مكة ، وقد دخلت في المسجد لمَّا زيد فيه .
(٥) « فُرْهَاً » : جمع فاره ، وهو هنا : الجمل الفتي المكتمل الخلق .

معه ، لقد رأيتُ رجالاً عن يمينه وشماله معهم رماح يُشرعونها إليَّ ، لو خالفته لكانت إياها ، أي لأتوا على نفسي .

قال أبو عمر : وكان المستهزئون الذين قال الله فيهم : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ [الحجر : ٩٥] عمَّه أبا لهب ، وعقبة بن أبي معيط ، والحكم بن أبي العاصي ، والأسود ابن المطلب بن أسد أبا زمعة ، والأسود بن عبد يغوث ، والعاص بن وائل ، والوليد بن المغيرة ، والحارث بن الغَيْطَلة السهمي . فكان جبريلُ مع رسول الله ﷺ ، فمرَّ بهما من المستهزئين الوليدُ بن المغيرة ، والأسود بن المطلب ، والأسود بن عبد يغوث ، والحارثُ ابن الغَيْطَلة ، والعاص بن وائل واحداً بعد واحد ، فشكاهم رسولُ الله ﷺ إلى جبريل ، فقال : كفيتكهم . فهلكوا بضروب من البلاء والعمى قبل الهجرة .

وفيما لقي بلالٌ وعمار والمقداد وخبَّاب وسعد بن أبي وقاص وغيرُهم ممن لم تكن له منعة من قومه من البلاء والأذى[١] . ما يطول ذكره .

قرأتُ على أبي النور إسماعيل بن نور بن قمر الهيتي بالصالحية ، أخبركم أبو نصر موسى ابن الشيخ عبد القادر الجيلي قراءة عليه ، أخبرنا أبو القاسم سعيد بن أحمد بن البنا ، أخبرنا أبو نصر الزينبي ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر بن علي بن خلف ، أخبرنا أبو بكر بن أبي داود ، حدثنا أبو موسى عيسى بن حماد زُغْبة ، عن الليث بن سعد ، عن هشام ، عن أبيه ، أنه قال : مرَّ ورقةُ بن نوفل على بلال وهو يُعذَّب ، يُلصق ظهرُه برمضاء البطحاء في الحرّ ، وهو يقول : أحد أحد . فقال : يا بلال صبراً ، يا بلال صبراً ، لمَ تعذبونه فوالذي نفسي بيده لئن قتلتموه لأتخذنه حناناً . يقول : لأتمسحنَّ به[٢] .

* * *

(١) الدرر في اختصار المغازي والسير ص ٤٧ .

(٢) قال سبط ابن العجمي : وموت ورقة متقدم على إسلام بلال ، وقد مات في الفترة ، وفي الصحيح : « ولم ينشب ورقة أن مات وفتر الوحي » .. وسند ما في هذه السيرة جيد من ابن أبي داود .. وما فيه إلا الإرسال . والراوي عن ابن أبي داود ، وهو أبو بكر محمد بن عمر بن علي بن خلف .. قال الخطيب : ضعيف جداً . نور النبراس لوحة ١٩٨/١ .

ذكر انشقاق القمر

قال الله تعالى : ﴿ اقتربتِ الساعةُ وانشقَّ القمر ﴾ [القمر : ١] .

وروينا من طريق البخاري : حدثنا مُسدد ، حدثنا يحيى ، عن شعبة وسفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن أبي مَعمر ، عن ابن مسعود ، قال : انشقَّ القمرُ على عهد رسول الله ﷺ فرقتين ، فرقة فوق الجبل وفرقة دونه . فقال رسول الله ﷺ : « اشهدوا »[١] .

وذكر القاضي عياض رحمه الله ، قال : ورواه عنه مسروق ؛ أنه كان بمكة ، وزاد : فقال كفار قريش : سحركم ابن أبي كبشة . فقال رجلٌ منهم : إنَّ محمداً إن كان سحرَ القمرَ فإنه لا يبلغ من سحره أن يسحر الأرضَ كلَّها ، فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا ، فسألوا فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك[٢] .

وحكى السمرقندي ، عن الضحاك نحوه ، وقال : فقال أبو جهل : هذا سحر فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى تنظروا أرأوا ذلك أم لا ؟ فأخبر أهلُ الآفاق أنهم رأوه منشقاً . فقالوا يعني الكفار : هذا سحر مستمر[٣] .

وروينا من طريق الترمذي ، حدثنا عبدُ بن حميد : أخبرنا عبدُ الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، عن أنس قال : سأل أهلُ مكة النبيَّ ﷺ آيةً فانشقَّ القمرُ بمكة مرتين ، فنزلت

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير (باب وانشق القمر) رقم /٤٨٦٤/ .

(٢) رواه أبو داود الطيالسي في « مسنده » رقم /٢٤٤٧/ والذهبي في السيرة النبوية من « تاريخ الإسلام » ص ٢١٠ ، بتحقيق د/عمر عبد السلام تدمري . وهو عند البيهقي في « دلائل النبوة » ٢٦٦/٢ ، ودلائل النبوة ؛ لأبي نعيم رقم /٢١١/ و/٢١٢/ . وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ١٨٣/٨ : أخرجه البخاري معلقاً ، ووصله أبو داود الطيالسي عن أبي عوانة .

(٣) خبر السمرقندي ، وهو فقيه حنفي مشهور ، توفي سنة ٥٧٥ : عن الضحاك بن مزاحم البلخي المفسر ، عن عبد الله بن عباس . قال شعبة : ينكر أن يكون الضحاك لقي ابن عباس قط . فهو خبر ضعيف لما في إسناده من انقطاع . وانظر نور النبراس لوحة ١٩٩/١ ، وميزان الاعتدال ٣٢٥/٢ .

﴿ اقتربتِ السَّاعةُ وانشقَّ القمر ﴾ إلى قوله ﴿ سِحْرٌ مستمر ﴾ [القمر : ١ – ٢] . يقول ذاهب[١] .

قال الترمذي : حدثنا عبدُ بن حُميد ، حدثنا محمد بن كثير ، حدثنا سليمان بن كثير ، عن حصين ، عن محمد بن جُبير بن مطعم عن أبيه ، قال : انشق القمرُ على عهد النبي ﷺ حتى صار فرقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل ، فقالوا : سحرنا محمد . فقال بعضُهم : لئن كان سحَرَنا ما يستطيع أن يسحرَ النَّاس كلَّهم[٢] . وروي عن ابن عباس وابن عمر وحذيفة وعليّ رضي الله عنهم .

* * *

(١) رواه الترمذي في التفسير (باب ومن سورة القمر) رقم /٣٢٨٢/ ، ورواه مسلم في صفة القيامة رقم /٢٨٠٢/ عن أنس رضي الله عنه .

(٢) رواه الترمذي في التفسير (باب ومن سورة القمر) رقم /٣٢٨٥/ . وقال الترمذي : وقد روى بعضهم هذا الحديث عن حُصين عن جُبير بن محمد بن جُبير بن مُطعم عن أبيه عن جده جُبير بن مُطعم نحوه .

ذكر الهجرة إلى أرض الحبشة

وكانت الهجرة إلى أرض الحبشة مرتين ، فكان عدد المهاجرين في المرة الأولى اثني عشر رجلاً وأربع نسوة ، ثم رجعوا عندما بلغهم عن المشركين سجودُهم مع رسول الله ﷺ عند قراءة سورة (والنجم) وسيأتي ذكر ذلك ، فلقوا من المشركين أشدَّ مما عهدوا ، فهاجروا ثانية ، وكانوا ثلاثة وثمانين رجلاً ، إن كان فيهم عمار ، ففيه خلاف[1] بين أهل النقل . وثمانيَ عشرة امرأة ، إحدى عشرة قرشيات وسبعاً غرباء ، وبعثت قريشٌ في شأنهم إلى النجاشي مرتين ، الأولى عند هجرتهم ، والثانية عُقيب وقعة بدر ، وكان عمرو بن العاص رسولاً في المرتين ، ومعه في إحداهما عمارة بن الوليد ، وفي الأخرى عبد الله بن أبي ربيعة المخزوميان .

وروى عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، قال : فلما كثر المسلمون وظهر الإيمان أقبل كفار قريش على من آمن من قبائلهم يُعذبونهم ويؤذونهم ليردوهم عن دينهم . قال : فبلغنا أن رسولَ الله ﷺ قال لمن آمن به : تفرَّقوا في الأرض فإن الله تعالى سيجمعكم . قالوا : إلى أين نذهب ؟ قال : إلى ها هنا . وأشار بيده إلى أرض الحبشة ، فهاجر إليها ناسٌ ذوو عدد ، منهم من هاجر بأهله ، ومنهم من هاجر بنفسه ، حتى قدموا أرضَ الحبشة[2] . فكان أول من خرج عثمان بن عفان ، معه امرأته رقيّة بنت رسول الله ﷺ . وقد قيل إن أول من هاجر إلى أرض الحبشة حاطبُ بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ أخو سُهيل بن عمرو . وقيل : هو سُليط بن عمرو . وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة هارباً عن أبيه بدينه ، ومعه امرأته سهلة بنت سُهيل مُسلمة مُراغمةً لأبيها ، فارّة عنه بدينها ، فولدت له بأرض الحبشة محمد بن أبي حُذيفة . ومُصعب بن عُمير . وعبد الرحمن بن

---

(١) في السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٣٣٠ : فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين ، سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغاراً وولدوا بها ؛ ثلاثةً وثمانين رجلاً ، إن كان عمَّار بن ياسر فيهم ، وهو يُشَكُّ فيه .

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف في المغازي رقم /٩٧٤٣/ عن معمر ، عن الزهري في حديثه عن عروة .

عوف . وأبو سلمة بن عبد الأسد،ومعه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية . وعثمان بن مظعون . وعامر بن ربيعة ؛ حليف آل الخطاب ، ومعه امرأته ليلى بنت أبي خيثمة بن غانم العدويّة . وأبو سَبْرة بن أبي رُهْم العامري ، وامرأته أمّ كلثوم بنت سُهيل بن عمرو ، ولم يذكرها ابن إسحاق فهي خامسة لهنّ . وسُهيل بن بيضاء ، وهو سُهيل بن وهب بن ربيعة الفهري . وعبد الله بن مسعود الهذلي . فخرجوا متسللين سراً حتى انتهوا إلى الشُّعَيْبة ، منهم الراكب ومنهم الماشي ، فوفّقَ الله لهم سفينتين للتجار حملوهم فيهما بنصف دينار ، وكان مخرجهم في رجب من السنة الخامسة من النبوة ، فخرجت قريش في آثارهم حتى جاؤوا البحرَ من حيث ركبوا فلم يجدوا أحداً منهم .

ثم خرج جعفر بن أبي طالب في المرة الثانية ومعه امرأته أسماء بنت عُميس فولدت له هناك بنيه : محمداً وعبد الله وعَوْناً . وعمرو بنُ سعيد بن العاص بن أمية ، ومعه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن مُحرِّث الكِناني،وأخوه خالد بن سعيد ومعه امرأته أُمَينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة الخزاعية فولدت له هناك ابنه سُعَيْداً وابنته أم خالد واسمها أمة . وعُبيد الله بن جحش ؛ ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فتنصَّر هناك ثم توفي على النصرانية ، وتزوَّج رسولُ الله ﷺ أمّ حبيبة كما سيأتي إن شاء الله تعالى . وأخوه عبدُ الله بن جحش . وقيس بن عبد الله حليفُ لبني أمية بن أمية بن عبد شمس ؛ معه امرأته بركة بنت يسار مولاة أبي سفيان بن حرب . ومعيقيب بن أبي فاطمة الدوسي حليفٌ لبني العاص بن أمية . وعتبةُ بن غزوان بن جابر المازني حليفُ بني نوفل . ويزيدُ ابن زمعة بن الأسود . وعمروُ بن أمية بن الحارث بن أسد . والأسود بن نوفل بن خويلد ابن أسد . وطُليب بنُ عمير بن وهب بن أبي كبير بن عبد قصيّ . وسُويبط بن سعد بن حرملة — ويقال : حُريملة — بن مالك العبدري . وجَهْم بن قيس بن عبد شُرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار العبدري ، معه امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود بن خُزَيْمة من خزاعة،وابناه عمرو بن جهم وخزيمة بن جَهْم(١) . وأبو الروم بن عُمير أخو

(١) في جميع النسخ « بنت » ، والتصحيح من أسد الغابة ٣١١/١ ، وقول المؤلف — رحمه الله تعالى — : وابناه ، يقتضي هذا التصحيح .

مصعب بن عمير . وفراس بنُ النَّضر بن الحارث بن كَلَدة . وعامر بن أبي وقَّاص أخو سعد . والمطلب بن أزهر بن عبد عوف ؛ معه امرأته رملة بنت أبي عوف بن صُبيرة السهمية ، ولدت له هناك عبد الله بن المطلب . وعبدُ الله بن مسعود الهذلي ؛ وأخوه عُتبة ابنُ مسعود . والمقداد بن الأسود ، تبناه الأسود بن عبد يغوث الزهري وهو حليف له فنسب إليه ، وهو المقداد بن عمرو بن ثعلبة البهراني . والحارث بن خالد بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ، ومعه امرأته رَيْطة بنت الحارث التيمية ، فولدت له هناك : موسى وزينب وعائشة وفاطمة . وعمرو بن عثمان بن عمرو التيمي عمُّ طلحة . وشمَّاس بنُ عثمان بن الشريد المخزومي،واسمه عثمان بن عثمان . وهبَّار بن سفيان بن عبد الأسد بن هلال المخزومي ؛ وأخوه عبد الله بن سفيان . وهشام بنُ أبي حذيفة بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم . وعيَّاش بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي . ومُعَتِّب بن عوف بن عامر الخزاعي ، وبعضُ الناس يقول : مُعْتِب ، حليف بني مخزوم . والسائب ابن عثمان بن مظعون ، وعمَّاه قدامة وعبد الله ابنا مظعون . وحاطب وحطَّاب ابنا الحارث ابن معمر الجمحي ، ومع حاطب زوجه فاطمة بنت المُجلِّل العامري،وولدت له هناك محمداً والحارث ابني حاطب ، ومع حطاب زوجه فُكَيْهة بنت يسار . وسفيان بنُ معمر بن حبيب الجمحي ؛ ومعه ابناه جابر وجُنادة وأمّهما حسنة وأخوهما لأمهما شرحبيل بن حسنة ، وهو شرحبيل بن عبد الله بن المطاع الكِندي ، وقيل إنه من بني الغوث بن مر أخي تميم ابن مر . وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهب بن حذافة بن جمح . وخنيس بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي ، وسهم بن عمرو بن هُصَيْص وأخواه عبد الله وقيس ابنا حُذافة . ورجل من بني تميم اسمه سعيد بن عمرو ، وكان أخا بشر بن الحارث بن قيس بن عدي لأمه . وهشام بن العاص أخو عمرو وعمير بن رئاب بن حذيفة السهمي . وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدي السهمي وإخوته:الحارث ومعمر وسُعَيد والسائب وبشر وأخ لهم من أمهم من تميم يقال له سعيد بن عمرو . ومَحْمِئة بن جَزْء الزُّبَيْدي حليف بني سهم . ومعمَر بن عبد الله بن نَضْلَة،ويقال ابن عبد الله بن نافع بن نضلة العدويّ . وعروة بنُ عبد العزى بن حُرْثان العدوي . وعن مصعب الزبيري عروة بن أبي أُثاثة بن عبد العزى ، أو عمرو بن أبي أُثاثة . وعديّ بنُ نضلة بن عبد العزى العدوي ، وابنه النعمان . ومالك بن

ربيعة بن قيس العامري ، وامرأته عمرة بنت أسعد بن وَقْدَان بن عبد شمس العامرية . وسعد ابن خولة من أهل اليمن حليف لبني عامر بن لؤي . وعبد الله بن مَخرمَة بن عبد العزى وعبد الله بن سهيل بن عمرو وعمَّاه سَلِيْط والسَّكران ابنا عمرو العامريون ؛ وامرأته سودة بنتُ زَمْعة . وأبو عبيدة بن الجراح . وعمرو بن أبي سَرْح بن ربيعة . وعياض بن زهير ابن أبي شدَّاد . وعثمان بن عبد غَنْم بن زهير بن أبي شداد . وسعد بن عبد قيس بن لقيط ابن عامر الفهريون . وعمَّار بن ياسر وفيه خلاف بين أهل السير .

وقال بعض أهل السير : إن أبا موسى الأشعري كان فيمن هاجر إلى أرض الحبشة وليس كذلك ، ولكنه خرج في طائفة من قومه من أرضهم باليمن يُريد المدينة فركبوا البحر فرمتهم الريح إلى أرض الحبشة ، فأقام هناك حتى قدم مع جعفر بن أبي طالب .

فلما نزل هؤلاء[1] بأرض الحبشة أمنوا على دينهم ، وأقاموا بخير دار عند خير جار ، وطلبتهم قريش عنده فكان ذلك سبب إسلامه .

قرأتُ على الإمام الزاهد أبي إسحاق إبراهيم بن علي الحنبلي بالصالحية ، أخبركم أبو الحسن علي بن النفيس بن بُورنداز ، أخبرنا أبو القاسم محمود بن عبد الكريم ، أخبرنا أبو بكر ابن ماجه ، أخبرنا أبو جعفر ، عن أبي جعفر أحمد بن محمد بن المرزبان ، عن محمد بن إبراهيم ابن يحيى بن الحكم الحَزَّوَري ، عن محمد بن سليمان لُوَين ، حدثنا حُدَيج بن معاوية ، عن أبي إسحاق ، عن عبد الله بن عُتبة ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ثمانين رجلاً ، منهم عبد الله بن مسعود ، وجعفر ، وعبد الله بن عرفطة ، وعثمان بن مظعون رضي الله عنهم ، وبعثت قريش عمروَ بن العاص ، وعمارة بن الوليد بهدية ، فقدما على النجاشي ، فدخلا عليه وسجدا له ، وابتدراه فقعد واحد عن يمينه والآخر عن شماله ، فقالا : إن نفراً من بني عمنا نزلوا أرضك ، فرغبوا عنا وعن ملتنا ، قال : وأين هم ؟ قالوا : بأرضك ، فأرسل في طلبهم ، فقال جعفر رضي الله عنه : أنا خطيبكم اليوم ، فاتَّبعوه ، فدخل فسلَّم ، فقالوا : مالك لا تسجدُ للملك ؟ قال : إنا لا نسجد إلا لله عز وجل . قالوا . و لم ذاك ؟ قال : إن الله تعالى أرسلَ فينا رسولاً

---

(١) هؤلاء : يعني المهاجرين إلى أرض الحبشة .

وأمرنا أن لا نسجدَ إلا لله عز وجل ، وأمرنا بالصلاة والزكاة ، قال عمرو بن العاص : فإنهم يُخالفونك في ابن مريم وأمه . قال : فما تقولون في ابن مريم وأمه ؟ قال : نقول كما قال الله عز وجل : روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول التي لم يمسَّها بشر ولم يفرضْها[1] ولد . قال : فرفع النجاشيُّ عوداً من الأرض فقال : يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان ! ما تزيدون على ما يقولون ، أشهدُ أنه رسولُ الله ، وأنه الذي بَشَّر به عيسى في الإنجيل ، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته فأكون أنا الذي أحمل نعليه وأوضئه ، وقال : انزلوا حيث شئتم . وأمر بهدية الآخرين فُردَّتْ عليهما .

قال : وتعجَّل عبد الله بن مسعود فشهد بدراً .

وقال : إنه لما انتهى إلى رسول الله ﷺ موتُه استغفر[2] له .

ولعمارةَ بن الوليد مع عمرو بن العاص في هذا الوجه خبرٌ مشهور ، ذكره أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني وغيرُه . وقال عمرو يخاطب عمارة :

إذا المرءُ لم يتركْ طعاماً يحبُّه ... ولم ينه قلباً غاوياً حيثُ يمَّما
قضى وَطَراً منه وغادرَ سُبَّة ... إذا ذُكرتْ أمثالُها تملأُ الفَمَا

ولم يذكر ابنُ إسحاق[3] مع عمرو إلا عبد الله بن أبي ربيعة في رواية زياد . وفي رواية ابن بُكير لعمارةَ بن الوليد ذكر .

فأقام المهاجرون بأرض الحبشة عند النجاشي في أحسن جوار ، فلما سمعوا بمهَاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة رجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلاً ومن النساء ثماني نسوة ، فمات منهم رجلان بمكة وحبس بمكة سبعة نفر ، وشهد بدراً منهم أربعة وعشرون رجلاً ، فلما كان شهرُ ربيع الأول وقيل المحرم سنة سبع من هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة ، كتب رسولُ الله ﷺ إلى النجاشي كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام ، وبعث به مع عمرو بن أمية

---

(١) « لم يَفرِضْها » : لم يؤثر فيها ولم يضعف قواها .

(٢) استغفر له : أي للنجاشي ؛ لأنه كان قد أسلم . والحديث رواه أبو داود الطيالسي في « مسنده » . تجريد الأغاني ١٠٢٥/٣ ــ ١٠٢٨ .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٣٣٤/١ و٣٣٧ .

الضَّمْري ، فلما قُرِىء عليه الكتاب أسلم ، وقال : لو قدرت أن آتيه لأتيته ، وكتب إليه رسولُ الله ﷺ أن يزوجه أمَّ حبيبة بنت أبي سفيان ففعل ، وأصدق عنه تسعمائة دينار ، وكان الذي تولى التزويج خالد بن سعيد بن العاص بن أمية ، وكتب إليه رسولُ الله ﷺ أن يبعثَ إليه من بقي عنده من أصحابه ويحملَهم ، ففعل ، فجاؤوا حتى قدموا المدينة ، فيجدون رسولَ الله ﷺ في خيبر ، فشخصوا إليه فوجدوه قد فتح خيبرَ فكلّم رسول الله ﷺ المسلمين أن يدخلوهم في سهمانهم[1] ففعلوا .

وكان سببُ رجوع الأولين الاثني عشر رجلاً ومن ذُكر معهم من النساء فيما روي أن رسولَ الله ﷺ قرأ يوماً على المشركين ﴿ والنَّجمِ إذا هَوى ﴾ حتى بلغ ﴿ أفرأيتُم اللَّاتَ والعُزَّى . ومناةَ الثالثةَ الأخرى ﴾ [النجم : ١ ـ ٢٠] ألقى الشيطانُ كلمتين على لسانه « تلك الغرانيقُ العلى وإنَّ شفاعتهن لترجى » فتكلّم رسولُ الله ﷺ بهما ، ثم مضى فقرأ السورة كلَّها فسجدَ ، وسجدَ القوم جميعاً ، ورفع الوليدُ بن المغيرة تراباً إلى جبهته فسجدَ عليه ، وكان شيخاً كبيراً لا يقدرُ على السجود ، ويُقال : إن أبا أُحيحةَ سعيدَ ابن العاص أخذ تراباً فسجدَ عليه ، ويُقال كلاهما فعل ذلك ، فرضوا بما تكلّم به رسولُ الله ﷺ وقالوا : قد عرفنا أن الله يُحيي ويُميت ويخلق ويرزق ، ولكن آلهتنا هذه تشفعُ لنا عنده ، فأمَّا إذا جعلت لها نصيباً فنحن معك ، فكبُرَ ذلك على رسول الله ﷺ من قولهم ، حتى جلسَ في البيت ، فلما أمسى أتاه جبريلُ فعرضَ عليه السورةَ ، فقال جبريلُ : ما جئتُك بهاتين الكلمتين . فقال رسول الله ﷺ : قلتُ على الله ما لم يقلْ ، فأوحى الله إليه ﴿ وإن كَادُوا ليَفْتِنُونَك عن الذي أوحينَا إليكَ لتفتريَ علينا غيرَه وإذاً لاتَّخذُوكَ خَليلاً ﴾ . إلى قوله ﴿ ثم لا تجدُ لكَ علينا نَصيراً ﴾ [الإسراء : ٧٣ ـ ٧٥] قالوا : ففشت تلك السجدةُ في الناس ، حتى بلغت أرضَ الحبشة ، فقال القومُ عشائرنا أحبُّ إلينا ، فخرجوا راجعين ، حتى إذا كانوا دون مكة بساعة من نهار لَقُوا ركباً من كِنانة ، فسألوهم عن قريش . فقال الركبُ : ذكرَ محمدٌ آلهتَهم بخير فتابعه الملأ ، ثم ارتدَّ عنها ، فعادَ لشتم آلهتهم ، وعادُوا له بالشر ، فتركناهم على ذلك . فائتمر القومُ في الرجوع إلى أرض الحبشة ، ثم قالوا : قد بلغنا مكة فندخل فننظر ما فيه قريش ، ويُحدث عهداً من أراد بأهله ثم يرجع ،

(١) « سهمانهم » : جمع سهم ، كظهر وظهران ، وبطن وبطنان .

فدخلوا مكة ، ولم يدخل أحدٌ منهم إلا بجوار ، إلا ابن مسعود فإنه مكثَ يسيراً ، ثم رجع إلى أرض الحبشة . قال الواقدي[1] : وكانوا خرجوا في رجب سنة خمس فأقاموا شعبان وشهر رمضان ، وكانت السجدة في شهر رمضان ، فقدموا في شوال سنة خمس .

قال السهيليُّ : ذكرَ هذا الخبر يعني خبر هذه السجدة موسى بن عقبة وابن إسحاق من غير طريق البَكَّائي ، وأهلُ الأصول يدفعون هذا الحديث بالحجة ، ومن صحَّحة قال فيه أقوالاً : منها أن الشيطان قال ذلك وأشاعه ، والرسولُ لم ينطقْ به ، وهذا جيد لولا أن في حديثهم أن جبريل قال لمحمد : ما أتيتُك بهذا . ومنها أن النبيَّ ﷺ قالها من قبل نفسه وعنى بها الملائكة أن شفاعتهم لتُرتجى ، ومنها أن النبيَّ ﷺ قالها حاكياً عن الكفرة ، وأنهم يقولون ذلك ، فقالها متعجباً من كفرهم . قال : والحديث على ما خَيَّلْتَ[2] غير مقطوع بصحته[3] .

قلت : بلغني عن الحافظ عبد العظيم المنذري رحمه الله أنه كان يردُّ هذا الحديثَ من جهة الرواة بالكلية ، وكان شيخُنا الحافظ عبد المؤمن الدمياطي يُخالفه في ذلك . والذي عندي في هذا الخبر أنه جار مجرى ما يُذكر من أخبار هذا الباب من المغازي والسير . والذي ذهبَ إليه كثير من أهل العلم الترخص في الرقائق ، وما لا حُكِم فيه من أخبار المغازي ، وما يَجري مجرى ذلك ، وأنه يُقبل فيها ما لا يُقبل في الحلال والحرام لعدم تعلّق الأحكام بها ، وأما هذا الخبر فينبغي بهذا الاعتبار أن يُردَّ ؛ لما يتعلق[4] به ، إلا أن يثبت بسند لا مطعن فيه بوجه ، ولا سبيلُ إلى ذلك ، فيُرجع إلى تأويله .

---

(١) طبقات ابن سعد ١/٢٠٦ .

(٢) « ما خَيَّلْتَ » : أي على أيِّ وجه تخيلته وحملته مما سبق .

(٣) الروض الأنف ٢/١٢٦ .

(٤) قال النووي — رحمه الله تعالى — : وأما ما توارثه الإخباريون والمفسرون أنه سبب ذلك — يعني سجود الجن والإنس مع رسول الله ﷺ — ما جرى على لسان رسول الله ﷺ على آلهة المشركين في سورة النجم هو باطل لا يصح فيه شيء ، لا من جهة النقل ولا من جهة العقل ؛ لأن مدحَ آلهة غير الله تعالى كفر ، ولا يصح نسبته إلى رسول الله ﷺ ، ولا أن يقول الشيطان على لسانه ، ولا يصح تسليط الشيطان على ذلك ، والله أعلم .

وقال القاضي عياض في « الشفاء » : فيكفيك أن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ، ولا رواه

ذكر إسلام عمر بن الخطاب
رضي الله عنه

قرأتُ على عبد الرحيم بن يوسف المِزي ، أخبركم أبو حفص بن طبرزذ ، قال : أخبرنا أبو بكر بن عبد الباقي ، أخبرنا أبو علي الحسن بن غالب الحربي ، حدثنا أبو عبد الله محمد ابن أحمد المالكي القاضي ، حدثنا الحسين بن إسحاق ، حدثنا أبو علقمة عبدُ الله بن عيسى الفَرْوي ، حدثنا عبدُ المالك بن الماجشون ، عن الزّنجيّ بن خالد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسولَ الله ﷺ قال : « اللهم أعزَّ الإسلام بعمرَ بن الخطاب »[1] . وقرأتُ على أبي الفداء إسماعيل بن عبد الرحمن بن عمرو الفراء بسفح قاسيون ، أخبركم أبو القاسم الحسين بن هبة الله بن محفوظ بن صَصْرَى التغلبي فأقرَّ به ، قال : أخبرنا الشيخان الشريف أبو طالب علي بن حيدرة بن جعفر الحسيني ، وأبو القاسم الحسين بن الحسن بن محمد بن البُنّ الأسدي ، قالا : أخبرنا أبو القاسم علي بن محمد بن أبي العَلاء ، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن أبي نصر التميمي ، أخبرنا أبو خيثمة بن سليمان ، حدثنا محمد بن عوف ، حدثنا سفيان الطائيُّ ، قال : قرأت على إسحاق بن إبراهيم الحُنَيني ، قال : ذكره أسامة بن زيد ، عن أبيه ، عن جده أسلم ، قال : قال لنا عمر بن الخطاب : أتحبُّون أن أعلمَكم كيف كان بدءُ إسلامي ؟ قلنا : نعم . قال : كنتُ من أشدِّ النَّاس على رسول الله ﷺ ، فبينا أنا في يوم حار شديد الحر بالهاجرة في بعض طرق مكة إذ لقيني رجلٌ من بعض قريش ، فقال لي أين تذهب يا ابن الخطاب ؟ أنت تزعم أنك هكذا ، وقد دخلَ عليكَ هذا الأمرُ في بيتك ! قال : قلت : وما ذاك ؟ قال : أختُك قد صبأتْ ، قال فرجعتُ مغضباً ، وقد كان رسول الله ﷺ يجمعُ الرجلَ

= ثقة بسند سليم متصل ، وإنما أولع فيه وبمثله المفسرون والمؤرخون ، المولعون بكل غريب ، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم .

(١) رواه ابن ماجه في المقدمة (فضل عمر رضي لله عنه) رقم /١٠٥/ ولفظه : « اللهم أعزَّ الإسلام بعمر ابن الخطاب خاصة » ، وقال البوصيري في الزوائد : حديث عائشة ضعيف : فيه عبد الملك بن الماجشون ، ضعفه بعض ، وذكره ابن حبان في الثقات . وفيه مسلم بن خالد الزنجي ، قال البخاري : منكر الحديث . وضعفه أبو حاتم والنسائي وغيرهم ، ووثقه ابن معين وابن حِبَّان .

والرجلين إذا أسلما عند الرجل به قوة ، فيكونان معه ويُصيبان من طعامه ، قال : وقد ضمَّ إلى زوج أختي رجلين ، قال : فجئتُ حتى قرعت الباب ، فقيل : من هذا ؟ قلت : ابنُ الخطاب . قال : وكان القوم جلوساً يقرؤون صحيفةً معهم ، قال : فلما سمعوا صوتي تبادروا واختفوْا ، وتركوا أو نسوا الصحيفةَ من أيديهم ، قال : فقامت المرأةُ ففتحت لي . قال : فقلت لها : يا عدوة نفسها قد بلغني أنك قد صبأت . قال : فأرفعُ شيئاً في يدي فأضربُها به . قال : فسال الدم . قال : فلما رأتِ المرأةُ الدمَ بكتْ ثم قالت : يا ابن الخطاب ! ما كنتَ فاعلاً فافعلْ ، فقد أسلمتُ . قال : فدخلتُ وأنا مغضبٌ . قال : فجلستُ على السرير ، فنظرتُ ، فإذا بكتاب في ناحية البيت . فقلت : ما هذا الكتاب أعطنيه . فقالت : لا أعطيكه ، لستَ من أهله ، أنت لا تغتسل من الجنابة ولا تَطَّهرّ ، وهذا لا يمسُّه إلا المُطهرون . قال : فلم أزلْ بها حتى أعطتنيه ، فإذا فيه ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ قال : فلما مررتُ بالرحمن الرحيم ذُعرت ورميت بالصحيفة من يدي . قال : ثم رجعتْ إلَيَّ نفسي فإذا فيها ﴿ سبَّحَ لله ما في السَّمٰواتِ والأرض وهو العزيزُ الحكيم ﴾ [الحديد : ١] قال : فكلما مررتُ بالاسم من أسماء الله عزَّ وجلَّ ذعرتُ ، ثم ترجع إلَيَّ نفسي حتى بلغت ﴿ آمِنُوا بالله ورسولِه وأنفقُوا مما جعلكُم مُستخلفينَ فيه ﴾ حتى بلغَ إلى قوله ﴿ إنْ كُنتُم مُؤمنين ﴾ [الحديد : ٧ – ٨] قال : فقلتُ أشهد أن لا إلَه إلا الله وأن محمداً رسولُ الله ، فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشاراً بما سمعوا مني ، وحمدوا الله عز وجل ، ثم قالوا : يا ابنَ الخطاب أبشر ، فإن رسولَ الله ﷺ دعا يوم الاثنين ، فقال : اللهم أعزَّ الإسلام بأحد الرجلين ، إما بأبي جهل بن هشام ، وإما بعمرَ بن الخطاب ، وإنا نرجو أن تكون دعوةُ رسول الله ﷺ لك فأبشرْ . قال : فلما أن عرفوا مني الصدقَ ، قلت لهم : أخبروني بمكان رسول الله ﷺ . قالوا : هو في بيت في أسفل الصفا وصفوه . قال : فخرجت حتى قرعتُ البابَ . قيل : من هذا ؟ قلت : ابنُ الخطاب . قال : قد عرفوا شدتي على رسول الله ﷺ و لم يعلموا إسلامي . قال : فما اجترأ أحدٌ منهم أن يفتحَ البابَ . قال : فقال رسولُ الله ﷺ : افتحوا له فإن يُردِ الله به خيراً يَهدِه . قال : ففتحوا لي وأخذَ رجلان بعضديّ حتى دنوتُ من النبيّ ﷺ . فقال : أرسلوه . قال : فأرسلوني ، فجلستُ بين يديه . قال : فأخذَ بمجمع قميصي فجبذني إليه . ثم قال : أسلمْ يا ابنَ

الخطاب ، اللهم اهدِه . قال : قلت : أشهدُ أنْ لا إلَه إلا الله وأنَّكَ رسولُ الله . فكبَّر المسلمون تكبيرةً سُمعت بطرق مكة . قال : وقد كان الرجلُ إذا أسلم استخفى ، ثم خرجتُ فكنتُ لا أشاءُ أن أرى رجلاً إذا أسلم ضُرِب إلا رأيته ، قال : فلما رأيت ذلك قلت لا أحبُّ أن لا يُصيبني ما يُصيبُ المسلمين ، قال : فذهبت إلى خالي[1] وكان شريفاً فيهم ، فقرعتُ البابَ عليه . فقال : من هذا ؟ قلت : ابنُ الخطاب . قال : فخرج إليَّ فقلت له : أشعرتَ أني قد صبأتُ . قال : نعم . فقلت : نعم ! قال : لا تفعلْ . قال : قلت : بلى قد فعلتُ . قال : لا تفعل . فأجاف البابَ[2] دوني وتركني . قال قلت : ما هذا بشيء ؟ قال : فخرجتُ حتى جئتُ رجلاً مع عظماء قريش فقرعتُ عليه الباب . قال : من هذا ؟ قلت : عمر بن الخطاب . قال فخرج إليَّ . فقلتُ له : أشعرتَ أني قد صبأتُ . فقال : أو فعلتَ ؟ قلت : نعم . قال : فلا تفعل . قلت : قد فعلتُ . قال : لا تفعل . ثم قام فدخل فأجافَ البابَ دوني . قال : فلما رأيتُ ذلك انصرفتُ . فقال لي رجل : تحبُّ أن يُعلم إسلامُك ؟ قال : قلت : نعم . قال : فإذا جلسَ الناس في الحِجر واجتمعوا أتيتَ فلاناً ــ رجلاً لم يكن يكتم السرَّ ــ فاصغ[3] إليه ، فقل له فيما بينك وبينه : إني قد صبأتُ . فإنه سوفَ يظهر عليك ذلك ويصيح ويعلنه . قال : فلما اجتمع الناس في الحِجر جئتُ إلى الرجل ، فدنوت منه فأصغيت إليه فيما بيني وبينه ، فقلت : أعلمتَ أني قد صبأتُ . قال : فقال : أصبأتَ ؟ قلت : نعم . قال : فرفعَ صوته بأعلاه ، فقال : ألا إن ابنَ الخطاب قد صبأ . قال : فما زال النَّاسُ يضربوني وأضربهم . قال : فقال خالي : ما هذا ؟ قال : فقيل : ابن الخطاب . قال : فقام عليَّ في الحِجر فأشار بكمه ، فقال : ألا إني قد أجرتُ ابنَ أختي . قال : فانكشفَ الناس عني . قال : وكنت لا أشاء

---

(١) إلى خالي : قال سبطُ ابن العجمي : لعله أراد بخاله أبا جهل ، وهو الظاهر ، ويحتمل أن يكون أخاه الحارث بن هشام ، ويُحتمل أن يكون خالد بن هشام أخا أبي جهل .. ويُحتمل أن يكون واحداً من بني مخزوم ؛ لأن أمَّ عمر ــ حنتمة ــ من بني مخزوم .. نور النبراس لوحة ٢١٤/١ .

(٢) « أجاف الباب » : ردَّه .

(٣) « فاصغ إليه » : مل إليه بكلامك ، وأسرَّ إليه بإسلامك . وفي سيرة ابن هشام ٣٤٨/١ أن هذا الرجل هو جميل بن مَعْمَر الجُمحي ، وكان أنقل قريش للحديث .

أن أرى أحداً من المسلمين يُضرب إلا رأيته ، وأنا لا أُضرب . قال : فقلت : ما هذا بشيء حتى يصيبني مثل ما يصيبُ المسلمين . قال : فأمهلت حتى إذا جلس الناس في الحِجر وصلت إلى خالي فقلت : اسمع . فقال : ما أسمع ؟ قال : قلت : جوارُك عليكَ ردٌّ . قال : فقال : لا تفعل يا ابن أختي . قال : قلت : بلى هو ذاك . فقال : ما شئتَ . قال : فما زلتُ أَضربُ وأُضربُ حتى أعزَّ الله الإسلام(1) .

ورويناه هذا الخبر من طريق ابن إسحاق(2) ، وفيه قال : وكان إسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة ، وكانت عند سعيد بن زيد ، كانت قد أسلمت وأسلم زوجها سعيد ، وهم مستخفون بإسلامهم من عمر ، وكان نُعيم النحام ــ رجل من قومه ــ قد أسلم ، وفيه : أن عمر خرج متوشحاً سيفه يقصد رسولَ الله ﷺ ومن معه ، وهم قريب من أربعين بين رجال ونساء ، وأن الذي قال له ما قال نُعيم ، وأن خباباً كان في بيت أخته يقرئهم القرآن ، وأن الذي كان في الصحيفة سورة (طه) وأنَّ الذي أذن في دخوله على رسول الله ﷺ حمزة بن عبد المطلب ، والرجل الذي صرَّحَ بإسلام عمر عندما قاله له جميل بن مَعْمَر الجمحي الذي يقال له ذو القلبين ، وفيه نزلت ﴿ ما جعلَ اللهُ لرجلٍ من قلبيْنِ في جَوْفه ﴾ [الأحزاب : ٤] على أحد الأقوال وفيه يقول الشاعر :

وكيف ثَوائي بالمدينة بعد ما ... قضى وطراً منها جميلُ بنُ مَعمر ؟

ورويناه من طريق ابن عائذ ، قال : أخبرني الوليد بن مسلم ، قال : حدثني عمر بن محمد ، قال : حدثني أبي محمدُ بن زيد بن عبد الله بن عمر فذكر القصة ، وفيها : فأتيته بصحيفة فيها (طه) فقرأ فيها ما شاء الله . قال عمر : فلما بلغ ﴿ فلا يصدنَّك عنها مَنْ لا يُؤمن بها واتَّبعَ هواهُ فتَرْدَى ﴾ [طه : ١٦] قال : أشهدُ أن لا إلّه إلا الله وأن محمداً

(١) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٦٣/٩ ــ ٦٥ وقال : رواه البزار وفيه أسامة بن زيد بن أسلم ، وهو ضعيف . وبهامشه : فيه من هو أضعف من أسامة ، وهو إسحاق بن إبراهيم الحنيثي ، وقد ذكر البزار أنه تفردَّ به .

وقال الصالحي : وقد روى قصة إسلام عمر : ابن إسحاق ، وابن سعد ، وأبو يعلى ، والحاكم ، عن أنس . والبزار ، والطبراني عن أسلمَ مولاه عنه ، وأبو نُعيم عن ابن عمر . السيرة الشامية ٤٩٣/٢ .

(٢) السيرة النبوية ، لابن هشام ٣٤٢/١ ــ ٣٥٠ .

عبده ورسوله . وفيها : قالوا يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب يستفتح . فقال رسول الله ﷺ : ائذنوا له ، فإن يُردِ الله به خيراً يهده ، وإلا كفيتكموه بإذن الله . قال محمد يعني ابن عائذ ــ وهذا وَهَم ، وإنما الذي قال : فإن يُرد الله به خيراً يهده وإلا كفيتكموه : حمزة .

وفي الخبر عن ابن عائذ ، قال عمر : فحدثني أبي محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر أن أباه زيد بن عبد الله بن عمر حدثه ، عن عبيد الله بن عمر ، قال : فبينا هو خائف على نفسه إذ جاءَه العاص بن وائل عليه حلة وقميص مكفف بالحرير ، فقال : مالك يا ابنَ الخطاب . قال : زعم قومُك أنهم سيقتلونني إذا أسلمت . قال العاص : لا سبيل إليك ، فما عدا أن قالها العاص ، فأمنتُ عليه . قال عبد الله بن عمر فخرجَ عمر والعاص فإذا الوادي قد سالَ بالناس . فقال لهم : أين تُريدون ؟ قالوا : هذا الذي قد خالف دينَ قومه . قال : لا سبيل إليه فارجعوا فرجعوا[1] .

وذكر محمد بن عبد الله بن سِنْجر الحافظ فيما رأيته عنه بإسناده إلى شُرَيْح بن عُبيد قال : قال عمر بن الخطاب : خرجت أتعرّضُ رسولَ الله ﷺ قبل أن أُسلم ، فوجدته قد سبقني إلى المسجد ، فقمت خلفه ، فاستفتح سورة الحاقة ، فجعلتُ أتعجَّب من تأليف القرآن ، فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش ، فقرأ ﴿ إنَّه لقولُ رسولٍ كريمٍ . وما هو بقول شاعرٍ قليلاً ما تُؤمنون ﴾ [الحاقة : ٤٠ ــ ٤١] قال : قلت : كاهن علم ما في نفسي ، فقرأ ﴿ ولا بقولِ كاهنٍ قليلاً ما تَذَكَّرُون ﴾ [الحاقة : ٤٢] إلى آخر السورة . قال : فوقع الإسلامُ في قلبي كل موقع[2] .

وقد ذُكر غير هذا في خبر إسلام عمر رضي الله عنه أيضاً ، فالله أعلم أي ذلك كان .

أخبرنا الإمام أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المقدسي ، وأبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم

(١) ذكر هذا الخبر محمد بن عائذ الدمشقي الكاتب ، أبو أحمد ، في سيرته . ويشهدُ لخبر حماية العاصي بن وائل السهمي لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ما رواه البخاري في « صحيحه » في كتاب مناقب الأنصار (باب إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه) رقم /٣٨٦٤/ .

(٢) ذكر هذا الخبر عن ابن سنجر السهيلي في روضه ٩٩/٢ ، وقال سبط ابن العجمي : وأظن أن رواية شريح بن عُبيد عن عمر مُرسلة .. نور النبراس لوحة ٢١٦/١ .

الحرّاني قراءة عليهما وأنا حاضر في الرابعة . قال الأول : أخبرنا أبو اليُمن الكِندي قراءة عليه وأنا أسمع ، وقال الثاني : أخبرنا أبو علي بن الخُرَيْف قراءة عليه وأنا حاضر أسمع في الخامسة ، قالا : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري ، أخبرنا أبو الحسين محمد ابن أحمد بن حَسْنون أخبرنا معافى بن إبراهيم بن زكريا بن طرَّار ، أخبرنا أبو عبد الله يعني البغوي ، حدثنا عبيد الله بن عمر ، حدثنا عبد الله بن خِرَاش ، عن العَوَّام بن حوشب ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : لما أسلم عمرُ رضي الله عنه نزلَ جبريل عليه السلام على النبيّ ﷺ فقال : يا محمد لقد استبشرَ أهلُ السماء بإسلام عمر رضي الله عنه . رواه ابن[1] ماجه عن إسماعيل بن محمد الطَّلْحي ، عن عبد الله بن خِراش .

* * *

(١) رواه ابن ماجه في المقدمة (فضل عمر بن الخطاب رضي الله عنه) رقم /١٠٣/ وقال البوصيري في « الزوائد » إسناده ضعيف ، لا تفاقهم على ضعف عبد الله بن خِراش ، إلا أن ابن حبان ذكره في الثقات ، وأخرج هذا الحديث من طريقه في صحيحه . ورواه الحاكم في المستدرك ٨٤/٣ من طريق عبد الله بن خِراش ، وصححه ، وتعقبه الذهبي ، فقال : عبد الله بن خِراش ضعّفه الدارقطني .

ذكر الخبر عن دخول بني هاشم وبني المطلب
ابني عبد مناف في الشّعب[1] وما لقوا من سائر قريش في ذلك

قال أبو عمر : أخبرنا عبد الله بن محمد ، حدثنا محمد بن بكر ، حدثنا أبو داود ، حدثنا محمد بن سلمة المرادي ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني ابن لهيعة ، عن محمد بن عبد الرحمن أبي الأسود ، وأخبرنا عبد الوارث بن سفيان ، حدثنا قاسم بن أَصْبَغ ، حدثنا مُطَرِّف ابن عبد الرحمن بن قيس ، حدثنا يعقوب بن حُميد بن كاسب ، وأخبرنا عبد الله بن محمد ، حدثنا محمد بن بكر ، حدثنا أبو داود ، حدثنا محمد بن إسحاق المسيَّبي ، قالا : حدثنا محمد بنُ فليح ، عن موسى بن عقبة ، عن ابن شهاب دخل حديث بعضهم في بعض ، قال : ثم إن كفار قريش أجمعوا أمرَهم واتَّفق رأيهم على قتل رسول الله ﷺ ، وقالوا : قد أفسدَ أبناءَنا ونساءنا ، فقالوا لقومه : خذوا منا دِيَةً مضاعفة ويقتلُه رجل من غير قريش ، وتريحوننا وتريحون أنفسكم ، فأبى قومُه بنو هاشم من ذلك ، فظاهرهم بنو المطلب بن عبد مناف ، فأجمع المشركون من قريش على منابذتهم وإخراجهم من مكة إلى الشّعب ، فلما دخلوا الشّعبَ أمر رسولُ الله ﷺ من كان بمكة من المؤمنين أن يخرجوا إلى أرض الحبشة وكانت مُتَّجَراً لقريش ، وكان يُثنى على النجاشي بأنه لا يُظلم عنده أحد ، فانطلق إليها عامة من آمن بالله ورسوله ، ودخل بنو هاشم وبنو المطلب شعبَهم ، مؤمنُهم وكافرُهم ، فالمؤمن ديناً والكافر حميّة ، فلما عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد منعه قومُه أجمعوا على أن لا يبايعوهم ولا يدخلوا إليهم شيئاً من الرِّفْق[2] ، وقطعوا عنهم الأسواق ، ولم يتركوا طعاماً ولا إداماً ولا بيعاً إلا بادروا إليه واشتروه دونهم ، ولا يناكحوهم ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً ، ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يُسَلِّموا رسولَ الله ﷺ للقتل ، وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في الكعبة ، وتمادوا على العمل بما فيها من

(١) « الشّعب » : واحد شعاب مكة ، وهي الوِهاد والطرقات بين الجبال والمراد به هنا شعب بني هاشم ابن عبد مناف .

(٢) « الرِّفق » : ما استعين به .

ذلك ثلاث سنين ، فاشتد البلاء على بني هاشم في شعبهم وعلى كل من معهم ، فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم قومٌ من قصي ممن ولدتهم بنو هاشم ومَن سواهم ، فأجمعوا أمرهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة ، وبعث الله على صحيفتهم الأَرَضة فأكلت ولَحِسَتْ ما في الصحيفة من ميثاق وعهد ، وكان أبو طالب في طول مدتهم في الشعب يأمر رسول الله ﷺ فيأتي فراشَه كلّ ليلة حتى يراه من أراد به شراً أو غائلة ، فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوته أو بني عمه ، فاضطجع على فراش رسول الله ﷺ ، وأمر رسولَ الله ﷺ أن يأتي بعض فرشهم فيرقدَ عليها ، فلم يزالوا في الشعب على ذلك إلى تمام ثلاث سنين ، ولم تترك الأَرَضة في الصحيفة اسماً لله عز وجل إلا لَحِسَتْه وبقي ما كان فيها من شرك أو ظلم أو قطيعة رحم ، فأطلعَ اللهُ رسولَه على ذلك فذكر ذلك رسولُ الله ﷺ لأبي طالب ، فقال أبو طالب : لا والثواقبِ[1] ما كذبتني ، فانطلق في عصابة من بني عبد المطلب حتى أتوا المسجدَ وهم خائفون لقريش ، فلما رأتهم قريش في جماعة أنكروا ذلك ، وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء ليسلّموا رسولَ الله ﷺ بِرُمَّتِه[2] إلى قريش ، فتكلم أبو طالب فقال : قد جرت أمور بيننا وبينكم لم نذكرها لكم ، فائتوا بصحيفتكم التي فيها مواثيقكم فلعله أن يكون بيننا وبينكم صلح ، وإنما قال ذلك أبو طالب خشية أن ينظروا في الصحيفة قبل أن يأتوا بها ، فأتوا بصحيفتهم معجبين ، لا يشكون أن رسولَ الله ﷺ يُدفع إليهم ، فوضعوها بينهم وقالوا لأبي طالب قد آن لكم أن ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى أنفسكم ، فقال أبو طالب : إنما أتيتكم في أمر هو نَصَفٌ بيننا وبينكم ؛ إن ابن أخي أخبرني ولم يكذبْني ؛ أن هذه الصحيفة التي[3] في أيديكم قد بعث الله عليها دابة فلم تترك فيها اسماً إلا لحِسته ، وتركت فيها غدركم وتظاهركم علينا بالظلم ، فإن كان الحديث كما يقول فأفيقوا ، فلا والله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا ، وإن كان الذي يقول باطلاً دفعنا إليكم صاحبنا فقتلتم أو استحييتم ، فقالوا : قد رضينا بالذي تقول . ففتحوا

---

(١) « الثواقب » : النجوم ، جمع ثاقب ، وهو النجم المضيء .

(٢) « بِرُمَّتِه » : هي بضم الراء وتشديد الميم مفتوحة ، وأصل الرمة : قطعة الحبل البالية ، وفي المثل « دفع إلي برمته » أي بجملته .

(٣) في الدرر ص ٥٥ : بين أيديكم .

الصحيفةَ فوجدوا الصادق المصدوق ﷺ قد أخبر بخبرها قبل أن تفتح ، فلما رأت قريش صِدْق ما جاء به أبو طالب عن النبي ﷺ قالوا : هذا سحر ابن أخيك . وزادهم ذلك بغياً وعدواناً[1] .

وقال ابن هشام : وذكر بعضُ أهل العلم أن رسولَ الله ﷺ قال لأبي طالب : يا عمّ إن ربِّي قد سَلَّط الأَرَضة على صحيفة قريش فلم تدعْ فيها اسماً لله إلا أثبتته ، ونفت منها القطيعة والظلم والبهتان ، قال : أربُّك أخبرَك بهذا ؟ قال : نعم . قال فوالله ما يدخل عليك أحد . ثم خرجَ إلى قريش ، فقال : يا معشر قريش ! إن ابن أخي أخبرني[2] . وساق الخبر بمعنى ما ذكرناه .

وقال ابن إسحاق وابن عقبة وغيرُهما : وندم منهم قوم فقالوا : هذا بغي منا على إخواننا وظلم لهم ، فكان أول من مشى في نقض الصحيفة هشام بن عمرو بن الحارث العامري ، وهو كان كاتب الصحيفة[3] ، وأبو البَخْتَرِي العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزى والمطعم بن عدي . إلى هنا انتهى خبر ابن لهيعة عن أبي الأسود يتيم عروة ، وموسى ابن عقبة عن ابن شهاب .

وذكر ابن إسحاق فيهم زهير بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي ، وزمعة بن الأسود بن المطلب[4] . وذكر ابن إسحاق في أول هذا الخبر قال : وقد كان أبو جهل فيما يذكرون لقي حكيم بن حزام ومعه غلام يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة ، وهي مع رسول الله ﷺ في الشعب ، فتعلّق به وقال:أتذهب بالطعام إلى بني هاشم ؟ فقال له أبو البختري :

---

(١) الدرر في اختصار المغازي والسِّيَر لابن عبد البر ص ٥٣ ــ ٥٥ . وقال سبط العجمي : هذا الحديث الذي رواه عن الزهري ليس هو في السنن ولا المراسيل فاعلمه . نور النبراس لوحة ٢١٦/١ .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٣٧٧/١ .

(٣) قال الصالحي : والذي كتب الصحيفة : قال ابن إسحاق : منصور بن عكرمة . قال ابن هشام : ويقال : النضر بن الحارث . فدعا عليه رسول الله ﷺ فشَلَّت بعض أصابعه . وقال غيره : بَغيض بن عامر ، فشَلَّت يدُه . وقال غيره : هشام بن عمرو بن الحارث العامري ، وأسلم بعد ذلك . ويُجمع بين هذه الأقوال باحتمال أن يكون كُتب بها نسخٌ . السيرة الشامية ٥٠٣/٢ .

(٤) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٣٧٥/١ .

طعام كان لعمته عنده أفتمنعه أن يأتيها بطعامها ، خلِّ سبيلَ الرجل ، فأبى أبو جهل حتى نال أحدُهما من صاحبه ، فأخذ أبو البختري لحي بعير فضربه به فشجه ووطئه وطئاً شديداً[1] .

وذكر أبو عبد الله محمد بن سعد : هشامَ بن عمرو العامريَّ المذكور وقال : كان أوصلَ قريش لبني هاشم حين حُصروا في الشعب ، أدخل عليهم في ليلة ثلاثة أحمال طعاماً ، فعلمت بذلك قريش ، فمشوا إليه حين أصبح ، فكلموه في ذلك ، فقال : إني غير عائد لشيء خالفكم ، فانصرفوا عنه ، ثم عاد الثانية ، فأدخل عليهم ليلاً حملاً أو حملين ، فغالظته قريش وهمت به ، فقال أبو سفيان بن حرب : دعوه ، رجل وصل أهل رحمه ، أما إني أحلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل كان أحسن بنا[2] .

وعن ابن سعد : وكان الذي كتب الصحيفة بَغيض بن عامر بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار بن قصي فَشلّت[3] يدُه .

وحَصَروا بني هاشم في شعب أبي طالب ليلةَ هلال المحرم سنة سبع من حين نُبِّىء رسول الله ﷺ ، وكان خروجهم في السنة العاشرة،وقيل مكثوا في الشعب سنتين .

* * *

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٣٥٣ ـ ٣٥٤ .

(٢) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/١٥٣ .

(٣) الذي في طبقات ابن سعد ١/٢٠٩ : وكان الذي كتبَ الصحيفة منصور بن عكرمة العَبْدَري ، فشَلَّت يده .

ذكر خبر أهل نجران

قال ابن إسحاق : ثم قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة ، فوجدوه في المسجد ، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه ، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة ، فلما فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ عما أرادوا ، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله ، وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه ، وعرفوا منه ما كان يُوصف لهم في كتابهم من أمره ، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش ، فقالوا لهم : خيبكم الله من ركب ، بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون[1] لهم لتأتوهم بخبر الرجل ، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال ، ما نعلم ركباً أحمق منكم أو كما قالوا . فقالوا لهم : سلام عليكم لا نجاهلكم ، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه ، لم نأل من أنفسنا خيراً . ويقال : إن النفر من النصارى من أهل نجران ، ويقال : فيهم نزلت ﴿ الذينَ آتيناهُم الكتابَ من قبله هم به يُؤمنون . وإذا يُتلى عليهم قالوا آمنا به ﴾ إلى قوله ﴿ لا نبتغي الجاهلين ﴾ [القصص : ٥٢ — ٥٥] . وقال الزهري ما زلت أسمعُ من علمائنا أنهنَّ نزلنَ في النجاشيِّ وأصحابه[2] .

ذكر وفاة خديجة وأبي طالب

روينا عن الدُّوْلابي ، حدثنا أبو الأشعث أحمد بن المقدام العجلي ، حدثنا زهير بن العَلاء ، حدثنا سعيد بن أبي عَروبة ، عن قتادة ، قال : توفيت خديجة بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين ، وهي أوَّلُ من آمن بالنبي ﷺ[3] .

(١) « ترتادون » : تطلبون لهم الأخبار .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٣٩١ — ٣٩٢ .

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٢٢٠ وقال : رواه الطبراني ، وفيه زهير بن العلاء ؛ وثقة ابن حِبَّان وضعفه غيره .

قال : وحدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثني يونس بن بُكير ، عن ابن إسحاق قال : ثم إن خديجة بنتَ خويلد وأبا طالب ماتا في عام واحد ، فتتابعت على رسول الله ﷺ مصيبتان ، هلاك خديجة وأبي طالب ، وكانت خديجة وزيرةَ صدق على الإسلام ، وكان رسول الله ﷺ يسكن إليها[1] . قال : وقال زياد البكَّائي عن ابن إسحاق : إن خديجة وأبا طالب هلكا في عام واحد ، وكان هلاكُهما بعد عشر سنين مضين من مبعث رسول الله ﷺ ، وذلك قبل مهاجره ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين[2] .

وذكر ابن قتيبة أن خديجة توفيت بعد أبي طالب بثلاثة أيام[3] . وذكر البيهقيُّ نحوه[4] ، وعن الواقدي : تُوفيت خديجُة قبل أبي طالب بخمس وثلاثين ليلة[5] . وقيل غير ذلك .

فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب ، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً ، فدخل رسولُ الله ﷺ بيته والتراب على رأسه ، فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي ، ورسول الله ﷺ يقول : لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك ، ويقول بين ذلك : ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب . قال : ولما اشتكى أبو طالب وبلغ قريشاً ثِقَلُه ، قال بعضهم لبعض : إن حمزة وعمر قد أسلما وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها ، فانطلقوا بنا إلى أبي طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه وليعطه منا ، فإنا والله ما نأمن أن يبتزونا[6] أمرنا ، فمشوا إلى أبي طالب وكلموه وهم أشراف قومه : عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، وأبو سفيان بن حرب ، في

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٣٥٢/٢ عن أبي عبد الله الحافظ . وقال البيهقي : ذكره أبو عبد الله بن منده في كتاب « المعرفة » .
(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤١٦/١ .
(٣) المعارف ؛ لابن قتيبة ص ١٣٣ . طبعة دار المعارف بمصر .
(٤) دلائل النبوة ٣٥٢/٢ — ٣٥٣ .
(٥) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢١١/١ .
(٦) « أن يبتزونا » : يقال ابتزه أمره : سلبه إياه وغلبه عليه .

رجال من أشرافهم ، فقالوا : يا أبا طالب إنك منا حيث قد علمت وقد حضرك ما ترى وتَخَوَّفْنا عليك ، وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك ، فادعه وخذ له منا وخذ لنا منه ليكف عنا ونكف عنه ، وليدعنا ودينا ، وندعه ودينه ، فبعث إليه أبو طالب فجاءه ، فقال : يا ابن أخي هؤلاء أشراف قومك وقد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك ، فقال رسول الله ﷺ : نعم . كلمة واحدة تعطونيها وتملكون بها العرب ، وتدين لكم بها العجم . فقال أبو جهل : نعم وأبيك ، وعشر كلمات . قال : تقولون لا إلّه إلا الله ، وتخلعون ما تعبدون من دونه . قال : فصفقوا بأيديهم ثم قالوا : يا محمد ، أتريد أن تجعلَ الآلهة إلّهاً واحداً ، إن أمرك لعجبٌ . ثم قال بعضهم لبعض : والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون ، فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه . ثم تفرقوا ، فقال أبو طالب لرسول الله ﷺ : والله يا ابن أخي ما رأيتك سألتَهم شحطاً[1] . فلما قالها طمع رسول الله ﷺ فيه ، فجعل يقول له : أي عم ! فأنت فقلها ، أستحلُّ لك بها الشفاعة يوم القيامة . فلما رأى حِرصَ رسول الله ﷺ . قال له : يا ابن أخي والله لولا مخافة السُّبّة عليك وعلى بني أبيك من بعدي ، وأن تظن قريش أني إنما قلتها جزعاً من الموت لقلتها لا أقولها إلا لِأَسُرَّك بها . فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر العباس إليه يحرك شفتيه ، فأصغى إليه بأذنه ، فقال : يا ابن أخي ! والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته بقولها . فقال رسولُ الله ﷺ : لم أسمع[2] . كذا في رواية ابن إسحاق أنه أسلم عند الموت .

وقد رُوي أن عبد الله بن عبد المطلب وآمنة بنت وهب أبوي النبي ﷺ أسلما أيضاً وأن الله أحياهما له فآمنا به . وروي ذلك أيضاً في حق جده عبد المطلب ، وهي روايات لا معوَّل عليها . والصحيح من ذلك ما رويناه من طريق مسلم : حدثني حَرْمَلَةُ بن يَحيى التُّجِيبي ، أخبرنا عبد الله بن وَهْب ، أخبرني يُونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني سعيدُ ابن المسيِّب ، عن أبيه ، أنه قال : لما حضرتْ أبا طالب الوفاة جاءه رسولُ الله ﷺ فوجد

---

(١) « سألتَهم شحطاً » : أي أمراً بعيداً .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤١٦/١ — ٤١٨ .

عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة ، فقال رسول الله ﷺ : « يا عم ! قل لا إلّه إلا الله ، كلمة أشهدُ لك بها عند الله » . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب ! أترغبُ عن ملة عبد المطلب ، فلم يزلْ رسولُ الله ﷺ يَعرضُها عليه ، ويُعيدان له تلك المقالة ، حتى قال أبو طالب ــ آخرَ ما كلَّمهم ــ هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إلّه إلا الله . فقال رسولُ الله ﷺ : « أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك » فأنزل الله عز وجل ﴿ ما كانَ للنبيِّ والذين آمنوا أنْ يَستغفروا للمشركينَ ولو كانوا أُولي قُربى من بعدِ ما تبيَّنَ لهم أنّهم أصحابُ الجحيم ﴾ [التوبة : ١١٣] وأنزل الله في أبي طالب ، فقال لرسول الله ﷺ ﴿ إنَّكَ لا تهدي من أحببتَ ولكنَّ الله يَهدي مَنْ يَشاءُ وهو أعلمُ بالمهتدين ﴾[١] [القصص : ٥٦] . ورواه مسلم من حديث أبي هريرة أيضاً وفيه : لولا أن تعيرني قريش ، يقولون : إنما حمله على ذلك الخَرَعُ لأقررت بها عينك[٢] .

وفي الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذُكر عنده عمُّه أبو طالب ، فقال : « لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيُجعلَ في ضحضاح من النار »[٣] .

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « أهونُ أهل النّار في النار عذاباً أبو طالب ، وهو منتعلٌ بنعلين من نار يغلي منهما دماغُه »[٤] . وأخبرنا عبد الرحيم المِزي . بقراءة والدي عليه ، أخبركم أبو علي حنبل بن عبد الله بن الفرج ، أخبرنا أبو القاسم بن الحصين ، أخبرنا أبو علي بن المُذْهِب ، أخبرنا أبو بكر القطيعي ، أخبرنا عبد الله بن أحمد ، حدثنا

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان (باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ، ما لم يَشرع في النزع ..) رقم /٢٤/ .

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان (باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموتُ ، ما لم يَشرع في النزع ...) رقم /٢٥/ وفيه .. « الجزعُ » . قال في « النهاية » : قال ثعلب : إنما هو بالخاء والراء . وهو الخور والضعف .

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان (باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب) رقم /٢١٠/ . و« الضَّحْضَاحُ » : ما رقَّ من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين ، واستعير في النار .

(٤) رواه مسلم في كتاب الإيمان (باب أهون أهل النار عذاباً) رقم /٢١٢/ .

أبي ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت ناجية بن كعب يحدث عن علي ؛ أنه أتى النبيَّ ﷺ فقال : إن أبا طالب مات . فقال له النبي ﷺ : « اذهب فواره » . فقال : إنه مات مشركاً . قال : « اذهب فواره » . فلما واريتُه رجعتُ إلى النبي ﷺ فقال لي : « اغتسل »[1] .

وأخبرنا أبو الفضل بن الموصلي ، قال : أخبرنا أبو علي بن سعادة الرُّصافي ، أخبرنا هِبة الله بن محمد الشيباني ، أخبرنا الحسن بن علي التميمي ، أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان ، أخبرنا عبد الله بن أحمد ، حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن يَعلى ابن عطاء ، عن وكيع بن عُدُس ، عن أبي رَزين عمِّه ، قال : قلت : يا رسول الله ! أين أمي ؟ قال : « أمُّك في النار » قال : قلت : فأين من مَضَى من أهلك ؟ قال : « أما ترضى أن تكونَ أمُّك مع أمي ؟! »[2] . قال عبد الله : قال أبي : الصواب حُدُس .

وذكر بعضُ أهل العلم في الجمع بين هذه الروايات ما حاصلُه أن النبي ﷺ لم يزلْ راقياً في المقامات السنية ، صاعداً في الدرجات العلية إلى أن قبضَ الله روحَه الطاهرة إليه ، وأزلفه بما خصَّه به لديه من الكرامة حين القدوم عليه ، فمن الجائز أن تكون هذه درجة حصلت له ﷺ بعد أن لم تكن ، وأن يكون الإحياء والإيمان متأخراً عن تلك الأحاديث فلا تعارض .

وقال السهيلي : شهادة العباس لأبي طالب لو أدَّاها بعدما أسلم كانت مقبولة ؛ لأن العدلَ إذا قال سمعتُ وقال من هو أعدلُ منه لم أسمع ، أخذ بقول من أثبتَ السماع ، ولكن العباس شهد بذلك قبل أن يُسلم .

قلت : قد أسلم العباسُ بعد ذلك ، وسأل رسولَ الله ﷺ عن حال أبي طالب فيما أخبرنا عبد الرحيم بن يُوسف ، بقراءة أبي عليه ، وقرأتُ على أبي الهيجاء غازي بن أبي الفضل ، قال : أخبرنا أبو حفص بن طبرزذ ، قال : أخبرنا ابن الحُصين ، أخبرنا أبو طالب

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند رقم /٧٥٩/ ، وقال المرحوم أحمد شاكر : إسناده صحيح ، ناجية بن كعب هو الأسدي ، تابعي ثقة .. والحديث رواه أبو داود /٣٢١٤/ ، والنسائي ١/٢٨٢ ـ ٢٨٣ .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٤/١١ ، وإسناده حسن .

ابن غيلان ، أخبرنا أبو بكر الشافعي ، حدثنا بشر بن موسى ، حدثنا الحُميدي ، حدثنا سفيان ، حدثنا عبدُ الملك بن عُمير ، قال : سمعتُ عبدَ الله بن الحارث بن نوفل ، قال : سمعتُ العباسَ يقولُ : قلت يا رسول الله ، إن أبا طالب كان يحفظُك وينصرُك ، فهل نفعَه ذلك ؟ قال : « نعم ، وجدتُه في غَمَراتٍ من النار فأخرجتُه إلى ضَحْضَاح »[1] . صحيح الإسناد مشهور ، متفق عليه من حديث العباس في الصحيحين .

ولو كانت هذه الشهادةُ عنده لأداها بعد إسلامه ، وعلم حال أبي طالب و لم يسأل ، والمعتبر حالة الأداء دون التحمل .

وفيما ذكره السهيلي ؛ أن الحارث بن عبد العزى أبا رسول الله ﷺ من الرضاعة قدم على رسول الله ﷺ مكة ، فأسلمَ وحَسُنَ إسلامه ، في خبر ذكرَه من طريق يُونس بن بُكير ، عن ابن إسحاق ، عن أبيه ، عن رجال من بني سعد بن بكر[2] .

ذكرُ خروج النبي ﷺ إلى الطائف

وذلك في ليالٍ بقين من شوال سنة عشر من النبوة ، قال ابن إسحاق :

ولما هلك أبو طالب ونالت قريشٌ من رسول الله ﷺ ما لم تكن تنالُ منه في حياته ، خرجَ إلى الطائف وحدَه – وقال ابن سعد[3] : ومعه زيدُ بن حارثة – يلتمسُ النصرةَ من ثَقيف والمنعةَ بهم من قومه ، ورجا أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله ، فلما انتهى إلى الطائف عَمِدَ إلى نفرٍ من ثقيف ، وهم يومئذ سادةُ ثقيف وأشرافهم ، وهم إخوة ثلاثة : عبدُ يا لِيْلَ ، ومسعود ، وحبيب ، بنو عمرو بن عُمير بن عوف بن عُقْدة بن غِيَرَة بن

---

(١) رواه البخاري في مناقب الأنصار (باب قصة أبي طالب) رقم /٣٨٨٣/ ، ومسلم في كتاب الإيمان (باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب ..) رقم /٢٠٩/ .

(٢) الروض الأنف ١/١٨٥ ، وذكر الحافظ الذهبي الحارث عبد العزى في تجريده في الصحابة ، وقال : أدرك الإسلام ، وأسلم بمكة ، وذكر الطريق التي ذكرها السهيلي ، وعده غير السهيلي في الصحابة جازماً به ، والله أعلم . نور النبراس لوحة ١/٢٢٥ .

(٣) الطبقات الكبرى ١/٢١١ .

عوف بن ثقيف ، وعند أحدهم امرأة[1] من قريش من بني جُمَح ، فجلسَ إليهم رسولُ الله ﷺ وكلَّمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام ، والقيام معه على من خالفه من قومه . فقال له أحدُهم : هو يمرطُ[2] ثيابَ الكعبة إن كان الله أرسلكَ . وقال الآخر : أما وجدَ الله أحداً يُرسلُه غيرَك . وقال الثالث : والله لا أكلِّمُك أبداً ، لئن كنتَ رسولاً من الله كما تقولُ لأنت أعظمُ خطراً من أن أردَّ عليك الكلامَ ، ولئن كنتَ تكذبُ على الله ما ينبغي لي أن أكلِّمَك . فقام رسولُ الله ﷺ من عندهم وقد يئسَ من خير ثقيف ، وقد قال لهم — فيما ذكر لي — : إذا فعلتُم ما فعلتم فاكتُموا عليَّ ، وكره رسولُ الله ﷺ أن يبلغَ قومَه عنه ، فيُذْئِرُهم[3] ذلك عليه ، فلم يفعلوا وأغرَوا به سفهاءَهم وعبيدَهم يسبُّونه ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس[4] .

قال موسى بن عقبة : قعدوا له صفين على طريقه ، فلما مرَّ رسولُ الله ﷺ بين صَفيْهم جعل لا يرفعُ رجليه ولا يضعُهما إلا رَضَخُوهما[5] بالحجارة ، حتى أدمَوْا رجليه .

زاد سليمان التيمي : أنه ﷺ كان إذا أذلقته الحِجارة[6] قعدَ إلى الأرض ، فيأخذون بعضديه فيقيمونه ، فإذا مشى رجموه وهم يضحكون .

وقال ابنُ سعد : وزيدُ بن حارثة يقيه بنفسه ، حتى لقد شُجَّ في رأسه شجاجاً[7] .

قال ابن عقبة : فخلَص منهم ، ورجلاه تسيلان دماً ، فعمَد إلى حائطٍ من حوائطهم فاستظلَّ في ظل حَبَلةٍ[8] منه وهو مكروب[9] موجع ، وإذا في الحائط عُتبة وشَيبة ابنا

(١) قال في نور النبراس : هذه المرأة هي صفية بنت معمر بن حبيب بن وهب بن حُذافة بن جُمح . وهي أم كَلَدة بن الحنبل ، وأم صفوان بن أميّة .
(٢) « يمرطُ ثياب الكعبة » : يمزقها ويرمي بها .
(٣) « فيُذْئِرُهم عليه » : يُثيرهم عليه ويجرئهم .
(٤) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٤١٩ — ٤٢٠ .
(٥) « رضخوهما » : رموهما بالحجارة فأدمتهما .
(٦) « أذلقته الحجارة » : آلمته .
(٧) الطبقات الكبرى ١/٢١٢ .
(٨) « حائط » : بستان محوط بسور . و« حَبَلَة » : شجرة عنب ، أو قضبانها .
(٩) « مكروب » : مهموم محزون . قال سبط ابن العجمي : لم يذكر المؤلف هنا الدعاء المعروف ، قال ابن

ربيعة ، فلما رآهما كره مكانَهما لما يعلمُ من عدواتِهما لله ورسوله . قال : فلما رآه ابنا ربيعة وما لقي تحركت له رَحِمُهما فدعَوَا غلاماً لهما نصرانياً يُقال له عَدَّاس ، فقالا له : خذ قِطْفاً[1] من هذا العِنَب ، فضعه في هذا الطبق ، ثم اذهبْ به إلى ذلك الرجل ، فقل له يأكل منه ، ففعلَ عَدَّاسٌ ، ثم أقبل به حتى وضعَه بين يديْ رسول الله ﷺ ، ثم قال له : كل ، فلما وضعَ رسولُ الله ﷺ فيه يدَه قال : بسم الله ، ثم أكَلَ ، فنظر عـدَّاسٌ في وجهه ، ثم قال : والله إن هذا الكلامَ ما يقولُه أهلُ هذه البلاد . فقال له رسول الله ﷺ : ومن أيِّ البلادِ أنت يا عداس ؟ وما دينُك ؟ قال : نصراني وأنا من أهل نِيْنَوى[2] . فقال له : كل ، فلما وضعَ رسولُ الله ﷺ فيه يدَه قال : بسم الله ، ثم أكَلَ ، فنظر عدَّاسٌ في وجهه ، ثم قال : والله إن هذا الكلامَ ما يقولُه أهلُ هذه البلاد . فقال له رسول الله ﷺ : ومن أيِّ البلادِ أنت يا عداس ؟ وما دينُك ؟ قال : نصراني وأنا من أهل نِيْنَوى[2]. فقال له رسولُ الله ﷺ : من أهل قرية الرجل الصالح يُونس بن مَتَّى ؟ قال له عَدَّاس : وما يُدْريك لقد أعلمني بأمر لا يعلمُه إلا نبيٌّ . قالا : ويحك يا عداس ، لا يصرفنَّك عن دينِك فإن دينَك خيرٌ من دينه .

وروينا في الصحيح ، من حديث عائشة رضي الله عنها ؛ أنها قالت للنبي ﷺ : هل أتى عليكَ يومٌ كان أشدَّ عليك من يوم أحد ؟ فقال : « لقد لقيتُ من قومِك ، وكان أشدَّ ما لقيتُ منهم يومَ العقبة ، إذ عَرَضْتُ نفسي على ابن عبد يَالِيْلُ بن عبد كُلال ، فلم يُجبني إلى ما أردتُ ، فانطلقتُ على وجهي وأنا مهمومٌ ، فلم أستفقْ إلا وأنا بقرن[3] الثعالب ،

= إسحاق : فلما اطمأنَّ رسول الله ﷺ قال — فيما ذكر لي — « اللهم إليكَ أشكو ضعفَ قوَّتي ، وقلَّةَ حيلتي ، وهَواني على الناس ، يا أرحمَ الراحمين ، أنت ربُّ المستضعفين ، وأنتَ ربي ، إلى مَنْ تَكِلُني ؟ إلى بعيدٍ يَتَجَهَّمُني ، أم إلى عدوٍّ مَلَّكْتَه أمري ؟ إن لم يكنْ بكَ عليَّ غضبٌ فلا أُبالي ، ولكن عافيتَكَ هي أوسعُ لي ، أعوذ بنور وَجْهِكَ الذي أشرقتْ له الظُّلماتُ ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تُنْزِلَ بي غضبَك ، أو يحلَّ عليَّ سُخْطك ، لك العُتْبى حتى تَرْضى ، ولا حولَ ولا قوَّة إلا بك » . نور النبراس لوحة ٢٢٦/١ ، والسيرة النبوية ٤٢٠/١ .

(١) « قِطْفاً » : عنقوداً .

(٢) « نِينوى » : قرية كانت على ساحل دجلة في أرض الموصل .

(٣) « قرن الثعالب » : هو قرن المنازل ميقات أهل نجد ، وأصل القرن : الجبل الصغير المستطيل المنقطع عن الجبل الكبير .

فرفعتُ رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرتُ فإذا فيها جبريلُ ، فناداني ، فقال : إن الله قد سمعَ قولَ قومِك لكَ وما ردُّوا عليكَ ، وقد بعثَ إليك مَلَكَ الجبال ؛ لتأمُرَه بما شئتَ فيهم . فناداني مَلَكُ الجبال ، فسلَّم عليَّ فقال : يا محمد ، ذلك لك فما شئتَ ؟ وإن شئتَ أن أطبقَ عليهم الأخشبَيْنِ[1] ؟ فقال النبيُّ ﷺ : بل أرجو أن يُخْرِجَ الله من أصلابهم مَنْ يَعبدُ الله لا يُشركُ به شيئاً »[2] .

وذكر ابنُ هشام : أن رسولَ الله ﷺ لما انصرفَ عن أهل الطائف ولم يُجيبوه لما دعاهم إليه من تصديقه ونُصرته ، صار إلى حِراء ، ثم بعث إلى الأخنس بن شُرَيْق ليجيرَه ، فقال : أنا حليفٌ ، والحليفُ لا يُجير . فبعثَ إلى سُهيل بن عمرو ، فقال : إن بني عامر لا تُجيرُ على بني كعب . فبعثَ إلى المُطْعِم بن عديّ فأجابَه إلى ذلك ، ثم تسلَّحَ المطعمُ وأهلُ بيته ، وخرجوا حتى أتَوْا المسجدَ ، ثم بعثَ إلى رسول الله ﷺ أن ادخلْ ، فدخلَ رسول الله ﷺ ، فطافَ بالبيت وصلَّى عندَه ، ثم انصرفَ إلى منزله[3] .

ولأجل هذه السابقة التي سلفت للمُطعم بن عدي قال رسول الله ﷺ في أسارى بدر : لو كان المطعمُ بن عديّ حيّاً ثم كلَّمني في هؤلاء النتنى لتركتُهم له .

ذكرُ إسلامِ الجِنّ

وفي انصراف رسول الله ﷺ من الطائف راجعاً إلى مكة حين يئس من خير ثقيف مرَّ به النفرُ من الجِنّ وهو بنخلة[4] ؛ كما سيأتي إن شاء الله تعالى . وهم فيما ذكرَ ابنُ

---

(١) « الأخشبان » : الجبلان المطيفان بمكة ، وهما أبو قُبيس والأحمر ، وهو جبل مشرف وجهُه على قُعَيْقِعَان . والأخشب : كل جبل خشن غليظ الحجارة .

(٢) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق (باب إذا قال أحدُكم « آمين » ..) رقم /٣٢٣١/ ، ورواه مسلم في كتاب الجهاد والسير (باب ما لقي النبيُّ ﷺ من أذى المشركين والمنافقين) رقم /١٧٩٥/ ، ورواه النسائي في السنن الكبرى .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٣٨١ .

(٤) « نخلة » : أحد واديين ، بين مكة والطائف ، على ثلاثة أميال من مكة .

إسحاق[1] سبعةً من جن نَصيبين ، وكان رسولُ الله ﷺ قد قام من جوف الليل وهو يُصلّي . والخبرُ بذلك ثابت من طريق عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : قرأتُ على أبي عبد الله بن أبي الفتح الصُّوري بمرج دمشق ، أخبركم أبو القاسم بن الحَرستاني سماعاً عليه ؟ فأقرَّ به . أخبرنا أبو محمد طاهر بن سهل ، أخبرنا أبو الحسين بن مكي ، أخبرنا القاضي أبو الحسن الحلبي ، قال : حدثني إسحاق بن محمد بن يزيد ، قال : حدثنا أبو داود – يعني سُليمان بن سيف – حدثنا أيوب بن خالد ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني إبراهيم ابن طريف ، حدثني يحيى بن سعيد الأنصاري ، حدثني عبدُ الرحمن بن أبي ليلى ، قال : حدثني عبدُ الله بن مسعود ، قال :

كنتُ مع النبي ﷺ ليلةَ صَرَفَ الله النفرَ من الجِن .. الحديث[2] .

وروينا من حديث[3] أبي المعلى[4] ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : خرج رسولُ الله ﷺ قبلَ الهجرةِ إلى نواحي مكة فخطَّ لي خَطًّا ، وقال : لا تُحْدِثن شيئاً حتى آتيكَ . ثم قال : لا يَروعنك أو لا يهولنَّك شيءٌ تراه . ثم جلس ، فإذا رجالٌ سودٌ كأنَّهم رجال الزُّط[5] . قال : وكانوا كما قال الله : ﴿ كَادُوا يكَونُون عليه لِبَدًا ﴾[6] [الجن : ١٩] فأردتُ أن أقومَ فأذبَّ عنه ، بالغاً ما بلغتُ ، ثم ذكرتُ عهدَ رسول الله ﷺ ، فمكثتُ ،

---

(١) السيرة النبوية ، لابن هشام ٦٣/٢ .

(٢) هذا الحديث ليس هو في الكتب الستة بهذه الطريق ، والحرَّاني ذكره الذهبي في « الميزان » وقال : عن الأوزاعي ، له مناكير . ويرده الحديث الذي رواه مسلم والترمذي والنسائي عن ابن مسعود ، من طريق عامر بن شراحيل السبيعي ، قال : سألت علقمة : هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ﷺ ليلة الجِنّ ؟ فقال علقمة : أنا سألتُ ابن مسعود ، فقلتُ : هل شهدَ أحدٌ منكم مع رسول الله ﷺ ليلةَ الجِنِّ ؟ قال : لا ، ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ، ففقدناه .. الحديث . نور النبراس لوحة ٢٢٩/١ .

(٣) قال في نور النبراس : حديث أبي العلاء عن ابن مسعود لم أجده في شيء من الكتب الستة .

(٤) كذا في جميع النسخ ، وفي نور النبراس « أبو العلاء » وقال : وأبو العلاء هذا أنا لا أعرفه ، ومن تكنى بأبي العلاء جماعة .. نور النبراس لوحة ٢٢٩/١ .

(٥) « الزُّطّ » : جنس من السودان طوال ، الواحد زطي .

(٦) « لِبَدَاً » : متراكمين من ازدحامهم عليه تعجباً .

ثم إنهم تفرَّقوا عنه ، فسمعتهم يقولون : يا رسول الله ، إنَّ شُقَّتَنا بعيدة ونحن مُنطلقون ، فزوِّدْنا .. الحديث . وفيه : فلما وَلَّوْا قلت : من هؤلاء ؟ قال هؤلاء جِنُّ نَصيبين .

وروينا من حديث أبي عبد الله الجَدَلي[1] ، عن عبد الله ، وفيه قال : ثم شبَّكَ أصابعَه في أصابعي وقال : « إني وُعدت أن تؤمنَ بي الجِنُّ والإنسُ ، فأمَّا الإنسُ فقد آمنتْ بي وأما الجِنُّ فقد رأيتَ » .

وروى أبو عمر من طريق أبي داود ، حدثنا محمد بن المثنى ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي ظَبْيان ، عن أبي عُبيدة بن عبد الله بن مسعود قال : لما كانت ليلةُ الجِنّ أتت النبيَّ ﷺ سَمُرة فآذنته بهم ، فخرجَ إليهم[2] .

قال أبو داود حدثنا هارون بن معروف ، حدثنا سُفيان عن مسعر ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي عُبيدة ؛ أن مَسروقاً قال له : أبوكَ أخبرنا أن شجرةً أنذرت النبيَّ ﷺ بالجِنِّ[3] .

وروينا حديثَ أبي فَزارة ، عن أبي زيد مولى عمرو بن حُريث ، حدثنا عبدُ الله بن مسعود ، قال : أتانا رسولُ الله ﷺ ، قال : إني قد أمرت أن أقرأ على إخوانكم من الجِنّ ، فليقمْ معي رجلٌ منكم ، ولا يقمْ رجلٌ في قلبه مثقالُ حبّة خردل من كِبر ، فقمتُ معه ، وأخذتُ إدَاوة[4] فيها نبيذ ، فانطلقتُ معه فلما برزَ خطَّ لي خطّاً وقال لي : لا تخرجْ منه فإنك إن خرجتَ لم تربي ولم أركَ إلى يوم القيامة . قال : ثم انطلقَ فتوارى عني حتى لم أره ، فلما سطعَ الفجرُ أقبلَ ، فقال لي : أراك قائماً . فقلتُ ما قعدتُ . فقال : ما عليك لو فعلتَ . قلت : خشيتُ أن أخرجَ منه . فقال : أما إنك لو خرجتَ منه لم ترني ولم أركَ إلى يوم القيامة . هل معكَ وَضوء ؟ قلت : لا ، فقال : ما هذه الإداوة ؟ قلت :

---

(١) الجَدَلي : نسبة إلى جديلة ، وهو عبد أو عبد الرحمن بن عبد ، ثقة رُمي بالتشيع ، روى عنه أبو داود والترمذي والنسائي . تقريب التهذيب ص ٦٥٤ .

(٢) و (٣) الدرر في اختصار المغازي والسير ؛ لابن عبد البر ص ٦١ .

وحديث مسروق من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عنه ، عن ابن مسعود ، رواه البخاري في المناقب ومسلم في الصلاة . نور النبراس لوحة ١/٢٣٠ .

(٤) « إداوة » : إناء صغير من جلد يُتَّخذُ للماء في الوضوء ونحوه .

فيها نبيذ . قال : تمرةٌ طيِّبة وماءٌ طهور . فتوَّضأ وأقام الصلاة ، فلما قضى الصَّلاةَ قام إليه رجلان من الجِنّ فسأَلاه المتاعَ . فقال : ألم آمرْ لكما ولقومكما بما يُصلحكما ؟ قالا : بلى ، ولكن أحببنا أن يشهدَ بعضُنا معك الصَّلاةَ . فقال : ممن أنتما ؟ قالا : من أهل نَصيبين . فقال : أفلح هذان وأفلح قومُهما ، وأمر لهما بالرَّوْث والعظم طَعاماً ولحماً ، ونهى النبيُّ ﷺ أن يُستنجى بعظمٍ أو رَوْثة[1] .

رويناه من حديث قيس بن الربيع وهذا لفظه .

ومن حديث الثوري وإسرائيل وشريك والجراح بن مليح وأبي عميس كلهم عن أبي فَزارة .

وغيرُ طريق أبي فَزارة عن أبي زيد لهذا الحديث أقوى منها ، للجهالة الواقعة في أبي زيد ، ولكنَّ أصلَ الحديث مشهورٌ عن ابن مسعود من طرق حِسان متظافرة[2] يشهدُ بعضُها لبعض ويشدُّ بعضُها بعضاً ، ولم تتفرَّدْ طريقُ أبي زيد إلا بما فيها من التوضؤ بنبيذ التمر ، وليس ذلك مقصودُنا الآن . ويكفي من أمر الجن ما في سورة الرحمن ، وسورة قل أوحي إليَّ ، وسورة الأحقاف ﴿ وإذْ صَرَفْنا إليكَ نفراً من الجِنّ يَستمعونَ القرآن ﴾ [الأحقاف : ٢٩] الآيات .

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الطهارة (باب الوضوء بالنبيذ) رقم /٨٤/ ، والترمذي في الطهارة رقم /٨٨/ وجاء فيه [قال : فتوضأ منه] ، وابن ماجه في الطهارة رقم /٣٨٤/ ، وقال الترمذي : أبو زيد رجل مجهول عند أهل الحديث لا يعرف له كبير رواية غير هذا الحديث .
وقال النووي – رحمه الله تعالى – في شرح مسلم ١٦٩/٤ : هذا صريح في إبطال الحديث المروي في سنن أبي داود وغيره ، المذكور فيه الوضوء بالنبيذ ... وهو حديث ضعيف باتفاق المحدثين ، ومداره على أبي زيد ، مولى عمرو بن حُريث ، وهو مجهول .
وجاء في عارضة الأحوذي لابن العربي ١٢٨/١ : ويُقال : إن أبا فزارة كان نبَّاذاً بالكوفة ، وكان أصل هذا الحديث : أن النبي ﷺ قال لابن مسعود : « ما في إداوتك ؟ » قال : نبيذ . قال : « تمرةٌ طيبةٌ وماءٌ طهور » . فزاد هو فيه « فأخذه فتوضأ به » ينفق سلعته .
قال الإمام النووي في المجموع ٩٣/١ : أما النبيذ فلا يجوز الطهارة به عندنا – أي عند الشافعية – على أي صفة كان ، من عسل أو تمر أو زبيب أو غيرها ، مطبوخاً كان أو غيره ..
(٢) « متظافرة » : متضافرة ، هما بمعنى واحد ، كما في القاموس .

وذكر ابنُ[1] سعد أن رسولَ الله ﷺ لم يشعرْ بالجِنِّ وهم يستمعون له يقرأ حتى نزلت عليه ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجِنّ ﴾ الآية .

وروينا عن ابن هشام قال : حدثني خلاد بن قُرة بن خالد السدوسي ، وغيره من مشائخ بكر بن وائل من أهل العلم ؛ أن أعشى بني قيس بن ثَعلبة ، خرجَ إلى رسول الله ﷺ يُريد الإسلام فقال يَمدح رسولَ الله ﷺ :

ألم تغتمضْ عيناكَ ليلةَ أرمَدا	وبتَّ كما باتَ السليمُ مُسَهَّدا[2]
ألا أيهذا السائلي أيـن يَمَّمتْ	فإن لها في أهل يثربَ موعداً
وآليتُ لا آوي لها من كَلالةٍ	ولا من حَفَا حتى تُلاقي محمدا[3]
متى ما تُناخي عند بابِ ابن هاشم	تُراحِي وتلقَيْ من فواضِلِه نَدى
نبيّاً يرى ما لا ترون وذكرُه	أغارَ لعمري في البلاد وأنجدَا[4]
له صدقاتٌ ما تَغِبُّ ونائلٌ	وليس عطاءُ اليوم مانعُه غدا[5]
أجدَّكَ لم تسمعْ وَصَاةَ محمدٍ	نبيِّ الإلهِ حينَ أوصى وأشهدا[6]
إذا أنتَ لم ترحلْ بزادٍ من التُّقى	ولاقيْتَ بعد الموت مَنْ قد تزوَّدا
ندمتَ على أن لا تكونَ كمثله	فترْصِدَ للموت الذي كان أرْصَدا[7]

فلما كان بمكة أو قريباً منها اعترضه بعضُ المشركين من قريش ، فسأله عن أمره ، فأخبره أنه جاء يُريد رسولَ الله ﷺ ليسلمَ ، فقال له : يا أبا بَصير ! فإنه يحرم الزنا .

---

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١/٢١٢ .
(٢) « السليمُ » : اللديغ ، وهو من أسماء الأضداد .
(٣) « لا آوي » : لا أشفق ولا أرحم ، ويروى : لا أرثي ، وهو بمعناه . « ولا من حَفَا » : الحفى : رقة تُصيب خُفَّ البعير من كثرة المشي .
(٤) « أغار » : من الغور ، وهو ما انخفضَ من الأرض ، و« أنجدا » : بلغ النجد ، وهو ما ارتفع منها .
(٥) « ما تغبُّ » : لا ينقطع تواليها .
(٦) « أجِدَّكَ » : بكسر الجيم ، منصوبة على المصدرية ، ملازمة للإضافة في هذا الاستعمال . والمعنى أستحلفك في حقيقة الأمر .
(٧) « أرصدَا » : أعدَّ .

فقال الأعشى : والله إن ذلك لأمر مالي فيه من أرب . فقال : يا أبا بصير ، فإنه يحرم الخمر . قال الأعشى : أما هذه فوالله إن في النفس منها لعُلالاتٍ[1] ، ولكني منصرف أرتوي منها عامي هذا ، ثم آتيه فأسلم . فانصرفَ فمات في عامه ذلك ، ولم يَعد إلى رسول الله ﷺ[2] .

● قوله : « لا آوي لها من كَلالة » أي لا أرق . وفي هذه الأبيات عن غير ابن هشام بعد قوله : أغارَ لعمري في البلاد وأنجدا :

به أنقذَ الله الأنامَ من العَمَى ... وما كان فيهم من يَريغُ إلى هدى

● وقوله : فلما كان بمكة وَهَمٌ ظاهر ؛ لأن تحريمَ الخمر إنما كان بعد أحد ، وفي الأبيات : « فإن لها في أهل يثربَ موعداً » وهو أيضاً مما يُبيِّن[3] ذلك ، والله أعلم .

خبرُ الطفيل بن عمرو الدَّوْسي

روينا عن محمد بن سعد ، أخبرنا محمد بن عمر ، حدثني عبد الله بن جعفر ، عن عبد الواحد بن أبي عوف الدوسي ، وكان له حِلْف في قريش ، قال : كان الطفيل شريفاً شاعراً نبيلاً كثيرَ الضِّيافة ، فقدم مكةَ ورسول الله ﷺ بها ، فمشى إليه رجال من قريش ، فقالوا : يا طُفيل ، إنك قدمتَ بلادَنا ، وهذا الرجلُ الذي بين أظهرنا قد أعضلَ[4] بنا ، وفرَّق جماعتنا ، وشتَّتَ أمرنا ، وإنما قولُه كالسحر يُفرِّق بين الرجل وأبيه وبين الرجل

---

(١) « لَعُلالات » : جمع عُلالة ، وهي البقية من كل شيء .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٣٨٦/١ — ٣٨٧ .

(٣) قال السهيلي في الروض الأنف ١٣٦/٢ : وهذه غفلة من ابن هشام ومن قال بقوله ، فإن الناسَ مجمعون على أن الخمرَ لم ينزل تحريمها إلا بالمدينة بعد أن مضت بدر وأحد ، وحرمت في سورة المائدة ... إلى أن قال : فإن صح خبر الأعشى وما ذكره له من الخمر ، فلا يكن هذا بمكة ، وإنما كان بالمدينة أرجح ، ويكون القائل له : أما علمتَ أنّه يحرم الخمر ، من المنافقين أو من اليهود ، والله أعلم .

(٤) « أعضلَ بنا » : غلبنا برأيه ، وضيَّق علينا أمرنا .

وأخيه . قال : فوالله ما زالوا بي حتى أجمعتُ أن لا أسمع منه شيئاً ، ولا أكلّمه ، فأبى الله إلا أن يُسمعني بعضَ قوله ، فمكثتُ حتى انصرفَ إلى بيته ، فقلت : يا محمد ! إن قومَك قالوا لي كذا وكذا حتى سددتُ أذني بكرسف[1] لئلا أسمعَ قولَك . فاعرضْ عليَّ أمرَك . فعرضَ عليه الإسلامَ وتلا عليه القرآنَ ، فقال : لا والله ما سمعتُ قولاً قطّ أحسنَ من هذا ، ولا أمراً أعدلَ منه ، فأسلمتُ . فقلتُ : يا نبيَّ الله إني امرؤ مُطاعٌ في قومي ، وأنا راجعٌ إليهم فداعيهم إلى الإسلام ، فادعُ الله أن يكون لي عَوْناً عليهم . قال : اللهم اجعلْ له آية . فخرجتُ حتى إذاكنتُ بثنية تُطلعني على الحاضر وقعَ نورٌ بين عيني مثلُ المِصباح ، فقلت اللهم في غير وجهي ، فإني أخشى أن يظنوا أنها مُثْلة ، فتحوَّلَ في رأس سوطي ، فجعل الحاضرُ يتراءون ذلك النورَ كالقنديل المعلّق . قال : فأتاني أبي ، فقلت له . قال : ديني دينُك فأسلم . ثم أتتني صاحبتي ، فذكر مثل ذلك ، فأسلمت ، ثم دعوتُ دَوْساً إلى الإسلام فأبطؤوا عليَّ ، ثم جئتُ رسولَ الله ﷺ بمكة ، فقلتُ يا رسول الله ! قد غلبتني دَوْسٌ ، فادعُ الله عليهم . فقال : اللهم اهدِ دَوْساً ، فخرجتُ إليهم ، ثم قدمت على رسول الله ﷺ بمن أسلم من قومي وهو بخيبرَ بسبعينَ أو ثمانينَ بيتاً من دَوْس ، فأسهمَ لنا مع المسلمين ، وقلنا : يا رسولَ الله ! اجعلنا ميمنتَك ، واجعلْ شعارَنا « مبرور » .

ففعلَ ، ثم قلت بعد فتح مكة يا رسول الله ! ابعثني إلى ذي الكَفّين صنمِ عمرو بن حُمَمَة حتى أحرقَه ، فبعثه . وجعل الطفيل يقول :

يا ذا الكَفَين لستُ من عبّادكا ... ميلادُنا أكبرُ من ميلادكا[2]

إني حشوتُ النّارَ في فؤادكا

قال : فلما أحرقتُه أسلموا جميعاً ، ثم قُتل الطفيل باليمامة شهيداً . والخبر عند ابن سعد[3] طويلٌ وأنا اختصرتُه .

* * *

---

(١) « بكُرْسُف » : بقطن .

(٢) « الكفين » : خففت الفاء للضرورة الشعرية .

(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١٥٧/٢ .

ذكرُ الحديث عن مسرى رسول الله ﷺ ومعراجه وفرض الصلاة

قرأت على أبي عبد الله بن أبي الفتح الصوري ، أخبركم الشيخان أبو مسلم المؤيد ابن عبد الرحيم بن أحمد بن محمد بن الإخوة،وأم حبيبة عائشة بنت معمر بن الفاخر القرشية إجازة ، قالا : أخبرنا أبو الفرج سعيد بن أبي الرجاء الصيرفي قراءةً عليه ونحن نسمع بأصبهان ، أخبرنا أبو نصر إبراهيم بن محمد بن علي الأصبهاني الكسائيّ ، أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المقرىء ، أخبرنا أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن علي الوساوسي ، حدثنا ضَمْرة بن ربيعة ، عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني ، عن أبي صالح مولى أم هانىء ، عن أم هانىء ، قالت : دخلَ عليَّ رسولَ الله ﷺ بغلَس وأنا على فراشي ، فقال : أشعرتِ[١] أني نمتُ الليلةَ في المسجد الحرام ، فأتاني جبريلُ عليه السلام فذهبَ بي إلى باب المسجد ، فإذا دابة[٢] أبيضُ فوق الحمار ودون البغل ، مضطربُ الأذنين ، فركبتُه ، فكان يضع حافرَه مَدَّ بصرِه ، إذا أخذ في هبوط طالت يداه وقَصُرت رجلاه ، وإذا أخذ في صعود طالت رجلاه وقصرت يداه ، وجبريلُ عليه السلام لا يفوتني ، حتى انتهينا إلى بيت المقدس ، فأوثقتهُ بالحلقة التي كانت الأنبياء تُوثِق بها ، فنُشِرَ لي رهْطٌ من الأنبياء ، فيهم إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، فصلّيتُ بهم وكلّمتهم ، وأُتيتُ بإناءين أحمرَ وأبيض ، فشربتُ الأبيضَ ، فقال لي جبريلُ عليه السلام : شربتَ اللبن وتركت الخمرَ ، لو شربتَ الخمرَ لارتدت أمّتُك . ثم ركبتُه فأتيتُ المسجدَ الحرامَ فصلّيت به الغداةَ .

فتعلّقتُ بردائِه وقلتُ أنشدُك الله ابنَ عمّ إن تحدث[٣] بهذا قريشاً ، فيكذِّبك من

---

(١) « أشعرتِ » : أعلمتِ .

(٢) « دابة » : قال في القاموس : والدابة ما دبَّ من الحيوان ، وغلب على ما يُركب ، ويقع على المذكر .

(٣) « إن تحدث بهذا » : لا تتحدث .

صدَّقَك . فضربَ بيده على ردائه فانتزعَه من يدي ، فارتفعَ عن بطنه فنظرتُ إلى عُكَنِه[1] فوق ردائه ، وكأنه طيُّ القراطيس وإذا نورٌ ساطعٌ عند فؤاده كاد يخطَفُ بصري ، فخررتُ ساجدةً ، فلما رفعتُ رأسي إذا هو قد خرجَ ، فقلت لجاريتي نبعة : ويحك ! اتبعيه فانظري ماذا يقول ؟ وماذا يُقال له ؟ فلما رجعتْ نبعةُ أخبرتني أنَّ رسولَ الله ﷺ انتهى إلى نفرٍ من قريش في الحطيم ، فيهم المطعم بن عدي بن نوفل ، وعمرو بن هشام ، والوليد بن المغيرة . فقال : إني صلَّيتُ الليلةَ العِشاءَ في هذا المسجد ، وصلَّيتُ به الغداةَ ، وأتيتُ فيما بين ذلك بيتَ المقدس ، فنُشِرَ لي رهطٌ من الأنبياء ، منهم إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، فصلّيت بهم وكلَّمتهم . فقال عمرو بن هشام كالمستهزىء ، صفهم لي . فقال : أما عيسى ففوقَ الرَّبعة ودون الطويل ، عريضُ الصدر ، ظاهرُ الدَّم ، جَعْدُ الشعر ، يعلوه صُهْبَةٌ كأنه عروة بن مسعود الثقفي ، وأما موسى عليه السلام فضخمٌ آدم ، طويلٌ كأنه من رجال شنوءة ، كثيرُ الشعر ، غائر العينين ، متراكبُ الأسنان ، مُقلَّصُ الشفتين ، خارج اللِّثة ، عابس ، وأما إبراهيمُ عليه السلام فوالله إنه لأشبه الناس بي خَلْقاً وخُلقاً ، فضجُّوا وأعظموا ذلك ، فقال المُطعم بن عدي بن نوفل : كل أمرك قبل اليوم كان أمماً[2] ، غيرَ قولك اليوم ، أشهدُ أنك كاذبٌ ، نحنُ نضربُ أكبادَ الإبل إلى بيت المقدس مُصْعِداً شهراً ومُنحدِراً شهراً ، تزعمُ أنك أتيتَه في ليلةٍ ، واللاتِ والعزى لا أصدِّقُك ، وما كان هذا الذي تقولُ قط . وكان للمطعم بن عدي حوض على زمزم ، أعطاه إياه عبدُ المطلب فهدمَه ، فأقسم باللات والعزى لا يسقي منه قطرة أبداً ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا مطعم ، بئس ما قلتَ لابن أخيك ، جبَّهْتَه[3] وكذبته ، أنا أشهدُ أنه صادق . فقال : يا محمد ، صف لنا بيتَ المقدس . قال : دخلتُه ليلاً وخرجت منه ليلاً . فأتاه جبريلُ عليه السلام فصوَّرَه في جناحه ، فجعل يقولُ باب منه كذا في موضع كذا ، وباب منه كذا في موضع كذا ، وأبو بكر رضي الله عنه يقول : صدقت صدقت . قالت نبعةُ فسمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول يومئذ : يا أبا بكر إن الله عز وجل قد سمَّاك الصدِّيقَ .

---

(١) « عُكنه » : جمع عُكنة ، وهي ما تثنى من لحم البطن .

(٢) « أمماً » : يسيراً ، يُقال : ما سألتَ إلا أمماً .

(٣) « جَبَّهْتَه » : استقبلته بالمكروه .

قالوا : يا مطعم دعنا نسأله عما هو أغنى لنا من بيت المقدس ، يا محمد أخبرنا عن عِيرنا . فقال : أتيتُ على عيرِ بني فلان بالرَّوْحَاء قد أضلُّوا ناقةً لهم ، وانطلقوا في طلبها ، فانتهيتُ إلى رِحالهم ليس بها منهم أحد ، وإذا قدحُ ماءٍ فشربتُ منه ، فسلُوهم عن ذلك . فقالوا : هذه واللات والعزى آيةٌ ، ثم انتهيتُ إلى عير بني فلان فنفرتْ مني الإبلُ ، وبركَ منها جملٌ أحمرُ عليه جوالق ، مخطَّط ببياض ، لا أدري أكُسر البعيرُ أم لا ؟ فاسألوهم عن ذلك . فقالوا : هذه والآلهة آيةٌ . ثم انتهيتُ إلى عير بني فلان بالأبواء ، يقدَمها جملٌ أورق ، ها هي تطلعُ عليكم من الثنية . فقال الوليد بن المغيرة : ساحر . فانطلقوا فنظروا فوجدوا كما قال ، فرموه بالسحر . وقالوا : صدقَ الوليد بن المغيرة فيما قال ، وأنزل الله تبارك وتعالى ﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنةً للناس والشجرةَ الملعونةَ في القرآن ﴾ . قلت يا أم هانىء ما الشجرة الملعونة في القرآن ؟ قالت : الذين خُوِّفوا فلم يزدهم التخويف إلا طغياناً كبيراً[1] .

وروينا من طريق البخاري ، حدثنا يحيى بن بُكير ، حدثنا الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، قال سمعتُ جابرَ بن عبد الله ، أنه سمعَ النبيَّ ﷺ يقول : « لما كذبتني قريش قمتُ في الحِجْر ، فجلَّى الله لي بيتَ المقدس فَطِفقْتُ أخبرهم عن آياته وأنا أنظرُ إليه »[2] .

وقرأتُ على أبي حفص عمر بن عبد المنعم بن القواس بعِرْبيل بغوطة دمشق ، أخبركم أبو القاسم بن الحرستاني في الرابعة ، فأقرَّ به . قال أخبرنا جمالُ الإسلام أبو الحسن علي ابن المُسَلَّم السُّلمي ، قال أخبرنا أبو نصر الحسين بن محمد بن أحمد بن طَلَّاب الخطيب سماعاً ، أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن جُميع ، حدثنا محمد بن صالح بن زكريا ابن يحيى بن داود بن زكريا العثماني ، حدثنا أحمد بن العلاء ، حدثنا زيد بن أسامة ، عن

---

(١) رواه الطبراني وأبو يعلى وابن عساكر من طريق أبي صالح ، وابن إسحاق بلفظ آخر ، ورواه الذهبي في السيرة النبوية من تاريخ الإسلام ص ٢٤٥ ــ ٢٤٦ وأورد قسماً منه ، ثم قال : وهو حديث غريب ، الوساوسي ضعيف تفرَّد به .

(٢) رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي (باب الإسراء) رقم /٣٨٨٦/ ، ومسلم في الإيمان (باب ذكر المسيح بن مريم ...) رقم /١٧٠/ والترمذي في التفسير (باب من سورة بني إسرائيل) رقم /٣١٣٢/ .

سفيان ، عن مِسْعَر ، عن قتادة ، عن أنس ، عن النبي ﷺ ؛ أُتي بدابةٍ فوقَ الحمارِ ودُون البغل ، خطوُه مدُّ البصر ، فلما دنا منه اشمأزَّ ، فقال جبريل : اسكنْ ، فما ركبَك أحدٌ أكرمُ على الله من محمد[١] .

وعن عائشة وأم سلمة وأم هانيء وابن عمرو وابن عباس رضي الله عنهم ، قالوا : أُسري برسول الله ﷺ ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الأول قبل الهجرة بسنة من شِعب أبي طالب إلى بيت المقدس . قال رسولُ الله ﷺ : « حُمِلْتُ على دابةٍ بيضاءَ بين الحمار وبين البغل ، في فخذيها جناحان تَحْفِزُ[٢] بهما رجليها ، فلما دنوتُ لأركبَها شَمَسَتْ »[٣] ، فوضع جبريلُ يدَه على مَعْرَفتها[٤] ، ثم قال : ألا تستحيين يا براق مما تصنعين ؟ والله ما ركب عليك أحد قبل محمد أكرم على الله منه . فاستحيَتْ حتى ارْفَضَّتْ[٥] عرقاً ، ثم قَرَّتْ حتى ركبتُها .. الحديث[٦] .

وفي رواية يُونس بن بُكير : عن ابن إسحاق في هذا الخبر أنه عليه السلام وعدَ قريشاً بقدوم العير الذين أرشدهم إلى البعير ، وشرب إناءهم ، أن يقدموا يوم الأربعاء ، فلما كان ذلك اليوم لم يقدموا حتى كَرَبَتْ الشمسُ أن تغرب ، فدعا الله فحبَس الشمس حتى قدموا كما وصف . قال : ولم تُحبس الشمسُ إلا له ذلك اليوم وليُوشَعَ بن نون[٧] .

* * *

---

(١) لم نجده بهذا الإسناد في المصادر الحديثية ، ويشهد له ما رواه قتادة عن أنس في الصحيحين وغيرهما بلفظ قريب مما ورد فيه من استصعاب البراق . وشموسه أول الأمر .

(٢) « تحفز بهما رجليها » : تدفعهما من الخلف .

(٣) « شَمَسَتْ » : منعت ظهرها .

(٤) « مَعْرَفتها » : موضع عرف الفرس ، وهو منبت شعر رقبتها .

(٥) « ارْفَضَّتْ عرقاً » : تساقط عَرَقُها من جسمها وتناثر .

(٦) رواه ابن سعد ٢١٣/١ — ٢١٥ في الطبقات الكبرى بهذا السياق عن عدة من الصحابة وقال : دخل حديث بعضهم في حديث بعض .

(٧) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٠٣/١ من رواية البكائي بنحوه ، دون ذكر حبس الشمس .

حديث المعراج

روينا من طريق مسلم ، حدثنا شَيبانُ بن فَرُّوخ ، حدثنا حمَّادُ بن سلمة ، حدثنا ثابت البُناني ، عن أنس بن مالك ؛ أن رسولَ الله ﷺ قال : « أُتيت بالبراق وهو دابة أبيضٌ طويلٌ ، فوق الحمار ودون البغل ، يضعُ حافرَه عند منتهى طَرْفه ، قال : فركبته حتى أتيتُ بيتَ المقدس . قال : فربطته بالحَلْقة التي تربطُ بها الأنبياء . قال : ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن ، فاخترتُ اللبن . فقال جبريلُ ﷺ : اخترتَ[1] الفطرة ، ثم عرجَ بنا إلى السماء فاستفتحَ جبريلُ عليه السلام ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال محمد ﷺ . قيل : وقد بُعث إليه ؟ قال : قد بُعث إليه . ففُتح لنا فإذا أنا بآدم فرحَّب بي ودعا لي بخير ، ثم عَرَجَ بنا إلى السماء الثانية ، فاستفتحَ جبريلُ فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بُعث إليه ؟ قال : قد بُعث إليه . قال : ففُتح لنا ، فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما ، فرحبا بي ودعوا لي بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة ، فاستفتحَ جبريلُ ، فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بُعث إليه . ففُتح لنا ، فإذا أنا بيوسف ﷺ وإذا هو قد أعطي شطر الحسن . قال : فرحَّبَ بي ودعا لي بخير ، ثم عَرَجَ بنا إلى السماء الرابعة ، فاستفتحَ جبريلُ . قيل : من هذا ؟ قال : جبريلُ . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قال وقد بعث إليه ؟ قال : قد بُعث إليه . ففُتح لنا ، فإذا أنا بإدريس فرحَّبَ بي ودعا لي بخير . قال الله عز وجل : ﴿ ورفعناه مكاناً علياً ﴾ [مريم : ٥٧] ثم عَرَجَ بنا إلى السماء الخامسة ، فاستفتحَ جبريلُ . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بُعث إليه . قال : قد بُعث إليه .

---

(١) «الفطرة » : فسر العلماء الفطرة هنا بالإسلام والاستقامة . والمعنى : اخترتَ علامة الإسلام والاستقامة ، وجَعَل اللبن علامة ؛ لكونه سهلاً طَيِّباً سائغاً للشاربين ، سليم العاقبة . وأما الخمر فإنها أُمّ الخبائث وجالبة لأنواع من الشر في الحال والمآل .

فَفُتحَ لنا فإذا أنا بهارون ﷺ ، فرحَّب بي ودعا لي بخير ، ثم عَرَجَ بنا إلى السماء السادسة ، فاستفتحَ جبريلُ . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بُعث إليه ؟ قال : قد بُعث إليه . ففُتح لنا ، فإذا أنا بموسى ﷺ فرحَّبَ بي ودعا لي بخير . ثم عَرَجَ بنا إلى السماء السابعة ، فاستفتحَ جبريلُ . فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بُعث إليه ؟ قال : قد بُعث إليه . ففُتِحَ لنا ، فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مُسنداً ظهرَه إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفَ ملك لا يَعودون إليه ، ثم ذَهَبَ بي إلى سِدْرة المنتهى ، فإذا ورقُها كآذان الفِيَلَة وإذا ثمرُها كالقِلال . قال : فلما غَشِيَها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحدٌ من خلق الله يستطيعُ أن ينعتَها من حُسنها ، فأوحى الله إليَّ ما أوحى ، ففرضَ علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة ، فنزلتُ إلى موسى ، فقال : ما فرضَ ربُّك على أمتك ؟ قلت : خمسين صلاة . قال : ارجعْ إلى[1] ربك فسله التخفيف فإن أمتك لا تُطيق ذلك ، فإني قد بلوتُ بني إسرائيل وخَبَرْتُهم . قال : فرجعت إلى ربي ، فقلت : يا رب ، خَفِّفْ عن أمتي . فحطَّ عني خمساً ، فرجعتُ إلى موسى . فقلت : حَطَّ عني خمساً . قال : إن أمتَّك لا يُطيقون ذلك ، فارجعْ إلى ربك فسله التخفيف . قال : فلم أزل أرجعُ بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى حتى قال : يا محمد ، إنهن خمسُ صلواتٍ في كل يوم وليلة ، بكل صلاة عشر ، فذلك خمسون صلاة . ومن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها

---

(١) اختص موسى عليه الصلاة من بين الأنبياء الذين لقيهم النبي ﷺ في معراجه بالتعرض له عند هبوطه ، وسؤاله عما عَهد إليه ربه ، ومناصحته له بعد ذلك بمراجعة الله تعالى ، وطلب التخفيف عنه وعن أمته ﷺ ، لما علم موسى عليه السلام من تفضيل الله محمداً عليه بتقريبه إليه ورفع مكانته لديه ، مما دفعه إلى التعلق به تعلُّقَ المفضول بالفاضل ، والتعرض له ، وتقديم النصح له ، بما يزيده فضلاً وعلو مكانة . قالوا : ولأن أمة موسى عليه السلام أكثر من أمة غيره ، ولأن كتابة التوراة أكبر الكتب المنزلة قبل القرآن الكريم تشريعاً وأحكاماً . وقد يكون أيضاً ؛ لأن الصلاة هي العبادة الوحيدةُ المتكررة التي قد تثقل على الناس ويسري إليها التهاون ، وهو الذي عرف ذلك من قومه ، ولذلك قال في معرض كلامه للرسول ﷺ « لقد راودتُ بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا وتركوه » . انظر كتاب « المقاصد السنية في الأحاديث الإلهية » لعلي بن بَلبَان المقدسي ص ٧٤ — ٧٦ تحقيق وتعليق : محيي الدين مستو ود . محمد العيد الخطراوي . مكتبة دار التراث — المدينة المنورة — الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ .

كتبت له عشراً . ومن همَّ بسيئة فلم يعملْها لم تُكتب عليه شيئاً ، فإن عملَها كُتبت سيئة واحدة . قال : فنزلتُ حتى انتهيتُ إلى موسى ، فأخبرته . فقال : ارجعْ إلى ربِّك فسله التخفيف . فقلت : قد رجعتُ إلى ربي حتى استحييتُ منه »[1] .

قال الشيخ : أبو أحمد[2] ، حدثنا أبو العباس الماسرجسي[3] حدثنا شيبان بن فروخ ، حدثنا حماد بن سلمة بهذا الحديث .

وقد روينا من طريق ابن شهاب عن أنس بن مالك قال : كان أبو ذر يُحدِّث أن رسول الله ﷺ قال : « فُرج سقفُ بيتي وأنا بمكة ، فنزل جبريلُ عليه السلام ففرجَ صدري ثم غسَلَه من ماء زمزمَ ، ثم جاء بِطِستْ من ذهب ممتلىءٍ حكمةً وإيماناً فأفرغَها في صدري ، ثم أطبقَه ، ثم أخذ بيدي فعرجَ بي إلى السماء .. » الحديث[4] .

قال ابن شهاب : وأخبرني ابن حزم[5] أن ابنَ عبَّاس وأبا حَبَّة الأنصاري يقولان : قال رسولُ الله ﷺ : « ثم عُرج بي حتى ظهرتُ لمستوىً أسمع فيه صريفَ الأقلام » وفيه : « ثم أُدخلتُ الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ ، وإذا ترابُها المسك »[6] .

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان (باب الإسراء برسول الله ﷺ) رقم /١٦٢/ .

(٢) أبو أحمد : هو محمد بن عيسى بن عبد الرحمن بن عمرو الجُلُودي ، المتوفى سنة ٣٢٨ هـ ، منسوب إلى سكة الجلود بنيسابور . نور النبراس لوحة ١/٢٣٩ .

(٣) الماسَرْجَسِي : أحمد بن محمد بن الحسين بن عيسى ، سبط الحسن بن عيسى بن ماسَرْجِس النَّيسَابوري ، الإمام المحدِّث الثقة . توفي سنة ٣١٣ هـ . سير أعلام النبلاء ١٤/٤٠٥ .

(٤) رواه البخاري في كتاب الصلاة (باب كيف فُرضت الصلوات في الإسراء) رقم /٣٤٩/ ، وفي كتاب الحج (باب ما جاء في زمزم) رقم /١٦٣٦/ وفي كتاب الأنبياء (باب ذكر إدريس عليه السلام) رقم /٣٣٤٢/ .

(٥) ابن حزم : هو أبو بكر محمد بن حزم بن عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان ... قاضي المدينة زمان الوليد ، وأميرها زمان ابن عمِّه عمر بن عبد العزيز ..

(٦) رواه مسلم في كتاب الإيمان (باب الإسراء برسول الله ﷺ ...) رقم /١٦٣/ ، و« جنابذ » : هي القباب ، واحدتها جُنْبُذَة .

وفي حديث مالك بن صعصعة : « فلما جاوزتُه ـ يعني موسى ـ بكى ، فنُودي ما يبكيك ؟ قال : ربِّ هذا غلام بعثته بعدي يدخلُ الجنة من أمته أكثر مما يدخل من أمتي » . وفيه : « ثم رُفع لي البيتُ المعمورُ . فقلت : يا جبريل ! ما هذا ؟ قال هذا البيتُ المعمور يدخلهُ كلَّ يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يَعودوا إليه آخرُ مَا عليهم »[1] .

وفي حديث أبي هريرة : « وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء ، فحانت الصلاة فأممتُهم ، فقال قائل : يا محمد : هذا مالك خازن النار فسلِّم عليه ، فالتفتُ ، فبدأني بالسَّلام »[2] .

وكلُّها في الصحيح ، وحديث ثابت عن أنس أحسنُها مساقاً .

وروينا من طريق الترمذي ، حدثنا يعقوبُ بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا أبو تميلة[3] ، عن الزبير بن جُنادة ، عن ابن بُرَيْدة ، عن أبيه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لما انتهينا إلى بيت المقدس ، قال جبريل بأصبعه فخرقَ بها الحجرَ وشدَّ به البراق »[4] .

وذكر ابن إسحاق في حديث أبي سعيد الخدري ، عن النبي ﷺ رؤيتَه آدم في سماء الدنيا تُعرض عليه أرواح بنيه فيُسَرُّ بمؤمنيها ، ويعبس بوجهه عند رؤية كافريها ، ثم قال : رأيتُ رجالاً لهم مشافر كمشافر الإبل ، في أيديهم قطع من نار كالأفهار[5] ، يقذفونها في أفواههم فتخرج من أدبارهم . قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلماً . قال : ثم رأيت رجالاً لهم بطون لم أر مثلها قط ، بسبيل آل فرعون ، يمرون عليهم كالإبل المهيومة[6] ، حين يُعرضون على النار يطؤونهم ، لا يقدرون على أن يتحولوا من

---

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق (باب ذكر الملائكة) رقم /٣٢٠٧/ ، ومسلم في كتاب الإيمان (باب الإسراء برسول الله ﷺ) رقم /١٦٤/ ، والترمذي في كتاب التفسير (باب ومن سورة ألم نشرح) رقم /٣٣٤٣/ والنسائي في كتاب الصلاة (باب فرض الصلاة) ٢١٧/١ ـ ٢١٨ .

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان (باب الإسراء برسول الله ﷺ) رقم /١٦٨/ ، وهو عند أحمد في المسند ٥٢٨/٢ .

(٣) أبو تُمَيْلَة : يحيى بن واضح ، روى له الجماعة ، وهو حافظ مروزي ، مولى الأنصار ، ثقة .

(٤) رواه الترمذي في كتاب التفسير (باب ومن سورة بني إسرائيل) رقم /٣١٣١/ ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب .

(٥) « كالأفهار » : جمع فهر ، وهو الحجرُ ملء الكف .

(٦) « المهيومة » : الإبل المُصَابة بالهُيام ، وهو داء يكسبها العطش ، فتمصُّ الماء مصاً ولا تَروى .

مكانهم ذلك . قال : قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء أكلة الربا . قال : ثم رأيتُ رجالاً بين أيديهم لحم سمين طيب إلى جنبه لحم غث مُنتَن يأكلون من الغثّ المنتن ، ويتركون السمين الطيب . قال : قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يتركون ما أحلَّ الله لهم من النساء ويذهبون إلى ما حرَّم الله عليهم منهن . قال : ثم رأيتُ نساءً معلقاتٍ بثُدِيّهن . فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال ما ليس من أولادهم[1] .

وقد اختلف العلماء في المعراج والإسراء هل كانا في ليلة واحدة أو لا ؟ وأيُّهما كان قبل الآخر ؟ وهل كان ذلك كله في اليقظة أو في المنام . أو بعضه في اليقظة وبعضه في المنام ؟ وهل كان المعراج مرةً أو مراتٍ ؟ واختلفوا في تاريخ ذلك .

والذي روينا عن ابن سعد في المعراج ، عن محمد بن عمر ، عن أبي بكر بن عبد الله ابن أبي سبرة وغيره من رجاله ، قالوا : كان عليه الصلاة والسلام يسأل ربَّه أن يريَه الجنَّة والنَّارَ ، فلما كانت ليلة السبت لسبع عشرة خلت من شهر رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً ، ورسول الله ﷺ نائم في بيته ظهراً ، أتاه جبريلُ وميكائيلُ ، فقالا : انطلق إلى ما سألتَ الله . فانطلقا به إلى ما بين المقام وزمزم ، فأُتي بالمعراج فإذا هو أحسن شيء منظراً ، فعرجا به إلى السموات سماءً سماءً .. الحديث[2] .

وذكر السهيلي رحمه الله خلافَ السلف في الإسراء : هل كان يقظة أو مناماً ؟ وحكى القولين وما يُحتج به لكل قول منهما ، ثم قال : وذهبتْ طائفةٌ ثالثةٌ منهم شيخنا أبو بكر ابن العربي إلى تصديق المقالتين وتصحيح المذهبين ، وأن الإسراء كان مرتين إحداهما في نومه توطئةً له وتيسيراً عليه ؛ كما كان بدء نبوته الرؤيا الصالحة ليسهلَ عليه أمر النبوة فإنه عظيم تضعف عنه القوى البشرية ، وكذلك الإسراء سهَّله عليه بالرؤيا ؛ لأن هولَه عظيم فجاء في اليقظة على توطئة وتقدمة رفقاً من الله بعبده وتسهيلاً عليه[3] . ورجَّح هذا القولَ أيضاً للجمع بين الأحاديث الواردة في ذلك ، فإن في ألفاظها اختلافاً ، وتعدد الواقعة أقرب

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/٤٠٥ — ٤٠٦ .

(٢) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١/٢١٣ .

(٣) الروض الأنف ٢/١٤٨ .

لوقوع جميعها . وحكى قولاً رابعاً ، قال : كان الإسراء بجسده إلى بيت المقدس في اليقظة ثم أسري بروحه عليه السلام إلى فوق سبع سماوات ، ولذلك شنَّع الكفّار قولَه : أتيتُ بيت المقدس في ليلتي هذه . ولم يُشنِّعوا قولَه فيما سوى ذلك[1] .

قال : وقد تكلَّم العلماءُ في رؤية النبي ﷺ لربِّه ليلة الإسراء ، فروي عن مسروق عن عائشة أنها أنكرت أن يكون رآه ، قالت : ومن زعمَ أن محمداً رأى ربَّه فقد أعظمَ الفِرْية على الله ، واحتجَّت بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ لا تدركُه الأبصارُ وهو يُدرك الأبصارَ ﴾[2] [الأنعام : ١٠٣] .

وروينا من طريق الترمذي ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال : لقي ابنُ عباس كعباً بعرفة ، فسأله عن شيء ، فكبَّر حتى جاوبته الجبالُ . فقال ابن عباس : إنا بنو هاشم نقولُ إن محمداً رأى ربَّه . فقال كعب : إن الله قسَم رؤيتَه وكلامَه بين محمد وموسى ، فكلَّم موسى مرتين[3] ورآهُ محمد مرتين[4] .

وروينا من طريق مسلم عن أبي ذر ، قلت : يا رسول الله ، هل رأيتَ ربَّك ؟ قال : « رأيتُ نوراً »[5] . وفي حديث آخر عند مسلم قال : « نورٌ أنَّى أراه »[6] .

وفي تفسير النقَّاش عن ابن عباس : أنه سُئل هل رأى محمد ربَّه ؟ فقال : رآه رآه . حتى انقطع صوته .

وفي تفسير عبد الرزاق عن مَعْمَر عن الزهري وذكر إنكار عائشة أنه رآه ، فقال

---

(١) الروض الأنف ١٤٨/٢ .

(٢) رواه البخاري في كتاب التفسير – تفسير سورة المائدة (باب يا أيها الرسول بلِّغ ما أُنزل إليك من ربك) ، ومسلم في كتاب الإيمان (باب معنى قول الله عز وجل : ولقد رآهُ نزلةً أخرى) رقم /١٧٧/ ، والترمذي في كتاب التفسير (باب ومن سورة الأنعام) رقم /٣٠٧٠/ .

(٣) كذا في « أ » وفي « جـ » و« د » : رؤيتين .

(٤) قال سبط ابن العجمي : لم أرَ أنا ذلك في أطراف المزي ، فإن كان ذلك في جامع الترمذي ، فلعله سقط من نسختي ، وإن كان ذكره الترمذي في غير جامعه فلا أدري أين هو ، والله أعلم ، وفي روض السهيلي ما لفظه : وفي مصنف الترمذي عن ابن عباس وكعب أنه رآه .. وكأنه أخذه من السهيلي .

(٥) و (٦) رواهما مسلم في كتاب الإيمان (باب قوله عليه السلام : نورٌ أنَّى أراه) رقم /١٧٨/ .

الزهري : ليست عائشةُ أعلمَ عندنا من ابن عباس[1] .

وفي تفسير ابن سَلَّام[2] عن عروة ، أنه كان إذا ذُكر إنكار عائشة يشتدُّ ذلك عليه[1] .

وقول أبي هريرة في هذه المسألة كقول ابن عباس أنه رآه[1] .

قال أبو القاسم : والمتحصل من هذه الأقوال أنه رآه لا على أكمل ما تكون الرؤية ، على نحو ما يراه في حظيرة القدس عند الكرامة العظمى والنعيم الأكبر ، ولكن دون ذلك ، وإلى هذا يُومىء قوله : رأيت نوراً[1] .

قلت : وقوله تعالى ﴿ لا تُدركُه الأبصارُ ﴾ لا يُعارض هذا لأنه لا يلزم من الرؤية الإدراك .

وأما فرضُ الصلواتِ الخمسِ فكان ليلة المِعراج ، وقد ذكرنا عن الواقدي من طريق ابن سعد : أنه كان ليلة السبت لسبع عشرة خلت من رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً من مكة إلى السماء[3] . ومن يرى أن المعراجَ من بيت المقدس وأنه هو والإسراء في تاريخ واحد ، فقد ذكرنا في الإسراء أنه ليلة سبع عشرة من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة ، وبعد المبعث بتسعٍ ، أو اثنتي عشرة على حسب اختلافهم في ذلك ، وهذا هو المشهور .

قال أبو عمر : وقد روى الوقَّاصي[4] عن الزهري ؛ أن الإسراء وفرض الصلاة كان بعد المبعث بخمس سنين . وأبعدُ من ذلك ما حكاه أبو عمر أيضاً ، قال : وقال أبو بكر محمد بن علي بن القاسم في تاريخه : ثم أُسري بالنبيّ ﷺ من مكة إلى بيت المقدس ، وعُرج به إلى السماء بعد مبعثه بثمانية عشر شهراً . قال : ولا أعلم أحداً من أهل السير قال ذلك ، ولا أسندَ قولَه إلى أحد ممن يُضاف إليه هذا العلم .

(١) الروض الأنف ١٥٦/٢ .
(٢) ابن سَلَّام : هو يحيى بن سَلَّام البصري ، نزيل مصر ، شيخ صدوق ، ذكره ابن حبان في الثقات . نور النبراس لوحة ٢٤٣/١ .
(٣) انظر ص ٢٤٩ هامش رقم (٢) .
(٤) الوقَّاصي : بفتح الواو وتشديد القاف ، هو عثمان بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن أبي وقَّاص الزهري المدني ، ضعفه الجماعة ، وقال البخاري : تركوه . نور النبراس لوحة ٢٤٤/١ .

وفي صبيحة ليلة المِعراج كان نزول جبريل وإمامته بالنبي ﷺ ليُريَه أوقاتَ الصلوات الخمس ؛ كما هو مرويٌّ من حديث ابن عباس وأبي هريرة وبُريدة وأبي موسى وأبي مسعود وأبي سعيد وجابر وعمرو بن حزم والبراء وغيرهم[1] . وكان ذلك عند البيت وأَمَّ به مرتين ، مرة أول الوقت ومرة آخره ليعلمه بذلك كله .

وأما عدد ركعاتِها حين فُرضت ، فمن الناس من ذهبَ إلى أنها فُرضت أول ما فرضت ركعتين ركعتين ، ثم زيد في صلاة الحضر فأُكملت أربعاً وأقرت صلاة السفر على ركعتين ، روي ذلك عن عائشة والشعبي وميمون بن مَهران ومحمد بن إسحاق وغيرهم .

ومنهم من ذهب إلى أنها فرضت أول ما فرضت أربعاً إلا المغرب ففرضت ثلاثاً والصبح ركعتين . كذلك قال الحسن البصري ونافع بن جبير بن مطعم وابن جُريج .

ومنهم من ذهب إلى أنها فُرضت في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين ويُروى ذلك عن ابن عباس .

وقال أبو إسحاق الحربي : أوّل ما فُرضت الصلاة بمكة فُرضت ركعتين أول النهار وركعتين آخره ، وذكر في ذلك حديث عائشة : فرضَ رسولُ الله ﷺ الصلاةَ ركعتين ركعتين ، ثم زاد فيها في الحضر[2] . هكذا حدَّث به الحربي ، عن أحمد بن الحجاج ، عن ابن المبارك ، عن ابن عجلان ، عن صالح بن كيسان ، عن عروة ، عن عائشة . حكى ذلك أبو عمر . قال : وليس في حديث عائشة دليل على صحة ما ذهب إليه الحربي ، ولا يُوجد هذا في أثر صحيح ، بل فيه دليل على أن الصلاة التي فُرضت ركعتين ركعتين هي الصلوات الخمس ، لأن الإشارة بالألف واللام في الصلاة إشارة إلى معهود .

وروينا عن الطبراني ، حدثنا الحسن بن علي بن الأشعث المصري ، حدثنا محمد بن يحيى بن سلام الإفريقي ، حدثني أبي ، حدثني عثمان بن مقسم ، عن يحيى بن سعيد

---

(١) انظر جامع الأصول ؛ لابن الأثير ٢٠٦/٥ ــ ٢١٥ . والسيرة الشامية ٢٤٣/٣ .

(٢) حديث عائشة رضي الله عنها رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين (باب صلاة المسافرين وقصرها) رقم /٦٨٥/ ، وهو في البخاري .

الأنصاري ، عن سعيد بن يسار ، عن عمر بن عبد العزيز ، حدثني عروة بن الزبير ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : فُرضت الصلاة ركعتين ، فزيد في صلاة المقيم ، وأُثبتت صلاةُ المسافر كما هي[1] .

وقد روينا عن السائب بن يزيد مثل ذلك ؛ روينا عن أبي العباس بن السرَّاج ، حدثنا قتيبة ، حدثنا عبد العزيز ، عن سعيد بن سعيد ، عن السائب بن يزيد ، أنه قال : فرضت الصلاة ركعتين ، ثم زيد في صلاة المقيم وأقرت صلاة المسافر[2] .

قال أبو عمر : قول الشعبي في هذا ، أصلُه من حديث عائشة ، ويمكن أن يكون قد أخذه عن مسروق أو الأسود عنها ، فأكثر ما عنده عن عائشة فهو عنهما .

قلت : قد وقع لنا ذلك من حديثه عن مسروق كما ظن أبو عمر . روينا من طريق السرَّاج ، حدثنا أحمد بن سعيد الرباطي ، حدثنا محبوب بن الحسن ، حدثنا داود عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت : فُرضت صلاةُ الحضر والسفر ركعتين ركعتين ، فلما أقام رسولُ الله ﷺ بالمدينة زيد في صلاة الحضر ركعتان ركعتان . وتُركت صلاةُ الفجر لطول القراءة ، وصلاة المغرب لأنها وتر النهار[3] .

وأما ابن إسحاق فخبر عائشة عنده عن صالح بن كيسان ، عن عروة ، عنها . فيمكن أن يكون أخذَه من هناك[4] .

وأماميمون بن مهران فروي ذلك عنه من طريق سالم مولى أبي المهاجر ، وسالمٌ غيرُ سالمٍ من الجرح ، ومن قال بهذا من أهل السير قال : إن الصلاة أُتمت بالمدينة بعد الهجرة بشهر وعشرة أيام ، وقيل بشهر .

---

(١) رواه النسائي في الصلاة (باب كيف فُرضت الصلاة) ٢٢٥/١ بنحوه عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، وهو في الصحيحين .

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٨/٢ وقال : رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح .

(٣) رواه ابن خزيمة وابن حبان والبيهقي من طريق الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة رضي الله عنها . انظر السيرة الشامية ٢٤٦/٣ .

(٤) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٤٣/١ .

وأما من قال : فُرضت أربعاً ثم خفف عن المسافر ، فأخبرنا الإمام الزاهد أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن أحمد الواسطي قراءةً عليه وأنا أسمع بسفح قاسيون ، أخبركم الشيخان أبو البركات داود بن أحمد بن محمد بن ملاعب قراءة عليه وأنت تسمع بدمشق ، وأبو علي الحسن بن إسحاق بن موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي سماعاً عليه ببغداد . قال الأول : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن سلامة بن الرُّطبي قراءةً عليه وأنا أسمع . وقال الثاني : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبيد الله بن الزاغوني ، قالا : أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن البُسْري ، أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص ، حدثنا يحيى – يعني ابن محمد بن صاعد – حدثنا لُوَيْن بن محمد بن سليمان ، حدثنا حمّاد بن زيد ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن رجل من بني عامر ، قال : والرجل حيٌّ فاسمعوه منه ، يُقال له أنس بن مالك ، قال ابن صاعد : هو القُشيريّ : أن النبيَّ ﷺ بعثَ خيلاً فغارت على إبل جار لي ، فانطلق في ذلك أبي وعمي أو قرابة[1] لي قريبة . قال : فقدمت إلى رسول الله ﷺ وهو يَطعم فقال : هلم إلى الغداء . قال : إني صائم . قال ﷺ : هلم أحدثك عن ذلك ، إن الله وضع عن المسافر شطرَ الصلاةِ والصيامَ وعن الحبلى والمرضع[2] .. الحديث . خالف أيوب يحيى بن أبي كثير ، فرواه عن أبي قِلابة ، عن جعفر بن عمرو ابن أمية الضَّمْري ، عن أبيه ، عن النبي ﷺ .

وقد رويناه من طريق السَّراج ، حدثنا داود بن رشيد ، حدثنا الوليد بن مسلم ، عن الأوزاعي ، عنه .

ومع صحة الإسنادين فتصويب الأول أولى من جعلهما حديثين عند أبي قلابة ، لاشتهار هذا الخبر من طريق أنس القشيري ، وبعُد تعدد هذه الواقعة والله أعلم .

---

(١) كذا في جميع النسخ ، وفي نور النبراس « وقرابة » بالواو فقط ، ولعله هو الصواب .

(٢) رواه الترمذي في كتاب الصوم (باب الرخصة في الإفطار للحبلى والمرضع) رقم /٧١٥/ ، وأبو داود في كتاب الصوم (باب اختيار الفطر) رقم /٢٤٠٨/ ، والنسائي في كتاب الصوم (باب وضع الصيام عن المسافر) ٤/١٨٠ – ١٨٢ وابن ماجه في كتاب الصيام (باب ما جاء في الإفطار للحامل والمرضع) رقم /١٦٦٧/ . قال الترمذي : حديث أنس بن مالك الكعبي حديث حسن ، ولا نعرف لأنس بن مالك هذا عن النبي ﷺ غير هذا الحديث الواحد .

قالوا : ووضع ، لا يكون إلا من فرض ثابت ، وبما روينا من طريق أبي العباس الثقفي ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا عبد الله بن إدريس ، حدثنا ابن جريج ، عن ابن أبي عمار ، عن عبد الله بن بَابَيْه ، عن يَعلى بن أمية ، قال : قلت لعمرَ بن الخطاب : ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم ؟ فقد أَمِنَ النَّاسُ . فقال عمر : عَجبتُ مما عجبتَ منه ، فسألت رسولَ الله ﷺ عن ذلك . فقال : « صدقةٌ تصدَّقَ الله بها عليكم فاقبلوا صدقته »[1] . رواه مسلم عن إسحاق بن إبراهيم ، فوقع لنا موافقة عالية له .

قالوا : و لم يقصرْ رسولُ الله ﷺ آمناً إلا بعد نزول آية القصر في صلاة الخوف ، وكان نزولها بالمدينة ، وفرض الصلاة بمكة . فظاهر هذا يقتضي أن القصر طارىء على الإتمام .

وأما قولُ ابن عباس إنها فرضت في الحضر أربعاً ، وفي السفر ركعتين ، وفي الخوف ركعة ، فقرأتُ على أبي العباس أحمد بن هبة الله بن عساكر بجامع دمشق ، أخبرتكم زينبُ بنت عبد الرحمن الشَّعْري إجازة ، قالت : أخبرنا الشيخان أبو محمد إسماعيل بن القاسم ابن أبي بكر القارىء سماعاً ، وأبو عبد الله الفَراوي إجازةً ، قالا : أخبرنا عبد الغافر الفارسي ، أخبرنا بشر بن أحمد الإسفرايني ، أخبرنا أبو سليمان داود بن الحسين البيهقي ، حدثنا يحيى بن يحيى ، حدثنا أبو عوانة ، عن بُكير بن الأخنس ، عن مُجاهد ، عن ابن عباس ، قال : فرضَ الله عز وجل الصلاة على لسان نبيكم في الحضر أربعاً ، وفي السفر ركعتين ، وفي الخوف ركعة[2] . رواه مسلم عن يحيى فوافقناه بعلو .

وقرأت على الشيخة الأصيلة مؤنسة خاتون بنت الملك العادل سيف الدين أبي بكر ابن أيوب إجازة ، أخبرتْكِ أم هانىء عفيفة بنت أحمد بن عبد الله الفَارْقانية إجازة ، أخبرنا أبو طاهر عبد الواحد بن محمد الصباغ ، أخبرنا أبو نُعيم الحافظ ، أخبرنا ابن الصواف ، أخبرنا بشر بن موسى ، حدثنا محمد بن سعيد – يعني ابن الأصبهاني – ، حدثنا شَريك

---

(١) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين (باب صلاة المسافرين وقصرها) رقم /٦٨٦/ .

(٢) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين (باب صلاة المسافرين وقصرها) رقم /٦٨٧/ ، وأبو داود في كتاب الصلاة (باب من قال يُصلي بكل طائفة ..) رقم /١٢٤٧/ ، والنسائي في التقصير (باب تقصير الصلاة في السفر) ١١٨/٣ و١١٩ .

وأبو وكيع ، عن زُبيد ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن عمر ، قال : صلاة السفر ركعتان ، وصلاة الجمعة ركعتان ، وصلاة العيد ركعتان ، تمامٌ غير قصر على لسان رسول الله ﷺ[1] . وقال أبو وكيع : على لسان نبيّكم ﷺ .

وروينا عن الطبراني ، حدثنا محمد بن سهل الرباطي ، حدثنا سهل بن عثمان ، حدثنا شريك ، عن قيس بن وهب ، عن أبي الكَنُود ، سألتُ ابنَ عمر عن صلاة السفر ، فقال : ركعتان نزلت من السماء فإن شئتم فردوها[2] .

وأما قول الحربي فبعيد ، غير أنه قد قيل : إن الصلاة قبل فرضها كانت كذلك وسيأتي .

قال أبو عمر : وقد أجمعَ المسلمون أن فرضَ الصلاة في الحضر أربعاً إلا المغرب والصبح ، لا يعرفون غير ذلك عملاً ونقلاً مستفيضاً ، ولا يضرهم الاختلاف فيما كان أصل فرضها إذ لا خلاف بينهم فيما آل إليه أمرها واستقر عليه حالها .

وأما الصلاة طرفي النهار : فروينا عن ابن الصواف بالسند المذكور آنفاً ، حدثنا أبو علي بشر بن موسى ، حدثنا إبراهيم بن إسحاق الضبي ، حدثنا محمد بن أبان ، عن أبي إسحاق ، عن عمارة بن رُويبة الثقفي ، قال : سمع أذناي ووعى قلبي من رسول الله ﷺ يقول : « من صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وجبت له الجنة »[3] ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وسبِّح بحمدِ ربِّك بالعشيِّ والإبكار ﴾ [غافر : ٥٥] .

* * *

---

(١) رواه النسائي في الجمعة (باب عدد صلاة الجمعة) وفي تقصير الصلاة ، وفي العيدين (باب عدد صلاة العيدين) ٣/١١٣ و١١٨ و١٨٣ ، ورواه ابن ماجه في إقامة الصلاة (باب تقصير الصلاة في السفر) رقم /١٠٦٣/ . قال النسائي : ابن أبي ليلى لم يسمعه عن عمر ، ورواه ابن ماجه عن ابن أبي ليلى ، عن كعب بن عجرة ، عن عمر .

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/١٥٤ ، وقال : رواه الطبراني في الصغير ورجاله موثقون .

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١/٣١٨ وقال : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله موثقون .

ذكرُ عرضِ رسولِ الله ﷺ نفسَه
على قبائل العرب

أخبرنا محمد بن إبراهيم المقدسي الإمام قراءةً عليه وأنا حاضر في الرابعة ، وعبدُ الرحيم ابن يوسف المِزي قراءة عليه وأنا أسمع بالجامع الأزهر ، قال الأول : أخبرنا أبو اليمن زيد ابن الحسن الكِندي قراءة عليه وأنا أسمع . وقال الثاني : أخبرني أبو حفص عمر بن محمد ابن طبرزذ سماعاً عليه في الخامسة ، قالا : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد الأنصاري ، أخبرنا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن عيسى الباقلاني ، أخبرنا أبو بكر محمد ابن إسماعيل الورَّاق ، حدثنا أبو أحمد إسماعيل بن موسى بن إبراهيم الحاسب ، حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة ، حدثنا محمد بن عبد الله الأسدي ، حدثنا إسرائيل يعني ابن يونس ، عن عثمان بن أبي المغيرة الثقفي ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن جابر بن عبد الله ، قال : كان النبيُّ ﷺ يعرضُ نفسَه على الناس في الموقف ويقول : « ألا رجلٌ يعرض عليَّ قومه ، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي »[1] .

وأخبرنا عبد الرحيم بن يوسف الموصلي بقراءة والدي عليه وغازي بن أبي الفضل بن عبد الوهاب الدمشقي بقراءتي عليه ، قالا : أخبرنا ابن طبرزذ ، أخبرنا ابن الحصين . أخبرنا ابن غيلان ، أخبرنا محمد بن عبد الله الشافعي ، حدثنا إسحاق بن الحسن بن ميمون الحربي ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، حدثنا سعيد بن سلمة بن أبي الحسام ، حدثنا محمد بن المُكندر أنه سمعَ ربيعةَ بن عِبَاد ـ أو عبَّاد ـ الدُّؤلي يقول : رأيتُ رسولَ الله ﷺ يطوفُ على الناس في منازلهم[2] قبل أن يُهاجر إلى المدينة يقول : « يا أيها الناس إن الله يأمركم أن تعبدوه ولا تُشركوا به شيئاً » . قال : ووراءه رجلٌ يقول : يا أيها الناس إن هذا يأمركم أن تتركوا دينَ آبائكم . فسألتُ من هذا الرجل ؟ فقيل : أبو لهب[3] .

---

(١) رواه أبو داود في كتاب السنة (باب في القرآن) رقم /٤٧٣٤/ ، وأخرجه ابن ماجه في المقدمة رقم /٢٠١/ وهو عند أحمد في المسند ٣/٣٢٢ و٣٣٩ و٣٩٠ . وقال الذهبي في « السيرة النبوية » من تاريخ الإسلام ص ٢٨٢ : أخرجه أبو داود وهو على شرط البخاري .

(٢) « في منازلهم » : يعني مكان نزولهم في منى .

(٣) تقدم الحديث وتخريجه في باب دعاء رسول الله ﷺ قومه وغيرهم إلى الإسلام ص ١٩٠ .

وذكر ابنُ إسحاق عرضَه عليه السلام نفسَه على كِندة ، وعلى كَلْب ، وعلى بني حنيفة . قال : ولم يكُ أحدٌ من العرب أقبحَ ردّاً عليه منهم . وعلى بني عامر بن صعصعة[1] .

وذكر الواقديُّ دعاءَه عليه السلام بني عبس إلى الإسلام ، وأنه أتى غسَّان في منازلهم . وبني مُحارب كذلك[2] .

وذكر قاسم بن ثابت فيما رأيته عنه من حديث عبد الله بن عباس عن علي بن أبي طالب في خروجهما هو وأبو بكر مع رسول الله ﷺ لذلك ، قال علي : وكان أبو بكر في كل خير مقدّماً . فقال : ممن القوم ؟ فقالوا : من شيبان بن ثعلبة . فالتفتَ أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فقال : بأبي أنت وأمي هؤلاء غُرَرٌ[3] في قومهم ، وفيهم مفروق بن عمرو ، وهانيء بن قبيصة ، ومُثنّى بن حارثة ، والنعمان بن شريك . وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالاً ولساناً ، وكانت له غديرتان ، وكان أدنى القوم مجلساً من أبي بكر رضي الله عنه . فقال له أبو بكر رضي الله عنه : كيف العدد فيكم ؟ فقال له مفروق : إنا لنزيد على الألف ، ولن تُغلب الألفُ من قلة . فقال أبو بكر : كيف المَنَعة فيكم ؟ فقال مفروق : علينا الجَهد ولكل قوم جَد . فقال أبو بكر : فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم ؟ فقال مفروق : إنا لأشد ما نكون غضباً حين نلقى وإنا لأشد ما نكون لقاء حين نغضب ، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد والسلاح على اللقاح ، والنصرُ من عند الله ، يُديلنا[4] مرة ، ويديل علينا أخرى ، لعلك أخو قريش ؟ فقال أبو بكر : أو قد بلغكم أنه رسول الله ؟ فها هو ذا . فقال مفروق : قد بلغنا أنه يذكر ذلك ، فإلامَ تدعو يا أخا قريش ؟ فتقدم رسول الله ﷺ ، فقال : أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأني رسول الله ، وإلى أن تؤوني وتنصروني ، فإن قريشاً قد تظاهرت على أمر الله وكذّبت رسلَه ، واستغنت بالباطل عن الحق ، والله هو الغني الحميد . فقال مفروق إلامَ تدعو أيضاً

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٢٤/١ .

(٢) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢١٦/١ ــ ٢١٧ .

(٣) « غُرَرٌ » : جمع غرة ، وهو السيد ، يقال : فلان غرة قومه : أي سيدهم .

(٤) « يُديلنا مرة » : ينصرنا على أعدائنا ، من الإدالة : وهي الغلبة والنصر .

يا أخا قريش ؟ فقال : رسولُ الله ﷺ : ﴿ قل تعالَوْا أتلُ ما حرَّم ربُّكم عليكم ألَّا تُشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ، ولا تقتلوا أولادَكم من إملاقٍ نحنُ نرزقُكم وإيَّاهم ولا تقربُوا الفواحشَ ما ظهرَ منها وما بطنَ ، ولا تقتلُوا النفسَ التي حرَّم الله إلا بالحقِّ ذلكم وَصَّاكم به لعلَّكم تعقلون ﴾ [الأنعام : ١٥٠] فقال مفروق : وإلامَ تدعو أيضاً يا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله ﷺ : ﴿ إنَّ الله يأمُرُ بالعدل والإحسانِ وإيتاءِ ذي القُرْبى وينهَى عن الفحشاءِ والمنكر والبغي يعظكُم لعلَّكُم تَذَكَّرون ﴾ [النحل : ٩٠] فقال مفروق : دعوتَ والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ، ومحاسن الأعمال ، ولقد أفكَ[1] قومٌ كذبوك ، وظاهروا عليك . وكأنه أراد أن يَشْرَكَه في الكلام هانئُ بن قَبيصة ، فقال : وهذا هانئ بن قَبيصة شيخُنا وصاحب ديننا . فقال هانئُ : قد سمعنا مقالتَك يا أخا قريش ، وإني أرى أن تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أوّل ولا آخِر : زَلَّةٌ في الرأي وقِلّة نظر في العاقبة ، وإنما تكون الزَّلة مع العجلة ، ومن ورائنا قومٌ نكره أن نعقد عليهم عَقْداً ، ولكن نرجعُ وترجعُ ، وننظرُ وتنظرُ . وكأنه أحبَّ أن يَشرُكه في الكلام المثنى بن حارثة . فقال : وهذا المثنى بن حارثة شيخنا ، وصاحبُ حربنا . فقال المثنى : قد سمعتُ مقالتَك يا أخا قريش ، والجوابُ هو جوابُ هانيء بن قبيصة : في تركنا ديننا ، واتباعنا دينَك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر ، وإنا إنما نزلنا بين صَرَيَيّ[2] اليمامة والسمامة . فقال رسول الله ﷺ ما هذان الصَّرَيَيْن ؟ فقال أنهار كسرى ومياه العرب . فأما ما كان من أنهار كسرى فذنبُ صاحبه غيرُ مغفور وعذره غير مقبول ، وأما ما كان من مياه العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول ، وإنا إنما نزلنا على عهدٍ أخذه علينا كسرى أن لا نُحدث حَدَثاً ولا نُؤوي مُحدْثاً ، وإني

---

(١) « أَفَكَ » : يأفِكُ أَفْكاً : انقلب وانصرف .

(٢) « صَرَيَيّ اليمامة والسمامة » : الصَّرَيي : تثنية صرى ، وهو الماء المجتمع . ويروى « الصيرين » : تثنية صِيْر ، وهو الماء الذي يحضره الناس ، وقد صار القوم يصيرون إذا حضروا الماء . ويروى بين « صيرتين » : تثنية صيرة ، على وزن فِعْلة ، مؤنث صِيْر .

أرى أن هذا الأمر الذي تدعونا إليه أنت ، هو مما تكرهه الملوك ، فإن أحببتَ أن نؤويَك وننصرَك ، مما يلي مياه العرب فعلنا . فقال رسول الله ﷺ : ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق ، وإن دينَ الله لن ينصره إلا من حاطه[1] من جميع جوانبه . أرأيتم إن لم تلبثوا[2] إلا قليلاً حتى يُورثَكم الله أرضهم وديارَهم وأموالَهم ويُفْرشَكم نساءَهم ؟ أتسبحون الله وتقدسونه ؟ فقال النعمانُ بن شريك : اللهم لك ذا . فتلا رسولُ الله ﷺ ﴿ يا أيها النبيُّ إنَّا أرسلنَاكَ شاهداً ومُبَشِّراً ونذيراً . ودَاعياً إلى الله بإذنِهِ وسِراجاً مُنيراً ﴾ [الأحزاب : ٤٥ ـ ٤٦] ثم نهضَ رسول الله ﷺ فأخذَ بيدي فقال : يا أبا بكر يا أبا حسن أية أخلاق في الجاهلية ؟! ما أشرفَها ! بها يدفَع الله بأسَ بعضهم عن بعض ، وبها يتحاجزون فيما بينهم .

قال : ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج ، فما نهضنا حتى بايعوا النبيَّ ﷺ ، وكانوا صُدُقاً صُبُراً[3] .

ولم يزلْ رسولُ الله ﷺ في ذلك كله يدعو إلى دين الله ، ويأمر به كلَّ من لَقيَه ورآه من العرب ، إلى أن قدم سُويد بن الصامت[4] ، أخو بني عمرو بن عوف من الأوس ، فدعاه رسولُ الله ﷺ إلى الإسلام فلم يُبعد ولم يُجبْ ، ثم انصرفَ إلى يثرب فقُتل في بعض حروبهم[5] .

---

(١) « حَاطَه » : كلأه ورعاه .

(٢) في « ب » : يلبثوا .

(٣) الروض الأنف ١٨٢/٢ .

(٤) سُويد بن الصامت : كان من حنفاء الأوس وشعرائهم ، قُتل في حرب بُعاث . وقد أشار الذهبي في « تجريده » إلى أنه لم يقع منه إسلام بل قارب ، والمقاربة ليست إسلاماً ، وقال ابن عبد البر في « الاستيعاب » : أنا شاكٌّ في إسلام سُويد بن الصامت كما شكَّ فيه غيري ممن ألف في هذا الشأن قبلي ، والله أعلم . نور النبراس لوحة ٢٥١/١ .

(٥) نقل المؤلف رحمه الله تعالى هذه الفقرة من الدرر في المغازي والسير ، لابن عبد البر ص ٦٦ .

قال ابن إسحاق : فإن كان رجالٌ من قومه ليقولون إنا نراه قد قُتل وهو مسلم[1] .

وقدم مكة أبو الحَيْسر أنس بن رافع في فتيةٍ من قومه بني عبد الأشهل ، يطلبون الحِلْفَ ، فدعاهم رسولُ الله ﷺ إلى الإسلام . فقال رجل منهم اسمه إياس بن مُعاذ ، وكان شاباً : يا قومُ ، هذا والله خيرٌ مما قدمنا له . فضربَه أبو الحَيْسر وانتهَرَه فسكت . ثم لم يتم لهم الحلفُ فانصرفوا إلى بلادهم ، ومات إياس بن معاذ . فقيل : إنه مات مسلماً[2] .

* * *

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٤٢٧ .

(٢) الدرر في المغازي والسير ص ٦٦ .

بدء إسلام الأنصار وذكر العقبة[1] الأولى

والأنصار : بنو الأوس والخزرج ، ابني حارثة بن ثعلبة العَنْقاء بن عمرو مُزَيْقِياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغِطْريف بن امرىء القيس البْطِريق بن ثَعلبة البُهلول بن مازن ابن الأزد دِرَاء بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ عامر بن يشجُب ابن يعرُب بن يقطُن قحطان .

قال ابن إسحاق : فلما أراد الله إظهارَ دينه وإعزازَ نبيّه وإنجاز موعده له ، خرجَ رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار ، فعرض نفسَه على قبائل العرب كما كان يصنَعُ في كل موسم ، فبينما هو عند العقبة لقي رَهْطاً من الخزرج ، أراد الله بهم خيراً ، فقال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخزرج . قال : أمن موالي يهود ؟ قالوا : نعم . قال : أفلا تجلسون أُكلّمْكم . قالوا : بلى . فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله ، وعرضَ عليهم الإسلامَ ، وكان مما صنعَ الله به في الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم ، وكانوا أهل علمٍ وكتاب ، وكانوا هم أهلَ شرك ، أصحاب أوثان ، وكانوا قد غزوهم ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شيء . قالوا لهم : إن نبياً مبعوثٌ الآن ؛ قد أظلَّ زمانه ، تتبعه نقتلُكم معه قتل عادٍ وإرم . فلما كلَّمَ رسولُ الله ﷺ أولئك النفر ، ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم لبعض تَعَلَّموا[2] والله إنه للنبي الذي تَوَعَّدَكم به يهود ، فلا يسبقُنّكم إليه . فأجابوه فيما دعاهم إليه ؛ بأن صدّقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام . وقالوا له : إنا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجلَ أعزُّ منك . ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدَّقوا .

---

(١) سمّى ابن سيد الناس رحمه الله تعالى هذا اللقاء **بالعقبة الأولى** ، كما سمّى اللقاء الذي تمَّ بينهم وبين رسول الله ﷺ في العام الذي بعده **بالعقبة الثانية** ، وما بعدها **بالعقبة الثالثة** .. بينما يجعلها ابن هشام عقبتين ، مُسقطاً من حسابه اللقاء الأول ، لأنه لم يتضمن عهداً .

(٢) « تَعَلَّموا » : اعلموا .

وهم فيما ذُكر لي ستة نفر من الخزرج منهم[1] من بني النجار – وهو[2] تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الأكبر : أسعد بنُ زرارة بن عُدَس بن عُبيد بن ثَعلبة بن غَنْم ابن مالك بن النجار . وعَوف بن الحارث بن رِفاعة بن الحارث بن سَواد بن غَنْم بن مالك ابن النجار – وابن سعد يقول : سَواد بن مالك بن غَنْم بن مالك – وهو ابن[3] عفراء .

ومن بني زُرَيق : رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيق .

ومن بني سواد بن غنم بن كعب بن سَلِمة : قُطْبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن سواد .

ومن بني سَلِمةَ بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تَزيد بن جُشم .

ثم من بني حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سَلِمة : عقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام .

ومن بني عُبيد بن عَدي بن غنم بن كعب بن سلِمة : جابر بن عبد الله بن رئاب ابن النعمان بن سنان بن عُبيد[4] .

قال أبو عمر : ومن أهل العلم بالسير من يجعل فيهم عبادة بن الصامت ويسقط جابر ابن رئاب[5] ، والله أعلم .

ذكر العقبة الثانية

حتى إذا كان العام المقبل قدم مكة من الأنصار اثنا عشر رجلاً ، منهم خمسة من الستة الذين ذكرنا وهم : أبو أمامة ، وعوف بن عفراء ، ورافع بن مالك ، وقطبة ، وعقبة[6] .

---

(١) في جميع النسخ « ثم » والتصحيح من السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٤٢٩ .
(٢) في جميع النسخ « وهم » والتصحيح من السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٤٢٩ .
(٣) ابن عفراء : هو عوفُ ابن الحارث ، وعفراءُ أمُّه ، وهي بنت عُبيد بن ثعلبة بن عُبيد بن ثعلبة بن غَنْم .
(٤) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٤٢٨ – ٤٣٠ .
(٥) الدرر في المغازي والسير ص ٦٧ .
(٦) تقدمت نسبتهم إلى أفخاذهم الخزرجية قبل قليل .

وبقيتهم : معاذ بن الحارث بن رفاعة وهو ابن عفراء أخو عوف المذكور(١) .

وذكوان بن عبد قيس بن خَلْدَة بن مُخَلَّد بن عامر بن زُرَيق الزُّرَقي(٢) . ذكروا أنه رَحَل إلى رسول الله ﷺ إلى مكة فسكنها فهو مهاجري أنصاري قتل يوم أحد .

وعُبَادة بن الصامت بن قيس بن أَصْرم بن فِهْر بن ثَعلبة بن غَنْم بن عَوْف بن عمرو ابن عَوْف بن الخزرج .

ومن بني سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج : العباس بن عبادة بن نَضْلة ابن مالك بن العَجْلان بن زيد بن غَنْم بن سالم .

ومن حلفائهم : يزيد بن ثعلبة بن خَزْمة ـ بسكون الزاي والطبري يفتحها ـ بن أَصْرم بن عمرو بن عَمَّارة ـ بفتح العين وتشديد الميم ـ بن مالك من بني قَرَّانٌ(٣) من بَلِيّ .

ومن بني الأوس بن حارثة أخي الخزرج(٤) : ثم من بني جُشم أخي عبد الأشهل بن جُشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : أبو الهيثم مالك بن التيهان ـ أهل الحجاز يخففون الياء وغيرهم يشددها ـ بن مالك بن عمرو بن زيد بن جُشم بن عمرو بن جُشم . ومن الناس من يعدّه مولى لهم من بَليّ .

ومن بني أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس : عويم بن ساعدة بن عايش بن قيس بن النعمان بن زيد بن أمية بن زيد بن أمية بن زيد .

فبايعَ رسولُ الله ﷺ هؤلاء عند العقبة على بيعة النساء ، ولم يكن أُمِر بالقتال بعد .

أخبرنا أحمد بن يوسف السَّاوي بقراءة والدي عليه سنة ست وسبعين ، أخبرنا أبو روح المطهر بن أبي بكر البيهقي سماعاً ، أخبرنا أبو بكر الطوسي ، أخبرنا نصر الله بن أحمد

---

(١) وهو من بني النجار .

(٢) وهو من بني زُرَيق .

(٣) في السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٣٢/١ : من بني غُصَيْنَة من بليّ .

(٤) بدأ المؤلف بذكر رجال العقبة الثانية من الأوس .

الخشنامي ، أخبرنا أحمد بن الحسن النيسابوري ، أخبرنا محمد بن أحمد ، حدثنا محمد بن يحيى الذُّهْلي ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر عن الزهري ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن عبادةَ بن الصامت ، قال : بايعَ رسولُ الله ﷺ نفراً أنا منهم ، فتلا عليهم آيةَ النساء لا تُشركوا بالله شيئاً ثم قال : « ومن وفَّى فأجرُه على الله ، ومن أصابَ من ذلك شيئاً فعُوقب به في الدنيا فهو طُهْرٌ له ـ أو قال كَفَّارة له ـ ومن أصابَ من ذلك شيئاً فستَرَه الله عليه فأمرُه إلى الله إن شاءَ الله غفرَ له وإن شاءَ عذَّبه »[1] . رواه البخاري .

حدثني إسحاق بن منصور ، أخبرنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا ابن أخي ابن شهاب ، عن عمه ، فذكره بمعناه .

فلما انصرفوا بعث رسول الله ﷺ معهم ابن أم مكتوم ومصعب بن عمير يُعلِّمان من أسلم منهم القرآن ، ويدعوان من لم يسلم إلى الإسلام ، فنزل مصعب بن عمير على أسعد بن زرارة ، وكان مصعب بن عُمير يُدعى المقرىء والقارىء ، وكان يؤمُّهم ، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضُهم أن يؤمَّه بعض ، فجمَّع بهم أوَّلَ جمعة جُمِّعت في الإسلام[2] . وعند ابن إسحاق : أول من جمَّع بهم أبو أمامة أسعد بن زرارة[3] .

روينا عن ابن أبي عَروبة حدثنا هاشم بن القاسم ، حدثنا ابن وهب ، عن يونس عن ابن شهاب ، قال : بلغنا أن أول ما جُمِّعت الجمعة بالمدينة قبل أن يقْدَمها رسولُ الله ﷺ ، فجمَّع بالمسلمين مصعب بن عمير بن عبد مناف[4] . وبه قال حدثنا هاشم ، حدثنا ابن

---

(١) رواه البخاري في مناقب الأنصار (باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة وبيعة العقبة) رقم /٣٨٩٢/ ، والنسائي في البيعة على الجهاد ١٤٢/٧ وبيعة النساء ١٤٩/٧ ، وهو عند الإمام أحمد في المسند ٣٢٣/٥ .

(٢) الدرر في المغازي والسير ص ٦٩ .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٣٥/١ .

(٤) قال سبط ابن العجمي عن خبر ابن أبي عروبة : وهذا بلاغ ، فهو ضعيف .

وهب ، أخبرني ابن جُرَيج ، عن سليمان بن موسى ؛ أن النبي ﷺ كتبَ إليه يأمُره بذلك[1] .

وروينا من طريق أبي داود ، حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا ابن إدريس ، عن محمد ابن إسحاق ، عن محمد بن أبي أمامة بن سهل ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك – وكان قائد أبيه بعدما ذهب بصره – عن أبيه كعب بن مالك ، أنه كان إذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لأسعدَ بن زرارة . فقلت له إذا سمعت النداء ترحمت لأسعد بن زرارة ؟ فقال : لأنه أول من جمَّع بنا في هزم النَّبِيت من حرة بني بياضة في بقيع يقال له : بقيع الخَضِمَات . قلت : كم أنتم يومئذ ؟ قال : أربعون[2] .

بقيع الخضمات بالباء وقع في هذه الرواية ، وقيده البكري بالنون ، وقال : هزم النَّبِيت[3] : جبل على بريد من المدينة .

قال السهيلي : تجميع أصحاب رسول الله ﷺ الجمعة وتسميتهم إياها بهذا الاسم هداية من الله لهم قبل أن يؤمروا بها ، ثم نزلت سورة الجمعة بعد أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة فاستقر فرضها واستمر حكمها ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : « أضلته اليهود والنصارى وهداكم الله له »[4] .

---

(١) قال سبط ابن العجمي : هذا الحديث الذي ساقه هنا مرسل ، وسليمان بن موسى ، قال النسائي عنه : ليس بالقوي ، وقال البخاري : عنده مناكير . وقال ابن كثير في « السيرة النبوية » من البداية والنهاية ١٨١/٢ : وقد روى الدارقطني عن ابن عباس ؛ أن رسول الله ﷺ كتب إلى مصعب بن عُمير يأمُره بإقامة الجمعة ، وفي إسناده غرابة ، والله أعلم .

(٢) رواه أبو داود في كتاب الصلاة (باب الجمعة في القرى) رقم /١٠٦٩/ ، وابن ماجه في كتاب الصلاة (باب فرض الجمعة) رقم /١٠٨٢/ .

(٣) « هزم النبيت » : جبل بصدر قباء ، والنبيت : أبو حيّ من اليمن اسمه مالك بن عمرو .
والبقيع : كل أرض منخفضة فيها أروم شجر . وكان في المدينة أكثر من بقيع واحد ، وأشهرها « بقيع الغرقد » مقبرة أهل المدينة .

(٤) الروض الأنف ١٩٦/٢ .

وذكر عبد بن حميد : حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين ، قال : جَمَّعَ أهلُ المدينة قبل أن يقدَم رسولُ الله ﷺ المدينة ، وقبل أن تنزل الجمعة .. الحديث[1] .

وروى الدارقطني عن ابن عباس إذن النبي ﷺ لهم بها قبل الهجرة .

وقد روينا من طريق ابن أبي عروبة الأثر عن سليمان بن موسى بذلك[2] .

* * *

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف ، في الجمعة رقم /٥١٤٤/ عن معمر ، عن أيوب ، عن ابن سيرين ، وهو خبر مرسل .

(٢) هذا الأثر تقدم تخريجه ص ٢٦٦ ، وهو الطريق الثاني الذي ذكره المؤلف عن ابن أبي عَروبة .

ذكرُ إسلامِ سعدِ بن مُعاذ وأُسَيْد بن حُضَيْر على يديْ مُصعب بن عُمير

قال ابن إسحاق : وحدثني عُبيد الله بن المغيرة بن مُعَيْقيب وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ؛ أن أسعدَ بن زُرَارة خرج بمصعب بن عُمير يُريد دارَ بني عبد الأشهل ودارَ بني ظَفَر فدخل حائطاً من حوائط بني ظَفَر ، فجلسا فيه ، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم ، وسعد بن معاذ وأُسَيْد بن حُضَيْر يومئذ سيدا قومهما ، وكلاهما مشرك على دين قومه ، فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأُسَيْد بن حُضَير : لا أبالك ، انطِلقْ إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءَنا فازجرْهما وانههما عن أن يأتيا دارَيْنا ، فإنه لولا أن أسعدَ بن زُرَارة مني حيث قد علمتَ كفيتُك ذلك ، هو ابن خالتي ، ولا أجد عليه مقدماً ، فأخذ أُسَيد بن حُضير حربته ، ثم أقبل إليهما ، فلما رآه أسعدُ بن زُرارة قال لمصعب : هذا سيد قومه ، قد جاءَك ، فاصْدُقِ الله فيه . ثم قال مصعب : إن يجلسْ هذا أكلّمْه . قال : فوقف عليهما متشتماً ، فقال : ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا ، اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة . فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمراً قبلتَه وإن كرهتَه كفَّ عنك ما تكره . قال : أنصفتَ . ثم ركز حربتَه وجلس إليهما ، فكلَّمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن . فقالا فيما يذكر عنهما : والله لعرفنا في وجهه الإسلامَ قبل أن يتكلم . ثم قال : ما أحسن هذا وأجملَه ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قالا له : تغتسلُ فَتطَهَّر ، وتُطَهِّر ثوبيْك ، ثم تشهدُ شهادةَ الحق ، ثم تُصلِّي . فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهَّد شهادة الحق ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إن ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلفْ عنه أحد من قومه ، وسأرسله إليكما الآن ، وهو سعد ابن معاذ . ثم أخذ حربته فانصرف إلى سعد وقومه ، وهم جلوس في ناديهم ، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً ، قال : أحلفُ بالله لقد جاءكم أُسَيْد بن حُضير بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ، فلما وقفَ على النادي قال له سعد : ما فعلت ؟ قال : كلَّمت الرجلين ، فوالله ما رأيتُ بهما بأساً ، وقد نهيتُهما ، فقالا : نفعلُ ما أحببتَ ، وقد حُدِّثتُ

أن بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زُرارة ليقتلوه ، وذلك أنهم عرفوا أنه ابنُ خالـتِك ليُخفِرُوك . فقام سعد مغضَباً مبادراً تخوّفاً للذي ذكر له من بني حارثة ، فأخذ الحربة من يده وقال : والله ما أراك أغنيتَ عنا شيئاً . ثم خرج إليهما ، فلما رآهما سعدُ مُطمئنَيْنِ ، عرف أن أُسَيْداً إنما أراد منه أن يسمع منهما . فوقف عليهما متشتماً ، ثم قال لأسعد بن زُرارة : يا أبا أمامة ، أما والله لولا ما بيني وبينَك من القرابة ما رمتَ مني هذا . أتغشانا في دارِنَا بما نكره ، وقد قال أسعدُ بن زرارة لمصعب بن عمير : أي مصعب ، جاءك والله سيّدُ مَنْ وراءه من قومه ، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان . قال : فقال له مصعب : أو تقعدْ فتسمعَ فإن رضيتَ أمراً قبلتَه وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره . قال سعد : أنصفتَ ، ثم ركز الحربةَ وجلس ، فعرض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن . قالا : فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلَّم . ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين . قالا : تغتسلُ فتَطَّهَرُ وتُطَهِّر ثوبيْك ، ثم تشهدُ شهادةَ الحق ، ثم تركع ركعتين . قال فقام فاغتسل وطهَّر ثوبيْه ثم شهد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين ، ثم أخذ حربتَه فأقبلَ عامداً إلى نادي قومِه ومعهم أُسَيْد بن حُضير ، فلما رآه قومُه مقبلاً قالوا : نحلفُ بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم . فلما وقف عليهم قال : يا بني عبد الأشهل ، كيف تعلمون أمري فيكم ؟ قالوا : سيدنا وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيبةً ، قال : فإن كلام رجالكم ونسائكم عليَّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله . قال : فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأةٌ إلا مسلماً ومسلمة(١) .

قال أبو عمر : حاشا الأُصَيْرم ، وهو عمرو بن ثابت بن وَقْش ، فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد ، فأسلم واستشهد ولم يسجد لله سجدة ، وأخبرَ رسولُ الله ﷺ أنه من أهل الجنة(٢) .

رَجْعٌ إلى ابن إسحاق : قال ورجع مصعب إلى منزل أسعد بن زرارة ، فأقام عنده يدعو الناسَ إلى الإسلام ، حتى لم تبقَ دارٌ من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ، إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد ، وخَطْمة ووائل وواقف ، وتلك أوس الله ، وهم

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٣٥/١ — ٤٣٨ .
(٢) الدرر في المغازي والسير ص ٦٩ — ٧٠ .

من الأوس بن حارثة(١) .

قال أبو عمر : وكانوا سكاناً في عوالي المدينة ، فأسلم منهم قوم ، وكان سيدهم أبو قيس صيفيّ بن الأسلب ، فتأخر إسلامُه وإسلام سائر قومه إلى أن مضت بدر وأحد والخندق ثم أسلموا كلُّهم(٢) .

ورأيت في « التاريخ الأوسط » للبخاري أن أهل مكة سمعوا هاتفاً يهتف قبل إسلام سعد بن معاذ :

فإن يُسلم السعدان يُصبح محمدٌ ... بمكةَ لا يخشى خلافَ المُخالِفِ

فحسبوا أنه يُريد القبيلتين سعد هُذَيمْ(٣) من قضاعة ، وسعدَ بن زيد مناة بن تميم ، حتى سمعوه يقول :

فيا سعدَ سعدَ الأوس كنْ أنتَ ناصراً ... ويا سعدَ سعدَ الخزرجَيْن الغَطارِفِ

أجيبا إلى داعي الهُدى وتمنّيا ... على الله في الفردوس مُنيةَ عارِفِ

في أبياتٍ(٤) ، وقد روينا ذلك أطول من هذا .

* * *

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٤٣٥ ـ ٤٣٨ .

(٢) الدرر في المغازي والسير ص ٦٩ ـ ٧٠ .

(٣) كذا في جميع النسخ ، وفي « جمهرة أنساب العرب » ص ٤١٨ : سعد هزيم ، بالزاي .

(٤) هذا الخبر في الروض الأنف ١/٢٧٢ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٢/٤٢٨ ، والسيرة الشامية ٣/٢٧٢ وقال الصالحي : رواه ابن أبي الدنيا والخرائطي والبيهقي عن عبد المجيد بن أبي عيسى ، عن أبيه ، عن جده . وابن عساكر عن البخاري في تاريخه الأوسط ، عن شيخه أبي محمد الكوفي ..

ذكر البراءِ بن مَعرور وصلاته إلى القبلة
وذكر العقبة الثالثة

قال ابن إسحاق : ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة ، وخرجَ من خرجَ من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك ، حتى قدموا مكة فواعدوا رسولَ الله ﷺ العقبةَ من أوسط أيام التشريق ، فحدثني معبد بن كعب بن مالك أن أخاه عبدَ الله ، وكان من أعلم الأنصار، حدثه أن أباه كعباً حدَّثه، وكان ممن شهد العقبة وبايع رسول الله ﷺ بها ، قال : خرجنا في حجاج قومنا من المشركين ، وقد صلينا وفقِهنا ومعنا البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا ، فلما وَجَّهنا لسفرنا وخرجنا من المدينة ، قال البراء لنا : يا هؤلاء ! إني قد رأيت رأياً والله ما أدري أتوافقوني عليه أم لا ؟ قال : قلنا وما ذاك ؟ قال : رأيتُ أن لا أدع هذه البَنِيَّة مني بظهر – يعني الكعبة – وأن أصلي إليها . قال : قلنا : والله ما بلغنا أن نبينا يُصلي إلا إلى الشام ، وما نُريد أن نخالفَه . قال : فقال : إني لمصلٍّ إليها . قال : قلنا له : لكنا لا نفعل . قال : فكنا إذا حضرتِ الصَّلاة صلَّينا إلى الشام وصلى إلى الكعبة ، حتى قدمنا مكة . قال : وقد كنا عِبنا عليه ما صنعَ ، وأبى إلا الإقامة على ذلك . قال : فلما قدمنا مكة قال لي : يا ابن أخي ! انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ حتى أسألَه عما صنعتُ في سفري هذا ، فإنه والله لقد وقع في نفسي منه شيء ، لما رأيتُ من خلافكم إياي فيه . قال : فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ ، وكنا لا نعرفه ولم نره قبل ذلك ، فلقينا رجلاً من أهل مكة ، فسألناه عن رسول الله ﷺ ، فقال : هل تعرفانه ؟ قلنا : لا . قال : فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمَّه ؟ قال : قلنا : نعم . قال : وكنا نعرف العبَّاسَ ، كان لا يزال يقدَم علينا تاجراً . قال : فإذا دخلتما المسجدَ هو الرجل الجالس مع العباس . قال : فدخلنا المسجدَ فإذا العبَّاسُ جالسٌ ورسول الله ﷺ معه ، فسلمنا ثم[1] جلسنا إليه . فقال رسول الله ﷺ للعباس : هل تعرف هذين الرجلين

(١) في « ج » و« د » : حين جلسنا .

يا أبا الفضل ؟ قال : نعم . هذا البراء بن معرور سيِّدُ قومه ، وهذا كعب بن مالك . قال : فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ : الشاعر ؟ قال : نعم . قال : فقال له البراء بن معرور : يا نبي الله ! إني خرجتُ في سفري هذا ، وقد هداني الله للإسلام ، فرأيتُ أن لا أجعل هذه البَنِيَّة مني بظهر فصليت إليها ، وخالفني أصحابي في ذلك ، حتى وقع في نفسي من ذلك شيء ، فماذا ترى يا رسول الله ؟ قال : قد كنتَ على قبلة لو صبرتَ عليها . فرجعَ البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ وصلَّى إلى الشام ، وأهلُه يزعمون أنه صلَّى إلى الكعبة حتى مات ، وليس كما قالوا ، نحن أعلم به منهم .

ثم خرجنا إلى الحج وواعدَنا رسولُ الله ﷺ العقبة من أوسط أيام التشريق ، فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسولَ الله ﷺ لها ، ومعنا عبد الله بن عمرو ابن حَرَام أبو جابر ، سيِّدٌ من ساداتنا ، أخذناه وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا ، فكلّمناه وقلنا له يا أبا جابر إنك سيّدٌ من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، وإنا نرغبُ بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً ، ثم دعوناه إلى الإسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة . قال : فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيباً .

فنمنا(١) تلك الليلة مع قومنا في رِحالنا ، حتى إذا مضى ثلثُ الليل ؛ خرجنا من رحالنا لميعادِ رسول الله ﷺ تَسَلّلَ القطا ، مستخفين . حتى اجتمعنا في الشّعب عند العقبة ، ونحن ثلاثةٌ وسبعون رجلاً ، ومعنا امرأتان من نسائنا : نُسَيْبة بنت كعب أمّ عُمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار ، وأسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي إحدى نساء بني سَلِمة ، وهي أم منيع . قال : فاجتمعنا في الشّعب ننتظرُ رسولَ الله ﷺ حتى جاءنا ومعه العباسُ بنُ عبد المطلب ، وهو يومئذٍ على دين قومه ، إلا أنه أحبَّ أن يحضرَ أمرَ ابنَ أخيه ويتوَثَّق له . فلما جلس كان أوّلَ متكلم . فقال : يا معشر الخزرج وكانت العرب إنما يسمون هذا الحيَّ من الأنصار : الخزرج – خزرجَها وأوسَها – إن محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عز من قومه ومَنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما

(١) في « ب » و« ج » و« د » : فمكثنا .

دعوتموه إليه ، ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه ، فإنه في عز ومَنَعة من قومه وبلده . قال : فقلنا له قد سمعنا ما قلت . فتكلَّمْ يا رسولَ الله فخذْ لنفسِك ولِرَبِّكَ ما أحببتَ . قال : فتكلم رسول الله ﷺ فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ، ورغَّب في الإسلام ، ثم قال : أبايعُكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءَكم وأبناءَكم . قال : فأخذَ البراءُ بن معرور بيده ثم قال : نعم والذي بعثَك بالحقِّ لنَمنعنَّك مما نمنعُ منه أُزُرَنا[1] فبايِعْنَا رسولَ الله ﷺ ، فنحن والله أهلُ الحروب وأهل الحَلْقة[2] ، ورثناها كابراً عن كابر . قال : فاعترضَ القولَ ــ والبراءُ يكلّم رسولَ الله ﷺ ــ أبو الهيثم بن التيهان ، فقال : يا رسول الله ! إن بيننا وبين الرجال حِبَالاً ، وإنا قاطعوها ــ يعني اليهود ــ فهل عسيْتَ إن نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنَا . قال : فتبسم رسولُ الله ﷺ ، ثم قال : بل الدَّمُ[3] الدَّمُ والهَدْمُ الهَدْمُ ، أنا منكم وأنتم مني ، أحاربُ من حاربتم ، وأُسالمُ من سالمتم .

وقال رسولُ الله ﷺ : أخرجوا إليَّ منكم اثني عشر نقيباً ، يكونون على قومهم بما فيهم . فأخرجوا تسعةً من الخزرج وثلاثة من الأوس .

فمن الخزرج ثم من بني النجار : أسعد بن زرارة بن عُدَس . ومن بني مالك الأغر ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس الأكبر بن مالك الأغر . وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك الأغر . ومن بني زريق : رافع ابن مالك بن العجلان . ومن بني سَلِمة ، ثم بني حَرام : عبد الله بن عمرو بن حَرَام بن ثعلبة بن حَرَام . ومن بني عُبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سَلِمة : البراء بن معرور ابن صخر بن خنساء بن سنان بن عُبيد . ومن بني طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب

---

(١) « أُزُرَنا » : جمع إزار ، كنّي به عن النساء ، أو عن النفس ، وانظر فوائد المؤلف ص ٢٨٢ .

(٢) « الحَلْقة » : الدروع ، ويريد السلاح .

(٣) « الدَّمُ الدَّمُ ، والهَدْمُ الهَدْمُ » : أي دمي دمكم ، وما هدمتموه من الدماء هدمته ، وانظر شرح المؤلف وافياً لهذه العبارة في الفوائد ص ١٧١ .

ابن الخزرج : سعد بن عبادة بن دُلَيم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طرِيف . ومن بني ثعلبة بن الخزرج أخي طَريف : المنذر بن عمرو بن خُنَيْس بن لُوذان بن عبد ودّ بن زيد بن ثعلبة . ومن بني غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج : عبادة بن الصامت .

ومن الأوس ، ثم من بني عبد الأشهل بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو ابن مالك بن الأوس : أُسَيْد بن حُضَيْر بن سِماك بن عَتيك بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل . ومن بني السَّلْم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس : سعد بن خيثمة ابن الحارث بن مالك بن كعب بن النَّحّاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السَّلْم . ومن بني أمية بن زيد ، رِفاعة بن عبد المنذر بن زَنْبَر بن زيد بن أمية[1] .

قال ابن هشام : وأهل العلم يعدُّون فيهم أبا الهيثم بن التيهان بدل رفاعة[2] .

وروينا عن أبي بكر البيهقي بسنده إلى مالك ، قال : فحدثني شيخ من الأنصار أن جبريل عليه السلام كان يُشير له إلى من يجعلُه نقيباً[3] .

وقد قيل إن الذي تولّى الكلام مع الأنصار وشدَّ العقدَ لرسول الله ﷺ أسعدُ بن زرارة .

وروينا من طريق العَدَني ، حدثنا يحيى بن سُلَيم ، عن ابن خُثَيْم ، عن أبي الزبير ، عن جابر فذكر حديث العقبة وفيه : فأخذ بيده يعني النبيّ ﷺ أسعد بن زرارة وهو أصغرُ السبعين إلا أنا ، فقال . رويداً يا أهلَ يثرب ، إنا لم نضربْ إليه أكبادَ المطي إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ، وإن إخراجَه اليوم مفارقةُ العرب كافة ، وقتلُ خياركم ، وأن تعضكم السيوف ، فإما أنتم قوم تصبرون عليها إذا مستكم بقتلِ خياركم ومفارقة العرب كافة فخذوه وأجركم على الله ، وإما أنتم تخافون من أنفسكم خيفةً فذروه ، فهو أعذرُ لكم عند الله . فقالوا : يا أسعد ! أمط عنا يدكَ ، فوالله لا نذرُ هذه البيعة ولا نستقيلها .. الحديث[4] .

---

(١) خبر ابن إسحاق عن العقبة الثالثة في السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٤٣٨ ــ ٤٤٥ .

(٢) السيرة النبوية ١/٤٤٥ .

(٣) دلائل النبوة ؛ للبيهقي ٢/٤٥٣ وفيه : قال مالك : فحدثني شيخ من الأنصار : أن جبريلَ كان يشيرُ له إلى من يجعله نقيباً .

(٤) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٤٦ وقال : رواه أحمد والبزار .. ورجال أحمد رجال الصحيح ، وهو

وقيل : بل العباس بن عبادة بن نضلة . رُوينا عن ابن إسحاق ، حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ؛ أن القوم لما اجتمعوا لبيعةِ رسول الله ﷺ ، قال العباس بن عبادة بن نضلة : يا معشر الخزرج ! إنكم تُبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس . فذكر نحو ما تقدم . قال : فأما عاصم فقال : والله ما قال ذلك العباس إلا ليشدَّ العقدَ لرسول الله ﷺ ، وأما عبد الله بن أبي بكر فقال : ما قال ذلك العباسُ إلا ليؤخرَ القوم تلك الليلة رجاءَ أن يحضرَها عبد الله بن أبي بن سلول ، فيكون أقوى لأمر القوم ، فالله أعلم أي ذلك كان[1] .

وكانت هذه البيعةُ على حرب الأسود والأحمر ، وأخذ رسولُ الله ﷺ لنفسه واشترطَ عليهم لربه ، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنَّةَ ، فأوّل المبايعين فيها مختلف فيه : فروينا عن ابن إسحاق من طريق البكّائي ، ومن طريق أبي عَروبة ، عن سليمان بن سيف ، عن سعيد بن بُزيغ عنه قال : بنو النجار يزعمون أن أبا أُمامة أسعدَ بن زُرارة كان أوّل من ضربَ على يد رسول الله ﷺ . وبنو عبد الأشهل يقولون : بل أبو الهيثم بن التيهان ، وقد تقدم أنه البراء بن معرور .

فلما انتهت البيعةُ صرخَ الشيطانُ من رأس العقبة : يا أهلَ الجباجب[2] هل لكم في مُذمم[3] والصُّبَاةُ[4] معه قد أجمعوا على حربكم . فقال رسول الله ﷺ: هذا أزبُّ[5]

= في كشف الأستار برقم /١٧٥٦/ ، والمسند ٣/٣٢٢ و٣٣٩ ، والطريق التي ذكرها المؤلف رواها الطبراني ، كما في نور النبراس .

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٤٤٦ . وقال سبط ابن العجمي : الظاهر أن أسعد قال هذا الكلام ، والعباسُ قال نحوه ، وطريق الطبراني إلى أسعد أصح ؛ لأنها متصلة صحيحة ، وليس فيها إلا عنعنة أبي الزبير عن جابر ، وهي على شرط مسلم ، وأما الطريق الثانية فإن عاصماً شيخ ابن إسحاق وإن كان ثقة إماماً ، خصوصاً في المغازي ، إلا أن حديثه هذا مرسل ، وأين عاصم وأين هذه القصة ؟! ولم يذكر إسنادها ، والله تعالى أعلم .

(٢) « الجباجب » : سيأتي شرحها في الفوائد التي ذكرها المؤلف ص ٢٨٥ .

(٣) « مُذمم » : المذموم جداً ، قلبٌ لاسمه ﷺ منهم ، بعد نبوته ، تنفيساً لحقدهم وعداوتهم .

(٤) « الصُّبَاةُ » : جمع صابىء بعد تسهيل همزته ، وهو الخارج من دينه إلى دين آخر . أطلقته قريش على كل من كان يُفارق دينَها ويدخلُ في دين الإسلام .

(٥) « أزب العقبة » : انظر شرحها في فوائد المؤلف ص ٢٨٥ .

العقبة ، أتسمع أي عدو الله ، أما والله لأفرغنَّ لك . فاستأذنه العباس بن عبادة في القتال . فقال : لم نُؤمر بذلك . وتطلَّب المشركون خبرَهم فلم يعرفوه ، ثم شَعروا به حين انصرفوا فاقتفوا آثارهم فلم يُدركوا إلا سعدَ بن عبادة والمنذر بن عمرو ، فأما سعد فكان ممن عُذِّبَ في الله ، وأما المنذر فأعجزهم وأفلت . ونمى خبرُ سعد بن عبادة إلى جُبير بن مُطعم والحارث ابن حرب بن أمية على يديْ أبي البَختري بن هشام فأنقذه الله بهما . وقال ضرار بن الخطاب الفهري :

تداركتَ سعداً عنْوةً فأخذتَه ... وكان شفاءً لو تداركتَ منذرا
ولو نلتَه طُلَّتْ هناك جراحُهُ ... وكان حريّاً أن يُهان ويُهدرا[1]

فأجابه حسان[2] بأبيات ذكرها ابن إسحاق .

فلما قدموا المدينة أظهروا الإسلام وكان عمرو بن الجموح ممن بقي على شركه ، وكان له صنم يُعظِّمه فكان فتيان ممن أسلم من بني سلِمة يُدلجون بالليل على صنمه فيطرحونه في بعض حفر بني سلِمة منكساً رأسُه في عُذَر النَّاس ، فإذا أصبحَ عمرو قال : ويحكم من عدا على آلهتنا هذه الليلة ، ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطهَّره وطيَّبه ، فإذا أمسى عدوا عليه ففعلوا به مثل ذلك إلى أن غسله مرة وطهَّره ثم جاء بسيفه فعلَّقه عليه ، ثم قال له : ما أعلم من يصنع بك ما أرى ، فإن كان فيك خيرٌ فامتنعْ فهذا السيفُ معك . فلما أمسى ونام عمرو عدوا عليه وأخذوا السيف من عنقه ، ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل ثم ألقَوْه في بئر من آبار بني سلمة فيها عُذَرٌ من عُذَرُ الناس . وغدا عمرو بن الجموح فلم يجدْه في مكانه ، فخرج يتبعُه حتى وجده في تلك البئر منكّساً مقروناً بكلب ميت ، فلما رآه أبصر شأنه وكلَّمه من أسلم من قومه فأسلم رضي الله عنه ، وحَسُن إسلامهُ[3] .

* * *

---

(١) « طُلَّتْ » : هُدرتْ ولم يُثأر لها .
(٢) انظر السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٥١/١ .
(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٥٢/١ .

[تسمية من شهد العقبة]

وهذه تسمية من شهد العقبة ، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين . هذا هو العدد المعروف ، وإن زاد في التفصيل على ذلك ، فليس ذلك بزيادة في الجملة ، وإنما هو لمحل الخلاف فيمن شهد ، فبعض الرواة يثبته وبعضهم يُثبت غيرَه بدلَه ، وقد وقع ذلك في غير موضع ، في أهل بدر وشهداء أحد ، وغير ذلك .

وهم من الأوس أحد عشر رجلاً[1] ، ثم من بني عبد الأشهل : أُسيد بن حُضير ، وأبو الهيثم مالك بن التَّيِّهان ، وسلَمة بن سلامة بن وَقْش بن زُغْبة بن زَعُوراء بن عبد الأشهل .

وسعد بن زيد بن عامر بن عمرو بن جُشم بن الحارث بن الخزرج ، وبنو جشم عدادهم في بني عبد الأشهل . شهد العقبة في قول الواقدي وحده وهو معدود في البدريين عند غيره . وقد اختلف في نسبه ، وهو عند ابن إسحاق : سعد بن زيد بن مالك بن عُبيد ابن كعب بن عبد الأشهل .

ومن بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : ظُهير بن رافع ابن عدي بن زيد بن جشم بن حارثة ، وأبو بردة هانىء بن نِيار بن عمرو بن عُبيد بن كِلاب بن دُهمان بن غنم بن ذُبيان بن هُميم بن كاهل بن ذُهْل بن هني بن بلي بن عمرو ابن الحاف بن قُضاعة حليف لهم ، وبُهيز[2] بن الهيثم بن نابي بن مَجْدَعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج – وبُهيز بالباء الموحدة عند بعضهم وبالنون عند آخرين – .

ومن بني عمرو بن عوف : سعد بن خيثمة ، ورفاعة بن عبد المنذر ، وعبد الله بن

---

(١) أحد عشر رجلاً : في « ب » و« ج » : وهم من الأوس ، ثم من بني عبد الأشهل أحد عشر رجلاً . وقد قدمناها لأن هذا العدد هو جملة من حضر من الأوس ، منهم ثلاثة نفر فقط من بني عبد الأشهل – علماً بأن المذكورين اثني عشر رجلاً ، وقد أرجع صاحب نور النبراس ذلك إلى سقوط اسم سعد بن زيد بن عامر من بعض النسخ الصحيحة المقروءة .

(٢) قال في نور النبراس : وعند بعضهم : نُهيز ، بالنون ، ثم قال : وأخطأ ابن عبد البر في الاستيعاب في جعلهما اسمين مختلفين لرجلين ، والصحيح رجل واحد مختلف في ضبط اسمه .

جُبير بن النعمان بن أمية بن البُرَك[1] ـ واسم البُرَك : امرىء القيس ـ بن ثعلبة بن عمرو ، ومعن بن عدي بن الجَدِّ بن العجلان بن ضُبَيْعة ، وعويم بن ساعدة .

ومن الخزرج ثم من بني النجار : أبو أيوب خالد بن زيد بن كُليب بن ثعلبة بن عبد ابن عوف ابن غنم بن مالك بن النجار ، ومعاذ بن عفراء ، وأخواه مُعَوِّذ وعوف ، وعمارة ابن حزم ابن زيد بن لَوْذان بن عمرو بن عبد عوف بن غَنْم بن مالك بن النجار ، وأسعد ابن زرارة ، والنعيمان بن عمرو بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن غنم عند الواقدي وحده .

ومن بني مبذولِ عامرِ بن مالك بن النجار : سهلُ[2] بن عتيك بن نعمان بن زيد بن معاوية بن عمرو بن عتيك بن عمرو بن عامر .

ومن بني حُدَيلة : أُبيُّ بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، وحُدَيلة أم معاوية بن عمرو ، وهي ابنة مالك بن زيد مناة بن حبيب ابن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشم بن الخزرج ، ولم يذكره ابن[3] إسحاق .

ومن بني مَغالة ؛ وهم بنو عدي بن عمرو بن مالك بن النجار : أوسُ بن ثابت بن المنذر بن حَرَام ، بن عمرو بن زيد مناة بن عدي ، وأبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود ابن حَرَام .

ومن بني مازن بن النجار : قيسُ بن أبي صعصعةَ عمرو بن زيد بن عوف بن مَبذول ابن عمرو بن غنم بن مازن ، وعمرو بن غَزِيّة بن عمرو بن ثعلبة بن خنساء بن مبذول . وابن هشام يقول : هو غزية بن عمرو بن عطية بن خنساء ، وغيرهما[4] يثبتهما معاً .

ومن بني الحارث بن الخزرج : عبدُ الله بن رَواحة ، وسعدُ بن الربيع ، وخارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرىء القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ،

(١) « واسم البُرك » سقطت من « أ » والمطبوع .

(٢) في « أ » و « ج » : سُهيل : قال الحافظ ابن حجر في الإصابة ٨٨/٢ : ووقع عند ابن الأثير : وقيل : سُهيل .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٥٧/١ ، بل ذكر مكانه رجلين آخرين هما : أوس بن ثابت ، وأبو طلحة زيد بن سهل . اللذين ذكرهما المؤلف منسوبين لبني مَغَالة .

(٤) وغيرهما : الظاهر أنه يعني ابن إسحاق وابن هشام ، وفي الإصابة : غزية بن عمرو بن ثعلبة بن الخنساء .

وبشير بن سعد بن ثعلبة بن خَلَّاس – بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام للدارقطني ، وبكسرها وتخفيف اللام عند غيره – ابن زيد مناة بن مالك الأغر ، وخلَّادُ بن سُويد ابن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرىء القيس بن مالك الأغر ، وعبدُ الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه بن زيد بن الحرث بن الخزرج . وبعضُهم يقول في زيد زيد مناة ، وابن عمارة يُسقط ثعلبة[1] . صاحبُ الأذان[2] .

ومن بني الأبجر : خُدرةَ بن عوف بن الحارث بن الخزرج : عبدُ الله بن ربيع بن قيس ابن عامر بن عبَّاد الأبجر . ومن بني أخيه خُدارة بن عوف : عقبةُ بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة بن عُسيرة بن عطية بن خُدارة بن عوف بن الحارث ، أبو مسعود وكان أحدثَهم سناً ، وابن إسحاق يسقط منه عطية ، وأسيرة عنده بالياء يسيرة ، وذكرها الدارقطني وأبو بكر الخطيب عن ابن إسحاق نسيرة بالنون المضمومة ، ووهَّم الأمير[3] ، وابنُ عبد البر من قال ذلك ، وأما ابن عقبة فقال أسيرة بفتح الهمزة ، وكذلك اختلفوا في تقييد عسيرة ، فمنهم من يفتح العين ويكسر السين ، ومنهم من يفتح السين ويضم العين . وخدارة : منهم من يقولها بالجيم ، ومنهم من يقولها بالخاء المعجمة ، والذين يقولونها بالجيم منهم من يضمُّها ومنهم من يكسرها .

ومن بني زريق[4] بن عبد حارثة : رافعُ بن مالك بن العجلان ، وذكوانُ بن عبد[5]

---

(١) يُسقط ثعلبة : فهو عنده : عبد الله بن زيد بن عبد ربه بن زيد .
وابن عُمارة : هو عبد الله بن محمد بن عُمارة بن القَدَّاح ، المديني ، نزيل بغداد ، لم يذكر فيه ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » تجريحاً ولا تعديلاً ، وقال الذهبي : أنصاري مدني أخباري ، مستور ، ما وثق ولا ضُعِّفَ . الجرح والتعديل ١٥٨/٥ ، وميزان الاعتدال ٤٨٩/٣ .

(٢) صاحبُ الأذان : قال ابن هشام ٤٥٩/١ : وهو الذي أُري النداء للصلاة ، فجاء به إلى النبي ﷺ ، فأمَرَ به ، والحديث رواه أبو داود في الصلاة (باب كيف الأذان) رقم /٤٩٩/ ، والترمذي في الصلاة (باب ما جاء في بدء الأذان) رقم /١٨٩/ ، وهو حديث صحيح .

(٣) الإكمال ، للأمير ابن ماكولا ، والاستيعاب ؛ لابن عبد البر ٤٢٩/٤ .

(٤) في السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٦٠/١ : ومن بني زُرَيق بن عامر بن زُريق بن عبد حارثة ..

(٥) هو ذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلّد بن عامر بن زُريق ، أخو الحارث الآتي ، كما جاء في السيرة الشامية ؛ للصالحي ٢٩٦/١ ، مع ملاحظة عدم إثبات المراجع كلمة « عبد » في نسب الحارث .

قيس ، وعبَّادُ بن قيس[1] بن عامر بن خالد بن عامر بنُ زريق . والحارثُ بن قيس بن خالد بن مخلد بن عامر بن زريق . وعند ابن الكلبي : خلدة بدل خالد .

ومن بني بياضة بن عامر بن زريق : زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سِنان بن عامر بن عدي ابن أمية بن بياضة ، وفروة بن عمرو بن وَدْفة[2] بن عُبيد بن عامر بن بياضة ، وخالد ابن قيس بن مالك بن العجلان بن عامر بن بياضة .

ومن بني سَلِمة ، ثم من بني عُبيد : البراءُ بن معرور ، وابنه بشر ، وسنانُ بن صيفي ابن صخر بن خنساء بن سنان بن عُبيد ، والطفيلُ بن النعمان بن خنساء بن سنان بن عُبيد ـ قال ابن سعد : لا أحسبه إلا وَهَلاً[3] ـ ومعقِل ويزيد ابنا المنذر بن سَرْح بن خُنَاس بن سِنان بن عُبيد ، ومسعودُ بن يزيد بن سُبيع بن خنساء بن سِنان بن عُبيد ، والضحاكُ بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عُبيد ، ويزيدُ بن خِذام ـ وبعضهم يقول حرام ـ بن سُبيع بن خنساء بن سِنان بن عُبيد ، وجَبَّارُ بن صخر بن أمية بن خنساء بن سِنان بن عُبيد ، ويقال خُنَاس . والطفيل بن مالك بن خنساء بن سِنان بن عُبيد .

ومن بني سلِمة أيضاً ، ثم من بني سَواد ، ثم من بني كعب بن سواد : كعبُ بن مالك بن أبي كعب بن القَيْن ، وعند غيره : كعبُ بن أبي كعب بن عمرو بن القين بن كعب بن سواد ، رجلٌ .

ومن بني غنم بن سواد : قُطْبةُ بن عامر بن حَدِيدة وأخوه يزيد ، وسُلَيم بن عمرو

---

(١) يبدو أن قيساً والدَ عبَّاد هذا سمَّاه أبوه عامر بن خالد باسم أخيه قيس بن خالد ، فعلى هذا يكون عبَّادٌ ابن ابن عم ذكوان والحارث (عامر) .

(٢) « وَدْفة » : كذا ورد في « ج » ومعناه في اللغة الروضة الخضراء ، وفي « د » والسيرة النبوية ٤٥٩/١ : وذفة ، من قولهم توذَّفَ في مشيته : إذا تبختر . وفي « أ » و « ب » والإصابة ٢٠٨/٥ : وَدْقَة ، ومعناه الروضة الخضراء أيضاً . والأول عن السُّهيلي في روضه ٢٨٢/١ هو الأصح .

(٣) « وَهَلاً » : وَهَلَ إلى الشيء يَوْهل ويَهِل : ذهب وهمه إليه وغلط فيه . وهو يريد الغلط الواقع في اسم أبي الطفيل ، فهو في السيرة الشامية ٢٩٩/٣ ، وهامش السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٦١/١ : الطفيل ابن مالك . وقد ذكرَه المؤلف وابن إسحاق في آخر بني سَلِمة كذلك .

ابن حَدِيدة ، وأبو اليَسَر كعب بن عمرو بن عبَّاد بن عمرو بن غنم ، وصيفيٌّ بن سواد ابن عباد المذكور ، خمسة .

ومن بني نابي بن عمرو بن سَواد : ثعلبةُ بن عَنمة بن عدي بن نابي وأخوه عمرو ، وعَبْسُ ابن عامر بن عدي بن نابي ، وخالد بن عمرو بن عدي بن نابي ، وعبد الله بن أُنيس بن أسعد بن حرام بن حَبيب بن مالك بن غنم بن كعب بن تيم بن بُهْثة بن ناشرة[١] بن يربوع ابن البَرْك بن وَبَرة . والبَرْك : دخل في جهينة حليف لهم – وعند أبي عمر[٢] : تيم بن نُفاثة بن إياس بن يربوع – خمسةٌ . وعامرُ بن نابي : أبو عقبة المذكور في العقبة الأولى ذكره ابن الكلبي ، وعُمير بن عامر بن نابي شهد المشاهد كلَّها ، قاله ابن الكلبي ، قال الدمياطي : ولم أرَ من تابعه على ذكر عُمير في الصحابة .

ومن بني سلِمة ثم من بني حَرَام : عبدُ الله بن عمرو بن حَرَامُ ، ابنه جابر ، وثابتُ ابن الجِذْع[٣] ثعلبةَ بن زيد بن الحارث بن حرام ، وعُمير – وقيل عمرو – بن الحارث ابن ثعلبة بن الحارث ابن حرام ، وابن هشام يقول : لِبْدة بدل ثعلبة . وعمرو بن الجموح ابن زيد بن حرام ، وابنه معاذ . ولم يذكر ابن إسحاق[٤] عَمْراً . وخَديجُ بن سلامة بن أوس بن عمرو بن كعب بن القُراقِر بن الضَّحْيَان أبو شُبَاث[٥] حليف لهم من قضاعة ، سبعة .

ومن بني أُدَيّ بن سعد أخي سَلِمة بن سعد : معاذُ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن أُدَيّ ، عداده في بني سَلِمة ؛ لأنه كان أخا سهل ابن محمد بن الجد بن قيس بن صخر بن سنان بن عُبيد لأمه .

ومن بني غنم بن عوف أخي سالم الحُبْلي[٦] : عبادة بن الصامت ، والعبَّاسُ بن عُبادة

---

(١) في السيرة الشامية ؛ للصالحي ٣/٢٩٩ : ناشزة .

(٢) الاستيعاب ، لابن عبد البر أبو عمر .

(٣) الجِذْعُ : هو ثعلبة بن زيد ، والجِذْعُ لقبه .

(٤) سبق أن ذكر المؤلف رحمه الله تعالى أن عمرو بن الجَمُوح ممن تأخر إسلامهم ص ٢٧٦ .

(٥) أبو شُبَاث : كنية خديج بن سلامة .

(٦) الحُبْلَى : هو لقب سالم بن غَنْم المذكور ، لُقّب بذلك لعظم بطنه ، وعُرف أولاده ببني الحُبْلى ، والنسبة إليهم حُبُلِّي ، بضم الباء ، على غير القياس .

ابن نَضْلة ، ويزيدُ بن ثعلبة البلوي حليفهم ، وعمرو بن الحارث بن لِبْدة بن عمرو بن ثعلبة ، ومالك بن الدُّخْشُم بن مالك بن الدُّخْشُم بن مِرْضَخة بن غَنْم ، وأبو معشر ينكر شهوده العقبة ، خمسةٌ ، وهم من القواقل .

ومن بني الحُبْلى سالم : رِفاعة بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن سالم ، وابنه مالك بن رِفاعة ، ذكره الأموي . وعقبةُ بن وَهْب بن كَلَدَة بن الجعد بن هلال بن الحارث بن عمرو بن عدي بن جشم بن عوف بن بُهْثة بن عبد الله بن غطفان بن سعد ابن قيس عيلان حليفٌ لهم ، ثلاثة .

ومن بني ساعدة : سعدُ بن عبادة ، والمنذرُ بن عمرو .

والمرأتان من بني مازن بن النجار : نَسِيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول ابن عمرو بن غَنْم بن مازن أمُّ عُمارة . ومن بني سلِمة : أمُّ مَنيع أسماءُ بنت عمرو بن عدي بن نابي .

قال أبو عمر : وقد ذكر بعض أهل السير فيهم أوس[1] بن عباد بن عدي في بني سلِمة .

ذكر فوائد تتعلق بخبر هذه العقبة

● قول البراء : نمنعك مما نمنع منه أزرَنا . العربُ تكني عن المرأة بالإزار ، وتكني به أيضاً عن النفس ، وتجعل الثوب عبارة عن لابسه ، ويحتمل هنا الوجهين . قاله السهيلي . قال : ومعروز معناه مقصود ، ورأيت بخط جدي[2] أبي بكر محمد بن أحمد رحمه الله : البراء في اللغة ممدود : آخر ليلة من الشهر وبها سمي البراء بن معرور ، وكانت العرب تسمي بما تسمعه حال ولادة المولود .

---

(١) قال في نور النبراس : اعلم أن أوساً هذا لم أرَ أحداً ذكره في الصحابة فضلاً عن أن يكون من أهل العقبة ، وقد راجعت الاستيعاب فلم أر ذلك فيه ، ولعله ذكره في غير الاستيعاب والله أعلم .

(٢) جدي : أي جد المؤلف وهو حافظ المغرب أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن سيد الناس الأندلسي اليعمري . انظر ترجمة ابن سيد الناس في أول الكتاب ص ٣٥ .

قلت : وابنه بشر بن البراء الذي سوَّده رسول الله ﷺ على بني سلِمة كما ذكر ابن إسحاق ، وكما أنبأنا محمد بن أبي الفتح الصُّوري بقراءة الحافظ أبي الحجاج المِزّي عليه وأنا أسمع ، أخبركم أبو القاسم بن الحرستاني قراءة عليه وأنتم تسمعون ؟ فأقرَّ به . أخبرنا أبو الحسن بن قبيس،أخبرنا أبو الحسن بن أبي الحديد ، أخبرنا جدي أبو بكر ، أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي ، حدثنا أبو بكر أحمد بن منصور الرمادي ، حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن الزهري ، عن ابن كعب بن[1] مالك ، أن رسول الله ﷺ قال لبني ساعدة : « من سيّدُكم ؟ قالوا : الجدُّ بن قيس . قال : بم سودتموه ؟ قالوا : إنه أكثرُنا مالاً ، وإنا على ذلك لنَزُنُّه[2] بالبخل . فقال النبيّ ﷺ وأي داءٍ أدوأُ من البخل ؟ قالوا : فمن ؟ قال : سيدكم بشر بن البراء بن معرور » .

وكان أولَ من استقبل الكعبة[3] حياً وميتاً ، وكان يُصلّي إلى الكعبة ورسول الله ﷺ يُصلِّي إلى بيت المقدس ، فأطاع النبيَّ ﷺ ، فلما حضره الموت قال لأهله استقبلوا بي الكعبة . كذا روينا في هذا الخبر .

وروينا عن عمرو بن دينار ومحمد بن المنكدر والشعبي من طريق ابن سعد[4] ؛ أن النبيَّ ﷺ ، قال : بل سيدكم الجعد الأبيض عمرو بن الجموح .

وذكره السهيلي[5] عن الزهري ، والذي وقع لنا عن الزهري كرواية ابن إسحاق[6] .
وأنشد أبو عمر في ذلك لشاعر الأنصار :

---

(١) قال سبط ابن العجمي : هذا الحديث مرسل وليس في الكتب الستة ، ولا أدري من عنى بابن كعب ابن مالك . وأولاد كعب بن مالك كلهم تابعيون .. ثم قال : اعلم أن كعب بن مالك له عدة أولاد رووا عنه ، وهم : عبد الله ، وعبد الرحمن ، ومحمد ، ومصعب ، وعبيد الله .. وروى عنه ابن ابنه : عبد الرحمن بن عبد الله ، والزهري ..

(٢) « لَنَزُنُّه » : من زنَّ يَزُنُّ : بمعنى اتهم ، وكذا : أَزَنَّ يُزِنُّ .

(٣) في « ب » و « ج » و « د » : القبلة .

(٤) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد .

(٥) الروض الأنف ٢/٢٠٢ .

(٦) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٤٦١ .

وقـــال رسولُ الله والحقُّ قولُـــه ... لمن قـال منـا مـن تعـدون سيّـدا
فقالوا له جدُّ بـن قـيس على التـي ... نُبَخِّلُـــه فيها ومـــا كان أسودا
فسوَّدَ عمرو بـنَ الجمـوحِ لجودِه ... وحُـقَّ لعمــروٍ بالنَّـدَى أن يُسَوَّدا

في أبيات[1] ذكرها .

وقد بقي علينا في الخبر الذي أسندناه آنفاً موضعان ينبغي التنبيه عليهما :

أحدهما : قوله لبني ساعدة ، وليس بشيء ، ليس في نسب هؤلاء ساعدة ، هم بنو سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج .

والثاني : قوله في بشر بن البراء ، وكان أوَّل من استقبل الكعبة حياً وميتاً ، وإنما ذلك أبوه البراء غيرَ شكٍّ . كذلك رويناه فيما سلف ، وكذلك رويناه عن أبي عَروبة ، حدثنا ابن شبيب ، حدثنا عبدُ الرزاق ، أخبرنا معمر ، قال : قال الزهري : البراءُ بن معرور أوّلُ من استقبل القبلة حياً وميتاً[2] .

وذكرُ يزيد بن خِزام ، هو عند ابن إسحاق وعند موسى بن عقبة : يزيد بن خدارة ، وعند أبي عمر : يزيد بن حرام .

ويزيد بن خزمة ـ بسكون الزاي عند ابن إسحاق وابن الكلبي ، وفتحَها الطبري ـ وهو يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عَمّارة ـ بفتح العين وتشديد الميم ـ .

وفروة بن عمرو بن وَدْفة ، عند ابن إسحاق بالذال المعجمة ، وقال ابن هشام بالدال المهملة ، ورجَّحه السهيلي ، وفسَّر الودفة بالروضة الناعمة .

● وقال[3] : وإنما جعلَ النبيُّ ﷺ النقباء اثني عشر اقتداءً بقوله سبحانه في قوم موسى ﴿ وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً ﴾ [المائدة : ١٢].

---

(١) الاستيعاب ؛ لابن عبد البر ٥٠٤/٢ .

(٢) رواه عبد الرزاق في مصنفه في الجامع رقم /٢٠٧٠٥/ عن معمر ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ... وانظر الإصابة ١٤٤/٣ .

(٣) وقال : أي السهيلي في الروض الأنف ٢٠٣/٢ .

● وقوله يا أهل الجباجب . يعني منازل منى .

● وأزبُّ العقبة : شيطان .

● وقوله : بل الدمُّ الدمُّ والهدْمُ الهدْمُ : قال ابن هشام : الهَدَم بفتح الدال ، وقال ابن قتيبة : كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار دمي دمك وهدَمي هَدَمُك ، أي ما هدمت من الدماء هدمته أنا . قال : ويقال أيضاً : بل اللدّم اللدّم والهدَم الهدَم ، وأنشد .

* ثم الحقي بهدَمي ولدَمي *

● فاللَّدمُ جمع لادم ، وهم أهله الذين يلتدمون عليه إذا مات ، وهو من لدمتُ صدَره إذا ضربتُه . والهدَم ، قال ابن هشام : الحرمةُ ، وإنما كنى عن حرمه الرجل وأهله بالهدَم ، لأنهم كانوا أهل نجعة وارتحال ، ولهم بيوت يستخفُّونها يوم ظَعَنِهم ، فكلما ظعنوا هدموها ، والهدَمُ بمعنى المهدوم ، كالقَبَض ، ثم جعلوا الهَدَم وهو البيت المهدوم ، عبارة عما حوى ، ثم قالوا : هَدَمي هَدمُك . أي رِحلتي مع رحلتك[1] .

* * *

(١) كذا في جميع النسخ ، وفي « أ » : راحلتي مع راحلتك .

ذكر الهجرة إلى المدينة

قال ابن إسحاق : فلما تمت بيعة هؤلاء لرسول الله ﷺ في ليلة العقبة ، وكانت سراً عن كفار قومهم وكفار قريش ، أمر رسول الله ﷺ من كان معه بالهجرة إلى المدينة . فخرجوا أرسالاً ، أوّلهم ـ فيما قيل ـ أبو سلمة بنُ عبد الأسد المخزومي ، وحُبست عنه امرأته أمّ سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بمكة نحو سنة ، ثم أذن لها بنو المغيرة الذين حبسوها في اللحاق بزوجها ، فانطلقت وحدَها مهاجرة ، حتى إذا كانت بالتنعيم لقيت عثمانَ بن طلحة أخا بني عبد الدار ، وكان يومئذ مشركاً ، فشيَّعَها حتى أوفى على قرية بني عمرو بن عوف بقباء ، قال لها : هذا زوجُك في هذه القرية ، ثم انصرف راجعاً إلى مكة ، فكانت تقول : ما رأيتُ صاحباً قط كان أكرمَ من عثمان بن أبي طلحة[1] .

وقد قيل : إن أول المهاجرين مصعب بن عمير . روينا عن أبي عروبة ، حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعتُ البراء يقول : كان أول من قدم المدينة من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير ، ثم عامر بن ربيعة حليفُ بني عدي بن كعب ، معه امرأته ليلى بنت أبي حَثْمة بن غانم[2] . قال أبو عمر : وهي أوَّل ظعينة دخلت من المهاجرات المدينة . وقال موسى بن عقبة : وأوّل امرأة دخلت المدينة أم سلمة .

ثم عبدُ الله بن جحش بن رئاب بأهله وأخيه عبدِ بن جحش أبي أحمد ، وكان ضريراً ، وكان منزلهما[4] ومنزل أبي سلمة وعامرٍ ، على مُبشِّر بن عبد المنذر بن زَنْبر بقباء في بني

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٤٦٨ ـ ٤٧٠ باختصار كبير .

(٢) حديث البراء هذا رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار (باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة) رقم /٣٩٢٤/ و/٣٩٢٥/ .

(٣) الاستيعاب ٤/٤٠٢ على هامش الإصابة .

(٤) « منزلهما » : أي نزولهما .

عمرو بن عوف .

قال أبو عمر : وهاجر جميع بني جحش بنسائهم ، فعدا أبو سفيان على دارهم فتملكها ، وكانت الفارعة بنت أبي سفيان بن حرب تحت أبي أحمد بن جحش . وزاد غيرُ أبي عمر : فباعها من عمرو بن علقمة أخي بني عامر بن لؤي ، فذكر ذلك عبد الله ابن جحش لما بلغه لرسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله : « ألا ترضى يا عبد الله أن يُعطيك الله بها داراً في الجنة خيراً منها ؟ قال : بلى ، قال : فذلك لك » . فلما افتتح رسولُ الله ﷺ مكة كلَّمه أبو أحمد في دارهم ، فأبطأ عليه رسول الله ﷺ ، فقال الناس لأبي أحمد : يا أبا أحمد ! إنَّ رسولَ الله ﷺ يكرهُ أن ترجعوا في شيء أُصيب منكم في الله . فأمسَكَ عن كلام رسول الله ﷺ[1] .

رجع إلى خبر ابن إسحاق :

وكان بنو غنم بن دُودان أهل إسلام قد أوعبوا[2] إلى المدينة مع رسول الله ﷺ هجرةً ؛ رجالُهم ونساؤهم .

عُكَّاشة بن مِحْصن بن حُرْثان بن قيس بن مرة بن كبير بن غَنْم بن دُودان بن أسد ابن خُزيمة أبو محصن ، حليفُ بني أمية . وأخوه عمرو بن مِحْصن . وشُجاع وعُقبة ابنا وَهْب بن ربيعة بن أسد بن صُهيب بن مالك بن كبير بن غنم بن دُودان بن أسد بن خزيمة . وأرْبَدُ بن جُميرة ، وقال ابن هشام : حُمَيْرة بالحاء ، وهو عند ابن سعد : حُمَيِّر . ومنقذ ابن نباتة بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد . وسعيد بن رُقَيْش . ومُحرز بن نَضْلة ابن عبد الله بن مرة بن كبير بن غنم . وزيد بن رُقَيْش . وقيس بن جابر . ومالك بن عمرو . وصفوان بن عمرو . وثَقْفُ بن عمرو حليفُ بني عبد شمس . وربيعةُ بن أكثم بن سَخْبَرَة ابن عمرو بن لُكَيْز بن عامر بن غَنْم بن دُودان بن أسد . والزبير بن عُبيدة . وتمَّام بن عبيدة . وسَخْبَرة بن عبيدة . ومحمد بن عبد الله بن جحش .

---

(١) قال سبط ابن العجمي : ذكر هذا الحديث سنداً ومتناً في كتاب « المؤتلف والمختلف » أبو الحسن الدارقطني . وانظر السيرة الشامية ، للصالحي ٣/٣١٥ .

(٢) « أوعبوا » : خرجوا جميعاً .

ومن نسائهم : زينب بنت جحش . وأمُّ حبيبة بنت جحش . وجُدَامة بنت جندل . وأمُّ قيس بنتِ محصن . وأم حبيب بنت ثُمامة . وآمنة بنت رُقَيْش . وسَخْبرة بنت تميم . وحَمْنة بنت جحش[1] .

وقال أبو عمر : ثم خرج عمرُ بن الخطاب ، وعيَّاشُ بن أبي ربيعة ، في عشرين راكباً ، فقدموا المدينة ، فنزلوا في العوالي في بني أمية بن زيد ، وكان يُصلّي بهم سالم مولى أبي حذيفة ، وكان أكثرُهم قرآناً ، وكان هشام بن العاصي بن وائل قد أسلمَ وواعدَ عمرَ بن الخطاب أن يهاجرَ معه ، وقال : تجدني أو أجدك عند أضاةِ[2] بني غِفار ، ففطن لهشام قومُه فحبسوه عن الهجرة . ثم إن أبا جهل والحارث بن هشام — ومن الناس من يذكر معهما أخاهما العاصي بن هشام — خرجا حتى قدما المدينةَ ، ورسول الله ﷺ بمكة ، فكلَّما عياشَ بن أبي ربيعة ، وكان أخاهما لأمهما وابن عمهما ، وأخبراه أن أمه قد نذرت أن لا تغسلَ رأسها ولا تستظلَّ حتى تراه ، فرقَّتْ نفسُه وصدَّقهما ، وخرج راجعاً معهما ، فكتَّفاه في الطريق وبلغا به مكة ، فحبساه بها إلى أن خلَّصه الله تعالى بعد ذلك بدعاء رسول الله ﷺ له في قنوت الصلاة : « اللهم أنجِ الوليدَ بن الوليد ، وسلمة بن هشام ، وعيَّاش ابن أبي ربيعة »[3] .

قال ابن إسحاق : فحدثني بعضُ آل عياش بن أبي ربيعة ؛ أنهما حين دخلا مكة ، دخلا به نهاراً مُوثَقاً ، ثم قالا : يا أهل مكة ، هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا هذا[4] .

قال ابن هشام : وحدثني من أثق به ، أن رسولَ الله ﷺ قال وهو بالمدينة : « من لي بعياش بن أبي ربيعة ، وهشام بن العاص ؟ » فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة : أنا لك

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٧٢/١ .
(٢) « أضاة » : كحَصَاة ، الغدير يجتمع من ماء المطر ، وهي على عشرة أميال ، شمال مكة .
(٣) الدرر في المغازي والسِّير ؛ لابن عبد البر ص ٧٧ .
وحديث دعاء النبي ﷺ في قنوت الصلاة رواه البخاري في كتاب الجهاد (باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة) رقم /٢٩٣٢/ .
(٤) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٧٥/١ .

يا رسولَ الله بهما . فخرج إلى مكة فقدمها مستخفياً ، فلقي امرأة تحمل طعاماً ، فقال لها : أين تريدين يا أمة الله ؟ قالت : أريد هذين المحبوسين – تعنيهما – فتبعها حتى عرفَ موضعهما ، وكانا محبوسين في بيتٍ لا سقفَ له ، فلما أمسى تسوَّرَ عليهما ، ثم أخذ مروة[1] فوضعها تحت قيديهما ، ثم ضربهما بسيفه فقطعهما ، فكان يُقال لسيفه : ذو المروة لذلك . ثم حملهما على بعيره ، وساق بهما ، فعثَرَ فدميت إصبعه ، فقال :

هل أنتِ إلا إصبعٌ دَميتِ ؟ وفي سبيلِ الله ما لقيتِ

ثم قدم بهما على رسول الله ﷺ المدينة[2] .

قال ابن إسحاق : ونزل عمرُ بن الخطاب حين قدم المدينة ، ومن لحق به من أهلِه وقومِه ، وأخوه زيد بن الخطاب ، وعمرو وعبدُ الله ابنا سراقة بن المعتمر بن أنس بن أداة ابن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب ، وخُنيس بن حُذافة السهمي – وكان صهرُه على ابنته حفصة بنت عمر بن الخطاب ، خَلَفَ عليها رسولُ الله ﷺ بعدَه – وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل ، وواقد بن عبد الله التميمي حليفٌ لهم ، وخَوْلِيّ بن أبي خَوْلي ، ومالك بن أبي خولي ، واسم أبي خولي عمرو بن زهير – قيل : جُعْفي ، وقيل : عِجْلِيّ وقيل غير ذلك – حليفان لهم ، وبنو البُكير أربعتُهم إياس وعاقل وعامر وخالد ، حلفاؤهم من بني سعد بن ليث : على رِفاعة بن عبد المنذر بن زنبر ، في بني عمرو بن عوف[3] بقباء ، وقد كان منزل عيَّاش بن أبي ربيعة معه عليه حين قدما المدينة[4] .

ثم تتابع المهاجرون ، فنزل طلحةُ بن عبد الله وصهيبُ بن سنان على خُبيب بن إساف ،

---

(1) « مروة » : حجر صُلب أبيض ، قد يقدح به النار .

(2) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٧٦/١ .

(3) سبق للمؤلف أن نقل عن أبي عمر ؛ أن عمرَ بن الخطاب وعياشاً خرجا مهاجرَيْن في عشرين راكباً ، ونزلوا في العوالي في بني أمية بن زيد ، وانظر « الدرر » ص ٧٧ .

(4) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٧٦/١ – ٤٧٧ . وانظر خبر هجرة صهيب في أسد الغابة ٣٠/٣ – ٣٣ .

ويقال : بل نزل طلحةُ على سعد بن زرارة أخي بني النجار ، كذا قال ابن سعد وإنما هو أسعد .

قال ابن هشام : وقد ذُكر لي عن أبي عثمان النهدي ، أنه قال : بلغني أن صُهيباً حين أراد الهجرةَ قال له كفار قريش : أتيتنا صُعلوكاً حقيراً ، فكثر مالك عندنا ، وبلغت الذي بلغتَ ، ثم تريدُ أن تخرج بمالك ونفسكَ ؟ لا والله لا يكون ذلك . فقال لهم صهيب : أرأيتم إن جعلتُ لكم مالي أتُخلون سبيلي ؟ قالوا : نعم . فقال : فإني قد جعلتُ لكم مالي . فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ ، فقال : « ربحَ صهيب ، ربحَ صهيب »[1] .

قال ابن إسحاق : ونزل حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة ، وأبو مَرثد كُنَّاز بن الحصين بن يربوع بن عمرو بن يربوع بن خَرَشة بن سعد بن طريف بن جِلَّان بن غنم ابن غني بن يَعصر الغنوي ، كذا ذكره أبو عمر عن ابن إسحاق . وأما ابن الرُّشاطي[2] فقال : حصين بن عمرو بن يَربوع بن طريف بن خَرشة بن عُبيد بن سعد بن عوف بن كعب بن جيلان بن غنم بن غنيّ . وابنُه مرثد . وأَنسة ، وأبو كبشة ؛ مولياً رسول الله ﷺ : على كلثوم بن هدم ، أخي بني عمرو بن عوف بقباء ، ويقال : بل نزلوا على سعد بن خيثمة . ويقال : بل نزل حمزة بن عبد المطلب على أسعد بن زرارة .

ونزل عُبيدة بن الحارث وأخواه الطفيل والحصين ومِسطح بن أُثاثة ــ واسمه عمرو ابن أُثاثة ــ بن عباد بن المطلب بن عبد مناف بن قصي ، وسويبط بن سعد بن حُريملة ، وطُليب بن عُمير ، وخبَّاب مولى عتبة بن غزوان : على عبد الله بن سلمة ، أخي بني العجلان بقباء .

ونزل عبدُ الرحمن بن عوف في رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع .

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٧٧/١ .

(٢) ابن الرُّشاطي : هو عبد الله بن علي بن عبد الله اللخمي الأندلسي ، أبو محمد ، عالم بالأنساب والحديث ، من كتبه « اقتباس الأنوار والتماس الأزهار ، في أنساب الصحابة ورواة الآثار » قال ابن كثير : هو من أحسن التصانيف الكبار . استشهد بالمرية عند تغلب الروم عليها عام ٥٤٢ هـ . الأعلام ١٠٥/٤ .

ونزل الزبيرُ بن العوام وأبو سبرة بن أبي رُهم على منذر بن محمد بن عقبة بن أُحيحة ابن الجُلاح .

ونزل مصعبُ بن عمير على سعد بن معاذُ .

ونزل أبو حذيفة بن عتبة ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وعتبة بن غزوان ، على عبَّاد ابن بشر بن وَقْش .

ونزل عثمانُ بن عفان على أوس بن ثابت أخي حسان .

ويقال : نزل الأعزابُ من المهاجرين على سعد بن خيثمة ، وذلك أنه كان عَزَباً[1] .

وأقام رسولُ الله ﷺ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يُؤذن له في الهجرة ، ولم يتخلّف معه أحدٌ من المهاجرين ، إلا من حُبس أو افتتن ؛ إلا عليُّ بن أبي طالب وأبو بكر ، وكان أبو بكر كثيراً ما يَستأذن رسولَ الله ﷺ في الهجرة ، فيقولُ له : لا تعجلْ ، لعلَّ الله أن يجعلَ لك صاحباً ، فيطمعُ أبو بكر أن يكون هو[2] .

ذكر يوم الزحمة

قال ابن إسحاق : ولما رأت قريش أن رسولَ الله ﷺ قد كانت له شيعة وأصحاب من غيرهم ، بغير بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا مَنَعة ، فحذِروا خروجَ رسول الله ﷺ إليهم ، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم ، فاجتمعوا له في دار الندوة ، وهي دار قُصيٍّ بن كلاب ، التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها ، يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ حين خافوه . فحدثني من لا أتهم من أصحابنا ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مُجاهد بن جَبْر أبي الحجاج وغيره ممن لا أتهم ، عن عبد الله بن عباس ، قال : لما اجتمعوا لذلك واتّعدوا أن يدخلوا دارَ الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله ﷺ ، غدوا في اليوم الذي اتّعدوا له ، وكان ذلك

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٤٧٨ ـ ٤٨٠ .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٤٨٠ وفيها : فيطمع أبو بكر أن يكونه .

اليوم يُسمَّى يوم الزحمة ، فاعترضهم إبليس لعنه الله في هيئة شيخ جليل عليه بَتٌ[1] له ، فوقف على باب الدار ، فلما رأوه واقفاً على بابها قالوا : من الشيخ ؟ قال : شيخ من أهل نجد[2] سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون ، وعسى أن لا يُعْدِمَكم منه رأياً ونصحاً . قالوا : أجل فادخلْ ، فدخلَ معهم ، وقد اجتمع فيها أشراف قريش من بني عبد شمس : عُتبة بن ربيعة ، وشيبةُ بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب . ومن بني نوفل ابن عبد مناف : طُعيمة بن عدي ، وجُبير بن مطعم ، والحارث بن عمرو بن نوفل . ومن بني عبد الدار بن قُصيّ : النضر بن الحارث بن كَلَدةَ . ومن بني أسد بن عبد العزى : أبو البَخْتري بن هشام ، وزَمْعة بن الأسود ، وحكيم بن حِزام . ومن بني مخزوم : أبو جهل بن هشام . ومن بني سهم : نُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحجاج . ومن بني جُمحَ : أمية بن خلف . ومن كان منهم وغيرهم ممن لا يُعَدُّ من قريش .

فقال بعضُهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم ، وإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأياً . قال : فتشاوروا ، ثم قال قائل منهم : احبسوه في الحديد ، وأغلقوا عليه باباً ، ثم تربصوا به ما أصابَ أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبلَه زهير والنابغة ، ومن مضى منهم من هذا الموت ، حتى يصيبَه ما أصابهم . قال الشيخ النجدي : لا والله ما هذا لكم برأي ، والله لو حبستموه كما تقولون ليخرجنَّ أمرُه من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه ، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ، ثم يُكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا لكم برأي ، فانظروا إلى غيره . فتشاوروا ، ثم قال قائل منهم : نُخرجه من بين أظهرنا ، فننفيه من بلادنا ، فإذا

---

(١) « بتٌّ » : الكساء الغليظ من صوف جيد أو خز ، يُلبسُ كالعباءة ، فيدل على المكانة والشرف ، وجمعه بتوت ، قال الراجز في معرض فخره :

مـــن كان ذا بتٌّ فهـــذا بَتِّـــي ... مقيّـــظٌ مُصَيِّـــفٌ مُشَتِّـــي

نسجتـــهُ مـــن نَعَجَـــاتٍ ست ... سودٍ سمانٍ مـــن نعجـــات الـــدَّشْتِ

والدست : الأرض الواسعة .

(٢) قال السهيلي في « الروض الأنف » ١/٢٩١ : وإنما قال لهم : إني من أهل نجد — فيما ذكر بعضُ أهل السير — لأنهم قالوا : لا يدخلنَّ معكم في المشاورة أحد من أهل تِهامة ؛ لأن هواهم مع محمد .

خرجَ عنا ، فوالله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع إذا غاب عنا وفرغنا منه ، فأصلحنا أمرنا وأُلفتنا كما كانت . قال الشيخ النجدي : والله ما هذا لكم برأي ألم تروا حسنَ حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ، والله لو فعلتم ذلك ما أمنتُ أن يَحُلَّ على حيٍّ من العرب ، فيغلب بذلك عليهم من قوله وحديثه ، حتى يُتَابعوه عليه ، ثم يسيرُ بهم إليكم ، حتى يطأكم بهم ، فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد ، أديروا فيه رأياً غير هذا . قال : فقال أبو جهل بن هشام : والله إن لي فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعدُ . قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتًى شاباً جَلْداً نسيباً وسيطاً ، ثم نعطي كلَّ فتى منهم سيفاً صارماً ، ثم يعمَدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه ، فنستريحَ منه ؛ فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرَّقَ دمُه في القبائل جميعاً ، فلم يقدرْ بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ، فيرضوا منّا بالعقل[1] ، فعقلناه لهم . قال : يقول الشيخ النجدي : القولُ ما قال هذا الرجل ، هذا الرأيُ ولا رأيَ غيره . فتفرق القومُ على ذلك وهم مجمعون له .

فأتى جبريلُ رسولَ الله ﷺ فقال : لا تبتْ هذه الليلة على فِراشك الذي كنتَ تبيتُ عليه . قال : فلما كانت عَتمةٌ من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام ، فيثبون عليه ، فلما رأى رسول الله ﷺ مكانَهم قال لعلي بن أبي طالب : نم على فراشي وتسجَّ[2] ببردي هذا الحضرمي الأخضر ، فنم عليه ، فإنه لن يخلُص إليك شيء تكرهه منهم . وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك إذا نام[3] .

فحدثني يزيدُ بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : لما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل بن هشام ، فقال وهم على بابه : إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوكَ العرب والعجم ، ثم بُعثتم من بعد موتكم ، فجُعلت لكم جنانٌ كجنان الأردن ، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ، ثم بُعثتم من بعد موتكم ، فجُعلت لكم نارٌ تُحرقون فيها .

---

(١) « بالعقل » : بإعطاء الدية ، وأصلها من عَقْل إبل الدية بِفناء ولي أمر المقتول .
(٢) « تسجَّى » : تغطَّى .
(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٤٨٠ — ٤٨٣ .

قال : وخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخذَ حفنةً من تراب في يده ، ثم قال : نعم أنا أقول ذلك ، وأنت أحدُهم . وأخذ الله أبصارَهم عنه فلا يرونه ، فجعل ينثر ذلك الترابَ على رؤوسهم ، وهو يتلو هذه الآيات ﴿ يٓس . والقرآن الحكيم . إنك لمن المرسلين . على صراط مستقيم ﴾ إلى قوله : ﴿ فأغشيناهم فهم لا يُبصرون ﴾ [يس : ١ — ٩] حتى فرغ رسولُ الله ﷺ من هذه(١) الآيات ، ولم يبق منهم رجلٌ إلا وقد وضع على رأسه تراباً ، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهبَ ، فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم ، فقال : وما تنتظرون ها هنا ؟ قالوا : محمداً . قال : قد خيَّبكم اللهُ ، قد والله خرجَ عليكم محمدٌ ، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضعَ على رأسه تراباً وانطلق لحاجته ، أفما ترون ما بكم ؟ قال : فوضعَ كلُّ رجل منهم يدَه على رأسه فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يَطَّلعون ، فيرون علياً على الفراش متسجِّياً ببرد رسول الله ﷺ فيقولون : والله إن هذا لمحمد نائماً ، عليه برده ، فلم يزالوا كذلك حتى أصبحوا(٢) ، فقام عليٌّ عن الفراش . فقالوا : والله لقد صدقنا الذي كان حدثنا .

فكان مما أنزل الله من القرآن في ذلك : ﴿ وإذ يمكرُ بك الذين كفروا ليُثْبتوكَ أو يقتلوك أو يُخرجوك ويمكرونَ ويمكرُ الله والله خيرُ الماكرين ﴾ [الأنفال : ٣٠] وقول الله تعالى : ﴿ أم يقولون شاعرٌ نتربَّص به ريبَ المَنُون . قلْ تربَّصُوا فإني معكم من المتربصين ﴾(٣) [الطور : ٣٠ — ٣١] .

* * *

---

(١) كذا في « أ » وفي « ج » والسيرة النبوية ٤٨٣/١ : هؤلاء .

(٢) قال سبط ابن العجمي : إن قيل : ما المانع لهم من اقتحام الجدار عليه في الدار مع قصر الجدار ، وقد جاؤوا لقتله ؟ قيل : ذكر بعضُ أهل السير في الخبر أنهم هَمُّوا بالولوج عليه ، فصاحت امرأة من الدار . فقال بعضهم لبعض : إنها لسُبَّةٌ في العرب أن يُحَدَّث عنا أنَّا تسوّرنا الحيطانَ على بنات العمّ وهتكنا ستر حرمتنا ، فهذا الذي ألزمَهم الباب حتى أصبحوا .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٨٣/١ — ٤٨٤ ، وهذا الخبر عن محمد بن كعب القرظي لم يسنده إلى صحابي ، فهو مرسل .

ذكر فوائد تتعلق بهذه الأخبار

● قوله : بقباء هو مسكن بني عمرو بن عوف ، على فرسخ من المدينة ، ويُمدُّ ويُقصر ، ويؤنث ويذكر ، ويُصرف ولا يصرف .

● **وذكرَ** في مهاجري بني دودان بن أسد : بناتِ جحش بن رئاب ، وهن : زينب ، وكان اسمُها بَرَّة ، فسمَّاها رسولُ الله ﷺ زينب ، وهي التي كانت عند زيد ابن حارثة ، ونزلت فيها ﴿ فلما قَضَى زيدٌ منها وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ [الأحزاب : ٣٧] . وحمنةُ بنتُ جحش ، وهي التي كانت تحت عبد الرحمن بن عوف . وأم حبيبة ، وقال السهيلي : أم حبيب وحكاه أبو عمر ، وقال : هو قول أكثرهم ، وكان شيخُنا الحافظ أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطي رحمه الله يقول : أم حبيب حبيبة ، وأما الحافظ أبو القاسم بن عساكر فعنده أم حبيبة ، واسمها حمنة ، فهما اثنتان – على هذا – فقط . ولم أجد في جمهرة ابن الكلبي وكتاب أبي محمد بن حزم في النسب غير زينب وحمنة ، والسهيلي يقول : كانت زينبُ عند زيد بن حارثة ، وأم حبيب تحت عبد الرحمن بن عوف ، وحمنة تحت مُصعب بن عمير . وقال : ووقع في الموطأ وَهَم أن زينبَ كانت تحت عبد الرحمن بن عوف ، ولم يقلْه أحد ، والغلط لا يسلم منه بشر ، غير أن شيخنا أبا عبد الله محمد بن نجاح ، أخبرنا : أن أم حبيب كان اسمُها زينب ، فهما زينبان ، غلبت على إحداهما الكنية ، فعلى هذا لا يكون في حديث الموطأ وهم .

● **وذكرَ** جدامةَ بنت جندل – وهي بالدال المهملة ، ومن أعجمَها فقد صحف – قال السهيلي : وأحسبُها جُدامة بنت وهب . قلت : جدامة بنت جندل غير معروفة ، والذي ذكره أبو عمر جدامة بنت وهب ، أسلمت بمكة وهاجرت مع قومها إلى المدينة لا يُعرف غير ذلك .

● **وذَكر** في المهاجرين مُحرزَ بن نَضْلة . وابن عُقبة يقول فيه : محرز بن وهب .

● **وذَكر** في خبر يوم الزحمة : تشاورَ قريشٍ في أمره عليه السلام ، ولم يسمِّ المشيرين ، وكان الذي أشار بحبسه أبو البختري بن هشام ، والذي أشار بإخراجه ونفيه هو أبو الأسود ربيعةُ بن عُمير ، أخو بني عامر بن لؤي ، ذكره السهيلي عن ابن سلَّام .

أحاديث الهجرة وتوديع رسول الله ﷺ مكة

قرأت على أبي حفص عمر بن عبد المنعم بعربيل من غوطة دمشق ، أخبركم أبو القاسم عبد الصمد بن محمد الأنصاري حضوراً في الرابعة ، أخبرنا أبو الحسن السلمي ، أخبرنا أبو نصر الحسين بن محمد بن أحمد بن طَلَّاب الخطيب ، قال : أخبرنا ابن جميع ، حدثنا إبراهيم بن معاوية ، حدثنا عبدُ الله بن سليمان ، حدثنا نصر بن عاصم ، حدثنا الوليد ، حدثنا طلحة ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « والله إني لأخرجُ منكِ وإني لأعلم أنك أحبُّ بلاد الله إلى الله ، وأكرمُها على الله ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجتُ منك »[1] .

وكان أبو بكر يستأذنُه عليه الصلاة والسلام في الهجرة فيثبطه ليكونَ معه من غير أن يصرِّحَ له بذلك ؛ كما أخبرنا الإمام أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المقدسي بقراءة والدي عليه وأنا حاضر في الرابعة ، وأبو عبد الله محمد بن عبد المؤمن بقراءتي عليه بظاهر دمشق ، قالا : أخبرنا ابنُ ملاعب ، أخبرنا الأرموي ، أخبرنا يوسف بن محمد بن أحمد ، أخبرنا أبو عمر بن مهدي ، أخبرنا ابن مخلد ، حدثنا ابن كرامة ، حدثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : استأذنَ أبو بكر في الخروج من مكة حين اشتدَّ عليه الأذى ، فقال له رسول الله ﷺ : أقم . فقال : يا رسول الله ! أتطمعُ أن يُؤذن لك ؟ فيقول : إني لأرجو ذلك . فانتظره أبو بكر ، ثم أتى رسولُ الله ﷺ ذات يوم ظهراً ، فناداه ، فقال : أخرجْ مَنْ عِندَك . فقال : يا رسولَ الله إنما هما ابنتاي . قال : أشَعْرتَ[2] أنه قد أُذن لي في الخروج ؟ فقال : يا رسولَ الله ! الصحبة . فقال : الصحبةَ . قال : يا رسول الله ! عندي ناقتان قد أعددتُهما للخروج ، فأعطى النبيَّ ﷺ إحداهما

---

(١) قال في نور النبراس : هذا الحديث ليس في الكتب الستة ولا أحدها .. وذكر في إسناده طلحة بن عمرو المكي ، روى عن سعيد بن جبير وعطاء ، ضعفوه ، وكان واسع الحفظ ، أخرج له ابن ماجه ، توفي سنة ١٥٢ هـ . وانظر ميزان الاعتدال ٢/٣٤٠ .

(٢) « أشعرتَ » : أعلمتَ .

ـ وهي الجدعاء ـ فركبها ، فانطلقا حتى أتيا الغار ، وهو بثور ، فتواريا فيه ، وكان عامرُ بن فُهيرة غلاماً لعبد الله[(١)] بن الطفيل ، وهو أخو عائشة[(٢)] لأمها ، وكانت لأبي بكر منحة[(٣)] فكان يروح بها ويغدو عليها ، ويُصبح فيُدلج إليهم ، ثم يَسرح ولا يفطن له أحد من الرعاء ، فلما خرجا خرج معهما يُعقبانه ، حتى قدم المدينة ، فقُتِلَ عامر بن فهيرة يوم بئر معونة[(٤)] .

حديث الغار

قرأت على أبي الفتح الشيباني بدمشق ، أخبركم الحسن بن علي بن الحسين بن الحسن ابن محمد بن البن الأسدي قراءة عليه وأنت تسمع ، قال : أخبرنا جدي ، قال : أخبرنا أبو القاسم بن أبي العلاء ، أخبرنا ابن أبي النصر ، أخبرنا خيثمة ، حدثنا عبد الله بن أحمد الدورقي ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا عون بن عمرو القيسي أخو رِياح القيسي ، حدثنا أبو مصعب المكي ، قال : أدركت أنسَ بن مالك وزيدَ بن أرقم والمغيرة بن شعبة ، فسمعتُهم يتحدثون : أن النبيَّ ﷺ ليلةَ الغار أمرَ الله شجرةً فنبتت في وجه النبي ﷺ فسترته ، وأمرَ الله حمامتين وحشيتين فوقفتا بفم الغار ، وأقبل فِتيانُ قريش من كل بطن بِعِصيّهم وهَراويهم وسيوفهم ، حتى إذا كانوا من النبي ﷺ على أربعين ذراعاً ، تعجل بعضهم ينظر في الغار فلم ير إلا حمامتين وحشيتين بفم الغار ، فرجع إلى أصحابه ، فقالوا له : ما لك ؟ قال : رأيتُ حمامتين وحشيّتين فعرفتُ أنه ليس فيه أحد ، فسمعَ النبيُّ ﷺ

---

(١) قال سبط ابن العجمي في « نور النبراس » ما خلاصته : كذا وقع في غزوة الرجيع من البخاري ، وصوابه : الطفيل بن عبد الله ، وقد كان أبو بكر اشترى عامراً من الطفيل وأعتقه .

(٢) أي : الطفيل . وكان أبوه عبد الله بن الحارث بن سخبرة قدم هو وزوجته أم رومان إلى مكة وسكنها حليفاً لأبي بكر ، فولدت له أم رومان الطفيل ؛ ثم توفي ، فخلفه عليها أبو بكر ، وأنجب منها عبد الرحمن وعائشة ، فهما أخوا الطفيل لأمه .

(٣) « منحة » : القطعة من الغنم .

(٤) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب غزوة الرجيع) رقم /٤٠٩٣/ ، والمؤلف رحمه الله تعالى رواه بإسناده لما فيه من البدل ، وهو إسناد عال ، فتأمله .

ما قال ، فعرف رسولُ الله ﷺ أن الله عز وجل قد درأ عنه[1] .

حديث الهجرة وخبر سُراقة بن مالك بن جُعْشُم

روينا من طريق البخاري ، حدثنا يحيى بن بُكير ، حدثنا الليث ، عن عقيل ، قال ابن شهاب ، فأخبرني عروة بن الزبير أن عائشة زوجَ النبيّ ﷺ قالت : لم أعقلْ أبوي إلا وهما يدينان الدينَ ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسولُ الله ﷺ طرفي النهار بكرة وعشيّة ، فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة ، حتى إذا بلغَ بَرْكَ[2] الغِماد لقيه ابن الدُّغنّة ، وهو سيد القارة[3] ، فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟ قال أبو بكر : أخرجني قومي ، فأريدُ أن أسيحَ في الأرض ، فأعبدَ ربي . قال ابن الدُّغنة : فإن مثلك يا أبا بكر لا يَخرجُ ، ولا يُخرَجُ ، إنك تُكسب المعدومَ ، وتصل الرحمَ ، وتحمل الكلَّ ، وتَقري الضيفَ ، وتعينُ على نوائب الحق ، فأنا لك جار ، فارجع فاعبدْ ربَّك ببلدك . فرجع وارتحل مع ابن الدغنة ، فطاف ابن الدغنة عشيّة في أشراف قريش ، فقال لهم : إن أبا بكر لا يَخرجُ مثلُه ولا يُخرج ، أتُخرجون رجلاً يُكسب المعدومَ ، ويَصل الرحم ، ويحمل الكلَّ ويَقري الضيفَ ، ويُعين على نوائب الحق . فلم تكذِّب قريش بجوار ابن الدغنة . وقالوا لابن الدُّغنّة : مر أبا بكر فليعبدْ ربَّه في داره ، فليصلِّ فيها وليقرأ ما شاء ، ولا يؤذنا بذلك ، ولا يستعلن به ، فإنا نخشى أن يفتنَ نساءَنا وأبناءَنا . فقال ذلك ابنُ الدغنة لأبي بكر .

فلبث أبو بكر بذلك يعبُدُ ربَّه في داره ولا يستعلنُ بصلاته ولا يقرأُ في غير داره .

---

(١) حديث الغار رواه ابن سعد ٢٢٩/١ ، وأبو نُعيم في دلائل النبوة ، والبيهقي في دلائل النبوة ٤٨٢/٢ وابن عساكر ، كلهم عن أبي مُصعَب المكي . وفي سنده عون بن عمرو منكر الحديث مجهول ، وذكر الذهبي له حديثين ، الثاني منهما هذا الذي ذكره المؤلف . وقال : أبو مُصعب لا يُعرف . انظر ميزان الاعتدال ٣٠٦/٣ ــ ٣٠٧ ، والسيرة الشامية ٣٣٩/٣ ــ ٣٤٠ .

(٢) « بَرك الغِماد » : موضع على خمس ليالٍ من مكة إلى جهة اليمن . وقال البكري : هي أقاصي هجر .

(٣) « القارة » : بتخفيف الراء ، قبيلة مشهورة من بني الهُون بن خزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضر ، وكانوا حلفاء بني زُهرة من قريش .

ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفناء داره ، فكان يُصلي فيه ويقرأُ القرآن ، فيتقصَّفُ[1] عليه نساء المشركين وأبناؤهم ، وهم يعجبون منه ، وينظرون إليه . وكان أبو بكر رجلاً بكَّاء ، لا يملكُ عينيه إذا قرأ القرآن ، فأفزع ذلك أشرافَ قريش من المشركين ، فأرسلوا إلى ابن الدُّغنّة ، فقدم عليهم ، فقالوا : إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبدَ ربَّه في داره ، فقد جاوز ذلك ، فابتنى مسجداً بفناء داره ، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه ، وإنا قد خشينا أن يفتنَ نساءَنا وأبناءَنا بهذا ، فإن أحبَّ أن يقتصرَ على أن يعبدَ ربَّه في داره فعل ، وإن أبى إلا أن يُعلنَ بذلك فسله أن يردَّ إليك ذمّتك ، فإنا قد كرهنا أن نُخْفِرَكَ ، ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان .

قالت عائشة : فأتى ابن الدُّغنّة إلى أبي بكر فقال : قد علمتَ الذي عاقدتُ لك عليه ، فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترجعَ إليَّ ذمتي ، فإني لا أحب أن تسمع العربُ أني أُخفِرتُ في رجل عقدت له . فقال له أبو بكر : فإني أردُّ إليك جوارَك وأرضى بجوار الله . والنبيُّ ﷺ يومئذ بمكة ، فقال النبي ﷺ للمسلمين : إني أُريت دارَ هِجرتكم ذات نخل بين لابتين ، وهما الحرتان ، فهاجر من هاجر قِبل المدينة ، ورجعَ عامةُ من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة ، وتجهَّز أبو بكر قِبل المدينة . فقال له رسول الله ﷺ : على رِسْلك ، فإني أرجو أن يُؤذن لي . فقال أبو بكر : هل ترجو ذلك بأبي أنت ؟ قال : نعم . فحبسَ أبو بكر نفسَه على رسول الله ﷺ ليصحبَه ، وعلف راحلتين عندَه ورق السَّمُرِ ــ وهو الخَبْطُ ــ أربعةَ أشهر .

قال ابن شهاب : قال عروة : قالت عائشة : فبينا نحن جلوس يوماً في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة ، قال قائل لأبي بكر : هذا رسول الله ﷺ متقنعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها . فقال أبو بكر : فدى له أبي وأمي ، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمرٌ . قالت : فجاء رسول الله ﷺ ، فاستأذن ، فأُذِن له ، فدخل ، فقال النبيُ ﷺ لأبي بكر : أخرجْ مَن عندك . فقال أبو بكر : إنما هم أهلُك بأبي أنت يا رسول الله . قال : فإنه قد أُذن لي في الخروج . فقال أبو بكر : الصحابةَ بأبي أنت يا رسول الله ؟ قال رسول الله ﷺ :

---

(١) « فيتقصّف عليه » : يزدحمون عليه حتى يسقط بعضُهم على بعض .

نعم . قال أبو بكر : فخذ بأبي أنت يا رسولَ الله إحدى راحلتي هاتين . قال رسولُ الله ﷺ : بل بالثمن . قالت عائشة : فجهزناهما أحثَّ الجَهاز ، وصنعنا لهما سفرةً في جِراب ، فقطعت أسماء بنتُ أبي بكر قطعةً من نِطاقها فربطت به على فم الجِراب فبذلك سميت ذاتُ النطاقين . قالت : ثم لحق رسولُ الله ﷺ وأبو بكر بغارٍ في جبل ثور ، فمكثا فيه ثلاثَ ليال يبيتُ عندهما عبدُ الله بن أبي بكر ، وهو غلام شابٌّ ثَقِفٌ لَقِن[1] ، فيدلج من عندهما بسحر ، فيُصبح مع قريش بمكة كبائت ، فلا يسمعُ أمراً يُكادان[2] به إلا وعاه ، حتى يأتيهما بخبر ذلك[3] حين يختلط الظلام ، ويرعى عليهما عامرُ بن فهيرة مولى أبي بكر مِنْحة من غنم ، فيريحها عليهما حين تذهبُ ساعة من العشاء ، فيبيتان في رِسْل — وهو لبنُ منحتهما ورضيفُهما[5] — حتى ينعِق[6] بهما عامرُ بن فهيرة بغلَس ، يفعلُ ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث . واستأجر رسولُ الله ﷺ وأبو بكر رجلاً[7] من بني الدِّيل — وهو من بني عبد بن عدي — هادياً خِرِّيتاً — والخِرِّيت : الماهر بالهداية — قد غمسَ[8] حِلفاً في آل العاص بن وائل السهمي ، وهو على دين كفار قريش ، فأمِنَاه ، فدفعا إليه راحلتيهما ، وواعداه غارَ ثور بعد ثلاث ليال ، فأتاهما براحلتيهما صبحَ ثلاث ، وانطلق معهما عامرُ بن فُهيرة والدليل ، فأخذ بهم على طريق السواحل[9] .

---

(١) « ثقِفٌ لَقِنٌ » : ذو فطنة وذكاء .

(٢) « يُكادان » : وفي رواية « يكتادان » ، وكلاهما من الكيد ، وهو طلب المكروه لهما .

(٣) كذا في «أ» والبخاري ، أما في بقية النسخ : حتى يأتيهما بخبر ذلك اليوم .

(٤) « رِسْل » : الرِّسْل : اللبن الطري .

(٥) « رَضيفهما » : الرَّضيف : اللبن المحمَّى بالرَّضْف ، وهي الحجارة المحمَّاة بالنار أو الشمس ، يُفعل به ذلك لتزولَ رخاوته .

(٦) « ينعِق بهما » : يسمعهما صوته إذا زجر غنمه .

(٧) هو عبد الله بن أُريقط ؛ كما في السيرة النبوية .

(٨) « غمسَ حِلْفاً » : كان حليفاً لهم ، وكان العربُ إذا تحالفوا غمسوا أيمانهم في دمٍ أو طيب ، أو شيء يكون فيه تلويثٌ للأيدي ، فيكون ذلك تأكيداً للحلف .

(٩) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار (باب هجرة النبي ﷺ) رقم /٣٩٠٥/ .

قال ابنُ شهاب : وأخبرني عبدُ الرحمن بن مالك المُدْلِجيّ ـ وهو ابن أخي سُراقة ابن مالك بن جُعشم ـ أن أباه أخبره ، أنه سمع سراقةَ بن مالك بن جُعشم يقول : جاءنا رسلُ كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتلَه أو أسَرَه ، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مُدلج ، أقبل رجلٌ منهم حتى قام علينا ، ونحن جلوس ، فقال : يا سراقةُ ! إني قد رأيت آنفاً أسوِدةً[1] بالساحل ، أراها محمداً وأصحابَه . قال سراقة : فعرفت أنهم هم . فقلت له : إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيتَ فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا . ثم لبثتُ في المجلس ساعةً ، ثم قمت فدخلتُ ، فأمرت جاريتي أن تخرجَ بفرسي ، وهي من وراء أُكَمَةٍ فتحبسَها علي ، وأخذتُ رمحي ، فخرجتُ به من ظهر البيت ، فخططتُ بزجِّه[2] وخفضت عاليه ، حتى أتيتُ فرسي فركبتُها ، فرفعتها تُقرِّبُ[3] بي ، حتى دنوتُ منهم ، فعثرتْ بي فرسي فخرَرْت عنها ، فقمتُ فأهويتُ بيدي إلى كنانتي ، فاستخرجتُ منها الأزلام[4] ، فاستقسمتُ بها : أضرُّهم أم لا ؟ فخرج الذي أكره ، فركبتُ فرسي ـ وعصيتُ الأزلامَ ـ تُقرِّبُ بي ، حتى إذا سمعتُ قراءةَ رسول الله ﷺ وهو لا يلتفتُ ، وأبو بكر يكثر الالتفاتَ ، ساختَ يدا فرسي في الأرض ، حتى بلغتا الركبتين ، فخرَرت عنها ، ثم زجرتُها فنهضت ، فلم تكدْ تُخرجُ يديها ، فلما استوتْ قائمةً إذا لأثرِ يديْها عُثانٌ[5] ساطع في السماء مثلُ الدخان ، فاستقسمت بالأزلام فخرجَ الذي أكره ، فناديتُهم بالأمان ، فوقفوا ، فركبت فرسي حتى جئتُهم ، ووقع في نفسي حين لقيتُ ما لقيتُ من الحبس عنهم أنْ سيظهرُ أمرُ رسول الله ﷺ ، فقلتُ له : إن قومَك جعلوا فيك الدية ، وأخبرتُهم أخبارَ ما يُريد الناس بهم ، وعرضتُ عليهم الزادَ والمتاع ، فلم يرزآني ولم يسألاني ، إلا أن قالا : أخفِ عنا . فسألتُه

---

(١) « أسْوِدَةً » : أشخاصاً .

(٢) « بزجِّه » : الزُّجُّ : النَّصْلُ .

(٣) « فرفعتها تقربُ بي » : الرفع : الإسراع ، والتقريب : نوع جيد منه ، تضع الفرسُ فيه رجليها مكان يديها .

(٤) « الأزلام » : المراد بها هنا السِّهام .

(٥) « عُثَانٌ » : غبار ، شبه الدخان .

أن يكتبَ لي كتابَ أمنٍ ، فأمر عامرَ بن فُهيرة فكتبَ لي في رُقعةٍ من أَدَمٍ ، ثم مضى رسول الله ﷺ[1] .

قال ابنُ شهاب فأخبرني عروة بن الزبير أن رسولَ الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام ، فكسا الزبيرُ رسولَ الله ﷺ وأبا بكر ثيابَ بَيَاضٍ . وسمع المسلمون بالمدينة مخرجَ رسول الله ﷺ من مكة ، فكانوا يغدون كلَّ غداة إلى الحَرَّةِ فينتظرونه ، حتى يردَّهم حرُّ الظهيرة ، فانقلبوا يوماً بعدما أطالوا انتظارَهم ، فلما أووا إلى بيوتهم أَوْفى رجلٌ من يهود على أُطُمٍ من آطامهم لأمر ينظر إليه ، فبصُر برسول الله ﷺ وأصحابهِ مبيَّضين ، يزول بهم السراب ، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته : يا معاشر العرب ! هذا جدُّكم[2] الذي تنتظرون . فثار المسلمون إلى السلاح ، فتلقَّوْا رسولَ الله ﷺ بظهر الحرَّة ، فعدلَ بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في دار[3] بني عمرو ابن عوف ، وذلك في يوم الاثنين من شهر ربيع الأول ، فقام أبو بكر للناس وجلس رسولُ الله ﷺ صامتاً ، فطفِق من جاء من الأنصار ممن لم يرَ رسولَ الله ﷺ يحيي أبا بكر ، حتى أصابت الشمسُ رسولَ الله ﷺ ، فأقبلَ أبو بكر حتى ظلَّلَ عليه بردائه ، فعرفَ الناسُ رسولَ الله ﷺ عند ذلك ، فلبثَ رسولُ الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضعَ عشرة ليلةً ، وأسَّس المسجدَ الذي أُسِّسَ على التقوى ، وصلَّى فيه رسولُ الله ﷺ ، ثم ركب راحلتَه ، فسار يمشي معه الناسُ ، حتى بركت عند مسجدِ الرسول ﷺ بالمدينة ، وهو يُصلِّي فيه يومئذ رجالٌ من المسلمين ، وكان مِرْبَداً[4] للتمر ، لسهلٍ وسهيلٍ غلامين يتيمين في حِجْر سعد بن زُرارة . فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلتُه : هذا إن شاء الله تعالى المنزل . ثم دعا رسولُ الله ﷺ الغلامين ، فساومهما بالمِربد ليتخذَه مسجداً ، فقالا : بل نهبُه لك يا رسول الله . فأبى رسولُ الله ﷺ أن يقبلَه منهما هبة ، حتى ابتاعه[5] منهما ، ثم بناه مسجداً ، فطفِق رسولُ الله ﷺ ينقلُ معهم اللَّبِنَ في بنائه ،

---

(١) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار (باب هجرة النبي ﷺ) رقم /٣٩٠٦/ .

(٢) « جدُّكم » : حظكم وصاحب دولتكم الذي تتوقعونه .

(٣) كذا في جميع النسخ ، وفي نور النبراس لوحة ٢٤٩/١ والبخاري « في بني عمرو بن عوف » .

(٤) « مِرْبد » : مكان لتجفيف التمر .

(٥) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار (باب هجرة النبي ﷺ) رقم /٣٩٠٦/ .

ويقول وهو ينقل اللبن :

هـذا الحِمـالُ لا حِمـالُ خيبـرْ هـذا أبـرُّ ربَّنـا وأطهـر

اللهـم إنَّ الأجـرَ أجـرُ الآخـرة فارحـم الأنصارَ والمُهاجـرة

تمثل بشعر رجل من المسلمين لم يُسمَّ لي .

قال ابن شهاب : ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسولَ الله ﷺ تمثل ببيت شعر تام غير هذه الأبيات[1] .

كذا وقع في هذا الخبر أن الذي كسا رسولَ الله ﷺ وأبا بكر الزبيرُ ، وذكر موسى ابن عقبة أنه طلحة بن عُبيد الله في خبر ذكره .

وروينا من طريق البخاري أن أبا بكر كان يُسأل عن النبي ﷺ : من هذا ؟ فيقول : هذا الرجل يهديني الطريق . قال : فيحسِب الحاسُب أنه يعني الطريق ، وإنما يعني سبيلَ الخير[2] .

وروينا من طريق ابن إسحاق : أنه عليه الصلاة والسلام أعلم علياً بمخرجه وأمره أن يتخلف بعده حتى يُؤَدِّيَ عنه الودائعَ التي كانت عنده للناس وأن أبا بكر خرج بماله كلِّه ، وهو فيما قيل خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم .

أخبرنا عبد الله بن أحمد بن فارس ، ويوسف بن يعقوب بن المجاور قراءةً على الأول وأنا أسمع بالقاهرة ، وبقراءتي على الثاني بسفح قاسيون ، قالا : حدثنا أبو اليمن الكندي ، أخبرنا هبة الله بن أحمد الحريري ، أخبرنا أبو طالب العُشاري ، أخبرنا أبو الحسين بن سمعون ، حدثنا عمر بن الحسن بن علي بن مالك ، أخبرنا يحيى بن إسماعيل الحريري ، حدثنا جعفر بن علي ، حدثنا سيف ، عن بكر بن وائل ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : قال رسول الله ﷺ : « ما أحدٌ أمنُّ عليَّ في صحبته وذاتِ يده من أبي

---

(١) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار (باب هجرة النبي ﷺ) رقم /٣٩٠٦/ .

(٢) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار (باب هجرة النبي ﷺ) رقم /٣٩١١/ ولفظه : هذا الرجل يهديني السبيل . وهو أنسبُ للتورية .

بكر ، وما نفعني مالٌ ما نفعني مال أبي بكر ، ولو كنتُ متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً »(١) .

وجهل أهل مكة الخبر عنهم ، إلى أن سمعوا الهاتف يهتف بالشعر الذي فيه ذكر أم معبد ، فعلموا أنهم توجهوا نحو يثرب وأنهم قد نجوا منهم .

حديث أم مَعبد(٢)

أخبرنا الشيخان أبو الفضل عبد الرحيم بن يوسف المزي بقراءة والدي عليه ، وأبو الهيجاء غازي بن أبي الفضل بقراءتي عليه ، قالا : أخبرنا ابن طَبرزذ ، أخبرنا ابن الحُصَيْن ، أخبرنا ابن غَيلان ، أخبرنا أبو بكر الشافعي ، حدثنا محمد بن يُونس القرشي ، حدثنا عبد العزيز بن يحيى مولى العباس بن عبد المطلب ، حدثنا محمد بن سليمان بن سَليط الأنصاري ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن جده أبي سَليط وكان بدرياً ، قال : لما خرجَ رسولُ الله ﷺ في الهجرة ومعه أبو بكر الصديق وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وابن أُريقط يدلُّهم على الطريق ، مروا بأمِّ مَعبد الخزاعية ، وهي لا تعرفهم . فقال لها : يا أمَّ معبد ، هل عندك من لبن ؟ قالت : لا والله وإن الغنم لعازبة(٣) . قال : فما هذه الشاة التي أرى – لشاة رآها في كِفاء(٤) البيت – قالت : شاة خلَّفها الجهدُ عن الغنم . قال : أتأذنين في حِلابها ؟ قالت : لا والله ما ضرَبها من فحل قطّ ، فشأنَك بها ، فدعا بها ، فمسح ظهرَها وضَرعَها ، ثم دعا بإناء يُربضُ(٥) الرهطَ ، فحلب فيه فملأه ، فسقى أصحابَه عَلَلاً بعد

(١) قال في « نور النبراس » : لوحة ٢٥٢/١ هذا الحديث ليس في الكتب الستة ولا في أحدها .
ويشهد له حديث البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : « إن من أمنِّ النّاس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر رضي الله عنه ، ولو كنت متخذاً خليلاً عند ربي عز وجل لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخوة الإسلام ومودته ... » .

(٢) مراد المؤلف رحمه الله : الحديث المذكور فيه أم معبد ، ولو قال : قصة أم معبد لكان أحسن . نور النبراس لوحة ٢٥٢/١ .

(٣) « لعازبة » : بعيدة المرعى ، لا تأوي إلى المنزل ليلها .

(٤) « كفاءُ البيت » : مؤخرته .

(٥) « يُربض الرهطَ » : يغذي الجماعة ويُشبعهم .

نَهَلٍ[١] ، ثم حلب فيه آخرَ ، فغادره عندها ، وارتحل ، فلما جاء زوجُها عند المساء ، قال : يا أم معبد ! ما هذا اللبن ولا حلوبة في البيت والغنم عازبة ؟ قالت لا والله إلا أنه مر بنا رجل ظاهر الوضاءة ، متبلج[٢] الوجه ، في أشفاره وَطَف[٣] ، وفي عينيه دَعَج[٤] وفي صوته صَحَل[٥] ، غصن بين الغصنين ، لا تشنؤه من طول ولا تقتحمُه من قصر ، لم تَعِبْه ثجلة[٦] ولم تُزْرِه صَعْلة[٧] ، كأن عنقه إبريق فضة ، إذا صمتَ فعليه البَهاء ، وإذا نطقَ فعليه وقار ، له كلام كخرزات النظم ، أزينُ أصحابه منظراً ، وأحسنُهم وجهاً ، أصحابُه يَحفُّون به ، إذا أمر ابتدروا أمرَه ، وإذا نهى اتَّقفوا[٨] عند نهايته . قال : هذه والله صفة صاحب قريش ، ولو رأيته لاتبعته ، ولأجتهدنَّ أن أفعل .

قال : فلم يعلموا بمكة أين توجَّه رسولُ الله ﷺ وأبو بكر ، حتى سمعوا هاتفاً على رأس أبي قُبيس ، وهو يقول :

جــزى الله خيراً والجزاءُ بكفّــه ... رفيــقين حلّا خيمتــيْ أمِّ معبــدِ
هما رَحَــلا بــالحقِّ وانتــزلا بــه ... فقــد فــازَ مــن أمسى رفيــقَ محمــدِ
فما حملتْ من ناقةٍ فوقَ رَحْلِها ... أبــرَّ وأوفى ذِمــةً مــن محمّــدِ
وأكسى لبُـرد الخالِ قبـلَ ابتذالِـه ... وأعطى بـرأسِ السابحِ المُتجـردِ
ليَهْـنِ بنـي كـعبٍ مكـانُ فتاتِهـم ... ومقعدُهــا للمؤمــنين بمرصدِ[٩]

---

(١) « عَلَلاً بعد نَهَل » : النهل : الشرب الأول ، والعَلَل : الشرب الثاني ، أي مرة بعد مرة .

(٢) « متبلج الوجه » : مشرق الوجه مستنيره .

(٣) « في أشفاره وطف » : في أهدابه طول .

(٤) « دعج » : سواد شديد .

(٥) « صحل » : بحَحٌ ، والمراد عدم الحِدّة في الصوت .

(٦) « لم تَعِبْه ثَجْلَة » : ليس بكبير البطن .

(٧) « لم تزرِ به صَعْلَة » : ليس بصغير الرأس .

(٨) « اتقفوا » : وقفوا ، يقال : وقفته فوقفَ واتَّقف ؛ كاتصف واتعد ، من وصفَ ووعَدَ .

(٩) رواه أبو بكر الشافعي عن أبي سَلِيط ، واسمه أُسيرة بن عمرو بن قيس بن مالك الخزرجي النجاري ، وفي إسناده محمد بن يونس القرشي ؛ متروك ومتهم بالوضع . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٧٩/٨ وقال : رواه الطبراني وفيه عبد العزيز بن يحيى المديني ، ونسبه البخاري وغيره إلى الكذب ، وقال الحاكم :

وبه[1] قال أبو بكر الشافعي ، حدثنا محمد بن يحيى بن سليمان ، حدثنا أحمد بن محمد بن أيوب ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حُدِّثْتُ عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ؛ أنها قالت : لما خرجَ رسولُ الله ﷺ أتانا نفرٌ من قريش ، فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبي بكر رضي الله عنه ، فخرجتُ إليهم ، فقالوا : أين أبوك يا بنتَ أبي بكر ؟ قالت : قلت : والله لا أدري أين أبي . قالت : فرفع أبو جهل يدَه ــ وكان فاحشاً خبيثاً ــ فلطمَ خدي لطمة خرم منها قرطي . قالت : ثم انصرفوا ، فمضى ثلاثُ ليال ما ندري أين توجه رسولُ الله ﷺ ، إذ أقبل رجلٌ من الجن من أسفل مكة ، يغني بأبيات ، غنَّى بها العرب ، وإن الناس ليتبعونه يَسمعون صوتَه وما يرونه ، حتى خرج بأعلى مكة :

جزى الله ربُّ النَّاسِ خيرَ جزائـهِ ... رفيـقين حَلَّا خيمتـيْ أُمِّ مَعْبَـدِ
هما نزلاها بـالهدى واغْتَـدَوا بـه ... فأفلحَ مـن أمسَى رفيـقَ محمّـدِ
لِيَهْنِ بنـي كـعبٍ مكـانُ فتاتِهـم ... ومقعدُهـا للمؤمنيـنَ بمرصدِ

قالت : فلما سمعنا قولَه عرفنا حيثُ توجه رسولُ الله ﷺ ... الحديث[2] .

وقد روينا حديثَ أسماء هذا متصلاً ، من حديث هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن أسماء . أخبرنا عبدُ الله بن أحمد بن فارس قراءة عليه وأنا أسمع بالقاهرة ، وأبو الفتح يوسف ابن يعقوب الشيباني بقراءتي عليه بسفح قاسيون ، قالا : أخبرنا أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي ، أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن أحمد بن عمر الحريري ، أخبرنا أبو طالب محمد ابن علي بن الفتح ، أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد ، حدثنا عمر بن الحسن بن علي بن مالك الشيباني ، أخبرنا يحيى بن إسماعيل ، حدثنا جعفر بن علي ، حدثنا سيف ، عن هشام ابن عروة ، عن أبيه ، عن أسماء ابنة أبي بكر رضي الله عنهما ، قالت : ارتحل النبيُّ ﷺ وأبو بكر ، فلبثنا أياماً ثلاثة أو أربعة ، أو خمس ليال ، لا ندري أين توجَّه ، ولا يأتينا

= صدوق . فالعجب منه ! وفيه مجاهيل . وقال العقيلي : محمد ابن سليمان بن سليط مجهول .. وفيه : عبد العزيز بن يحيى ، وهو واه . وانظر نور النبراس لوحة ٢٥٣/١ .

(١) « وبه » : أي بالسند المتقدم إلى أبي بكر الشافعي ، راوي الغيلانيات .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٨٧/١ وفيه انقطاع ظاهر بين ابن إسحاق وأسماء .

عنه خبر ، حتى أقبل رجلٌ من الجِنِّ ... الحديث[1] بنحو ما تقدم .

وروينا عن أبي بكر الشافعي بالسند المتقدم ، حدثنا بشر بن أنس أبو الخير ، حدثنا أبو هشام محمد بن سليمان بن الحكم بن أيوب بن سليمان بن زيد بن ثابت بن يسار[2] الكعبي الرَّبَعي الخزاعي ، حدثني عمي أيوب بن الحكم ، قال الشافعي : وحدثني أحمد ابن يوسف بن تميم البصري ، حدثنا أبو هشام محمد بن سليمان بن زيد . قال : حدثني عمي أيوب بن الحكم ، عن حزام بن هشام ، عن أبيه هشام ، عن جده حُبَيْش بن خالد صاحب رسول الله ﷺ ؛ أن رسولَ الله ﷺ خرجَ من مكة مُهاجراً إلى المدينة ، فذكر نحوَ ما تقدم من خبر أبي سَليط ، وذكر الأبيات وزاد فيها :

فيا لقصيٍّ ما زوى الله عنكمُ ... به من فَعال لا تُجارى وسُودَدِ
سلوا أختكم عن شاتِها وإنائها ... فإنكمُ إن تسألوا الشاةَ تشْهدِ
دعاها بشاةٍ حائلٍ فتحلَّبَتْ ... عليه صَريحاً ضَرَّةُ[3] الشَّاةِ مُزْبدِ
فغادرها رهناً لديها بحالبٍ ... ترددها في مَصْدَرٍ ثم مَوْردِ

فلما سمع بذلك حسان بن ثابت قال يجاوب الهاتف :

لقد خابَ قومٌ زالَ عنهم نبيُّهم ... وقُدِّس من يَسري إليه ويَغْتدِي
ترحَّل عن قوم فضلَّتْ عقولُهم ... وحلَّ على قوم بنور مُجدد
هداهُم به بعد الضَّلالةِ ربُّهم ... وأرشدَهُم ، من يتبعِ الحقَّ يَرشُدِ
وقد نزلت منه على أهل يثربٍ ... ركابُ هُدًى حلت عليهم بأَسْعَد
نبيٌّ يرى مالا يرى الناسُ حولَه ... ويتلو كتاب الله في كلِّ مسجدِ
وإن قال في يوم مقالةَ غائبٍ ... فتصديقُها في اليوم أو في ضُحى الغدِ

---

(١) رواه أبو بكر الشافعي في الغيلانيات ، وفيه سيف بن عمر الضبي الأسدي ، راوي الفتوح ؛ ضعيف .

(٢) في جميع النسخ « سيَّار » والتصحيح من نور النبراس ، وقد صححها سبط ابن العجمي رحمه الله تعالى من نسخته الصحيحة بالسيرة ، ومن الغيلانيات . نور النبراس لوحة ٢٥٦/١ .

(٣) « ضَرَّةُ الشاة » : أصل الضرع .

لِيَهْنِ أبو بكر سعادةُ جَدِّه ... بصحبته، من يُسعدِ اللهُ يَسْعَدِ[1]

واجتاز رسولُ الله ﷺ في وجهه ذلك بعبدٍ يَرعى غنماً ، فكان من شأنه ما رويناه من طريق البيهقي بسنده ، عن قيس بن النعمان ، قال : لما انطلق النبيُّ ﷺ وأبو بكر مستخفيين ، مرَّا بعبدٍ يرعى غنماً ، فاستسقياه اللبنَ ، فقال : ما عندي شاة تحلب ، غير أن ها هنا عَنَاقاً[2] حملت أوَّل ، وقد أُخْدَجت[3] ، وما بقي لها لبن ، فقال : ادعُ بها . فدعا بها ، فاعتقلَها[4] النبيُّ ﷺ ، ومسح ضَرْعَها ، ودعا حتى أنزلت ، وقال : جاء أبو بكر بمِجَنٍّ[5] فحلَبَ ، فسقى أبا بكر ، ثم حلبَ فسقى الراعي ، ثم حلبَ فشرب . فقال الراعي : بالله من أنت ؟ فوالله ما رأيتُ مثلَك . قال : أو تراك تكتم عليَّ حتى أخبرَك ؟ قال : نعم . قال : فإني محمدٌ رسولُ الله . فقال : أنت الذي تزعم قريش أنه صابىء ؟ قال : إنهم ليقولون ذلك . قال : فأشهد أنك نبيٌّ ، وأن ما جئتَ به حقٌّ ، وأنه لا يفعل ما فعلتَ إلا نبيٌّ ، وأنا متبعك . قال : إنك لن تستطيع ذلك يومَكَ ، فإذا بلغك أني قد ظهرت فائتنا[6] .

---

(١) رواه أبو بكر الشافعي في الغيلانيات ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٧/٦ وقال : رواه الطبراني وفي إسناده جماعة لم أعرفهم .
وقال الصالحي في السيرة الشامية ٣٤٦/٢ : رواه الطبراني والحاكم وصححه ، وأبو نُعيم ، وأبو بكر الشافعي عن حُبَيْش بن خالد الأشعر الخُزَاعي القُدَيْدي .. وقد رواه الحاكم في « المستدرك » ١٠/٣ مطولاً ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، و لم يخرجاه ، ويُستدل على صحته وصدق رواته بدلائل ... وتعقبه الذهبي بقوله : ما في هذه الطرق شيء على شرط الصحيح .
وانظر **قصة أم معبد** في دلائل النبوة ؛ لأبي نُعيم ٢٨٣/٢ — ٢٨٧ ، والطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢٣٠/١ ، ودلائل النبوة ؛ للبيهقي ٢٧٦/١ — ٢٨٠ ، والسيرة النبوية لابن هشام ٤٨٧/١ — ٤٨٨ . والروض الأنف للسهيلي ٧/٢ — ٨ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣٢٦/١ ، والاستيعاب ؛ لابن عبد البر ٧٩٦/٢ — ٧٩٧ ، وتاريخ الإسلام ؛ للذهبي ٢٢٧/٢ ، والإصابة ؛ لابن حجر ٤٩٨/٤ . وديوان حسان بن ثابت ٨٩/٢ .

(٢) « عَنَاقاً » : وهي أنثى الماعز التي لم تتم لها سنة .   (٣) « أُخْدَجت » : ولدت قبل أوانها .

(٤) « اعتقلها » جلس منها جِلْسَة الحالب ، حيث يضع رجل الشاة التي من جهته في ثني ساقه وفخذه ، يمنعها بذلك من الهروب منه أثناء الحلب .   (٥) « بمِجَنٍّ » : المِجَن : الترس .

(٦) دلائل النبوة ؛ للبيهقي ٤٩٧/٢ ، وقال الحافظ ابن كثير في « البداية والنهاية » ١٩٤/٣ : رواه أبو يعلى

ذكر فوائد تتعلق بهذه الأخبار

● العُثان : بضم العين المهملة والثاء المثلثة : شبه الدخان ، وهو مفسر في الخبر بذلك ، وجمعه عواثن .

● الحِمَال : جمع أو مصدر ، أي هذا الحِمل أو المحمول من اللَّبِنِ أفضل من حِمال خيبر ؛ التمر والزبيب المحمول منها ، قيل رواه المستملي بالجيم فيهما ، وله وجه ، والأول أظهر .

● وأم معبد : عاتكة بنت خالد ، إحدى بني كعب من خزاعة ، وهي أخت حُبيش ابن خالد الذي روينا الخبر من طريقه وله صحبة ، وكان منزلها بقديد .

● وأبو سَليط : أُسَيْرة بن عمرو ، أنصاريّ من بني النجار ، شهد بدراً وما بعدها . ووقع في الأبيات التي رويناها في الخبر من طريقه .

* فما حملتْ من ناقةٍ فوقَ رَحْلِها *

البيت ، والذي يليه في ذلك الشعر ، وليس ذلك بمعروف ، والمعروف في هذا الشعر أنه لأبي أُناس الديلي رهط أبي الأسود ، صحابي ذكره أبو عمر ، وعمه سارية بن زنيم ، الذي قال له عمر بن الخطاب : يا ساريةُ الجبلَ . وكان أبو أناس شاعراً ، وهو القائل لرسول الله ﷺ :

تَعلَّمْ رسولَ الله أنّكَ قادرٌ على كلِّ حَافٍ من تَهام ومُنجدِ

وهي طويلة منها :

وما حملتْ من ناقةٍ فوقَ رَحْلِها أبرَّ وأوفَى ذِمةً من محمّدِ

= الموصلي عن جعفر بن حُميد الكوفي ، عن عبد الله بن إياد بن لقيط به . كما رواه أبو داود الطيالسي في « مسنده » ، وذكرها ابن عبد البر في ترجمة النعمان بن قيس السكوني ، أحد وفد عبد القيس . وانظر الاستيعاب ونور النبراس لوحة : ١/٢٥٧ .

● وتضمن حديثُ أمّ معبد أشياء من صفة النبي ﷺ يأتي شرحُها في الشمائل إن شاء الله تعالى .

● وكِفاء البيت : سُترة في البيت من أعلاه إلى أسفله من مؤخره ، وقيل : الكِفاء : الشقة التي تكون في مؤخر الخِباء ، وقيل : هو كِساء يُلقى على الخِباء كالإزار حتى يبلغَ الأرضَ ، وقد أكفى البيتَ . ذكره ابن سِيده .

* * *

ذكر دخوله عليه الصلاة والسلام المدينة

وكان أهل المدينة يتوكفون(1) قدوم رسول الله ﷺ حين بلغهم توجهُه إليهم ، فكانوا يخرجون كل يوم لذلك أوَّلَ النهار ثم يرجعون ، حتى كان يومُ الاثنين لاثنتي عشرةَ ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، خرجوا لذلك على عادتهم فرجعوا و لم يَقْدَمْ عليهم رسولُ الله ﷺ ، ثم قدم من يومه ذلك حين اشتد الضُّحاء(2) ، فنزل بقباء على بني عمرو بن عوف على كلثوم بن هِدْم ، وكان يجلس للناس في بيت سعد بن خيثمة(3) .

قال الواقدي : ونزل على كلثوم أيضاً جماعة من الصحابة ، منهم : أبو عبيدة بن الجراح ، والمقداد بن عمرو ، وخبَّاب بن الأرت ، وسُهيل وصفوان ابنا بيضاء ، وعِياض ابن زهير ، وعبد الله بن مخرمة ، ووهب بن سعد بن أبي سرح ، ومعمر بن أبي سرح ، وعمرو بن أبي عمرو من بني مُحارب بن فهر ، وعُمير بن عوف مولى سُهيل بن عمرو . وكلُّ هؤلاء قد شهد بدراً ، ثم لم يلبث كلثوم أن مات قبل بدر ، وكان رجلاً صالحاً غير مغموص عليه . انتهى كلام الواقدي .

وقيل : نزل أبو بكر على خُبيب بن إساف ، وقيل : على خارجة بن زيد بن أبي زهير .

وأقام عليٌّ بمكة ثلاث ليال حتى أدى الودائعَ التي كانت عند النبي ﷺ للناس ، ثم جاء فنزل على كلثوم ، فكان يقول: كان بقباء امرأة لا زوج لها مسلمة ، فرأيت إنساناً يأتيها من جوف الليل ، فيضرب عليها بابها ، فتخرج إليه فيُعطيها شيئاً معه فتأخذه ، قال : فاستربت شأنه ، فقلت : يا أمة الله ، من هذا الرجل الذي يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين إليه فيعطيك شيئاً لا أدري ما هو وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك ؟ قالت :

---

(1) « يتوكفون » : من التوكف ، وهو الانتظار والتوقع .

(2) « الضحاء » : الضحى ، يُمَدُّ ويُقصر .

(3) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٤٩٣ — ٤٩٤ .

هذا سهل بن حُنَيف ، قد عرف أنّي امرأة لا أحد لي ، فإذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها ، ثم جاءني بها ، فقال احتطبي بهذا ، فكان عليٌّ يَأْثِرُ ذلك من أمر سهل بن حُنيف[1] .

وكان فيمن خرج لينظرَ إلى رسول الله ﷺ قوم من اليهود فيهم عبد الله بن سلام .

أخبرنا الشيخان أبو الفضل عبد الرحيم بن يوسف وأبو الهيجاء غازي بن أبي الفضل ، قالا : أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزذ ، أخبرنا أبو القاسم بن الحصين ، أخبرنا أبو طالب بن غيلان ، أخبرنا أبو بكر الشافعي ، حدثنا معاذ ، حدثنا مُسدد ، حدثنا يحيى ، عن عوف قال : حدثنا زرارة ، قال : قال عبد الله بن سَلَام : لما قدِم رسولُ الله ﷺ المدينةَ ، قيل : قدمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ فانجفلَ النَّاسُ إليه ، فكنتُ فيمن انجفل ، فلما رأيتُ وجهه ﷺ عرفت أن وجهَه ليس بوجه كذاب ، فأوَّل ما سمعتُه يقول : « أفشوا السلامَ ، وأطعموا الطعامَ ، وصِلُوا الأرحامَ ، وصَلُّوا بالليل والنَّاسُ نيام تدخلوا الجنةَ بسلام »[2] .

وأشرقت المدينة بقدومه ﷺ ، وسرى السرور إلى القلوب بحلوله بها .

روينا من طريق ابن ماجه ، حدثنا بِشر بن هلال الصَّواف ، حدثنا جعفر بن سليمان ، الضُّبَعي ، حدثنا ثابت ، عن أنس بن مالك ، قال : لما كان اليوم الذي دخلَ فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاءَ منها كلُّ شي ، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء ، وما نفضنا عن النبي ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا[3] .

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٤٩٤ ، وفي السيرة الشامية ؛ للصالحي ٣/٣٧٩ رواه ابن إسحاق ورزين . ومعنى « يَأْثِرُ » : ينقل ويحكي .

(٢) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة (باب رقم ٤٣) رقم /٢٤٨٧/ ، وابن ماجه في كتاب الأطعمة (باب إطعام الطعام) رقم /٣٢٥١/ وإسناده صحيح . ومعنى « انجفل الناس إليه » : ذهبوا إليه مسرعين .

(٣) رواه ابن ماجه في كتاب الجنائز (باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ) رقم /١٦٣١/ ، ورواه الترمذي في كتاب المناقب (باب رقم ٣) رقم /٣٦٢٢/ وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

وروى ابن أبي خيثمة[1] ، عن أنس : شهدتُ يوم دخول النبي ﷺ المدينةَ فلم أر يوماً أحسن منه ولا أضوأ .

وروى البخاريُّ من حديث البراء بن عازب ، قال : فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحَهم برسول الله ﷺ .. الحديث[2] .

قال ابن إسحاق : وأقام رسولُ الله ﷺ في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس ، وأسَّس مسجدَهم ، ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة . وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثرَ من ذلك[3] .

وقد روينا عن أنس من طريق البخاري إقامته فيهم أربع عشرة ليلة[4] . والمشهور عند أصحاب المغازي ما ذكره ابن إسحاق .

فأدركتْ رسولَ الله ﷺ الجمعةُ في بني سالم بن عوف ، فصلَّاها في المسجد الذي في بطن الوادي ، وادي رانوناء ، فكانت أوَّلَ جمعة صلَّاها بالمدينة ، فأتاه عِتْبان بن مالك وعباس بن عبادة بن نضلة في رجال من بني سالم بن عوف ، فقالوا : يا رسول الله ، أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة . قال : خلُّوا سبيلها فإنها مأمورة – لناقته – فخلَّوْا سبيلَها فانطلقت حتى وازت دار بني بياضة ، تلقَّاه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو في رجال من بني بياضة ، فقالوا : يا رسول الله ! هلم إلينا ، إلى العَدد والعُدة والمنعة . فقال : خَلُّوا سبيلَها فإنها مأمورة فخَلَّوْا سبيلَها فانطلقت ، حتى إذا مرت بدار بني ساعدة اعترضه سعدُ ابن عُبادة والمنذر بن عمرو في رجال من بني ساعدة ، فقالوا : يا رسول الله هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة . قال : خلُّوا سبيلَها فإنها مأمورة . فخَلَّوْا سبيلَها فانطلقت ، حتى إذا وازت دارَ بني الحارث بن الخزرج ، اعترضه سعدُ بن الربيع وخارجةُ بن زيد وعبد الله

(١) ابن أبي خيثمة : هو محمد بن أبي بكر بن أبي خيثمة زهير بن حرب ، أبو عبد الله النسائي ثم البغدادي ، حافظ كبير . نور النبراس لوحة ١/٢٦١ .

(٢) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار (باب هجرة النبي ﷺ) رقم /٣٩٢٥/ .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٤٩٤ .

(٤) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار (باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة) رقم /٣٩٣٢/ .

ابن رَواحة في رجال من بني بَلْحارث بن الخزرج ، فقالوا : يا رسول الله ! هلم إلينا إلى العدد والعدة والمنعة . قال : خلُّوا سبيلَها فإنها مأمورة . فخلَّواْ سبيلَها حتى إذا مرت بدار عدي بن النجار ـ وهم أخواله دِنْيَا أمّ عبد المطلب ، سلمى بنت عمرو إحدى نسائهم ـ اعترضه سَليط بن قيس وأبو سَليط أُسَيْرة بن أبي خارجة في رجال من بني عديّ بن النجار ، فقالوا : يا رسول الله ! هلم إلى أخوالك ، إلى العدد والعدة والمنعة ، قال : خلُّوا سبيلَها فإنها مأمورة ، فَخلَّوْا سبيلَها فانطلقت ، حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار بركت على باب مسجده ﷺ وهو يومئذ مِربدٌ لغلامين يتيمين من بني مالك بن النجار في حِجر معاذ بن عفراء ، سهل وسُهيل ابني عمرو ، فلما بركتْ ورسولُ الله ﷺ لم ينزل وثبت ، فسارت غير بعيد ورسولُ الله ﷺ واضعٌ لها زِمامها لا يَثنيها به ، ثم التفتت خلفَها فرجعت إلى مَبْرَكها أوَّل مرة فبركت فيه ، ثم تحلحلت[1] وأرزمت[2] ووضعت جرانها[3] ، ونزل عنها رسولُ الله ﷺ ، واحتملَ أبو أيوب خالدُ بن زيد رَحْلَه فوضَعه في بيته ، ونزلَ عليه رسولُ الله ﷺ[4] .

* * *

(١) « تَحَلْحَلَتْ » : تحركت في مبركها جيئة وذهاباً ، ثم ثبتت في مكانها .
(٢) « أرزمَتْ » : صوتت . وفي السيرة النبوية « وزمَّت » .
(٣) « جِرَانَها » : مقدم عنق البعير .
(٤) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٩٤/١ — ٤٩٦ .
« دنيا » منونة وغير منونة ، وبكسر الدال وضمها ، القرابة الأقرب في العمومة والخؤولة .

ذكر بناء المسجد

وسأَلَ رسول الله ﷺ عن المِرْبد لمن هو ؟ فقال له معاذ بن عفراء : هو يا رسول الله لسَهل وسُهيل ابني عمرو ، وهما يتيمان لي وسأرضيهما منه فاتخذه مسجداً ، فأمَرَ به رسولُ الله ﷺ أن يُبنى ، ونزل رسولُ الله ﷺ على أبي أيوب حتى بُني مسجدُه ومساكنُه ، فعملَ فيه رسولُ الله ﷺ ليُرَغِّبَ المسلمين في العمل فيه ، فعمل فيه المهاجرون والأنصار ودَأَبوا فيه ، فقال قائل من المسلمين :

لئـــن قعدنـــا والنبـــيُّ يعمـــلُ ... لـــذاكَ مِنَّـــا العمـــلُ المُضَلَّـــلُ

وأقامَ رسولُ الله ﷺ بالمدينة إذ قدمها شهر ربيع الأول إلى صفر من السنة الداخلة ، يُبنى له فيها مسجدُه ومساكنُه[1] .

قال أبو عمر : وقد رُوي أن النبيَّ ﷺ أبى أن يأخذَه إلا بثمن ، فالله أعلم . فبنى رسولُ الله ﷺ مسجدَه وجعلَ عضَادتَيْه الحجارة ، وسَوارِيَه جذوعَ النخل ، وسقفَه جريدَها ، بعد أن نبشَ قبورَ المشركين وسوَّاها ، وسوَّى الخِرَب ، وقطعَ النخلَ ، وعمِل فيه المسلمون (حِسْبَةً[2]).

ومات أبو أمامة أسعدُ بن زُرارة حينئذ ، فوجِدَ عليه رسولُ الله ﷺ وَجْداً شديداً ، وكان قد كواه من ذبحةٍ نزلت به ، وكان نقيبَ بني النجار فلم يجعلْ عليهم رسولُ الله ﷺ نقيباً[3] بعدَه ، وقال لهم : أنا نقيبُكم . فكانت من مفاخرهم .

وذكر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذُري ، قال : فنزل رسولُ الله ﷺ عند أبي أيوب ، وأراده قوم من الخزرج على النزول عليهم ، فقال : « المرءُ مع رحله » . فكان مُقامُه في منزل أبي أيوب سبعة أشهر ، ونزل عليه تمامُ الصلاة بعد مقدمه بشهر ، ووهبت الأنصارُ لرسول

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٤٩٦ ـ ٤٩٨ مع الاختصار والتصرف اليسير .

(٢) زيادة من « الدرر » .

(٣) الدرر في المغازي والسير ؛ لابن عبد البر ص ٨٨ .

الله ﷺ كلَّ فضلٍ كان في خِطَطِهَا ، وقالوا : يا نبيَّ الله ! إن شئتَ فخذ منازلنا ، فقال لهم خيراً . قالوا : وكان أبو أمامة أسعدُ بن زرارة يُجَمِّع بمن يليه في مسجد له ، فكان رسولُ الله ﷺ يُصلِّي فيه ، ثم إنه سأل أسعدَ أن يبيعَه أرضاً متصلة بذلك المسجد كانت في يده ليتيمين في حِجْره يُقال لهما سَهْل وسُهيل ابنا رافع بن أبي عمرو بن عائذ بن ثعلبة ابن غنم[1] .

كذا نسبهما البَلاذُري وهو يُخالف ما سبق عن ابن إسحاق وغيره ، والأول أشهر .

قال : فعرض عليه أن يأخذها ويغرمَ عنه لليتيمين ثمنها ، فأبى رسولُ الله ﷺ ذلك وابتاعها منهما بعشرة دنانير أداها من مال أبي بكر .

ثم إن رسول الله ﷺ أمر باتخاذ اللَّبِنِ فاتخذ ، وبُني به المسجد ، ورُفع أساسه بالحجارة ، وسُقف بالجريد ، وجُعلت عُمدُه جذوعاً ، فلما استُخلف أبو بكر لم يُحدث فيه شيئاً ، واستُخلف عمر فوسَّعه ، فكلَّم العباسَ بن عبد المطلب في بيع داره ليزيدَها فيه ، فوهبَها العباسُ لله وللمسلمين ، فزادها عمرُ في المسجد . ثم إن عثمان بناه في خلافته بالحجارة والقَصَّة[2] وجعل عمده حجارة ، وسقفه بالسَّاج[3] وزاد فيه ونقل إليه الحصباءَ من العقيق . وكان أول من اتخذ فيه المقصورة مروان بن الحكم ، بناها بحجارة منقوشة ، ثم لم يُحْدَثْ فيه شيء إلى أن ولي الوليد بن عبد الملك بن مروان بعد أبيه ، فكتب إلى عمر بن عبد العزيز وهو عاملُه على المدينة يأمره بهدم المسجد وبنائه ، وبعث إليه بمال وفسيفساء ورخام ، وبثمانين صانعاً من الروم والقِبْط من أهل الشام ومصر ، فبناه وزاد فيه . وولي القيام بأمره والنفقة عليه صالح بن كيسان ، وذلك في سنة سبع وثمانين ، ويقال في سنة ثمان وثمانين .

ثم لم يُحْدِثْ فيه أحد من الخلفاء شيئاً حتى استُخلف المهدي . قال الواقدي : بعث

(١) البلاذري : هو أحمد بن يحيى بن جابر ، الحافظ الكبير ، صاحب التاريخ المشهور ، وهو من طبقة أبي داود السجستاني . نور النبراس لوحة ١/٢٦٤ .

(٢) « القَصَّة » : الجير المحروق .

(٣) « الساج » : ضرب من الشجر .

المهديُّ عبدَ الملك بن شبيب الغساني ورجلاً من ولد عمر بن عبد العزيز إلى المدينة لبناء مسجدها والزيادة فيه ، وعليها يومئذ جعفرُ بن سليمان بن عليّ ، فمكثا في عمله سنةً ، وزادا في مؤخره مائةَ ذراع ، فصار طولُه ثَلاثمائة ذراع وعرضه مائتي ذراع . وقال علي ابن محمد المدائني : ولَّى المهديُّ جعفرَ بن سليمان مكة والمدينة واليمامة ، فزاد في مسجد مكة ومسجد المدينة ، فتم بناء مسجد المدينة في سنة اثنتين وستين ومائة ، وكان المهدي أتى المدينة في سنة ستين قبل الهجرة فأمر بقلع المقصورة وتسويتها مع المسجد[1] .

* * *

(١) انظر أخبار هذه الزيادات في وفاء الوفاء ؛ للسمهودي ١/٣٨٠ .

ذكر الموادعة بين المسلمين واليهود

قال ابن إسحاق : وكتب رسولُ الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار ، ووادعَ فيه يهودَ ، وعاهدهم وأقرَّهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم واشترط عليهم : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتابٌ من محمد النبيّ ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ، إنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على رَبَعَتِهم(١) يتعاقلون بينهم ، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو عوف على رَبَعَتِهم ، يتعاقلون معاقلَهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيَها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وذكر كذلك في بني ساعدة ، وبني جُشَم ، وبني النجار ، وبني عمرو ابن عوف ، وبني النَّبيت ، وبني الأوس . وإن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحاً(٢) بينهم أن يُعطوه بالمعروف في فداء أو عَقْل ، ولا يُحالف مؤمن مولى مؤمن دونه ، وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دَسِيعةَ(٣) ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين ، وإن أيديهم عليه جميعاً ولو كان وَلَدَ أحدهم ، ولا يَقتل مؤمنٌ مؤمناً في كافر ، ولا يُنصر كافرٌ على مؤمن ، وإن ذمة الله واحدة ، يُجير عليهم أدناهم ، وإن المؤمنين بعضُهم موالي بعض دون الناس ، وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم ، وإن سِلْم المؤمنين واحدة ، لا يُسالم مؤمن من دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء أو عدل بينهم ، وإن كلَّ غازية(٤) غزتْ معنا يُعْقِبُ بعضُها بعضاً ، وإن المؤمنين يُبِيءُ(٥) بعضُهم عن بعض بما نال دماءهم في سبيل الله ، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ، وإنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن ،

(١) « رَبَعَتِهم » : بفتح الراء والباء والعين ؛ الحالة التي جاء الإسلام وهم عليها ، ويقال أيضاً رِبْعة ورَباعة .
(٢) « مُفْرَحاً » : المثقل بالدين والكثير من العيال ، ويروى : مُفْرَجاً .
(٣) « دسيعة ظلم » : المطلب على وجه الظلم ، أو العطية على وجه الظلم ، وأصلها ما يخرج من حلق البعير إذا رغا .
(٤) « غازية » : صفة لموصوف محذوف ، أي طائفة غازية .
(٥) « يُبِيءُ » : يدفع بعضُهم عن بعض ويكفُّ ، فدماؤهم متساوية متكافئة لا يفضل أحدُهم الآخر .

وإنه من اعتبط[1] مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم إلا قيام عليه ، وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم آخر أن ينصر مُحْدِثاً ولا يؤويه ، وإن من نصره أو آواه فإن عليه لعنةَ الله وغضبَه يوم القيامة ، ولا يُؤخذ منه صرف[2] ولا عدل ، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مردَّه إلى الله وإلى محمد ، وإن اليهود يُنفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يهودَ بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينُهم وللمسلمين دينُهم ، مواليهم وأنفسهم إلا من ظَلَم أو أَثِم فإنه لا يُوتغُ[3] إلا نفسَه وأهل بيته . وذكر مثل ذلك ليهود بني النجار ، وبني الحارث ، وبني ساعدة ، وبني جُشم ، وبني الأوس ، وبني ثعلبة ، وبين الشُّطْبة ، وإن جفنة بطنٌ من ثعلبة ، وإن بطانة يهودَ كأنفسهم ، وإن البر دون الإثم ، وإن موالي ثعلبة كأنفسهم ، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ، وإنه لا ينحجز عن ثأر جرح ، وإنه من فَتَكَ فبنفسه[4] إلا من ظلم ، وإن الله على أبرِّ[5] هذا ، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم ، وإنه لن يأثم امرؤ بحليفه ، وإن النصر للمظلوم ، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة ، وإن الجار كالنفس غير مُضَار ولا آثم ، وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها ، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يُخاف فسادُه فإن مردَّه إلى الله وإلى محمد ﷺ ، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره ، وإنه لاتُجار قريش ولا من نصر ها ، وإن بينهم النصر على من دهم يثربَ . وإذا دُعوا إلى صلح يُصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه ، وإنهم إذا دَعَوْا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين ، إلا من حارب في الدين ، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قِبَلَهم ، وإن يهودَ الأوس مواليهم وأنفسُهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه

(١) « اعتبطَ مُؤمناً » : قتله من غير جناية ولا جريرة توجب قتله .
(٢) « صَرفٌ ولا عدلٌ » : توبة ولا فدية ، وقيل : نافلة ولا فريضة .
(٣) « لا يُوتغ » : لا يهلك .
(٤) كذا في جميع النسخ ، وفي السيرة النبوية ١/٥٠٣ ، والأموال ؛ لأبي عُبيد ١/٧ : ومَنْ فتكَ فبنفسه فتك . و« فتكَ » : أخذَ على غِرة .
(٥) « على أبرِّ هذا » : على الرضا به .

الصحيفة ، وإن البر دون الإثم ، ولا يكتسبُ كاسب إلا على نفسه ، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره ، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم ولا آثم ، وإن من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة ، إلا من ظلم أو أثم . وإن الله جارٌ لمن برَّ واتقى ، ومحمد رسول الله ﷺ[1] .

هكذا ذكره ابن إسحاق ، وقد ذكره ابن أبي خيثمة ، فأسنده : حدثنا أحمد بن جَناب أبو الوليد ، حدثنا عيسى بن يونس ، حدثنا كَثير بن عبد الله بن عمرو المزني ، عن أبيه ، عن جده ؛ أن رسول الله ﷺ كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار ، فذكره بنحوه .

شرح ما فيه من الغريب

● الرَّبعَة : الحالة التي جاء الإسلام وهم عليها ، من كتاب المزني . قال الخشني : رَبْعة ورَبَعَة ، وكذلك رِباعة ورَباعة .

● والمُفْرح : رواه ابن جريج مُفْرَجاً . قال أبو عبيدة ومعناهما واحد ، وقال أبو عبيد : سمعت محمدَ بن الحسن يقول هذا يروى بالحاء وبالجيم ، قال أبو العباس ثعلب : المُفْرَح المثقل من الديون ، وبالجيم الذي لا عشيرة له . وقال أبو عبيدة : المُفْرج بالجيم أن يُسلم الرجلُ فلا يُوالي أحداً بقول ، فتكون جنايته على بيت المال ، لأنه لا عاقلة له ، فهو مُفْرَج . وقال بعضهم : هو الذي لا ديوان له . وقال أبو عُبيد القاسم بن سَلَّام عن محمد بن الحسن : هو القتيل يُوجد بأرض فلاة لا يكون عند قرية فإنه يُودى من بيت المال ولا يُطَلُّ دمه .

● وقوله : وإن المؤمنين يُبيء بعضهم عن بعض : يعني أن دماءهم متكافئة ، يقال : ما فلان بُبُواءٍ لفلان ، أي بكفؤ له . ويقال : باءَ الرجل بصاحبه يبوء بَوَاءً ؛ إذا قُتل به كفؤاً ، ولم يفسره ابن قتيبة ، ومعناه : يقتل بعضُهم قاتل بعض ، يُقال أبأت لفلان قاتلَه : أي قتلته . ويوتغ : يفسد ، قاله ابن هشام .

● نقلت هذه الفوائد من خط جدي رحمه الله من حواشي كتابه الذي تقدم ذكره .

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٥٠١ ــ ٥٠٤ ، وسند ابن أبي خيثمة فيه راو واه ، وهو كَثير بن عبد الله بن عمرو المزني . انظر ميزان الاعتدال ٣/٤٠٦ ــ ٤٠٨ ونور النبراس لوحة ١/٢٧٢ .

ذكر المؤاخاة(1)

وكانت المؤاخاة مرتين(2) : الأولى بين المهاجرين بعضِهم وبعض قبل الهجرة على الحق والمواساة ، آخى بينهم النبيُّ ﷺ ، فآخى بين أبي بكر وعمر ، وبين حمزة وزيد بن حارثة ، وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف ، وبين الزبير وابن مسعود ، وبين عبيدة بن الحارث وبلال ، وبين مصعب بن عُمير وسعد بن أبي وقاص ، وبين أبي عبيدةوسالم مولى أبي حذيفة ، وبين سعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله ، وبين علي ونفسِه ﷺ .

قرأتُ على أبي الربيع سليمان بن أحمد المَرجاني بثغر الاسكندرية وغيره ، عن محمد ابن عماد ، أخبرنا ابن رفاعة ، أخبرنا الخِلْعي قال أخبرنا أبو العباس أحمد بن الحسن بن جعفر العطار ، حدثنا أبو محمد الحسن بن رشيق العسكري ، حدثنا أبو عبد الله محمد ابن زُريق بن جامع المديني ، حدثنا أبو الحسين سفيان بن بشر الأسَدي ، حدثنا علي بن هاشم بن البَرِيد ، عن كَثير النَّوَّاء ، عن جُميع بن عُمير ، عن عبد الله بن عمر ، قال : آخى رسولُ الله ﷺ بين أصحابه ، فآخى بين أبي بكر وعمر ، وفلانٍ وفلان ، حتى بقي عليٌّ عليه السلام ، وكان رجلاً شجاعاً ، ماضياً على أمره إذا أراد شيئاً ، فقال رسول الله ﷺ : « أما ترضى أن أكونَ أخاك ؟ قال : بلى يا رسول الله رضيت . قال : فأنت

---

(1) **فائدة** : قال السهيلي : إنما كانت مؤاخاته من أصحابه عليه الصلاة والسلام حين نزلوا المدينة ؛ ليذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ويشد أزر بعضهم ببعض ؛ فلما أعز الله الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أنزل الله آية ﴿ وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض ﴾ يعني المواريث ، ثم جعل الله كلهم إخوة فقال ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ يعني في التودد وشمول الدعوى .

(2) ذكر سبط ابن العجمي قول الحافظ ابن تيمية في كتاب « الرد على ابن المطهر الحلبي الرافضي » : ومنها أن النبي ﷺ لم يؤاخ علياً ولا غيره ، وحديث المؤاخاة لعلي ، ومؤاخاة أبي بكر لعمر من الأكاذيب ، وإنما آخى بين المهاجرين والأنصار ، ولم يؤاخ بين مُهاجري ومُهاجري .

والمؤاخاة بين المهاجرين بعضهم وبعض أوردها ابن عبد البر في كتابه الدرر ص ٩٢ وعنه نقل المؤلف — رحمه الله تعالى — وزاد عليها المؤاخاة بين رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه . انظر نور النبراس ١/٢٧٢ .

أخي في الدنيا والآخرة » . قال كَثير : فقلت لِجُميع بن عُمير : أنت تشهد بهذا على عبد الله بن عمر ؟ قال : نعم أشهدُ[1] .

فلما نزل عليه الصلاة والسلام المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار على المواساة والحق في دار أنس بن مالك ، فكانوا يتوارثون بذلك دون القرابات ، حتى نزلت وقتَ وقعة بدر ﴿ وأولُوا الأرحام بعضُهم أولى ببعضٍ في كتاب الله ﴾ [الأنفال : ٧٥] فنسخت ذلك . وكانت المؤاخاة بعد بنائه عليه الصلاة والسلام المسجد . وقد قيل : كان ذلك والمسجد يُبنى . وقال أبو عمر : بعد قدومه عليه السلام المدينة لخمسة أشهر[2] .

قرىء على أبي عبد الله بن أبي الفتح المقدسي بمرج دمشق وأنا أسمع ، أخبركم ابن الحرستاني سماعاً ، قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن منصور بن قُبَيْس الغسَّاني قراءة عليه وأنا أسمع ، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن أبي الحَدِيد السُّلَمي ، أخبرنا جدي أبو بكر محمد بن أحمد بن عثمان ، أخبرنا محمد بن جعفر بن محمد أبو بكر الخرائطي قراءة عليه ، حدثنا سعدان ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : قال المهاجرون : يا رسول الله ! ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسنَ مواساةً في قليل ، ولا أحسنَ بذلاً من كثير ، كفوْنا المؤنة ، وأشركونا في المهنأ ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله . قال : « لا ، ما أثنيتم عليهم ودعوتم لهم »[3] .

وبه إلى الخرائطي ، حدثنا سعدان بن نصر ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : لقد رأيتُنا وما الرجلُ المسلم بأحقَّ بديناره ودرهمه من

---

(١) الحديث من الغيلانيات ، وهو ضعيف جداً ، فيه كثير النَّوَّاء ، شيعي ضعيف ، وفيه جميع بن عمير التيمي ، قال ابن حبان : رافضي يصنع الحديث ، وقال ابن نُمير : كان من أكذب الناس ، وقال ابن عدي : عامة ما يرويه لا يتابع عليه . ميزان الاعتدال ١/٤٢١ .

(٢) الدرر في المغازي والسير ؛ لابن عبد البر ص ٨٨ .

(٣) حديث الخرائطي عن أنس رواه أبو داود في كتاب الأدب (باب في شكر المعروف) رقم /٤٨١٢/ ، والترمذي في كتاب القيامة (باب مواساة الأنصار للمهاجرين) رقم /٢٤٨٩/ ، وهو عند الإمام أحمد في المسند ٣/٢٠٠ ، ٢٠٤ .

أخيه المسلم[1] . رواه مسلم عن أبي كُريب ، والترمذي والنسائيُّ عن هنَّاد ، كلاهما عن أبي معاوية ، فوقع لنا بدلاً عالياً لهم .

وقال ابن إسحاق : آخى رسولُ الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال : تآخوا في الله أخوين أخوين ، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب ، فقال : هذا أخي . فكان رسولُ الله ﷺ وعليٌّ أخوين ، وحمزة وزيد بن حارثة أخوين ، وإليه أوصى حمزة يوم أحد[2] .

وذكر سُنيد بن[3] داود : أن زيدَ بن حارثة وأسيد بن الحضير أخوان ، وهو حسن إذ هما أنصاري ومهاجري ، وأما المؤاخاة بين حمزة وزيد فقد ذكرناها في المرة الأولى .

رجع إلى ابن إسحاق : وجعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل أخوين[4] ، وأنكره الواقدي لغيبة جعفر بالحبشة ، وعند سُنيد أن المؤاخاة كانت بين ابن مسعود ومعاذ بن جبل .

رجع : وأبو بكر بن أبي قحافة وخارجة بن زيد بن أبي زهير أخوين ، وعمر بن الخطاب وعِتْبان بن مالك أخوين ، وأبو عُبيدة بن الجراح وسعد بن معاذ أخوين ، وعبد الرحمن ابن عوف وسعد بن الربيع أخوين ، والزبير بن العوام وسلمة بن سلامة بن وقش أخوين ، ويُقال : بل الزبير وعبد الله بن مسعود . قلت : هذا كان في المؤاخاة الأولى قبل الهجرة . وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر أخوين ، وطلحة بن عُبيد الله وكعب بن مالك

(١) حديث الخرائطي الثاني عن ابن عمر لم نجده في صحيح مسلم ولا في النسائي ، وذكره الصالحي في « السيرة الشامية » وقال : روى مسلم والنسائيُّ والخرائطي عن ابن عمر ، ونظنه قد تابع ابن سيد الناس في ذلك .. وقد وجدنا سبط ابن العجمي يقول : قول المؤلف : « رواه مسلم عن أبي كريب والترمذي والنسائيُّ عن هَنَّاد ، وكلاهما عن أبي معاوية ..» هذا الكلام فيه نظر ، والحديث المذكور ليس في مسلم ولا في الكتابين ، ولا ترجمة الأعمش عن نافع عن ابن عمر في الكتب الستة فيحرر ما قاله .. نور النبراس لوحة ٢٧٨/١ .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥٠٤/١ ــ ٥٠٥ .

(٣) سُنيد بن داود : المِصيصي ، أبو علي المحتسب ، صاحب التفسير ، روى عن حماد بن زيد وشريك وابن المبارك ، وروى عنه أبو زُرْعة وأبو بكر الأثرم ، وذكره أبو حاتم في شيوخه وقال : بغدادي صدوق . وقال ابن أبي عاصم : توفي سنة ٢٢٠ هـ . خلاصة الخزرجي ص ١٣٧ .

أخوين ، وسعيد بن زيد وأبيّ بن كعب أخوين ، ومعصب بن عُمير وأبو أيوب خالد ابن زيد أخوين ، وأبو حُذيفة بن عتبة وعبَّاد بن بشِر أخوين ، وعمَّار بن ياسر وحذيفة ابن اليمان أخوين . ويقال : بل ثابت بن قيس بن الشمَّاس . وأبو ذر والمنذر بن عمرو أخوين[1] ، وأنكره الواقدي ؛ لغيبة أبي ذر عن المدينة ، وقال : لم يشهد بدراً ولا أحداً ولا الخندق ، وإنما قدم بعد ذلك ، وعنده : طليب بن عُمير والمنذر بن عمرو أخوين .

رجع إلى ابن إسحاق : وحاطب بن أبي بلتعة وعُويم بن ساعدة أخوين ، وسلمان الفارسي وأبو الدرداء أخوين ، وبلال وأبو رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمي أخوين[2] ، وعند سُنيد بن داود فيما حكاه أبو عمر ، المؤاخاة بين أبي مرثد وعبادة بن الصامت ، وبين سعد بن أبي وقاص وسعد بن معاذ ، وبين عبد الله بن جحش وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، وبين عتبة بن غزوان وأبي دجانة ، وبين أبي سلمة بن عبد الأسد وسعد بن خيثمة ، وبين عثمان بن مظعون وأبي الهيثم بن التيهان . وزاد غيره : وبين عُبيدة ابن الحارث وعُمير بن الحمام ، وبين الطفيل بن الحارث أخي عبيدة وسفيان[3] بن نَسْر ابن زيد من بني جُشم بن الحارث بن الخزرج ، وبين الحصين أخيهما وعبد الله بن جبير ، وبين عثمان بن مظعون والعباس بن عُبادة بن نَضْلة ، وبين صفوان بن بَيْضاء ورافع بن المُعَلَّى ، وبين المقداد وابن رواحة ، وبين ذي[4] الشِّمالين ويزيد بن الحارث – من بني حارثة – وبين عمير بن أبي وقاص وخُبيب بن عدي ، وبين عبد الله بن مظعون وقُطْبة ابن عامر ابن حديدة ، وبين شمَّاس بن عثمان وحنظلة بن أبي عامر ، وبين الأرقم بن أبي الأرقم وطلحة بن زيد ، وبين زيد بن الخطاب ومَعْن بن عديّ ، وبين عَمْرو بن سُرَاقة وسَعْد بن زيد – من بني عبد الأشهل – وبين عاقل بن البُكَيْر ومُبَشِّر بن عبد المنذر ،

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٥٠٤ – ٥٠٥ .
(٢) الدرر في اختصار المغازي والسير ص ٨٩ .
(٣) كذا في النسخ « أ » و « ج » و « د » وصوَّبه ابن ماكولا ، وفي « ب » : ابن بشر ، وقال به أبو معشر أيضاً كما في نور النبراس لوحة ١/٢٧٩ .
(٤) ذو الشمالين : هو عُمير بن عبد عمرو بن نضلة ، خزاعي ، حليف لبني زُهرة ، وكان أعسَرَ ، استُشهد ببدر ، أسد الغابة ٢/١٤١ .

وبين عبد الله بن مَخْرَمة وفروة بن عمرو البياضي ، وبين خُنَيْس بن حُذافة والمنذر بن محمد بن عقبة ابن أُحَيْحة بن الجُلَاح ، وبين سَبْرة بن أبي رُهْم وعبادة بن الخَشْخَاش ، وبين مِسْطح بن أُثَاثة وزيد بن المُزَيَّن ، وبين عُكَّاشة بن مِحْصن والمُجَذَّر بن ذِياد — حليف الأنصار — وبين عامر بن فُهَيْرة والحارث بن الصِّمَّة ، وبين مِهْجع مولى عمر وسُراقة بن عمرو بن عطية — من بني غنم بن مالك بن النجار — .

وكل هذا المزيد عن أبي عمر(١) ، وقيل : كان عددهم مائةً : خمسين من المهاجرين وخمسين من الأنصار .

وزيد بن المُزَيَّن ، كذا وُجد بخط أبي عمر ، بزاي مفتوحة وياء آخر الحروف مشددة مفتوحة . وفي أصل ابن مُفَوِّز(٢) : المِزْين بكسر الميم ، ساكنةِ الزاي ، مفتوحةِ الياء . وعند ابن هشام : ابن المزني(٣) .

قال ابن إسحاق : فلما دوَّن عمر الدواوين بالشام ، وكان بلال قد خرج إلى الشام فأقام بها مجاهداً ، فقال عمر لبلال : إلى من تجعل ديوانَك ؟ قال : مع أبي رويحة ، لا أفارقه أبداً ؛ للأخوة التي كان رسول الله ﷺ عقد بيني وبينه ، فضمَّه إليه ، وضمَّ ديوانَ الحبشة إلى خثعم لمكان بلال منهم ، فهو في خثعم إلى هذا اليوم بالشام(٤) .

أخبرنا عبد الرحيم بن يوسف الموصلي وغازي بن أبي الفضل الدمشقي ، قالا : أخبرنا عمر بن محمد بن مُعَمَّر ، أخبرنا هبة الله بن محمد ، أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله ، حدثنا أبو عبد الله الحسين بن عمر الثقفي ، حدثنا العلاء ابن عمرو الحنفي ، حدثنا أيوب بن مُدرك ، عن مكحول ، عن أبي أمامة ، قال : لما آخى

---

(١) الدرر في المغازي والسير ؛ لابن عبد البر ص ٩١ — ٩٢ .

(٢) ابن مُفوِّز : المراد به الحافظ أبو الحسن طاهر بن مفوِّز بن أحمد بن مُفوِّز المغافري الشاطبي ، أكثر عن أبي عمر بن عبد البر ، وكان من أثبت الناس فيه ، وكان حسن الخط ، موصوفاً بالذكاء وسعة العلم .. نور النبراس لوحة ٢٨١/١ .

(٣) كذا في جميع النسخ ، وفي السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٩٢/١ : زين بن المُرَيّ .

(٤) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥٠٧/١ .

النبيُّ ﷺ بين الناس آخى بينه وبين عليٍّ[1] .

أخبرنا أبو عبد الله بن أبي الفتح فيما قرأ عليه الحافظ أبو الحجَّاج المِزّي وأنا أسمع ، قال له : أخبرك القاضي أبو القاسم عبد الصمد بن محمد الأنصاري قراءة عليه وأنت تسمع ؟ فأقرَّ به ، قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد المالكي سماعاً ، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن عبد الواحد السُّلَمي ، أخبرنا جدي أبو بكر محمد بن أحمد ، أخبرنا محمد بن جعفر الخرائطي ، حدثنا سَعْدَان بن يزيد ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا حُميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، أن عبدَ الرحمن بن عوف هاجر إلى المدينة ، فآخى رسولُ الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع ، فقال له سعد : يا عبدَ الرحمن إني من أكثر الأنصار مالاً ، وأنا مُقاسِمُك ، وعندي امرأتان ، فأنا مُطَلِّق إحداهما ، فإذا انقضت عِدّتُها فتزوّجْها . فقال له : بارك الله لك في أهلك ومالك . رواه البخاري[2] من حديث حُميد عن أنس أطولَ من هذا .

* * *

(١) حديث أبي أمامة في الغيلانيات ، وهو ضعيف جداً ، فيه العلاء بن عمرو الحنفي متروك ، لا يجوز الاحتجاج به ، وأيوب بن مُدرك متروك أيضاً ، ومكحول لم ير أبا أمامة ، كما ذكر ذلك أبو حاتم .. من نور النبراس باختصار لوحة ١/٢٨٥ .

(٢) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار (باب إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار) رقم /٣٧٨٠/ . قال سبط ابن العجمي : الحديث أخرجه الأئمة في الكتب الستة ، وإنما عدل المؤلف عن ذكره عنها أن يقع له من هذه الطريق التي ساقها أعلى من الكتب الستة ، والله أعلم . نور النبراس لوحة ١/٢٩٥ .

بدء الأذان

وكان الناس إنما يجتمعون إلى الصلاة لتحيّن مواقيتها من غير دعوة ، فهمَّ رسولُ الله ﷺ أن يجعلَ بوقاً كبوق اليهود الذين يَدْعون به لصلاتِهم ، ثم كرهه ، ثم أمر بالناقوس فنُحت ليَضربَ به للمسلمين في الصلاة ، فبينما هم على ذلك رأى عبدُ الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربهِ ـ أخو بلحارث بن الخزرج ـ النداءَ .

روينا من طريق أبي داود ، حدثنا عبَّاد[1] بن موسى الخُتُلي وزياد بن أيوب ، وحديث عبَّاد أتم ، قالا : حدثنا هُشيم ، عن أبي بشِر ، قال زياد : أخبرنا أبو بِشر ، عن أبي عُمير ابن أنس ، عن عمومة له من الأنصار ، قال : اهتمَّ النبيُّ ﷺ للصلاة كيف يجمعُ الناسَ لها ، فقيل له : انصب رايةً عند حضور الصلاة فإذا رأوها آذنَ بعضُهم بعضاً ، فلم يعجبه ذلك ، قال : فذكر له القُنْع ـ يعني الشَّبُّور ـ[2] وقال زياد : شَبُّور اليهود . فلم يعجبه ذلك ، وقال : هو من أمر اليهود . قال : فُذكر له الناقوس . فقال : هو من أمر النصارى فانصرفَ عبدُ الله بن زيد وهو مهتمٌّ لهمِّ رسول الله ﷺ ، فأُري الأذان في منامه . قال فغدا على رسول الله ﷺ فأخبرَه ، فقال يا رسول الله ! إني لبَيْنَ نائم ويقظان إذا أتاني آتٍ فأراني الأذانَ ، قال : وكان عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه قد رآه قبل ذلك فكتمَه عشرين يوماً . قال : ثم أخبر النبيَّ ﷺ . فقال له : ما منعكَ أن تخبرني . فقال : سبقني عبدُ الله بنُ زيد فاستحييتُ . فقال رسول الله ﷺ : يا بلال ! قمْ فانظرْ ماذا يأمُرك به عبدُ الله بن زيد فافعله ، فأذَّنَ بلال . قال أبو بشر : فأخبرني أبو عُمير أن الأنصار تزعمُ أن عبدَ الله بن زيد لولا أنه كان يومئذٍ مريضاً لجعلَه رسولُ الله ﷺ مؤذناً[3] .

---

(١) قال في نور النبراس : عبَّاس بن موسى : كذا في النسخ التي وقعت عليها ، وما أدري .. هل هو من النساخ أو من المؤلف . وصوابه عباد بالدال ، وكذا هو على الصواب في سنن أبي داود . نور النبراس لوحة ٢٩٨/١ .

(٢) « الشَّبور » : البوق .

(٣) رواه أبو داود في كتاب الصلاة (باب كيفية الأذان) رقم /٤٩٨/ وإسناده صحيح . وانظر السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥٠٨/١ .

وروينا عن ابن إسحاق من طريق زياد ، ومن طريق أبي داود ، حدثنا محمد بن منصور الطوسي ، حدثنا يعقوب ، حدثنا أبي ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن محمد بن عبد الله بن زيد بن عبد ربه ، قال : حدثني أبي عبدُ الله بن زيد ، قال : لما أمر رسولُ الله ﷺ بالناقوس يُعمل ليضربَ به للناس يجمع للصلاة ، طافَ بي وأنا نائم رجلٌ يحمل ناقوساً في يده ، فقلت : يا عبد الله ! أتبيعُ الناقوسَ ؟ قال : وما تصنعُ به ؟ فقلت : ندعو به إلى الصلاة . قال : أفلا أدُلُّكَ على[1] ما هو خيرٌ من ذلك ؟ فقلت : بلى . فقال تقول : الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، أشهدُ أنّ لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله أشهدُ أن محمداً رسول الله ، حيّ على الصلاة حيّ على الصلاة ، حيّ على الفلاح حيّ على الفلاح ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله . قال : ثم استأخر عني غير بعيد ، ثم قال : تقول إذا أقمت الصلاة : الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهدُ أن محمداً رسول الله ، حي على الصلاة حي على الفلاح ، قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله . فلما أصبحتُ أتيتُ رسولَ الله ﷺ فأخبرتُه بما رأيتُ . فقال : إنها لرؤيا حقّ إن شاء الله ، فقم مع بلال فألقِ عليه ما رأيتَ ، فليؤذن به ، فإنه أندى صوتاً منك . فقمتُ مع بلال فجعلتُ ألقيه عليه ويؤذن به ، قال : فسمعَ بذلك عمرُ بن الخطاب وهو في بيته ، فخرج يجرُّ رداءَه يقول : والذي بعثك بالحقّ يا رسول الله لقد رأيتُ مثل ما رأى . فقال رسولُ الله ﷺ : « فللّه الحمد »[2] . اللفظ لأبي داود .

قال ابن هشام : وذكر ابن جريج قال : قال لي عطاء : سمعتُ عُبيد بنَ عُمير يقول : ائتمر النبيُّ ﷺ وأصحابُه بالناقوس للاجتماع للصلاة ، فبينما عمرُ بن الخطاب يُريد أن يشتريَ خشبتين للناقوس ؛ إذ رأى في المنام أن لا تجعلوا الناقوس ، بل أذنّوا للصلاة ، فذهب إلى النبي ﷺ ليخبرَه بالذي رأى ، وقد جاء النبيَّ ﷺ الوحيُ بذلك ، فما راعَ عمر

---

(١) كذا في « أ » وسنن أبي داود ٣٣٨/١ وفي « ج » و « د » : أفلا أدلك على ما هو خير لك من ذلك .

(٢) رواه أبو داود في كتاب الصلاة (باب كيفية الأذان) رقم /٤٩٩/ ، وقال الخطابي : روي هذا الحديث والقصة بأسانيد مختلفة ، وهذا الإسناد أصحُّها .

إلا بلال يُؤذِّن ، فقال رسول الله ﷺ حين أخبره بذلك : قد سبقَك بذلك الوحيُ[1] .

وكان يُؤَذِّنُ لرسول الله ﷺ بلال ، وابن أم مكتوم ، وأبو محذورة ، وسعد القرظ ، وهو ابن عائذ مولى عمار بن ياسر ، وكان يلزم التجارة في القرظ فعُرف بذلك ، وكان يؤذن لأهل قباء ، وابن أم مكتوم : عمرو بن قيس العامري ، وقيل : عبد الله . وأبو محذورة : سمرة بن معير ، وقيل أوس .

وروينا عن الطبراني : حدثنا أبو عبد الرحمن النسائي ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن راهويه ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثنا أبي ، عن عامر الأحول ، عن مكحول ، عن عبد الله بن مُحيريز ، عن أبي محذورة ، قال : علمني رسولُ الله ﷺ فقال : الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسولُ الله أشهد أن محمداً رسولُ الله ، ثم يعودُ فيقولُ : أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسولُ الله أشهد أن محمداً رسول الله ، حيّ على الصلاة حي على الصلاة ، حيّ على الفلاح حيّ على الفلاح ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله[2] . رواه النسائي في سننه كذلك . ورواه مسلم عن ابن راهويه ، فوقع لنا عالياً ، وهذا من أعزّ الموافقات .

قال ابن إسحاق : ونصبت عند ذلك أحبار يهود لرسول الله ﷺ العداوة بغياً وحسداً وضِغْناً ، لما خصَّ الله به العربَ من أخذه رسولَه منهم ، وانضاف إليهم رجال من الأوس والخزرج ممن كان عَسَى[3] على جاهليته ، فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالمبعث ، إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره واجتماع قومهم عليه ، فظهروا بالإسلام واتخذوه جُنّة من القتل ، ونافقوا في السر ، فكان هواهم مع يهود ، وكان أحبار يهود هم الذين يسألون رسولَ الله ﷺ ويتعنتونه ليلبسوا الحق بالباطل ، فكان القرآن ينزل فيهم فيما يسألون عنه ، إلا قليلاً من المسائل في الحلال والحرام ، كان المسلمون يسألون عنها .

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٠٩/١ .

(٢) رواه مسلم في كتاب الصلاة (باب صفة الأذان) رقم/٣٧٩/ ، والنسائي في الأذان (باب خفض الصوت في الترجيع في الأذان) ٤/٢ ، كما رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من طريق آخر .

(٣) « عسى على جاهليته » : تصلّب وتشدد في البقاء عليها .

فمن اليهود الموصوفين بذلك حيّ بن أخطب وأخواه ياسر[1] وجُدَيّ ، وسلّام بن مِشكم ، وكِنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وكعب بن الأشرف ، وعبد الله بن صُوريا الأعور – من بني ثعلبة بن الفِطْيون – ولم يكن بالحجاز في زمانه أعلم بالتوارة . وابن صَلُوبا ، ومُخيريق – وكان حَبْرَهم –[2] .

وذكر ابن إسحاق منهم جماعة : منهم عبد الله بن سلام ، وكان حَبْرَهم[3] وأعلَمهم ، وكان اسمه الحصين ، فلما أسلم سمَّاه رسولُ الله ﷺ عبدَ الله[2] .

* * *

(1) ياسر : عم صفية بنت حيي بن أخطب ، يهودي معروف ، قُتل في خيبر ، وسيأتي قريباً بعد في خبر مخيريق : « عمي أبو ياسر » وكذا في سيرة مغلطاي . فهل هما اثنان ؟ أو على حذف حرف ، وأن اسمه ياسر وكنيته أبو ياسر ، والله أعلم . نور النبراس لوحة ٣٠٥/١ .

(2) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥١٣/١ – ٥١٤ .

(3) كذا في السيرة النبوية و « ج » و « د » ، وفي « أ » و « ب » : وكان خيرهم . وأشار إلى هذا الاختلاف في النسخ في نور النبراس لوحة ٣٠٩/١ .

إسلام عبد الله بن سلام

رضي الله تعالى عنه

وهو من بني إسرائيل ، من ولد يوسف بن يعقوب نبي الله ، وهو حليف للقواقلة ، وهم بنو غنم وبنو سالم ابنا عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج .

روينا عن ابن سعد : أخبرنا عبدُ الله بن عمر ، وأبو معمر المِنْقَري ، حدثنا عبدُ الوارث ابن سعيد ، حدثنا عبد العزيز بن صُهيب ، عن أنس بن مالك ، قال : أقبلَ نبيُّ الله ﷺ إلى المدينة ، قالوا : جاء نبي الله . فاستشرفوا ينظرون ، إذ سمع به عبد الله بن سلام وهو في نخل لأهله يخترف[1] لهم منه ، فعجلَ أن يضعَ التي يخترف لهم فيها فجاء وهي معه ، فسمعَ من نبيّ الله ﷺ ، ثم رجعَ إلى أهله . فلما خَلَى نبيُّ الله ﷺ جاء عبدُ الله بن سلام فقال أشهدُ أنك رسولُ الله حقاً وأنك جئت بحق ، ولقد علمتِ اليهودُ أني سيّدُهم وابنُ سيّدهم ، وأعلَمُهم وابن أعلمهم ، فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمتُ ، فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا فيَّ ما ليس فيَّ . فأرسل نبيُّ الله ﷺ إليهم ، فدخلوا عليه ، فقال لهم نبيّ الله ﷺ : يا معشرَ اليهود ! ويلكم اتقوا الله ، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسولُ الله حقاً ، وأني جئتكم بحق ، أسلموا . قالوا : ما نعلمه ، فأعادَها عليهم ثلاثاً ، وهم يُجيبونه كذلك. قال : فأيُّ رجل فيكم عبدُ الله ابن سلام ؟ قالوا : ذلك سيّدُنا وابنُ سيدنا وأعلُمنا وابن أعلمنا . قال : أفرأيتم إن أسلَمَ . قالوا : حاشى لله ما كان ليُسلمَ . فقال : يا ابنَ سلام اخرجْ عليهم . فخرجَ إليهم ، فقال : يا معشرَ اليهود ! ويلكم ! اتقوا الله ، والله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسولُ الله حقاً ، وأنه جاء بالحق . فقالوا : كذبتَ . فأخرجهم النبيُّ ﷺ[2] . رواه البخاري من حديث عبد العزيز بن صُهيب .

---

(١) « يخترف » يجتني .

(٢) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢٣٦/١ ، ورواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار (باب هجرة النبي ﷺ) رقم /٣٩١١/ . قال في نور النبراس لوحة ٣١١/١ : ولو أخرجه من طريق البخاري لكان أعلى بدرجة مما ذكر من طبقات ابن سعد .

وروينا من طريق البخاري : حدثني حامد بن عمر ، عن بِشر بن المُفَضَّل ، حدثنا حُميد ، حدثنا أنس ؛ أن عبدَ الله بن سلام بلغه مقدمُ النبيِّ ﷺ المدينةَ ، فأتاه يسأله عن أشياء ، فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبيّ ، ما أوّل أشراط الساعة ، وما أوّل طعام يأكُله أهلُ الجنة ، وما بال الولد ينزع إلى أبيه وإلى أمه ؟ قال : « أخبرني بهنّ جبريلُ آنفاً » . قال ابن سلام : ذاك عدوّ اليهود من الملائكة . قال : « أما أوّل أشراط الساعة فنارٌ تحشرُهم من المشرق إلى المغرب ، وأما أوّلُ طعام يأكلُه أهلُ الجنة فزيادةُ كبدِ الحوت ، وأما الولد فإذا سبقَ ماءُ الرجل ماءَ المرأة نزعَ الولدَ ، وإذا سبق ماءُ المرأة ماءَ الرجل نزعتِ الولدَ » . قال : أشهدُ أن لا إلَه إلا الله وأنّك رسولُ الله . قال : يا رسول الله إن اليهودِ قوم بُهْتٌ[1] . فذكرَ نحو ما تقدم .

وروينا عن ابن سعد : أخبرَنا يزيد بن هارون ، أخبرنا جُويبر ، عن الضحّاك ، في قوله تعالى : ﴿ قل أرأيتُم إنْ كان من عند الله وكفرتُم به وشِهدَ شاهدٌ من بني إسرائيلَ على مِثله ﴾ [الأحقاف : ١٠] قال جاء عبدُ الله بن سَلَام إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! إن اليهودَ أعظمُ قومٍ غضيهة[2] ، فسلهم عني ، وخذ عليهم ميثاقاً أني إن اتبعتُك وآمنتُ بكتابِك أن يؤمنوا بك وبكتابك الذي أُنزل عليك ، واخبئني يا رسول الله قبل أن يدخلوا عليك ، فأرسل إلى اليهود ، فقال : ما تعلمون عبدَ الله بن سلام فيكم ؟ قالوا : خيرُنا[3] ، وأعلَمُنا بكتاب الله ، سيدنا وعالمنا وأفضلنا . قال : أرأيتم إن شهدَ أني رسولُ الله وآمن بالكتاب الذي أُنزل عليَّ ، تؤمنون بي ؟ قالوا : نعم . فدعاه ، فخرج عليهم عبدُ الله . فقال : يا عبد الله بن سلام ! أما تعلم أني رسول الله ؟ تجدوني مكتوباً

---

(١) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار (باب كيف آخى النبي بين أصحابه) رقم /٣٩٣٨/ وتتمته : إن اليهود قومٌ بهتٌ ، فاسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي . فجاءت اليهودُ ، فقال النبي ﷺ : « أرأيتم إنْ أسلمَ عبدُ الله بن سلام ؟ » قالوا : أعاذَه الله من ذلك . فأعادَ عليهم ، فقالوا مثل ذلك . فخرجَ إليهم عبدُ الله فقال : أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله . قالوا : شرُّنا وابن شرِّنا ، وتنقَّصُوه . قال : هكذا كنتُ أخافُ يا رسولَ الله .

(٢) « غَضِيهةٌ » : كذباً وبهتاناً .

(٣) في « ج » و « د » : وابن خيرنا .

عندكم في التوراة والإنجيل ، أخذَ الله ميثاقكم أن تؤمنوا بي ، وأن يتبعني من أدركني منكم ؟ قال : بلى . قالوا : ما نعلمُ أنك رسولُ الله . وكفروا به وهم يعلمون أنه رسول الله ، وأن ما قالَ حقّ ، فأنزل الله : ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله ﴾ - يعني الكتاب والرسول - ﴿ وكفرتُم به ، وشهدَ شاهدٌ من بني إسرائيلَ على مثله ﴾ يعني عبد الله بن سلام ﴿ فآمنَ واستكبرتُم إنَّ الله لا يَهدي القومَ الظالمين ﴾ [الأحقاف : ١٠] ففي ذلك نزلت هذه الآية(٥) .

* * *

(١) الطبقات الكبرى ، لابن سعد ٣٥٢/٢ ، وإسناده ضعيف جداً ، فيه جُويبر بن سعد أبو القاسم الأزدي متروك ، والضحاك بن مزاحم متكلم فيه . باختصار من نور النبراس لوحة ٣١٢/١ .

خبر مخيريق

قال ابن إسحاق : وكان حَبْراً عالماً غنياً كثيرَ الأموال من النخل ، وكان يعرفُ رسولَ الله ﷺ بصفته ، وما يجدُ في علمه ، وغلب عليه إلفُ[1] دينهِ ، فلم يزلْ على ذلك حتى كان يومُ أُحد يومُ السبت ، قال : والله يا معشرَ يهود إنكم لتعلمون أن نصرَ محمدٍ عليكم لحقّ . قالوا : إن اليومَ يومُ السبت . قال : لا سبتَ لكم ، ثم أخذ سلاحَه فخرجَ حتى أتى رسولَ الله ﷺ وأصحابَه بأُحد ، وعهد إلى مَن وراءَه من قومه : إن قتلتُ هذا اليوم فأموالي إلى محمد يصنعُ فيها ما أراه الله . فلما اقتتل الناسُ قاتل حتى قُتل ، فكان رسولُ الله ﷺ فيما بلغني يقول : « مخيريق خيرُ يهود » . وقبضَ رسولُ الله ﷺ أموالَه فعامَّةُ صدقاتِ رسول الله ﷺ بالمدينة منها[2] .

وقال الواقدي : كان مخيريق أحدَ بني النضير حَبْراً عالماً ، فآمن برسول الله ﷺ ، وجعل مالَه له ، وهو سبعة حوائط[3] ، فجعلَها رسولُ الله ﷺ صدقةً ، وهي المِيْثَب ، والصَّافية ، والدَّلال ، وحُسْنى ، وبُرْقَة ، والأَعْواف ، ومَشْربةُ[4] أمّ إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، وهي مارية القبطية[5] .

---

(١) « إلفُ دينه » : أي دين النبي ﷺ .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥١٨/١ .

(٣) « حوائط » : جمع حائط ، وهو البستان من النخل .

(٤) « مشربة » : قال الخليل : هي الغرفة ، وقال الطبري : هي كالخزانة فيها الطعام والشراب . وقال السهيلي : وإنما سميت مشربة أم إبراهيم ؛ لأنها كانت تسكنها . نور النبراس لوحة ٣٢٣/١ .

(٥) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٥٠٢/١ .

[أخبار كفار اليهود والمنافقين]

وذكر ابن إسحاق : عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : حُدِّثت عن صفية ابنة حيي ، أنها قالت : كنتُ أحبَّ ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر ، فلما قدم رسولُ الله ﷺ المدينة غَدَوا عليه ، ثم جاءا من العشيّ ، فسمعتُ عمي يقول لأبي : أهو هو ؟ قال : نعم والله . قال : أتعرفه وتثبته . قال : نعم . قال : فما في نفسك منه ؟ قال : عداوته — والله — ما بقيت[1] .

وذكر ابن إسحاق من المنافقين رُويَّ بن الحارث ، والحارث بن سُويد ، وجُلاس بن سُويد ، وكان ممن تخلَّف عن غزوة تبوك ، وقال : لئن كان هذا الرجلُ صادقاً لنحن شرٌّ من الحمر . فرَفعَ ذلك إلى رسول الله ﷺ عميرُ بن سعد ، وكان في حِجْر جُلَاس ، خَلَفَ على أمّه ، فقال له عُمير : والله يا جُلَاس إنك لأحبُّ الناس إليَّ ، وأحسنُهم عندي يداً ، ولقد قلتَ مقالةً لئن رفعتُها عنك لأفضحنَّك ، ولئن صمتُّ عليها ليهلكنَّ ديني ، ولإحداهُما أيسرُ عليَّ من الأخرى ، ثم مشى إلى رسول الله ﷺ فذكر له ما قال جُلاسٌ . فحلف جُلَاس بالله لرسول الله ﷺ : لقد كذبَ عليَّ عُمير ، وما قلتُ ما قال . فأنزلَ الله تعالى : ﴿ يَحْلِفُونَ باللهِ ما قَالُوا ولقد قَالُوا كلمةَ الكُفْرِ وكَفَرُوا بعدَ إسلامِهِم ﴾ إلى قوله : ﴿ وما لَهمُ في الأرضِ مِنْ وَلِيّ ولا نَصيرٍ ﴾ [التوبة : ٧٤] فزعموا أنه تاب ، فحسُنَتْ توبتُه[2] .

وزاد ابنُ سعد في هذا الخبر : فقال — يعني جُلَاساً — قد قلتُه وقد عرضَ الله عليَّ التوبة فأنا أتوب[3] ، فقُبل ذلك منه . وكان له قتيل في الإسلام فوَداه رسولُ الله ﷺ فأعطاه ديتَه فاستغنى بذلك . وكان قد هَمَّ أن يلحق بالمشركين . قال : وقال رسول الله ﷺ للغلام : « وَفَتْ أُذُنُكَ »[2] . وقال الواقدي : ولم ينزع جلاسٌ عن خير كان يصنعهُ

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٥١٨ .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٥١٩ .

(٣) يشير إلى الآية التي نزلت في المناسبة نفسها ، وهي قوله تعالى : ﴿ فإن يتوبوا يكُ خيراً لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذاباً أليماً ﴾ [التوبة : ٧٤] .

إلى عُمير ، فكان ذلك مما عُرفت به توبتُه[1] .

وأخوه الحارث هو الذي قتل المُجَذَّر بن ذياد البلوي يومَ أُحد بأبيه سُوَيد بن الصامت ، فأمر رسولُ الله ﷺ عمرَ بن الخطاب بقتل الحارث إن ظَفِرَ به ، ففاته فكان بمكة ، ثم بعث إلى أخيه الجُلَاس يطلب التوبةَ ، فأنزل الله فيه فيما بلغني عن ابن عباس : ﴿ كيفَ يَهْدِي اللهُ قَوْمَاً كَفَرُوا بعد إيمانهم ﴾ [آل عمران : ٨٦] إلى آخر القصة[2] .

وقال الواقدي : إن الحارث أتى مُسلماً بعد الفتح ، وكان قد ارتد ولحق بالمشركين ، فقتلَه النبيُّ ﷺ بالمُجَذَّر[3] .

ومن بني ضُبَيْعة بن زيد : بِجَاد بن عثمان ، ونَبْتَل بن[4] الحارث ، وهو الذي قال : إنما محمد أذنٌ ، من حدَّثه شيئاً صدَّقه ، فأنزل الله فيه : ﴿ ومنهمُ الذين يُؤذون النبيَّ ويقولونَ هو أُذُنٌ ﴾ [التوبة : ٦١] وأبو حَبيبةَ بن الأزعر ، وكان ممن بنى مسجد الضِّرار ، وثعلبة ابن حاطب ، ومُعَتِّب بن قُشير ، وهما اللذان عاهدا الله ﴿ لئن آتَانَا من فضلِه ﴾ [التوبة : ٧٥] إلى آخر القصة . ومُعَتِّب الذي قال يوم أحد : ﴿ لو كانَ لنا من الأمر شيءٌ ما قُتِلْنَا هَاهُنا ﴾ [آل عمران : ١٥٤] وهو الذي قال يوم الأحزاب : كان محمد يَعِدُنا أن نأكلَ كنوزَ كسرى وقيصر ، وأحدُنا لا يأمن أن يذهبَ إلى الغائط ، فأنزلَ الله : ﴿ وإذْ يقولُ المنافقونَ والذين في قلوبهم مرضٌ ما وعدَنا اللهُ ورسولُه إلا غُروراً ﴾ [الأحزاب : ١٢] – وأنكر ابن هشام دخولَ ثعلبة ومُعَتِّب في المنافقين[5] – وعبَّاد بن حُنيف – أخو سهل وعثمان – وجارية بن عامر[6] ، وابناه مُجمِّع وزيد – وقيل : لا يصح عن مجمّع النفاق – وذكر آخرين .

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٣٧٦/٤ .
(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥٢١/١ .
(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٣٥٣/٣ .
(٤) في السيرة النبوية ٥٢١/١ أن نبتَل بن الحارث من بني لَوْذان بن عمرو بن عوف .
(٥) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥٢٢/١ .
(٦) ذكر في السيرة النبوية أن جارية بن عامر من بني ثعلبة بن عمرو بن عوف .

ومن بني أمية بن زيد : وديعة بن ثابت،وهو الذي كان يقول : ﴿ إنما كُنّا نخوضُ ونلعبُ ﴾ [التوبة : ٦٥] .

ومن بني عُبيد : خِذَام بن خالد ، وهو الذي أخرج مسجد الضِّرار من داره ، وبشر ، ورافع ابنا زيد .

ومن بني النَّبِيْت عمرو بن مالك بن الأوس : مِرْبعُ بن قيظي ، وأخوه أوس ، وأوس الذي قال يوم الخندق : إن بيوتنا عورة فأْذَنْ لنا فلنرجعْ إليها ، فأنزلَ الله فيه : ﴿ يقولونَ إنَّ بيُوتَنا عورةٌ وما هي بعورة ﴾ الآية [الأحزاب : ١٣] .

ومن بني ظَفَر : حاطب بن أمية ، وبُشير بن أُبيرق ، والحارث بن عمرو بن حارثة . وعند ابن إسحاق : بُشير ، وهو أبو طُعمة سارقُ الدرعين ، الذي أنزل الله فيه ﴿ ولا تُجادلْ عن الذينَ يَختانونَ أنفسَهم ﴾ [النساء : ١٠٧] وقُزمان : حليف لهم ، وهو المقتول يوم أحد بعد أن أبلى في المشركين ، قتل نفسَه ، بعد أن أخبرَ رسولُ الله ﷺ أنه من أهل النار .

ولم يكن في بني عبد الأشهل منافق ولا منافقة ، إلا أن الضحاك بن ثابت اتهم بشيء من ذلك ولم يصح .

ومن الخزرج من بني النجار : رافع بن وديعة ، وزيد بن عمرو ، وعمرو بن قيس ، وقيس بن عمرو بن سهل .

ومن بني جُشَم بن الخزرج : الجَدُّ بن قيس وهو الذي يقول : يا محمد إئذن لي ولا تفتني[1] .

ومن بني عوف بن الخزرج : عبد الله بن أُبيّ بن سلول ، وكان رأسَ المنافقين ، وهو الذي قال : ﴿ لئنْ رَجَعْنَا إلى المدينةِ ليُخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ ﴾ [المنافقون : ٨] في غزوة بني المصطلق ، وفيه نزلت سورة المنافقين بأسرها[2] .

---

(١) قال ذلك معتذراً عن الخروج إلى تبوك ، وقوله : إني أخشى على نفسي نساء بني الأصفر .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٥٢٣ — ٥٢٦ .

قال أبو عمر : وزيد بن أرقم هو الذي رفع إلى رسول الله ﷺ عن عبد الله بن أبي قوله : ﴿ لئنْ رَجَعْنَا إلى المدينة ﴾ فأكذبه عبد الله بن أبي وحلف ، فأنزل الله تصديقَ زيد بن أرقم ، فتبادر أبو بكر وعمر إلى زيد ليبشراه ، فسبق أبو بكر ، فأقسم عمر أن لا يبادره بعدَها إلى شيء ، وجاء النبيُّ ﷺ فأخذ بأذن زيد وقال : « وَفَتْ أُذنُك يا غلام »[1] .

ووديعة وسويد وداعس من رهط ابن سلول ، وهم وعبد الله بن أبي الذين كانوا يدسون إلى بني النضير حين حاصرَهم رسولُ الله ﷺ أن اثبتوا ، فوالله لئن أُخرجتم لنخرجنَّ معكم القصة[2] .

وكان النفاق في الشيوخ ولم يكن في الشباب ، إلا في واحد وهو قيس بن عمرو بن سهل .

رجع إلى ابن إسحاق : فكان ممن تعوَّذ بالإسلام وأظهره وهو منافق من أحبار يهود ، من بني قينقاع : سعد بن حُنيف ، وزيد بن اللُّصَيْت ، ونعمان بن أوفى بن عمرو ، وعثمان بن أوفى . وزيد بن اللُّصَيت هو الذي قال حين ضَلَّتْ ناقةُ رسول الله ﷺ : يزعم محمد أنه يأتيه خبرُ السماء ، وهو لا يدري أين ناقته . فقال رسول الله ﷺ ــ وجاءه الخبر بما قال عدو الله ــ : « إن قائلاً قال : يزعمُ محمد أنه يأتيه خبرُ السماء وهو لا يدري أين ناقته . وإني والله ما أعلم إلا ما علمني ربي ، وقد دلَّني الله عليها ، وهي في هذا الشعب قد حبستها شجرةٌ بزمامها » . فذهبَ رجال من المسلمين فوجدوها حيث قال رسولُ الله ﷺ وكما وصف . ورافع بن حُريملة ، وهو الذي قال رسولُ الله ﷺ حين مات : « قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين » . ورِفاعة بن زيد بن التابوت ، وهو الذي اشتدت الريح يوم موته ، فقال رسول الله ﷺ وهو قافل من غزوة بني المصطلق : « إنها هبَّتْ لموت عظيم من عظماء الكفار » . وسِلْسلة بن بِرهام ، وكنانة بن صُورِيا .

---

(١) الاستيعاب ، لابن عبد البر ١/٥٥٧ .
(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٥٢٦ .

وكان هؤلاء[1] يحضرون المسجد فيسخرون من المسلمين ، فأمر ﷺ بإخراجهم منه فأُخرجوا ، ففيهم نزل صدر سورة البقرة إلى المائة منها .

قال ابن إسحاق : وكتبَ رسول الله ﷺ إلى يهود خيبر فيما حدثني مولًى لآل زيد ابن ثابت ، عن عكرمة ، أو سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ﷺ صاحب موسى وأخيه ، والمصدق لما جاء به موسى ، ألا إن الله تعالى قد قال لكم يا معشر أهل التوراة ، وإنكم تجدون ذلك في كتابكم ﴿ محمدٌ رسولُ اللهِ والذينَ معه أشِدَّاءُ على الكفار رحماءُ بينَهم تراهُم رُكَّعاً سُجَّداً يَبتغونَ فَضْلاً منَ اللهِ ورضواناً سِيماهُم في وِجوهِهم من أثرِ السُّجودِ ذلكَ مَثلُهم في التوراةِ وَمثلُهم في الإنجيلِ كزرعٍ أخرجَ شَطْأَهُ فآزرَه فاستغلظَ فاستوى على سُوقِه يُعجبُ الزُّرَّاعَ ليغيظَ بهم الكُفّار وَعَدَ اللهُ الذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحاتِ منهم مغفرةً وأجراً عظيماً ﴾ [الفتح : ٢٩] وإني أَنشُدكم بالله وأَنشُدكم بما أُنزل عليكم ، وأَنشُدكم بالذي أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المنَّ والسلوى ، وأَنشُدكم بالذي أيبس البحر لآبائكم حتى أنجاهم من فرعونَ وعمله ، إلا أخبرتمونا ، هل تجدون فيما أُنزل عليكم أن تُؤمنوا بمحمد ، فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كره عليكم ، قد تبين الرشد من الغيّ ، فأدعوكم إلى الله وإلى نبيّه »[2] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن يهودَ كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه ، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه . فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء : يا معشر يهود ! اتقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك ، وتخبروننا أنه مبعوث ، وتصفونه لنا بصفته . فقال سَلَّام بن مِشْكم أحدُ بني النضير : ما جاءنا بشيء نعرفه ، ما هو بالذي كنا نذكره لكم ، فأنزل الله في ذلك من قولهم ﴿ ولما جاءَهم كتابٌ من عندِ الله مُصَدِّقٌ لما مَعهم

---

(١) وكان هؤلاء : الإشارة هنا إلى عامة المنافقين من الأوس والخزرج واليهود . وانظر السيرة النبوية ٥٢٨/١ — ٥٣٠ .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥٤٤/١ — ٥٤٥ .

وكانوا من قبلُ يَستفتحونَ على الذينَ كَفَروا فلمَّا جاءَهم ما عَرَفوا كَفَرُوا به فلعنةُ الله على الكافرين ﴾[1] [البقرة : ٨٩] .

قال ابن إسحاق : وقال مالك بن الصَّيف ــ حين بُعث رسول الله ﷺ ، وذكر لهم ما أخذ الله عليهم له من الميثاق وما عهد الله إليهم فيه ــ : والله ما عُهد إلينا في محمد عهد ، وما أُخذ له علينا ميثاق . فأنزل الله فيه : ﴿ أَوَكُلَّما عَاهَدوا عَهْداً نَبَذَه فريقٌ منهم بل أكثرُهم لا يُؤمنون ﴾ [البقرة : ١٠٠] وقال ابن صَلُوبا الفِطْيُوني لرسول الله ﷺ : يا محمد ! ما جئتنا بشيء نعرفه ، وما أنزل الله عليك من آية بينة فنتبعَك بها ، فأنزل الله في ذلك من قوله : ﴿ ولقَدْ أَنْزَلْنا إليكَ آياتٍ بيِّناتٍ وما يَكفرُ بها إلا الفَاسقون ﴾ [البقرة : ٩٩] . وقال رافع بن حُريملة ووهب بن زيد لرسول الله ﷺ يا محمد ائتنا بكتاب تنزله من السماء نقرؤه ، وفجِّرْ لنا أنهاراً نتبعك ونصدقك ، فأنزل الله في ذلك : ﴿ أم تُريدونَ أن تَسألُوا رسولَكم كما سُئل مُوسى من قبلُ ومن يَتَبَدَّلِ الكفرَ بالإيمان فقد ضَلَّ سواءَ السَّبيل ﴾ [البقرة : ١٠٨] وكان حيي بن أخطب ، وأبو ياسر بن أخطب من أشد يهود للعرب حسداً ، إذ خصهم الله برسوله ﷺ ، فكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام بما استطاعا ، فأنزل الله فيهما : ﴿ ودَّ كثيرٌ من أهلِ الكتابِ لو يَرُدُّونَكم من بعد إيمانِكم كُفَّاراً حَسَدَاً من عندِ أنفسِهم من بعد ما تبيَّنَ لهم الحقُّ ﴾ [البقرة : ١٠٩] . الآية[1] .

ولما قدم أهلُ نجران من النصارى على رسول الله ﷺ أتتهم أحبارُ يهود ، فتنازعوا عند رسول الله ﷺ ، فقال لهم رافع بن حُريملة : ما أنتم على شيء ، وكفر بعيسى وبالإنجيل ، فقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود : ما أنتم على شيء ، وجحد نبوة موسى ، وكفر بالتوراة ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وقالتِ اليهودُ ليستِ النَّصارى على شيءٍ وقالتِ النَّصارى ليستِ اليهودُ على شيء ﴾ [البقرة : ١١٣] الآية . وقال رافع بن حريملة : يا محمد إن كنتَ رسولاً من الله كما تقول فقل لله فليكلمنا ، فأنزل الله : ﴿ وقال الذينَ لا يَعلمون لولا يُكَلِّمُنا الله أو تَأْتِيْنا آية ﴾ [البقرة : ١١٨] . وقال عبدُ الله بن

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٥٤٧ ــ ٥٤٩ .

صُوريا الأعور : ما الهدى إلا ما نحن عليه ، فاتبعنا يا محمد تهتدِ . وقالت النصارى مثل ذلك ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وقالُوا كُونوا هُوداً أو نَصارى تَهْتَدوا ﴾ [البقرة : ١٣٥] الآية[1] .

وسأل معاذ بن جبل وسعدُ بن معاذ وخارجةُ بن زيد نفراً من أحبار يهود عن بعض ما في التوراة ، فكتموهم إياه ، فأنزل الله : ﴿ إنَّ الذينَ يَكتُمونَ ما أنزلْنا من البيِّناتِ والهُدى من بعد ما بيَّناه للناس ﴾ [البقرة : ١٥٩] الآية . ودعا عليه الصلاة والسلام اليهودَ إلى الإسلام ، فقال له رافع ومالك بن عوف : بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ، فأنزلَ الله تعالى : ﴿ وإذا قيلَ لهم اتَّبِعُوا ما أنزلَ الله قَالوا بل نَتَّبِعُ ما وَجَدْنا عليه آباءَنَا ﴾ [لقمان : ٢١] ولما أصاب الله قريشاً يومَ بدر جمع رسولُ الله ﷺ يهودَ في سوق بني قينقاع ، حين قدم المدينة ، فقال : يا معشر يهود ، أسلموا قبل أن يصيبَكم الله بمثل ما أصابَ به قريشاً . قالوا له : يا محمد ! لا يغرنَّك من نفسك أنك قتلت نفراً من قريش ، كانوا أغماراً لا يعرفون القتال ، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس ، وإنك لم تلق مثلنا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ قلْ للذينَ كَفَرُوا ستُغلبونَ وتُحشرونَ إلى جهنَّمَ وبئسَ المِهَاد ﴾ [آل عمران : ١٢] الآية والتي بعدها . ودخلَ رسولُ الله ﷺ بيت المدراس على جماعة من يهود ، فدعاهم إلى الله ، فقال له النعمان بن عمرو والحارث بن يزيد : وعلى أي دين أنت يا محمد ؟ قال : على ملة إبراهيم ودينه . قالا : فإن إبراهيم كان يهودياً . فقال لهما رسولُ الله ﷺ : فهلمَّ إلى التوراة فهي بيننا وبينكم فأبيا عليه ، فأنزل الله : ﴿ ألم تَرَ إلى الذينَ أُوتوا نَصيباً من الكتابِ يُدعونَ إلى كتابِ الله ليَحكُم بينَهم ثم يتولَّى فريقٌ منهم وهم مُعرضون ﴾ [آل عمران : ٢٣] الآية والتي تليها .

وقال أحبار يهود : وما كان إبراهيم إلا يهودياً ، وقالت نصارى نجران : ما كان إلا نصرانياً ، فأنزل الله : ﴿ يا أهلَ الكتابِ لم تُحاجُّون في إبراهيمَ ﴾ الآيات إلى ﴿ والله وليُّ المؤمنين ﴾ [آل عمران : ٦٥ ـ ٦٨] .

وقال عبدُ الله بن صَيف وعديُّ بن زيد والحارثُ بن عوف ، بعضهم لبعض : تعالوا

(١) المصدر السابق ٥٤٩/١ .

نؤمن بما أنزل الله على محمد غُدوةً ونكفر به عشيّةً ، حتى نَلْبِسَ عليهم دينَهم ، لعلّهم يصنعون كما نصنع ، فيرجعون عن دينهم ، فأنزل الله : ﴿ يا أهلَ الكِتابِ لم تَلْبِسُون الحقَّ بالباطلِ وتَكتمُون الحقَّ وأنتُم تَعلمون ﴾ إلى قوله ﴿ والله واسعٌ عليم ﴾[1] [آل عمران : ٧١ – ٧٣] .

وقال أبو رافع القُرظي حين اجتمعت الأحبارُ من يهود ، والنصارى من أهل نجران ، عند رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام : أتريدُ منا يا محمد أن نعبدَك كما تعبدُ النصارى عيسى بن مريم ؟! وقال رجلٌ من نصارى نجران مثلَه ؟ قال رسول الله ﷺ : معاذ الله أن يُعبد غيرُ الله ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ما كانَ لبشرٍ أن يُؤتيَه اللهُ الكِتابَ والحُكْمَ والنبوّةَ ثم يقولَ للنَّاسِ كُونوا عِبَاداً لي من دُونِ الله ﴾ [آل عمران : ٧٩] الآية . ثم ذكر ما أخذ عليهم من الميثاق بتصديقه ، فقال : ﴿ وإذا أخذَ الله ميثاقَ النبيِّين لما آتيتُكم من كتابٍ وحِكمة ثم جاءَكم رسولٌ مُصدِّقٌ لما معكُم لتُؤمِنُنَّ به ولتَنصُرُنَّه ﴾ [آل عمران : ٨١] إلى آخر القصة[2] .

ومرَّ شاسُ بن قيس – وكان شيخاً قد عسا[3] ، عظيم الكفر ، شديد الطعن على المسلمين ، شديدَ الحسد لهم – على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج يتحدثون ، فغاظه ما رأى من إلفتهم وجماعتهم بعدما كان بينهم من العداوة ، فقال : قد اجتمع ملأ بني قَيْلة بهذه البلاد ، لا والله مالنا معهم إذا اجتمعوا من قرار ، فأمَرَ فتًى شاباً من يهود كان معهم ، فقال : اعمد إليهم ، فاجلس معهم ، ثم اذكر يوم بُعاث ، وما كان فيه ، وأنشِدْهم بعضَ ما كانوا يتقاولون فيه من الأشعار ، ففعل ، فتكلَّم القومُ عند ذلك ، وتنازعوا حتى تواثب رجلان على الرُّكب : أوس بن قيظي من الأوس ، وجَبَّارُ بن صخر من الخزرج ، فتقاولا ، ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم رددتها الآن

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٥٥٠ – ٥٥٣ .
(٢) المصدر السابق ١/٥٥٤ .
(٣) « عسا » : كَبر وأسنّ .

جَذَعة[1] ، وغضب الفريقان جميعاً ، وقالوا : قد فعلنا ، موعدكم الظاهرة ـ والظاهرة : الحَرَّة ـ السلاحَ السلاحَ ، فخرجوا ، وبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه ، حتى جاءهم ، فقال : يا معشر المسلمين الله الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ، بعد أن هداكم الله إلى الإسلام ، وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم من الكفر ، وألَّف به بينكم . فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان ، وكيدٌ من عدوهم ، فبكَوْا ، وعانق الرجال من الأوس الرجالَ من الخزرج ، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ ، فأنزل الله في شاس بن قيس : ﴿ قُلْ يا أهلَ الكِتابِ لِمَ تَصُدُّونَ عن سبيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَها عِوَجاً ﴾ [آل عمران : ٩٩] الآية . وفي أوس وجَبَّار : ﴿ ياأيُّها الذينَ آمَنُوا إنْ تُطِيعُوا فريقاً من الذينَ أُوتوا الكتابَ يَردُّوكم بعدَ إيمانِكُم كافرين ﴾ إلى قوله ﴿ وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾[2] [آل عمران : ١٠٠ ـ ١٠٥] .

وكان رجال من المسلمين يُواصلون رجالاً من يهود لما كان بينهم من الجِوار ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيُّها الذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانةً من دُونِكم لا يأْلُونَكم خَبَالاً ﴾ إلى ﴿ عليم بذاتِ الصُّدور ﴾[3] [آل عمران : ١١٨ ـ ١١٩] .

ودخل أبو بكر بيتَ المدراس ، فقال لفنحاص : اتق الله وأسلم ، والله إنك لتعلم أن محمداً لرسولُ الله . فقال : والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر ، وإنه إلينا لفقير . فغضبَ أبو بكر وضربَ وجه فنحاص ضرباً شديداً ، وقال : لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك . فشكاه فنحاص إلى رسول الله ﷺ ، فذكر له أبو بكر ما كان منه ، فأنكر قولَه ذلك ، فأنزل الله تعالى : ﴿ لقد سَمِعَ اللهُ قولَ الذين قالُوا إنَّ الله فقيرٌ ونحنُ أغنياء ﴾ [آل عمران : ١٨١] الآية . وأنزل في أبي بكر رضي الله عنه ﴿ ولتَسْمَعُنَّ من الذينَ أُوتوا الكتابَ من قَبْلِكُم ومن الذينَ أَشرَكُوا أذىً كثيراً ﴾[4] [آل عمران : ١٨٦] الآية .

---

(١) « جَذَعة » : الجَذَعة : الفتية من الماشية ، والمقصود بها هنا : رددتُها فتنة قوية كما كانت .
(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٥٥٥ ـ ٥٥٧ .
(٣) المصدر السابق ١/٥٥٨ .
(٤) المصدر السابق ١/٥٥٨ ـ ٥٥٩ .

وكان كَرْدَم بن قيس وأسامة بن حبيب في نفر من يهود يأتون رجالاً من الأنصار يتنصحون لهم ، فيقولون لهم : لا تُنفقوا أموالَكم فإنا نخشى عليكم الفقرَ ، فأنزل الله فيهم : ﴿ الذينَ يبخلونَ ويأمرونَ النَّاسَ بالبخلِ ويَكتُمونَ ما آتَاهُم اللهُ من فضلِهِ ـ أي التوراة التي فيها تصديقُ ما جاء به محمد ـ وأعْتَدْنَا للكافرينَ عذاباً مُهيناً ﴾[1] [النساء : ٣٧] .

وكان رِفاعة بن زيد بنِ التابوت من عظماء يهود ، إذا كلَّم رسولَ الله ﷺ لوى لسانَه ، وقال أَرْعِنَا سَمْعَكَ يا محمد حتى نُفْهِمُكَ ، ثم طعن في الإسلام وعابَه ، فأنزل الله فيه : ﴿ ألَمْ تَرَ إلى الذينَ أُوتوا نَصِيْبَاً مِن الكتابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالةَ ويُريدونَ أنْ تَضِلُّوا السبيلَ ﴾ إلى ﴿ ولكنْ لعنَهم الله بُكفرهم فلا يُؤمنونَ إلا قَليلاً ﴾ [النساء : ٤٦] .

وكلَّم رسولُ الله ﷺ رؤساء من أحبار يهود منهم عبد الله بن صُوريا الأعور وكعب ابن أسد ، فقال لهم : يا معشر يهود ! اتقوا الله وأسلموا ، فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جئتكم به لحقٌّ . قالوا ما نعرف ذلك ، فأنزل الله : ﴿ يا أيُّها الذينَ أُوتوا الكتابَ آمِنُوا بما نَزَّلْنا مُصَدِّقاً لما مَعَكُم مِنْ قَبلِ أن نَطْمِسَ وُجوهاً فنردَّها على أدبارِهَا أو نلعنَهم كما لَعَنَّا أصحابَ السبتِ وكانَ أمرُ الله مَفعُولاً ﴾[2] [النساء : ٤٧] .

وقال سُكَين بن عدي بن زيد : يا محمد ! ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوحٍ والنبيين من بعده ﴾ إلى قوله : ﴿ وكانَ اللهُ عزيزاً حكيماً ﴾ [النساء : ١٦٣ ـ ١٦٥] .

ودخلتْ على رسول الله ﷺ جماعة منهم ، فقال لهم : أما والله إنكم لتعلمون أني رسول الله . قالوا : ما نعلمه وما نشهد عليه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ لكن اللهُ يشهدُ بما أنزلَ إليكَ أنزلَه بعلمِه والملائكةُ يَشهدونَ وكفَى باللهِ شَهيداً ﴾ [النساء : ١٦٦] .

وأتى رسولَ الله ﷺ نعمانُ بن أضا وبَحريُّ بن عمرو وشاس بن عديّ ، فكلّموه

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٥٦٠ .
(٢) المصدر السابق ١/٥٦٠ ـ ٥٦١ .

وكلَّمهم ، ودعاهم إلى الله وحذَّرهم نقمته ، فقالوا : ما تخوفنا يا محمد ، نحن أبناء الله وأحبَّاؤه – كقول النصارى – فأنزل الله فيهم : ﴿ وقالتِ اليهودُ والنَّصارَى نحنُ أبناءُ الله وأحبَّاؤُه ﴾ [المائدة : ١٨] الآية[١] .

ودعاهم إلى الإسلام مرة وحذَّرهم عقوبة الله ، فأبوا عليه ، فقال لهم مُعاذ بن جبل وسعدُ بن عبادة وعقبة بن وهب : يا معشر يهود ! اتقوا الله فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه ، وتصفونه بصفته ، فقال رافع بن حُريملة ووهب ابن يهوذا : ما قلنا لكم هذا ، وما أنزل الله من كتاب بعد موسى ، وما أرسل بشيراً ولا نذيراً بعدَه . فأنزل الله في ذلك من قولهما : ﴿ يا أهلَ الكتابِ قد جاءَكُم رسولُنا يُبيِّنُ لكم على فترةٍ من الرسلِ أن تَقُولوا ما جاءَنا من بشيرٍ ولا نذيرٍ فقد جاءَكُم بشيرٌ ونذيرٌ ﴾ [المائدة : ١٩] الآية[٢] .

واجتمع أحبارُهم في بيت المدراس ، فأتوا برجل وامرأة زنيا بعد إحصانهما ، فقالوا : حكِّموا فيهما محمداً ، فإن حكم فيهما بحكمكم من التجبية – وهو الجلد بحبل من ليف مَطلي بقار ، ثم تسوَّد وجوههما ، ثم يحملان على حمارين وُجوههما من قبل أدبار الحمارين – فإنما هو مَلِكٌ ، وإن حكم فيهما بالرجم فهو نبيٌّ ، فاحذروه على ما في أيديكم أن يَسلبكموه . ففعلوا ، فمشى رسولُ الله ﷺ حتى أتى بيتَ المدراس ، فقال لهم : أخرجوا إليَّ علماءَكم . فأخرجوا له عبد الله بن صُوريا ، فخلا به يناشده : هل تعلم أن الله حكم فيمن زنى بعد إحصانه بالرجم في التوراة ؟ قال : اللهم نعم ، أما والله يا أبا القاسم إنهم ليعرفون أنك نبيٌّ مرسل ، ولكنهم يحسدونك . قال : فخرج رسولُ الله ﷺ فأمَرَ بهما فرجما عند باب مسجده ، ثم جحد ابن صوريا بعد ذلك نبوّةَ رسول الله ﷺ ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيُّها الرسولُ لا يَحْزُنْكَ الذينَ يُسارِعُونَ في الكفرِ من الذينَ قالُوا آمنَّا بأفواهِهم ولم تؤمنْ قلوبُهم ﴾ [المائدة : ٤١] الآية[٣] . وفي بعض طرق هذا الحديث أن حَبْراً منهم جلسَ يتلو التوراة بين يديْ رسول الله ﷺ ، فوضعَ يدَه على آية

---

(١) المصدر السابق ١/٥٦٢ – ٥٦٣ .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٥٦٤ .

(٣) المصدر السابق ١/٥٦٥ .

الرجم ، فضربَ عبدُ الله بن سلام يدَه ، وقال : هذه آية الرجم أبى أن يتلوها عليك ... الحديث[1] .

وقال كعبُ بن أسد وابن صَلُوبا وابن صوريا وشاس بن قيس بعضُهم لبعض : اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه ، فإنما هو بشر ، فأتوه فقالوا : قد عرفت أنَّا أحبارُ يهود وأشرافُهم ، وأنا إن اتبعناك اتبعك يهود ، و لم يخالفونا ، وإن بيننا وبين بعض قومنا خصومة فنحاكمهم إليك ، فتقضي لنا عليهم ، ونؤمن بك ونُصدِّقُك ، فأبى ذلك رسولُ الله ﷺ ، فأنزل الله : ﴿ وأنِ احْكُمْ بينَهم بما أنزلَ اللهُ ولا تتبعْ أهواءَهم ﴾ إلى قوله ﴿ ومَنْ أحسنُ من الله حُكْماً لقومٍ يُوقنون ﴾[2] [المائدة : ٤٩ ـ ٥٠] .

وأتى رسولَ الله ﷺ جماعة منهم ، فسألوه عمن يُؤمن به من الرسل ، فقال : ﴿ آمنَّا بالله وما أُنزلَ إلينا وما أُنزل إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ والأسباطِ وما أُوتي مُوسى وعيسى وما أُوتي النبيّونَ من ربِّهم لا نُفَرِّقُ بينَ أحدٍ منهم ونحنُ له مُسلمون ﴾ [البقرة : ١٣٦] فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته ، وقالوا : لا نؤمن بعيسى ولا نؤمن بمن آمن به ، فأنزل الله : ﴿ قلْ يا أهلَ الكتابِ هلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إلّا أنْ آمنَّا باللهِ وما أُنزل إلينَا وما أُنزلَ من قبلُ وأنَّ أكثرَكم فاسِقون ﴾[2] [المائدة : ٥٩] .

وأتى رسولَ الله ﷺ رافعُ بن حارثة ، وسلَّام بن مِشْكم ، ومالك بن الصَّيف ، ورافع ابن حرُيملة ، فقالوا : يا محمد ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه، وتؤمن بما عندنا من التوراة ، وتشهد أنها من الله حق ؟ قال : بلى ، ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أُخذ عليكم من الميثاق ، وكتمتم منها ما أُمرتم أن تبينوه للناس ، فبرئتُ من إحداثكم . قالوا : فإنا نأخذ بما في أيدينا فإنا على الهدى والحق ، ولا نؤمن بك ولا نتبعك ، فأنزل الله تعالى : ﴿ قلْ يا أهلَ الكِتَابِ لستُم على شيءٍ حتى تُقيمُوا التوراةَ والإنجيلَ وما أُنزل إليكم من ربِّكم ﴾[3] [المائدة : ٦٨] الآية .

---

(١) المصدر السابق ٥٦٦/١ .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥٦٧/١ .

(٣) المصدر السابق ٥٦٨/١ ـ ٥٦٩ .

وكان رفاعة بن زيد بن التابوت ، وسويد بن الحارث قد أظهرا الإسلام ونافقا ، فكان رجال من المسلمين يُوادُّونهما ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيُّها الذينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الذينَ اتَّخَذُوا دِينَكم هُزُواً ولَعِباً من الذينَ أُوتوا الكتابَ من قبلِكم والكُفَّارَ أولياءَ ﴾ إلى قوله ﴿ واللهُ أعلمُ بما كَانُوا يَكتُمون ﴾ [المائدة : ٥٧ – ٦١] . وقال جبلُ بن أبي قُشير ، وشَمُويل ابن زيد : يا محمد متى الساعة إن كنت نبياً ؟ فأنزل الله : ﴿ يَسئلونَكَ عن السَّاعةِ أيَّانَ مُرْسَاهَا قلْ إنَّما عِلْمُها عند ربِّي ﴾ [الأعراف : ١٨٧] الآية[١] .

وأتى رسولَ الله ﷺ سلَّامُ بن مِشْكم ، ونعمان بن أوفى ، ومحمود بن دحية ، في نفر منهم ، فقالوا له : كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا ، وأنت لا تزعم أن عُزيراً ابن الله ؟ فأنزل الله : ﴿ وقالتِ اليهودُ عزيرٌ ابنُ الله وقالتِ النَّصَارَى المسيحُ ابنُ الله ذلكَ قولُهم بأفواهِهم ﴾ [التوبة : ٣٠] الآية .

وأتى رسولَ الله ﷺ محمود بن سَيْحان وعُزير بن أبي عزير في جماعة منهم ، فقالوا : إنا لا نرى ما جئت به متسقاً كما تتسق التوراة ، أما يُعلِّمُكَ هذا إنس ولا جن ؟ فقال لهم : أما والله إنكم لتعلمون أنه من عند الله ، وأني رسول الله تجدون ذلك مكتوباً عندكم في التوراة . قالوا : فإن الله يصنع لرسوله إذا بعثه ما يشاء ، فأنزلْ علينا كتاباً من السماء نقرؤه ونعرفه ، وإلا جئناك بمثل ما تأتي به ، فأنزل الله تعالى : ﴿ قلْ لئنِ اجتمعتِ الإنسُ والجنُّ على أنْ يأتُوا بمثلِ هَذا القُرآنِ لا يأتونَ بمثلِه ولو كانَ بعضُهم لبعضٍ ظَهيراً ﴾[٢] [الإسراء : ٨٨] .

وقال قوم منهم لعبد الله بن سلام حين أسلم : ما تكون النبوة في العرب ، ولكن صاحبك ملك مُتقوِّل ، ثم جاءوا فسألوه عن ذي القرنين ، فقصَّ عليهم ما جاءه من الله فيه مما كان قصَّ على قريش ، وهم كانوا ممن أمر قريشاً أن يسألوا رسولَ الله ﷺ عنه حين بعثوا إليهم النضرَ بن الحارث وعقبةَ بن أبي مُعيط ، وأتى رهط منهم رسولَ الله ﷺ فقالوا : يا محمد ! هذا الله خلقَ الخلقَ فمن خلقَه ؟ فغضب حتى انْتُقِعَ لونه ، ثم ساورهم

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٥٦٨ – ٥٦٩ .
(٢) المصدر السابق ١/٥٧٠ – ٥٧١ .

غضباً لربه ، فجاءه جبريل فسكنه ، وأنزل عليه : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ السورة ، فلما تلاها عليهم ، قالوا : فصف لنا كيف خلقه ؟ وكيف ذراعه ؟ وكيف عضده ؟ فغضب أشدَّ من غضبه الأول ، فأتاه جبريلُ من الله تعالى بقوله تعالى : ﴿ ما قَدَرُوا اللهَ حقَّ قَدْرِهِ ﴾ [الحج : ٧٤] الآية(١) .

وكان الذين حزَّبوا الأحزاب من قريش وغطفان وبني قريظة : حُيَيُّ بن أخطب ، وسلَّام بن أبي الحُقَيْق أبو رافع ، والربيع بن الربيع بن أبي الحُقَيْق ، وأبو عمَّار ، ووحوحُ ابن عامر وهَوْذَة بن قيس ، فأما وحوح وأبو عمار وهوذة فمن بني وائلة ، وسائرهم من بني النضير ، فلما قدموا على قريش ، قالوا : هؤلاء أحبار يهود وأهل العلم بالكتاب الأوّل ، فاسألوهم أدينكم خيرٌ أم دين محمد ؟ فسألوهم ، فقالوا : بل دينكم خير من دينه وأنتم أهدى منه وممن اتبعه ، فأنزل الله فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إلى الذينَ أُوتُوا نَصِيباً من الكتابِ يُؤمنونَ بالجِبْتِ والطَّاغُوتِ ويَقُولُونَ للذينَ كَفَروا هؤلاءِ أَهدىَ من الذينَ آمَنُوا سَبِيلاً ﴾ إلى قوله : ﴿ مُلْكاً عَظِيماً ﴾(٢) [النساء : ٥١ ــ ٥٤] .

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران ستون راكباً ، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم ، في الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم : العاقب ــ أمير القوم وذو رأيهم ــ واسمه عبدُ المسيح ، والسيِّدُ ــ ثمالُهم(٣) وصاحبُ رحلهم ــ واسمه الأيهم ، وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل ــ أُسْقُفُّهم وحَبرهم وإمامُهم ــ فكان أبو حارثة قد شَرُف فيهم ودرس كتبَهم حتى حسن علمه في دينهم ، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرَّفوه ومولوه وأخدموه ، وبنوا له الكنائس ، فبسطوا عليه الكرامات لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم ، فلما وُجِّهوا إلى رسول الله ﷺ من نجران ، جلس أبو حارثة على بغلة له مُوجِّهاً(٤) ، وإلى جنبه أخ له يقال له كُوز بن علقمة ، فعثرت بغلة أبي حارثة ، فقال كوز : تعس الأبعد ــ يريد رسولَ الله ﷺ ــ فقال له أبو

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥٧١/١ ــ ٥٧٢ .
(٢) المصدر السابق ٥٦١/١ ــ ٥٦٢ .
(٣) « ثمالهم » : يقال : ثمال القوم : أصلهم الذي يرجعون إليه ويسوسهم ويقوم بأمرهم .
(٤) « مُوجِّهاً » : يعني موجهاً وجهه إلى رسول الله ﷺ .

حارثة : بل أنت تعست . قال : ولم يا أخي ؟ قال : بلى والله ، إنه للنبي الذي كنا ننتظر . فقال له كوز : فما يمنعُك منه وأنت تعلم هذا ؟ قال : ما صنع بنا هؤلاء القوم ، شرفونا ومولونا وأكرمونا ، وقد أبوا إلا خلافَه ، فلو فعلت نزعوا منا كلَّ ما ترى ، فأضمرَ عليها منه أخوه كوز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك ، فهو كان يحدث عنه هذا الحديث فيما بلغني . ودخلوا على النبي ﷺ مسجده حين صلَّى العصر ، عليهم ثياب الحِبَرَات ، جُبَبٌ وأردية في جَمَال رجال بني الحارث بن كعب ، قال : يقول بعض من رآهم من أصحاب النبي ﷺ يومئذ : ما رأينا بعدهم وفداً مثلَهم . وقد حانت صلاتُهم فقاموا في مسجد رسول الله ﷺ يُصلُّون . فقال رسول الله ﷺ : دعوهم . فصلَّوْا إلى المشرق .

وكان تسمية الأربعة عشر : السيد ، والعاقب ، وأبو حارثة ، وأوس ، والحارث ، وزيد ، وقيس ، ويزيد ، ونَبيه ، وخُويلد ، وعمرو ، وخالد ، وعبد الله ، ويُحَنَّس ، فكلَّم رسولَ الله ﷺ منهم أبو حارثة والعاقب والأيهم ، وهو من النصرانية على دين الملك ، مع اختلاف من أمرهم ، يقولون : هو[1] الله ، ويقولون : هو ولد الله ، ويقولون : هو ثالث ثلاثة . وكذلك قول النصرانية .

فهم يحتجون في قولهم هو الله ، بأنه كان يُحيي الموتى ويبرىءُ الأسقام ، ويُخبِرُ بالغيوب ، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخُ فيه فيكون طائراً ، وذلك كلُّه بأمر الله تبارك وتعالى وليجعلَه آية للناس ، ويحتجون في قولهم بأنه ولدُ الله ، بأنهم يقولون[2] : لم يكن له أب يُعلم ، وقد تكلم في المهد ، شيء لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله .

ويحتجون في قولهم بأنه ثالث ثلاثة ، بقول الله : فعلنا وأمرنا وخلقنا وقضينا ، فيقولون : لو كان واحداً ما قال إلا فعلتُ وأمرتُ وقضيتُ وخلقتُ ، ولكنه هو وعيسى ومريم . ففي كل ذلك من قولهم نزل القرآن . فلما كلمه الحَبْران ، قال لهما رسول الله ﷺ : أسلما . قالا : قد أسلمنا . قال : إنكما لم تُسْلما فأَسْلِما . قالا : بلى قد أسلمنا قبلَك . قال : كذبتما ، يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولداً ، وعبادتكما الصليب ، وأكلكما الخِنزير . قالا : فمن أبوه يا محمد ؟ فصمتَ فلم يجبهما ، فأنزلَ الله صدرَ سورة

(١) يعنون المسيح عليه السلام .

(٢) « شيء لم يصنعه » : أي : وهذا شيء لم يصنعه أحد .

آل عمران إلى بضع وثمانين آية . فلما أتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ من الله عنه والفصلُ من القضاء بينه وبينهم ، وأمر بما أمر من ملاعنتهم إن ردُّوا ذلك عليه ، دعاهم إلى ذلك ، فقالوا : يا أبا القاسم ! دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتك بما تريد أن تفعل فيما دعوتنا إليه ، فانصرفوا عنه ، ثم خَلَوا بالعاقب وكان ذا رأيهم ، فقالوا : يا عبدَ المسيح ! ما ترى ؟ فقال : والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً لنبيٌّ مرسل ، ولقد جاءكم من خبر صاحبِكم ، ولقد علمتم ما لاعن قوم نبياً قطُّ فبقي كبيرُهم ولا نبتَ صغيرهم ، وإنه لَلاستئصالُ منكم إن فعلتم ، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلفَ دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم ، فوادِعوا الرجلَ ، ثم انصرِفوا إلى بلادكم . فأتوا رسولَ الله ﷺ ، فقالوا : يا أبا القاسم ! قد رأينا أن لا نلاعنَكَ وأن نتركَكَ على دينكَ ونرجعَ على ديننا ، ولكن ابعثْ معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكمُ بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا ، فإنكم عندنا رضىً . فقال رسول الله ﷺ : ائتوني العشية أبعثُ معكم القويَّ الأمين . فكان عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه يقول : ما أحببتُ الإمارة قطُّ حبّي إياها يومئذ رجاء أن أكونَ صاحبَها ، فرحت إلى الظهر مُهَجِّراً ، فلما صلَّى بنا رسولُ الله ﷺ الظهر سلَّم ، ثم نظرَ عن يمينه ويساره ، فجعلتُ أتطاولُ له ليراني ، فلم يزل يلتمسُ ببصره حتى رأى أبا عبيدةَ بن الجراح ، فدعاه ، فقال : اخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه . قال عمر : فذهب بها أبو عبيدة(١) .

* * *

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٥٧٣ — ٥٨٤ .

خبر عبد الله بن أبيّ بن سَلول ،
وأبي عامر الفاسق ، وكان يُقال له : الراهب

قال ابن إسحاق : وقدمَ رسولُ الله ﷺ المدينة – كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة – وسيِّدُ أهلها عبدُ الله بن أبيّ بن سَلول لا يختَلف عليه في شرفه من قومه اثنان ، لم يجتمع الأوس والخزرج قبلَه ولا بعدَه على رجل من أحد الفريقين حتى جاء الإسلام ؛ غيرِه ، ومعه في الأوس رجل هو في قومه من الأوس شريف مطاع ، أبو عامر عبد عَمْرو ابن صيفيّ بن النعمان ، أحد بني ضُبَيعة بن زيد ، وهو أبو حنظلة ، الغسيلُ يوم أحد ، وكان قد ترهَّبَ في الجاهلية ولبسَ المُسوحَ ، فكان يُقال له : الراهب . فشقيا بشرفهما .

أما ابن أبيّ ، فكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوِّجوه ثم يُملِّكوه عليهم ، فجاءهم الله برسوله وهم على ذلك ، فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام ضَغِن ، ورأى أن رسولَ الله ﷺ قد سلبَه مُلكاً عظيماً ، فلما رأى قومَه قد أبوا إلا الإسلام ، دخل فيه كارهاً مصراً على نفاق .

وأما أبو عامر فأبى إلا الكفر والفراق لقومه حين اجتمعوا على الإسلام ، فخرج منهم إلى مكة ببضعة عشر رجلاً مفارقاً للإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تقولوا الراهب ولكن قولوا الفاسق » وكان قد قال لرسول الله ﷺ قبل أن يخرج إلى مكة : ما هذا الذي جئتَ به ؟ قال : جئت بالحنيفية دين إبراهيم عليه السلام . قال : فأنا عليها . قال له رسول الله ﷺ : إنك لستَ عليها . قال : بلى ، إنك أدخلتَ يا محمد في الحنيفية ما ليس منها . قال : ما فعلتُ ولكني جئت بها بيضاء نقية . قال : الكاذب أماته الله طريداً غريباً وحيداً . فقال النبي ﷺ : أجل . فكان هو ذلك ، خرج إلى مكة فلما افتتح رسولُ الله ﷺ مكة خرجَ إلى الطائف ، فلما أسلم أهلُ الطائف ، خرج إلى الشام فمات بها طريداً غريباً وحيداً[1] .

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥٨٤/١ – ٥٨٦ .

جُمَّاع أبواب مغازي رسول الله ﷺ

وبعوثه وسراياه

ولما أذن الله عز وجل لنبيه في القتال كانت أول آية نزلت في ذلك : ﴿ أُذنَ للذينَ يُقاتَلونَ بأنَّهم ظُلموا وإنَّ اللهَ على نَصْرِهم لقَدير ﴾ [الحج : ٣٩] . كما روينا من طريق أبي عَروبة ، حدثنا سلمة ، حدثنا عبدُ الرزاق ، أخبرنا الثوريُّ ، عن الأعمش ، عن مسلم البَطِين ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال : كان يقرأ : ﴿ أُذنَ للذينَ يُقاتَلون بأنَّهم ظُلموا ﴾ قال : وهي أوّل آية نزلت في القتال[1] .

وروينا عن ابن[2] عائذ ، أخبرنا الوليد بن محمد ، عن محمد بن مسلم الزهري ، قال : وكان أول آية نزلت في القتال قوله عز وجل : ﴿ أُذنَ للذينَ يُقاتَلُونَ بأنَّهم ظُلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذينَ أُخرجوا من دِيارِهم بغيرِ حقّ إلا أنْ يَقُولوا رَبُّنا اللهُ ولولا دفعُ اللهِ النَّاسَ بعضَهم ببعضٍ لهُدِّمَتْ صوامعُ وبيعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يُذكَر فيها اسمُ الله كثيراً ولَيَنصُرَنَّ اللهُ مَنْ ينصرُهُ إنَّ الله لقويٌّ عزيز ﴾ [الحج : ٣٩ ـ ٤٠] .

قرىء على أبي محمد عبد العزيز بن عبد المنعم الحراني وأنا أسمع ، أخبركم أبو علي بن أبي القاسم بن الحُرَيْف حضوراً في الخامسة ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد الأنصاري ، أخبرنا أبو الحسن علي بن إبراهيم الباقلاني ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر القطيعي ، أخبرنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله البصري ، حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد ، عن ابن عجلان ، عن المقبري ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أمرت أن أقاتلَ النَّاسَ حتى يقولوا لا إلَه إلا الله ، فإذا قالُوها عَصموا مني دماءَهم وأموالَهم إلا بحقها وحسابُهم على الله تعالى »[3] .

---

(١) الأثر عن ابن عباس في أول ما نزل في القتال إسناده صحيح .

(٢) رواه ابن عائذ في مغازيه ، وإسناده ضعيف ، فيه الوليد بن محمد المُوَقَّري ، أبو بشر البلقاوي ، قال أبو حاتم : ضعيف الحديث ، وقال ابن المديني : لا يُكتب حديثه ، وكذبه ابن معين . انظر ميزان الاعتدال ٣٤٦/٤ .

(٣) الحديث من هذه الطريق ليس في الكتب الستة ولا في أحدها ، ورواه البخاري في كتاب الإيمان رقم

ذكر الخبر عن عدد مغازي
رسول الله ﷺ وبعوثه

روينا عن ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر بن واقد الأسلمي ، حدثنا عمر بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيد بن يَربوع المخزوميّ ، وموسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، ومحمد بن عبد الله بن مسلم ابن أخي الزهري ، وموسى بن يعقوب بن عبد الله ابن وهب بن زمعة بن الأسود ، وعبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة الزهري ، ويحيى بن عبد الله بن أبي قتادة الأنصاري ، وربيعة بن عثمان بن عبد الله بن الهُدير التيمي ، وإسماعيل بن إبراهيم بن أبي حَبيبة الأشهليّ ، وعبد الحميد بن جعفر الحَكَمي ، وعبد الرحمن بن أبي الزّناد ، ومحمد بن صالح التّمار . قال ابن سعد : أخبرنا رُويم بن يزيد المقرىء ، حدثنا هارون بن أبي عيسى ، عن محمد بن إسحاق . قال : أخبرنا حسين بن محمد ، عن أبي مَعشر ، قال : وأخبرنا إسماعيل بن عبد الله بن أبي أويس المدني ، عن إسماعيل بن إبراهيم بن عُقبة ، عن عمه موسى بن عقبة ، دخل حديث بعضهم في حديث بعض . قالوا : كان عدد مغازي رسول الله ﷺ التي غزا بنفسه سبعاً وعشرين ، وكانت سراياه التي بعث فيها سبعاً وأربعين سرية ، وكان ما قاتل فيه من المغازي تسع غزوات : بدرُ القتال ، وأُحد ، والمريسيع ، والخندق ، وقريظة ، وخيبر ، وفتح مكة ، وحُنين ، والطائف . فهذا ما اجتمع لنا عليه ، وفي بعض رواياتهم أنه قاتل في بني النضير ولكن اللهَ جعلها له نفلاً خاصة ، وقاتل في غزاة وادي القرى مُنصرفه من خيبر ، وقُتل بعض أصحابه ، وقاتل في الغابة[1] .

= /٢٥/ ، ومسلم في كتاب الإيمان رقم /٢٢/ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بأطول مما أورده المؤلف رحمه الله تعالى .

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/٥ — ٦ .

غزوة وَدّان[1]

فأول مغازيه ﷺ بنفسه : غزوة وَدَّان .

روينا عن أبي عروبة ، حدثنا سليمان بن سيف ، حدثنا سعيد بن بَزيع ، حدثنا ابن إسحاق : قال خرجَ رسولُ الله ﷺ في صفر غازياً على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر صفر ، حتى بلغ وَدَّان ، وكان يريد قريشاً وبني ضَمْرة ، وهي غزوة الأبواء[2] ، ثم رجع إلى المدينة ، وكان استعملَ عليها سعد بن عبادة فيما ذكره ابن هشام . قال ابن إسحق : فوادعته فيها بنو ضَمْرة ، وكان الذي وادعه منهم عليهم مَخْشِيُّ بن عمرو الضَّمْري ، وكان سيدهم في زمانه ذلك ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيداً[3] .

بعث حمزة وعُبيدة بن الحارث

روينا عن ابن إسحاق قال : فأقامَ رسولُ الله ﷺ بها بقية صفر وصدراً من شهر ربيع الأول ، وبعث في مقدمه ذلك عُبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف في ستين أو ثمانين راكباً من المهاجرين ، ليس فيهم من الأنصار أحد ، فسار حتى بلغ ماءً بالحجاز

---

(١) « وَدَّان » : قرية جامعة من عمل الفرع ، بينها وبين رابغ مما يلي المدينة ٢٩ ميلاً .
وهذه الغزوة هي أول مغازيه بنفسه ﷺ ، أما السرايا فقد بُدئت بسرية سعد بن أبي وقاص على رأس تسعة أشهر ، كما سيذكر ابن سيد الناس قريباً . وقال ابن هشام في السيرة ١/٦٠٠ : « ذكر بعض أهل العلم أن بعث سعدٍ هذا كانَ بعد بعث حمزة » . وعليه تكون سرية سعد هي الثالثة بعد سرية عُبيدة ابن الحارث ، وسرية حمزة بن عبد المطلب ؛ اللتين عقد لواءَهما رسول الله ﷺ بعد عودته من وَدَّان .

(٢) « الأَبواء » : قرية من عمل الفرع بينها وبين الجُحْفة من جهة المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً ، قيل : سُميت بذلك لما كان فيها من الوباء ، وهي على القلب ، وإلا لقيل : الأوباء .
والأَبواء ووَدَّان مكانان متقاربان بينهما ستة أميال أو ثمانية .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٥٩١ .

بأسفل ثنية المَرّة ، فلقي بها جمعاً عظيماً من قريش ، فلم يكن بينهم قتال ، إلا أن سعد ابن أبي وقاص قد رمى يومئذ بسهم ، فكان أوّلَ سهم رمى به في الإسلام ، ثم انصرف القومُ عن القوم وللمسلمين حامية ، وفرّ من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو وعُتبة ابن غَزْوان ، وكانا مسلمين ، ولكنهما خرجا ليتوصلا[1] بالكفار ، وكان على القوم عكرمة بن أبي جهل . وقال ابن هشام : مِكْرَز بن حفص بن الأخيف . قال ابن إسحاق : فكانت راية عبيدة فيما بلغنا أوّلَ راية عُقدت في الإسلام . وبعض العلماء يزعم أن رسول الله ﷺ بعثه حين أقبل من غزوة الأبواء قبل أن يصل إلى المدينة ، وبعث في مقامه ذلك حمزة بن عبد المطلب بن هاشم إلى سِيف[2] البحر من ناحية العيص[2] في ثلاثين راكباً من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد ، فلقي أبا جهل بن هشام في ذلك الساحل في ثلاثمائة راكب ، فحجزَ بينهم مجديّ بن عمرو الجهني ، وكان موادعاً للفريقين جميعاً ، فانصرف بعضُ القوم عن بعض ، ولم يكن بينهم قتال . وبعض الناس يقول كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله ﷺ ، وذلك أن بعثه وبعث عُبيدة كانا معاً فشُبّه ذلك على الناس[3] .

وروينا عن موسى بن عُقبة أن أوّلَ البعوث بعثُ حمزة في ثلاثين راكباً ، فلقوا أبا جهل في ثلاثين ومائة راكب من المشركين ، ثم كانت الأبواء على رأس اثني عشر شهراً ، ثم بعث عُبيدة فلقوا بعثاً عظيماً من المشركين على ماء يُدعى الأحياء ، من رابغ ، قال : وهو أول يوم التقى فيه المسلمون والمشركون في قتال[4] .

وروينا عن ابن عائذ ، عن الوليد ، عن ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ؛ أن رايةَ حمزة هي الأولى[5] .

(١) « ليتوصلا بالكفار » : أي اتخذا خروجهما معهم وسيلة للوصول إلى المسلمين .
(٢) « سيف البحر » : ساحله . و « العِيص » : موضع بساحل البحر في ناحية ذي المروة .
(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٥٩١ — ٥٩٦ .
(٤) الدرر في المغازي والسير لأبي عمر بن عبد البر ص ٩٦ .
(٥) رواه ابن عائذ في مغازيه ، وفي سنده ابن لهيعة ، والعمل على تضعيفه .. نور النبراس .

ورويناه عنه أيضاً : عن محمد بن شُعيب ، عن عثمان بن عطاء الخراساني ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ذِكْرَ بعثِ عُبيدة ثم بعث حمزة بنحو ما ذكرَ ابنُ إسحاق .

وروينا عن ابن سعد : أن أوَّلَ لواء عقده رسولُ الله ﷺ لحمزة بن عبد المطلب في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر لواءً أبيض ، وكان الذي حمله أبو مَرْثِد كنّاز بن الحصين الغنوي في ثلاثين راكباً من المهاجرين . قال : ولم يبعث رسولُ الله ﷺ أحداً من الأنصار مبعثاً حتى غزا بهم بدراً ، وذلك أنهم شرطوا له أنهم يمنعونه في دارهم . وخرج حمزةُ يعرضُ لعير قريش قد جاءت من الشام تُريد مكة وفيها أبو جهل بن هشام في ثلاثمائة رجل . ثم سرية عُبيدة في ستين من المهاجرين إلى بطن رابغ في شوال على رأس ثمانية أشهر عقد له لواءً أبيض حمله مِسْطح بن أُثاثة ، فلقي أبا سفيان بن حرب في مائتين من أصحابه على ماء يُقال له أحياء – وقال أبو عمر : أبنى[1] – من بطن رابغ على عشرة أميال من الجحفة وأنت تريد قديداً عن يسار الطريق وإنما نكبوا عن الطريق ليرعَوْا ركابهم[2] .

سرية سعد بن أبي وقاص

إلى الخَرَّار في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر ، عقد له لواءً أبيض حمله المقداد بن عمرو وبعثه في عشرين من المهاجرين .

ثم غزوة[3] رسول الله ﷺ الأبواء ، وهي غزوة وَدَّان ، وكلاهما قد ورد . وبينهما ستة أميال ، وكانت على رأس اثني عشر شهراً من الهجرة ، وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب ، فكانت الموادعة على أن بني ضَمْرة لا يغزونه ولا يُكثِّرون عليه جمعاً ، ولا يُعينون عليه عدواً ، ثم انصرفَ عليه السلام إلى المدينة ، وكانت غيبته خمسَ عشرة ليلة .

---

(١) الدرر في المغازي والسير ؛ لأبي عمر بن عبد البر ص ٩٦ .

(٢) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/٢ .

(٣) انظر تعليقنا رقم (١) ص ٣٥٤ .

غزوة بُوَاط[1]

قال ابن إسحاق : ثم غزا رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول يُريد قريشاً حتى بلغ بُوَاط من ناحية رَضْوَى[2] ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلقَ كيداً[3] .

واستعملَ على المدينة السَّائبَ بن مَظعون فيما ذكر ابن هشام[4] .

وحمل اللواء – وكان أبيضَ – سعدُ بن معاذ فيما ذكر ابن سعد ، وقال : وخرج في مائتين من أصحابه يعرض لعير قريش فيها أمية بن خلف الجمحي ومائة رجل من قريش وألفان وخمسمائة بعير[5] .

غزوة العُشَيْرة[6]

قال ابن إسحاق : في أثناء جُمادى الأولى يعني من السنة الثانية : ثم غزا قريشاً حتى نزل العُشَيْرة من بطن ينبع ، فأقام بها جُمادى الأولى وليالِيَ من جُمادى الآخرة ، ووادع فيها بني مُدلج وحلفاءهم من بني ضَمْرة ، وفيها كنَّى رسولُ الله ﷺ علياً أبا تراب حين وجده نائماً هو وعمار بن ياسر ، وقد علق به تراب ، فأيقظه عليه الصلاة والسلام برجله ، وقال له : « مالك أبا تراب ؟ لما يرى عليه من التراب . ثم قال : ألا أحدثكما بأشقى الناس ؟ رجلين . قلنا : بلى يا رسول الله . قال : أحيمر ثمود الذي عقر الناقة ، والذي

---

(١) « بُوَاط » : جبل من جبال جُهينة ، ويقع على يمين المصعد إلى مكة من المدينة .

(٢) « رَضْوَى » : جبل على أربعة أبراد من المدينة .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٥٩٩ .

(٤) المصدر السابق ١/٥٩٨ .

(٥) الطبقات الكبرى ، لابن سعد ٢/٧ .

(٦) قال النووي : في جميع نسخ صحيح مسلم العُسير أو العُشيرة – العين مضمومة ، والأول بالسين المهملة والثاني بالمعجمة – وقال القاضي في المشارق : هي ذات العشيرة – بضم العين وفتح الشين المعجمة – شرح صحيح مسلم ؛ للنووي ١٢/١٩٥ .

يضربك يا عليّ على هذه - ووضعَ يدَه على قرنِه - حتى يَبُلَّ منها هذه . وأخذ بلحيته » . واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد ، فيما ذكر ابن هشام[1] .

وذكر ابنُ سعد أنها كانت في جُمادى الآخرة على رأس ستة عشر شهراً ، وحملَ لواء رسول الله ﷺ فيها حمزة بن عبد المطلب - وكان أبيض - وخرج في خمسين ومائة ويقال : في مائتين من قريش من المهاجرين ممن انتدَب ، ولم يُكره أحداً على الخروج ، وخرجوا على ثلاثين بعيراً يعتقبونها ، وخرج يعترض لعير قريش حين أبدأت[2] إلى الشام ، فكان قد جاءه الخبر بفصولها[3] من مكة ، فيها أموال قريش ، وهي لبني مُدْلج بناحية الينبع ، وبين ينبع والمدينة تسعة برد ، فوجدَ العيرَ التي خرج إليها قد مضت قبل ذلك بأيام ، وهي العير التي خرج إليها حين رجعت من الشام ، فكانت بسببها وقعة بدر الكبرى[4] .

غزوة بدر الأولى

قال ابن إسحاق : فلم يقم رسول الله ﷺ بالمدينة حين قدم من غزوة العُشيرة إلا ليالَي قلائل لا تبلغ العشر حتى أغار كُرْز بن جابر الفِهْري على سَرْح[5] المدينة ، فخرج

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٥٩٨ - ٦٠٠ . وعند ذكر حديث عمار في هذه الغزوة قال السهيلي : وأصح من ذلك ما رواه البخاري في جامعه .. فذكر حديث الصحيح ، ثم قال : وما ذكره ابن إسحاق من حديث عمار مخالف له ، أو أن يكون رسول الله ﷺ كناه بها مرتين ؛ مرة في المسجد ، ومرة في هذه الغزوة .

وقال الحافظ ابن كثير : وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، له شاهد من وجه آخر في تسمية علي أبا تراب ؛ كما في صحيح البخاري ؛ أن علياً خرج مغاضباً فاطمة ، فجاء المسجد ، فنام فيه ، فدخل رسول الله ﷺ ، فسألها عنه ، فقالت : خرج مغاضباً ، فجاء إلى المسجد ، فأيقظه ، وجعل يمسحُ التراب عنه ويقول : « قم أبا تراب ، قم أبا تراب » .

وجعل الإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية قصة الصحيح هي الصحيحة ، ولم يجمع ، والله أعلم . نور النبراس لوحة ١/٣٣٢ .

(٢) « أبدأت » : خرجت .

(٣) في جميع النسخ : بقفولها ، والتصحيح من طبقات ابن سعد ٢/١١ ، قال في القاموس : فصَلَ من البلد فصولاً : خرج منه .

(٤) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٥٩٨ ، والطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/٩ - ١٠ .

(٥) عبارة ابن سعد : وكان كُرْز بن جابر قد أغار على سرح المدينة فاستاقه ، وكان يرعى بالجمَّاء ، والسرحُ

رسول الله ﷺ في طلبه حتى بلغ وادياً يقال له سَفوان من ناحية بدر ، وفاته كرز بن جابر فلم يدركه .

واستعمل على المدينة فيما قال ابن هشام زيدَ بن حارثة .

وذكر ابن سعد أنها في ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً من الهجرة ، وحمل اللواء فيها علي بن أبي طالب ، قال : والسرح : ما رعوَاْ من نعمهم[1] .

سرية عبد الله بن جحش

وبعث عبد الله بن جحش في رجب مقفله من بدر الأولى ، ومعه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد ، وكتب له كتاباً وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ، ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به ، ولا يستكره أحداً من أصحابه .

وكان أصحابه : أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وعكَّاشة بن محصن الأسدي ، وعتبة بن غزوان ، وسعد بن أبي وقاص ، وعامر بن ربيعة ، من عنز بن وائل ، حليف بني عديّ ، وواقد بن عبد الله أحد بني تميم ، حليفٌ لهم ، وخالد بن البُكير ، وسُهيل بن بيضاء .

فلما سار عبدُ الله بن جحش يومين فتحَ الكتاب ، فنظر فيه ، فإذا فيه : إذا نظرتَ في كتابي هذا فامض حتى تنزل نَخلة[2] بين مكة والطائف ، فترصَّدْ بها قريشاً ، وتعلَّمْ لنا من أخبارهم . فلما نظر في الكتاب قال : سمعاً وطاعة . ثم قال ذلك لأصحابه ، وقال : قد نهاني أن أستكره أحداً منكم . فمضوا لم يتخلف عليه منهم أحد .

وسلكَ على الحجاز حتى إذا كان بمَعْدن فوق الفُرُع يقال له بُحْرَان[3] ، أضلَّ سعد ابن أبي وقاص وعُتْبةُ بن غَزْوان بعيراً لهما كانا يعتقبانه ، فتخلَّفا عليه في طلبه ، ومضى

= ما رعوا من نَعَمهم ، والجمَّاء : جبل ناحية العقيق إلى الجُرْف بينه وبين المدينة ثلاثة أميال .

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٠١/١ ، والطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٩/٢ .

(٢) « نخلة » : موضع على ليلة من مكة .

(٣) « بَحْرَان » بفتح الباء وضمها وسكون الحاء ، موضع بناحية الفرع من الحجاز .

عبدُ الله بن جحش وأصحابُه حتى نزل بنخلة ، فمرت به عيرٌ لقريش فيها عمرو بن الحضرمي ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، وأخوه نوفل ، المخزوميان ، والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة .

فلما رآهم القوم هابوهم ، وقد نزلوا قريباً منهم ، فأشرف عليهم عُكَّاشةُ بن مِحْصن ، وكان قد حلقَ رأسَه ، فلما رأوْه أمنوا ، وقالوا : عُمَّار[1] لابأس عليكم منهم . وتشاورَ القومُ فيهم ، وذلك في آخر يوم من رجب ، فقال القوم : والله لئن تركتم القوم في هذه الليلة ليدخُلنَّ الحرم فليمتنعُنَّ منكم به ، ولئن قتلتموهم لتقتُلنَّهم في الشهر الحرام . فتردَّدَ القومُ وهابوا الإقدامَ عليهم ، ثم شجَّعوا أنفسَهم عليهم ، وأجمعوا قتلَ من قدروا عليه منهم وأخْذِ ما معهم ، فرمى واقدُ بن عبد الله التميمي عمرَو بن الحضرمي بسهم فقتلَه ، واستأسرَ عثمانُ بن عبد الله والحكَمُ بن كيسان ، وأفلت القومَ نوفلُ بن عبد الله فأعجزَهم ، وأقبل عبدُ الله بن جحش وأصحابه بالعير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ المدينة .

وقد ذكرَ بعضُ آل عبد الله بن جحش أن عبدَ الله قال لأصحابه : إن لرسول الله ﷺ مما غنمنا الخمسَ ، وذلك قبل أن يَفْرِضَ الله الخمسَ من المغانم ، فعزلَ لرسول الله ﷺ خمسَ العير ، وقسم سائرَها بين أصحابه[2] .

قال ابن إسحاق : فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال : ما أمرتُكم بقتال في الشهر الحرام ، فوقف العيرَ والأسيرين ، وأبى أن يأخذَ من ذلك شيئاً ، فلما قال ذلك رسول الله ﷺ سُقط في أيدي القوم ، وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعنَّفهم إخوانُهم من المسلمين فيما صنعوا ، وقالت قريش : قد استحلَّ محمد وأصحابه الشهرَ الحرام ، وسفكوا فيه الدم ، وأخذوا فيه الأموالَ ، وأسروا فيه الرجال . فقال من يردُّ عليهم من المسلمين ممن كان بمكة : إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان .

وقالت يهودُ ــ تفاءَلُ بذلك على رسول الله ﷺ وسلم ــ : عمرو بن الحضرمي قتلَه واقدُ بن عبد الله ، عمرو : عَمِرت الحربُ ، والحضرمي : حضرتِ الحربُ ، وواقد

(١) « عُمَّار » : معتمرون .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٦٠١ ــ ٦٠٣ .

ابن عبد الله : وقدتِ الحربُ . فجعلَ الله ذلك عليهم لا لهم[1] .

فلما أكثرَ الناسُ في ذلك أنزل الله تعالى : ﴿ يسئلونَكَ عن الشهرِ الحرامِ قتالٍ فيه قُلْ قتالٌ فيه كبيرٌ وصَدٌّ عن سبيلِ الله وكفرٌ به والمسجدِ الحرامِ وإخراجُ أهلِه منه أكبرُ عندَ الله والفتنةُ أكبرُ من القتل ﴾ [البقرة : ٢١٧] ففرَّجَ الله عن المسلمين ما كانوا فيه ، وقبضَ رسولُ الله ﷺ العيرَ والأسيرين ، وبعثت إليه قريش في فداء عثمان بن عبد الله ، والحكم بن كيسان . فقال رسولُ الله ﷺ : لا نُفديكما حتى يقدَمَ صاحبانا ، يعني : سعدَ بن أبي وقاص ، وعُتْبة بن غَزْوان ، فإنا نخشاكم عليهما ، فإن تقتلوهما نقتلْ صاحبيْكم ، فقدم سعدٌ وعُتْبة ، فأفداهما رسولُ الله ﷺ منهم ، فأما الحكم بن كيسان فأسلمَ فحَسُن إسلامُه ، وأقام عند رسول الله ﷺ ومات في بئر معونة شهيداً ، وأما عثمان بن عبد الله فلحِقَ بمكة فمات بها كافراً[1] .

فلما تجلَّى عن عبد الله بن جحش وأصحابُه ما كانوا فيه حين نزل القرآن طمعوا في الأجر ، فقالوا : يا رسول الله ، أنطمعُ أن تكونَ لنا غزوة نُعطى فيها أجر المجاهدين ، فأنزل الله فيهم : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم ﴾ [البقرة : ٢١٨] فوضعهم الله من ذلك على أعظم الرجاء . والحديث في هذا عن الزهري ويَزيد بن رُومان ، عن عُروة بن الزبير[1] . ثم قسم الفيء بعد كذلك .

قال ابن هشام : وهي أول غنيمة غنمها المسلمون . وعمرو بن الحضرمي أول من قتل المسلمون ، وعثمان والحكم أول من أسر المسلمون[2] . فقال في ذلك أبو بكر الصديق ، ويقال هي لعبد الله بن جحش :

تعــدُّون قتــلاً في الحرام عظيمــةً ... وأعظمُ منه لو يَرى الرُّشدَ راشدُ
صدودُكــمُ عمــا يقــولُ محمــدٌ ... وكفــرٌ بــه واللهُ راءٍ وشاهــدُ
شفينا[3] من ابن الحضرمي رماحَنا ... بنخلــةَ لما أوقــدَ الحربَ واقــدُ

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٠٤/١ — ٦٠٥ .

(٢) المصدر السابق ٦٠٥/١ .

(٣) كذا في أكثر النسخ ، وفي « ج » والسيرة النبوية لابن هشام ٦٠٦/١ « سقينا » ويؤيده البيت الذي يليه :

وذكر موسى بن عقبة ومحمد بن عائذ نحو ذلك ، غير أنهما ذكرا صفوان بن بيضاء بدل سهيل أخيه ، ولم يذكرا خالداً ولا عُكَّاشة ، وذكر ابنُ عقبة فيهم عامر بن إياس .

وقال ابن سعد : كان الذي أسر الحكَمَ بن كيسان المقدادُ بن عمرو ، وذكر أن النبيَّ ﷺ بعثَ عبدَ الله بن جحش في اثني عشر رجلاً من المهاجرين ، كل اثنين يعتقبان بعيراً إلى بطن نخلة ، وهو بُستان ابن عامر ، وأن سعد بن أبي وقاص كان زميلَ عُتبة بن غزوان ، فضَلَّ بهما بعيرُهما فلم يشهدا الوقعة[1] .

والذي ذكره موسى بن عقبة أن ابن جحش لما قرأ عليهم كتابَ رسول الله ﷺ وخيَّر أصحابه ، تخلَّفَ رجلان سعدٌ وعتبة ، فقدما بُحران ومضى سائرهم .

وقال ابن سعد : ويُقال إن عبد الله بن جحش لما رجع من نخلة خمَّسَ ما غنم وقسم بين أصحابه سائرَ المغانم ، فكان أول خمس خُمِّس في الإسلام ، ويقال إن رسول الله ﷺ وقف غنائم نخلة حتى رجع من بدر فقسمها مع غنائم بدر ، وأعطى كلَّ قوم حقهم ، وفي هذه السرية سمي عبد الله بن جحش أمير المؤمنين[1] .

* * *

=

دَمَـــا وابـــنُ عبــدِ اللهِ عثمانُ بيننَـــا ... يُنازعُـــه غُـــلٌ مـــن القـــدِّ عانـــدُ

و« القَدُّ » : شَرَك يُقطع من الجلد . و« عاندُ » : سائل بالدمِّ لا ينقطع .

(١) الطبقات الكبرى ، لابن سعد ٢/١٠ — ١١ .

تحويل القبلة

قرىء على الشيخ أبي عبد الله محمد بن إبراهيم المقدسي وأنا حاضر في الرابعة ، أخبركم أبو الحسن علي بن النفيس بن بُورنداز ، قراءة عليه ببغداد فأقَرَّ به ، أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى ، أخبرنا أبو عطاء بن أبي عاصم ، أخبرنا حاتم بن محمد بن يعقوب ، حدثنا أبو العباس محمد بن محمد بن الحسن الفَرِيْزَني[1] ، حدثنا أبو جعفر رجاء بن عبد الله بن فُورجة[2] ، حدثنا مالك بن[3] سليمان الهروي ، عن يزيد ، بن[4] عطاء ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب ، قال : لقد صلينا بعد قدوم النبي ﷺ نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ، وكان الله يعلم أنه يُحب أن يُوجَّه نحو الكعبة ، فلما وُجِّهَ النبي ﷺ إليها صلى رجل[5] معه ، ثم أتى قوماً من الأنصار وهم ركوع نحو بيت المقدس ، فقال لهم وهم ركوع : أشهدُ أن رسولَ الله ﷺ قد وُجه نحو الكعبة ، فاستداروا وهم ركوع فاستقبلوها ..»

رواه البخاري وغيره من حديث أبي إسحاق عن البراء[6] .

---

(١) الفَرِيْزَني : هو بفاء مفتوحة ، وكسر الراء بعدها ، ثم مثناة تحتانية ساكنة ، ثم زاي ، ثم نون ، ثم ياء النسبة . هكذا ضبطه سبط ابن العجمي .

(٢) ابن فُورَجَة : هو بالفاء المضمومة ، ثم واو ساكنة ، ثم راء مفتوحة ، ثم جيم مفتوحة أيضاً ، ثم هاء . والظاهر أنها تاء التأنيث .

(٣) مالك بن سليمان : قال العقيلي : والسليماني فيه نظر ، وضعَّفه الدارقطني ، الضعفاء الكبير ١٧٣/٤ .

(٤) يزيد بن عطاء : اليشكري ، قال أحمد : مقارب الحديث ، وقال ابن سعد : ضعيف . وقال أبو حاتم : لا يحتج به . وقال النسائي : ليس بالقوي .. ميزان الاعتدال ٤٣٥/٤ .

ولا يضرُّ الحديث هذا الضعف في راويين من هذا الطريق ، وذلك لرواية البخاري له من طريق آخر صحيح .

(٥) رجل : هو عباد بن بشر بن قيظي ، كما رواه ابن منده من حديث طويلة بنت أسلم . وقيل : هو عَبَّاد ابن نَهيك ، بفتح النون وكسر الهاء .. فتح الباري ٩٧/١ .

(٦) رواه البخاري في كتاب الإيمان (باب الصلاة من الإيمان) رقم /٤٠/ .

ورويناه من طريق ابن سعد : حدثنا الحسن بن موسى ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو إسحاق ، عن البراء .. الحديث . وفيه : وأنه صلَّى أوَّلَ صلاة صلَّاها العصر ، وصلَّاها معه قوم ، فخرج رجلٌ ممن صلَّاها معه ، فمر على أهل مسجد وهم راكعون ، فقال : أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قِبَلَ مكة ، فداروا كما هم قِبَلَ البيت .

وكان يعجبه أن يُحوَّل قِبَلَ البيت ، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يُصلي قِبَلَ بيت المقدس ، وأهلُ الكتاب ، فلما ولَّى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك .

وفيه : أنه مات على القبلة قَبل أن تُحول قِبَلَ البيت : رجالٌ ، وقُتلوا ، فلم ندر ما نقول فيهم ، فأنزل الله تعالى ﴿ وما كانَ الله ليُضيعَ إيمانَكم إنَّ الله بالنَّاس لرؤوف رحيم ﴾[1] [البقرة : ١٤٣] .

وقد اتفق العلماء على أن صلاة النبيِّ ﷺ بالمدينة كانت إلى بيت المقدس ، وأن تحويلَ القبلة إلى الكعبة كان بها ، واختلفوا كم أقام النبيُّ ﷺ يُصلِّي إلى بيت المقدس بعد مقدمه المدينة ؟ وفي أي صلاة كان التحويل ؟ وفي صلاته عليه الصلاة والسلام قبل ذلك بمكة كيف كانت ؟

فأما مدة صلاة النبي ﷺ إلى بيت المقدس بالمدينة فقد رويناه أنه كان ستة عشر شهراً ، أو سبعةَ عشر شهراً ، أو ثمانيةَ عشر شهراً ، وروينا بضعة عشر شهراً .

قال الحربي : ثم قدم النبيُّ ﷺ المدينة في ربيع الأول فصلَّى إلى بيت المقدس تمام السنة ، وصلَّى من سنة اثنتين ستة أشهر ثم حُولِّت القبلة في رجب .

وكذلك روينا عن ابن إسحاق ، قال : ولمَّا صُرفت القبلة عن الشام إلى الكعبة ، وصرفت في رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله ﷺ المدينة[2] . في خبر ذكره ، وسنذكره بعد تمام هذا الكلام إن شاء الله تعالى .

وقال موسى بن عقبة وإبراهيم بن سعد : عن ابن شهاب ، عن عبد الرحمن بن عبد الله ابن كعب بن مالك ؛ أن القبلة صرفت في جمادى .

---

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١/٢٤٢ ــ ٢٤٤ .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٦٠٦ .

وقال الواقدي : إنما صرفت في صلاة الظهر يوم الثلاثاء في النصف من شعبان . كذا وجدته عن أبي عمر بن عبد البر . والذي رويناه عن الواقدي من طريق ابن سعد : حدثنا إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة ، عن داود بن الحصين عن عكرمة ، عن ابن عباس . قال ابن سعد : وأخبرنا عبد الله بن جعفر الزهري ، عن عثمان بن محمد الأخنسي وعن غيرهما ، أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة صلَّى إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً ، وكان يُحبُّ أن يُصرف إلى الكعبة ، فقال : يا جبريل ! وددتُ أن الله صرف وجهي عن قبلة يهود . فقال جبريل : إنما أنا عبد فادعُ ربَّك وسلْه ، وجعل إذا صلى إلى بيت المقدس يرفع رأسه إلى السماء ، فنزلت : ﴿ قد نرَى تقلُّبَ وجهِكَ في السَّماءِ فلنولينَّكَ قبلةً تَرْضَاهَا فولِّ وجهَكَ شطرَ المسجدِ الحَرَام ﴾ [البقرة : ١٤٤] فوَجَّه إلى الكعبة إلى الميزاب . ويُقال : صلى رسول الله ﷺ ركعتين من الظهر في مسجده بالمسلمين ، ثم أُمر أن يُوجِّه إلى المسجد الحرام ، فاستدار إليه ، ودار معه المسلمون ، ويقال : بل زارَ رسولُ الله ﷺ أمَّ بشر بن البراء بن معرور في بني سلمة ، فصنعت له طعاماً ، وحانت الظهر فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه ركعتين ، ثم أُمر أن يُوجِّه إلى الكعبة ، فاستقبل الميزاب ، فسُمِّي المسجدُ مسجدَ القبلتين ، وذلك يوم الاثنين للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهراً . وفُرض صوم شهر رمضان في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً . قال محمد بن عمر : وهذا الثبت عندنا(١) .

قال القرطبي(٢) : الصحيح سبعة عشر شهراً وهو قول مالك وابن المسيب وابن إسحاق .

وقد روي ثمانية عشر ، وروي بعد سنتين ، وروي بعد تسعة أشهر أو عشرة أشهر ، والصحيح ما ذكرناه أولاً .

وأما الصلاة التي وقع فيها تحويل القبلة ، ففي خبر الواقدي هذا أنها الظهر ، وقد ذكرنا في حديث البراء قبل هذا أنها العصر . وقد روينا عن ابن سعد ، قال : أخبرنا عفان بن

---

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢٤٢/١ .

(٢) قال سبط ابن العجمي في « نور النبراس » هذا يحتمل أن يكون القرطبي هذا : صاحب « المفهم في شرح صحيح مسلم » أو أن يكون تلميذه ، صاحب التفسير والتذكرة ، وكلاهما عالم ، لكن الشيخ أعلم فيما يظهر ، والتلميذ أكثر نقولاً .

مسلم ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، قال : أخبرنا ثابت ، عن أنس ابن مالك ، أن رسول الله ﷺ كان يُصلي نحو بيت المقدس فنزل : ﴿ قد نَرَى تقلُّبَ وجهِكَ في السَّماءِ فلنُوَلينَّك قبلةً تَرْضَاهَا فولِّ وجهَك شطرَ المسجدِ الحرام ﴾ [البقرة : ١٤٤] فمر رجلٌ بقوم من بني سلمة وهم ركوع في صلاة الفجر (وقد صَلُّوا ركعةً)[١] ، فنادى : ألا إن القبلة قد حُوِلَت إلى الكعبة ، فمالوا إلى الكعبة[٢] .

وروينا عن ابن سعد ، قال : أخبرنا الفضل بن دُكين ، حدثنا قيس بن الربيع ، حدثنا زياد بن علاقة ، عن عُمارة ابن أوس الأنصاري ، قال : صَلَّينا إحدى صلاتي العشيّ ، فقام رجلٌ على باب المسجد ونحن في الصلاة ، فنادى : إن الصلاة قد وجهت نحو الكعبة ، فتحول أو تحرَّف إمامنا نحو الكعبة والنساء والصبيان[٣] ، وليس في هذين الخبرين ما يعارض ما قبلهما لأن بلوغ التحويل غير التحويل .

وقرىء على أبي عبد الله بن أبي الفتح بن وثَّاب الصوري ، وأنا أسمع ، أخبرَكم الشيخان : أبو مسلم المؤيد بن عبد الرحيم بن أحمد بن محمد بن الإخوة البغدادي نزيل أصبهان ، وأبو المجد زاهر بن أبي طاهر الثقفي الأصبهاني إجازة ، قال الأول : أخبرنا أبو الفرج سعيد بن أبي الرجاء الصيرفي ، وقال الثاني : أخبرنا أبو الوفاء منصور بن محمد بن سليم ، قالا : أخبرنا أبو الطيب عبد الرزاق بن عمر بن موسى بن شمة ، قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم ، قال : أخبرنا علي بن العباسي المقالعي ، عن محمد ابن مروان ، عن إبراهيم بن الحكم بن ظهير ، قال : وحدثنا سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، قال : كانوا يُصلون الصبح فانحرفوا وهم ركوع[٤] .

وأما كيف كانت صلاته ﷺ قبل تحويل القبلة ، فمن الناس من قال كانت صلاته ﷺ إلى بيت المقدس ، من حين فُرضت الصلاة بمكة إلى أن قدم المدينة ، ثم بالمدينة إلى وقت التحويل .

---

(١) ما بين القوسين من الطبقات الكبرى ١٤٢/١ .

(٢) المصدر السابق ١٤٢/١ .

(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢٤٢/١ ـ ٢٤٣ .

(٤) الأثر عن ابن عمر رضي الله عنهما ضعيف جداً ، فيه محمد بن مروان السدي الصغير ضعيف جداً ، وإبراهيم بن الحكم بن ظُهير شيعي ضعيف أيضاً .

روينا من طريق أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المقرىء بالسند المذكور آنفاً ، قال أخبرنا علي بن العباس المقالعي ، عن محمد بن مروان ، عن إبراهيم بن الحكم بن ظُهير ، عن أبيه ، عن السدي في كتاب « الناسخ والمنسوخ » له قال : قوله تعالى : ﴿ سيقولُ السفهاءُ من الناس ما وَلَّاهُم عن قبلتِهم التي كانوا عليها ﴾ [البقرة : ١٤٢] قال : قال ابنُ عباس : أول ما نسخَ الله تعالى من القرآن حديث القبلة . قال ابن عباس : إن الله تبارك وتعالى فرضَ على رسوله الصَّلَاة ليلة أسري به إلى بيت المقدس ركعتين ركعتين ، الظهر والعصر والعشاء والغداة والمغرب ثلاثاً ، فكان يُصلِّي إلى الكعبة ووجهه إلى بيت المقدس . قال : ثم زيد في الصلاة بالمدينة حين صرفَه الله إلى الكعبة ركعتين ركعتين إلا المغرب فتُركت كما هي . قال : وكان رسولُ الله ﷺ وأصحابه يُصلُّون إلى بيت المقدس . وفيه : قال : فصلَّاها رسولُ الله ﷺ بمكة سنةً حتى هاجر إلى المدينة . قال : وكان رسول الله ﷺ يُعجبه أن يُصلِّي قِبَلَ الكعبة ، لأنها قبلة آبائه إبراهيم وإسماعيل . قال : وصلَّاها رسول الله ﷺ بمكة حتى هاجرَ إلى المدينة وبعدما هاجرَ ستة عشر شهراً إلى بيت المقدس . قال : وكان رسول الله ﷺ إذا صلَّى رفع رأسه إلى السماء ينظرُ لعلَّ الله أن يصرفَه إلى الكعبة . قال : وقال رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام : وددتُ أنك سألت الله أن يصرفني إلى الكعبة . فقال جبريل : لست أستطيع أن أبتدىء الله جل وعلا بالمسئلة ، ولكن إن سألني أخبرته . قال فجعلَ رسولُ الله ﷺ يُقلِّب وجهَه في السماء ينتظر جبريل ، ينزل عليه ، قال : فنزل عليه جبريل وقد صلَّى الظهر ركعتين إلى بيت المقدس وهم ركوع ، فصرف الله القبلة إلى الكعبة .. الحديث . وفيه : فلما صرف الله القبلة اختلف الناس في ذلك ، فقال المنافقون : ما ولَّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ؟ وقال بعضُ المؤمنين : فكيف بصلاتنا التي صَلَّيْنا نحو بيت المقدس ؟ فكيف بمن مات من إخواننا وهم يُصلون إلى بيت المقدس ؟ نقول : قَبِلَ الله عز وجل منا ومنهم أم لا ؟ وقال ناس من المؤمنين : كان ذلك طاعة وهذا طاعة ، نفعل ما أمرنا النبي ﷺ . وقالت اليهود : اشتاق إلى بلد أبيه وهو يُريد أن يرضي قومه ، ولو ثبت على قبلتنا لرجونا أن يكون هو النبي الذي كنا ننتظر أن يأتي ، وقال المشركون من قريش : تحيَّر على محمد دينُه ، فاستقبلَ قبلتكم وعلم أنكم أهدى منه ، ويوشِكُ أن يدخل في دينكم . فأنزل الله في جميع الفرق كلها :

فأنزل في المنافقين : ﴿ ما وَلَّاهُم عن قبلتِهمُ التي كانُوا عليها قلْ للهِ المشرقُ والمغربُ يهدي مَنْ يشاءُ إلى صِرَاطٍ مُستقيم ﴾ إلى دين الإسلام ﴿ وكذلكَ جَعَلْنَاكُم أمةً وَسَطاً ﴾ [البقرة : ١٤٢ ـ ١٤٣] إلى آخر الآية .

وأنزل في المؤمنين : ﴿ وما جَعَلْنَا القبلةَ التي كنتَ عليها إلا لنعلمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرسولَ ممنْ ينقلبُ على عَقِبَيْهِ ﴾ يقول : إلا لنبتلي بها . وإنما كانت قبلتك التي تبعث بها إلى الكعبة ، ثم تلا : ﴿ وإنْ كانتْ لكبيرةً إلا على الذينَ هَدَى الله ﴾ قال : من المتقين . قال المؤمنون كانت القبلة الأولى طاعة وهذه طاعة ، فقال الله عز وجل : ﴿ وما كانَ اللهُ ليُضيعَ إيمانكُم ﴾ [البقرة : ١٤٣] . قال : صلاتكم ، لأنكم كنتم مطيعين في ذلك ، ثم قال لرسول الله ﷺ : ﴿ قد نرى تقلُّبَ وجهِكَ في السماءِ ﴾ يقول : تنتظر جبريل حتى ينزل عليك ﴿ فلنُوَلِّيَنَّكَ قبلةً تَرْضَاهَا ﴾ يقول : تحبها ﴿ فولِّ وجْهَكَ شطرَ المسجدِ الحَرَام ﴾ [البقرة : ١٤٤] نحو الكعبة ﴿ وإنه لَلْحَقُّ من ربِّك ﴾ [البقرة : ١٤٩] أي أنك تبعث بالصلاة إلى الكعبة .

وأنزل الله في اليهود : ﴿ ولئنْ أتيتَ الذينَ أُوتوا الكتابَ بكلِّ آيةٍ ما تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ﴾ [البقرة : ١٤٥] قال : لئن جئتهم بكل آية أنزلها الله في التوراة في شأن القبلة أنها إلى الكعبة ما تبعوا قبلتك ، قال : وأنزل الله في أهل الكتاب : ﴿ الذينَ آتيناهُم الكِتَابَ يعرفونَه كما يَعْرِفُونَ أبناءَهم وإنَّ فَرِيقاً منهم ليَكْتُمونَ الحقَّ وهم يَعلمون ﴾ [البقرة : ١٤٦] قال : يعرفون أن قبلة النبي الذي يبعث من ولد إسماعيل عليهما السلام قبل الكعبة ، كذلك هو مكتوب عندهم في التوراة ، وهم يعرفونه بذلك كما يعرفون أبناءهم ، وهم يكتمون ذلك ، وهم يعلمون أن ذلك هو الحق ، يقول الله تعالى : ﴿ الحقُّ من ربِّك فلا تَكُونَنَّ من المُمْتَرِين ﴾ [البقرة : ١٤٧] يقول من الشاكين .

قال : ثم أنزل في قريش وما قالوا ، فقال : ﴿ لِئَلَّا يكونَ للناسِ عليكُم حُجَّةٌ ﴾ قال : لكيلا يكون لأحد من الناس حجة ﴿ إلا الذينَ ظَلَمُوا منهم ﴾ يعني قريشاً ، وذلك قول قريش : قد عرف محمد أنكم أهدى منه فاستقبل قبلتكم ، ثم قال : ﴿ فلا تَخْشَوْهُم ﴾ قال : فحين قالوا يوشك أن يرجع إلى دينكم يقول : لا تخشوا أن أردكم في دينهم ، قال

﴿ ولأتمَّ نِعمَتي عليكُم ﴾ [البقرة : ١٥٠] أي أُظهر دينكم على الأديان كلها .

كل هذا عن السدي من كتابه في « الناسخ والمنسوخ » وهو مروي لنا بالإسناد المذكور ، وهو مروي عن أبي مالك ، عن ابن عباس ، ثم يتخلل سياق خبره فوائدُ عن بعض رواة الكتاب ، ثم يقول جامعه عند انقضائها وعوده إلى الأول : رجع إلى السدي . ثم يقول عنه : قال ابن عباس كذا في أخبار متعددة متغايرة ، فيحتمل أن يكون ذلك عنده عن أبي مالك عن ابن عباس ، ويحتمل الانقطاع ، ولو كان ذلك في خبر واحد لكان أقرب إلى الاتصال .

والسُّدي هذا هو الكبير : إسماعيل بن عبد الرحمن ، يروي عن أنس ، وعبد خير ، روى عنه الثوري وشعبة وزائدة ، وكان يجلس بالمدينة في مكان يُقال له السُّد فنُسب إليه ، احتج به مسلم ، ووثقه بعضُهم وتكلم فيه آخرون .

والسّدي الصغير : هو محمد بن مروان المذكور في الإسناد إليه ، مضعف عندهم .

وقال آخرون إنه عليه الصلاة والسلام صلَّى أول ما صلى إلى الكعبة ثم إنه صُرف إلى بيت المقدس .

قال أبو عمر : ذكر سُنيد ، عن حجّاج ، عن ابن جريج ، قال : صلَّى ا لنبيُّ ﷺ أوَّلَ ما صلى إلى الكعبة ، ثم إنه صُرف إلى بيت المقدس ، فصلت الأنصار نحو بيت المقدس قبل قدومه عليه الصلاة والسلام بثلاث ، وصلى النبيُّ ﷺ بعد قدومه ستة عشر شهراً ثم وجهه الله تعالى إلى الكعبة(١) .

وقال ابن شهاب : وزعم ناس ـ والله أعلم ـ أنه كان يسجد نحو بيت المقدس ويجعل وراء ظهره الكعبة وهو بمكة ، ويزعم ناس أنه لم يزل يستقبل الكعبة حتى خرج منها ، فلما قدم المدينة استقبل بيت المقدس(٢) .

قال أبو عمر : وأحسن من ذلك قول من قال : إنه عليه الصلاة والسلام كان يُصلي بمكة مستقبل القبلتين ، يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس(٢) .

---

(١) و(٢) ذكر أبو عمر ابن عبد البر هاتين الروايتين : عن سُنيد ، وابن شهاب في كتابه « التمهيد »

وقد روينا ذلك من طريق مجاهد عن ابن عباس ؛ قرأت على الإمام الزاهد أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل بن الواسطي بسفح قاسيون ، أخبركم الشيخ أبو البركات داود بن أحمد بن محمد بن ملاعب البغدادي ، وأبو الفضل عبد السلام بن عبد الله بن أحمد بن بكران بن الزاهري سماعاً عليهما ، الأول بالشام والثاني بالعراق ، قالا : أخبرنا أبو بكر محمد بن عُبيد الله بن نصر بن البُسْري بن الزَّاغُوني ، زاد ابن ملاعب : وأبو منصور أنُوشتكين بن عبد الله الرضواني ، قال : أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن البسري ، وقال ابن الزاغوني : أخبرنا الشريف أبو نصر محمد بن محمد الزينبي ، قالا : أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن بن العباس المخلص ، حدثنا يحيى ، حدثنا الحسن بن يحيى الآرُزِّي أبو علي بالبصرة ، حدثنا يحيى بن حماد ، حدثنا أبو عوانة ، عن سليمان ــ يعني الأعمش ــ عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله ﷺ يُصلي وهو بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه ، وبعدما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهراً ، ثُمَّ صُرِف إلى الكعبة .

وروينا عن ابن سعد قال : أخبرنا هاشم بن القاسم ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد ابن كعب القُرظي ، قال : ما خالف نبيٌّ نبياً قط في قبلة ولا في سنة ، إلا أن رسولَ الله ﷺ استقبل بيت المقدس من حين قدم المدينة ستة عشر شهراً ثم قرأ : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصَّى بن نوحاً ﴾[1] [الشورى : ١٣] .

وقد ذكرنا فيما سلفَ حديثَ البراء بن معرور وتوجهه إلى الكعبة ، وفيه دليل على أن الصلاة كانت يومئذ إلى بيت المقدس . ولما كان ﷺ يتحرَّى القبلتين جميعاً ولم يتبين توجُّهَهُ إلى بيت المقدس للناس حتى خرجَ من مكة .

قال السهيلي : وكرر الباري سبحانه وتعالى الأمر بالتوجه إلى البيت الحرام في ثلاث آيات ، لأن المنكرين لتحويل القِبلة كانوا ثلاثة أصناف : اليهودُ ؛ لأنهم لا يقولون بالنسخ

= و« الاستذكار » . انظر « الدرر في اختصار المغازي والسير » ص ١٠١ .

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢٤٣/١ .

في أصل مذهبهم . وأهلُ الرِّيْب والنفاق اشتد إنكارهم له ، لأنه كان أوَّلَ نسخ نزل . وكفار قريش ، لأنهم قالوا : ندمَ محمد على فراق ديننا ، وكانوا يحتجون عليه ، فيقولون : يزعم محمد أنه يدعونا إلى ملة إبراهيم وإسماعيل وقد فارق قبلة إبراهيمَ وإسماعيلَ وآثرَ عليها قبلة اليهود ، فقال الله له حين أمره بالصلاة إلى الكعبة : ﴿ لئلا يَكونَ للنَّاسِ عليكُم حُجَّةٌ إلا الذينَ ظَلَمُوا مِنْهم ﴾ [البقرة : ١٥٠] على الاستثناء المنقطع ، أي : لكن الذين ظلموا منهم لا يرجعون ولا يهتدون ، وذكر الآيات إلى قوله تعالى : ﴿ لَيَكتمون الحقَّ وهم يَعلمون ﴾ [البقرة : ١٤٦] أي يكتمون ما علموا من أن الكعبة هي قبلة الأنبياء(١) .

وروينا من طريق أبي داود في كتاب « الناسخ والمنسوخ » له : حدثنا أحمد بن صالح ، حدثنا عنبسة ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، قال : كان سليمانُ بن عبد الملك لا يُعَظِّمُ إيلياء(٢) كما يُعَظِّمُهَا أهلُ بيته ، قال : فسرتُ معه وهو وليُّ عهد ، قال : ومعه خالد بن يزيد بن معاوية ، قال سليمان وهو جالس فيها : والله إن في هذه القِبلة التي صلَّى إليها المسلمون والنصارى لعجباً . قال خالد بن يزيد : أما والله إني لأقرأ الكتاب الذي أنزلَه الله على محمد ﷺ ، وأقرأ التوراة ، فلم تجدها اليهود في الكتاب الذي أنزل الله عليهم ، ولكن تابوت السكينة كان على الصخرة ، فلما غضب الله على بني إسرائيل رفعَه ، فكانت صلاتُهم إلى الصخرة على مشاورة منهم .

وروى أبو داود أيضاً : أن يهودياً خاصم أبا العالية(٣) في القبلة ، فقال أبو العالية : إن موسى عليه السلام كان يُصلي عند الصخرة ويستقبل البيت الحرام ، فكانت الكعبة قبلته ، وكانت الصخرة بين يديه ، وقال اليهودي : بيني وبينك مسجد صالح النبي عليه السلام ، فقال أبو العالية : فإني صليت في مسجد صالح وقبلتُه إلى الكعبة ، وأخبر أبو العالية أنه صلى في مسجد ذي القرنين وقبلتُه إلى الكعبة .

---

(١) الروض الأنف » للسهيلي ٢/٢٠١ .

(٢) « إيلياء » : بيت المقدس .

(٣) أبو العالية : رُفَيْع بن مهران الرياحي ، قال الذهبي : وهو ثقة . فأما قول الشافعي رحمه الله تعالى : حديث أبي العالية الرِّيَاحي رِياح . فإنما أراد به حديثه الذي أرسله في القهقهة فقط . وقال ابن عدي : ولأبي العالية الرياحي أحاديث صالحة .. انظر ميزان الاعتدال ٢/٥٤ ، والكامل في الضعفاء ٣/١٠٢٢ .

قلت : قد تقدم في حديث البراء أن رجلاً صلّى مع النبي ﷺ يوم تحويل القبلة ، ثم أتى قوماً من الأنصار فأخبرهم وهم ركوع فاستداروا ، ولم يُسمَّ المُخبرُ في ذلك الخبر ، والرجل هو عباد بن نُهَيْك بن إساف الشاعر بن عدي بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو (النَّبيت) بن مالك بن الأوس ، عُمِّرَ في الجاهلية زماناً ، وأسلم وهو شيخ كبير ، فوضع النبيُّ ﷺ عنه الغزو ، وهو الذي صلَّى مع النبي ﷺ القبلتين في الظهر ، ركعتين إلى بيت المقدس وركعتين إلى الكعبة يوم صُرفت القبلة ، ثم أتى قومَه بني حارثة وهم ركوع في صلاة العصر ، فأخبرَهم بتحويل القبلة ، فاستداروا إلى الكعبة . وقد ذكر أبو عمر[1] هذا الرجل بذلك لكنه لم يرفع نسبه ، إنما قال : عباد ابن نُهَيْك فقط ، ونسبَه الخَطَمِيَّ ، فلم يصنع شيئاً ، فخطمة هو عبد الله بن جشم بن مالك بن الأوس ليس هذا منه ، هذا حارثي وبنو خَطَمة تأخر إسلامهم .

* * *

(١) الاستيعاب على هامش الإصابة ، لابن عبد البر ٢/٤٥٧ .

ذكر فرض صيام شهر رمضان
وزكاة الفطر ، وسُنّة الأضحية

روينا عن ابن سعد أخبرنا محمد بن عمر ، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الجمحي ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة . قال الواقدي : وأخبرنا عبد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر . قال : أخبرنا عبد العزيز بن محمد ، عن رُبيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه ، عن جده ، قالوا : نزلَ فرضُ شهر رمضان بعدما صُرفت القبلة إلى الكعبة بشهر ، في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مُهَاجر رسول الله ﷺ .

وأمر رسولُ الله ﷺ في هذه السنة بزكاة الفطر ، وذلك قبل أن تُفرض الزكاة في الأموال ، وأن تُخرجَ عن الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والأنثى ، صاعٌ من تمر أو صاعٌ من شعير ، أو صاع من زبيب ، أو مُدّان من بر . وكان يخطب ﷺ قبل الفِطر بيومين ، فيأمر بإخراجها قبل أن يغدوَ إلى المُصَلَّى ، وقال : أَغْنُوهم – يعني المساكين – عن طواف هذا اليوم . وكان يقسمها إذا رجع ، وصلَّى رسول الله ﷺ صلاة العيد يومَ الفطر بالمصلّى قبل الخُطبة .

وصلَّى العيد يوم الأضحى وأمر بالأضحية ، وأقام بالمدينة عشر سنين يُضَحّي في كل عام ، قالوا : وكان يُصلي العيدين قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة ، وكان تُحمل العَنَزَة[1] بين يديه ، وكانت العَنَزَة للزبير بن العوام ، قدم بها من أرض الحبشة ، فأخذها منه رسولُ الله ﷺ . قالوا : وكان رسولُ الله ﷺ إذا صلَّى اشترى كبشين سمينين أقرنين أملحين[2] ، فإذا صلَّى وخطبَ أُتِي بأحدهما وهو قائم في مصلاه ، فيذبحه بيده بالمُدية ،

---

(١) « العَنَزَة » : مثل نصف الرمح ، وفيها سِنان مثل سنانه ، وهي الحربة ، وكانت تحملُ لتغرز في الأرض سترة بين يديه ﷺ .

(٢) « أملحين » : الأملح : هو الذي يكون بياضه أكثر من سواده ، وقيل : هو النقيُّ البياض .

ثم يقول : هذا عن أمتي جميعاً ، ممن شهدَ لك بالتوحيد وشهدَ لي بالبلاغ . ثم يُؤتى بالآخر فيذبحه هو عن نفسه ، ثم يقول : هذا عن محمد وآل محمد ، فيأكل هو وأهله منه ، ويُطعم المساكين ، وكان يَذبح عند طرف الزقاق عند دار معاوية .

قال محمد بن عمر : وكذلك تصنعُ الأئمة عندنا بالمدينة[1] .

* * *

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١/٢٤٨ ـ ٢٤٩ .

ذكر المنبر وحنين الجذع

قرأت على الشيخة الأصيلة أم محمد مُؤنسة خاتون بنت السلطان الملك العادل سَيف الدين أبي بكر بن أيوب بالقاهرة ، قلت لها : أخبرتك الشيخة أم هانيء عفيفة بنت أحمد ابن عبد الله الفَارْقَانية إجازة ؟ فأقرَّتْ به ، قالت : أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن عبد الواحد الصبَّاغ ، أخبرنا أبو نُعيم أحمد بن عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو علي بن الصواف ، حدثنا الحسين بن عمر ، حدثنا أبي ، حدثنا المعلَّى بن هلال ، عن عمَّار الدُّهني ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أم سلمة ، أنها قالت : قال لي رسولُ الله ﷺ : « إنَّ قوائمَ مِنبري هذا رواتب[1] في الجنة »[2] . قال : وكانت أساطين المسجد من دَوْمٍ ، وظِلاله من جريد النخل ، وكانت الأسطوانةُ التي تلي المنبرَ عن يسار المنبر إذا اسْتَقبَلْتَه دَوْمةً . قالت : وكان رسولُ الله ﷺ يُسند ظهره إليها يوم الجمعة إذا خطب الناس قبلَ أن يُصنعَ المنبرُ . فأول يوم وُضع المنبرُ استوى عليه رسول الله ﷺ قاعداً في الساعة التي كان يستند فيها إلى الأسطوانة ، ففقدته الأُسطوانة فجأرت جؤار الثور ، أو خارت خُوار الثور ، والنبيُّ ﷺ على المنبر ، فنزلَ النبيُّ ﷺ إليها ، فأتاها فوضع يده عليها ، وقال لها : « اسكني ، أو اسكتي » ثم رجعَ النبيُّ ﷺ إلى منبره[3] .

وقرأتُ على أبي الفتح يوسف بن يعقوب الشيباني بسفح قاسيون ، أخبركم أبو العباس الخضر بن كامل بن سالم بن سُبيع قراءة عليه وأنتم تسمعون سنة ست أو سبع وستمائة ، وأبو اليمن زيد بن الحسن الكندي إجازة ، إن لم يكن سماعاً ، قال الأول : أخبرنا أبو الدر ياقوت بن عبد الله الرومي ، وقال الثاني : أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد بن البيضاوي ،

---

(١) « رواتب » : جمع راتب ، من قولهم : رتبَ رُتُوباً ؛ إذا انتصب قائماً . النهاية ؛ لابن الأثير ١٩٢/٢ .

(٢) رواه النسائي ٣٤/٢ عن أم سلمة رضي الله عنها ، والبيهقي في الدلائل ٥٦٣/٢ .

(٣) حديث أم سلمة بطوله ، وفيه جؤار الأسطوانة ، أخرجه أبو حاتم ، عزاه إليه المحب الطبري في أحكامه ؛ كما في نور النبراس .

قالا : أخبرنا أبو محمد بن عبد الله بن محمد بن هِزَارَمَرْد[1] . « ح »[2] وقرأتُ على أبي النور إسماعيل بن نور بن قمر الهِيْتي ، أخبركم الشيخ أبو نصر موسى بن الشيخ عبد القادر الجيلي قراءة عليه وأنت تسمع ؟ فأقر به ، أخبرنا أبو القاسم سعيد بن أحمد بن الحسين بن البنا ، أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن البُسْري قالا : أخبرنا أبو طاهر محمد ابن عبد الرحمن بن العباس المخلِّص ، حدثنا عبد الله ـ يعني البَغوي ـ حدثنا شيبان بن فروخ ، حدثنا مُبارك بن فضالة ، حدثنا الحسن ، عن أنس بن مالك ، قال : كان رسولُ الله ﷺ يخطبُ يوم الجمعة إلى جنب خشبة مسنداً ظهره إليها ، فلما كثُر الناسُ ، قال : ابنوا لي مِنبراً . قال : فبنَوْا له مِنبراً له عتبتان ، فلما قام على المنبر يخطُب حَنَّتِ الخشبة إلى رسول الله ﷺ . قال أنس : وأنا في المسجد فسمعتُ الخشبة تحِنُّ حنين الواله ، فما زالت تَحِنُّ حتى نزل إليها فاحتضنها فسكنت . فكان الحسنُ إذا حدَّثَ بهذا الحديث بكى ، ثم قال : يا عِبَادَ الله ، الخشبةُ تحِن إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه ؛ لمكانه من الله عز وجل ، فأنتم أحقُّ أن تشتاقوا إلى لقائه[3] .

قال القاضي عياض : رواه من الصحابة بضعة عشر منهم : أُبيُّ بن كعب ، وجابر ابن عبد الله ، وأنس بن مالك ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وسهل بن سعد ، وأبو سعيد الخدري ، وبُريدة ، وأم سلمة ، والمطلب بن أبي وداعة ، كلُّهم يحدث بمعنى هذا الحديث[4] ، قال الترمذي[5] : وحديث أنس صحيح .

---

(١) « هِزَارَمَرْد » : لفظة فارسية ، ومعناها ابن ألف رجل ؛ كما في نور النبراس .

(٢) « ح » رمز لتحويل السند . وقال سبط ابن العجمي : اعلم أن « ح » حرف جرت عادة أهل الحديث كتابته إذا كان للحديث إسنادان فأكثر ... فإذا انتقلوا من سند إلى سند آخر كتبوا بينهما « ح » ... والذي عليه أهل الحديث أن ينطق بها القارىء كذلك مفردة ..

(٣) رواه الإمام أحمد ٢٢٦/٢ : عن هاشم ، عن المبارك ، عن الحسن عن أنس . ورواه أبو القاسم البغوي . كما رواه الحافظ أبو نُعيم من حديث الوليد بن مسلم ، عن سالم بن عبد الله الخياط ، عن أنس بن مالك . فذكره ، ورواه البيهقي في الدلائل ٥٥٩/٢ .

(٤) الشفا للقاضي عياض ، ونظم المتناثر من الحديث المتواتر ص ١٣٤ ، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح : حديث حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلاً مستفيضاً يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة له في ذلك ، والله أعلم .

(٥) رواه الترمذي في كتاب المناقب (باب رقم ٩) رقم /٣٦٣١/ .

وفي حديث جابر : فلما صُنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العِشَار(١) .

وفي رواية أنس : حتى ارتجَّ المسجدُ بخُواره .

وفي رواية سهل : وكثر بكاء الناس لما رأوا به .

وفي رواية المطلب : حتى تصدَّعَ وانشقَّ ، حتى جاء النبيُّ ﷺ فوضعَ يده عليه فسكت ، زاد غيره : فقال النبيُّ ﷺ : « إن هذا بكى لما فقد من الذكر » وزاد غيره : « والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة » تحزناً على النبيِّ ﷺ ، فأمر به فدُفن تحت المنبر .

وفي حديث أبيّ أنه أخذه أبيّ فكان عندَه إلى أن أكلته الأرض وعاد رفاتا . وفي حديث بُريدة ، فقال – يعني النبي ﷺ – : « إنْ شئتَ أردُّك إلى الحائط الذي كنتَ فيه ، تنبتُ لك عروقُك ويكمل خلقُك ، ويُجدد لك خوص وثمرة ؟ وإن شئتَ أغرسْك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك ؟ ثم أصغَى له عليه الصلاة والسلام يستمع ما يقول ، فقال : بل تغرسني في الجنة . فسمعه من يليه ، فقال عليه الصلاة والسلام : « قد فعلتُ » .

وأخبرنا عبد الرحيم بن يوسف المَوْصلي بقراءة والدي عليه ، أخبرنا ابن طبرزذ ، أخبرنا ابن عبد الباقي ، أخبرنا الجوهري ، أخبرنا ابن الشِّخير ، حدثنا العباس بن أحمد ، حدثنا محمد بن أبان ، حدثنا أبو القاسم بن أبي الزناد ، عن سلمة بن وَرْدان ، قال : سمعت أبا سعيد بن المعلى يقول ، سمعتُ علياً يقول ، سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : « ما بين قبري ومِنبري روضة من رياض الجنة »(٢) .

ورويناه من حديث جابر وفيه « وإن منبري على ترعة من ترع الجنة »(٣) .

---

(١) حديث جابر رضي الله عنه رواه البخاري في كتاب الجمعة (باب الخطبة على المنبر) رقم /٩١٨/ ، والنسائي في كتاب الجمعة (باب مقام الإمام في الخطبة) ١٠٢/٣ . و « العِشار » : النوق الحوامل .

(٢) رواه الترمذي في المناقب (باب ما جاء في فضل المدينة) رقم /٣٩١١/ عن علي رضي الله عنه ، وعن أبي هريرة /٣٩١٢/ وقال الترمذي : غريب حسن من هذا الوجه ، وإنما آثر المؤلف رحمه الله تعالى إخراجه من غير طريق الترمذي للعلو . وسلمة بن وردان : ضعيف ، لكن للحديث طرق صحيحة ، وهو متواتر ، أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن زيد بلفظ « ما بين بيتي ومنبري .. » انظر « نظم المتناثر في الحديث المتواتر » ص ١٢٨ .

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ٣٨٩/٣ ولفظه : « إن ما بين منبري إلى حجرتي روضة من رياض الجنة ،

غزوة بدر الكبرى

وكانت يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان

قال ابن إسحق : ثم إن رسولَ الله ﷺ سمع بأبي سفيان بن حرب مقبلاً من الشام في عير لقريش عظيمة ، فيها أموال لقريش وتجارة من تجاراتهم ، وفيها ثلاثون رجلاً من قريش ، أو أربعون ، منهم : مخرمة بن نوفل ، وعمرو بن العاص[1] . وقال ابن عقبة وابن عائذ في أصحاب أبي سفيان : هم سبعون رجلاً ، وكانت عيرهم ألف بعير ، ولم يكن لحويطب بن عبد العزى فيها شيء فلذلك لم يخرج معهم .

وقال ابن سعد : هي العير التي خرج لها حتى بلغ ذا العُشَيرة ، تحيَّنَ قفولها من الشام ، فبعثَ طلحةَ بن عبيد الله التيمي وسعيدَ بن زيد بن عمرو بن نفيل يَتجسَّسان خبرَ العير[2] . قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن مسلم الزهري ، وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ، ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، وغيرُهم من علمائنا ، عن ابن عباس ، كلٌّ قد حدثني بعض الحديث ، فاجتمع حديثُهم فيما سقت من حديث بدر ، قالوا : لما سمع رسولُ الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشام ، ندبَ المسلمين إليهم وقال : هذه عير قريش ، فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها ، لعل الله ينفلكموها ، فانتدب النَّاسُ ، فخفَّ بعضُهم ، وثقُل بعضُهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسولَ الله ﷺ يلقى حرباً . وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس الأخبارَ ويسأل من لقي من الركبان ، تخوفاً من أمر الناس ، حتى أصابَ خبراً من بعض الركبان أن محمداً قد استنفرَ أصحابَه لك ولعيرك ، فحذر عند ذلك ، فاستأجرَ ضمضمَ بن عمرو الغِفاري ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه ، فخرج ضمضمُ بن عمرو سريعاً إلى مكة[3] .

= وإن منبري على ترعة من ترع الجنة » .

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٠٦/١ .

(٢) الطبقات الكبرى ، لابن سعد ١١/٢ .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٠٦/١ .

قال ابن سعد : فخرجَ المشركون من أهل مكة سِراعاً ، ومعهم القِيَان والدفوف ، وأقبل أبو سفيان بن حرب بالعير ، وقد خافوا خوفاً شديداً حين دنوا من المدينة ، واستبطؤوا ضمضماً والنفيرَ ، حتى وردوا بدراً ، وهو خائف ، فقال لمجديّ بن عمرو : هل أحسستَ أحداً من عيون محمد[1] .

قال ابن إسحاق : فأخبرني من لا أتهم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، قالا : وقد رأت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا أفزعتها ، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب ، فقالت له : يا أخي ، والله لقد رأيت الليلة رؤيا ، لقد أفظعتني ، وتخوّفتُ أن يدخلَ على قومك منها شرٌّ ومصيبة ، فاكتم عني ما أحدثك . فقال لها : وما رأيتِ ؟ قالت : رأيت راكباً أقبلَ على بعير له حتى وقفَ بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته ألا انفروا يا آل غُدر[2] لمصارعكم في ثلاث ، فأرى الناسَ اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجدَ والناس يتبعونه ، فبينما هم حولَه مَثَلَ[3] به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها ألا انفروا يا آل غُدَر لمصارعكم في ثلاث ، ثم مَثَلَ به بعيره على رأس أبي قُبيس ، فصرخ بمثلها ، ثم أخذَ صخرةً[4] فأرسلها ، فأقبلت تهوي حتى إذا كانت بأسفل الجبل ، ارفضّتْ[5] ، فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها منه فِلْقَةٌ . قال العباس : والله إن هذا لرؤيا ، وأنتِ فاكتميها ولا تذكريها . ثم خرجَ العباس فلقي الوليدَ بن عتبة بن ربيعة ، وكان صديقاً له ، فذكرها له ، واستكتمه إياها ، فذكرها الوليدُ لأبيه عتبة ، ففشا الحديثُ حتى تحدثت به قريش ، قال العباس : فغدوتُ لأطوفَ بالبيت ، وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة ، فلما رآني أبو جهل ، قال : يا أبا الفضل : إذا فرغتَ من طوافك فأقبل إلينا ، فلما فرغتُ أقبلت حتى جلست معهم ، فقال لي أبو جهل : يا بني عبد المطلب ! متى حَدَثَتْ فيكم

---

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/١٣ .

(٢) « يا آل غُدَر » : غدر ، معدول عن غادر للمبالغة ، وأكثر ما يستعمل هذا في النداء بالشتم . ويقال للذكر : غُدَر ، وللأنثى : غُدَار ، وفي الجمع يا آل غُدَر .

(٣) « مَثَلَ به بعيرُه » : قامَ .

(٤) في الأصول : « ثم أخذ صخرة من الجبل فأرسلَها » .

(٥) « ارْفَضَّتْ » : تفتّت وتفرقت .

هذه النَّبيَّةُ ؟ قال : قلت : وما ذاك ؟ قال : ذاك[1] الرؤيا التي رأت عاتكة . قال فقلت : وما رأت ؟ قال : يا بني عبد المطلب ! أما رضيتم أن تتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ؟! قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاث ، فستربص بكم هذه الثلاث ، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون ، وإن تَمْضِ الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتبُ عليكم كتاباً أنكم أكذبُ أهل بيت في العرب ، قال العباس : فوالله ما كان مني إليه كبير ، إلا أني جحدت ذلك ، وأنكرت أن تكون رأت شيئاً[2] .

وعند ابن عقبة في هذا الخبر ؛ أن العبَّاسَ قال لأبي جهل : هل أنت منته ؟ فإن الكذبَ فيك وفي أهل بيتك . فقال من حضرهما : ما كنتَ يا أبا الفضل جَهولاً ولا خَرِقاً . وكذلك قال ابن عائذ ، وزاد فقال له العباس : مهلاً يا مُصَفِّرَ استه ، ولقي العباس من عاتكة أذى شديداً حين أفشى من حديثها .

رجعٌ إلى خبر ابن إسحاق : قال : ثم تفرقنا ، فلما أمسيتُ لم تبق امرأةٌ من بني عبد المطلب إلا أتتني ، فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ؟ ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ؟ ثم لم تكن عندك غِيَرٌ[3] لشيء مما سمعت ؟ قال : فقلت قد والله فعلتُ ، ما كان مني إليه من كبير ، وايم الله لأتعرضنَّ له ، فإن عاد لأكفينَكُنَّه قال : فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مُغضَب ، أرى أني قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه . قال : فدخلت المسجد فرأيته ، فوالله إني لأمشي نحوَه أتعرَّضه ليعودَ لبعض ما قال ، فأُوقع به ، وكان رجلاً خفيفاً ، حديدَ الوجه ، حديدَ اللسان ، حديدَ النظر . قال : إذ خرج نحو باب المسجد يشتدُّ . قال : قلت في نفسي : ماله لعنه الله ، أكلُّ هذا فَرَقٌ مني أن أشاتمه ؟ قال : فإذا هو قد سمع ما لم أسمع صوتَ ضمضم بن عمرو الغِفاري وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره ، قد جَدَّع بعيرَه ، وحوَّلَ رحلَه ، وشقَّ قميصَه ، وهو يقول : يا معشر قريش ، اللطيمةَ اللطيمةَ ، أموالُكم مع أبي سفيان قد عَرَض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تدْركوها ، الغَوْثَ الغَوْثَ . قال : فشغلني عنه وشغله عني ما

(١) كذا في الأصول ، وفي السيرة النبوية ؛ لابن هشام « تلك الرؤيا » .
(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٦٠٧ ـ ٦٠٩ .
(٣) « غِيَرٌ » : تغيير وإنكار .

جاء من الأمر ، فتجهَّز الناسُ سِراعاً ، وقالوا : أيظنُّ محمد وأصحابه أن تكونَ كعير ابن الحضرمي ، كلا والله ليعلمنَّ غير ذلك ، فكانوا بين رجلين ؛ إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً ، وأوعبت قريش ، فلم يتخلف من أشرافها أحدٌ ، إلا أن أبا لهب ابنَ عبد المطلب قد تخلَّف وبعثَ مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة ، وكان قد لاط[1] له بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ، أفلس بها فاستأجره بها على أن يجزي عنه بعثُه ، فخرج عنه وتخلّف أبو لهب[2] .

قال ابن عقبة وابن عائذ : خرجوا في خمسين وتسعمائة مقاتل ، وساقوا مائة فرس .

وروينا عن ابن سعد : أخبرنا عبيد الله بن موسى ، عن شيبان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة بن عبد الله ، عن أبيه ، قال : لما أسرنا القومَ في بدر ، قلنا : كم كنتم ؟ قالوا : كنا ألفاً[3] .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نَجيح ؛ أن أمية بن خلف كان أجمع القعودَ ، وكان شيخاً جليلاً جسيماً ثقيلاً ، فأتاه عقبةُ بن أبي مُعيط وهو جالس في المسجد بين ظهراني قومه بمجمرة يحملها ، فيها نار ومَجمر[4] ، حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا عليّ ! استجمرْ ، فإنما أنت من النساء . قال : قبحك الله وقبَّح ما جئت به . قال : ثم تجهز فخرج مع الناس[5] .

قيل : وكان سببُ تَثَبُّطِه ، ما ذكرَه البخاري في الصحيح ، من حديثه مع سعد بن معاذ وأبي جهل بمكة ، وقول سعد له : إني سمعت رسولَ الله ﷺ يقول : « إنه قاتلك »[6] .

قلت : المشهور عند أرباب السير أن النبيَّ ﷺ إنما قال ذلك لأخيه أبيِّ بن خلف

(١) « لاطَ له » : لزمتْ له عليه رباً ، والتصقت به ، فاحتبسه بها .
(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٠٩/١ .
(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢١/٢ .
(٤) « ومَجْمَرٌ » : عود يُتبخر به .
(٥) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦١٠/١ .
(٦) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب ذكر النبي ﷺ مَنْ يُقتل ببدر) رقم /٣٩٥٠/ .

بمكة قبل الهجرة ، وهو الذي قتله النبيُّ ﷺ بعد ذلك يوم أحد بحربته ، وهذا أيضاً لا يُنافي خبرَ سعد ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق : ولما فرغوا من جهازهم وأجمعوا السير ، ذكروا ما بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب ، فقالوا : إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا ، فتبدَّى لهم إبليسُ في صورة سراقة بن مالك بن جُعْشُم الكِنَاني المُدْلِجي ، وكان من أشراف بني كِنانة ، فقال : أنا جارٌ لكم من أن تأتيكم كِنانةُ من خلفكم بشيء تكرهونه ، فخرجوا سِراعاً[1] .

وذكر ابنُ عقبة وابنُ عائذ في هذا الخبر : وأقبلَ المشركون ومعهم إبليس ـ لعنه الله ـ في صورة سراقة يُحَدِّثهم أن بني كِنانة وراءَه ، قد أقبلوا لنَصْرِهم ، وأنه لا غالبَ لكم اليوم من الناس وإني جارٌ لكم .

قال ابن إسحاق : وعميرُ بن وَهْب أو الحارث بن هشام كان الذي رآه حين نَكَصَ على عقبيه عند نزول الملائكة ، وقال إني أرى ما لا ترون ، فلم يزل حتى أوردهم ثم أسلمهم ، ففي ذلك يقول حسان :

سرنا وساروا إلى بدرٍ لِحَيْنِهِمُ ... لو يعلمونَ يقينَ العلم ما ساروا
دلَّاهُمُ بغرورٍ ثم أسلَمَهمْ ... إنّ الخبيثَ لمن وَالاهُ غَرَّارُ

في أبيات ذكرها[2] .

قال ابن إسحاق : وخرجَ رسول الله ﷺ من المدينة في ليال مضت من شهر رمضان في أصحابه ، قال ابن هشام : لثمانِ ليالٍ خلون منه[3] .

وقال ابن سعد : يوم السبت[4] لاثنتي عشرة ليلة خلت منه ، بعد ما وجَّه طلحةَ بن عبيد الله وسعيدَ بن زيد بعشر ليال ، وضربَ رسولُ الله ﷺ عسكرَه ببئر أبي عِنَبَة ،

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦١٢/١ .
(٢) المصدر السابق ٦١٣/١ .
(٣) المصدر السابق ٦١٢/١ .
(٤) في الأصول « الاثنين » والتصحيح من الطبقات الكبرى .

وهي على ميل من المدينة ، فعرَضَ أصحابه ، وردَّ من استصغرَ ، وخرج في ثلاثمائة رجل وخمسة نفر ، كان المهاجرون منهم أربعة وسبعين[1] رجلاً ، وسائرهم من الأنصار ، وثمانية تخلفوا لعذر ، ضربَ لهم رسولُ الله ﷺ بسهامهم وأجورهم : ثلاثة من المهاجرين ؛ عثمان بن عفان ، خَلَّفه رسولُ الله ﷺ على ابنته رقية بنت رسول الله ﷺ ، وكانت مريضة ، فأقام عليها حتى ماتت . وطلحةُ ، وسعيد بن زيد ، بعثهما يَتَجسَّسان خبرَ العير . وخمسة من الأنصار : أبو لبابة بن عبد المنذر ، خلَّفه على المدينة ، وعاصم بن عدي العجلاني ، خلَّفه على أهل العالية ، والحارث بن حاطب العَمْري ردَّه من الروحاء إلى بني عمرو بن عوف لشيء بلغه عنهم ، والحارث بن الصِّمة كُسر من الروحاء ، وخَوَّات بن جُبير كُسر أيضاً[2] .

قال ابن إسحاق : ودفعَ اللواءَ إلى مصعب بن عُمير ــ وكان أبيضَ ــ وكان أمامَ رسول الله ﷺ رايتان سوداوان ، إحداهما مع عليّ بن أبي طالب والأخرى مع بعض الأنصار[3] .

وقال ابن سعد : كان لواء المهاجرين مع مصعب بن عمير ، ولواءُ الخزرج مع الحُباب ابن المنذر ، ولواءُ الأوس مع سعد بن معاذ .

كذا قال[4] ، والمعروف أن سعدَ بن معاذ كان يومئذ على حرس رسول الله ﷺ في العريش ، وأن لواءَ المهاجرينَ كان بيد عليّ[5] . قرىءَ على أبي حفص عمر بن عبد المنعم ابن عمر بن عبد الله بن غدير بعربيل ــ قرية بغوطة دمشق ــ وأنا أسمع ، أخبركم أبو القاسم عبدُ الصمد بن محمد بن أبي الفضل بن الحرستاني قراءة عليه وأنت حاضر في الرابعة ؟ فأقرَّ به ، أخبرنا أبو الحسن علي بن المسلم بن محمد السلمي سماعاً ، أخبرنا أبو عبد الله

(١) في الأصول « ومتين » والتصحيح من الطبقات الكبرى .
(٢) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/١١ ــ ١٢ .
(٣) السيرة النبوية ، لابن هشام ١/٦١٢ .
(٤) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/١٤ .
(٥) قال الصالحي في السيرة الشامية « سبل الهدى والرشاد ... » بعد إيراده اعتراض ابن سيد الناس ٤/٣٩ : قلت : العريش كان ببدر ، والذي ذكر ابن سعد كان في الطريق .

الحسن بن أحمد بن أبي الحديد ، أخبرنا أبو الحسن علي بن موسى بن الحسين السِّمْسار ، أخبرنا أبو القاسم المظفر بن حاجب بن مالك بن أرَّكِين الفَرْغاني ، أخبرنا أبو الحسن محمد ابن يزيد بن عبد الصمد الدمشقي ، حدثنا أحمد ـ يعني ابن أبي أحمد ـ الجرجاني ، حدثنا شبَّابة بن سوار الفِزاري ، حدثنا قيس بن الربيع ، عن الحجَّاج بن أرطاة ، عن الحكم ، عن مِقسم ، عن ابن عباس ؛ أن النبيَّ ﷺ أعطى علياً الراية يومَ بدر ، وهو ابن عشرين سنة[1] .

قال ابن إسحاق : وكانت إبل أصحابِ رسول الله ﷺ يومئذ سبعين بعيراً ، فاعتقبوها ، فكان رسول الله ﷺ وعليّ بن أبي طالب ومَرثد بن أبي مَرثد يعتقبون بعيراً ، وكان حمزة وزيدُ بن حارثة وأبو كبشة وأَنَسة موليا رسول الله ﷺ يعتقبون بعيراً ، وكان أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف يعتقبون بعيراً[2] .

وروينا عن ابن سعد : أخبرنا يونس بن محمد المؤدِّب ، حدثنا حمّاد بن سَلَمة ، عن عاصم ، عن زِرّ ، عن ابن مسعود ، قال : كنا يوم بدر كلُّ ثلاثة على بعير ، وكان أبو لبابة وعليّ زَمِيلَي رسولِ الله ﷺ ، فكان إذا كانت عُقبة النبي ﷺ قالا : اركبْ حتى نمشي عنك ، فيقول : « ما أنتما بأقوى مني على المشي ، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما »[3] .

انتهى ما رويناه عن ابن سعد ، والمعروف أن أبا لبابة رجع من بئر أبي عِنَبَة ولم يصحبهم إلى بدر ، ردَّه رسولُ الله ﷺ والياً على المدينة ، وقد تقدم .

قال ابن إسحاق : وجعلَ على السَّاقة قيسَ بن أبي صعصعة ، أحدَ بني مازن بن النجار ،

---

(١) حديث ابن عباس ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩٣/٦ وقال : رواه الطبراني وفيه الحجاج بن أرطاة ، وهو مدلس ، وبقية رجاله ثقات .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦١٣/١ .

(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢١/٢ ، ورواه الإمام أحمد في المسند ٤١١/١ : حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، حدثنا عفَّان ، حدثنا حماد ... كما رواه الحاكم في المستدرك ٢٠/٣ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦٩/٦ عن عبد الله بن مسعود ، وقال رواه أحمد والبزار ، وفيه عاصم بن بهدلة ، وحديثه حسن ، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح .

فسلكَ طريقَه من المدينة حتى إذا كان بعِرق الظَّبية لقوا رجلاً من الأعراب ، فسألوه عن الناس فلم يجدوا عنده خبراً ، ثم ارتحلَ حتى أتى على واد يُقال له ذَفِرَان ، وجَزَعَ[1] فيه ثم نزلَ ، فأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم ، فاستشارَ النَّاسَ ، وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر الصديق ، فقال وأحسنَ ، ثم قام عمرُ بن الخطاب فقال وأحسنَ ، ثم قام المِقدادُ بن عمرو ، فقال : يا رسول الله ! امضِ لما أمركَ الله ، فنحن معك ، والله لا نقولُ لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهبْ أنتَ وربُّك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهبْ أنتَ وربُّك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثَك بالحقِّ لو سِرتَ بنا إلى بَرْكِ الغِمَاد[2] لجالدنا معك من دونه حتى تبلُغَه . فقال له رسولُ الله ﷺ خيراً ، ودعا له بخير[3] .

ثم قال رسولُ الله ﷺ : أشيروا عليَّ(أيها الناس[4]). فذكر ابنُ عقبة وابنُ عائذ أن عمرَ قال : يا رسول الله ! إنها قريش وعزُّها ، والله ما ذلَّت منذ عزَّتْ ، ولا آمنتْ منذ كفرتْ ، والله لتقاتلنَّك ، فأَهِّبْ[5] لذلك أُهبته ، وأعدد لذلك عدته .

رجع إلى خبر ابن إسحاق : قال : وإنما يريد الأنصار[6] ، وذلك أنهم عدد الناس ، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلنا إليها فأنت في ذمتنا ، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا . فكان رسولُ الله ﷺ يتخوَّفُ أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دَهِمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم ، فلما قال ذلك رسولُ الله ﷺ قال : له سعد

---

(١) « وجزعَ فيه » : توسط فيه .

(٢) « برك الغماد » : مكان في اليمن ، وجاء مفسراً في رواية ابن عائذ ، عن عروة مرسلاً : ولو سِرْتَ بنا حتى تبلغَ البركَ من غمد ذي يمن . وقيل : هو موضع من وراء مكة بخمس ليال بناحية الساحل ، وقال القاضي عياض وغيره : هو موضع بأقاصي هجر .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام بتصرف واختصار ٦٠٣/١ - ٦١٥ .

(٤) ما بين القوسين أثبتناه من السيرة النبوية .

(٥) في الأصول « فاتَّهِبْ » وفي شرح المواهب ٤١٢/٢ « فتأَهَّبْ » ، والتصحيح من السيرة الشامية ٤٢/٤ .

(٦) أي في قوله ﷺ : أشيروا عليَّ أيها الناس .

ابن معاذ : لعلك تريدُنا يا رسول الله ؟ فقال : أجل . قال : فقد آمنا بك وصدَّقناك ، وشهدنا أن ما جئتَ به هو الحقُّ ، وأعطيناك على ذلك عهودَنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامضِ يا رسولَ الله لما أردتَ ، فنحن معك ، والذي بعثَكَ بالحقِّ لو استعرضتَ بنا هذا البحر فخضتَه لخضناه معكَ ، ما تخلَّفَ منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدوناً غداً ، إنا لصبرٌ في الحرب ، صدقٌ في اللقاء ، لعلَّ الله يُريكَ منا ما تقرُّ به عينُك ، فسِرْ بنا على بركة الله تعالى[1] .

وقد روينا من طريق[2] مسلم أن الذي قال ذلك سعد بن عبادة سيد الخزرج ، وإنما يُعرف ذلك عن سعد بن معاذ . كذلك رواه ابن إسحاق وابن عقبة وابن سعد وابن عائذ وغيرهم .

واختلف في شهود سعد بن عبادة بدراً ، لم يذكره ابن عقبة ولا ابن إسحاق في البدريين ، وذكره الواقدي والمدائني وابن الكلبي فيهم . وروينا عن ابن سعد : أنه كان يتهيأ للخروج إلى بدر ، ويأتي دورَ الأنصار يحضُّهم على الخروج ، فنُهش[3] قبل أن يخرج ، فأقام ، فقال رسول الله ﷺ : لئن كان سعد لم يشهدْها لقد كان عليها حريصاً[4] . قال : وروى بعضُهم أن رسول الله ﷺ ضرب له بسهمه وأجره وليس ذلك بمجمع عليه ، ولا ثبتَ ، ولم يذكرْه أحد ممن يروي المغازي في تسمية من شهد بدراً ، ولكنه قد شهد أحداً والخندق والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ .

رجع إلى الأول[5] : قال فسُرَّ النبي ﷺ بقول سعد ، ونشَّطه ذلك ، ثم قال : سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني الآنَ أنظرُ إلى مصارع القوم . ثم ارتحلَ رسولُ الله ﷺ من ذَفِران ، ثم نزلَ قريباً من بدر ، فركبَ هو ورجل من أصحابه ـ قال ابن هشام : هو أبو بكر الصديق ـ قال ابن إسحاق : كما حدثني محمد

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٤٨/١ .
(٢) رواه مسلم في كتاب الجهاد والسير (باب غزوة بدر) رقم /١٧٧٩/ .
(٣) « فنُهِشَ » : لُسِعَ .
(٤) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٦١٣/٣ .
(٥) أي إلى ابن إسحاق .

ابن يحيى بن حَبَّان : حتى وقف على شيخ من العرب ، فسأله عن قريش ، وعن محمد وأصحابه ، وما بلغه عنهم ، فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما . فقال له رسول الله ﷺ : إذا أخبرتنا أخبرناك . فقال الشيخ : ذاك بذاك ؟ قال : نعم . قال الشيخ : فإنه قد بلغني أن محمداً وأصحابَه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذي به رسولُ الله ﷺ ، وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذي أخبرني صدقَ فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذي به قريش . فلما فرغَ من خبره ، قال : ممن أنتما ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : نحن من ماء . ثم انصرف عنه ، قال : يقول الشيخ:ماء ؟ مَنْ ماء ؟ أمن ماءٍ بالعراق[1] ؟ ثم رجع رسولُ الله ﷺ إلى أصحابه ، فلما أمسى بعثَ عليَّ بن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وسعد ابن أبي وقاص ، في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون الخبر له عليه ، فأصابوا راويةً[2] لقريش ، فيها أسلمُ غلامُ بني الحجاج ، وعَريضٌ أبو يسار غلامُ بني العاص بن سعيد ، فأتوا بهما فسألوهما ، ورسولُ الله ﷺ قائم يُصلّي ، فقالا : نحنُ سقاة قريش ، بعثونا نسقيهم من الماء . فكره القومُ خبرَهما ، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان ، فضربوهما ، فلما أذلقوهما[3] ، قالا : نحن لأبي سفيان . فتركوهما ، وركعَ رسولُ الله ﷺ وسجد سجدتيه ثم سلَّم ، وقال : إذا صدقاكما ضربتموهما ، وإذا كذباكما تركتموهما ، صدقا ، والله إنهما لقريش . أخبراني عن قريش ؟ قالا : هم وراء هذا الكَثيب الذي ترى بالعُدوة القصوى ، والكثيب العقنقل[4] . فقال لهما رسول الله ﷺ : كم القوم ؟ قالا : كثير . قال : ما عدتهم ؟ قالا : ما ندري . قال : كم ينحرون كلَّ يوم ؟ قالا : يوماً تسعاً ويوماً عشراً . قال رسولُ الله ﷺ : القوم ما بين التسعمائة والألف . ثم قال لهما : فمَن فيهم من أشراف قريش ؟ قالا : عقبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو البَخْتري بن هشام ،

---

(١) كذا في « أ » وهو الصواب ، وفي بقية النسخ وسيرة ابن هشام ، والسيرة الشامية « ما من ماءٍ ؟! أمن ماء العراق ؟ » .

(٢) « راوية » : الراوية : الإبل التي يُستقى عليها الماء .

(٣) « أذلقوهما » : أجهدوهما ضرباً .

(٤) « العَقَنْقَل » : الكثيب العظيم ، المتداخل الرمل .

وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خويلد والحارث بن عامر بن نوفل ، وطعيمة بن عدي بن نوفل ، والنضر بن الحارث ، وزمعة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، ونُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحجّاج ، وسهيل بن عمرو ، وعمرو بن عبد وُدّ . فأقبلَ رسولُ الله ﷺ على الناس فقال : هذه مكة قد ألقتْ إليكم أفلاذَ كبدها[1] .

قال ابن عقبة : وزعموا أن أوّلَ من نحرَ لهم حين خرجوا من مكة أبو جهل بن هشام عشر جزائر[2] ، ثم نحرَ لهم صفوان بن أمية بعُسفان تسع جزائر ، ونحر لهم سهيل بن عمرو بقُديد عشر جزائر ، ومالوا من قُديد إلى مناة من نحو البحر ، فظَلُّوا فيها ، فأقاموا فيها يوماً فنحر لهم شيبة بن ربيعة تسع جزائر ، ثم أصبحوا بالجحفة فنحر لهم عتبة بن ربيعة عشرَ جزائر ، ثم أصبحوا بالأبواء فنحرَ لهم مِقْيَس بن عمرو الجمحي تسعَ جزائر ، ونحرَ لهم العباس بن عبد المطلب عشرَ جزائر ، ونحرَ لهم الحارث بن عامر بن نوفل تسعاً ، ونحرَ لهم أبو البَختريّ على ماء بدر عشر جزائرَ ، ونحرَ لهم مِقْيَس الجمحي على ماء بدر تسعاً ، ثم شغلتهم الحرب فأكلوا من أزوادهم .

وقال ابن عائذ : كان مسيرهم وإقامتهم حتى بلغوا الجحفة عشر ليال .

قال ابن إسحاق : وكان بَسْبَسُ بن عمرو وعديُّ بن أبي الزَّغْباء قد مضيا حتى نزلا بدراً ، فأناخا إلى تل قريب من الماء ، ثم أخذا شَنّاً[3] لهما يستقيان فيه ومجديُّ بن عمرو الجُهني على الماء ، فسمع عديُّ وبَسْبَس جاريتين من جواري الحاضر[4] ، وهما تَلازَمانِ على الماء ، والملزومة تقول لصاحبتها : إنما تأتي العير غداً أو بعد غد ، فأعمل لهم ثم أقضيك الذي لك . فقال مجدي : صدقت ، ثم خلَّص بينهما ، وسمع ذلك عدي وبَسْبَس ، فجلسا

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦١٥/١ — ٦١٧ .

(٢) « جزائر » : جمع جَزور ، وهي فَعول بمعنى مفعول ، وهو كل ما يُجزر — يُنحر ويُذبح — من الإبل ، ذكراً كان أو أنثى .

(٣) « شَنّاً » : القِرْبة البالية من الجِلْد .

(٤) « الحاضر » : القوم النازلون على الماء ، والتلازم : تعلّق الغريم بغريمه ، والملزومة : التي عليها الدَّيْن لصاحبتها .

على بعيريهما ، ثم انطلقا ، حتى أتيا رسولَ الله ﷺ ، فأخبراه بما سمعا .

ثم أقبل أبو سفيان حتى تقدَّمَ العيرَ حذراً ، حتى ورد الماء ، فقال لمجديّ بن عمرو : هل أحسستَ أحداً ؟ قال : ما رأيت أحداً أنكره ، إلا أني قد رأيتُ راكبين ، قد أناخا إلى هذا التل ، ثم استقيا في شَنٍّ لهما ، ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مُناخهما ، فأخذ من أبعار بعيريْهما ، ففتَّه ثم شمَّه ، فإذا فيه النوى ، فقال : هذه والله علائفُ يثرب ، فرجع إلى أصحابه سريعاً ، فضرب وجهَ عيره عن الطريق ، فساحل بها ، وترك بدراً بيسارٍ ، وانطلق حتى أسرع . وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الجحفة ، رأى جُهيم بن أبي الصَّلْت بن مَخرمة بن عبد المطلب بن عبد مناف رؤيا ، فقال : إني فيما يرى النائم ، وإني لبين النائم واليقظان ، إذ نظرتُ إلى رجل أقبل على فرس ، حتى وقف ومعه بعير له ، ثم قال : قُتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمية بن خلف ، وفلان وفلان ـ فعدَّدَ رجالاً ممن قتل يوم بدر من أشراف قريش ـ ثم رأيته ضربَ في لَبَّةِ بعيره ، ثم أرسله في العسكر ، فما بقي خِبَاء من أخبية العسكر إلا أصابَه نَضْحٌ[1] من دمه . قال : فبلغت أبا جهل ، فقال : وهذا أيضاً نبيٌّ آخر من بني المطلب ، سيعلم غداً مَن المقتول إن نحن التقينا .

قال ابن إسحاق : ولما رأى أبو سفيان بن حرب أنه قد أحرز عيرَه ؛ أرسل إلى قريش إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيرَكم ورجالَكم وأموالَكم ، وقد نجَّاها الله ، فارجعوا . فقال أبو جهل بن هشام : والله لا نرجع حتى نردَ بدراً ـ وكان بدر موسماً من مواسم العرب تجتمع لهم به سوق كلَّ عام ـ فنقيم عليه ثلاثاً ، فننحَرُ الجُزُرَ ، ونُطعم الطعام ، ونُسقي الخمر ، وتعزفُ علينا القيانُ ، وتسمع بنا العرب ، وبمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها . وقال الأخنسُ بن شَرِيق ـ وكان حليفاً لبني زهرة ـ يا بني زهرة ! قد نجَّى الله أموالَكم وخلَّص لكم صاحبَكم : مَخرمة بن نوفل ، وإنما نفرتم لتمنعوه ومالَه ، فاجعلوا لي جُبْنَها وارجعوا ، فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير ضَيْعةٍ[2] ، لا ما يقول

---

(١) « نَضْحٌ » : رشاش .

(٢) « ضيعة » : مُفتقد .

هذا ، فرجعوا فلم يشهدها زُهْري ولا عَدَويٌّ أيضاً . ومضى القوم ، وكان بين طالب ابن أبي طالب – وكان في القوم – وبينَ بعض قريش محاورةٌ ، فقالوا : والله لقد علمنا يا بني هاشم وإن خرجتم معنا إن هواكم لمع محمد . فرجع طالبٌ إلى مكة مع من رجع ، ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي خلف العقنقل وبطن الوادي ، وبعثَ الله السماء ، وكان الوادي دَهَساً[1] ، فأصابَ رسولَ الله ﷺ وأصحابُه منها ما لبَّدَ لهم الأرضَ ولم يمنعهم من المسير ، وأصاب قريشاً منها ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه ، فخرج رسولُ الله ﷺ يبادرُهم إلى الماء ، حتى جاء أدنى ماء من بدر فنزل به .

قال ابن إسحاق : فحُدِّثتُ عن رجال من بني سلمة أنهم ذكروا أن الحُبابَ بن المنذر ابن الجَموح قال : يا رسول الله ! أرأيتَ هذا المنزل ، أمنزلٌ أنزلكَه الله ليس لنا أن نتقدمَه ولا أن نتأخرَ عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة . قال : يا رسول الله ! إن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ، ثم نُغوِّرُ ما وراءَه من القُلُب[2] ، ثم نبني عليه حوضاً فنملأه ماء ، فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله ﷺ : لقد أشرتَ بالرأي ، فنهضَ رسول الله ﷺ ومن معه من الناس ، فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم فنزل عليه ، ثم أمر بالقُلُب فغوِّرت ، وبنى حوضاً على القَليب الذي نزل عليه ، فمُلِئَ ماءً ، ثم قذفوا فيه الآنية[3] .

وروينا عن ابن سعد في هذا الخبر : فنزلَ جبريل عليه السلام على النبي ﷺ ، فقال : الرأي ما أشار به الحُباب[4] .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حُدِّثَ أن سعدَ بن معاذ ، قال : يا نبيَّ الله ! ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ، ونُعِدُّ عندك ركائبَك ، ثم نلقى عدوَّنا ، فإن أعزَّنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلستَ على ركائبك

---

(١) « دَهَساً » : سهلاً .

(٢) « نُغوِّر ما وراءَه من القُلُب » : القُلُب : جمع قليب ، وهو البئر . وتغويرها : دفنها وطمسها ، ويروى بالعين المهملة ، وهو الإفساد .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٦١٧ – ٦٢٠ .

(٤) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١٥/٢ .

فلحِقْتَ بمن وراءَنا ، فقد تخلَّفَ عنك أقوامٌ يا نبيَّ الله ما نحنُ بأشدَّ لك حباً منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلَّفوا عنك ، يمنَعُك الله بهم ، يُناصحونك ويُجاهدون معك ، فأثنى عليه رسولُ الله ﷺ خيراً ودعا له بخير ، ثم بُني لرسول الله ﷺ عريشٌ ، فكان فيه .

قال ابن إسحاق : وقد ارتحلتْ قريش حين أصبحت ، فأقبلت ، فلما رآها رسولُ الله ﷺ تُصوِّبُ من العقنقل ـ وهو الكثيب الذي جاؤوا منه ـ إلى الوادي ، قال : اللهم هذه قريش قد أقبلتْ بخُيلائها وفخرها تُحادُّك وتُكذِّبُ رسولَك ، اللهم فنصرَك الذي وعدتني ، اللهم أحِنْهُم[1] الغداةَ .

وقد قال رسولُ الله ﷺ ـ ورأى عتبة بن ربيعة في القوم على جمل له أحمر ـ إن يكُ في أحد من القوم خيرٌ فعند صاحب الجمل الأحمر ، إن يُطيعوه يَرشدوا[2] .

وقد كان خُفاف بن إيماء بن رَحَضَة ـ أو أبوه إيماء بن رَحَضَة الغِفاري ـ بعث إلى قريش حين مروا به ابناً له بجزائرَ أهداها لهم ، وقال : إن أحببتم أن نمدَّكم بسلاح ورجال فعلنا ، قال : فأرسلوا إليه مع ابنه : أنْ وَصَلَتْكَ رَحِم ، قد قضيتَ الذي عليك ، فلعمري لئن كنا إنما نقاتل الناسَ ما بنا من ضعف عنهم ، ولئن كنا إنما نُقاتلُ الله كما يزعمُ محمد ما لأحد بالله من طاقة .

فلما نزلَ الناسُ أقبل نفرٌ من قريش حتى وردوا حوضَ رسول الله ﷺ ، منهم حكيم بن حزام ، فقال رسول الله ﷺ : دعوهم . فما شربَ منه رجل يومئذ إلا قُتل ، إلا ما كان من حكيم بن حزام فإنه لم يُقتل ، ثم أسلم بعد ذلك فحسُن إسلامه ، فكان إذا اجتهد في يمينه ، قال : لا والذي نَّجاني من يوم بدر .

قال : وحدثني أبي رحمه الله إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم ، عن أشياخ من الأنصار ، قالوا : لما اطمأن القوم بعثوا عمير بن وهب الجمحي ، فقالوا : احزرْ[3] لنا

---

(١) « أَحِنْهُم » : أهلكهم ، من الحَيْن وهو الهلاك .

(٢) وقد كان عُتبةُ ينهى قومه عن القتال ، كما في السيرة الشامية ٥٠/٤ ويقول : يا قوم ! اعصبوها برأسي وقولوا : جَبُن عُتْبة . وأبو جهل يأبى .

(٣) « احزُرْ » : أمر من الحزر ، وهو التقدير بالحدس والظن .

أصحابَ محمد ، فاستجال بفرسه حول العسكر ، ثم رجع إليهم ، فقال : ثلاثمائة رجل يزيدون قليلاً أو ينقصون ، ولكن أمهلوني حتى أنظر أللقوم كمين أو مدد ؟ قال : فضرب في الوادي حتى أبعدَ فلم يرَ شيئاً ، فرجع إليهم فقال ما رأيتُ شيئاً ، ولكني قد رأيتُ يا معشر قريش البلايا[1] تحملُ المنايا ، نواضحُ يثرب تحمل الموتَ الناقع ، قومٌ ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، والله ما أرى أن يُقتلَ رجل منهم حتى يُقتلَ رجلٌ منكم ، فإذا أصابوا منكم أعدادهم ، فما خير العيش بعد ذلك ، فرُوا رأيكم . فلما سمع حكيمُ ابن حِزام ذلك مشى في الناس ، فأتى عتبةَ بن ربيعة ، فقال : يا أبا الوليد إنك كبيرُ قريش وسيّدُها والمطاعُ فيها ، هل لك إلى أن لا تزال تذكر منها بخير إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاكَ يا حكيم ؟ قال : ترجعُ بالناس ، وتحملُ أمرَ حليفك عمرو بن الحضرمي . قال : قد فعلت ، أنتَ علي بذلك ، إنما هو حليفي فعلي عَقْلُه وما أُصيب من ماله ، فائت ابن الحنظلية[2] ــ يعني أبا جهل بن هشام ــ ثم قام عتبة خطيباً ، فقال : يا معشر قريش ! إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً ﷺ وأصحابَه شيئاً ، والله لئن أصبتموه لا يزالُ رجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه وابن خاله ورجلاً من عشيرته ، فارجعوا وخلُّوا بين محمد وبين سائر العرب ، فإن أصابوه فذاك الذي أردتُم ، وإن كان غير ذلك ألفاكم و لم تَعرَّضوا منه ما تُريدون . قال حكيم : فانطلقتُ حتى جئتُ أبا جهل ، فوجدتُه قد نَثَل[3] درعاً له من جرابها ، فقلت له : يا أبا الحكم ! إن عتبة أرسلني إليك بكذا وكذا ، للذي قال . فقال انتفخَ والله سَحْرُه[5] حين رأى محمداً وأصحابَه ، كلا والله لا نرجعُ حتى يحكمَ الله بيننا وبين محمد ، وما بعتبةَ ما قال ، ولكنه قد رأى أن محمداً وأصحابَه أكلةُ جزور ، وفيهم ابنه ، قد تخوَّفَ عليه ، ثم بعث إلى عامر الحضرمي ، فقال

---

(١) « البلايا » : جمع بلية ، وهي الناقة ، أو الدابة تربط على قبر الميت ، فلا تُعلف ولا تُسقى حتى تموت ، كما في النهاية ؛ لابن الأثير ١٥٦/١ .

(٢) قال ابن هشام : الحنظلية أم أبي جهل ، وهي أسماء بنت مُخرِّبة ، أحد بني نَهْشل بن دارم بن مالك ابن حَنْظلة من تميم .

(٣) « نَثَل » : أخرج .

(٤) « انتفخَ والله سَحْره » : السَّحْر : الرئة ، وما حولها ، مما يَعْلَقُ بالحلقوم من فوق السُّرة ، والعبارة كناية عن الجبن .

هذا حليفُك يُريد أن ترجعَ بالناس ، وقد رأيتَ ثأرَك بعينيك ، فقم فانشدْ خُفْرَتَك[١] ومقتلَ أخيك . فقام عامرُ بن الحضرمي فاكتشفَ ، ثم صرخَ واعمراه واعمراه ، فحميت الحرب ، وحَقِبَ[٢] أمرُ الناس واستوسقوا[٣] على ما هم عليه من الشر ، وأُفسدَ على الناس الرأيُّ الذي دعاهم إليه عُتبة .

فلما بلغ عُتبة قول أبي جهل : انتفخ والله سَحْره ، قال : سيعلم مُصَفِّرُ استِه[٤] من انتفخ سَحْره ؟ أنا أم هو ؟ ثم التمس عتبة بيضة[٥] ليُدخلَها في رأسه ، فما وجد في الجيش بيضة تسعه من عظم هامته ، فلما رأى ذلك اعتجرَ على رأسه ببرد[٦] له .

وقال ابن عائذ : وقال رجال من المشركين لما رأوا قلة أصحاب رسول الله ﷺ : غرَّ هؤلاء دينُهم ، منهم أبو البَختري بن هشام ، وعُتبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام – وذكرَ غيرهم – لما تقالُّوا أصحابَ رسول الله ﷺ في أعينهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ﴾ [الأنفال : ٤٩] الآية . حتى نزلوا وتعبؤوا للقتال ، والشيطان معهم لا يفارقهم .

قال ابن إسحاق : وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي ، وكان رجلاً شرساً سيّءَ الخلق ، فقال : أعاهدُ الله لأشربنَّ من حوضهم ، أو لأهدمنَّه ، أو لأموتن دونه ، فلما خرج ، خرج إليه حمزةُ بن عبد المطلب ، فلما التقيا ضَربه حمزةُ فأطنَّ[٧] قدمه بنصف ساقه ، وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تشخبُ رجله دماً نحو أصحابه ، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه ، يريد أن تبر[٨] يمينُه ، واتبعه حمزة فضربه حتى قتله في

---

(١) « فانشدْ خُفْرَتكَ » : أي اطلب من قريش الوفاء بعهدهم لك .
(٢) « حَقِبَ أمر الناس » : اشتد .
(٣) « استوسقوا » : اجتمعوا .
(٤) « مُصَفِّرُ استِه » : يُريد صفرة الطيب ، والعبارة كناية عن الترفه وعدم الغزو والقعود عن الحروب .
(٥) « البَيْضة » : الخوذة . والاعتجار : لف العمامة ونحوها على الرأس .
(٦) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٦٢٠ – ٦٢٤ .
(٧) « أطنَّ » : أسرع قطعها فطارت .
(٨) في الأصول : « يريدُ (زعم) أنْ تبرَّ يمينُه » .

الحوض . ثم خرج بعده عتبةُ بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ، حتى إذا فصلَ من الصف دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه فتية من الأنصار ، وهم : عوف ، ومعوّذ ابنا الحارث – وأمُّهما عفراء – ورجل آخر يُقال هو عبد الله بن رواحة ، فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار . قالوا : ما لنا بكم من حاجة[1] .

وقال ابن عقبة وابن عائذ حين ذكروا خروج الأنصار ، قال : فاستحيا النبيّ ﷺ من ذلك ، لأنه كان أوّلَ قتال التقى فيه المسلمون والمشركون ، ورسول الله ﷺ شاهد معهم ، فأحبَّ النبيُّ ﷺ أن تكون الشوكة لبني عمه ، فناداهم النبي ﷺ أن ارجعوا إلى مصَافِّكم وليقم إليهم بنو عمهم .

رجع إلى ابن إسحاق : ثم نادى مناديهم : يا محمد أخرجْ إلينا أكفاءَنا من قومنا . فقال النبي ﷺ : قم يا عبيدة بن الحارث ، وقم يا حمزة ، وقم يا علي . فلما قاموا ودنوا منهم ، قالوا : من أنتم ؟ قال : عُبيدة : عبيدة . وقال حمزة : حمزة . وقال علي : عليٌّ . قالوا : نعم ، أكفاء كرام . فبارز عُبيدة – وكان أسنَّ القوم – عتبةَ بن ربيعة ، وبارز حمزةُ شيبةَ بن ربيعة ، وبارزَ عليٌّ الوليدَ بن عتبة . فأما حمزة فلم يُمهل شيبة أن قتله ، وأما عليٌّ فلم يُمهل الوليدَ أن قتله ، واختلف عُبيدةُ وعُتبة بينهما ضربتين ، كلاهما أثبتَ[2] صاحبَه ، وكرَّ حمزةُ وعليٌّ بأسيافهما على عُتبة فذففا[3] عليه ، واحتملا صاحبهما فحازاه[4] إلى أصحابه .

قال : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عتبة بن ربيعة قال للفتية من الأنصار حين انتسبوا : أكفاء كرام ، إنما نريدُ قومَنا . قال : ثم تزاحفَ الناسُ ، ودنا بعضُهم من بعض ، وقد أمرَ رسولُ الله ﷺ أصحابَه أن لا يحملوا حتى يأمرَهم ، وقال : إن اكتشفكم القومُ فانضحوهم عنكم بالنبل ، ورسول الله ﷺ في العريش معه أبو بكر الصديق .

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٢٤/١ .
(٢) « أثبت صاحبَه » : أصابَ منه مقتلاً .
(٣) « فَذَفَّفَا عليه » : أجهزا عليه وأتمَّا قتلَه .
(٤) « فحازاه » : ضمَّاه .

قال : وحدثني حَبَّان بن واسع بن حَبَّان ، عن أشياخ من قومه ، أن رسولَ الله ﷺ عدَّل صفوفَ أصحابه يوم بدر ، وفي يده قِدْح يُعدِّل به القوم ، فمرَّ بسواد بن غَزيّة حليف بني عدي بن النجار ، وهو مستنتلٌ[1] من الصف ، قال ابن هشام : فطعن في بطنه بالقِدْح ، وقال : استو يا سواد . فقال : يا رسول الله أوجعتني ، وقد بعثك الله بالحقّ والعدل ، فأقدني[2] . قال : فكشف رسولُ الله ﷺ عن بطنه ، وقال : استقدْ . فاعتنقه فقبَّلَ بطنه . فقال : ما حملَكَ على هذا يا سواد ؟ قال : يا رسول الله ! حضرَ ما ترى ، فأردتُ أن يكونَ آخرُ العهدِ بك أن يَمَسَّ جلدي جلدَك . فدعا له رسولُ الله ﷺ بخير وقاله له .

قال ابن إسحاق : ثم عدَّل رسولُ الله ﷺ الصفوفَ ورجع إلى العريش فدخله ومعه أبو بكر ليس معه فيه غيره ، ورسولُ الله ﷺ يُناشد ربَّه ما وعدَه من النصر ، ويقول فيما يقول : اللهم إن تهلك هذه العِصَابة اليوم لا تعبد . وأبو بكر يقول : يا رسول الله ! بعضَ مناشدتِكَ ربَّك ، فإن الله منجزٌ لك ما وعدك . وقد خفقَ[3] رسولُ الله ﷺ خفقةً وهو في العريش ، ثم انتبه ، فقال : أبشر يا أبا بكر ، أتاك نصرُ الله ، هذا جبريلُ آخذٌ بعِنان فرسه يقودُه ، على ثناياه النقع[4] — يريدُ الغبار — .

وقال ابن سعد في هذا الخبر : وجاءت ريح لم يروا مثلَها شدةً ، ثم ذهبت فجاءت ريح أخرى ، ثم ذهبت فجاءت ريح أخرى ، فكانت الأولى جبريل في ألف من الملائكة مع رسول الله ﷺ ، والثانية ميكائيل في ألف من الملائكة عن ميمنة رسول الله ﷺ ، والثالثة إسرافيل في ألف من الملائكة عن ميسرة رسول الله ﷺ[5] .

وروينا من طريق مسلم ، حدثنا هَنّاد بن السري ، حدثنا ابن المبارك ، عن عكرمة ابن عمّار ، قال : حدثني سِمَاك الحنفي ، قال : سمعت ابنَ عباس يقول : حدثني عمرُ

(١) « مستنتل » : متقدم . قال ابن هشام : ويُقال : مستنصل .
(٢) « فأقِدْني » : اقتصَّ لي من نفسِكَ .
(٣) « خفق » : غلبه النعاس وهو جالسٌ حتى هوت ذَقْنُه على صدره .
(٤) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٦٢٥ — ٦٢٦ .
(٥) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/١٦ .

ابن الخطاب رضي الله عنه ، قال : لما كان يومُ بدرٍ نظرَ رسولُ الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف ، وأصحابه ثلاثمائة وسبعة عشر رجلاً ، فاستقبلَ نبيُّ الله ﷺ القبلةَ ، ثم مدَّ يديه ، فجعلَ يهتفُ بربِّه : « اللهم أنجزْ لي ما وعدتني » وفيه : فأنزل الله عز وجل عند ذلك : ﴿ إذ تستغيثونَ رَبَّكم فاستجابَ لكم أني مُمِدُّكُم بألفٍ من الملائكة مُردفين ﴾ [الأنفال : ٩] فأمدَّه الله بالملائكة .

قال أبو[١] زُمَيل : فحدثني ابنُ عباس قال : بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه ، إذ سمع ضربةً بالسوط فوقه ، وصوتُ الفارس يقول أقدِمْ حيزومُ[٢] ، فنظرَ إلى المشرك أمامه خرَّ مستلقياً ، فنظر إليه فإذا هو قد خُطم[٣] أنفُه وشُقَّ وجهُه ، كضربة السوط ، فاخضرَّ ذلك أجمع ، فجاء الأنصاري فحدَّثَ بذلك رسولَ الله ﷺ ، فقال : « صدقتَ ، ذلك من مَدَدِ السماء الثالثة » فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين .. الحديث[٤] .

وروينا من طريق البخاري : حدثني إبراهيم بن موسى ، أخبرنا عبد الوهاب ، حدثنا خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أن النبيَّ ﷺ قالَ يومَ بدرٍ : « هذا جبريلُ آخذٌ برأس فرسِهِ عليه أداة الحرب »[٥] .

وروينا عن ابن سعد : أخبرنا سليمان بن حرب ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا أيوب ويزيد بن حازم ؛ أنهما سمعا عكرمة يقرأُ[٦] : ﴿ فثبِّتوا الذينَ آمنوا ﴾ قال حماد : وزاد أيوب ، قال قال عكرمة : ﴿ فاضرِبوا فوقَ الأعناق ﴾ [الأنفال : ١٢] قال : كان يومئذ يَندُر رأسُ الرجل لا يُدرى من ضربه ، وتندرُ يدُ الرجل لا يُدرى من ضَرَبه[٧] .

---

(١) أبو زُميل : هو سِماك الحنفي ، راوي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما .
(٢) « أقدِمْ حيزومُ » : أقدمْ : بفتح همزة القطع ، وكسر الدال ، من الإقدام ، وهي كلمة زجر للفرس معلومة في كلامهم . وحيزوم : اسم فرس المَلَك ، وهو منادى بحذف حرف النداء ، أي يا حيزوم .
(٣) « خُطم أنفه » : الخطم : الأثر على الأنف .
(٤) رواه مسلم في كتاب الجهاد والسير (باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر) رقم /١٧٦٣/ .
(٥) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب شهود الملائكة بدراً) رقم /٣٩٩٥/ .
(٦) كذا في الطبقات ، وفي الأصول « يقرؤها » .
(٧) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/٢٥ ــ ٢٦ .

قال ابن إسحاق : وقد رُمي مِهْجع مولى عمر بن الخطاب بسهم فقُتل ، فكان أوّلَ قتيل من المسلمين ، ثم رمي حارثةُ بن سراقة ـ أحد بني عدي بن النجار وهو يَشرب من الحوض ـ بسهم ، فأصاب نحرَه فقُتل . ثم خرج رسولُ الله ﷺ إلى الناس فحرَّضهم ، وقال : والذي نفسُ محمد بيده لا يُقاتلُهم اليومَ رجلٌ فيقتلُ صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة . فقال عُميرُ بن الحُمام ـ أخو بني سَلِمة ، وفي يده تمرات يأكلهن ـ : بخٍ بخٍ أفما بيني وبين أن أدخلَ الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ؟ قال : ثم قذفَ التمراتِ من يده وأخذ سيفَه فقاتل القوم حتى قُتل[1] .

وقال ابن عُقبة : أوّلُ قتيل من المسلمين يومئذٍ عُمير بن الحُمام .

وقال ابنُ سعد : فكان أوّلَ من خرجَ من المسلمين مِهجعُ مولى عمر بن الخطاب ، فقتله عامرُ بن الحضرمي . وكانَ أوّلَ قتيل قُتل من الأنصار حارثةُ بن سُراقة ، ويُقال : قتله حِبَّان بن العَرِقة ، ويُقال : عُمير بن الحُمام قتلَه خالد بن الأعلم العُقيلي[2] .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ؛ أن عوفَ بن الحارث ـ وهو ابن عفراء ـ قال : يا رسول الله ، ما يُضحكُ الربَّ من عبده ؟ قال : غمسُهُ يدَه في القوم[3] حاسراً . فنزعَ درعاً كانت عليه ، فقذفها ، ثم أخذ سيفَه فقاتل القومَ حتى قُتل . وحدثني محمد بن مسلم ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير العُذْري ـ حليف بني زهرة ـ أنه حدثه ، أنه لما التقى الناسُ ودنا بعضُهم من بعض ، قال أبو جهل : اللهم أقطعنا للرحم ، وآتانا بما لا يُعرف ، فأحِنْه الغداةَ . فكان هو المُستفتحُ[4] على نفسه . قال : ثم إن رسولَ الله ﷺ أخذَ حفنةً من الحَصباء فاستقبلَ بها قريشاً ، ثم قال : شاهتِ الوجوهُ . ثم نفحهم بها ، وأمر أصحابَه ، فقال : شُدُّوا . فكانت الهزيمة ، فقتل الله من قُتل من صناديد قريش وأُسر من أُسر من أشرافهم[5] .

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٢٧/١ .

(٢) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١٦/٢ ـ ١٧ .

(٣) كذا في « أ » و« ب » وفي السيرة النبوية ؛ لابن هشام و« ج » : « غمسُه يده في العدو ... » .

(٤) « المستفتح على نفسه » : أي : أن أبا جهل كان هو الحاكمُ على نفسه بهذا الدعاء .

(٥) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٢٧/١ ـ ٦٢٨ .

قال ابن عُقبة وابن عائذ : فكانت تلك الحصباء عظيماً شأنها ، لم تترك من المشركين رجلاً إلا ملأتْ عينيه ، وجعل المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم ، وبادر[1] النفرُ ، كلُّ رجلٍ منهم ــ منكباً على وجهه ــ لا يدري أين يتوجه ، يعالجُ الترابَ ينزعه من عينيه .

رجع إلى خبر ابن إسحاق : فلما وضعَ القومُ أيديهم ، يأسِرون ، ورسولُ الله ﷺ في العريش ، وسعد بن معاذ قائمٌ على باب العريش الذي فيه رسول الله ﷺ متوشحٌ السيفَ في نفر من الأنصار ، يحرسون رسولَ الله ﷺ ، يخافون عليه كَرَّةَ العدو ، ورأى رسولُ الله ﷺ ــ فيما ذكر لي ــ في وجه سعد بن معاذ الكراهيةَ لما يصنعُ النَّاسُ ، فقال له رسولُ الله ﷺ : والله لكأنك يا سعد تكرهُ ما يصنعُ القوم ؟ قال : أجل والله يا رسولَ الله : كانت أوّلَ وقعة أوقعَها الله بأهل الشرك ، فكان الإثخانُ في القتل أحبَّ إليَّ من استبقاء الرجال .

قال : وحدثني العبّاسُ بن عبد الله بن مَعبد ، عن بعض أهله ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ؛ أن النبي ﷺ قال لأصحابه يومئذ : إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرِهم قد أُخرجوا كُرهاً ، لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتلْه ، ومن لقي أبا البختري بن هشام فلا يقتلْه ، ومن لقي العبَّاسَ بنَ عبد المطلب فلا يقتلْه ، فإنما خرج مُستكرَهاً[2] .

وذكر ابنُ عقبة فيهم عَقيلاً ونوفلاً .

قال[3] : فقال أبو حذيفة : أَنقتلُ آباءنا وإخواننا وعشيرتَنا ونتركُ العبَّاسَ ، والله لئن لقيتُه لأُلجمنَّه السيفَ ، قال : فبلغتْ رسولَ الله ﷺ ، فقال لعمر بن الخطاب : يا أبا حفص ! ــ فقال عمر : والله إنه لأوّلُ يوم كنَّاني فيه رسولُ الله ﷺ بأبي حفص ــ أَيضربُ وجهُ عمِّ رسول الله ﷺ بالسيف ؟ فقال عمر : يا رسول الله ! دعني فلأضربْ عنقَه بالسيف ، فوالله لقد نافق . فكان أبو حذيفة يقولُ : ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلتُها يومئذ ، ولا أزالُ منها خائفاً إلا أن تكفرها عني الشهادةُ . فقُتل يوم اليمامة شهيداً .

(١) « بادرَ النفرُ » : أسرعَ المشركون .
(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٦٢٨ ــ ٦٢٩ .
(٣) أي ابن إسحاق .

فلقي أبا البختري المُجَذَّرُ بن ذياد البلوي ، فقال له : إن رسولَ الله ﷺ قد نهانا عن قتلك . ومع أبي البختري زميل له خرج معه من مكة ، وهو جُنادة بن مُليحة . قال : وزميلي ؟ قال له المُجَذَّر : لا والله ، ما نحن بتاركي زميلَك ، ما أمرنا رسولُ الله ﷺ إلا بك وحدَكَ . قال : لا والله إذن لأموتنَّ أنا وهو جميعاً ، لا تُحدِّث عني نساءُ مكة أني تركت زميلي حِرْصاً على الحياة . فقتلَه المُجَذَّر ، ثم أتى رسولَ الله ﷺ ، فقال : والذي بعثَك بالحقِّ لقد جَهْدِتُ عليه أن يستأسرَ فآتيك به ، فأبى إلا أن يقاتلني ، فقاتلني فقتلتهُ[1] .

قال ابن عقبة : ويزعمُ ناسٌ أن أبا اليَسَر قَتَلَ أبا البختريّ بن هشام ، ويأبى عُظْمُ الناس إلا أن المُجَذَّر هو الذي قتله ، بل قتله من غير شك أبو داود المازني وسلبه سيفَه ، فكان عند بنيه حتى باعه بعضُهم من بعض ولد أبي البَختريّ .

قال ابن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد ، عن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، قال : وحدثنيه أيضاً عبدُ الله بن أبي بكر وغيرُهما ، أن عبد الرحمن بن عوف لقيه أميّةُ بن خلف ، ومعه ابنُه علي ، ومع عبد الرحمن أدراعٌ استلبَها ، قال : هل لك فيَّ ؟ فأنا خيرٌ لك من هذه الأدراع التي معك . قال : قلت : نعم ، فطرحت الأدراعَ من يديَّ ، وأخذت بيده ويد ابنه ، وهو يقول : ما رأيتُ كاليومِ قط ! أما لكم حاجة في اللبن ؟ ثم خرجتُ أمشي بهما[2] .

قال : حدثني عبدُ الواحد بن أبي عون ، عن سعد بن إبراهيم عن أبيه ، عن عبد الرحمن ابن عوف ، أن أمية بن خلف قال له : من الرجل منكم المُعْلِمُ بريشةِ نَعامة في صدره ؟ قال : قلت ذاك حمزة بن عبد المطلب . قال : ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل . قال عبدُ الرحمن : فوالله إني لأقودُهما إذ رآه بلال معي ، وكان هو الذي يُعذِّبُ بلالاً بمكة على ترك الإسلام ، فيخرجه إلى رمضاءِ مكة إذا حميت ، فيضجعه على ظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتُوضع على صدره ، ثم يقول : لا تزالُ هكذا أو تُفارقَ دينَ محمد . فيقول بلال :

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٢٩/١ .
(٢) السيرة النبوية ٦٣٢/١ وقال ابن هشام : يريد باللبن ، أن من أسرني افتديت منه بإبل كثيرة اللّبَن .

أحد أحد . قال : فلما رآه قال : رأس الكفر أميّةُ بن خلف ؟ لا نجوتُ إن نجا . قال : قلتُ أيْ بلال ، أبأسيريَّ ؟ قال : لا نجوت إن نجا . قال : ثم صرخَ بأعلى صوته : يا أنصار الله ! رأسُ الكفر أميّةُ بن خلف ، لا نجوتُ إن نجا . قال : فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المَسَكة[1] وأنا أذبُّ عنه . قال : فأخلفَ رجلٌ السيفَ فضربَ رجل ابنه فوقعَ ، وصاح أميةُ بنُ خلف صيحةً ما سمعتُ مثلَها قط . قال : فقلتُ انجُ بنفسك ولا نجاءَ به ، فوالله ما أغني عنك شيئاً . قال : فهبَّروهما بأسيافهم حتى فرغوا منهما . قال : فكان عبد الرحمن يقول : يرحمُ الله بلالاً ، ذهبت أدراعي وفجعني بأسيريَّ[2] .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أنه حُدِّث عن ابن عباس ، قال : حدثني رجل من بني غفار ، قال : أقبلتُ أنا وابنُ عم لي ، حتى أصعدنا في جبل يُشرف بنا على بدر ، ونحن مُشركان ننتظر الوقعة على من تكون الدَّبْرة[3] ، فننتهبُ مع من ينتهب . قال : فبينا نحن في الجبل إذ دنت منا سحابةٌ ، فسمعنا فيها حمحمةَ الخيل ، فسمعتُ قائلاً يقول : أَقْدم حيزومُ . فأما ابنُ عمي فانكشفَ قناعُ قلبه ، فمات مكانه . وأما أنا فكدت أهلكُ ثم تماسكت .

قال : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن بعض بني ساعدة ، عن أبي أُسيد مالك ابن ربيعة ، وكان قد شهد بدراً ، قال بعد أن ذهب بصره : لو كنتُ اليومَ ببدرٍ ومعي بصري لأريتُكم الشِّعبَ الذي خرجت منه الملائكةُ ، لا أشك ولا أتمارى .

قال : وحدثني أبي إسحاقُ بن يسار ، عن رجال من بني مازن بن النجار ، عن أبي داود المازني ــ وكان شهد بدراً ــ قال : إني لأتْبَعُ رجلاً من المشركين يومَ بدر لأضربَه ، إذ وقع رأسُه قبلَ أن يصل إليه سيفي ، فعرفتُ أنه قد قتله غيري[4] . وحدثني من لا أتهمُ عن مِقْسم مولى عبد الله بن الحارث ، عن عبد الله بن عباس ، قال : كانت

---

(1) « المَسَكَة » : السُّوار والخلخال ، أي : أحدقوا بنا وجعلونا في حلقة كالسوار .

(2) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٦٣٢ .

(3) « الدَّبْرة » الهزيمة .

(4) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٨٣ وقال : رواه الإمام أحمد وفيه رجل لم يُسَم .

سيما الملائكة يوم بدر عمائمَ بيضاً ، قد أرسلوها في ظهورهم ، ويومَ حنين عمائمَ حمراً[1] .

وروينا هذا الخبرَ من طريق مالك بن سليمان الهروي ، عن الهِيَاج ، عن الحسن بن عُمارة ، عن الحكم ، عن مِقسم ، عن ابن عباس بمعناه ، ولم تقاتل الملائكة في يوم سوى يوم بدر ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عدداً ومدداً لا يضربون[2] .

وذكر ابنُ هشام عن بعض أهل العلم أن جبريلَ عليه السلام كانت عليه يومَ بدر عِمامةٌ صفراء[3] ، وكان شعارهم[4] يومَ بدرٍ أحد أحد .

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسولُ الله ﷺ من عدوّه أمر بأبي جهل أن يُلتمسَ في القتلى ، وكان أوّلَ من لقي أبا جهل كما حدثني ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس وعبدُ الله بن أبي بكر أيضاً قد حدثني ذلك ، قالا : قالا : معاذ بن عمرو بن الجَموح ـ أخو بني سَلِمةَ ـ : سمعتُ القوم وأبو جهل في مثل الحَرَجة ، وهم يقولون : أبو الحكم لا يُخلص إليه . قال : فلما سمعتها جعلتُه من شأني ، فصمدتُ نحوه ، فلما أمكنني حملتُ عليه فضربته ضربةً أطنت قدمَه بنصف ساقه ، فوالله ما شبَّهتها حين طاحت إلا بالنواة تطيحُ من تحت مِرْضخة النوى حين يُضرب بها ، قال : وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي ، فتعلقت بجلدة من جسمي ، وأجهضني القتالُ عنه ، فلقد قاتلت عامة يومي ، وإني لأسحبُها خلفي ، فلما آذتني وضعتُ عليها قدمي ، ثم تمطّيتُ بها عليها حتى طرحتُها[5] .

قال القاضي أبو الفضل عِياضُ بنُ موسى : وزاد ابنُ وهب في روايته : فجاء يَحمل يدَه فبصقَ عليها رسولُ الله ﷺ فلصقت[6] .

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٣٣/١ .

(٢) إسناد الحديث ضعيف جداً ، فيه مالك بن سليمان الهروي ضعيف ، والهِيَّاج بن بِسطاح فيه ضعف أيضاً ، والحسن بن عمارة متروك . والحديث رواه ابن إسحاق عمن لا يتهمه ، عن مِقسم ..

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٣٣/١ ـ ٦٣٤ .

(٤) وكان شعارهم : أي شعار المسلمين ، والشعار : العلامة التي يتعارفون بها للقتال .

(٥) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٣٤/١ .

(٦) الشفاء ؛ للقاضي عياض ٦٢٢/١ .

قال ابن إسحاق : ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمن عثمان . ثم مر بأبي جهل — وهو عقير — مُعَوِّذُ بن عفراء ، فضرَبه حتى أثبتَه وبه رمق . وقاتل مُعَوِّذُ حتى قُتل . فمرَّ عبدُ الله بن مسعود بأبي جهل حين أمرَ رسولُ الله ﷺ أن يُلتمسَ في القتلى ، وقد قال لهم رسولُ الله ﷺ فيما بلغني : انظروا إن خفي عليكم في القتلى إلى أثر جُرح في ركبته ، فإني ازدحمت يوماً أنا وهو على مأدبةٍ لعبد الله بن جُدعان ، ونحن غلامان ، وكنت أشفَّ[1] منه بيسير ، فدفعته فوقع على ركبتيه ، فجُحِشَ[2] على أحدهما جَحْشاً لم يزل أثرُه به . قال عبدُ الله بن مسعود فوجدته بآخر رمقٍ ، فعرفته ، فوضعت رجلي على عنقه — قال : وقد كان ضَبَثَ بي[3] مرة بمكة فآذاني ولكزني — ثم قلت له : هل أخزاكَ الله يا عدوَّ الله ؟ قال : وبماذا أخزاني ؟ أَعْمَدُ[4] من رجل قتلتموه ؟ أخبرني لمن الدَّبْرَة اليوم ؟ قال : قلت لله ولرسوله . قال ابن هشام : ويقال : أعارٌ على رجل قتلتموه ؟ أخبرني لمن الدائرة اليوم ؟ . قال ابنُ إسحاق : وزعم رجالٌ من بني مخزوم أن ابن مسعود كان يقول : قال لي : لقد ارتقيتَ يا رويعيَ الغنم مرتقًى صعباً . قال : ثم احتززتُ رأسَه ، ثم جئتُ به رسولَ الله ﷺ ، فقلتُ : يا رسول الله ! هذا رأسُ عدوّ الله أبي جهل . قال : فقال رسولُ الله ﷺ : آللهِ[5] الذي لا إله غيرُه — قال : وكان يمينَ رسول الله ﷺ — قال : قلت : نعم والله الذي لا إله غيره . ثم ألقيت رأسه بين يديْ رسول الله ﷺ ، فحمد الله تعالى[6] .

أخبرنا عبدُ الرحيم بن يوسف الموصلي بقراءة والدي عليه ، قال : أخبرنا أبو علي حنبلُ ابن عبد الله الرُّصَافي ، أن أبا القاسم بن الحصين أخبره ، قال : أخبرنا أبو علي بن المُذْهِب ،

---

(١) « أشفَّ منه » : من الشَّفّ ؛ وهو الزيادة أو النقص (ضد) .

(٢) « جُحِشَ » : خُدِش .

(٣) « ضَبَثَ » : قال ابن هشام : قبض عليه ولزمه .

(٤) « أَعْمَدُ » : أغضبُ أو أعجبُ ، وهي على الاستفهام ، والتقدير : أأعمدُ من رجل قتلتموه ؟ أي : إن قتلي لا خزيٌ فيه ولا عار ؛ إذ أنه لا يزيد عن رجل من أمثالي قتله قومه .

(٥) « آللهِ » اسم الجلالة بالكسر ؛ لأن الاستفهام عوض عن حرف القسم المقدر ، ومعلوم أن المقسم به مجرور بالباء أو بالتاء أو بالواو . وهذا من المواضع القليلة في العربية التي يجوز فيها إضمار حرف الجر .

(٦) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٦٣٥ — ٦٣٦ .

قال : أخبرنا أبو بكر القطيعي ، أخبرنا عبدُ الله بن أحمد بن حنبل ، حدثنا أبي ، حدثنا يوسف ابن الماجشون ، عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن ابن عوف ، أنه قال : إني لواقف يوم بدر في الصف ، نظرتُ عن يميني وعن شمالي ، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثةٍ أسنانُهما ، تمنيت لو كنتُ بين أضلعَ[1] منهما ، فغمزني أحدُهما ، فقال : يا عم ! هل تعرف أبا جهل بن هشام ؟ قال : قلت : نعم ، وما حاجتك يا ابن أخي ؟ قال : بلغني أنه كان يسبُّ رسولَ الله ﷺ ، والذي نفسي بيده لئن رأيتُه لم يفارق سوادي سوادَه حتى يموتَ الأعجلُ منا . قال : فغمزني الآخرُ فقال مثلَها . قال : فعجبتُ لذلك . قال : فلم أَنْشَبْ أن نظرتُ إلى أبي جهل يزولُ[2] في الناس ، فقلت لهما : ألا تريان ؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه . فابتدراه بسيفيهما ، فضرباه حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه ، فقال : أيُّكما قتلَه . فقال كلُّ واحد منهما : أنا قتلتُه . قال : هل مسحتما سيفَيْكُما ؟ قالا : لا . فنظرَ في السيفين ، فقال : « كِلاكُما قتلَه » . وقضى بسَلَبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح ، وهما : معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ ابن عفراء[3] . رواه مسلم عن يحيى بن يحيى عن يوسف بن الماجشون فوقع لنا عالياً .

وروينا عن ابن عقبة : أن عبدَ الله بن مسعود وجده مقنعاً في الحديد ، وهو مُنكَّبٌ لا يتحرك ، فظنَّ أنه قد أُثبتَ ، فتناولَ قائمَ سيفه فاستلَّه وهو منكّبٌ لا يتحرّكُ ، فرفع

---

(١) « أضلعَ » : أقوى وأمثل .

(٢) « يزول » : يكثر الحركة ولا يستقر ، وفي المسند : « يجول » .

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ١٩٢/١ ، ومسلم في كتاب الجهاد والسير (باب استحقاق القاتل سلب القتيل) رقم /١٧٥٢/ .

وجمع الحافظ ابن حجر بين الروايات المختلفة فيمن قتل أبا جهل من الأربعة المتقدمين (معاذ بن عمرو ، ومعاذ ومعوّذ ابني عفراء ، وابن مسعود) باحتمال أن معاذ بن عفراء شدَّ عليه مع معاذ بن عمرو ، وضربَه بعد ذلك معوَّذ بن عفراء حتى أثبته ، ثم حزَّ رأسه عبد الله بن مسعود . انظر فتح الباري ٢٩٥/٧ ـــ ٢٩٦ . وقال النووي : اشترك الثلاثة ـــ يعني معاذ بن عمرو وابني عفراء ـــ في قتله لكن ابن الجموح أثخنه أولاً ، فاستحق السَّلَب ، وإنما قال ﷺ : « كلاكما قتله » تطييباً لقلب الآخر من حيث إن له مشاركة في قتله . انظر شرح صحيح مسلم ؛ للنووي ٦١/١٢ ـــ ٦٢ ، وشرح المواهب اللدنية ، للزرقاني ٤٢٨/١ .

سابغةَ البيضة[1] عن قفاه فضرَبه ، فوقع رأسه بين يديه ، ثم سلبَه ، فلما نظر إليه ، إذ هو ليس به جراح ، وأبصرَ في عنقه جَذْرَاً[2] ، وفي يديه وكتفيه ، كهيئة آثار السياط ، فأتى النبيَّ ﷺ فأخبره ، فقال : ذاك ضربُ الملائكة .

وروينا عن ابن عائذ : حدثنا الوليد ، قال : حدثني خليد ، عن قتادة ؛ أنه سمعه يُحدِّث : أنَّ رسول الله ﷺ قال : إن لكلِّ أمةٍ فرعوناً ، وإن فرعونَ هذه الأمة أبو جهل قَتلَه الله شرَّ قِتلة ، قتلَه ابنا عفراء ، وقتلته الملائكة ، وتذافَّه ابنُ مسعود . يعني أجهز عليه[3] .

قال ابن إسحاق : وقاتلَ عُكَّاشة بن مِحْصَن الأسدي يومَ بدر بسيفه حتى انقطع في يده ، فأتى رسولَ الله ﷺ فأعطاه جِذْلاً[4] من حطب ، فقال : قاتل بهذا يا عُكَّاشة ، فلما أخذَه من رسول الله ﷺ هزَّه فعادَ سيفاً في يده طويلَ القامة ، شديد المتن ، أبيضَ الحديدة ، فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين ، وكان ذلك السيف يُسمى العون ، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى قُتل في الردة وهو عنده[5] .

وقال الواقدي : وحدثني أسامة بن زيد الليثي ، عن داود بن الحُصين ، عن رجال من بني عبد الأشهل ، قالوا : انكسر سيف سلمة بن أسلم بن الحَريش يومَ بدر ، فبقي أعزلَ لا سلاح معه ، فأعطاه رسولُ الله ﷺ قَضيباً كان في يده من عراجين ابن[6] طاب ، فقال : اضربْ به . فإذا هو سيف جيد ، فلم يزل عنده حتى قُتل يوم جسر أبي عُبيد[7] .

قال ابنُ إسحاق : وحدثني يزيد بن رومان : عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضي

(١) « سابغة البيضة » : الجزء الساترُ للعنق من الخوذة .

(٢) « جَذْرَاً » : هو بالجيم ، وليس بالخاء كما ذكره بعض الشُّراح ، وهو الكَدْم أو الوَرَم من ضرب أو جراحة .

(٣) خبر ابن عائذ مرسل ، وفي إسناده خُلَيْد بن دَعْلَج ، فيه ضعف ، ضعَّفه أحمد ويحيى ، وقال أبو حاتم : صالح ليس بالمتين . انظر ميزان الاعتدال ١/٦٦٣ .

(٤) « جِذْلاً » : بكسر الجيم وفتحها ، وتُجمع على أجذال ، ومن معانيها عود الحطب ، وعُرجون النخل ؛ وهو أصل العِذق الذي يعوَّج وينعطف بالشماريخ ، يُقطع معها عند الجِذاذ ، أو يبقى على النخلة يابساً .

(٥) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٦٣٧ ، ورواه البيهقي في الدلائل ٣/٩٨ — ٩٩ عن ابن إسحاق .

(٦) في السيرة الشامية : من عراجين نخل ابن طاب .

(٧) رواه الواقدي في المغازي ١/٩٣ — ٩٤ ، والبيهقي في الدلائل عنه ٣/٩٩ .

الله عنها ، قالت : لما أمَرَ رسولُ الله ﷺ بالقتلى أن يُطرحوا في القَليب طُرحوا فيه إلا ما كان من أمية بن خلف فإنه انتفخ في درعه فملأها ، فذهبوا ليحركوه فتزايل ، فأقروه ، وألقوا عليه ما غيَّبه من التراب والحجارة[1] .

وروينا عن الطبراني : حدثنا موسى بن الحسن الكِسائيّ ، حدثنا شيبانُ بن فروخ ، حدثنا سليمان بن المغيرة ، عن ثابت ، عن أنس بن مالك ، قال : أنشأ عمرُ بن الخطاب يُحدِّثنا عن أهل بدر ، فقال : إن رسول الله ﷺ كان يُرينا مصارعَ أهلِ بدر بالأمس من بدر ، يقول : هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله . قال عمر : فوالذي بعثَه بالحقِّ ما أخطؤوا الحدودَ التي حدَّها رسولُ الله ﷺ ، حتى انتهى إليهم ، فقال : يا فلان بن فلان ، ويا فلانُ بن فلان ، هل وجدتم ما وعدَكم الله ورسولُه حقاً فإني وجدتُ ما وعدني الله حقاً ؟ فقال عمر : يا رسول الله ! كيف تُكلِّم أجساداً لا أرواحَ فيها ؟ فقال : ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم ، غير أنهم لا يستطيعون أن يردُّوا شيئاً[2] .

وروينا عن ابن عائذ : أخبرني الوليد بن مسلم ، أخبرني سعيدُ بن بشير ، عن قتادة ، عن أنس ، عن أبي طلحة ، أن رسولَ الله ﷺ كانَ إذا ظهر على قوم ، أقام بالعَرصَة ثلاثاً ، فلما كان يومُ بدر أقام ثلاثاً ، وألقى بضعةً وعشرين رجلاً من صناديد قريش في طَوِيٍّ[3] من أطواء بدر ، ثم أمر براحلته فشُدَّ عليها رحلُها ، فقلنا : إنه منطلق لحاجة ، فانطلق حتى وقفَ على شفى الرَّكِي[4] ، فجعل يقول : يا فلان بن فلان ، ويا فلان بن فلان ... الحديث[5] .

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٣٨/١ .

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير ، وهو عند الإمام أحمد في المسند ٢١٩/٣ وإسناده صحيح . كما رواه البخاري ومسلم والنسائي عن عمر رضي الله عنه مختصراً .

(٣) « طويّ » : الطويُّ : القليب .

(٤) « شَفَى الركّي » : حافة القليب .

(٥) حديث ابن عائذ رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ، قال سبط ابن العجمي في نور النبراس : وإنما عدل المؤلف عن أن يخرجه من هذه الكتب أو بعضها ؛ لأنه من طريق ابن عائذ يقع له أعلى بدرجة مما لو أخرجه من هذه الكتب أو بعضها ، والله أعلم .

وروينا من طريق مالك بن سليمان الهروي ، حدثنا معمر ، عن حُميد الطويل عن أنس وفي آخره ؛ قال قتادة : أحياهم الله حتى سمعوا كلامَ رسول الله ﷺ توبيخاً لهم . هذا حمل لهذا الخبر على ظاهره[1] .

وقد روينا عن عائشة رضي الله عنها أنها تأوَّلت ذلك ، وقالت : إنما أراد النبي ﷺ أنهم الآن ليعلمون أن الذي أقول لهم هو الحق ثم قرأت ﴿ إنك لا تُسمع الموتى ﴾ [النمل : ٨٠] الآية[2] .

رجع إلى الخبر عن ابن إسحاق : قال : وتغير وجه أبي حذيفة بن عُتبة عند طرح أبيه في القليب ، ففطن له رسولُ الله ﷺ ، فقال له : لعلَّكَ دخلكَ في شأن أبيك شيء ؟ فقال : لا والله ، لكني كنتُ أعرفُ من أبي رأياً وحِلْماً وفضلاً ، فكنتُ أرجو أن يهديَه الله للإسلام ، فلما رأيتُ ما ماتَ عليه أحزنني ذلك . فدعا له رسولُ الله ﷺ بخير ، وقال له خيراً .

وماتَ يومئذٍ فتيةٌ من قريش على كفرهم ممن كان فُتن على الإسلام ، افْتُتِنَ[3] بعد إسلامه ، منهم من بني أسد : الحارث بن زمعة بن الأسود ، ومن بني مخزوم أبو قيس ابن الفاكه ، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة . ومن بني جُمح : علي بن أمية بن خلف .

(١) قول قتادة بهذا الإسناد ضعيف ؛ لضعف مالك بن سليمان الهروي ، ولعل اسم معمر صحف عن معتمر كما ذكر في نور النبراس ، وقد ورد هذا القول عن قتادة في حديث البخاري ومسلم : عن أنس بن مالك ، عن أبي طلحة .. وتمامه : أحياهم الله حتى أسمعهم قوله ، توبيخاً ، وتصغيراً ، ونقمة ، وحسرة ، وندماً .

(٢) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب قتل أبي جهل) رقم /٣٩٨٠/ . قال الإسماعيلي : كان عند عائشة من الفهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم مالا مزيد عليه ، لكن لا سبيل إلى رد رواية الثقة إلا بنص مثله ، يدل على نسخه أو تخصيصه أو استحالته ، فكيف والجمع بين الذي أنكرته وأثبته غيرها ممكن ، لأن قوله تعالى ﴿ إنك لا تُسمع الموتى ﴾ لا يُنافي قوله ﷺ : « إنهم الآن يسمعون » لأن الإسماع هو إبلاغ الصوت من المُسمِع في أُذن السامع ، فالله تعالى هو الذي أسمعهم بأن أبلغهم صوت نبيه ﷺ بذلك . وأما جوابها بأنه إنما قال : « إنهم ليعلمون » فإن كانت سمعت ذلك ، فلا يُنافي رواية يسمعون ، بل يؤيدها . انظر فتح الباري ٣٠٤/٧ .

(٣) في الأصل « فافتتن » وفي السيرة النبوية ؛ لابن هشام : « أنهم كانوا أسلموا ورسول الله ﷺ بمكة ، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، حبسهم آباؤهم وعشائرهم بمكة ، ففتنوهم فافْتَتَنوا ، ثم ساروا مع قومهم إلى بدر ، فأُصيبوا به جميعاً .. » .

ومن بني سَهْم : العاصي بن مُنَبِّه بن الحجَّاج . فنزلَ فيهم ﴿ إنَّ الذين توفَّاهمُ الملائكةُ ظالمي أنفسهم ﴾ [النساء : ٩٧] .

ثم أمَرَ رسول الله ﷺ بما في العسكر مما جَمع النَّاس ، فجُمع ، فاختلفَ المسلمون فيه ، فقال من جَمَعه : هو لنا ، وقال الذين كانوا يُقاتلون العدو ويطلبونه : لولا نحنُ ما أصبتموه ، نحن شغلنا عنكم العدو فهو لنا ، وقال الذين كانوا يحرسون رسولَ الله ﷺ : لقد رأينا أن نقتل العدو حين منحنا الله أكتافهم ، ولقد رأينا أن نأخذَ المتاع حين لم يكن له من يمنعه ، ولكنا خِفنا على رسول الله ﷺ كرَّةَ العدو ، فما أنتم بأُحقَّ به منا . فنزعَه الله من أيديهم فجعلَه إلى رسوله ، فقسمه في المسلمين عن بَواء ، يقول : على السواء[١] .

وروينا عن ابن عائذ : أخبرني الوليدُ بن مسلم ، قال : وأخبرني سعيد بن بَشير ، عن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، أن رسول الله ﷺ لما كان يومُ بدر ، قال : من قَتَلَ قتيلاً فله سلبُه ، ومن جاء بأسير فله سلبُه . فجاءَ أبو اليَسَر بأسيرين ، فقال سعد : أي رسولَ الله ! أما والله ما كان بنا جُبْن عن العدو ولا ضَنٌّ بالحياة أن نصنعَ ما صنعَ إخواننا ، ولكن رأيناكَ قد أُفْرِدْتَ ، فكرهنا أن تكون بمضيعة . قال : فأمرهم رسول الله ﷺ أن يوزعوا تلك الغنائم بينهم[٢] .

المشهور أن قول رسول الله ﷺ « من قتل قتيلاً فله سلبُه »[٣] إنما كان يوم حنين وأما قوله ذلك يوم بدر وأحد فأكثرُ ما يُوجد من رواية من لا يُحتج به .

وقد روى أربابُ المغازي والسير أن سعدَ بن أبي وقاص قَتَلَ يوم بدر سعيدَ بن العاص ، وأخذ سيفه ، فنفلَه رسولُ الله ﷺ إيَّاه ، حتى نزلت سورة الأنفال ، وأن الزبيرَ بن العوام بارز يومئذ رجلاً فنفلَه رسولُ الله ﷺ سَلَبَه ، وأن ابنَ مسعود نفلَه رسولُ الله ﷺ يومئذ سَلَبَ أبي جهل . وأما ابن الكلبيّ فمُضَعَّفٌ عندهم ، وروايته عن أبي صالح عن ابن عباس

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٤٠/١ — ٦٤٢ .

(٢) خبر ابن عائذ عن ابن عباس ضعيف جداً ، فيه محمد بن السائب الكلبي متروك ، ولا يُحتج به ، وأبو صالح لم ير ابن عباس .. انظر ميزان الاعتدال ٥٥٦/٣ — ٥٥٩ .

(٣) رواه البخاري ومسلم والموطأ وأبو داود والترمذي في غزوة حنين من كتاب الغزوات ، عن أبي قتادة رضي الله عنه . انظر جامع الأصول ٥٨٧/٦ .

مخصوصةً بمزيد تضعيف .

رجعٌ إلى خبر ابن إسحاق : ثم بعثَ رسولُ الله ﷺ عبدَ الله بنَ رواحة بشيراً إلى أهل العالية[1] بما فتحَ الله على رسوله وعلى المسلمين ، وبعث زيدَ بن حارثة إلى أهل السَّافلة[1] . قال أسامة بن زيد : فأتانا الخبر حين سوينا على رُقَيَّةَ بنتِ رسول الله ﷺ ، ثم أقبل عليه الصلاة والسلام قافلاً إلى المدينة ومعه الأسارى من المشركين ، وفيهم عقبة ابن أبي معيط ، والنضر بن الحارث ، واحتمل رسولُ الله ﷺ معه النَّفل الذي أُصيب من المشركين ، وجعل عليه عبدَ الله بن كعب من بني مازن بن النجار ، ثم أقبل عليه الصلاة والسلام حتى إذا خرج من مضيق الصفراء ، فقسم النَّفلَ بين المسلمين على السواء ، وبالصفراء أمر علياً فقتل النَّضرَ بن الحارث ، ثم بعِرْق الظُّبْيَة قتل عقبة بن أبي مُعيط ، فقال حين قتله : من للصبية يا محمد ؟ قال : النار . والذي قتلَه عاصمُ بن ثابت بن أبي الأقلح ، وقيل : عليّ . والذي أسره عبدُ الله بن سلمة ، ثم مضى رسولُ الله ﷺ حتى قدم المدينة قبل الأسارى بيوم[2] .

قال ابن إسحاق : وحدثني نُبَيْه بن وهب ، أخو بني عبد الدار أن رسولَ الله ﷺ حين أقبل بالأسارى فرَّقهم بين أصحابه ، وقال استوصوا بهم خيراً . قال : فكان أبو عزيز ابن عُمير بن هاشم أخو مُصعب لأبيه وأمه في الأسارى فقال : مرَّ بي أخي مصعب ورجلٌ من الأنصار يأسرني ، فقال له : شُدَّ يديك به فإن أمَّه ذاتُ متاع ، لعلها تفديه منك . فكنتُ في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر ، فكانوا إذا قدَّموا غداءَهم وعشاءَهم خصُّوني بالخبز وأكلوا التمر ؛ لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا ، ثم فُدِي بأربعة آلاف درهم وهي أعلى الفداء[3] .

---

(١) « العالية » : أعالي المدينة ، سميت بذلك لعلو مستوى الأرض ، وتقع في الجنوب والجنوب الشرقي منها ، ومنه المنطقة المعروفة بالعوالي الآن .

و« السافلة » : أسافل المدينة ، سمي بذلك لانخفاض مستوى أرضه ، ويقع في وسطها وشمالها ، ومنه موقع المسجد النبوي الشريف .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٤٢/١ ـــ ٦٤٤ .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٤٥/١ ـــ ٦٤٦ .

وذكر قاسم بن[1] ثابت في « دلائله » أن قريشاً لما توجهت إلى بدر مر هاتف من الجن على مكة في اليوم الذي أوقع بهم المسلمون ، وهو يَنْشُد بأبعد صوت ولا يُرى شخصه :

أزارَ الحنيفيون بدراً وقيعةً ... سينقَضُّ منها ركنُ كسرى وقيصرا
أبادتْ رجالاً من قريشٍ وأبرزتْ ... خَرائِدَ يَضْرِبْنَ الترائبَ حُسَّرا
فيا ويحَ من أمسى عدوَّ محمد ... لقد جارَ عن قصد الهوى وتحيَّرا

فقال قائلهم : مَن الحنيفيون ؟ فقالوا : هو محمد وأصحابه ، يزعمون أنهم على دين إبراهيم الحنيف ، ثم لم يلبث النفر أن جاءهم الخبر .

رجع إلى الأول : وكان أوَّلَ من قدم بمُصابهم الحَيْسمان بن عبد الله الخزاعي ، ـ وكان يُسمَّى ابن عبد عمرو ، وأسلم بعد ذلك[2] ـ فقال : قُتل عتبة وشيبة وأبو الحكم وأمية وفلان وفلان . فقال صفوان بن أمية وهو جالس في الحِجْر : والله إن يعقل هذا فسلوه عني ، فسألوه ، فقال هو ذاك جالساً في الحِجْر ، وقد رأيت أباه وأخاه حين قُتلا[3] .

ذكر الخبر عن مهلك أبي لهب

قال ابن إسحاق : وحدثني حسينُ بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، قال : قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ : كنتُ غلاماً للعبّاس بن عبد المطلب وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت ، فأسلم العباس ، وأسلمت أمُّ الفضل ، وأسلمت أنا ، وكان العبَّاسُ يهاب قومَه ويكره خلافهم ، فكان يكتمُ إسلامَه ، وكان ذا مال ، فلما جاء الخبرُ عن مُصابِ قريش ببدر ، وكنتُ رجلاً ضعيفاً أعملُ الأقدَاح ، أنحتها

(١) قاسم بن ثابت : بن حزم العوفي السَّرَقُسْطي أبو محمد ، عالم بالحديث واللغة ، له كتاب « الدلائل على معاني الحديث بالشاهد والمثل » . توفي سنة ٣٠٢ هـ . الأعلام ١٧٤/٥ .

(٢) ما بين المعترضتين من كلام المؤلف .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٤٦/١ .

في حجرة زمزم ، فوالله إني لجالسٌ فيها أنحت أقداحي ، وعندي أُمُّ الفضل جالسةٌ ، وقد سرَّنا ما جاءَنا من الخبر ، إذ أقبل أبو لهب يجرُّ رجليه بشرٍّ[1]، حتى جلسَ على طُنُب الحجرة ، فكان ظهرُه إلى ظهري ، فبينما هو جالس إذ قدم أبو سفيان بن الحارث ، فقال أبو لهب : هلم إليّ فعندك الخبر . فقال : والله ما هو إلا أن لقينا القومَ فمنحناهم أكتافنا ، يقتلوننا كيف شاؤوا ، ويأسروننا كيف شاؤوا ، وايم الله مع ذلك ما لمتُ النَّاسَ ، لَقِينَا رجالٌ بيضٌ على خيل بُلق بين السماء والأرض ، والله ما تُليق[2] شيئاً ولا يقوم لها شيء ، قال أبو رافع : فرفعتُ طُنُبَ الحجرة بيدي ، ثم قلت : تلك والله الملائكة . قال فرفع أبو لهب يده فضربَ وجهي ضربةً شديدةً . قال : وثاورته[3] ، فاحتملني فضربَ بي الأرضَ ، ثم بركَ عليَّ يضربني ، فقامت أم الفضل إلى عمودٍ فضربته به ضربةً فَلَغَتْ[4] في رأسه شَجَّةً منكرة ، وقالت : استضعفتَه أن غابَ عنه سيّدُه . فقام مُولّياً ذليلاً ، فوالله ما عاش إلا سبعَ ليالٍ ، حتى رماه الله بالعَدَسَة[5] فقتلتْه[6] .

قال ابن إسحاق في رواية يُونس بن بُكَيْر عنه : أنهم لم يحفروا له ، ولكن أسندوه إلى حائط ، وقذفوا عليه الحجارة من خلف الحائط ، حتى وارَوْه .

وذَكر محمد بن جرير الطبري في تاريخه : أن العدسة قرحةٌ كانت العرب تتشاءم بها ، ويرون أنها تُعدي أشدّ العدوى ، فلما أصابت أبا لهب تباعدَ عنه بنوه ، وبقي بعد موته ثلاثاً لا تُقرب جنازتُه ، ولا يُحاول دفنُه ، فلما خافوا السُّبَّةَ في تركه ، حفروا له ثم دفعوه بعود في حفرته ، وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى وَارَوه[7] . ويُروى أن عائشة رضي الله عنها كانت إذا مَرَّتْ بموضعه ذلك غَطَّتْ وَجَهَها .

(١) كذا في جميع النسخ والسِّير ، ولعلها « بشدة » أي : بصعوبة وضعف ؛ بسبب مرضه .
(٢) « ما تُليق » : ما تُبقي .
(٣) « ثاورته » : واثبته .
(٤) « فَلَغَتْ » : وتروى بالعين المهملة ، أي : شدخت وشقت .
(٥) « العَدَسة » : بثرة تشبه العدسة تخرج في موضع من الجسد تقتل صاحبها غالباً ، وهي من البثور المعدية ، ولعلها هي المرض المعروف بالجدري اليوم .
(٦) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٤٦/١ — ٦٤٧ .
(٧) تاريخ الطبري ٤٦٢/٢ .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : ناحت قريشٌ على قتلاهم ، ثم قالوا : لا تفعلوا فيبلغَ محمداً وأصحابَه فيشمَتوا بكم ، ولا تبعثوا في أسراكم حتى تَسْتأنُوا[1] بهم لا يَأْرَبْ[2] عليكم محمد وأصحابُه في الفداء[3] .

قال ابن عقبة : أقامَ النَّوْحُ شهراً .

قال ابن إسحاق : وكان الأسودُ بن المطلب قد أُصيب له ثلاثةٌ من ولده : زمعة بن الأسود ، وعقيل بن الأسود ، والحارث بن زمعة ، وكان يُحِبُّ أن يبكيَ على بنيه ، قال : فبينما هو كذلك ، إذ سمعَ صوت نائحةٍ من الليل ، فقال لغلام له وقد ذهب بصرُه : انظر هل أُحِلَّ النَّحْبُ ؟ هل بكتْ قريشٌ على قتلاها ؟ لعلي أبكي على أبي حُكيمة – يعني زمعة – فإن جوفي قد احترقَ . قال : فلما رجع إليه الغلام ، قال : إنما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلَّته ، قال : فذلك حين يقول الأسود :

أتبكـي أن يَضِلَّ لها بعيـرٌ ... ويمنعها من النوم السُّهودُ
فلا تبكـي على بَكْـرٍ ولكـنْ ... على بدرٍ تقاصرتِ الجُدُود[4]

وكان في الأسارى أبو وَداعة بن ضُبيرة السَّهمي ، فقال رسول الله ﷺ : إن له بمكة ابنا كيِّساً تاجراً ذا مال – يعني المطلب – وكأنكم به قد جاء في طلب فداء أبيه . فلما قالت قريش : لا تعجلوا بفداء أسراكم ، لا يأْرَبْ عليكم محمد وأصحابه . قال المطلب : صدقتم لا تعجلوا ، وانسل من الليل ، فقدم المدينة ، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم وانطلق ، فبعثت قريش في فداء الأسارى ، فقدم مِكْرزُ بن حَفْص بن الأخيف في فداء سهيل بن عمرو ، وكان الذي أسره مالك بن الدُّخْشُم ، وكان سهيل أعلمَ من شفته السفلى[5] .

---

(١) « تستأنوا » : تنتظرون بهم زمناً ، ولا تتعجلوا فداءهم .

(٢) « لا يأربْ » : لا يتشدد ، والماضي منه « أَرِبَ » .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٤٧/١ .

(٤) « بَكْر » : الفتي من الإبل ، « الجدود » : الحظوظ ، جمع جُدٍّ .

(٥) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٤٨/١ ، و « الأعلمُ » : المشقوق الشفة العليا ، فلهذا قيده . و« الأفلح » : المشقوق الشفة السفلى .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن عمرو بن عطاء أخو بني عامر بن لؤي ، أن عمرَ بن الخطاب قال لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ! (دعني)[1] أنزعْ ثنيتيْ سُهيل ابن عمرو يدلعْ لسانُه ، فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبداً . فقال رسول الله ﷺ : لا أُمَثِّلُ به فيمثِّل الله بي وإن كنتُ نبياً .

قال ابن إسحاق : وقد بلغني أن رسول الله ﷺ قال لعمر في هذا الحديث : إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تذمُّه .

فلما قاولهم مِكرز وانتهى إلى رضاهم ، قالوا : هاتِ الذي لنا . قال : اجعلوا رجلي مكان رجله وخلُّوا سبيلَه حتى يبعث إليكم بفدائه ، ففعلوا . وكان عمرو بن أبي سفيان أسيراً في يدي رسول الله ﷺ ، فقيل لأبي سفيان : افد عمراً ابنك . فقال : أيجمعُ عليَّ دمي ومالي ، قتلوا حنظلة وأفدي عمراً ، دعوه في أيديهم يمسكونه ما بدا لهم . قال : فبينا هو كذلك إذ خرج سعد بن النعمان بن أكَّال أخو بني عمرو بن عوْف معتمراً ، فعدا عليه أبو سفيان فحبسه بابنه عمرو ، ثم قال أبو سفيان :

أرهطَ ابنِ أكَّالٍ أجيبوا دُعاءَه ... تَعاقدتمُ لا تُسلموا السَّيِّدَ الكَهلا
فإن بني عمرو بن عوف أذلّةٌ ... لئن لم يفكوا عن أسيرهم الكَبْلَا[2]

وفي رواية : « بني عمرٍو لئامٌ أذّلةٌ » . فُفدي به .

وكان فيهم أبو العاص بن الربيع خَتَنُ[3] رسول الله ﷺ على ابنته زينب ، بعثت فيه بقِلادةٍ لها كانتْ خديجة أدخلتها بها عليه حين بنى عليها . قال : فلما رآها رسولُ الله ﷺ رقَّ لها رقة شديدة ، وقال : إن رأيتم أن تُطلقوا لها أسيرها وتَردُّوا عليها (قِلادتها)[4] فافعلوا . قالوا : نعم يا رسول الله ! فأطلقوه وردوا عليها الذي لها[5] .

---

(١) ما بين القوسين أثبتناه من السيرة النبوية ؛ لابن هشام .

(٢) « الكبلا » : القيد .

(٣) « ختن رسول الله » : زوج ابنته ، ويُجمع على أختان . قال في النهاية : والأختان من قبل المرأة ، والأحماءُ من قبل الرجل ، والصِّهر يجمعهما .

(٤) ما بين القوسين أثبتناه من « ج » وفي السيرة النبوية والشامية « مالَها » .

(٥) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٤٩/١ ــ ٦٥٣ .

وروينا من طريق أبي داود : حدثنا عبد الله بن محمد النُّفيلي ، حدثنا محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عباد ، عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن عائشة رضي الله عنها بنحوه ، وفي آخره : فكان النبيُّ ﷺ أخذَ عليه ، أو وعدَه ، أن يخلّي سبيلَ زينب إليه ، وبعث رسولُ الله ﷺ زيدَ بن حارثة ورجلاً من الأنصار ، فقال : « كونا ببطن يأجَجَ حتى تمرَّ بكما زينب ، فتصحباها حتى تأتيا بها »[1] .

وممن مَنَّ عليه رسول الله ﷺ بغير فداء أيضاً : المطلب بن حَنطب ، وصيفي بن أبي رِفاعة ، وأبو عَزَّة الجُمحي وأخذ عليه أن لا يُظاهر عليه أحداً .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : جلسَ عُمير بن وهب الجُمحي مع صفوان بن أمية بعد مُصاب أهل بدر من قريش بيسير في الحِجْر ، وكان عُمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش ، وكان ممن يُؤذي رسولَ الله ﷺ وأصحابَه ، ويلقون منه عَناء وهو بمكة ، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر ، فذكر أصحابَ القليب ومُصابَهم ، فقال صفوان : إنْ في العيش[2] والله خير بعدهم . قال له عمير : صدقت أما والله لولا دَيْنٌ عليَّ ليس له عندي قضاء ، وعيالٌ أخشى عليهم الضَّيعة بعدي ، لركبت إلى محمد حتى أقتلَه ، فإن لي فيهم عِلّة ، ابني أسير في أيديهم . قال : فاغتنمها صفوان ، فقال : عليَّ دينُك أنا أقضيه عنك ، وعيالُك مع عيالي أواسيهم ما بقوا ، لا يسعني شيء ويعجز عنهم . قال عمير : فاكتم عني شأني وشأنَك . قال : أفعل . قال : ثم أمر عمير بسيفه فشُحذ له وسُمَّ . ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فبينا عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله به ، وما أراهم من عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عُمير بن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشحاً السيفَ . فقال : هذا الكلب عدوُّ الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر ، وهذا الذي حرَّش بيننا وحزرنا للقوم يوم بدر ، ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ ، فقال : يا نبي الله ! هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفَه . قال : فأدخله عليّ . قال : فأقبل عمر حتى أخذ

(١) رواه أبو داود في كتاب الجهاد (باب في فداء الأسير بالمال) رقم /٢٦٩٢/ . و « يأجج » : مثلثة الجيم ، اسم وادٍ على ثمانية أميال من مكة .

(٢) في « ج » : ليس في العيش والله خير بعدهم .

بحِمالةِ سيفه في عنقه ، فلبَّبه بها ، وقال لرجال ممن كانوا معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده واحذروا عليه هذا الخبيث فإنه غيرُ مأمون . ثم دخل به على رسول الله ﷺ ، فلما رآه رسولُ الله ﷺ وعمرُ آخذ بحمالة سيفه في عنقه . قال : أرسله يا عمر . ادن يا عمير ، فدنا ، ثم قال : أنْعِمُوا صباحاً ـ وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم ـ فقال رسولُ الله ﷺ قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، بالسلام تحيّةِ أهل الجنة . قال : أما والله إن كنتُ بها يا محمد لحديث عهد . قال : فما جاء بك يا عُمير ؟ قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم ، فأحسنوا فيه . قال : فما بالُ السيف في عنقك ؟ قال : قبَّحها الله من سيوف ، وهل أغنت عنا شيئاً ! قال : اصدقني ما الذي جئتَ له ؟ قال : ما جئتُ إلا لذلك . قال : بلى ، قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحِجْر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت : لولا دَينٌ عليَّ وعِيالٌ لي لخرجت حتى أقتل محمداً ، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك على أن تقتلني له ، والله حائلٌ بينك وبين ذلك . قال عمير : أشهد أنك رسولُ الله ، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما تأتي به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق . ثم تشهد شهادة الحق . فقال رسول الله ﷺ : فقِّهوا أخاكم في دينه ، وأقرئوه القرآن ، وأطلقوا له أسيرَه ، ففعلوا ذلك . ثم قال : يا رسول الله ! إني كنتُ جاهداً على إطفاء نور الله ، شديدَ الأذى لمن كان على دين الله ، فأنا أحبُّ أن تأذنَ لي ، فأقدمَ مكة فأدعوهم إلى الله وإلى الإسلام ، لعلَّ الله يهديهم وإلا آذيتُهم في دينهم كما كنتُ أؤذي أصحابَك في دينهم . قال : فأذن له رسولُ الله ﷺ ، فلحق بمكة ، قال : وكان صفوان حين خرج عُمير يقول : أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام تُنسيكم وقعة بدر . وكان صفوان يسأل عنه الركبان ، حتى قدمَ راكبٌ فأخبرَه عن إسلامه ، فحلف أن لا يكلمه أبداً وأن لا ينفعه بنفع أبداً(١) .

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٦١/١ ـ ٦٦٣ .

ذكر فوائد تتعلق بهذه الأخبار

● بدرُ بن قريش بن يخلد بن النضر حفر هذه البئر فنُسبت إليه .

● والتحسُّس ـ بالحاء ـ أن تتسمعَ الأخبار بنفسك ـ وبالجيم ـ أن تفحص عنها بغيرك .

● واللطيمة : العير تحمل الطيب والبَزَّ .

● وضيعة الرجل : حرفته وصناعته .

● والمِقْنب زهاء ثلاثمائة من الخيل .

● وقوله : لاط له بأربعة آلاف درهم ، أي أربى له ، ومنه الحديث « وما كان من دين لا رهن فيه فهو لياط » وأصل هذه اللفظة من اللصوق .

● وتُعوّر ما وراءَه من القُلُب : قيد بالعين المهملة وبالغين المعجمة وتشديد الواو ، والسُّهيلي يقول بضم العين المهملة وسكون الواو ، قال : وجاء على لغة من يقول : قُولَ القولُ وبُوعَ المتاعُ .

● وحقبت الحرب : اشتدت .

● ومستنتِلّ : متقدم أمام الصف .

● والعريش : ما يُستظلّ به .

● وأطنَّ قدمَه : أسرعَ قطعها فطنَّت ، أي طارت .

● والمَسَكة : السوار من الذَّبْل ، وهو جلد السلحفاة .

● وأخلفَ الرجل سيفَه : مَدَّه لحاجته .

● اقْدُم حيزوم : بضم الدال ، أي أقدم الخيل ، وحيزوم اسم فرس جبريل ، وقيل في تقييدها غير ذلك .

● ومرضخة النوى : بالحاء المهملة وبالمعجمة ، وقيل : الرضح بالمهملة : كسر اليابس ، وبالمعجمة : كسر الرَّطْب .

● وضبثَ الشيءَ : قبض عليه بيده ، وضبثه : ضربه .

● وجُهيم بن الصلت : أسلم عام خيبر ، ووقع في الرواية : ابن أبي الصلت .

● ومعوِّذ بن عفراء ، بكسر الواو ، وكان الوقشيُّ يأبى إلا الفتح .

● والمُجذَّر عبد الله بن ذِياد ، قال أبو عمر : ويقال ذَياد ، والكسر أكثر .

● وأبو أُسيد مالك بن ربيعة : قال عياض : قال فيه عبد الرزاق ووكيع : بضم الهمزة . وقال ابن مهدي : بفتحها ، قال أحمد بن حنبل : والصواب الأول .

● وأبو داود المازني : اسمه عمرو ، وقيل عمير بن عامر ، وكان الجَيَّاني يقول : أبو دُؤادٍ .

● وذكر عياض أن ابن مسعود إنما وضع رجله على عنق أبي جهل لتصدقَ رؤياه ، قال ابن قتيبة : ذُكر أن أبا جهل قال لابن مسعود : لأقتلنك . فقال : والله ، لقد رأيت في النوم أني أخذت حدجةَ حنظلٍ فوضعتها بين كتفيك ، ورأيتني أضربُ كتفيك بنعلي ، ولئن صدقتْ رؤياي لأطأنَّ على رقبتك ولأذبحنَّك ذبح الشاة . الحدجة : الحنظلة الشديدة .

فلما انقضى أمرُ بدر أنزل الله فيه سورة الأنفال بأسرها[1] .

* * *

(١) يعني أن نزول القرآن في موقعة بدر حصل بعد الفراغ منها ، انظر السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٦٦/١ .

ذكر تسمية من شهد بدراً من المسلمين

(أولاً : من شهدها من المهاجرين)

● من بني هاشم بن عبد مناف : محمد رسول الله ﷺ ، وحمزة بن عبد المطلب ، وعليّ بن أبي طالب .

ومن مواليهم : زيد بن حارثة ، وأَنَسَة ، وأبو كبشة .

ومن حلفائهم : أبو مرثد حليف حمزة ، وابنه مرثد = ثمانية .

● ومن بني المطلب بن عبد مناف : عُبيدة بن الحارث بن المطلب ، وأخواه : الطفيل والحصين ، ومسطح بن أُثاثة = أربعة .

● ومن بني عبد شمس بن عبد مناف : عثمان بن عفان – خلَّفه عليه الصلاة والسلام على ابنته رقيّة ، وضَرَبَ له بسهمه وأجره ، فهو معدود فيهم – وأبو حذيفة بن عُتْبة بن ربيعة ، وسالم مولاه ، وصَبيح مولى أبي العاص بن أمية ، وقيل : رجع لمرض أصابه ، ثم شهد ما بعد بدر .

ومن حلفائهم : عبد الله بن جحش ، وعُكَّاشة بن مِحْصن ، وأخوه أبو سنان وابنه سنان بن أبي سنان ، وشُجاع وعُقبة ابنا وهب ، ويزيد بن رُقيش بن رئاب بن يعمر بن صبُرة بن مرة بن كبير بن غَنْم بن دودان بن أسد بن خزيمة ، ومُحْرزِ بن نضلة ، وربيعة ابن أكثم[1] .

ومن حلفاء بني كبير بن غنم بن دُودان : ثَقِفُ بن عمرو ، وأخواه مالك ومدلج ، ويقال : مدلاج ، وأبو مخشيّ سُويد بن مخشي الطائيّ حليفٌ لهم = سبعة عشر .

● ومن بني نوفل بن عبد مناف : عُتْبة بن غَزْوان ، وخبَّاب مولاه = رجلان .

● ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي : الزبير بن العوام ، وحاطب بن أبي

(١) كل هؤلاء الحلفاء لبني عبد شمس هم من بني أسد بن خزيمة . انظر السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٧٩/١ .

بلتعة[1] : عمرو بن راشد بن معاذ اللخمي مولى الزبير ، وسعد مولى حاطب = ثلاثة .

● ومن بني عبد الدار بن قصي : مصعب بن عُمير ، وسُويبط = رجلان .

● ومن بني زُهرة : عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وأخوه عمير .

ومن حلفائهم : المقداد بن عمرو ، وعبد الله بن مسعود ، ومسعود بن ربيعة ، وذو الشمالين عمير بن عبد عمرو بن نضلة بن غُبشان بن سليم بن مَلْكان بن أفْصى بن حارثة ابن عمرو بن عامر بن خزاعة ، وخبَّاب بن الأرَتّ بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب ابن سعد بن زيد مناة مِن تميم — لحقه سباءٌ في الجاهلية — فاشترته امرأة من خزاعة وأعتقته ، وكانت من حلفاء بني زهرة = ثمانية .

● ومن بني تيم بن مرة : أبو بكر الصِّديق ، ومولياه : بلال وعامر بن فُهيرة ، وصهيب بن سنان ، وطلحة بن عبيد الله « س » — وكان بالشام ، فضربَ له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره = خمسة .

● ومن بني مخزوم : أبو سلمة بن عبد الأسد « س » ، وشمَّاس بن عثمان « س » ، والأرقم بن أبي الأرقم « س » ، وعمار بن ياسر — مولاهم — « س » ومُعَتِّب بن عوف السَّلُولي — حليف لهم — « س » = خمسة .

● ومن بني عدي بن كعب : عمر بن الخطاب « س » ، وأخوه زيد ، ومِهْجع مولاه ، وعمرو بن سُراقة « هب » ، وأخوه عبد الله « هب » ، وواقد بن عبد الله « هب » ، وخَوْليٌّ ومالك ابنا أبي خَوْلي « هب » ، وعامر بن ربيعة « س » . وعامر « س » ، وخالد « س » ، وإياس ، وعاقل : بنو البُكير ، وسعيدُ بن زيد بن عمرو بن نفيل « س » ، قدم من الشام بعدما قدم رسولُ الله ﷺ من بدر ، فكلَّمه فضربَ له بسهمه وأجره = أربعة عشر .

● ومن بني جُمحَ بن عمرو : عثمان بن مظعون « س » ، وأخواه : قدامة وعبد الله ، وابنه السائب بن عثمان ، ومَعْمر بن الحارث « س » = خمسة .

---

(١) قال ابن هشام : واسم أبي بلتعة عمرو ، لخميٌّ ، وسعد مولى حاطب كلبي .

● ومن بني سهم : خُنَيْس بن حُذافة « س » = رجلٌ واحد .

● ومن بني عامر بن لؤي : أبو سَبْرةَ بن أبي رُهْم « ها » ، وعبدُ الله بن مَخْرمة « ها » ، وعبد الله بن سُهيل بن عمرو « ها » ، وعمير بن عوف مولى سُهيل بن عمرو ، وسعد بن خولة حليفٌ لهم « ها » = خمسة .

● ومن بني الحارث بن فهر : أبو عُبيدة بن الجراح « س » ، وعمرو بن الحارث « ها » ، وسهيل بن وهب « ها » ، وأخوه صفوان ابنا بيضاء ، وعمرو بن أبي سَرْح « ها » = خمسة .

وذكر أبو عمر[1] فيهم وهب بن أبي سرح ، أخا عمرو المذكور ، وحكاه عن موسى ابن عقبة ، ولم نره في مغازيه ، ويُشبه أن يكون وَهَماً . وقد ذكر ابن[2] هشام عن غير ابن إسحاق في بني عامر بن لؤي ، وهب بن سعد بن أبي سَرْح ، وهو ابن الحارث بن حَبِيب – ويقال حُبيّب بتشديد الياء – بن خزيمة بن مالك بن حِسْل بن عامر فيمن شهدَ بدراً وهو عند ابن عقبة .

وذكر ابن عقبة فيهم : عياض بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن أهيب ابن ضبة بن الحارث بن فهر « ها » ، وبعضهم يقول : هلال بن مالك بن ضبة ، وذكره فيهم أيضاً خليفة بن خياط ، والواقدي ، وحكاه أبو عمر[3] عن ابن إسحاق من رواية إبراهيم بن سعد عنه .

وحاطب بن عمرو العامري « س » ذكره ابن[2] هشام ، وحكاه أبو عمر[3] عن موسى ابن عقبة ، ولم نجده في مغازيه .

وممن ذكره أبو عمر فيهم : خُريم بن فاتك الأسدي ، وهو خُريم بن الأخرم بن شدَّاد ابن عمرو بن الفاتك بن القليب بن عمرو بن أسد بن خزيمة ، وأخوه سبرة . قال أبو عمر : وقد قيل إن خريماً هذا وابنه أيمن بن خُريم أسلما جميعاً يوم فتح مكة ، والأول أصح .

---

(1) الاستيعاب ٣/٧٢٦ .

(2) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٦٨٥ .

(3) الاستيعاب ٣/١٢٧ .

وقد صحَّحَ البخاري وغيره أن خُرَيْماً[1] وأخاه سبرة شهدا بدراً ، وهو الصحيح إن شاء الله .

وطُليب بن عُمير « ها » ، قاله الزبير والواقدي ، وروي عن ابن إسحاق من غير طريق البكائي .

وممن ذُكر فيهم : كُثير بن عمرو السلمي حليف بني أسد ، ذكره ابن السراج في روايته عن عمر بن محمد بن الحسن الأسدي عن أبيه ، عن زياد عن ابن إسحاق ، وذكر أخويه مالك بن عمرو وثَقِف بن عمرو ، وقد تقدم ذكرهما . قال أبو عمر : لم أر كُثيراً في غير هذه الرواية ، ولعله أن يكون ثَقِف له لقباً واسمه كُثير[2] .

ويزيد بن الأخنس السلمي « س » ، وابنه معن بن يزيد ، وأبوه الأخنس ، ولا يُعرف فيمن شهد بدراً ثلاثة أب وجد وابن إلا هؤلاء ، وأكثرُ أهل العلم بالسِّير لا يُصحح شهودَهم بدراً .

● فهؤلاء أربعة وتسعون .

وقد روينا عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن الزبير ، قال : ضُرِبَ يوم بدر للمهاجرين بمائة سهم .

(ثانياً : من شهدها من الأنصار)

وشهدها من الأنصار ، ثم من الأوس ، ثم :

● من بني عبد الأشهل : سعد بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل ، وأخوه عمرو ، والحارث بن أوس بن معاذ ، والحارث بن أنس بن رافع بن امرىء القيس ، وأخوه شريك ، وابنه عبد الله ، ويزيد بن السَّكن بن رافع بن امرىء القيس ، وابنه عامر ، وأخوه زياد بن السكن ـ عند ابن الكلبي وحده ـ وابنه عُمارة بن زياد ، وسعد بن زيد « عج » ، وسَلمة بن سلامة بن وَقْش ، وعبَّاد بن بِشر بن وَقْش « عج » ، وسلمة

---

(١) الاستيعاب ١/٤٢٥ ـ ٤٢٦ .

(٢) الاستيعاب ٣/٣١٧ .

ابن ثابت بن وَقْش ، ورافع بن يزيد بن كُرز بن سكن بن زَعُورا ، وإياس بن أوس بن عَتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر بن زَعُورا بن جُشم أخي عبد الأشهل من ساكني راتج[١] ، وأخوه الحارث بن أوس عند ابن عُقبة — ومن الناس من يقول في عتيك عبيد — وأبو الهيثم بن التَّيِّهان « عب » ، وأخوه عُبيد — ويُقال عَتيك — والحارث بن خرمة بن عدي بن أبي بن غَنْم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، حليف لهم ، ومحمد بن مسلمة بن خلف بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث (حليف لهم)[٢] . من بني حارثة ، وسلمة بن أسلم بن حَريش بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث (حليف لهم)[٢] ، وعبد الله بن سهل بن زيد بن كعب بن عامر بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث (حليف لهم)[٢] = ثلاثة وعشرون .

● ومن بني ظَفَر : وهو كعب بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سَواد بن كعب ، وعُبيد بن أوس بن مالك بن سَواد ، ونضر ابن الحارث بن عُبيد بن رَزاح بن كعب ، ومُعتِّب بن عُبيد عمه . ومن حلفائهم عبد الله بن طارق البَلَوي = خمسة .

● ومن بني حارثة بن الحارث بن الخزرج : مسعود بن عبد سعد بن عامر بن عدي ابن جُشم بن مَجدعة بن حارثة ، وأبو عبس عبد الرحمن بن جَبر بن عمرو بن زيد بن جُشم . ومن حلفائهم من بَلي : أبو بُردة هانىء بن نيار بن عمرو بن عُبيد بن كلاب بن دهمان بن غنم بن ذُبيان بن هُميم بن كاهل بن ذُهْل بن هُني أخي فَرَّان ابني بليّ أخي بهراء ابني عمرو بن الحاف بن قضاعة = ثلاثة .

● ومن بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، ثم من بني ضُبيعة بن زيد بن مالك ابن عوف بن عمرو بن عوف : عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح قيس بن عِصْمة بن مالك ابن أمية بن ضُبيعة ، ومعتب بن قُشير بن مُليل بن زيد بن العَطَّاف بن ضُبيعة ، وأبو مُليل ابن الأزعر بن زيد بن العَطَّاف بن ضُبيعة ، وعُمير بن معبد بن الأزعر بن زيد بن العَطَّاف ابن ضُبيعة = أربعة .

---

(١) « راتج » : أحد آطام المدينة (حصونها) سميت الناحية به .

(٢) من السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٨٦/١ .

● ومن بني أمية بن زيد بن مالك : مُبشِّر بن عبد المنذر بن زَنْبَر بن زيد بن أمية ، ورِفاعة بن عبد المنذرِ بن زنبر ، وسعد بن عُبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد ابن أمية ، وعُوَيْم بن ساعدة « عب » ، ورافع بن عُنْجُدة — وهي أمه ، وأبوه عبد الحارث — حليف لهم من بَلي ، وعُبيد بن أبي عبيد ، وثعلبة بن حاطب ، وزعموا أن أبا لبابة بن عبد المنذر والحارث بن حاطب بن عمر بن عبيد بن أمية بن زيد خرجا مع رسول الله ﷺ فرَجَعهما رسولُ الله ﷺ ، وأمَّر أبا لبابة على المدينة ، فضربَ لهما بسهمين مع أصحاب بدر = تسعة نفر .

● ومن بني عُبيد بن زيد بن مالك : أُنيس ، وخِداش : ابنا قتادة بن ربيعة بن مَطروف بن الحارث بن زيد بن عُبيد ، واسم مطروف خالد . ومن حلفائهم من بلي : معن بن عدي بن الجد بن العجلان بن ضُبيعة ، وأخوه عاصم ، ضرب له بسهمه في بدر ، وثابت بن أقرم — ويقال أقران — بن ثعلبة بن عدي بن الجد بن العجلان ، وعبد الله بن سلمة بن مالك بن الحارث بن عدي بن الجد بن العجلان ، وزيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدي المذكور . ورِبْعي بن رافع بن الحارث بن زيد بن حارثة بن الجد بن العجلان = ثمانية نفر .

● ومن بني معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف : جبر بن عَتيك بن قيس ابن هَيْشة بن الحارث بن أمية بن معاوية ، وعمه الحارث بن قيس . ومن حلفائهم : مالك ابن نُميلة بن مُزينة — ونُميلة أمه — وهو مالك بن ثابت ، والنعمان بن عَصَر بن عُبيد ابن واثلة بن حارثة بن ضبيعة بن حَرَام بن جُعيل بن عمرو بن جُشيم بن وَدْم بن ذُبيان ابن هُميم بن كاهل بن ذُهْل بن هني بن بلي — وعَصَر بفتحتين ، عند ابن الكلبي ، ومكسور العين ساكن الصاد عند ابن إسحاق والواقدي وأبي مَعْشر وابن عقبة ، قاله الدمياطي — = أربعة .

● ومن بني حَنَش بن عوف بن عمرو بن عوف : سهل بن حُنيف بن واهب بن العُكَيْم بن ثعلبة بن الحارث بن مجدعة بن عمرو بن حَنَش = رجل .

● ومن بني كُلفة بن عوف بن عمرو بن عوف : المنذر بن محمد بن عُقبة بن أُحيحة ابن الجُلَاح ابن الحُرَيش بن جَحْجَبا بن كُلفة . ومن حلفائهم : أبو عقيل عبدُ الرحمن

ابن عبد الله بن ثعلبة بنَ بَيْحان بن عامر بن الحارث بن مالك بن عامر بن أُنَيْف بن جُشم ابن عائذ الله بن تميم بن عوف بن مَناة بن ناج بن تيم بن أراش بن عامر بن عَبيلة بن قِسْميل ابن فَرَّان بن بلّي = رجلان .

● ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف : عبد الله بن جُبير بن النعمان بن أمية بن البُرَك ، وهو امرؤ القيس بن ثعلبة ، وأخوه خَوَّات بن جُبير ، قيل : خرج إلى بدر فكُسر بالروحاء ، فردَّه رسولُ الله ﷺ وضرب له بسهمه وأجره ، وعمُّهما الحارث بن النعمان ، وأبو ضَيَّاح النعمان بن ثابت بن النعمان بن أمية ، والنعمان والحارث ابنا أبي خَزمة بن النعمان بن أمية بن البُرَك ، وأبو حَبَّة – بالباء – بن ثابت أخو أبي ضَيَّاح – عند ابن القَدَّاح – وأبو حنة – بالنون – بن مالك بن عمرو بن ثابت بن كُلْفة بن ثعلبة ، وسالم ابن عُمير بن ثابت بن كُلْفة بن ثعلبة ، وعاصم بن قيس بن ثابت بن كُلْفة بن ثعلبة = عشرة .

● ومن بني غنم بن السَّلم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس : سعد بن خيثمة ، والمنذر ، ومالك : ابنا قدامة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النَّحَاط ، والحارث بن عَرْفجة بن الحارث بن مالك ، ذكره ابنُ عقبة والواقدي وغيرُهما ، وتميم مولى بني غَنْم ابن السَّلَم = خمسة .

فجملة من ذكرنا من الأوس أربعة وسبعون .

وشهدها من الأنصار ، ثم من الخزرج ، ثم :

● من بني مَغَالة : وهم بنو عدي بن عمرو بن مالك بن النجار : أبو شيخ أُبيّ بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي ، وأخوه أوس ، وأبو طلحة زيدُ ابن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي المذكور = ثلاثة .

● ومن بني حُدَيْلة – وهي بنت مالك بن زيد مناة بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشم بن الخزرج ، وهي أم معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار – : أنس بن معاذ بن أنس بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك ابن النجار ، وأبيّ بن كعب « عج » ، وأبو حبيب بن زيد بن الحُباب بن أنس بن زيد بن عُبيد بن زيد بن معاوية – قاله ابن الكلبي – = ثلاثة .

● ومن بني غَنْم بن مالك بن النجار : أبو أيوب خالد بن زيد « عج » ، وعمارة ابن حزم « عج » ، وثابت بن خالد بن النعمان بن خنساء بن عُشيرة ـ وقال ابن هشام : عُسَيرة بن عبد بن عوف بن غنم[1] ـ ، وسراقة بن كعب بن عمرو بن عبد العزى ابن غزية بن عمرو بن عبد بن عوف بن غنم : ومنهم من أسقط بعد كعب عمراً = أربعة .

● ومن بني ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار : سُلَيم بن قيس بن قهد ـ واسمه خالد ابن قيس بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم ، وحارثة بن النعمان بن نَقْع بن زيد بن عبيد ابن ثعلبة بن غنم ، وسُهيل وأخوه سهل ابنا رافع بن أبي عمرو بن عائذ بن ثعلبة بن غنم ، ومسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم ، وأخوه أبو خُزيمة بن أوس ، ورافع بن الحارث بن سَواد بن زيد بن ثعلبة بن غنم ـ كذا عند الواقدي سواد ، وعند ابن عُمارة : الأسود ـ = سبعة .

● ومن بني سَواد بن غنم بن مالك بن النجار ـ كذا عند ابن الكلبي ، وابنُ سعد يقول : سواد بن مالك بن غنم بن مالك ـ : معاذ « عب » ومُعَوِّذ وعوف « ها » بنو الحارث بن رفاعة ، وأمهم عفراء بنت عُبيد ـ وهم ثلاثة عند أبي معشر والواقدي وابن القَدَّاح ، وكان ابن إسحاق يزيد فيهم رابعاً يُسمِّيه : رفاعة ، شهد عنده بدراً ، وأنكره الواقدي.والنُّعيمان بن عمرو « عج » ، وعامرُ بن مُخَلَّد بن الحارث بن سَواد ، وعبد الله ابن قيس بن خَلْدَة بن الحارث بن سواد ، وعمرو بن قيس بن زيد بن سَواد ـ مذكورٌ في البدريين عند أبي معشر وابن القدَّاح والواقدي ـ وقيس ابنه عندهم أيضاً ـ ولم يذكرهما في البدريين ابن عقبة ولا ابن إسحاق ـ وثابت بن عمرو بن زيد بن عدي بن سَواد = عشرة .

● ومن بني مَبذول ـ وهو عامر بن مالك بن النجار ـ : ثعلبة بن عمرو بن محصن ابن عمرو بن عَتيك بن عمرو بن عامر ، والحارث بن الصِّمة بن عمرو بن عتيك ـ خرج إلى بدر فكُسر بالروحاء ، فردَّه رسول الله ﷺ ، وضربَ له بسهمه وأجره ـ وسهل بن عَتيك « عج » وعامر بن سعد بن عمرو بن ثقف ـ واسمه كعب بن مالك ابن مَبذول ، ذكره ابن عُمارة ، قال ابن سعد : ولم يذكره غيرُه .

(١) في السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٧٠١ قال ابن هشام : ويُقال : عُسيرة وعُشيرة . وقوله : « ابن عبد ابن عوف بن غنم » هو من كلام ابن إسحاق .

ومن حلفائهم : عدي بن أبي الزَّغْبَاء سِنان بن سُبيع بن ثَعلبة بن ربيعة بن زُهرة بن بُديل بن سعد بن عدي بن نَصر بن كاهل بن مالك بن غَطَفان بن قيس بن جُهينة حليف بني عائذ بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، ووديعة بن عمرو بن جَرَاد بن يَربوع ابن طُحيل بن عمرو بن غَنْم بن الربعة بن رشدان بن قيس بن جُهينة حليف بني سَواد ابن غنم بن مالك بن النجار ، وأبو مَعشر ـ يُسميه رفاعة بن عمرو ـ وعُصَيْمة حليف لهم من أشجع و لم يذكره ابن عقبة وذكره غيره ـ كذا قاله ابن سعد ـ والذي في السيرة[1] : أن عُصيمة من بني أسد بن خزيمة ، وأنه حليف بني مازن بن النجار ، وكذا ذكره ابن سعد في بني مازن ـ = سبعة .

● ومن بني عديّ بن النجار ، ثم من بني عدي بن مالك بن عديّ بن النجار : حارثة بن سُراقة بن الحارث بن عدي ، وهو أول قتيل بعد مِهْجع ، وعمرو بن ثعلبة بن وهب بن عدي ، ومُحرز بن مالك بن عامر بن عدي ، وسَلِيْط بن قيس بن عمرو بن عُبيد بن مالك بن عدي ، وأبو سَلِيط أُسيرة ابن أبي خارجة عمرو بن قيس بن مالك بن عدي ، وذكر ابنُ الكلبي أن أباه أبا خارجة شهد بدراً ، وفيه نظر . وعامرُ بن أمية بن زيد بن الحَسْحَاس بن مالك بن عديّ ، وأبو صِرْمة قيس بن أبي قيس صِرْمة بن أبي أنس قيس ابن صرمة بن مالك بن عدي . قال أبو عمر : لم يُختلف في شهوده بدراً ، ولم يذكره فيهم ابن عُقبة ، ولا ابن إسحاق ، ولا ابن سعد ، وهذا عجيب من أبي عمر رحمه الله = ثمانية .

● ومن بني حَرَام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار : أبو الأعور الحارث بن ظالم بن عَبْس بن حَرَام ، وحرام وسُليم ابنا مِلْحان بن خالد بن زيد بن حَرام ، أمهما مُليكة بنت مالك بن عدي بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار .

ومن حلفاء بني عدي بن النجار : سواد بن غَزيّة بن وهب من بليّ ، وهو الذي قال له النبيُّ ﷺ : استقد مني . وهو الذي أسرَ خالداً والعاصي والحارث إخوة أبي جهل ابن هشام = أربعة[2] .

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٧٠٥ .

(٢) سواد بن غزيّة هذا ـ رضي الله عنه ـ حليف لبني حرام ولبني عدي بن مالك المذكورين قبلهم ؛

● ومن بني عمرو بن عوف بن مَبذول بن عمرو بن غَنْم بن مازن : عبد الله بن كعب بن عمرو = واحد .

● ومن بني خنساء بن مبذول المذكور : وأبو داود عمير بن عامر بن مالك بن خنساء ، وسراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء = اثنان .

● ومن بني ثعلبة بن مازن بن النجار : قيس بن مُخَلَّد بن ثعلبة بن صخر بن حبيب ابن الحارث بن ثعلبة ، وأبو حسن المازني تميم بن عبد عمرو بن قيس بن مُحرِّث بن الحارث ابن ثعلبة – قال أبو عمر : شهد بدراً . وقال شيخنا الحافظ أبو محمد الدمياطي : وهذا غير ثابت . وكذا هو عند ابن سعد ، معدودٌ في الطبقة الثالثة ممن شهد الخندق وما بعدها – = اثنان .

● ومن بني دينار بن النجار : سُليم بن الحارث بن ثعلبة بن كعب بن عبد الأشهل ابن حارثة بن دينار ، والنعمان والضَّحاك ابنا عبد عمرو ، وكعب بن زيد بن قيس بن مالك بن كعب بن عبد الأشهل ، وسعيد بن سهل بن مالك بن كعب بن عبد الأشهل – وابن إسحاق وأبو معشر يقولان في سهل : سهيل – وبُجير بن أبي بُجير – حليف لهم من بلي أو جهينة – = ستة .

● ومن بني الحارث بن الخزرج ، ثم من بني مالك الأغرّ بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج : عبدُ الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس الأصغر بن عمرو بن امرىء القيس الأكبر بن مالك الأغر – قال ابن سعد : ليس له عقب ، وليس كذلك – وسعدُ بن الربيع « ق » ، وخارجة بن زيد « عج » ، وخلَّاد بن سُويد « عج » ، وبشير بن سعد « عج » ، وسِماك بن سعد أخوه = ستة .

● ومن بني حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج : يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر بن حارثة = واحد .

● ومن بني عديّ بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرَج : خُبيب بن يَساف ،

= لأنهم جميعاً يرجع نسبهم لبني عدي بن النجار ، كما ذكر المؤلف رحمه الله . فمجموع بني عدي بن النجار مع حليفهم سواد اثنا عشر رجلاً .

ويقال : إساف بن عِنبة بن عمرو بن خديج بن عامر بن جُشم . وعن خُبيب بن عبد الرحمن أن جده خُبيباً هذا ضُربَ يوم بدر فمال شِقُّه ، فتفلَ عليه رسولُ الله ﷺ ولأمَه وردَّه فانطلق[1] . = واحد .

● ومن بني زيد مناة ـ وبعضهم يُسقط مناة ـ بن الحارث بن الخزرج : عبد الله ابن زيد بن عبد ربه صاحب الأذان « عج » ، وأخوه حُريث ، وسفيان بن نسر ـ ويقال : بشر ـ بن عمرو بن الحارث بن كعب بن زيد مناة = ثلاثة .

● ومن بني عوف بن الحارث بن الخزرج ، ثم من بني جُدارة بن عوف : تميم بن يُعَار بن قيس بن عدي بن أمية بن جُدارة ، وابن عمه زيد بن المُزَيْن بن قيس بن عديّ ، وعبد الله بن عُمير بن حارثة بن ثعلبة بن خِلاس بن أمية بن جُدارة ـ ولم يذكره ابنُ عمارة في البدريين وذكره غيرُه ـ وعبد الله بن عُرْفُطة بن عدي بن أمية بن جُدارة ـ وكذا نسبه ابنُ إسحاق ، وابن سعد يقول : عبد الله بن عُرْفطة ـ حليفٌ لهم ، وعقبة بن عمرو أبو مسعود البدري « عج » ـ عدَّه البخاريُّ في البدريين ، والمشهورُ أنه لم يشهدْ بدراً وإنما هو منسوبٌ إلى الماء ـ = خمسة .

● ومن بني الأبجر خُدْرةُ بن عوف : عبد الله بن الربيع « عج » = واحد .

● ومن بني طَريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج : سعد بن عبادة « ق » ، ـ وقع في صحيح مسلم ولم يصحّ شهوده بدراً ـ وعبدُ ربِّه بن حق بن أوس ابن عامر بن ثعلبة بن وَقْش بن ثعلبة بن طريف = اثنان .

● ومن بني ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة : المنذر بن عمرو « ق » ، وأبو دُجانة سِماك ابن خَرَشة بن لَوْذان بن عبد ودّ بن زيد بن ثعلبة ـ وابن الكلبي ـ يقول : سماك ابن أوس بن خَرَشة = اثنان .

● ومن بني عمرو بن الخزرج بن ساعدة : أبو أُسيد مالك بن ربيعة بن البَدَن ـ وبعضهم يقول البديّ ـ بن عامر ـ وقيل : عمرو بن عوف بن حارثة بن عمرو ، وقيل : البَدَن هو عامر ، أو عمرو بن عوف ـ وابن عمه مالك بن مسعود بن البَدَن ،

---

(١) الإصابة ٤١٨/١ ، وهو عند الإمام أحمد في المسند ، والواقدي ١٦٦/١ ، والسيرة الشامية ١٤٩/٤ .

وسعد بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو ، تجهز لبدر فماتَ فضربَ له رسولُ الله ﷺ بسهمه وأجره .

ومن حلفائهم : بَسْبَسُ بن عمرو بن ثعلبة بن خَرَشة بن عمرو بن سعد بن ذُبيان ابن رشدان بن قيس بن جُهينة ، وأخواه : زياد وضَمرة ، وبعضهم يقول في ضمرة : ابن أخي زياد ، وعند ابن سعد : زياد بن كعب بن عمرو بن عدي بن عامر بن رفاعة ابن كُليب بن مُودَعة بن عديّ بن غَنْم بن الربعة بن رَشدان بن قيس بن جُهينة ، وعبدُ الله بن عامر البلوي ، وكعب بن جمّاز ، - وبعضُهم يقول جمان ، وعند الزمخشري حمَّاز - بن مالك بن ثعلبة بن خَرَشة ، وبعضهم يُسقط من نسبه مالكاً = ثمانية .

● ومن بني الحُبْلى : أوس بن خَوْلي بن عبد الله بن الحارث بن عُبيد بن مالك بن سالم الحُبلى ، وزيد بن وَديعة بن عمرو بن قيس بن جَزء بن عدي بن مالك بن سالم ، ورفاعة بن عمرو « عج » ، وابنه مالك « عج » ، - ذكره الأموي فيمن شهد العقبة وبدراً - ومَعْبَد بن عَبّاد بن قشعر - ويقال قُشَيْر - ابن الفَدْم بن سالم بن مالك بن سالم .

ومن حلفائهم : عقبة بن وهب « عج » ، وعامر بن سلمة بن عامر ، وعاصم بن العُكَيْر من مزينة = ثمانية .

● ومن بني غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج - وهو قوقل - : عبادة ابن الصامت « عب » ، والنعمان الأعرج بن مالك بن ثعلبة بن أصرم بن فهر بن ثعلبة ابن غنم ، والنعمان بن مالك بن ثعلبة بن دَعد بن فِهر بن ثعلبة بن غَنْم ، ومالك بن الدُّخْشُم « عج » ، والحارث بن خَزْمة بن عدي بن أُبيّ بن غَنْم - حليف لبني عبد الأشهل من الأوس - ونوفل بن عبد الله بن نَضْلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غَنْم بن سالم ، وعِتْبان ابن مالك بن عمرو بن العجلان ، ومُلَيْل بن وَبْرة بن خالد بن العجلان ، وابن أخيه : عصمة بن الحصين بن وَبْرة عند ابن القداح والواقدي - وهُبَيْل أخوه - ذكره إبراهيم ابن المنذر ، قال : حدثني عبدُ الله بن محمد بن يحيى بن عروة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، فيمن شهد بدراً ، حكاه أبو عمر ، وفيه نظر - وثابت بن هَزّال بن عمرو بن

قَريوش بن غَنْم بن أمية بن لَوْذان بن سالم ، والربيع ووذْفة[1] ابنا إياس بن عمرو بن غنم ابن أمية .

ومن حلفائهم المجذر بن ذياد بن عمرو بن زُمْزُمة بن عمرو بن عمارة بن مالك بن غُصَيْنة بن عمرو بن بُثيرة بن مشنوء بن القَشْر بن تَيْم بن عَوذ مناة بن ناج بن تيم بن إراشة ابن عامر بن عُميلة بن قسميل بن فَرَان بن بليّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة ــ وعند ابن إسحاق : مشنوء بن قَسْر بن تيم بن إراش بن عامر ، بإسقاط ما زاد على ذلك ــ البلوي ، وعبدةُ بن الحَسْحَاس ــ عند الواقدي مهملة الحاء والسين ، ومعجمتهما عند ابن إسحاق ــ وقيل : عُبادة ،وبَحَّاث بن ثعلبة بن خَزْمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة ــ بالباء الموحدة وآخرها ثاء مثلثة عند ابن الكلبي ، وعند ابن إسحاق بالنون وآخرها باء موحدة ــ وأخوه عبد الله بن ثعلبة ، وعتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية من بني بَهراء أخي بليّ ابني عمرو بن الحاف بن قضاعة ــ وابن هشام وابن القدَّاح يقولان : من بني بهز ، لابهراء ، قال أبو عمر : وقد اختُلف في شهوده بدراً ــ وعمرو ابن إياس بن زيد بن جُشم من أهل اليمن من غسان = تسعة عشر .

● ومن بني سلِمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جُشم ، ثم من بني حرام بن كعب بن غنم بن سلِمة : عبدُ الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن عمرو ابن حَرام ، أبو جابر ، وقد ذُكر فيهم ابنه جابر ــ قال الواقدي : غَلِط من عدَّه في البدريين من أهل العراق ، لم يذكره ابنُ عقبة ولا ابن إسحاق ولا أبو مَعْشر ــ وعمرو ابن الجَمُوح « عج » ، وأولادُه مُعوِّذ وخَلَّاد ومُعاذ . وخِراش بن الصِّمَّة بن عمرو ابن الجَموح بن زيد بن حرام ، وأخوه مُعاذ بن الصِّمَّة ــ وقال محمد بن عمر : ليس بمثبت ولا مجمع عليه ــ وعُمير بن حرام بن عمرو بن الجموح ــ شهد بدراً عند الواقدي وابن عُمارة ، ولم يذكره ابن عقبة ولا ابن إسحاق ولا أبو معشر ــ وعُمير بن الحمام ابن الجموح ، والحُباب بن المنذر بن الجموح ، وعُقبة بن عامر بن نابي « عا » ، وعمير ابن عامر أخوه ــ شهد بدراً وغيرها عند ابن الكلبي ، وقال الدمياطي : ولم أرَ من تابع

(١) في السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١/٦٩٥ : « ورقة » .

ابن الكلبي على ذكره في الصحابة ـ وثابت بن ثعلبة ـ وهو ابـن الجِذْع ـ وعمـرو « عج » ـ وقيل عمير ـ بن الحارث .

ومن مواليهم : تميم مولى خِراش بن الصِّمَّة ، وحبيب بن الأسود = سبعة عشر .

● ومن بني سِنان بن كعب بن غنم بن كعب بن سلِمة : عمرو بن طَلْق بن زيد ابن أمية بنِ سنان ـ و لم يذكره ابن عقبة = واحد .

● ومن بني عُبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلِمة : البراءُ بن مَعرور « ق » ، وابنه بشر ، وعبدُ الله بن الجَدّ بن قيس بن صخر بن خنساء بن سِنان بن عُبيد ، وعُتبة ابن عبد الله بن صخر بن خنساء بن سنان ، وسنان بن صَيْفي « عج » ، والطفيل بن مالك « عج » ، والطفيل بن النعمان بن خنساء ـ قال ابن سعد : ولا أحسبُـه إلا وَهَلاً ـ وجَبَّار بن صخر « عج » ، ويزيد بن حَرَام ، ومسعود بن زيد = عشرة .

● ومن بني خُنَاس بن سنان بن عبيد : يزيد بن المنذر « عـج » ، وأخـوه معقـل « عج » ، وعبدُ الله بن النعمان بن بَلْذَمة بن خُناس ، وأبو قتادة بن ربعي بن بَلْذَمة بن خُناس ـ مختلف في شهوده بدراً ـ = أربعة .

● ومن بني النعمان بن سِنان بن عُبيد : عبدُ الله بن عبد مناف بن النعمان ، وخُلَيْد وخَلَّاد ولَبْدةُ بنو قيس بن النعمان ، وجابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان = خمسة .

● ومن بني ثعلبة بن عُبيد بن عديّ بن غَنْم بن كعب بن سَلِمة : الضحَّاك بن حارثة « عج » ، وسواد بن رزن بن زيد بن ثعلبة = اثنان .

● ومن بني ربيعة بن عُبيد : معبد بن قيس بن صيفي بن صخر بن حَرَام بن ربيعة ، وأخوه عبدُ الله ، وحمزة بن الحُمَيِّر من حلفائهم ـ وابـن إسحـاق يُسمِّيـه خارجة ـ وأخوه عبد الله ، والنعمان بن سِنان مولى لهم = خمسة .

● ومن بني سَواد بن غنم بن كعب بن سَلِمة : قُطْبة بن عامر بن حَدِيدة « عا » ، وابن عمه سُليم بن عمرو بن حَدِيدة ، وأبو اليَسَر كعب بن عمرو « عج » ، وصيفي بن سواد « عج » ، وثعلبة بن غَنَمة « عج » ، وعبس بن عامر بن سِنان « عج » ، وسهل ابن قيس ابن أُبيّ بن كعب بن عمرو بن القَيْن بن كعب بن سَواد .

ومن حلفائهم : معاذ بن جبل « عج » = ثمانية .

● ومن بني زُرَيق : ذكوان بن عبد قيس « عب » ، وسعد بن عثمان بن خَلْدة ، وأخوه عُقبة ، وابن عمهما قيس بن مِحْصن بن خَلْدة بن مُخَلَّد بن عامر بن زُرَيق ، والحارثُ بن قيس « عج » ، وجُبير بن إياس بن خلدة بن مُخَلَّد بن عامر بن زُرَيق ، ومسعود بن خَلْدة بن مُخَلَّد بن عامر بن زُريق ، وعبَّاد بن قيس « عج » ، ورافع بن مالك « عج » ، وابناه : رِفَاعة وخَلَّاد ، وعُبيد بن زيد بن عامر بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زُريق ، والعجلان بن النعمان بن عامر بن العجلان ، وأسعد بن يزيد بن الفاكه بن زيد بن خَلْدة ابن عامر بن زريق ، والفاكِه بن بِشْر[1] بن الفاكِه بن زيد بن خَلْدة ، ومُعاذ وعائذ ابنا ماعص بن قيس بن خَلْدة بن عامر ، ومسعود بن سعد بن قيس بن خَلْدة بن عامر .

ومن حلفائهم من بني مالك أخي الحارث : رافع بن المُعَلَّى بن لَوْذَان بن حارثة ابن زيد بن ثعلبة بن عدي بن مالك ، وأخوه هلال بن المُعَلَّى - ولم يذكره ابن إسحاق - قال ابن الكلبي : وشهد رافع وراشد وهلال وأبو قيس بنو المعلى بدراً ، ولم يذكر ابن إسحاق منهم سوى رافع = اثنان وعشرون .

● ومن بني بَياضة بن عامر بن زريق : زياد بن لبيد « عج » ، وخليفة بن عدي بن عمرو بن مالك بن عامر بن بَياضة ، وفروة بن عمرو « عج » ، وغَنَّام بن أوس بن عمرو ابن مالك بن عامر بن بَياضة - ذكره ابن الكلبي - وخالد بن قيس « عج » ، ورُحَيْلة ابن ثعلبة بن خالد بن ثعلبة بن عامر بن بَياضة ، وعَطيّة بن نوير بن عامر بن عَطيّة بن عامر بن بَياضة - قاله ابن الكلبي - = سبعة .

فجملة من ذكرنا :
من الخزرج : مائة وخمسة وتسعون .
ومن الأوس : أربعة وسبعون .
ومن المهاجرين : أربعة وتسعون .
فذلك ثلاثمائة وثلاثة وستون .

(١) وفي « ج » : « نَشْر » ، قال الصالحي في السيرة الشامية ١٧٤/٤ : الفاكه بن بِشْر ، ويقال غير ذلك .

وهذا العدد أكثرُ من عدد أهل بدر ، وإنما جاء ذلك من جهة الخلاف في بعض من ذكرنا ، وقد تقدَّم نظيرُ ذلك في أهل العقبة ، والله أعلم .

وكان معهم من الخيل : فرس مَرْثد بن أبي مَرْثد الغنوي : السَّبَلُ . وفرسُ المقداد : بعزجة ، ويقال : سبحة . وقيل : وفرس الزبير : اليعسوب . وقال ابن عُقبة : ويقال : كان مع النبي ﷺ فرسان : على إحداهما مصعب بن عمير ، وعلى الأخرى سعد بن خيثمة ، ومرة الزبير بن العوام ، ومرة المقداد بن الأسود .

(من استُشهد من المسلمين يوم بدر)

واستُشهد مع رسول الله ﷺ يوم بدر من المسلمين : عُبيدة بن الحارث وعُمير بن أبي وقاص – وكانت سنه ستة عشر أو سبعة عشر عاماً – وعُمير بن الحُمام من بني سلِمة من الأنصار ، وسعدُ بن خَيثمة من بني عمرو بن عوف من الأوس ، وذو الشِّمالين ابن عبد عمرو بن نَضْلة الخزاعي حليفُ بني زُهرة ، ومُبشر بن عبد المنذر من بني عمرو ابن عوف ، وعاقل بن البُكير الليثي ، ومِهْجع مولى عمر حليفُ بني عدي ، وصفوان ابن بيضاء الفِهْري ، ويزيد بن الحارث من بني الحارث بن الخزرج ، ورافع ابن المُعلى – وقد تقدم الخلاف في أخيه هلال – وحارثة بن سُراقة من بني النجار ، وعوف ومُعوّذ ابنا عفراء = أربعة عشر : ستة من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار ؛ ستة من الخزرج ، واثنان من الأوس .

(من قُتِلَ وأُسِرَ ببدر من المشركين)

وقُتل من المشركين سبعون وأُسر سبعون . وروينا من طريق البخاري : حدثني عمرو ابن خالد ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو إسحاق ، قال : سمعتُ البراءَ ، قال : جعلَ النبيُّ ﷺ على الرماة يوم أُحد عبدَ الله بن جُبير ، فأصابوا منا سبعينَ ، وكان النبيُّ ﷺ وأصحابُه يومَ بدر أصابَ من المشركين أربعين ومائة : سبعين أسيراً ، وسبعين قتيلاً[1] .

---

(١) رواه البخاري في المغازي (باب غزوة بدر) رقم /٣٩٨٦/ . وفيه : « أصابوا من المشركين يومَ بدرٍ .. » .

فمن مشاهير القتلى : من بني عبد شمس : حنظلة بن أبي سفيان ؛ قتله زيد بن حارثة . وعُبيدة بن سعيد بن العاص ؛ قتله الزبير . وأخوه العاصي بن سعيد ؛ قتله علي وقيل غيره . وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة ؛ قتلهم حمزة وعبيدة وعلي كما تقدم . وعقبة بن أبي مُعيط ؛ قتله عاصم بن ثابت صَبْراً - وقيل : بل عليٌّ بأمر رسول الله ﷺ له بذلك - والحارث بن عامر بن نوفل ؛ قتله علي . وطُعيمة بن عدي ؛ قتله حمزة ، وقيل : بل قتل صَبْراً ، والأول أشهر . وزمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، وابنه الحارث ابن زمعة ، وأخوه عقيل بن الأسود ، وأبو البختري بن العاصي بن هشام - وقد تقدم الخلاف في قاتله مَنْ هو - ونوفل بن خُويلد بن أسد ، قتله علي ، وقيل الزبير . والنضر ابن الحارث ، قُتل صبراً بالصفراء . وعُمير بن عثمان ، عم طلحة بن عُبيد الله بن عثمان . وأبو جهل بن هشام . وأخوه العاصي بن هشام ، قتله عمر . ومسعود بن أبي أمية المخزومي أخو أم سلمة . وأبو قيس بن الوليد ، أخو خالد بن الوليد . وقيس بن الفاكِه بن المغيرة . والسَّائب بن أبي السائب المخزومي ، وقد قيل لم يُقتل يومئذ ، وأسلم بعد ذلك . ومنبِّه ونبيه ابنا الحجاج بن عامر السَّهْمي . والعاصي والحارث ابنا منبه بن الحجاج . وأمية بن خلف الجمحي ، وابنه علي .

وأسر يومئذ : مالك بن عُبيد الله ، أخو طلحة ، فمات أسيراً . وحذيفة بن أبي حُذيفة ابن المغيرة ، ثم قُتل ، وقُتل أخوه هشام بن أبي حذيفة . وأُسر من بني مخزوم ، ومن حلفائهم يومئذ أربعة وعشرون رجلاً . ومن بني عبد شمس وحلفائهم اثنا عشر رجلاً ، منهم عمرو ابن أبي سفيان ، والحارث بن أبي وَجْرَة بن أبي عمرو بن أمية . وأبو العاصي بن الربيع صهرُ رسول الله ﷺ على ابنته زينب . وأُسر من بني هاشم : العباس بن عبد المطلب ، وعَقيل بن أبي طالب ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب . ومن بني المطلب بن عبد مناف : السائب بن عبيد ، والنعمان بن عمرو . ومن بني نوفل : عديّ بن الخيار . ومن بني عبد الدار: أبو عَزيز بن عُمير . ومن سائر قريش : السائب بن أبي حُبيش ، والحارث بن عامر ابن عثمان بن أسد ، وخالد بن هشام أخو أبي جهل ، وصَيفيّ بن أبي رفاعة ، وأخوه أبو المنذر بن أبي رفاعة ، والمطلب بن حَنطب ، وخالد بن الأعلم ، وهو القائل :

ولسنا على الأعقاب تَدْمَى كُلومُنا ... ولكنْ على أقدامنا تقطرُ الدِّما

وهو أول من فر يوم بدر ، فأُدرك وأُسر . وعثمان بن عبد شمس بن جابر المازني حليف لهم ، وهو ابن عمة عُتبة بن غَزْوَان ، وأمية بن أبي حذيفة بن المغيرة ، وأبو قيس بن الوليد أخو خالد بن الوليد ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ، وأبو عطاء عبد الله بن أبي السائب ابن عائذ المخزومي ، وأبو وَدَاعة بن صُبيرة السهمي ــ وهو أول أسير فُدي منهم ــ وعبد الله بن أُبيّ بن خَلف الجُمحي ، وأخوه عمرو ، وأبو عزة الجمحي ، وسُهيل بن عمرو العامري ، وعبد بن زمعة[1] بن قيس العامري ، وعبيد الله بن حميد بن زهير الأسدي .

هؤلاء المشاهير من الأسرى والقتلى ، نقلت ذلك عن أبي عمر ، ولولا خشية الإطالة لأتيت عليهم .

وكان الفِداء من أربعة آلاف ، إلى ثلاثة آلاف ، إلى ألفين إلى ألف درهم .

وروينا عن ابن سعد ، أخبرنا الفضل بن دُكين ، حدثنا إسرائيل ، عن جابر ، عن عامر ، قال : أسَرَ رسولُ الله ﷺ يوم بدر سبعين أسيراً ، وكان يُفادي بهم على قدر أموالهم ، وكان أهلُ مكة يَكتُبون ، وأهل المدينة لا يكتبون ، فمن لم يكن عنده فداء دُفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلّمهم ، فإذا حَذَقوا فهو فداؤه[2] .

وروينا عنه قال : أخبرنا محمد بن عبد الله الأنصاري ، حدثنا هشام بن حسان ، حدثنا محمد بن سيرين ، عن عَبيدة ، أن جبريلَ نزلَ على النبيّ ﷺ في أُسارى بدر ، فقال : إن شئتم قتلتموهم ، وإن شئتم أخذتم منهم الفداء ، ويُستشهد قابلٌ منكم سبعون . قال : فنادى النبيُّ ﷺ في أصحابه ، فجاؤوا ــ أو من جاء منهم ــ فقال : إن هذا جبريل يُخيِّركم بين أن تقدموهم فتقتلوهم ، وبين أن تُفادوهم ويُستشهد قابلَ منكم بعدَّتهم ،

---

(١) في الأصول « عبد الله بن زمعة » والتصحيح من الإصابة ٤٣٣/٢ ، وقال : وهو أخو أم المؤمنين سودة بنت زمعة .

(٢) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢٢/٢ ، والخبر مرسل إن كان عامر هو الشعبي ، عامر بن شراحيل ، الإمام الثقة ، وهو الظاهر ، ويحتمل أن يكون عامر بن واثلة أبا الطفيل ، لأن جابر بن يزيد الجعفي يروي عنهما ، وأبو الطفيل صحابي ، فإن كان هو فالإسناد متصل .. والله أعلم . عن النبراس لسبط ابن العجمي باختصار .

فقالوا : بل نُفاديهم فنتقوّى به عليهم ، ويدخل قابلَ منا الجنة سبعون ، ففادَوْهم[1] .

ذكر من أسلم من أسرى بدر بعد ذلك

العباس بن عبد المطلب ، عقيل بن أبي طالب ، نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، أبو العاص بن الربيع ، أبو عزيز بن عمير العبدري ، السائب بن أبي حُبيش ، خالد بن هشام المخزومي ، عبد الله بن أبي السائب ، المطلب بن حنطب ، أبو وداعة السهمي ، عبد الله بن أبيّ بن خلف الجمحي ، وهب بن عُمير الجمحي ، سهيل بن عمرو العامري ، عبد الله بن زمعة ــ أخو سودة ــ قيس بن السائب المخزومي ، نِسْطاس مولى أمية بن خلف .

ويُذكر أن العباس ــ وكان جسيماً ــ أسره أبو اليَسَر كعب بن عمرو ــ وكان دميماً ــ فقيل للعباس : لو أخذته بكفك لوسعتْه كفُّك . فقال : ما هو إلا أن لقيتُه فظهرَ في عيني كالخندمة ــ والخندمة : جبل من جبال مكة ــ .

فضل من شهد بدراً

روينا من طريق البخاري : حدثني إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا جرير ، عن يحيى بن سعيد ، عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزُّرَقي ، عن أبيه ــ وكان أبوه من أهل بدر ــ قال : جاء جبريلُ إلى النبي ﷺ فقال : « ما تعدُّون أهلَ بدر فيكم ؟ قال : من أفضل المسلمين ــ أو كلمةً نحوها ــ قال : كذلك من شهد بدراً من الملائكة »[2] .

---

(١) الطبقات الكبرى ٢/٢٢ وهو حديث مرسل ؛ لأن عبَيدة بن عمر وقيل ابن قيس السلماني تابعي مشهور . وهذا المرسل أخرجه بنحوه الترمذي والنسائي ، كلاهما في السير من حديث علي رضي الله عنه ، وأخرجه الترمذي مرسلاً ، وإنما آثر المؤلف إخراجه من الطبقات لأنه يقع له أعلى منهما .. نور النبراس .

(٢) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب شهود الملائكة بدراً) رقم /٣٩٩٢/ .

ما قيل من الشعر في بدر

قال حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه :

ألم تر أمراً كان من أعجب الدهر ... وللحَيْـن أسبـابٌ مُبَيَّنـةُ الأمـر
ومـا ذاكَ إلا أن قومـاً أفادهـمْ ... فحانوا تواصٍ بالعقوق وبالكفر(١)
عشيةَ راحُوا نحو بـدرٍ جميعُهـمْ ... فكانوا رهوناً للرَّكيَّةِ من بـدر(٢)
وكنا طلبنا العير لم نبغ غيرَها ... فساروا إلينـا فالتقينـا على قـدر
فلمـا التقينـا لم تكـن مَثْنَويّـةٌ ... لنا غيرَ طعنٍ بالمثقّفـةِ السُّمـر(٣)
وضربٍ ببيضٍ يختلي الهامَ حدُّهـا ... مُشَهَّـرَةَ الألـوان بَيِّنَـةَ الأثْـرِ(٤)
ونحن تركنـا عُتبـةَ الغـيّ ثاويـاً ... وشيبة في قتلى تُجَرْجَمُ في الجَفْر(٥)
وعمرو ثوى فيمن ثوى من حُماتهم ... فشُقَّتْ جُيوبُ النائحاتِ على عمرو
جُيوبُ نساءٍ من لؤيٍّ بن غالب ... كرامٍ تفرَّعْنَ الذوائبَ من فِهر
أولـئك قـومٌ قُتِّلـوا في ضلالهم ... وخَلَّوْا لـواءً غيرَ مُحتضَرِ النصر
لـواءَ ضلالٍ قـاد إبليسُ أهلَـه ... فخاس بهم ، إن الخبيثَ إلى غَدْرِ
وقال لهم إذ عايـن الأمرَ واضحاً ... برئتُ إليكم ما بِيَ اليومَ من صبر
فـإني أرى مـالا تـروْنَ وإنـني ... أخـافُ عقـابَ الله والله ذو قسْرِ
فقدَّمهـم للحَيْـنِ حتـى تورَّطُـوا ... وكان بما لم يَخبَرِ القـومُ ذا خُبْـر
فكانـوا غـداةَ البئر ألفاً وجمعنا ... ثـلاثُ مِئِـين كالمُسدَّمـة الزُّهْـرِ

---

(١) « تواصٍ » : فاعل أفادهم .

(٢) « الركيَّة » : البئر غير المطوية .

(٣) « لم تكن مثنوية » : لا ثاني لأمرهم إلا ما ذُكر من الطعن والنزال .

(٤) « يختلي » : يقطع . و« الأثر » : بفتح الهمزة وكسرها ، فرند السيف ، وهو ما يتراءى فيه من لمعان وبريق .

(٥) « تُجرجَمُ » : تُصرع .

وفينــا جنــود الله حين يُمِدُّنــا ... بهم في مقام ثمَّ مُسْتَوْضَحِ الذِّكْـر
فشدَّ بهم جبريــلُ تحت لوائنــا ... لـدى مَـأْزِقٍ فيـه مناياهـمُ تجري

- فاد الرجل : فيداً وفَوْدَاً : مات ، وأفادَه الله .
- والجَفْر : البئر غير المطوية .
- والمُسَدَّمة : من قولهم ، فحلٌ سَدِمٌ إذا كان هائجاً .
- والمأزِق : موضع الحرب .
- ومن الناس من ينكرها لحمزة .

فأجابه الحارثُ بن هشام[1] المخزومي :

ألا يــا لقَــوم للصبابــةِ والهجْــر ... وللحــزن منــي والحزازة في الصَدْر
وللدمــعِ مــن عينــيَّ جــودٌ كأنَّــه ... فريـدُ هـوى مـن سِلْك ناظمـه يجري
على البطـلِ الحلـوِ الشَّمائـل إذ ثَـوَى ... رهيـنَ مقـامٍ للرَّكيّـة مــن بــدر
فلا تبعَـدنْ يـا عمـروُ مـن ذي قرابةٍ ... ومن ذي نِدام كان ذا خُلـقٍ غمـر[2]
فـإنْ يكُ قـومٌ صَادفـوا منـك دُولـةً ... ولابــد للأيــام مــن دُوَلِ الدَّهْــر
فقد كنتَ في صَرْفِ الزمان الذي مضى ... تـريهمْ هَوانـاً مـنك ذا سُبُـلٍ وَعْـر

في أبيات .

ومما يُعزى لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه من أبيات :

ألم تــــرَ أنَّ الله أبلى رسولَــــه ... بـلاءَ عزيـزٍ ذي اقتـدارٍ وذي فَضْل
بما أنــزلَ الكفــارَ دارَ مذلّــةٍ ... فلاقـوْا هوانـاً مـن إسارٍ ومـن قَتْـل

فأجابه الحارثُ بن هشام :

عجـبتُ لأقــوام تغنَّــى سفيهُهــم ... بأمر سَفاهٍ ذي اعتـراضٍ وذي بُطـل
تغنَّــى بقــتلى يــوم بــدر تتابعــوا ... كرامِ المساعي ، من غُلامٍ ومِنْ كَهل
مَصاليتَ، بيضٍ، مـن ذؤابـة غـالبٍ، ... مَطاعينَ في الهيجا ، مَطَاعيمَ في المَحْل

---

(١) قالوا : وكان هذا قبل إسلامه .

(٢) « نِدام » : جمع نديم ، مثل كِرامٍ وكريم .

أُصيبوا كراماً لم يَبيعوا عشيرةً بقومٍ سواهم نازحي الدار والأهل
كما أصبحتْ غسانُ فيكم بِطَانةً لكم بدلاً منا ، فيا لكَ من فِعْل
عقوقاً وإثماً بيِّناً ، وقطيعةً يرى جَوْرَكمْ فيها ذَوو الرأي والعَقْل
فإن يكُ قومٌ قد مَضَوْا لسبيلهمْ وخيرُ المنايا ما يكونُ من القتل
فلا تفرحوا أنْ تقتلوهم فقتلهمْ لكم كائنٌ خَبْلاً مُقيماً على خَبْلِ

في أبيات ذكرها .

وقال ضرار بن الخطاب الفِهْري :

عجبتُ لفخر الأوس والحَيْنُ دائرٌ عليهمْ غداً ، والدهرُ فيه بصائرُ
وفخرُ بني النجار إنْ كان معشرٌ ببدر أُصيبوا كلُّهم ثَمَّ صائر
فإن تكُ قتلى غُودرت من رجالنا فإنا رجالاً بعدَهم سنغادر
وتَرْدي بنا الجردُ العناجيجُ وَسْطَكم بني الأوس حتى يشفيَ النفسَ ثائرُ(١)
ووسطَ بني النجار سوف تكرُّها لنا بالقنا والدَّارِعينَ زوافرُ(٢)
فنترك صرعى تَعْصِبُ الطيرُ نحوَهم وليس لهم إلا الأمانيُّ ناصرُ
وتبكيهمُ من أهلِ يثربَ نسوةٌ لهن بهاليلٌ عن النوم ساهرُ
وذلك أنا لا تزالُ سيوفُنا بهنَّ دمٌ مما يُحاربنَ مائرُ
فإنْ تَظفروا في يومِ بدرٍ فإنما بأحمدَ أمسى جَدُّكم وهو ظاهر(٣)
وبالنَّفَرِ الأخيارِ هم أولياؤُه يُحامون في اللأواءِ والموتُ حاضر
يُعَدُّ أبو بكرٍ وحمزةُ فيهمُ ويُدعى عليٌّ وَسْطَ من أنتَ ذاكرُ
أولئك ، لا من نَتَّجَتْ من ديارها بنو الأوس والنَّجار حين تُفاخِرُ
ولكنْ أبوهمْ من لؤيِّ بن غالبٍ إذا عَدَّتِ الأنسابَ كعبٌ وعامرُ
همُ الطاعنون الخيلَ في كلِّ معرك غداةَ الهياج ، الأطيبون الأكابر

● العناجيج : جياد الخيل ، واحدها عُنجوج . ومائر : مترددٌ .

---

(١) « تَرْدي » : تجري .
(٢) « زوافرُ » : يقصدُ الخيل .
(٣) « جَدُّكم » : حظكم .

ومما قاله حسان بن ثابت الأنصاري :

تَبَلَتْ فؤادَكَ في المقام خريدةٌ ... تشفي الضجيعَ ببارِدٍ بَسَّامِ
كالمِسْكِ تخلطُه بماءِ سحابةٍ ... أو عاتِقٍ كدمِ الذبيحِ مُدَامِ
أما النَّهارُ فلا أُفَتِّرُ ذكرَها ... والليلُ تُوزِعُني بها أحلامي
أقسمتُ أنساها وأتركُ ذكرَها ... حتى تُغَيَّبَ في الضريح عظامي
بل مَنْ لعاذلةٍ تلومُ سفاهةً ... ولقد عَصَيْتُ على الهوى لُوَّامي
إنْ كنتِ كاذبةَ الذي حَدَّثْتِني ... فنجوتِ منجَى الحارثِ بن هشام
تركَ الأحِبَّةَ أن يُقاتلَ دُونَهم ... ونجا برأسِ طِمِرَّةٍ ولجام[1]

في أبيات : يُعير الحارث بن هشام بالفرار ، وكان الحارث يقول :

الله يعلمُ ما تركتُ قتالهمْ ... حتى رَمَوْا فرسي بأشقرَ مُزبدِ
وعلمتُ أني إن أُقاتلْ واحِداً ... أُقتلْ ولا يضررْ عدوِّيَ مَشهدي
فصددتُ عنهمْ والأحِبّة فيهمُ ... طمعاً لهم بلقاءِ يومٍ مُفسدِ

وكان الأصمعي يقول : هذا أحسنُ ما قيل في الاعتذار عن الفرار ، وكان خلفُ الأحمر يقول : أحسنُ ما قيل في ذلك أبيات هُبيرة بن أبي وهب المخزومي :

لعمْرُكَ ما وَلَّيْتُ ظهري محمداً ... وأصحابَه جُبْناً ، ولا خيفةَ القتلِ
ولكنني قلَّبتُ أمري ، فلم أجدْ ... لسيفي مساغاً إن ضربتُ ، ولا نَبْلي
وقفتُ ، فلما خِفْتُ ضيعة موقفي ... رجعتُ لعوْدٍ كالهِزَبْرِ أبي الشِّبْلِ

وإن تقاربا لفظاً ومعنى ، فليس ببعيد من أن يكون الثاني أجودَ من الأول ، لأنه أكثرُ انتفاء من الجبن ، من خوف القتل ، وإنما علَّل فرارَه بعدم إفادة وقوفه فقط ، وذلك في الأول جزءُ عِلّة ، والجزء الآخر قوله : أقتل . وقوله : رَمَوْا فرسي بأشقر مزبد ؛ يعني الدم ، ويُحتمل أن يكون ذلك مقيداً بكون مشهده لا يضرُّ عدوَّه ، ومع ذلك فالثاني أسلم من ذلك معنى وأصرح لفظاً .

(١) « طِمِرَّة » : الفرس الكثيرة الجري .

ومما قاله حسان رضي الله عنه :

لقد علمتْ قريشٌ يومَ بدرٍ ... غداةَ الأسرِ والقتلِ الشديدِ
بأنَّا حين تَشتجرُ العوالي ... حماةُ الحربِ يومَ أبي الوليدِ
قتلنا ابنيْ ربيعة يومَ ساروا ... إلينا في مُضاعفةِ الحديدِ
وفرَّ بها حكيمٌ يوم جَالتْ ... بنو النجار تخطُرُ كالأسودِ
وذلَّت عند ذاك جموع فهر ... وأسلمَها الحُويرثُ من بعيد

وقالت قُتَيْلة بنت الحارث أخت النضر بن الحارث :

يا راكباً إن الأثيلَ مظنةٌ ... من صُبحِ خامسةٍ وأنت مُوَّفقُ(١)
أبلغْ بها ميتاً بأن تحيّةً ... ما إن تزال بها النجائبُ تخفِقُ
مني إليك وعبرةً مسفوحةً ... جادتْ بواكِفها وأخرى تخنُقُ
هل يسمعنَّ النضرُ إن ناديتُه ... أم كيف يسمعُ ميّتٌ لا ينطقُ
أمحمد يا خير ضَنْءِ كريمة ... في قومها والفحلُ فحلٌ مُعرقُ(٢)
ما كان ضرَّك لو مننتَ وربما ... مَنَّ الفتى وهو المَغِيظُ المُحَنقُ
أو كنتَ قابلَ فديةٍ فلنُنفقنْ ... بأعز ما يغلو به ما يُنفَقُ
فالنضرُ أقربُ من أسرت قرابةً ... وأحقُّهم إن كان عِتْقٌ يُعتَقُ
ظلت سيوفُ بني أبيه تنوشُه ... لله أرحامٌ هُناكَ تُشَقَّقُ
صبراً يُقادُ إلى المنيةِ متعباً ... رسفَ المُقيَّدِ وهو عانٍ مُوثقُ

فيقال : إن رسول الله ﷺ قال : لو بلغني هذا الشعر قبل قتله لمننت عليه .

وكان فراغُ رسول الله ﷺ من بدر في عقب رمضان أوائلَ شوال .

* * *

(١) « الأثيل » : موضع متصل بوادي الصفراء من جهة بدر .
(٢) « ضَنْء » : الضِّنْء : الولد ، كما في القاموس .

فصل

قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله : فلما أوقع الله بالمشركين يوم بدر ، واستأصل وجوههم ، قالوا : إن ثأرنا بأرض الحبشة ، فلنرسل إلى ملكها يدفع إلينا مَنْ عنده من أتباع محمد ، فلنقتلهم بمن قتل ببدر . قال : أخبرنا عبد الله بن محمد بن بكر، حدثنا أبو داود ، حدثنا ابن السَّرح ، حدثنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : بلغني أن مخرجَ عمرو بن العاص وابنَ أبي ربيعة إلى أرض الحبشة فيمن كان بأرضهم من المسلمين ، كان بعد وقعة بدر ، فلما بلغ رسولَ الله ﷺ مخرجُهما ، بعث عمرو بن أمية من المدينة إلى النجاشي بكتاب[1] .

قلت : وقد تقدم القول عند ذكر الهجرة إلى أرض الحبشة أن توجه عمرو بكتابي رسول الله ﷺ في المحرم سنة سبع يدعوه في أحدهما إلى الإسلام والثاني في تزويجه عليه الصلاة والسلام أم حبيبة ، وقيل : في شهر ربيع الأول منها ، وقيل : في سنة ست . حكاه أبو عمر عن الواقدي . وأما عمرو بن أمية فشهد بدراً وأحداً مع المشركين وأسلم بعد ذلك ، وكان أوَّلَ مشهد شهدَهُ بئرُ معونة ، فأسرته بنو عامر يومئذ ، فقال له عامر بن الطفيل : إنه كان على أمي نسمة ، فاذهب فأنت حر عنها ، وجزَّ ناصيتَه . وبعثَه أيضاً رسولُ الله ﷺ إلى أبي سفيان بن حرب بهدية إلى مكة ، وسيأتي ذكر كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي مع عمرو عند ذكر كتب النبي ﷺ إلى الملوك في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

وهذا الفصلُ ذكره أبو عمر في هذا الموضع من كتابه في المغازي وفيه نظر .

سرية عُمير بن عديّ

روينا عن ابن سعد قال : ثم سرية عُمير بن عدي بن خَرَشة الخَطْمي[2] إلى عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد ، لخمس ليالٍ بقين من شهر رمضان ، على رأس تسعة عشر

(١) الدرر ؛ لابن عبد البر ص ١٣١ .
(٢) « الخَطْمِيُّ » : نسبة إلى خَطْمة ، حيٌّ من الأوس كانوا يسكنون بعوالي المدينة .

شهراً من مُهاجر رسول الله ﷺ ، وكانت عصماء عند يزيد بن زيد بن حصن الخَطْمي ، وكانت تعيبُ الإسلام وتؤذي النبيَّ ﷺ وتحرِّضُ عليه ، وتقولُ الشعر ، فجاءها عميرُ ابن عدي في جوف الليل ، حتى دخل عليها بيتَها ، وحولها نفر من ولدها نيام ، منهم من تُرضعه في صدرها ، فجسَّها بيده ، وكان ضريرَ البصر ، ونحَّى الصبيَ عنها ، ووضع سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها ، ثم صلَّى الصبحَ مع النبيِّ ﷺ بالمدينة ، فقال له رسولُ الله ﷺ : أقتلت ابنة مروان ؟ قال : نعم ، فهل عليَّ في ذلك من شيء ، فقال « لا ينتطحُ فيها عنزان » فكانت هذه الكلمة أول ما سمعت من رسول الله ﷺ ، وسمَّى رسولُ الله ﷺ عميراً البصيرَ[1] .

قيل : وكان أوَّلَ من أسلم من خَطْمَةَ عميرُ بن عدي ، وكان يُدعى القارىء ، كان إمام قومه وقارئَهم .

سرية سالم بن عُمير

روينا عن ابن سعد ، قال : ثم سريةُ سالم بن عُمير إلى أبي عَفَك اليهودي في شوال على رأس عشرين شهراً من مُهاجَرِ رسول الله ﷺ ، وكان أبو عَفَك من بني عمرو بن عوف شيخاً كبيراً قد بلغ عشرين ومائة سنة ، وكان يهودياً ، وكان يُحرِّض على رسول الله ﷺ ويقول الشعر ، فقال سالم بن عُمير — وهو أحدُ البكائين وممن شهد بدراً — عليَّ نذرٌ أن أقتل أبا عفك أو أموتَ دونه ، فأمهلَ يطلب له غِرَّةً ، حتى كانت ليلةٌ صائفة ، فنام أبو عَفَك بالفِناء ، وسمع به سالمُ بن عُمير ، فأقبلَ فوضعَ السيف على كبده ، ثم اعتمد عليه حتى خشَّ في الفراش ، وصاح عدوُّ الله ، فثابَ إليه ناسٌ ممن هم على قوله ، فأدخلوه منزلَه وقبروه[2] .

فقالت أُمامة الزيدية[3] في ذلك :

---

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/٢٧ — ٢٨ .

(٢) المصدر السابق ٢/٢٨ .

(٣) « الزيدية » : نسبة إلى بني زيد بن مالك بن عوف من الأوس ، كانت مساكنهم شرقي مسجد قباء ،

تُكَـذِّبُ ديـنَ اللهِ والمرءَ أحمداً … لعمرُ الذي أمناكَ أن بئسَ ما يُمني
حباكَ حنيفٌ آخرَ الليلِ طعنـةً … أبا عُفَك خذْها على كَبْرَة السِّن

البيتان عن غير ابن سعد[1] .

وكان أبو عفك ممن نجم نفاقُه حين قتلَ رسولُ الله ﷺ الحارث بن سُويد بن الصامت .

وشهدَ سالمٌ بدراً وأُحداً والخندقَ والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ ، وتوفي في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، وقال فيه موسى بن عقبة : سالم بن عبد الله .

غزوة بني سُلَيم

قال ابن إسحاق : فلم قدم رسولُ الله ﷺ المدينةَ – يعني من بدر – لم يُقم إلا سبعَ ليالٍ ، حتى غزا بنفسه يُريد بني سُلَيم . قال ابن هشام : واستعملَ على المدينة سِبَاعَ ابن عُرْفُطة الغفاري ، أو ابنَ أمِّ مكتوم . وقال ابن إسحاق : فبلغَ ماءً من مياههم يُقال له الكُدْر[2] ، فأقام عليه ثلاثَ ليالٍ ، ثم رجعَ إلى المدينة ولم يلقَ كيداً .

غزوة بني قَيْنُقَاع

قال ابن سعد : وكانت يومَ السبت للنصف من شوال على رأس عشرين شهراً من مُهاجَرِه[3] .

قال ابن إسحاق : وكان من أمر بني قينقاع أن رسولَ الله ﷺ جمعهم بسوق بني

= وهي صحابية ، ذكرها ابن حجر في الإصابة ٢٣٨/٤ . وقد وردت نسبتها في « أ » والمطبوع : « المريدية » وفي « ب » و« ج » و« د » : « المرثدية » . وفي الإصابة : « الربذية » وفي السيرة النبوية ؛ لابن هشام « المزيرية » . وبهامش « ب » : « الزيدية » وما أثبتناه ، هو الصواب إن شاء الله ؛ إذ بنو زيد – قومها من أبناء عمومة بني عمرو بن عوف – قوم أبي عفك ، ومساكن الحيين متقاربة .

(١) البيتان في السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٣٦/٢ .

(٢) « الكُدْر » : ماء لبني سليم . وانظر المغانم المطابة ص ٣٥٦ .

(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢٩/٢ .

قينقاع ، ثم قال : يا معشر يهود ! احذروا من الله مثلَ ما نزل بقريش من النِّقمة ، وأسلموا ، فإنكم قد عرفتم أني نبيٌّ مرسل ، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم . قالوا : يا محمد ! إنك ترى أنَّا قومُك ! ولا يغرنَّكَ أنك لقيتَ قوماً لا علم لهم بالحرب ، فأصبتَ لهم فرصة ، إنا والله لو حاربناك لتعلمنَّ أنا نحنُ الناس . فحدثني مولى لآل زيد بن ثابت ، عن سعيد بن جُبير ــ أو عن عكرمة ــ عن ابن عباس ، قال : ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم : ﴿ قل للذين كفروا ستُغلبون وتُحشرون إلى جهنَّم وبئسَ المِهاد . قد كان لكم آية في فئتين التقتا ــ أي أصحاب بدر من أصحاب رسول الله ﷺ وقريش ــ فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يُؤَيِّد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ﴾ [آل عمران : ١٢ ــ ١٣] . قال : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ؛ أنهم كانوا أوَّلَ يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ ، وحاربوا فيما بين بدر وأُحد ، فحاصرَهم رسولُ الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه . قال ابن هشام : وذكر عبدُ الله بن جعفر بن المِسوَر بن مَخرمة ، عن أبي عَوْن ، قال : كان من أمر بني قينقاع أن امرأةً من العرب قدمت بجَلَبٍ[1] لها فباعته بسوق بني قينقاع ، وجلست إلى صائغ ، فجعلوا يُريدونها على كشفِ وجهها ، فأبت ، فعَمِد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقدَه إلى ظهرها ، فلما قامتْ انكشفتْ سوءتُها ، فضحكوا منها ، فصاحت ، فوثب رجلٌ من المسلمين على الصائغ فقتلَه ، وكان يهودياً ، وشدَّتِ اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخَ أهلُ المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون ، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع ، وتبرَّأ عبادةُ بن الصامت من حلفهم إلى رسول الله ﷺ ، وتشبَّث به عبد الله بن أبيّ فيما روينا عن ابن إسحاق ، عن أبيه ، عن عبَّاد بن الوليد بن عبادة بن الصامت[2] .

قال : وفيه وفي عبد الله نزلت : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضُهم أولياءُ بعض ﴾ إلى قوله : ﴿ فإن حزبَ الله هم الغالبون ﴾[3] [المائدة : ٥١ ــ ٥٦] .

(١) « بجلب » : كل ما يُجلب للأسواق ليباعَ فيها من إبل وغنم وغيرها .
(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٧/٢ ــ ٤٨ .
(٣) المصدر السابق ٤٩/٢ .

وروينا عن ابن سعد ، قال : وكانوا قوماً من يهود حلفاء لعبد الله بن أبيّ بن سلول ، وكانوا أشجعَ يهود ، وكانوا صاغةً ، فوادعوا النبيَّ ﷺ ، فلما كانت وقعةُ بدر أظهروا البغيَ والحسدَ ، ونبذوا العهدَ والمدة ، فأنزلَ الله تعالى : ﴿ وإما تخافنَّ من قومٍ خيانةً فانبذْ إليهم على سواءٍ إنَّ الله لا يحبُّ الخائنين ﴾ [الأنفال : ٥٨] فقال رسول الله ﷺ : أنا أخاف من بني قينقاع . فسار إليهم ولواؤه بيد حمزةَ بن عبد المطلب ــ وكانَ أبيضَ ، ولم تكن الرايات يومئذٍ ــ واستخلف على المدينة أبا لُبابة بن عبد المنذر ، وحاصرَهم خمسَ عشرة ليلة إلى هلال ذي القعدة ، وكانوا أوَّلَ من غدر من اليهود ، وحاربوا وتحصَّنوا في حصنهم ، فحاصرَهم أشدَّ الحصار ، حتى قذف الله في قلوبهم الرعبَ ، فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، على أن لرسول الله ﷺ أموالَهم ، وأن لهم النساء والذرية ، فأنزلهم ، فكُتِّفوا ، واستعمل على كِتَافهم المنذر بن قدامة السَّلِمي ، فكلَّمَ ابنُ أبيّ فيهم رسولَ الله ﷺ وألحَّ عليه ، فقال : حُلُّوهم لعنهم الله ولعنه معهم ، وتركهم من القتل ، وأمرَ بهم أن يُجلَوْا من المدينة ، وتولى ذلك عبادةُ بن الصامت ، فلحقوا بأذرعات ، فما كان أقل بقاءهم بها . وذكرَ[1] ما تنفَّلَ رسولُ الله ﷺ من سلاحهم ، وسيأتي ذكرنا له ، وخُمِّسَتْ أموالُهم ، فأخذَ رسولُ الله ﷺ صفيَّهُ الخمسَ ، وفضَّ أربعةَ أخماسٍ على أصحابه ، فكانَ أوَّلَ ما خُمِّس بعد بدر . وكان الذي ولي قبض أموالهم محمد بن مسلمة[2] . انتهى ما وجدته عن ابن سعد .

كذا وقع صفيُّهُ الخمسَ ، والمعروف أن الصفيَّ[3] غير الخمس . روينا عن الشعبي ، من طريق أبي داود ، قال : كان لرسول الله ﷺ سهمٌ يُدعى الصفيَّ (يختاره) قبلَ الخمس[4] . وعن عائشة رضي الله عنها كانت صفيَّةُ رضيَ الله عنها من الصفيّ[5] .

---

(١) أي : ابن سعد .

(٢) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/٢٨ ــ ٣٠ .

(٣) « الصفيُّ » : من الغنيمة ، ما اختاره الرئيس لنفسه قبل القسمة .

(٤) رواه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء (باب ما جاء في سهم الصفيّ) رقم /٢٩٩١/ وقال المنذري : هذا مرسل .

(٥) رواه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء (باب ما جاء في سهم الصفي) رقم /٢٩٩٤/ .

فلا أدري أسقطت الواو أو كان هذا قبل حكم الصفي ، والله أعلم . وكانوا أربعمائة حاسر[1] ، وثلاثمائة دارع ، وكانوا حلفاءَ الخزرج .

غزوة السَّويق[2]

روينا عن محمد بن إسحاق ، قال : ثم غزا أبو سفيان بن حرب في ذي الحجة غزوة السَّويق .

وذكر ابن سعد خروج النبي ﷺ من المدينة لخمسٍ خلونَ من ذي الحجة يوم الأحد على رأس اثنين وعشرين شهراً من مُهَاجره[3] .

رجع إلى ابن إسحاق ، قال : وكان أبو سفيان — كما حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، ويزيد بن رومان ، ومَنْ لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، وكان من أعلم الأنصار — حين رجع إلى مكة ، ورجع فَلُّ قريش من بدر ، نذرَ أن لا يمسَّ رأسَه ماءٌ من جَنابة حتى يغزو محمداً ﷺ ، فخرج في مائتي راكب من قريش ليَبرَّ يمينَه ، فسلكَ النجدية ، حتى نزل بصدر قناة ، إلى جبل يُقال له يَتِيْب[4] من المدينة على بريد أو نحوه ، ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل ، فأتى حيَّي بن أخطب ، فضرب عليه بابه ، فأبى أن يفتحَ له بابه وخافه ، فانصرف عنه إلى سَلَّام بن مِشْكم ، وكان سيِّد بني النضير في زمانه ذلك وصاحبَ كنزهم ، فاستأذن عليه فأذن له ، فقَرَاه وسقاه وبَطَنَ له من خبر الناس ، ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه ، فبعث رجالاً من قريش فأتوا ناحية منها يقال لها العُرَيْض ، فحرَّقوا في أصْوَار[5] من نخل بها ، ووجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً لهم في حرثهما فقتلوهما ، ثم انصرفوا راجعين ، ونَذِر[6] بهم النَّاسُ ،

---

(١) « حاسر » : هي هنا ضد الدارع ، أي : من لا درع له .

(٢) « السويق » : هو دقيق الحنطة أو الشعير المحمصين ، يمزج بالماء وحده أو بالسمن والعسل .

(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/٣٠ .

(٤) « يَتِيْب » : جبل بالمدينة له ذكر في حدود الحرم . المغانم المطابة ؛ للفيروز آبادي ص ٤٣٧ .

(٥) « أصوار » : جمع صَوْر ، النخل المجتمع .

(٦) « نذر بهم » : علموا .

فخرجَ رسول الله ﷺ في طلبهم في مائتين من المهاجرين والأنصار ـ وهذا العدد عن ابن سعد ـ واستعملَ على المدينة بشيرَ بن عبد المنذر فيما قال ابن هشام ، حتى بلغ قَرْقَرَةَ الكُدْرِ[1] . قال ابن سعد : وجعل أبو سفيان وأصحابُه يتخفّفُون للهرب ، وكان أصحابُه مائتين كما قدمنا ، وقيل كانوا أربعين فيلقون جُرُبَ السَّويق ، وهي عامة أزوادهم ، فيأخذها المسلمون ، فسُمِّيت غزوة السَّويق ، ولم يلحقوهم ، وانصرفَ رسول الله ﷺ راجعاً إلى المدينة ، وكان غاب خمسة أيام .

وقال ابن إسحاق : وقال المسلمون حين رجع بهم رسول الله ﷺ : يا رسول الله ! أنطمعُ أن تكون لنا غزوة ؟ قال : نعم[2] .

غزوة قَرْقَرَةُ الكُدْر

قال ابن سعد : ويقال قرارة الكُدْر ، للنصف من المحرم ، على رأس ثلاثة وعشرين شهراً من مُهاجَره ، وهي بناحية مَعْدِنِ بني سُلَيم ، قريب من الأَرْحَضِيّة ، ووراء سد معونة ، وبين المَعْدِن وبين المدينة ثمانيةُ بُرُد . وكان الذي حمل لواءَ رسول الله ﷺ عليٌّ بن أبي طالب ، واستخلف على المدينة ابنَ أمِّ مكتوم ، وكان بلغه أن بهذا الموضع جمعاً من بني سُلَيم وغطفان ، فسار إليهم ، فلم يجد في المحال أحداً ، وأرسل نفراً من أصحابه في أعلى الوادي ، واستقبلَهم رسولُ الله ﷺ في بطن الوادي ، فوجد رعاء ، منهم غلام يقال له يَسَار ، فسأله عن الناس ، فقال : لا علم لي بهم ، إنما أُورد لِخِمْسٍ[3] وهذا يوم رِبعيّ[4] ، والناس قد ارتفعوا في المياه ونحن عُزّاب[5] في النَّعم ، فانصرف رسولُ الله ﷺ وقد ظفر بالنعم ، فانحدر به إلى المدينة ، واقتسموا غنائمَهم بصِرَار على ثلاثة أميال من المدينة ، وكانت النَّعم خمسمائة بعير ، فأخرَجَ خمسَه ، وقسم أربعة أخماسه على المسلمين ،

(١) « قرقرة الكدر » : موضع بين المدينة ومعدن بني سليم (ويعرف هذا المعدن اليوم بالمهد) .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٤٤ — ٤٥ .

(٣) « لِخمْسٍ » : الخِمْس : هو أن ترد الإبل الماء وترعى ثلاثة أيام ، وترد في اليوم الخامس .

(٤) « رِبْعَي » : أن ترد الإبل الماء وترعى يومين ، وترد الماء في اليوم الرابع .

(٥) « عُزَّاب » : جمع عازب وهو البعيد .

فأصاب كلُّ رجل منهم بعيران ، وكانوا مائتي رجل ، وصار يسارُ في سهم النبي ﷺ فأعتقه ، وذلك أنه رآه يُصَلِّي . وغابَ رسولُ الله ﷺ خمسَ عشرة ليلة[1] .

والقرقرة : أرضٌ ملساء ، والكُدْر : طير في ألوانه كدرة ، عرف بها ذلك الموضع .

وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يذكر مسيره مع رسول الله ﷺ في تلك الغزوة .

سريّةُ كعب بن الأشرف

روينا عن ابن سعد : أنها كانت لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول ، على رأس خمسة وعشرين شهراً من مُهَاجَره عليه الصلاة والسلام[2] .

قال ابن إسحاق : وكان من حديث كعب بن الأشرف أنه لما أُصيب أصحابُ القليب يوم بدر ، وقدم زيد بن حارثة إلى أهل السَّافِلة ، وعبد الله بن رَوَاحة إلى أهل العالية ، بشيرين بالفتح ، قال كعب ــ وكان رجلاً من طيء ، ثم أحد بني نبهان ، وكانت أُمُّه من بني النضير ــ : أحقٌّ هذا ؟ أترون أن محمداً قتل هؤلاء الذين يُسمّي هذان الرجلان ، فهؤلاء أشراف العرب وملوكُ الناس ، والله إن كان محمّدٌ أصابَ هؤلاء القوم ، لبطنُ الأرض خير من ظهرها . فلما أيقنَ عدوُّ الله الخبرَ خرجَ حتى قدِمَ مكة ، فنزل على المطلب بن أبي وَدَاعة السَّهمي ، وجعلَ يُحرِّض على رسول الله ﷺ ، ويُنشد الأشعار ويبكي على أصحاب القليب ، ثم رجع إلى المدينة فشبَّب بنساء المسلمين حتى آذاهم[3] .

وروينا من طريق ابن عائذ : عن الوليد بن مسلم ، عن عبد الله بن لَهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، قال : ثم انبعثَ عدوُّ الله يهجو رسولَ الله ﷺ والمؤمنين ، ويمتدحُ عدوَّهم ، ويحرِّضُهم عليهم ، فلم يرضَ بذلك ، حتى ركبَ إلى قريش فاستغواهم على رسول الله ﷺ ، فقال له أبو سفيان والمشركون : أديننا أحبُّ إليك أم دينُ محمد وأصحابِهِ ؟ وأي دينينا أهدى في رأيك وأقرب إلى الحق ؟ فقال : أنتم أهدى منهم سبيلاً

(١) و(٢) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٣١/٢ .
(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥١/٢ .

وأفضل وفيةً . فقال رسول الله ﷺ : من لنا من ابن الأشرف ؟ فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا ، وقد خرج إلى قريش فأجمعَهم على قتالنا ، وقد أخبرني الله عز وجل بذلك ، ثم قدِّمَ أخبثَ ما كان ، ينتظرُ قريشاً تقدمُ عليه فيقاتلَنا ، ثم قرأ على المسلمين ما أنزل الله تعالى عليه فيه : ﴿ ألم ترَ إلى الذين أُوتوا نصيباً من الكتاب ﴾ الآية [آل عمران : ٢٣] وخمسَ آيات فيه وفي قريش .

رجع إلى خبر ابن إسحاق : فقال كما حدثني عبدُ الله بن المُغيث بن أبي بُردة : مَن لي من ابن الأشرف ؟ فقال له محمد بن مسلمة ـ أخو بني عبد الأشهل ـ : أنا لك به يا رسول الله ، أنا أقتله . قال : فافعل إن قدرت على ذلك . فرجع محمد بن مسلمة ، فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما تَعْلَقُ به نفسُه ، فذُكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فدعاه فقال له ، لم تركتَ الطعامَ والشرابَ ؟ قال : يا رسول الله ! قلتُ لك قولاً لا أدري هل أفينَّ لك به أم لا . قال : إنما عليك الجهد . قال : يا رسول الله ! إنه لابد لنا من أن نقول . قال : قولوا ما بدا لكم ، فأنتم في حِلٍّ من ذلك . فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة ، وسِلْكان بن سَلامة بن وَقْش ، وكان أخاً لكعب من الرَّضاعة ، وعباد بن بشر ابن وَقْش أحد بني عبد الأشهل ، والحارث بن أوس بن معاذ ، وأبو عبس بن جبر .

قلت : وهؤلاء الخمسة من الأوس .

ثم قدَّموا إلى عدو الله كعب بن الأشرف قبل أن يأتوه سلكانَ بن سلامة ، فجاءه فتحدَّث معه ساعة ، وتناشدا شعراً ، وكان أبو نائلة سِلْكان يقولُ الشعر ، ثم قال : ويحك يا ابن الأشرف ! إني قد جئتُك لحاجةٍ أريدُ ذكرها لك ، فاكتمْ عني . قال : أفعل . قال : كان قدوم هذا الرجل علينا بلاءً من البلاء ، عادتنا العرب ، ورمتنا عن قوس واحدة ، وقطعت عنا السبل ، حتى جاع العيال ، وجهدت الأنفسُ ، وأصبحنا قد جُهِدْنا وجُهِدَ عيالُنا . فقال كعب : أنا ابن الأشرف ، أما والله لقد كنتُ أُخبرك يا ابنَ سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول . فقال له سِلْكان : إني قد أردتُ أن تبيعنا طعاماً ونرهنَك ونوثِقَ لك ، ونحسنَ في ذلك . قال : أترهنوني أبناءَكم ؟ قال : لقد أردتَ أن تفضحنا ؟ إن معي أصحاباً على مثل رأيي ، وقد أردتُ أن آتيكَ بهم فتبيعَهم وتحسنَ في ذلك ، ونرهنَك من الحَلْقة ما فيه وفاء ـ وأراد سِلْكان أن لا ينكرَ السلاح إذا جاؤوا بها ـ قال : إن في الحَلْقة

لوفاءً . قال : فرجع سِلْكَان إلى أصحابه فأخبرَهم خبرَه ، وأمرهم أن يأخذوا السِّلاحَ ، ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه ، فاجتمعوا عند رسول الله ﷺ .

قال ابن هشام : ويُقال : قال : أترهنوني نساءَكم ؟ قالوا : كيف نرهنُك نساءَنا وأنت أشبُّ أهل يثرب وأعطرُهم ! قال : أترهنوني أبناءَكم ؟ .

قال ابن إسحاق : فحدثني ثور بن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : مشى معهم رسولُ الله ﷺ إلى بقيع الغرقد[1] ، ثم وجَّههم وقال : انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم . ثم رجعَ رسولُ الله ﷺ إلى بيته وهو في ليلة مقمرة ، وأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه ، فهتف به أبو نائلة ، وكان حديثَ عهد بعرس ، فوثبَ في مِلْحَفته ، فأخذتْ امرأتُه بناحيتها وقالت : إنك امرؤ مُحاربٌ ، وإن أصحابَ الحرب لا ينزلون في مثل هذه الساعة . قال إنه أبو نائلة ، لو وجدني نائماً ما أيقظني . فقالت : والله إني لأعرف في صوته الشرَّ . قال : يقول لها كعب : لو يُدعى الفتى لطعنةٍ لأجاب . فنزلَ فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ، وقالوا : هل لك يا ابن الأشرف أن تمشي معنا إلى شعب[2] العجوز فنتحدَّثَ به بقيَّةَ ليلتنا ، فقال : إن شئتم . فخرَجوا يتماشون ، فمشوا ساعة ، ثم إن أبا نائلة شامَ يده في فَوْد[3] رأسه ، ثمَّ شمَّ يده ، فقال : ما رأيتُ كالليلة طِيباً أعطر ، ثم مشى ساعة ، ثم عاد لمثلها ، حتى اطمأن ، ثم مشى ساعة ، ثم عاد لمثلها ، فأخذَ بفَوْد رأسه ، ثم قال : اضربوا عدوَّ الله . فضربوه ، فاختلفتْ عليه أسيافُهم فلم تُغن شيئاً . قال محمد بن مسلمة : فذكرتُ مِغْوَلاً[3] في سيفي حين رأيتُ أسيافنا لا تغني شيئاً ، فأخذتُه وقد صاح عدوُّ الله صيحةً لم يبقَ حولنا حِصْنٌ إلا أُوقدت عليه نار . قال فوضعته في ثُنَّتِه[3] ، ثم تحاملت عليه حتى بلغَ عانتَه ، فوقعَ عدوُّ الله . وقد أُصيب الحارث بن أوس بن معاذ ، فجُرح

---

(١) « بقيع الغرقد » : البقيع : كل أرض منخفضة فيها أصول شجر ، والغرقد : شجر شوكي من فصيلة العضاه . وبقيع الغرقد : هو مقبرة أهل المدينة ، ويقع شرق المسجد النبوي .

(٢) « شعب العجوز » : الشعب : الطريق في الجبل ، ومسيل الماء في أرض ، وشعب العجوز : مكان بظاهر المدينة .

(٣) سيأتي في تفسير المؤلف للغريب .

في رأسه أو في رجله ، أصابَه بعضُ أسيافنا . قال : فخرجنا حتى سلكنا على بني أميّةَ بن زيد ، ثم على بني قريظة ، ثم على بُعاث ، حتى أسندنا في حرة العُرَيض ، وقد أبطأَ علينا صاحبُنا الحارث بن أوس ، ونزفه الدم ، فوقفنا له ساعة ، ثم أتانا يتبعُ آثارنا ، قال : فاحتملناه ، فجئنا به رسولَ الله ﷺ آخرَ الليل وهو قائم يُصلي ، فسلمنا عليه ، فخرجَ إلينا ، فأخبرناه بمقتل عدوِّ الله ، وتَفَلَ على جُرح صاحبنا ، ورجعنا إلى أهلنا ، فأصبحنا وقد خافتْ يهودُ لوقعتنا بعدوِّ الله ، فليس بها يهوديٌّ إلا وهو يخافُ على نفسه . انتهى خبرُ ابن إسحاق(1) .

وقال عَبَّادُ بن بشر في ذلك شعراً :

صرختُ به فلم يَعرِضْ لصوتي	وأوفى طالعاً من رأس جِذْر
فعدتُ له فقال مَن المنادي	فقلت : أخوكَ عبَّادُ بن بشر
وهذي دُرعنا رهناً فخذها	لشهرٍ إنْ وَفى أو نصفَ شهر
فقال : معاشرٌ سَغِبُوا وجاعوا	وما عَدِمُوا الغنى من غير فقر
فأقبلَ نحونا يهوي سريعاً	وقال لنا : لقد جئتم لأمرِ
وفي أيماننا بِيْضٌ حِدَاد	مجرَّبةٌ بها الكفارَ نفري
فعانقَه ابنُ مَسْلمةَ المُردَّى	به الكفارُ كالليث الهِزَبر
وشدَّ بسيفه صَلْتاً عليه	فقطَّره أبو عبس بن جَبْر
وكانَ اللهُ سادسَنا ، فأُبنا	بأنعمِ نعمةٍ وأعزِّ نصرِ
وجاءَ برأسِه نفرٌ كرامٌ	همُ ناهيكَ من صِدْقٍ وبرٌّ

واستُشهد عبّاد بن بشر يومَ اليمامة . وذكر موسى بن عُقبة عن ابن شهاب ، قال : وممن شهد بدراً مع رسول الله ﷺ عبَّادُ بنُ بشِر وقُتل يوم اليمامة شهيداً ، وكان له يومئذ بلاء وغَنَاء ، فاستُشهد وهو ابنُ خمس وأربعين سنة .

* * *

(1) السيرة النبوية لابن هشام ٥١/٢ — ٥٧ .

خبر مُحَيِّصة بن مسعود مع ابن سُنينة

قال ابن إسحاق : وقال رسول الله ﷺ : مَنْ ظَفِرتم به من رجال يهود فاقتلوه ، فوثب مُحَيِّصَةُ بن مسعود على ابن سُنَيْنَة ـ ويقال : ابن سُبَينة عن ابن هشام ، رجل من تجار يهود ، وكان يلابسهم ويُبايعهم ـ فقتله ، وكان حُوَيِّصة بن مسعود إذ ذاك لم يُسلم ، وكان أسنَّ من مُحَيِّصَة ، فلما قتلَه جعلَ حُوَيِّصةُ يضربُه ويقول أي عدوَّ الله ! أقتلتَه ؟ أما والله لرُبَّ شحمٍ في بطنك من ماله . قال مُحَيِّصَةُ : فقلت : والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربتُ عنقَك . قال : فوالله إن كان لأوّلَ إسلام حُوَيِّصة . قال : أي والله لو أمركَ محمّدٌ بقتلي لقتلتني ؟ قال : قلتُ : نعم والله ، لو أمرني بضربِ عنقِكَ لضربتُها . قال : والله إن ديناً يبلغُ بك هذا لعَجبٌ ، فأسلم حُوَيِّصةُ .

قال ابن إسحاق : حدثني هذا الحديث مولًى لبني حارثة ، عن ابنة مُحَيِّصَة ، عن أبيها ، فقال مُحَيِّصَةُ في ذلك :

يلومُ ابن أمي لو أُمرتُ بقتلـه ... لطبَّقتُ ذِفْـرَاه بأبـيضَ قـاضبِ
حسامٍ كلون الملح أُخلصَ صقلُـه ... متـى مـا أُصوِّبْـه فلـيس بكـاذبِ
ومـا سرَّني أني قتلـتُك طائعـاً ... وأن لنا ما بينَ بُصرى ومـارب[1]

وقيل : إن الذي قتلَه مُحَيِّصَةُ ، وقال له أخوه حُوَيِّصة في حقِّه ما قال ، وراجعه بما ذكرنا : كعب بن يهوذا .

وروينا عن ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن حُميد العبدي ، عن معمر بن راشد ، عن الزهري في قوله تعالى : ﴿ ولتسمعنَّ من الذين أُوتوا الكتابَ من قبلِكم ومن الذين أَشركوا أذىً كثيراً ﴾ [آل عمران : ١٨٦] قال : هو كعبُ بن الأشرف[2] .

* * *

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٥٨ ـ ٥٩ .
(٢) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/٣٣ .

ذكر فوائد تتعلق بهذا الخبر[1]

● مما نقلتُه من الحواشي التي ذكرتُها بخط جدي رحمه الله على قوله : ما تعلَّقُ به نفسُه . قال : هو مأخوذ من العُلْقة ، والعُلْقة والعلاق : بُلغة من الطعام إلى وقت الغداء ، ومعناه : ما يُمسك رَمَقَه من الغِذاء ، ومنه : ليس المتعلِّقُ كالمُتأنِّق .

● وعلى قوله : إنه لابدَّ لنا من أن نقول . قال المبرد في الكامل : حَقُّه أن يقولَ : نتقول ، يُريد افتعل قولاً احتالَ به ، قال : وفي « العين »[2] : قوَّلْته ما لم يقل ، وقوَّلْته : ادعيته عليه .

● وعلى قوله : نرهنَكَ من الحَلْقة . قال : هذا هو المعروف ، يعني سكون اللام ، وحكى سيبويه عن أبي عمر أنهم قالوا : حَلَقة ، بفتح اللام .

● وعلى قوله : بقيع الغرقد . قال الأصمعي : قُطعت غَرْقَداتٌ فدُفن فيها عثمانُ بن مظعون ، فسُمِّي المكانُ « بقيعَ الغرقد » لهذا السبب .

● وعلى قوله : شَامَ يدَه في فَوْدِه . أي : أدخل يدَه ، والفَودُ : الشعرُ مما يلي الأُذن ، وشِمْتُ السيفَ : إذا أغمدته ، وهو من الأضداد .

● قال : والمِغول : سيفٌ قصير يشتملُ عليه الرجلُ .

● والثُّنة : بين السُّرَّة والعانة .

● وعلى قول ابن هشام : ابن سُبَيْنة : وقال الأستاذ أبو علي – يعني شيخَه عمرو ابن محمد الأزدي : ولم يذكرْه أصحاب الحديث – يعني سبينة – .

● وعلى قوله : لطَبَّقتْ ذِفْرَاه . طَبَّق : أصابَ المِفْصَل ، والذِّفرى[3] : في القفا .

● وأبو عبس بن جبر : اسمه عبد الرحمن . وسلْكان : اسمه سعد .

---

(١) أي : « سريَّةُ كعبٍ » و« خبرُ مُحَيِّصَة » .

(٢) معجم في اللغة معروف ؛ للخليل بن أحمد الفراهيدي .

(٣) « الذِّفْرَى » : العظم الناتىء خلف الأذن .

ذكر غزوة غطفان بناحية نجد

قال ابن إسحاق : وهي غزوة ذي أَمَرّ ، واستعملَ على المدينة عثمان بن عفان فيما قال ابن هشام . قال ابن إسحاق : فأقام بنجد صفراً كلَّه وقريباً من ذلك ، ثم رجع إلى المدينة و لم يلقَ كيداً(١) .

وقال ابنُ سعد : ذو أَمَرّ بناحية النُّخَيْل ، وكانت في شهر ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهراً من مُهَاجَره ، وذلك أنه بلغ رسولَ الله ﷺ أن جمعاً من ثعلبة ومحارب بذي أَمَر ، قد تجمعوا يُريدون أن يُصيبوا من أطراف رسول الله ﷺ ، جَمَعهم رجلٌ منهم يُقال له : دُعثور بن الحارث من بني محارب ، فندبَ رسولُ الله ﷺ المسلمين ، وخرج لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول في أربعمائة وخمسينَ رجلاً ، ومعهم أفراسٌ ، واستخلف على المدينة عثمانَ ، فأصابُوا رجلاً منهم بذي القَصَّة ، يُقال له جَبَّار(٢) من بني ثعلبة ، فأُدخل على رسول الله ﷺ فأخبرَه من خبرهم ، وقال : لن يُلاقوكَ ، لو سمعوا بمسيرِكَ هربوا في رؤوس الجبال ، وأنا سائرٌ معك ، فدعاه رسولُ الله ﷺ إلى الإسلام فأسلم ، وضمَّه رسولُ الله ﷺ إلى بلال ، و لم يُلاق رسولُ الله ﷺ أحداً ، إلا أنه ينظرُ إليهم في رؤوس الجبال ، وأصابَ رسولَ الله ﷺ وأصحابَه مطرٌ ، فنزعَ رسولُ الله ﷺ ثوبيْه ونشرَهما ليَجِفَّا ، وألقاهما على شجرة ، واضطجعَ ، فجاء رجلٌ من العدو يُقال له دُعثور بن الحارث ، ومعه سيف ، حتى قام على رأس رسول الله ﷺ ، ثم قال : مَنْ يَمنعُكَ مني اليوم ؟ قال رسول الله ﷺ : الله . ودفعَ جبريلُ في صدرِه ، فوقعَ السيفُ من يده ، فأخذه رسولُ الله ﷺ وقال له : من يمنُعك مني ؟ قال : لا أحد ، أشهدُ أن لا إله إلا الله وأشهدُ أن محمداً رسولُ الله . ثم أتى قومَه ، فجعلَ يدعوهم إلى الإسلام ، ونزلت هذه الآية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمةَ الله عليكم إذْ همَّ قومٌ ﴾ الآية [المائدة : ١١] ثم أقبلَ رسولُ الله ﷺ و لم يلقَ كيداً ، وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة(٣) .

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٤٦ .

(٢) في الأصول « حِبّان » والتصحيح من ابن سعد والإصابة ١/٢٢٠ .

(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/٣٤ ـ ٣٥ . ويشهد للحديث ما رواه البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

غزوة بُحْرَان

قال ابن إسحاق : ثم غزا يُريد قريشاً ، واستعمل على المدينة ابنَ أم مكتوم فيما قال ابن هشام ، حتى بلغ بُحران ، معدناً بالحجاز من ناحية الفُرُع ، فأقام به شهرَ ربيع الآخر وجُمادى الأولى ، ثم رجعَ إلى المدينة ولم يلقَ كَيْداً[1] .

وقال ابن سعد : إنه خرج لستٍّ خلوْنَ من جُمادى الأولى على رأس سبعة وعشرين شهراً من مُهاجَرِه ، وذلك أنه بلغه أن بها جمعاً من بني سُلَيم كثيراً ، فخرج في ثلاثمائة رجل من أصحابه ، قال : فأغذَّ السيرَ حتى وردَ بُحْرَان ، فوجدهم قد تفرقوا في مياهِهم ، فرجعَ ولم يلقَ كيداً ، وكانت غيبتُه عشرَ ليالٍ[2] .

والفَرَع بفتح الفاء[3] والراء ، قيَّده السهيلي .

سرية زيد بن حارثة
إلى القَرْدَة « اسم ماء »

قال ابن إسحاق : وكان من حديثها أن قريشاً خافوا من طريقهم التي يَسلكون إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان ، فسلكوا طريق العراق ، فخرجَ منم تجَّارٌ فيهم أبو سفيان بن حرب ، ومعهم فِضَّةٌ كثيرة ، وهي عُظْمُ تجارتهم ، واستأجروا رجلاً يُقال له : فُرات بن حَيَّان ، يدلهم في ذلك الطريق ، وبعثَ رسولُ الله ﷺ زيدَ بن حارثة ، فلقيَهم على ذلك الماء ، فأصابَ تلك العير وما فيها ، وأعجزَه الرجالُ ، فقدم بها على رسول الله ﷺ ، فقال حسان بن ثابت بعد أُحد في غزوة بدر الآخرة يُؤَنِّبُ قريشاً في أخذها تلك الطريق :

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٤٦ .

(٢) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/٣٥ — ٣٦ .

(٣) والأكثرون على ضمها .

دَعُوا فلجاتِ الشَّام قد حالَ دُونَها ... جلَادٌ كأفـواه المخاض الأوارك[1]
بأيدي رجـالٍ هاجـرُوا نحوَ ربِّهـم ... وأنصارِه حَقّـاً وأيـدي الملائك
إذا سلكتْ للغورِ من بطنِ عالـجٍ ... فقولا لها ليس الطريـقُ هُنـالكِ[2]

وقال ابن سعد : كانت لهلال جُمادى الآخرة ، على رأس ثمانية وعشرين شهراً من مُهاجَرِه ، وهي أوَّلُ سرية خرج فيها زيدٌ أميراً . والقَرْدة من أرض نجد بين الرَّبَذة والغَمرة ناحيةَ ذاتِ عِرْق . بعثه رسولُ الله ﷺ يعترضُ العيرَ لقريش ، فيها صفوان بن أمية وحُويطب بن عبد العزى وعبدُ الله بن أبي ربيعة ، ومعه مال كثيرٌ وآنيةُ فِضّة وزنُ ثلاثين ألف درهم ، وكان دليلهم فراتُ بن حَيّان ، فخرج بهم على ذاتِ عِرْقٍ ، طريق العراق ، وبلغَ رسولَ الله ﷺ أمرُهم ، فوجَّه زيدَ بن حارثة في مائة راكب ، فاعترضَ لها ، فأصابُوا العيرَ ، وأفْلتَ أعيانُ القوم ، وقدموا بالعير على رسول الله ﷺ ، فخمَّسها ، فبلغ الخمسُ قيمةَ عشرينَ ألف درهم ، وقسمَ ما بقي على أهل السَّرِيّة . وأُسر فراتُ بن حَيَّان ، فأُتي به النبيَّ ﷺ ، فقيل له : إن تُسلم تُتركْ . فأسلم ، فتركَه رسولُ الله ﷺ من القتل .

وحَسُنَ إسلامُ فرات بعد ذلك ، وفيه قال عليه الصلاة والسلام : « إنَّ منكم رجالاً نكلُهم إلى إسلامهم منهم فراتٌ »[3] .

والقَرْدة : بالفاء المفتوحة وسكون الراء ، وضبطها بعضهم بفتح القاف والراء ، والله أعلم بالصواب .

---

(١) « فَلَجَاتِ الشام » : الفَلَجَاتُ : جمع فلجة ، وهي العين الجارية . و « المخَاض » : الإبل الحوامل . و « الأوارك » : الإبل التي ترعى الأراك .
(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥٠/٢ .
(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٤٠/٦ . وأخرج الحديث أبو داود في سننه والبخاري في التاريخ . انظر الإصابة ٢٠١/٣ .

فهارس الجزء الأول

من عيون الأثر

(١) فهارس الأحاديث النبوية

(٢) فهرس الأعلام

(٣) فهرس الموضوعات

(أ) فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث | الصفحة

همزة الوصل

همزة القطع

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة

حرف الباء

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث	الصفحة

حرف السين

حرف الصاد

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

طرف الحديث	الصفحة

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

طرف الحديث	الصفحة

* * *

(٢) فهرس الأعلام

الاسم **الصفحة**

— أ —

الاسم	الصفحة

الاسم	الصفحة

– ص –

– ط –

– ع –

الاسم	الصفحة

الاسم	الصفحة

الاسم | الصفحة

- م -

الاسم	الصفحة

* * *

(٣) فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

* * *

تمَّ الجزء الأول من « عيون الأثر ... »
ويليه الجزء الثاني

السيرة النبوية

عيون الأثر

في فنون المغازي والشمائل والسير



تأليف

الحافظ أبي الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري

المتوفى سنة ٧٣٤ هـ

الجزء الثاني

حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه

د. محمد العيد الخطراوي — محيي الدين مستو

مكتبة دار التراث
المدينة المنورة

دار ابن كثير
دمشق - بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

غزوة أحـد

قرأت على أبي النور إسماعيل بن نور بن قمر الهيتي ، أخبركم أبو نصر موسى بن عبد القادر الجيلي قراءة عليه وأنتم تسمعون ، قال : أخبرنا أبو القاسم سعيد بن أحمد بن البنَّاء ، قال : أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد البُسْري ، أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المُخَلِّص ، حدثنا عبد الله ، حدثنا العبَّاس بن الوليد ، حدثنا أبو عَوانة ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أُحداً هذا جبلٌ يُحبُّنا ونُحبُّه »[1] .

وكانت في شوال سنة ثلاث ، يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت منه عند ابن عائذ ، وعند ابن سعد : لسبع ليالٍ خلون منه ، على رأس اثنين وثلاثين شهراً من مُهاجَره[2] ، وقيل : للنصف منه .

وكان من حديث أحد ، قال ابن إسحاق : كما حدثني محمد بن مسلم الزهري ومحمد بن حَبَّان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، وغيرُهم من علمائنا ، كلُّهم قد حدَّث بعضَ الحديث عن يوم أحد ، وقد اجتمع حديثُهم كلُّه فيما سُقتُ من هذا الحديث عن يوم أحد ، قالوا ــ أو من قال منهم ــ : لما أُصيبَ يومَ بدر من كفار قريش أصحابُ القليب ، ورجع فَلُّهم إلى مكة ، ورجع أبو

---

(١) قال في نور النبراس لوحة ٢ أ/ ١٨٥ : وهذه الطريق التي ذكر فيها حديث « أحد جبل يُحبنا ونحبه » ليس في الكتب ، إنما هو فيها من غير هذه الطريق ، والله أعلم . وعمر بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، أفضل ما قيل فيه : صالح الحديث . انظر الميزان ٣/٢٠١ . والحديث في الصحيح من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، رواه البخاري في الجهاد (باب الخدمة في الغزو) رقم /٢٨٨٩/ ، ومسلم في الحج (باب أحد جبل يحبنا ونحبه) رقم /١٣٩٣/ ، ومالك في الموطأ (باب ما جاء في تحريم المدينة) ٨٨٩/٢ ، والترمذي في المناقب (باب ما جاء في فضل المدينة) رقم /٣٩١٨/ . ورواه البخاري ومسلم عن أبي حميد الساعدي ، ورواه البخاري عن سهل بن سعد ، ورواه مالك في الموطأ عن عروة بن الزبير مرسلاً .

(٢) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٣٦/٢ .

سفيان بن حرب بِعيرِهِ ، مشى عبدُ الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش ، ممن أُصيبَ آباؤهم وإخوانهم وأبناؤهم يومَ بدر ، فكلَّموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة ، فقالوا : يا معشر قريش ؛ إن محمداً قد وَتَرَكم وقتلَ خيارَكم ، فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا نُدركُ منه ثأراً بمن أصاب منا ، ففعلوا(١) .

وقال ابن سعد : لما رجع مَنْ حضَر بدراً من المشركين إلى مكة ، وجدوا العيَر التي قدم بها أبو سفيان بن حرب موقوفة في دار الندوة ، فمشت أشراف قريش إلى أبي سفيان ، فقالوا : نحن طَيِّبو أنفسٍ أن تجهزوا بربح هذه العير جيشاً إلى محمد . فقال أبو سفيان : فأنا أوّلُ من أجاب إلى ذلك وبنو عبد مناف ، فباعوها ، فصارت ذهباً ، وكانت ألفَ بعير ، والمال خمسين ألف دينار ، فسلَّم إليَّ أهلُ العير رؤوسَ أموالهم ،وأخرجوا أرباحَهم ، وكانوا يربحون في تجاراتهم لكل دينار ديناراً(٢) .

قال ابن إسحاق : ففيهم كما ذكر لي بعضُ أهل العلم أنزل الله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا يُنفقون أموالهم ليصدُّوا عن سبيل الله فسيُنْفقونها ثم تكون عليهم حسرةً ثم يُغلبون والذين كفروا إلى جهنم يُحشرون ﴾ [الأنفال : ٣٦] فاجتمعت قريشُ لحرب رسول الله ﷺ حين فعلَ ذلك أبو سفيان وأصحابُ العير بأحابيشها(٣) ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة(٤) .

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٦٠ .

(٢) الطبقات الكبرى ٢/٣٧ .

(٣) « الأحابيش » : هم أحابيش قريش ؛ سُمو بذلك لأنهم تحالفوا بالله أنهم لَيَدٌ على غيرهم ما سجى ليل ووضح نهار ، ومارسى حُبْشِيٌّ . وحُبْشي : بضم الحاء ، اسم جبل بأسفل مكة ، ومنهم : بنو المصطلق ، وبنو الهُون بن خزيمة ، وهم من عامة حلفاء قريش .

(٤) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/ ٦٠ ــ ٦١ .

قال ابن سعد : وكتب العباسُ بن عبد المطلب إلى رسول الله ﷺ بخبرهم كله ، فأخبرَ رسولُ الله ﷺ سعدَ بن الربيع بكتاب العباس[1] .

رجع إلى خبر ابن إسحاق : وكان أبو عَزَّة عمرو بن عبد الله الجُمَحي قد مَنَّ عليه رسول الله ﷺ يوم بدر ، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة ، وكان في الأسارى ، فقال : يا رسول الله إني فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتَها فامننْ عليَّ صلى الله عليك وسلم ، فمنَّ عليه رسولُ الله ﷺ ، فقال له صفوان بن أمية : يا أبا عزة إنك رجلٌ شاعر ، فأعِنَّا بلسانك ، فاخرج معنا . فقال : إن محمداً قد مَنَّ عليَّ ، فلا أريد أن أُظاهر عليه . قال : بلى ، فأعِنَّا بلسانك ، فلك الله عليَّ إن رجعتُ أن أغنيك ، وإن أُصبتَ أن أجعلَ بناتِك مع بناتي يُصيبهن ما أصابهنَّ من عُسْر ويُسْر ، فخرجَ أبو عزَّةَ ومُسافع بن عبد مناف يستنفران الناسَ بأشعارٍ لهما ، فأما أبو عزّة فظفر به رسولُ الله ﷺ بعد الوقعة بحمراء الأسد ، فقال : يا محمد أقلني . فقال : لا والله ، لا تمسحُ عارضَيْكَ بمكة ، تقول : خدعتُ محمداً مرتين . ثم أمرَ عاصم بن ثابت فضربَ عنقَه . وقال سعيدُ بن المسيب : فيه قال عليه الصلاة والسلام : « لا يُلدغ المؤمنُ من جُحْر مرّتين »[2] .

ودعا جُبيرُ بن مُطْعم غلاماً له حبشياً ، يُقال له وحشي ، يقذف بحربة له قذفَ الحبشة قلّما يُخطىء بها . فقال له : اخرجْ مع الناس ، فإن أنتَ قتلتَ حمزةَ عمَّ محمد بعمّي طُعيمة بن عدي فأنت عتيق .

وخرجوا معهم بالظُّعُن[3] التماسَ الحفيظة ، وأن لا يفِرُّوا ، فأقبلوا حتى نزلوا بعَيْنَيْن ــ جبل ببطن السبخة من قناة ، على شفير الوادي مقابل المدينة ــ فلما سمع بهم

---

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/٣٧ .

(٢) حديث سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، قال : « لا يلدغ المؤمنُ من جُحْرٍ واحدٍ مرتين » رواه البخاري في الأدب (باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) رقم /٦١٣٣/ ، ومسلم في الزهد (باب لا يلدغ المؤمن ..) رقم /٢٩٩٨/ ، وأبو داود في الأدب (باب في الحذر من الناس) رقم /٤٨٦٢/ ، وابن ماجه في الفتن (باب العزلة) رقم /٣٩٨٢/ .

(٣) « الظعن » : النساء في الهوادج .

رسولُ الله ﷺ والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا ، قال رسول الله ﷺ للمسلمين : إني قد رأيتُ والله خيراً . رأيتُ بقراً تُذبحُ ، ورأيت في ذُباب سيفي ثَلْماً ، ورأيتُ أني أدخلتُ يدي في درع حصينة ، فأوّلتُها المدينة . وعن ابن هشام : فأما البقرُ فناسٌ من أصحابي يُقتلون ، وأما الثَّلْم الذي رأيتُ في سيفي ، فهو رجلٌ من أهل بيتي يُقتل[1] .

وقال ابن عُقبة : ويقولُ رجالٌ : كان الذي رأى بسيفه : الذي أصابَ وجهَه ، فإن العدو أصابوا وجهَه ﷺ يومئذ وفصموا[2] رباعيته ، وجرحوا شفتَه ، وسيأتي ذكر من فَعَل ذلك . وعن ابن عائذ أن الرؤيا كانت ليلة الجمعة .

رجع إلى الأول ، قال ابن إسحاق : قال ـــ يعني النبي ﷺ ـــ : فإن رأيتم أن تُقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشر مُقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها ، وكان رأيُ عبد الله بن أبيّ بن سلول مع رأي رسول الله ﷺ ، يرى أن لا يخرجَ إليهم ، فقال رجالٌ من المسلمين ـــ ممن أكرم الله بالشهادة يومَ أحد وغيره ـــ ممن فاته بدر مع رسول الله ﷺ ـــ : اخرجْ بنا إلى أعدائنا ، لا يَروْنَ أنا جَبُنَّا عنهم وضعفنا . فلم يزالوا برسول الله ﷺ حتى دخلَ فلبس لأمَته[3] ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات في ذلك اليوم رجلٌ من الأنصار ، يقال له : مالك بن عمرو ، أحد بني النجار ، فصلّى عليه رسولُ الله ﷺ ، ثم خرجَ إليهم وقد ندم النَّاسُ ، وقالوا : استكرهْنَا رسولَ الله ﷺ ، ولم يكن لنا ذلك . فلما خرجَ عليهم رسولُ الله ﷺ ، قالوا : يا رسول الله استكرهْنَاكَ ولم يكن لنا ذلك ، فإن شئتَ فاقعدْ . فقال رسولُ الله ﷺ : ما ينبغي للنبي إذا لبس لأْمتَه أن يضعَها حتى يُقاتل . فخرجَ رسول الله ﷺ في ألف من أصحابه .

قال ابن هشام : واستعملَ ابنَ أمّ مكتوم على الصلاة بالناس ، قال ابن إسحاق : حتى إذا كانوا بالشَّوْط بين المدينة وأحد انخزل[4] عنه عبد الله بن أبيّ بثلث الناس ، وقال : أطاعَهم

---

(١) السيرة النبوية ٢/٦١ ـــ٦٣ .

(٢) « وفَصَمُوا » : كسروا .

(٣) « لأَمَتَه » : اللأمة : أداة الحرب ، والدرع خاصة .

(٤) « انخزلَ » : انفرد ورجع .

وعصاني ، ما ندري على ما نقتلُ أنفسَنا . فرجعَ بمن اتَّبعَه من قومه من أهل النفاق والرَّيْب ، واتَّبعهم عبدُ الله بن عمرو بن حرام ، يقول : يا قوم أُذَكِّرُكم اللَّهَ ألا تخذلوا قومَكم ونبيَّكم عندما حضر من عدوهم . قالوا : لو نعلم أنكم تُقاتلون لما أسلمناكم ، ولكنَّا لا نَرى أنه يكون قتال . قال : فلما استعصوْا عليه وأبوْا إلا الانصراف . قال : أبعدكم اللَّهُ أعداء الله ، فسيُغني الله عنكم نبيَّه[1] .

قال ابن عقبة : فلما رجع عبدُ الله بن أبيّ بثلاثمائة سُقِطَ في أيدي الطائفتين من المسلمين ، وهمَّا أن يقتتلا ، وهُما بنو حارثة وبنو سَلِمة كما يُقال .

أخبرنا الإمام الزاهد أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن أحمد بن الواسطي قراءةً عليه وأنا أسمع ، قال : أخبرنا المشايخ : أبو البركات داود بن أحمد بن محمد بن ملاعب البغدادي ، وأبو نصر موسى بن عبد القادر الجيلي ، وأبو الفضل محمد بن محمد بن محمد بن السَّبَّاك ، قال الأولان : أخبرنا أبو القاسم سعيد بن أحمد بن محمد بن البنا ، وقال الثاني : أخبرنا أبو المعالي محمد بن محمد بن محمد الجبَّان ، قال الأول : أخبرنا . وقال الثاني : أنبأنا أبو القاسم بن البسري ، أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن الذهبي ، حدثنا عبدُ الله بن محمد ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبةَ ، حدثنا أبو أُسامة ، عن شعبة ، عن عدي بن ثابت ، عن عبد الله بن يزيد ، عن البراء بن عازب ، قال : لما خرجَ رسولُ الله ﷺ إلى أُحد ، خرج معه بأناس ، فرجعوا ، قال : فكان أصحابُ رسول الله ﷺ فيهم فِرْقتين ، فقالت فِرْقة : نقتلُهم ، وقالت فِرْقة : لا نقتلهم . قال : فنزلت ﴿ فمالكم في المنافقين فئتين والله أركسَهم بما كسَبُوا ﴾ [النساء : ٨٨] .

قال : فقال رسولُ الله ﷺ : « إنها طيبةُ وإنها تنفي الخبثَ كما تنفي النارُ خبثَ الفِضَّة »[2] .

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٣/٢ ــ ٦٤ .

(٢) قال في نور النبراس : هذا الحديث هو في البخاري ومسلم والترمذي والنسائي ، لكن من حديث عبد الله بن يزيد عن زيد بن ثابت ، وإنما آثر المؤلف تخريجه من عند البغوي ، ولم يخرجه من هذه الكتب ؛ لأنه يقع له أعلى مما في الكتب بدرجة . وهو عند البخاري في المغازي (باب غزوة أحد) رقم /٤٠٥٠/ ، ومسلم في المنافقين في أوله رقم /٢٧٧٦/ ، والترمذي في التفسير (باب ومن سورة النساء) رقم /٣٠٣١/ .

وعن ابن إسحـاق من غير طريق زياد ، عن الزهري ، أن الأنصـار يوم أحد قالوا : يا رسول الله ألا نستعين بحلفائنا من يهود ؟ فقال : « لا حاجة لنا فيهم »(١) .

قال زياد : وحدثني محمد بن إسحاق ، قال : ومضى رسولُ الله ﷺ حتى سَلَكَ في حرة بني حارثة ، فذبَّ فرسٌ بذنبه ، فأصاب كُلاَّبَ سيفٍ(٢) واستلّه ، فقال رسولُ الله ﷺ ــ وكان يُحبُّ الفـأل ولا يَعْتافُ(٣) ــ : يا صـاحب السيف شِـمْ(٤) سيفَك ، فإني أرى السُّيوفَ ستُسَلُّ اليومَ .

ثم قال رسولُ الله ﷺ لأصحابه : مَنْ رجلٌ يَخرجُ بنا على القوم من كَثَبٍ ــ أي من قرب ــ من طريق لا يمرُّ بنا عليهم ؟ فقـال أبو خيثمـة أخو بني حارثة بن الحارث : أنا يـا رسـول الله . فنفذ به في حرة بني حارثة وبين أموالهم ، حتى سـلكَ في مال لِمرْبَع بن قَيْظي ، وكان رجلاً منافقاً ضريرَ البصر ، فلما سمعَ رسولَ الله ﷺ ومَنْ معه من المسلمين قام يَحثي في وجوههم التراب ، ويقول : إن كنتَ رسولَ الله فإني لا أُحِلُّ لك أن تدخلَ حائطي . وقد ذُكر لي أنه أخذ حفنةً من تراب في يده ، ثم قال : والله لو أعلم أني لا أصيبُ بها غيرَك يا محمد لضربتُ بها وجهك . فابتدره القومُ ليقتلوه ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تقتلوه ، فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر » . وقد بدَر إليه سعدُ بن زيد أخو بني عبد الأشهل قبلَ نهي رسول الله ﷺ فضرَبه بالقوس في رأسه فشجَّه ، ومضى رسولُ الله حتى نزلَ الشِّعبَ من أحد ، في عُدْوَة الوادي إلى الجبل ، فجعل ظهرَه وعسكرَه إلى أُحد ، وقال : « لا يُقاتلنَّ أحدٌ حتى آمرَه بالقتال » . وقد سرَّحتْ قريشٌ الظَّهرَ والكُراع في زروع كانت بالصَّمْغة(٥) من قناة للمسلمين ، فقال رجل من الأنصار حين نهى رسول الله ﷺ عن القتال : أتُرعى زروعُ

---

(١) السيرة النبوية ٦٤/٢ عن ابن هشام .

(٢) « كُلاَّب سيف » : الحديدة المعقوفة في آخر مقبض السيف مما يلي الغِمد .

(٣) « ولا يَعتافُ » : هي من العِيافة ، وهي عادة جاهلية ، تتمثل في زجر الطير بغية كشف المستقبل ، فهو إن طار يميناً دلَّ عندهم على الخير ، وإن طار شمالاً دلَّ على الشر ، وقد اعتبر الإسلام هذا وما شابهه منافياً للتوحيد .

(٤) « شِمْ سيفَك » : أغمده ، قالوا : وهو من الأضداد .

(٥) « الصَّمغة » : موضع قرب أحد .

بني قَيْلة ولما تُضارب . وتعبَّى رسولُ الله ﷺ للقتال وهو في سبعمائة رجل .

وأمَّر على الرماة عبدَ الله بنَ جُبير أخا بني عمرو بن عوف ، وهو مُعْلِمٌ[1] يومئذ بثيابٍ بيض ، والرماة خمسون رجلاً ، فقال : انضح الخيلَ عنا بالنَّبل ، لا يأتونا من خَلْفنا إن كانت لنا أو علينا ، فاثبتْ مكانَك لا نؤتينَّ من قِبَلِكَ . وظاهرَ[2] رسولُ الله ﷺ بين درعين ، ودفعَ اللواء إلى مصعب بن عُمير أخي بني عبد الدار[3] .

وقال ابن عقبة : وكان حاملَ لواء المهاجرين[4] رجلٌ من أصحاب النبي ﷺ ، فقال : أنا عاصمٌ إن شاء الله لما معي . فقال له طلحةُ : هل لك يا عاصم في المبارزة ؟ قال : نعم فبدَره ذلك الرجل فضربه بالسيف على رأسه ـــ وقع السيف في لحيته ـــ فقتله ، فكان قتل صاحب لواء المشركين تصديقاً لرؤيا رسول الله ﷺ « إني مُردف كبشاً »[5] . فلما صُرع صاحبُ اللواء انتشر النبيُّ ﷺ وأصحابُه وصَاروُا كتائبَ متفرقة ، فجاسُوا العدوَّ ضرباً حتى أجهضوهم عن أثقالهم[6] ، وحملت خيلُ المشركين على المسلمين ثلاثَ مَرّاتٍ ، كلُّ ذلك تُنضح بالنبل ، فترجعُ مفلولة ، وحمل المسلمون على المشركين فنهكوهم قتلاً .

وذكر ابن عائذ : أن طلحة المذكور في هذا الخبر هو ابن عثمان أخو شيبةَ ، من بني عبد الدار ، وكان بيده لواء المشركين يومئذ ، وأن الرجلَ الذي كان بيده لواء المسلمين المهاجرين عليُّ بن أبي طالب .

والذي قاله ابن هشام في هذه القصة قال : ويُقال إن أبا سعد بن أبي طلحة خرج بين

---

(١) « مُعْلِمٌ » : أعلم الفارس نفسَه في الحرب ؛ إذا وسمَ نفسَه بسِمة يُعلم بها ولا يختلط بغيره من المقاتلين ، وهو أمارةٌ عندهم على الشجاعة وقوة المواجهة .

(٢) « وظَاهَر » : لبس إحدى الدرعين فوق الأخرى ، ولعلَّ في ذلك توجيهاً منه ﷺ إلى وجوب اتخاذ الأسباب ، ومواجهة القتال بالحيطة وإعداد العدة .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/ ٦٥ ـــ ٦٦ .

(٤) سيأتي قريباً : أن الرجلَ هو عليُّ بن أبي طالب ، وأن طلحة هو طلحة بن عثمان حامل لواء المشركين .

(٥) رواه الإمام أحمد والنسائي والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما ؛ كما في السيرة الشامية ٤/ ٢٧٤ ، وهو في المسند ١/ ٢٧١ ، ودلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٢٠٧ .

(٦) « أجهضوهم عن أثقالهم » : نحُّوهم وأزالوهم ، والأثقال : جمع ثَقَل ، بفتحتين ، المتاع .

الصفين فنادى : أنا قاصمٌ من يُبارزني ؟ مراراً . فلم يخرجْ إليه أحد . فقال : يا أصحاب محمدٍ : زعمتم أنَّ قتلاكم في الجنة ، وأن قتلانا في النار ، كذبتم واللات ، لو تعلمونَ ذلك حقاً لخرجَ إليَّ بعضُكم . فخرج إليه عليُّ بن أبي طالب ، فاختلفا ضربتين ، فقتلَه عليٌّ رضي الله عنه(١) .

قال ابن هشام : وأجازَ رسولُ الله ﷺ يومئذ سمرةَ بن جُندب الفِزَاري ورافعَ بن خديج أحد بني حارثةَ ، وهما ابنا خمسَ عشرة سنة ، وكان قد ردَّهما ، فقيل له : إن رافعاً رامٍ ، فأجازه ، فلما أجازَ رافعاً قيل له : يا رسول الله فإن سَمُرة يصرعُ رافعاً ، فأجازَه رسول الله ﷺ ، وردَّ أسامة بن زيد ، وعبدَ الله بن عمر ، وزيدَ بن ثابت ، وأُسيد بن ظَهير ، ثم أجازهم يوم الخندق وهم أبناء خمسَ عشرة سنة(٢) .

قرأتُ على أبي الهيجاء غازي بن أبي الفضل ، أخبركم أبو علي حنبل بن عبد الله بن الفرج سَمَاعاً ، أخبرنا أبو القاسم بن الحصين أخبرنا أبو علي بن المُذْهِب،أخبرنا أبو بكر القطيعي ، حدثنا عبد الله بن أحمد ، حدثنا أبي ، حدثنا يحيى ، عن عُبيد الله ، أخبرني نافع ، عن ابن عمر ؛ أن النبيَّ ﷺ عرضَه يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة فلم يُجزْه ، ثم عرضَه يومَ الخندق وهو ابنُ خمسَ عشرة سنة فأجازَه ، رواه أبو داود عن الإمام أحمد(٣) .

وأخبرتنا السيدة مؤنسة خاتون ابنة السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب رحمهما الله ، ورحم سلفَها ، سماعاً ، قالت : أخبرتنا أم هانىء عفيفة بنت أحمد

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/ ٧٤ .

(٢) المصدر السابق ٢/ ٦٦ .

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ٢/ ١٧ ، ٤٠ ، وأبو داود في كتاب الحدود (باب في الغلام يُصيب الحدَّ) رقم /٤٤٠٦/ وفي كتاب الخراج والإمارة رقم /٢٩٥٢/ عن الإمام أحمد بن حنبل . وهو حديث صحيح رواه البخاري في المغازي (باب غزوة الخندق) رقم /٤٠٩٧/ ، ومسلم في الإمارة (باب سن البلوغ) رقم /١٨٦٨/ ، والترمذي في الجهاد (باب حد بلوغ الرجل) رقم /١٧١١/ ، وابن ماجه في الحدود (باب من لا يجب عليه الحد) رقم /٢٥٤٣/ . ونسبه المنذري للنسائي في السنن الكبرى أيضاً . وإنما آثر المؤلف إخراج هذا الحديث من مسند أحمد ولم يخرجه من هذه الكتب لعلوه له من المسند . نور النبراس لوحة ٢/أ ١٩١ .

الفـارقانيـة إجازة ، قالت : أخبرنا أبو طاهر عبدُ الواحد بن محمد بن أحمد بن الدَّشْتج ، أخبرنا أبو نُعيم الحافظ ، أخبرنا أبو علي محمد بن أحمد بن الصوَّاف ، حدثنـا جعفر بن أحمد ، حدثنـا هشـام بن عمار ، حدثنا إسماعيل بن عياش ، حدثنا أبو بكر الهذلي ، عن نافع ؛ أن عمَر بن عبد العزيز سأله : هل تدرون ما شهدَ عبدُ الله بن عمر مع النبي ﷺ من المغازي ؟ فقال : نعم.حدثنا عبد الله بن عمر ، قال : كانت غزوة بدر وأنا ابن ثلاث عشرة سنة ، فلم أخرج مع النبي ﷺ ، ثم كانت غزوة أحد وأنا ابن أربعَ عشرة سنة ، فخرجتُ إلى النبي ﷺ ، فلما رآني استصغرني فردَّني ، وخلَّفني في حرس المدينة في نفر ردهم ، منهم : زيد بن ثابت ، وأوس بن عَرابة بن أوس ، ورافع بن خديج ، وكان رافعُ أطولَنا يومئذ ، فأنفذه النبي ﷺ فلم يردَّه معنا ، وكانت غزوة الخندق وأنا ابن خمسَ عشرة سنة ، وأنفذني فغزوت معه . فلما حُدِّث هذا الحديث دعا كاتبه ، فقال : أعجل عليَّ كاتباً إلى الأمصار كلِّها ، فإن رجالاً يقدَمُون إليَّ يستفرضـون لأبنـائهم وإخوانهم ، فانظروا من فرضتُ له فاسـألوهم عن أسنانهم ، فمن كان منهم ابنَ خمس عشرة سنة فافرضوا له في المُقاتلة ، ومن كان دون ذلك فافرضوا له في الذرية[1] .

كذا وقع في هذا الخبر أوس بن عَرابة ، وإنما هو عَرابة بن أوس ، وأبوه أوس بن قيظي ، كان من كبار المنافقين ، وهو أحد القائلين:إن بيوتَنا عورة . وعَرابة الذي يقول فيه الشَّمَّاخ بن ضِرار :

رأيتُ عَـرَابـةَ الأوسـيَّ يَسـمُـو ... إلى الخـيراتِ منـقـطـعَ القـرينِ
إذا مـــا رايـــةٌ رُفعت لمجـــدٍ ... تَـلَقَّـــاهَـا عَـرَابـةُ بـاليمـينِ

وقد ردَّ رسولُ الله ﷺ يوم أحد أيضاً البراء بن عازب ، وأبا سعيد الخدري ، وزيدَ بن أرقم ، وسعدَ بن عُقيب بن عمرو بن عدي بن زيد بن جُشم بن حارثة الأنصاري الحارثي ، وسعدَ بن حَبْتَة جدَّ أبي يوسف الفقيه ـــ وهو سعدُ بن بَجِير بن معاوية حليفُ بني عمرو بن عوف ، أمُّه حبتة بنت مالك ـــ وزيد بن جارية من بني عمرو بن عوف ، وذكره ابن أبي حـاتم فيمن اسـم أبيـه على حرف الحاء ، يعني ابن حارثة ، فوَهِم في ذلك ـــ وهو أخو

(١) المصنف ؛ لابن أبي شيبة ٥٣٩/١٢ ، وكتاب الخراج ؛ لأبي يوسف ص ٣٤٢ .

مُجمِّع بن جارية ــ وجابرَ بن عبد الله ، وليس بالذي يُروى عنه الحديث[1] .

قال ابن إسحاق : وتعبَّأت قريش ، وهم ثلاثة آلاف رجل ، ومعهم مائتا فرس[2] .

قال ابن عُقبة : وليس في المسلمين فرسٌ واحدٌ .

قال الواقدي : لم يكن مع المسلمين يوم أحد من الخيل إلا فرسُ رسول الله ﷺ وفرسُ أبي بُرْدة[3] . قال ابن عقبة : فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل .

قال ابن سعد : وجعلوا على الخيل صفوان بن أمية ، وقيل : عمرو بن العاص ، وعلى الرماة عبد الله بن أبي ربيعة ، وكانوا مائة ، وفيهم سبعمائة دارع ، والظُّعن خمسَ عشرة امرأة . وشاعَ خبرُهم في الناس ومسيرُهم حتى نزلوا ذا[4] الحليفة ، فبعثَ رسولُ الله ﷺ عَينين له أنساً ومؤنساً ابني فَضَالة الظَّفَريَّين ، ليلة الخميس لخمس ليالٍ مضتْ من شوال ، فأتيا رسولَ الله ﷺ بخبرهم ، وأنهم قد خَلَّوا إبلَهم وخيلَهم في الزرع الذي بالعُرَيض[5] ، حتى تركوه ليس به خضراء ، ثم بعثَ الحُبابَ بن المُنذر بن الجموح إليهم أيضاً ، فدخل فيهم ، فحزَرَهم ، وجاءه بعلمهم ، وبات سعدُ بن معاذ وأسيد بن حُضير وسعدُ بن عبادة في عِدَّةٍ ليلة الجمعة ، عليهم السلاح في المسجد بباب رسول الله ﷺ ، وحُرست المدينة حتى أصبحوا ــ وذكرَ الرؤيا واختلافَهم في الخروج كما سُقناه ــ فصلَّى رسولُ الله ﷺ الجمعة بالناس ، ثم وعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد ، وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا ، وأمرهم بالتهيُّؤ لعدوهم ، ففرح الناس بذلك ، ثم صلَّى بالناس العصرَ وقد حَشدوا ، وحضرَ أهلُ العوالي ، ثم دخلَ رسولَ الله ﷺ بيتَه ومعه أبو بكر وعمر ، فعمَّماه ولبَّساه . وصفَّ الناسُ

---

(١) أي : ليس هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام السَّلمِي الذي استُشهد أبوه في أحد . واشتهر هو رضي الله عنه برواية الحديث . بل هو رجل آخر من الأنصار . انظر الإصابة ١/٢١٤ .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٦٦ .

(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/٣٩ .

(٤) « ذا الحُلَيْفة » : مقيات أهل المدينة ، ويقع في الجنوب الغربي منها ، على مسافة ثمانية أكيال .

(٥) « العُرَيض » : مكان كما تقدم ، نزلوا فيه بعد ارتحالهم من ذي الحليفة .

ينتظرون خروجَه ، فقال لهم سعد بن معاذ وأُسيد بن حضير : استكرهتم رسولَ الله ﷺ على الخروج ، فرُدُّوا الأمرَ إليه . فخرجَ رسول الله ﷺ وقد لبس لأْمَتَه ، وأظهرَ الدرع ، وحزمَ وسطَها بِمِنْطَقَةٍ من أَدَم من حمائل سيف ، واعتمَّ وتقلَّد السيف ، وألقى التُّرسَ في ظهره ، فندموا جميعاً على ما صنعوا ، وقالوا : ما كان لنا أن نخالفَك فاصنعْ ما بدا لك . فقال : « لا ينبغي لنبيٍّ إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه » وعقد ثلاثة ألوية : لواء الأوس بيد أُسيد بن الحضير ، ولواء المهاجرين بيد علي بن أبي طالب ، وقيل : بيد مصعب بن عمير ، ولواء الخزرج بيد الحُباب بن المنذر ، وقيل : بيد سعد بن عبادة . وفي المسلمين مائة دارع ، وخرج السعدان أمامه يعدوان ــ سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ــ دارعين .

واستعمل على المدينة ابنَ أم مكتوم ، وعلى الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة في خمسين ، وأدلجَ رسولُ الله ﷺ في السَّحَر ، ودليله أبو خيثمة الحارثي ، فحانت الصلاة ــ يعني الصبح ــ فصلَّى .

وانخزل حينئذ ابنُ أبيّ من ذلك المكان بثلاثمائة . ومعه فرسُه وفرسٌ لأبي بُردة بن نيار ، وهو يقول : عصاني وأطاع الولدان ومن لا رأي له[1] .

رجع إلى خبر ابن إسحاق : قال : وقال رسولُ الله ﷺ « مَنْ يأخذ هذا السيف بحقه ؟ » فقام إليه رِجالٌ ، فأمسَكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دجانة سِمَاك بن خَرَشَة ، أخو بني ساعدة ، فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : « أن تضربَ به في وجه العدو حتى ينحنيَ » . قال : أنا آخذه يا رسول الله بحقه . فأعطاه إياه ، وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختالُ عند الحرب إذا كانت ، وحين رآه عليه الصلاة والسلام يتبختر ، قال : « إنها لمِشْية يُبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن » .

وكان أوّلَ من أنشبَ الحربَ بينهم أبو عامر عبدُ بن عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان أحدُ بني ضُبيعة ، وكان فيما ذكرَ ابنُ إسحاق عن عاصم بن عمرو بن قتادة ، خرجَ

---

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٣٦/٢ــ٤٠ .

حين خرج إلى مكة مُباعداً لرسول الله ﷺ ، معه خمسون غلاماً من الأوس ، وبعضُ الناس يقولُ خمسة عشر ، وكانَ يَعِدُ قريشاً أن لو لقي قومَه لم يتخلف عليه منهم رجلان ، فلقيَهم في الأحابيش وعُبدان أهل مكة ، فنادى : يا معشر الأوس! أنا أبو عامر . قالوا فلا أنعم الله بك عيناً يا فاسق . وكان يُسمَّى في الجاهلية الراهب ، فسمَّاه رسولُ الله ﷺ الفاسق . فلمَّا سمع ردَّهم عليه ، قال : لقد أصابَ قومي بعدي شرٌّ . ثم قاتلهم قتالاً شديداً ، ثم راضخهم بالحجارة .

قال ابن إسحاق : وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يُحرِّضُهم على القتال : يا بني عبد الدار ؛ إنكم قد وَلِيْتم لواءَنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم وإنما يؤْتى الناس من قبَل راياتهم ، إذا زالت زالوا ، فإما أن تكفونا لواءَنا وإما أن تُخلُّوا بيننا وبينه فنكفيكموه ، فهمُّوا به وتواعدُوه وقالوا : نحنُ نسلم إليك لواءنا ؟ ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنعُ . وذلك أراد أبو سفيان .

فلما التقى الناسُ قامت هندُ بنت عتبة في النسوة اللاتي معها : وأُخذن الدفوف يضربن بها خلفَ الرجال ، ويحرِّضنَهم ، فقالت هند فيما تقول :

وَيْهــاً بــني عبــد الدار وَيْهــاً حمــاةَ الأدبــار
ضربــاً بكلِّ بتّــار

وتقول :

إن تُقبِلوا نُعانق ونفرشِ النَّمارق
أو تُدبِروا نُفارق فراقَ غيرِ وَامقِ[1]

---

(١) في « ج » و« د » زيادة : قال أبو عمر في الاستيعاب : وكانت تقول ــ أي هند ــ :

نحنُ بنــاتُ طــارق نَمشــي عــلى النَّمَــارِق
والمِسْــكُ في المَفَــارق والدرُّ في المَخَــانق
إنْ تُقبِــلوا نُعــانق ونَفْــرِشِ النَّمَــارِق
أو تُــدبِــروا نُفَــارق فِــرَاق غــير وَامِق

« النَّمارق » : جمع نمرقة ، وهي الوسادة . و« الوامق » : المُحِبّ .

فاقتتل الناسُ حتى حميت الحربُ . وقاتل أبو دجانة حتى أمعنَ في الناس .

قال ابن هشام : وحدثني غيرُ واحد ؛ أن الزبير بن العوام قال : وَجَدْت في نفسي حين سألتُ رسولَ الله ﷺ السيفَ فمنعنيه ، وأعطاه أبا دجانة ، فقلت : والله لأنظرنَّ ما يصنع ، فاتبعتُه ، فأخذَ عِصَابةً له حمراء ، فعصبَ بها رأسهَ ، وقالت الأنصار : أخرجَ أبو دجانة عصابة الموت ، وهكذا كان يقول إذا عصبَ بها ، فخرجَ وهو يقول :

أنــا الذي عــاهَدني خَـليــلي ... ونحن بــالسَّـفْح لدى النخيــلِ
أن لا أقومَ الدهرَ في الكَيُّــولِ ... أضربْ بسيفِ الله والرسولِ (١)

فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله . وكان في المشركين رجلٌ لا يدع لنا جريحاً الا ذَفَّف عليه ، فجعلَ كلُّ واحد منهما يدنو من صاحبه ، فدعوت الله أن يجمعَ بينهما ، فالتقيا فاختلفا ضربتين ، فضربَ المشرك أبا دجانةَ ، فاتَّقاه بدَرَقتهِ ، فعَضَّتْ بسيفه ، وضربه أبو دجانة فقتلَه ، ثم رأيتُه حملَ بالسيف على رأسِ هند بنت عتبة ، ثم عدلَ السيف عنها .

قال ابن إسحاق : وقال أبو دجانة : رأيت إنساناً يَحْمُسُ(٢) الناس حَمْسَاً شديداً فصمدتُ إليه ، فلما حملتُ عليه السيفَ وَلْوَلَ ، فأكرمتُ سيفَ رسول الله ﷺ أن أضربَ به امرأة .

وقاتل حمزةُ بن عبد المطلب حتى قتلَ أرطاةَ بن شُرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان أحد النفر الذين يَحملون اللواء ، ثم مرَّ به سِباعُ بن عبد العزى الغُبْشاني ، فقال له : هَلُمَّ يا بن مُقَطِّعة البُظور . وكانت أمُّه ختَّانةً بمكة ، فلما التقيا ضربَه حمزةُ فقتلَه . قال وحشيٌّ غلامُ جُبير بن مُطعمٍ : والله إني لأنظر إلى حمزة يهدُّ النَّاسَ بسيفه فما يُليقُ شيئاً ، مثل الجمل الأورق ، إذ تقدم اليه سِباعُ بن عبد العزى الغُبْشاني ، فضربه ضربةً ، فكأنما أخطأ رأسَه ، وهززتُ حربتي حتى إذا رضيتُ منها ، دفعتُها عليه ، فوقعت في ثُنَّتِه ، حتى خرجتْ من بين رجليه ، فأقبلَ نحوي ، فغُلب ، فوقع ، فأمهلتُه حتى إذا مات جئتهُ فأخذتُ

(١) « الكَيُّول » : هو سواد ودخان يخرج من الزَّند آخِراً بعد القدح إذا لم يُور ناراً ، وهو شيء لا فائدة منه ولا غَناء فيه . والمقصود به : آخر الصفوف في الحرب ، جاء به هنا على التشبيه .

(٢) « يَحْمُسُ » : يشجع ، وسيأتي تفسيرها مفصلاً في الفوائد ص ٤٠ .

حربتي ، ثم تنحَّيْتُ إلى العسكر ، ولم يكن لي بشيءٍ حاجةٌ غيره[1] .

وقاتل مصعبُ بن عُمير دون رسول الله ﷺ ، حتى قُتل ، وكان الذي قتلَه ابنُ قَمِئة الليثي ، وهو يظنُّه رسولَ الله ﷺ ، فرجع إلى قريش ، فقال : قتلتُ محمداً ، فلما قُتل مصعبُ ، أعطى رسولُ الله ﷺ الراية علياً[2] .

وقال ابن سعدٍ : قتل مُصعبُ بن عُمير ، فأخذ اللواءَ مَلَكٌ في صورة مُصعب ، وحضرتِ الملائكةُ يومئذ ، ولم تُقاتل[3] ، وحكى دُنُوَّ القوم بعضُهم من بعض ، والرماة يرشقون خيلَ المشركين فتُولِّي هوارب ، فصاح طلحةُ بن أبي طلحة صاحبُ اللواء : من يُبارز ؟ فبرزَ له عليٌّ فقتلَه ، وهو كبشُ الكتيبة الذي تقدَّمَت الإشارة إليه في الرؤيا ؛ ثم حملَ لواءهم عثمانُ بنُ أبي طلحة ، فحمل عليه حمزةُ فقطعَ يدَه وكتفَه ، حتى انتهى إلى مؤتزره وبدا سَحْرُه ، ثم حمله أبو سعيد بن أبي طلحة ، فرماه سعدُ بن أبي وقاص فأصاب حنجرته فقتلَه ، ثم حمله مُسافعُ بن طلحة ، فرماه عاصمُ بن ثابت فقتلَه ، ثم حملَه الحارثُ بنُ طلحة ، فرماه عاصمٌ فقتلَه ، ثم حمله كِلاب بن طلحة فقتلَه الزبير بن العوام ، ثم حمله الجُلاَسُ بن طلحة فقتلَه طلحة بن عُبيد الله ، ثم حمله أرطاةُ بن شُرحبيل ، فقتله علي بن أبي طالب ، ثم حمله شريح بن قارط ، فلسنا ندري مَنْ قتلَه ، ثم حمله صُواب غلامُهم ، فقيل : قتلَه سعدُ بن أبي وقاص ، وقيل : علي ، وقيل : قُزْمان ، وهو أثبت الأقاويل[4] .

رجعٌ إلى خبر ابن إسحاق : والتقى حنظلةُ بن أبي عامر الغسيل وأبو سفيان ، فلما استعلاه حنظلةُ ، رآه شدَّادُ بن الأوس بن شعوب قد علا أبا سفيان ، فضرَبه شداد فقتلَه . فقالَ رسولُ الله ﷺ : إن صاحبَكم ــ يعني حنظلة ــ لتغسلهُ الملائكة . فسُئلتْ صاحبتُه ؟ فقالت : خرجَ وهو جُنب حين سمع الهاتفة . فقال رسولُ الله ﷺ : لذلك

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٦٩ــ٧٠ .
(٢) المصدر السابق ٢/٧٣ .
(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/٤٢ .
(٤) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١/٤٠ــ٤١ .

غسَّلَتْه الملائكة . ثم أنزل الله تعالى نصرَه على المسلمين فحَسُّوهم[1] بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر ، وكانت الهزيمة لاشكَّ فيها .

وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عبَّاد ، عن عبد الله بن الزبير ؛ أنه قال : والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحِبها مُشمِّرات هوارب ، ما دون أخذهنَّ قليلٌ ولا كثيرٌ ، إذ مالتِ الرماةُ إلى العسكر حتى كشفَنَا القومُ عنه ، وخلَّوْا ظهورنا للخيل ، فأُتينا من خلفنا ، وصرخ صارخٌ ألا إنَّ محمداً قد قتل . فانكفأنا وانكفأ القومُ علينا بعد أن أصبنا أصحابَ اللواء ، حتى ما يدنو منه أحد من القوم .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعضُ أهل العلم أن اللواء لم يزل صريعاً حتى أخذته عمرةُ بنتُ علقمة الحارثية ، فرفعته لقريش فلاثوا به[2] وكان آخر من أخذ اللواء منهم صُواب ، فقاتلَ به حتى قُطعت يداهُ ، ثم برك عليه فأخذه بصدره وعُنقه حتى قُتل عليه[3] .

قال ابن سعد : فلما قُتل أصحابُ اللواء انكشف المشركون منهزمين ، لا يلوون على شيء ، ونساؤهم يدعون بالويل ، وتبعهم المسلمون يضعون السِّلاحَ فيهم حيث شاؤوا ، حتى أجهضوهم عن العسكر ، ووقعوا ينتهبون العسكرَ ، ويأخذون ما فيه من الغنائم ، وتكلَّمَ الرماةُ الذين على عَيْنَيْن ، واختلفوا بينهم ، وثبت أميرهم عبدُ الله بن جُبير في نفر يسيرٍ دون العشرة مكانَه ، وقال : لا أُجاوزُ أمرَ رسول الله ﷺ بغني[4] ، ووعظَ أصحابه ، وذكَّرَهم أمرَ رسول الله ﷺ ، فقالوا : لم يُرد رسولُ الله ﷺ هذا ، قد انهزم المشركون ، فما مُقامنا هاهنا ، فانطلقوا يتبعون العسكرَ ، وينتهبون معهم ، وخلَّوْا الجبلَ . ونظرَ خالدُ بن الوليد إلى خَلاء الجبل وقِلَّة أهله ، فكرَّ بالخيل ، وتبعَه عكرمةُ بنُ أبي جهل ، فحملوا على من بقي من الرماة فقتلوهم ، وقُتل أميرُهم عبدُ الله بن جُبير ، وانتقضت صفوفُ المسلمين ، واستدارتْ رَحَاهم ، وجالت الريحُ ، فصارت دَبُوراً وكانت قبلَ ذلك صبًا ، ونادى إبليس : إن محمداً قد

(١) « حَسُّوهم بالسيوف » : قتلوهم .

(٢) « فلاثوا به » : اجتمعوا حوله .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٧٥ــ٧٨ .

(٤) كذا في جميع النسخ ، ولم ترد في ابن سعد . ولعلها « وبقي » .

قُتل ، واختلط المسلمون ، فصاروا يقتتلون على غير شعار ، ويضربُ بعضهم بعضاً ، ما يشعرون به من العجلة والدُّهش ، ونادى المشركون بشعارهم بالعزى وبهُبل ، فأوجعوا في المسلمين قتلا ذريعاً ، وولَّى من ولَّى منهم يومئذ[1] .

قال موسى بن عُقبة : ولما فُقِدَ رسولُ الله ﷺ ، قال رجل منهم : إن رسولَ الله ﷺ قد قُتل فارجعوا إلى قومكم ، فيُؤَمِّنوكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم ، فإنهم داخلو البيوت . وقال رجال منهم : لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا هاهنا . وقال آخرون : إن كان رسولُ الله ﷺ قد قُتل ، أفلا تُقاتلون على دينكم ، وعلى ما كان عليه نبيكم ، حتى تلقوا الله عز وجل شهداءَ ؟ منهم : أنس بن مالك بن النضر ، شهدَ له بها سعدُ بن معاذ عند رسول الله ﷺ .

قلت : كذا وقع في هذا الخبر : أنس بن مالك بن النضر ، وإنما هو أنس بن النضر ، عمُّ أنس بن مالك بن النضر .

رجع إلى خبر ابن سعد : وثبتَ رسولُ الله ﷺ ما يزول ، يرمي عن قوسه ، حتى صارت شظايا ، ويرمي بالحجر ، وثبتَ معه عِصابةٌ من أصحابه ، أربعة عشر رجلاً ، سبعة من المهاجرين فيهم أبو بكر الصديق ، وسبعةٌ من الأنصار حتى تحاجزوا[2] .

وروى البخاريُّ : لم يبق مع النبي ﷺ إلا اثنا عشرَ رجلاً[3] . وعن أبي طلحة : غشينا النعاسُ ونحن في مَصَافِّنا يوم أحد ، فجعل سيفي يسقطُ من يدي وآخذه ، ويسقط وآخذه ، وكان يومَ بلاء وتمحيص ، أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة ، حتى خَلَصَ العدو إلى رسول الله ﷺ ، فقُذف بالحجارة حتى وقع لشِقِّه ، وأُصيبت رُباعيته ، وشُجَّ في وجهه وكُلِمَتْ شفته ، وكان الذي أصابه عتبةُ بن أبي وقاص[4] .

---

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/٤١ـ٤٢ .

(٢) المصدر السابق ٢/٤٢ .

(٣) رواه البخاري في التفسير (باب : والرسول يدعوكم في أخراكم) رقم/٤٥٦٢/ .

(٤) رواه البخاري في المغازي (باب : ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً) رقم/٤٠٦٨/ وفي التفسير (باب : أمنة نعاساً) رقم/٤٥٦٢/ ، والترمذي في التفسير (باب ومن سورة آل عمران) رقم/٣٠١٠/و/٣٠١١/ .

قال ابن إسحاق : فحدثني حُمَيْد الطويل ، عن أنس بن مالك قال : كُسرت رباعية النبّي ﷺ يوم أحد ، وشُجَّ وجُهه ، فجعل الدمُ يسيل على وجهه ، وجعلَ يمسحُ الدَّمَ وهو يقولُ : « كيف يُفلح قومٌ خضَبوا وجهَ نبيِّهم وهو يدعوهم إلى ربِّهم » فأنزلَ الله تبارك وتعالى في ذلك : ﴿ ليس لك من الأمر شيءٌ أو يتوبَ عليهم أو يعذِّبَهم فإنهم ظالمون ﴾ [آل عمران : ١٢٨][(١)] .

قال ابنُ هشام : وذَكر لي رُبَيْح بن عبدَ الرحمن بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه ، عن أبي سعيد الخدري ؛ أن عتبة بن أبي وقاص رمى رسولَ الله ﷺ يومئذٍ فكسرَ رباعِيَّته اليمنى السفلى ، وجرحَ شفتَه السفلى ، وأن عبدَ الله بن شهاب الزهري شجَّه في وجهه ، وأن ابن قَمِئة جرحَ وجنتَه ، فدخلتْ حلقتان من المِغْفَر في وجنته ، ووقع رسولُ الله ﷺ في حفرة من الحفر التي عَمِل أبو عامر ، ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون ، فأخذ عليٌّ بن أبي طالب بيد رسول الله ﷺ ، ورفعَه طلحةُ بنُ عبيد الله ، حتى استوى قائماً ، ومصَّ مالكُ بنُ سِنان ــ أبو سعيد الخدري ــ الدمَ من وجهه ، ثم ازدردَه . فقال رسول الله ﷺ : « مَنْ مسَّ دمي دَمَه لم تصبْه النار »[(٢)] .

وذكر عبدُ العزيز بن محمد الدَّرَاوَردِي أن النبيَّ ﷺ قال : « من سرَّه أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظرْ إلى طلحة بن عبيد الله » . وعن عيسى بن طلحة ، عن عائشة ، عن أبي بكر الصديق ؛ أن أبا عبيدة بن الجراح نزعَ إحدى الحلقتين من وجه رسول الله ﷺ ، فسقطتْ ثَنيَّته ، ثم نزعَ الأخرى فسقطتْ ثنيَّته الأخرى ، فكان ساقطَ الثنيَّتين[(٢)] .

وروينا عن ابن عائذ : أخبرنا الوليدُ بن مسلم ، قال : فحدثني عبدُ الرحمن بن يزيد بن جابر ، أن الذي رمى رسولَ الله ﷺ بأحد فجرحَه في وجهه قال لما رماه فأصابه : خذها وأنا ابن قمئة . فقال رسولُ الله ﷺ : « أقمأكَ الله عزَّ وجل » . قال ابن جابر : انصرفَ ابنُ

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٨٠ .
(٢) السيرة النبوية ، لابن هشام ٢/٨١ .

قمئة من ذلك اليوم إلى أهله ، فخرجَ إلى غنمه فوافاها على ذِرْوة جبل ، فأخذ فيها يعترضها ، ويشدُّ عليه تَيْسُها ، فنطحَه نطحةً أرداه من شاهقة الجبل فتقطَّع .

قال ابن إسحاق : فقال رسولُ الله ﷺ حين غشيَه القومُ : « من رجلٌ يشتري لنا نفسَه ؟ » كما حدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن محمود بن عمرو ، قال : فقام زيادُ بنُ السَّكَن في نفر خمسة من الأنصار ، وبعضُ الناس يقولُ إنما هو عُمارة بن يزيد بن السَّكن ، فقاتلوا دون رسول الله ﷺ رجلاً رجلاً يُقتلون دونَه ، حتى كان آخرَهم زيادُ أو عُمارة ، فقاتلَ حتى أثبتَه الجراحة ، ثم فاءتْ فئةٌ من المسلمين فأجهضوهم عنه ، فقال رسول الله ﷺ : « أدنوه مني . فأدنَوه منه ، فوسَّده قدَمَه ، فمات وخدُّه على قدم رسول الله ﷺ »[1] .

قال ابن هشام : وقاتلت أُمُّ عُمارة نُسيبةُ بنت كعب المازنية يوم أحد ، فذكرَ سعيد بن أبي يزيد الأنصاري ؛ أن أمَّ سعد ابنة سعد بن الربيع كانت تقول : دخلتُ على أمّ عُمارة ، فقلت : يا خالة أخبريني خبرَك ؟ فقالت : خرجتُ أوَّلَ النهار ، وأنا أنظرُ ما يَصنعُ الناسُ ، ومعي سِقاء فيه ماء ، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه ، والدولة والريح للمسلمين ، فلما انهزمَ المسلمون انْحَزْتُ إلى رسول الله ﷺ ، فقمتُ أباشرُ القتال وأذبُّ عنه بالسيف ، وأرمي عن القوس ، حتى خَلَصَتْ الجراحةُ إليَّ. فرأيتُ على عاتقها جُرْحاً أجوفَ ، له غَوْرٌ . فقلت : من أصابَك بهذا ؟ قالت : ابن قمئة ، أقمأه الله ، لما وَلَّى الناسُ عن رسول الله ﷺ ، أقبل يقول : دُلُوني على محمد ، فلا نجوتُ إن نجا . فاعترضتُ له أنا ومصعبُ بن عمير ، وأناسٌ ممن ثبتَ مع رسول الله ﷺ ، فضربني هذه الضربة ، ولكن ضربتُه ضرباتٍ على ذلك ، ولكنَّ عدوَّ الله كان عليه درعان[2] .

قال ابن إسحاق : وترَّسَ دون رسول الله ﷺ أبو دُجانة بنفسه ، يقعُ النبل في ظهره وهو منحن عليه حتى كَثُرَ فيه النَّبلُ . ورمى سعدُ بن أبي وقاص دونَ رسول الله ﷺ . قال

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام .

(٢) المصدر السابق ٢/٨١ــ٨٢ .

سعد : فلقد رأيتهُ يُناولني النَّبلَ ويقول : ارم فِداكَ أبي وأمي ، حتى إنه ليُناولني السَّهمَ مالَهُ من نَصْل ، فيقول : ارم به .

وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ؛ أن رسولَ الله ﷺ رمى عن قوسه حتى اندقت سِيتها[1] ، فأخذَها قتَادةُ بن النعمان ، فكانت عندَه .

وأصيبت يومئذٍ عينُ قتَادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته ، فحدثني عاصمُ بن عمر بن قتادة ؛ أن رسولَ الله ﷺ ردَّها بيده ، فكانت أحسنَ عينيه وأحدَّهما[2] .

وذكر الأصمعيُّ : عن أبي مَعْشَر المدني ، قال : وفَّد أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم بديوان أهل المدينة إلى عمر بن عبد العزيز رجلاً من ولد قتادة بن النعمان ، فلما قدم عليه ، قال له : ممن الرجل ؟ فقال :

أنا ابنُ الذي سَالتْ على الخدِّ عينُه   فرُدَّتْ بكفِّ المصطفى أحسنَ الردِّ
فعـادتْ كما كانتْ لأوّلِ أمرهَـا   فيا حسنَ ما عينٍ ويا حسنَ ما ردِّ

حكاه أبو عمر[3] .

قال ابن سعد : ورُمي يومئذ أبو رهم الغفاري كلثومُ بن الحصين بسهم فوقع في نحره . فجاء رسول الله ﷺ فبصقَ عليه فبرَأ[4] .

قال ابن إسحاق : وكان أوَّلَ مَنْ عرفَ رسولَ الله ﷺ بعد الهزيمة ، وقول الناس قُتل رسولُ الله ﷺ ــ كما ذكرَ لي ابنُ شهاب الزهري ــ كعبُ بن مالك ، قال : عرفتُ عينيه تُزهرانِ من تحت المِغفر ، فناديتُ بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين! أبشروا هذا رسولُ الله ﷺ . فأشارَ لي رسولُ الله ﷺ أن أنْصِتْ . فلما عرفَ المسلمون رسولَ الله ﷺ نَهَضُوا به ، ونهضَ معهم نحو الشِّعْبِ ، معه أبو بكر وعمر وعليّ وطلحة

---

(١) « سيتها » : سية القوس : ما عطف من طرفيها ، والجمع سيات .
(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٨٢/٢ .
(٣) الاستيعاب ٢٤٩/٣ بهامش الإصابة .
(٤) لم نجده في الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ، وذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة ٧١/٤ عن أبي عَروبة .

والزبير والحارث بن الصِّمة ، ورهط من المسلمين(1) .

قال موسى بن عقبة : بايعوه على الموت ، فلما أسندَ رسولُ الله ﷺ ، أدركَه أُبيُّ بن خلف ، وهو يقول : أين محمد ؟ لا نجوتُ إن نجا . قال ابن عقبة : قال سعيد بن المسيب : فاعترض له رجال من المسلمين ، فأمرهم رسولُ الله ﷺ فخلَّوْا طريقه ، واستقبله مصعبُ بن عُمير أخو بني عبد الدار يقي رسولَ الله ﷺ بنفسه ، فقُتل مصعبُ بن عُمير ، وأبصر رسولُ الله ﷺ تُرقوةَ أُبيٍّ بن خلف من فُرْجةٍ من سابغة الدرع والبيضة ، فطعنَه بحربته ، فوقع أُبيٌّ عن فرسه ، ولم يخرج من طعنته دم . قال سعيد : فكسرَ ضلعاً من أضلاعه . قال : ففي ذلك نزلت : ﴿ وما رميتَ إذ رميتَ ولكنَّ الله رمى ﴾ [الأنفال : ١٧] .

وقال ابن إسحاق في هذا الخبر : كان أُبيُّ بن خلف ــ كما حدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ــ يلقى رسولَ الله ﷺ بمكة ، فيقول : يا محمد إن عندي العَوْدَ ــ فرساً له(2) ــ أعلفُه كلَّ يوم فَرَقاً من ذرة ، أقتلُك عليها . فيقول رسول الله ﷺ : بل أنا أقتلُك إن شاء الله . فلما رجع إلى قريش وقد خدشَه في عنقه خدشاً غير كبير ، فاحتقنَ الدَّمُ . قال : قتلني والله محمد . قالوا له : ذهب والله فؤادُك ، والله إنْ بك من بأس . قال : إنه قد كان قال لي بمكة : أنا أقتلُك . فوالله لو بصقَ عليَّ لقتلني . فماتَ عدوُّ الله بسَرِف ، وهم قافلون به إلى مكة(3) .

وقال ابنُ عقبة : قال : والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجَاز لماتوا أجمعون .

رجع إلى الأول : فلما انتهى رسولُ الله ﷺ إلى فم الشِّعب ، خرج عليُّ بن أبي طالب حتى ملأ دَرَقَتَه من المِهراس(4) ، فجاء به إلى رسول الله ﷺ ليشربَ منه ، فوجدَ له ريحاً

(1) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٨٣ .

(2) هذا شرح للعود ، و« الفَرَق » : مكيال يسعُ عندهم ستة عشر مَنًّا ، وقيل : اثني عشر رطلاً .

(3) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٨٤ .

(4) « مَلأَ دَرَقته من المِهْرَاس » : الدرقة : الترس من جلد ، والمِهْرَاسُ : حوضٌ يُنقر في الصخر ، ويُجعل عادة إلى جانب البئر ، وقد يُجعل بسفوح الجبال ؛ لتستقرَّ به مياه الأمطار ، وينتفع الناس به .

فعافَه ، فلم يشرب منه ، وغسَلَ عن وجهه الدَّمَ ، وصبَّ على رأسه ، وهو يقول : « اشتدَّ غضبُ الله على من دَمَّى وجهَ نبيه » . فحدثني صالح بن كيسان ، عن من حدثه ، عن سعد بن أبي وقاص أنه كان يقول : والله ما حَرَصْتُ على قتل رجلٍ قطّ حِرْصي على قتل عُتبة بن أبي وقاص ، وإنْ كان ما علمتُ لَسيِّءَ الخلق مُبغضاً في قومه ، ولقد كفاني منه قولُ رسول الله ﷺ : « اشتدَّ غضبُ الله على من دَمَّى وجه رسولِهِ » .

قال ابن إسحاق : فبينا رسولُ الله ﷺ في الشعب معه أولئك النفر من أصحابه ، إذ علتْ عاليةٌ من قريشٍ الجبلَ فقال رسول الله ﷺ : اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا ، فقاتل عمرُ بن الخطاب ، ورهطٌ من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل . ونهضَ رسولُ الله ﷺ إلى صخرة من الجبل ليعلوها ، وقد كان بَدَّنَ(١) رسولُ الله ﷺ ، وظاهرَ بين درعين ، فلما ذهبَ لينهضَ لم يستطع ، فجلسَ تحته طلحة بن عُبيد الله ، فنهض به حتى استوى عليها . فقال رسولُ الله ﷺ كما حدثني يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير عن الزبير بن العوام ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول يومئذ : أوجبَ(٢) طلحةُ . حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع .

قال ابن هشام : وبلغني ؛ عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أن رسول الله ﷺ لم يبلغ الدرجة المبنية في الشعب . وذكر عمر مولى غُفْرة : أن النبيَّ ﷺ صلَّى الظهر يوم أحد قاعداً من الجراح التي أصابته ، وصلَّى المسلمون خلفه قعوداً(٣) .

قال ابن إسحاق : وقد كان النَّاسُ انهزموا عن رسول الله ﷺ حتى انتهى بعضُهم إلى المنقَّى دون الأعوص(٤) . وحدثني عاصمُ بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، قال : فلما خرج رسولُ الله ﷺ إلى أحد ، رفعَ حُسيلُ بن جابر ، وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان ، وثابتُ بن وَقْش في الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدُهما لصاحبه ــ وهما شيخان

---

(١) « بدَّنَ » : أسنَّ وضعفَ .

(٢) « أوجبَ » : وَجَبَت له الجنة .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٨٥ .

(٤) « المُنَقَّى والأعوص » : موضعان بين أحد والمدينة .

كبيران ـــ : لا أبالك ما ننتظر ؟ فوالله إن بقي لواحد منا من عمره إلاظِمءُ[1] حِمار ، إنما نحن هامةٌ[2] اليوم أو غداً ، أفلا نأخذ أسيافنا ، ثم نلحقُ برسول الله ﷺ ، لعلَّ اللّهَ يرزقنا شهادةً مع رسول الله ﷺ . فأخذا أسيافَهما ثم خرجا حتى دخلا في الناس ، ولم يُعلم بهما ، فأما ثابتُ بن وَقْش فقتله المشركون ، وأما حُسيل بن جابر ، فاختلفت عليه أسياف المسلمين ، فقتلوه ولا يعرفونه . فقال حذيفة : أبي والله أبي . قالوا : والله إن عرفناه ، وصدقوا ، فقال حذيفة : يغفرُ الله لكم وهو أرحم الراحمين . فأراد رسولُ الله ﷺ أن يديَه ، فتصدَّقَ حذيفةُ بديته على المسلمين ، فزادَه عند رسول الله ﷺ خيراً .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : كان فينا رجلٌ أَتِيٌّ[2] ولا ندري ممن هو ، يقال له قُزْمان . وكان رسولُ الله ﷺ إذا ذُكر يقولُ : إنه لمن أهل النار . قال : فلما كان يومُ أحد ، قاتل قتالاً شديداً ، فقَتَلَ وحدَه ثمانية أو سبعة من المشركين ، وكان ذا بأس ، فأثبتته الجراحةُ . فاحتُمل إلى دار بني ظَفَر . قال : فجعلَ رجالٌ من المسلمين يقولون : والله لقد أبليتَ اليومَ يا قُزْمَانُ فأبشرْ . قال : بماذا أبشر . فوالله إن قاتلتُ إلا على أحساب قومي ، ولولا ذلك لما قاتلتُ . قال : فلما اشتدَّتْ عليه جِراحتُه ، أخذ سهماً من كِنَانته ، فقتل به نفسَه .

وكان ممن قُتل يومئذ مُخَيْريق ، وقد تقدم[3] خبره[4] .

وكان الحارث بن سُويد بن الصامت منافقاً لم ينصرف مع عبد الله بن أُبيّ في حين انصرافه عن رسول الله ﷺ مع جماعته عن غزوة أحد ، ونهضَ مع المسلمين ، فلما التقى المسلمون والمشركون عدا على المُجَذَّر بن زياد ، وعلى قيس بن زيد أحد بني ضُبيعة ، فقتلهما ، وفرَّ إلى الكفار ، وكان المُجَذَّر قد قتل في الجاهلية سُويدَ بن الصَامت والدَ الحارث

---

(١) « ظِمء حمار » : الظمء : مدة ما يكون بين الشربتين ، والمراد وقت يسير ، وإنما خصَّ الحمار ؛ لأنه أقل الدواب صبراً عن الماء ، وهو مثلٌ يُضرب لقرب الأجل .

(٢) « إنما نحن هامة » : يريد الموت . و « رجل أَتِيٌّ » : غريب .

(٣) انظر ج ١ ص ٣٣٤ .

(٤) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٨٦ـــ٨٩ .

المذكور في بعض حروب الأوس والخزرج ، ثم إن الحارث رجعَ إلى المدينة إلى قومه ، وأتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ من السماء ، ونزل جبريلُ عليه فأخبرَه أن الحارث بن سُويد قدم فانهضْ إليه واقتصَّ منه لمن قتلَه من المسلمين غدراً يوم أحد ، فنهضَ رسولُ الله ﷺ إلى قباء في وقت لم يكن يأتيهم فيه ، فخرجَ إليه الأنصارُ أهلُ قباء في جماعتهم ، وفي جملتهم الحارث بن سويد وعليه ثوبٌ مورَّس[1] ، فأمرَ رسولُ الله ﷺ عُويمَ بن ساعدة بضرب عنقه . فقال الحارثُ : لم يا رسولَ الله ؟ فقال : بقتلك المُجَذَّر بن زياد وقيس بن زيد . فما راجعه الحارث بكلمة ، وقدَّمه عويمُ فضربَ عنقَه ، ثم رجعَ رسولُ الله ﷺ فلم ينزل عندَهم[2] .

هذا عن أبي عمر النمري ، والمأمور بضرب عنقه عند بعضهم عثمان بن عفان ، وعند آخرين بعضُ الأنصار ، وفي قتل المجذر سويداً خلافٌ بين أهل النقل .

قال ابن إسحاق : وحدثني الحصينُ بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن أبي سفيان ، مولى ابن أبي أحمد ، عن أبي هريرة ، قال : كان يقولُ : حَدِّثوني عن رجل دخلَ الجنة لم يُصلِّ قطُّ ، فإذا لم يعرفْه النَّاسُ ، سألوه : مَنْ هو ؟ فيقول : أُصيرم بني عبد الأشهل عمرو بن ثابت بن وَقْش . قال الحصين : فقلت لمحمود بن لبيد : كيف كان شأن الأُصيرم ؟ قال : كان يأبى الإسلام على قومه ، فلما كان يومُ خروج النبيِّ ﷺ إلى أُحد ، بدا له في الإسلام ، فأسلم ، ثم أخذَ سيفَه فغدا ، حتى دخلَ في عُرْض الناس ، فقاتلَ حتى أثبتته الجراحةُ . قال : فبينا رِجالٌ من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة ، إذا هم به ، فقالوا : والله إنَّ هذا للأصيرم ، ما جاء به ؟ لقد تركناه وإنه لمنكرٌ لهذا الحديث ، فسألوه : ما جاء بك ؟ أَحَدَبٌ على قومك أم رغبةٌ في الإسلام ؟ فقال : بل رغبةٌ في الإسلام ، آمنتُ بالله ورسوله ، وأسلمتُ ، ثم أخذتُ سيفي ، فغدوتُ مع رسول الله ﷺ ، ثم قاتلتُ حتى أصابني ما أصابني ، ثم لم يلبث أن مات في أيديهم ، فذكروه لرسول الله ﷺ ، فقال : إنه لمن أهل الجنة .

وحدثني أبي إسحاقُ بن يسار ، عن أشياخ من بني سلِمة ، أن عمرَو بن الجموح كان

(١) « مُورَّسُ » : مصبوغ بالورس ، وهو الزعفران .

(٢) الدرر ؛ لأبي عمر بن عبد البر ص ١٥١ .

رجلاً أعرج ، شديد العَرَج ، وكان له بنون أربعة مثلُ الأُسد ، يشهدون المشاهدَ مع رسول الله ﷺ ، فلما كان يومُ أحد ، أرادوا حبسَه ، فأتى رسولَ الله ﷺ فقال : إن بنيَّ يُريدُون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه ، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة ، فقال رسولُ الله ﷺ : أمَّا أنتَ فقد عذَرك الله فلا جهادَ عليك ، وقال لبنيه : ما عليكم أن لا تمنعوه لعلَّ الله يرزقُه شهادة . فخرجَ معه ، فقُتل يومَ أحد[1] .

وذكر أبو عمر في خبره ، قال : فأخذَ سلاحَه وولَّى ، فلما ولَّى أقبلَ على القبلة ، وقال : اللهم ارزقني الشهادة ولا تردَّني إلى أهلي خائباً . وفيه : ثم قال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده : إنَّ منكم مَنْ لو أقسمَ على الله لأبرَّه ، منهم عمرو بن الجموح ، ولقد رأيتهُ يطأ في الجنة بعرجته . وقيل : حملَ هو وابنه خَلاَّد حين انكشفَ المسلمون فقُتلا جميعاً[2] .

قال ابن إسحاق : ووقعت هندُ بنتُ عُتبة ، كما حدثني صالح بن كَيْسَان ، والنسوة اللاتي معها يُمثِّلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يُجدِّعنَ الآذانَ والآنُفَ ، حتى اتَّخذتْ هندُ من آذان الرجال وآنُفِهم خَدَماً[3] وقلائدَ ، وأعطت خَدَمَها وقلائدها وأقرطتَها وحشياً ، غلامَ جُبير بن مُطعم ، وبقرتْ من كبد حمزةَ ، فلاكتْها ، فلم تستطع أن تُسيغها ، فلفظتها ، ثم علت على صخرة مُشرفة فصرختْ بأعلى صوتها ، فقالت :

نحن جزيناكم بيوم بدرِ ... والحربُ بعدَ الحربِ ذاتُ سُعْرِ
ما كان عن عتبةَ لي من صبرِ ... ولا أخي وعمِّه وبِكْري
شفيْتُ نفسي وقضيتُ نَذري ... شفيتَ وحشيُّ غليلَ صدري
فشكرُ وحشيٍّ عليَّ عمري ... حتى تَرِمَّ أعظمي في قبري

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عبَّاد بن المطلب ، فقالت :

خزيْتِ في بدرٍ وبعد بدرِ ... يا بنتَ وَقَّاعٍ عظيمِ الكفرِ
صبَّحَك اللَّهُ غداةَ الفجرِ ... بالهاشميِّين الطِّوال الزُّهرِ

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٩٠ .
(٢) الاستيعاب ٢/٥٠٣ ــ ٥٠٤ .
(٣) « خَدَماً » : خلخالاً .

بكـل قطَّـاعٍ حسـامٍ يفري   حمـزةُ ليـثي وعـليٌّ صـقـري
إذ رامَ شـيبَ وأبـوكِ غـدري   فخضَّبَا منه ضَوَاحي النَّحْرِ[1]
ونـذرُك الشُّـوء فشـرُّ نـذرِ

ثم إن أبا سفيان حين أراد الانصراف أشرف على الجبل ، ثم صرخ بأعلى صوته : أنعَمْت فَعَالِ[2] . فقال : إنَّ الحربَ سِجال يومٌ بيوم بدر ، اعلُ هُبل ـــ أي أظهرْ دينَك ـــ . فقال رسـول الله ﷺ : قم يا عمر فأجبه ، فقـل : الله أعلى وأجلُّ ، لا سواء ، قتلانا في الجنة وقتـلاكم في النـار . وقال : إن لنـا العُزَّى ولا عُزَّى لكـم . قال رسـول الله ﷺ : قولوا : « اللهُ مَوْلانا ولا مَوْلى لكم »[3] .

عن ابن عائذ وغيره[4] .

رجع : فلمـا أجابَ عمر أبا سفيـان . قال له أبو سفيـان : هلمَّ إليَّ يا عمر . فقال رسـول الله ﷺ لعمَرَ : ائتـه ، فانظرْ ما شـأنه . فجـاءَه ، فقال أبو سفيان : أنشدُك الله يا عمر أقتلنا محمداً ؟ قال عمر : اللهم لا ، وإنه يسمعُ كلامَك الآن . قال : أنت أصدقُ عندي من ابن قَمئة وأبرّ ـــ لقول ابن قمئة : إني قتلت محمداً ـــ ثم نادى أبو سفيان : قد كان في قتلاكم مُثْلى ، والله ما رضيتُ ولا سخطتُ ، ولا نهيْت ولا أمرت ، ولما انْصرف أبو سفيان وأصحابهُ ، نادى : إن موعدَكم بدرٌ للعام القابل . فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه : قل : نعم ، هو بيننا وبينكم موعدٌ . ثم بعثَ رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب ـــ وقـال ابن عـائذ : سـعـدَ بن أبي وقـاص ـــ فقـال : اخرج في آثار القوم ، فانظر ماذا يَصنعون ، وماذا يُريدون ، فإن كانوا قد جَنَّبوا الخيلَ وامتطَوا الإبلَ فإنهم يُريدون مكة ، وإن رَكِبوا الخيلَ وساقوا الإبلَ فهم يُريدون المدينة ، والذي نفسي بيده إن أرادُوها لأسيرنَّ إليهم

---

(١) « شيبَ » : هو شيبةُ ، رخَّمتْه في غير النداء على غير قياس للضرورة .

(٢) « أنعمتَ فَعَالِ » : أنعمتَ : بالغتَ ، يخاطب بها نفسه . عالِ : فعل أمر من مادة العلو ، أي : زد وارتفع ، والجملة جارية مجرى المثل .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٩١ـــ٩٢ .

(٤) كذا في جميع النسخ ، ولعل المؤلف رحمه الله أراد الإشارة إلى وجود هذا الخبر عند ابن عائذ وغيره أيضاً .

فيهـا ، ثم لأناجزنَّهـم . قال عليّ : فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يَصنعون ، فجنَّبوا الخيـلَ وامتطَوا الإبل ، وتوَجّهوا إلى مكة .

وفَزِعَ النَّـاس لقتـلاهم . فقـال رسـولُ الله ﷺ ـــ كما حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صَعْصَعَة المازني ، أخو بني النجار ـــ : مَنْ رجلٌ ينظرُ ما فعلَ سعدُ بن الربيع ؟ أفي الأحياء هو أم في الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل . فنظرَ ، فوجدَه جريحاً في القتلى ، وبه رمق . قال : فقلت له : إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظـر أفي الأحيـاء أنتَ أم في الأمـوات . فقــال : أنـا في الأموات ، فـأبـلغْ رسـولَ الله ﷺ عني السَّلامَ وقل له : إن سعدَ بن الربيع يقولُ لك : جزاكَ اللّهُ عنا خير ما جزى به نبيّاً عن أُمّته ، وأبلغ قومَك عني السـلام ، وقل لهم : إن سعدَ بن الربيع يقولُ لكم : إنه لا عذرَ لكم عند الله أن يُخلَصَ إلى نبيّكم ، ومنكم عينٌ تَطْرِفُ . قال : ثم لم أبرح حتى مات . قال : فجئتُ رسولَ الله ﷺ فأخبرته خبرَه .

قال ابن إسحـاق : وخرجَ رسـولُ الله ﷺ فيما بلغني يلتمسُ حمزةَ بن عبد المطلب ، فوجدَه ببطن الوادي قد بُقرَ بطنُه عن كَبده ، ومُثِّلَ به ، فجُدِعَ أنفُه وأذناه[1] .

أخـبرنـا أبو الفضــل عبـد الرحيم بن يوسف بن يحيى ، وأبو الهيجــاء غازي بن أبي الفضـل بن عبد الوهاب بقراءة والدي عليهما وأنا اسمع متفرقين ، قالا : أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزذ ، قال : أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين الشيباني ، قـال : أخـبرنـا أبو طـالـب محمـد بن محمـد بن غيـلان ، قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي ، حدثنا حامد بن محمد ، حدثنا بشر بن الوليد ، حدثنا صالح المري ، عن سُليمان التيمي ، عن أبي عثمان النهدي ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ وقفَ على حمزةَ بن عبد المطلب حين استُشهدَ ، فنظرَ إلى شيء لم ينظرْ إلى شيء قطُّ كان أوجعَ لقـلبـه منه ، ونظرَ قد مُثِّل به . فقال : « رحمة الله عليك ، فإنك كنتَ ما علمتُك فعولاً للخيراتِ ، وَصُولاً للرحم ، ولولا حزنٌ من بَعدي عليكَ ، لَسرّني أن أدعَك حتى تُحشرَ من أفواه شـتى ، أما والله مع ذلك لأمثلنَّ بسبعين منهم مكانَكَ » . قال : فنزل جبريلُ عليه

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٩٣ــ٩٥ .

السلام والنبيُّ ﷺ واقفٌ بعدُ ، بخواتيم سورة النحل : ﴿ وإن عاقبتم فعَاقبوا بمثل ما عُوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ [النحل : ١٢٦] إلى آخر السورة . فصبرَ النبيُّ ﷺ ، فكفَّرَ عن يمينه وأمسكَ عما أراد[١] .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم ، عن مِقْسم مولى عبد الله بن الحارث ، عن ابن عباس ، قال : أمرَ رسولُ الله ﷺ بحمزةَ فسُجِّي ببردِه ، ثم صلَّى عليه فكبَّر سبعَ تكبيراتٍ ، ثم أُتي بالقتلى يُوضعون إلى جنب حمزةَ ، فصلَّى عليهم وعليه معهم ، حتى صلَّى عليه ثنتين وسبعين صلاة[٢] .

وقد روينا حديثَ مِقْسم هذا عن ابن عباس : أُتي بهم رسولُ الله ﷺ يومَ أُحد ، فجعلَ يُصلِّي على عشرة عشرة .. الحديث ، من طريق ابن ماجه ، عن محمد بن عبد الله بن نمير ، عن أبي بكر بن عياش ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن مقسم به[٣] .

وروينا عن ابن سعد ، قال : أخبرنا أبو منذر البزاز ، حدثنا سفيان الثوري ، عن حصين ، عن أبي مالك ؛ أن رسول الله ﷺ صلَّى على قتلى أُحد[٤] .

وقال ابن عقبة : لم يُغسِّلْهم ولم يُصلِّ على أحد منهم ، كما يُصَلَّى على الموتى ، ولم يكفنهم في غير ثيابهم التي قُتلوا فيها .

قال أبو عمر : واختُلف في صلاة رسول الله ﷺ على شهداء أحد ، ولم يُختلف عنه في أنه أمر أن يُدفنوا بثيابهم ودمائهم ، ولم يُغَسَّلوا ، ومُثِّلَ يومئذ بعبد الله بن جحش بن رئاب غير أنه لم يبقر عن كبده[٥] .

(١) هذه القصة ذكرها المؤلف من « الغيلانيات » وفي سندها : بشر بن الوليد لم يوثقه غير ابن حبان ، وصالح المري ضعيف جداً . وذكرها ابن عبد البر في « الاستيعاب » مرسلة عن كثير بن زيد ، عن المطلب بن حنطب ، وفي كثير بن زيد ضعف ، والمطلب بن حنطب يرسل عن كبار الصحابة . باختصار من نور النبراس وميزان الاعتدال . ومتن القصة فيه نكارة ظاهرة .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٩٧/٢ .

(٣) رواه ابن ماجه في الجنائز (باب ما جاء في الصلاة على الشهداء ودفنهم) رقم/١٥١٣/ وقال السندي : يظهر من الزوائد أن إسناده حسن .

(٤) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٤٨/٢ .

(٥) الدرر ؛ لابن عبد البر ص ١٥٦ .

وروى ابن وهب عن أبي صخر ، عن ابن قُسيط ، عن إسحاق بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه ؛ أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد : ألا تأتي ندعو الله . فخَلَوا في ناحية ، فدعا سعد ، فقال : يارِبِّ إذا لقيتُ العدوَّ غداً فلقِّني رجلاً شديداً بأسُه ، شديداً حَرِدُه أقاتله فيك ويقاتلني ، ثم ارزقني عليه الظَّفَرَ حتى أقتلَه وآخذَ سلبَه ، فأَمَّنَ عبدُ الله بن جحش ، ثم قال : اللهم ارزقني غداً رجلاً شديداً بأسُه ، شديداً حَرِدُه ، أقاتلُه فيك ويُقاتلني ، فيقتلُني ، ثم يأخذُني فيجدعُ أنفي وأذني ، فإذا لقيتُكَ قلت : يا عبدَ الله فيم جُدِعَ أنفُك وأذنُك ؟ فأقولُ : فيك وفي رسولك . فيقول الله تعالى : صدقتَ . قال سعد : كانت دعوةُ عبدِ الله بن جحش خيراً من دعوتي ، لقد رأيتُه آخرَ النهار وإن أُذنَه وأنفَه معلقان في خيط .

وذكر الزبير في « الموفقيات » ، أن عبدَ الله بن جحش انقطع سيفُه يوم أحد ، فأعطاه رسولُ الله ﷺ عرجونَ نخلةٍ ، فصار في يده سيفاً ، يُقال : إن قائمَه منه . وكان يُسمَّى العُرجون . ولم يَزلْ يُتناقلُ حتى بيع من بغا التركي بمائتي دينار . يقال : إنه قتل عبدَ الله يومئذ أبو الحكم بن الأخنس بن شُرَيق الثقفي ، ودُفن[1] هو وحمزة بن عبد المطلب في قبر واحد .

قال ابن سعد : ودُفن عبد الله بن عمرو بن حَرَام وعمرو بن الجَموح في قبر واحد ، ودُفن خارجة بن زيد وسعد بن الربيع في قبر واحد ، ودُفن النعمان بن مالك وعَبْدَةُ بن الحسْحاس في قبر واحد ، وكان الناسُ أو عامّتهم قد حملوا قتلاهم إلى المدينة فدفنوهم في نواحيها ، فنادى منادي رسول الله ﷺ رُدُّوا القتلى إلى مضاجعهم ، فأدرك المنادي رجلاً واحداً لم يكن دُفنَ فَرُدَّ ، وهو شمَّاسُ بن عثمان المخزومي[2] .

وسيأتي لوفاة شمَّاس ذكرٌ في أشعار أُحد إن شاء الله تعالى .

وأما أبو عمر ، فقال : يومئذٍ احتمل ناسٌ من المسلمين قتلاهم إلى المدينة ، فردَّهم رسولُ الله ﷺ ليُدفنوا حيث قتلوا[3] .

قال الواقدي : وولي رسولُ الله ﷺ تركةَ عبدِ الله بن جحش ، واشترى لابنه مالاً بخيبر

(١) وكان حمزة خاله ، لأن والدة عبد الله هي أميمة بنت عبد المطلب كما سيذكره المؤلف قريباً .
(٢) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٤٤/٢ ومغازي الواقدي ٣١٢/١ .
(٣) الدرر ؛ لابن عبد البر ص ١٦٧ .

ــ وعبدُ الله[1] لأميمة بنت عبد المطلب بن هاشم عمّةُ رسول الله ﷺ ــ ويومئذٍ قال رسولُ الله ﷺ وقد أشرف على القتلى : أنا شهيد على هؤلاء ، وما من جريح يُجرحُ في الله إلا واللهُ يبعثُه يوم القيامة يَدْمَى جرحُه ، اللونُ لونُ دم ، والريحُ ريحُ مسك[2] .

روينا عن أبي بكر الشافعي بالإسناد المذكور آنفاً ، حدثنا محمد بن علي بن إسماعيل ، حدثنا قطن ، حدثنا حفص ، حدثنا إبراهيم ، عن عبَّاد بن إسحاق ، عن محمد بن مسلم الزهري ، عن عبد الله بن ثعلبة ، أنه أخبره ، أن رسول الله ﷺ قال لقتلى أحد : « زَمِّلوهم بجراحِهم ، إنه ليس مَكلومٌ يُكْلَم في الله تعالى إلا وهو يأتي يومَ القيامة لونُه لونُ دم وريحهُ ريحُ مسكٍ »[3] .

وكذلك رواه محمد بن مصعب ، عن الأوزاعي ، عن الزهري ، وغيرُه يخالفه . قال الدارقطنيُّ : الصوابُ رواية الليث ، ومَنْ وافقه وروَوْه عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن كعب ، عن جابر : ويومئذٍ قال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص : « ارمِ فداكَ أبي وأمي »[4] .

قُرِىء على عبد الرحيم بن يوسف بن يحيى المَوْصلي وأنا أسمع ، أخبركم أبو علي حنبل ابن عبد الله بن الفرج بن سعادة الرَّصَافي قراءة عليه وأنت حاضر في الخامسة ، قال : أخبرنا أبو القاسم هبةُ الله بن محمد بن الحُصَيْن ، قال : أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن المُذْهِب ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي ، أخبرنا عبد الله بن أحمد ، حدثنا أبي ، حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن سعد بن إبراهيم ، عن عبد الله بن شدَّاد ، عن علي ، قال : ما سمعتُ رسولَ الله ﷺ يُفَدِّي أحداً بأبويه إلا سعد بن مالك ، فإني

(١) أي : كان عبدُ الله بن جحش ولداً لأميمة .

(٢) لم نجده في مغازي الواقدي ، ولا الطبقات الكبرى ؛ فلعله في تاريخ الواقدي .

(٣) الحديث رواه المؤلف من الغيلانيات ، ورواه النسائي في الجنائز (باب مواراة الشهيد في دمه) ٧٨/٢ عن هنَّاد ، عن ابن المبارك ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عبد الله بن ثعلبة . قال في نور النبراس : وهذه الطريق التي ذكرها ــ أي المؤلف في الغيلانيات ــ مساوية لطريق النسائي ، وكان ينبغي للمؤلف أن يذكره من قوله أو يتعقبه بالتعريف ، والله تعالى أعلم .

(٤) رواه البخاري في المغازي (باب : إذ هَمَّت طائفتان منكم أن تفشلا) رقم /٤٠٥٥/ ، ومسلم في فضائل الصحابة (باب : فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه) رقم/٢٤١١/و/٢٤١٢/ .

سمعته يقول له يوم أحد : « ارم سعدٌ فداك أبي وأمي »[1] .

وقال رسول الله ﷺ في الشهداء : « انظروا أكثرَ هؤلاء جمعاً للقرآن فاجعلوه أمام أصحابه في القبر »[2] . وكانوا يدفنون الثلاثة والاثنين في القبر . وقال ابن سعد : وقال رسول الله ﷺ : « ادفنوا عبد الله بن عمرو ، وعمروَ بن الجموح في قبر واحد ؛ لما كان بينهما من الصفاء » . قال فحُفر عنهما وعليهما نَمِرتَان[3] . وعبدُ الله قد أصابَه جرح في وجهه فيدُه على جرحه ، فأُميطت يدُه عن وجهه ، فانبعثَ الدم ، فرُدَّتْ يدُه إلى مكانها فسكنَ الدم[4] . وقال : أخبرنا عمرو بن الهيثم أبو قطن ، قال : حدثنا هشام الدَّسْتَوَائي ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال : صُرِخَ بنا إلى قتلانا يوم أحد حين أجرى معاويةُ العين ، فأخرجناهم بعد أربعين سنة ليِّنة أجسادهم ، تنثني أطرافُهم[5] .

قُرِىء على الحرة الأصيلة أم محمد شامية بنت الحافظ صدر الدين أبي علي الحسن بن محمد بن محمد بن البكري ، وأنا أسمع بالقاهرة سنة ثمان وسبعين وستمائة ، أخبرك الشيخ أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزد الدَّارَقَزيّ قراءة عليه وأنتِ تسمعين ؟ فأقرت به ، قال : آخبرنا أبو غالب أحمد بن الحسين بن أحمد بن البنا قراءةً عليه وأنا أسمع ، أخبرنا القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن خلف بن الفراء قراءة عليه وأنا أسمع ، أخبرنا أبو الحسن علي بن

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ١/١٢٤و١٣٧ ، ورواه البخاري في المغازي (باب : إذ همت طائفتان أن تفشلا) رقم/٤٠٥٨/ ومسلم في فضائل الصحابة رقم/٢٤١١/ ، والترمذي في المناقب (باب : مناقب سعد بن أبي وقاص) رقم/٣٥٦/ ، والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم/١٩٢/ . وإنما عدل المؤلف عن رواية الحديث من هذه الكتب ورواه من المسند ؛ لأنه وقع له عالياً بدرجة ؛ كما ورد في نور النبراس لوحة ٢/أ٢١١ .

(٢) رواه بنحوه أبو داود في الجنائز (باب في تعميق القبر) رقم/٣٢١٥/ ، كما رواه الترمذي في الجهاد (باب في دفن الشهداء) رقم/١٧١٣/ ، والنسائي في الجنائز (باب ما يستحب من إعماق القبر) ٢/٨٠ ، و ابن ماجه في الجنائز (باب في حفر القبر) رقم/١٥٦٠/ . وقال سبط ابن العجمي : أكثر جمعاً للقرآن : أكثر محفوظاً .

(٣) « نَمِرَتان » : النَّمِرَة : بردة من صوف ، فيها خطوط بيض وسود .

(٤) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٣/٥٦٢ .

(٥) المصدر السابق ٣/٥٦٣ .

معروف بن محمد البزاز قراءة عليه في رجب سنة ست وثمانين وثلاثمائة ، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد بن موسى الهاشمي ، حدثنا خلاَّد بن أسلم ، قال : أخبرني النضر بن شميل ، حدثنا شعبة ، حدثنا محمد بن المنكدر ، قال سمعتُ جابراً ، قال : قُتل أبي يوم أحد ، فجئتُ إليه وقد مُثِّلَ به ، وهو مُغَطَّى الوجه ، فكشفتُ عن وجهه ، وجعلتُ أبكي ، وجعل الناسُ يَنْهُونِي ، ورسول الله ﷺ لا ينهاني ، وجعلتْ فاطمة بنتُ عمر وعمَّتي تبكيه . فقال رسول الله ﷺ : « لا تبكيه ، فما زالتِ الملائكةُ تُظِلُّه بأجنحتِها حتى رفعتموه »[1] .

وقرأتُ على عبد الله محمد بن أبي الفتح الحنبلي الصُّوري ، وأبي النور إسماعيل بن نور بن قمر الهِيتي ، قلت للأول : أخبَرك أبو البركات بن مُلاعب ، والثاني : أخبركم أبو نصر موسى بن عبد القادر ، قالا : أخبرنا سعيدُ بن البنا ، أخبرنا أبو القاسم بن البُسري ، أخبرنا أبو طاهر المُخَلِّص ، حدثنا يحي ـــ يعني ابن صاعد ـــ حدثنا عبد الله بن محمد بن المسور ، حدثنا سفيان ، أخبرنا كوفي لنا ، أخبرنا محمد بن يحيى ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أُعلمتُ أن الله أحيا أباك ، فقال له : تمنَّه . فقال : أُرَدُّ إلى الدنيا فأُقتل . فقال : قد قضيتُ أنهم إلى الدنيا لا يَرجعون »[1] .

كذا وقع في هذه الرواية عن سفيان قال : أخبرنا كوفي لنا ، أخبرنا محمد بن يحيى ، وكأنه تصحيف ، ولعلَّ الصوابَ فيه : حدثنا سفيان ، أخبرنا كوفي لنا محمد بن علي ، عن ابن عقيل . وهو محمد بن علي بن ربيعة السلمي أبو عتَّاب الكوفي ابن عم منصور بن المعتمر ، وأخوه لأمه ، رأى رَبعيَّ بن حِراش ، روى عن ابن عقيل وغيره ، وروى عنه سفيان بن عُيينة وغيرُه ، وثَّقه يحي بن معين ، وقال ابن أبي حاتم عن أبيه : هو من الشيعة . قلت : ما حاله ؟ قال : صدوق ، لابأس به ، صالح الحديث . ووقع في ترجمته وَهَم عن ابن أبي حاتم تبع فيه البخاري على عادته ، نبَّه عليه أبو بكر الخطيب ، وقد أثبته هناك . وكذا ذكرَ هذا الخبر أبو عمر بن عبد البر ، قال : وروى ابنُ عيينة عن محمد بن علي السُّلَمي ،

---

(١) روى حديث جابر البخاري في المغازي (باب من قتل من المسلمين يوم أحد) رقم/٤٠٨٠/ ، ومسلم في فضائل الصحابة (باب من فضائل عبد الله بن عمرو بن حرام) رقم/٢٤٧١/ ، وعزاه في نور النبراس إلى النسائي في الجنائز ولم نجده ، وقال سبط ابن العجمي : إنما آثر المؤلف إخراجه من هذه الطريق الذي ذكره منها ، ولم يخرجه من هذه الكتب ؛ لإنه عال من هذا الطريق . نور النبراس لوحة ٢/أ٢١٢ .

عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر ، فذكره .

ويومئذ نهى رسولُ الله ﷺ عن النوح ، قال ابن إسحاق : وحدثني عبدُ الواحد بن أبي عون ، عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص ، قال : مرَّ رسولُ الله ﷺ بامرأةٍ من بني دينار ، وقد أُصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد فلما نُعوا لها ، قالت : فما فعلَ رسولُ الله ﷺ ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان ، هو بحمد الله تعالى كما تحبين . قالت : أرونيه حتى أنظر إليه . قال : فأُشير لها إليه ، حتى إذا رأته ، قالت : كلُّ مُصيبةٍ بعدكَ جَلَل ــ تريد صغيرة ــ[1] .

وكان لطلحة بن عبيد الله يومئذ المقامَ المحمودَ في الذَّبِّ عن رسول الله ﷺ ، قال الزبير وغيرُه : وأبلى طلحةُ بلاء حسناً يومَ أحد ، ووقى رسولَ الله ﷺ بنفسه ، واتقى عنه النَّبلَ بيده ، حتى شُلَّت أصبعُه ، وضُرب الضربة في رأسه ، وحملَ رسولَ الله ﷺ على ظهره حتى استقلَّ على الصخرة ، وقال رسول الله ﷺ : « أوجب طلحة »[2] .

وقرأتُ على أبي الفتح يوسف بن يعقوب الشيباني بسفح قاسيون ، أخبرتكم أم الفضل زينب بنت محمد بن أحمد بن عقيل القيسية قراءة عليها وأنت تسمع سنة ست وستمائة ، قالت : أخبرنا الفقيه أبو الفتح نصر الله بن محمد بن عبد القوي المِصِّيصي قراءة عليه ونحن نسمع ، قال : أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب قراءة عليه وأنا أسمع ، قال : أخبرنا الحسن بن أبي بكر ، أخبرنا محمد بن عبد الله الشافعي ، حدثنا محمد بن أحمد بن النضر الأزدي ، حدثنا معاوية بن عمرو ، عن أبي إسحاق ــ يعني الفزاري ــ عن حُميد ، عن أنس ، قال : غابَ عمي أنس بن النضر عن قتال أهل بدر ، فقال : غبتُ عن أوّل قتال قاتلَه رسولُ الله ﷺ المشركين ، أما والله لئن أشهدني الله قتالاً ليَرينَّ اللهُ ما أصنعُ ، فلما كان يوم أُحد ، انكشفَ المسلمون ، فقال : اللهم إني أعتذر إليك مما صنعَ هؤلاء

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٩٩ .

(٢) خبر أن يد طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه شلت يوم أحد رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ (باب ذكر طلحة بن عبيد الله) رقم/٣٧٢٤/ ، وخبر رفعه النبي ﷺ على ظهره حتى استوى على الصخرة ، وقول النبي ﷺ : « أوجب طلحة » رواه الترمذي في المناقب (باب مناقب طلحةرقم/٣٧٣٩/ ، والحاكم في المستدرك ١/٣٧٤ وصححه ، وسكت عليه الذهبي .

ــ لأصحابه ــ وأبرأُ إليك مما جاء به هؤلاء ــ المشركون ــ . ثم تقدَّم فلقيَه سعدُ بن معاذ ، فقال : أين يا سعد ؟ واهاً لريح الجنة ، والله إني لأجد ريحها دون أحد . قال سعد : فما استطعتُ أصنعُ ما صنعَ ، مضى حتى استشْهد . قال : قال أنس : ما عرفتُه إلا ببنَانهِ ، لأنه مُثِّل به ، وجدنا فيه بضعةً وثمانين أثراً ما بين ضربةٍ بالسيف وطعنةٍ بالرمح ورمية بالسهم ، فكنا نتحدث أن فيه وفي أصحابه نزلت : ﴿ من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾(١) [الأحزاب : ٢٣] .

وروينا عن ابن إسحاق ، عن حُميد الطويل ، عن أنس قال : لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذٍ سبعينَ ضربة ، فما عرفتْه إلا أختُه ، عرفتْه ببنانِه(٢) .

أخبرتنا السيدة الأصيلة مؤنسة خاتون بنت السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب رحم الله سلفها ، فيما قرأته عليها ، عن عفيفة بنت أحمد بن عبد الله الفَارِقانية إجازة ، قالت : أخبرنا أبو طاهر عبد الواحد بن محمد بن أحمد بن الصباغ ، قال : أخبرنا أبو نُعيم الحافظ ، قال : أخبرنا أبو علي بن الصواف ، حدثنا محمد بن نصر ــ يعني أبا جعفر الصايغ ــ حدثنا إبراهيم ــ يعني ابن حمزة ــ حدثنا عبد العزيز ــ يعني ابن محمد ــ عن عُبيد الله ــ يعني ابن عمر ــ عن نافع ، عن ابن عمر : أن عمرَ بن الخطاب قال لأخيه زيد بن الخطاب يوم أحد : خذْ درعي هذه يا أخي . فقال له إني أريد الشهادة مثل ما تُريد . فتركاها جميعاً(٣) .

قال ابن إسحاق : ولما انتهى رسولُ الله ﷺ إلى أهلِه ناولَ سيفَه ابنته فاطمة ، فقال : اغسلِي عن هذا دمَه يا بنيَّة ، فوالله لقد صدقني اليومَ . وناولها عليُّ بن أبي طالب سيفَه ، وقال : وهذا فاغسلي عنه دمَه ، فوالله لقد صدقني اليومَ . فقال رسولُ الله ﷺ : لئن كنتَ

(١) رواه البخاري في الجهاد (باب قول الله عز وجل : من المؤمنين رجال صدقوا ...) رقم/٢٨٠٥/ ، ومسلم في الإمارة (باب ثبوت الجنة للشهيد) رقم/١٩٠٣/ ، والترمذي في التفسير (باب ومن سورة الأحزاب) رقم/٣١٩٨/ ، وهو عند الإمام أحمد في المسند ١٩٤/٣و٢٥٣ .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٨٣/٢ .

(٣) حلية الأولياء ٣٦٧/١ .

صدقتَ القتالَ ، لقد صدقَ معكَ سهلُ بن حُنيف وأبو دجانة[1] .

ورويناعن ابن عقبة : ولما رأى رسولُ الله ﷺ سيفَ عليٍّ مختضباً دماً ، قال : « إن تكنْ أحسنتَ القتالَ فقد أحسنَ عاصمُ بن ثابت بن أبي الأقلح ، والحارثُ بن الصِّمة ، وسهل بن حنيف » ثم قال : أخبروني عن الناس ما فعلوا وأين عامّتُهم ؟ ثم قال : إن المشركين لن يُصيبوا منا مثلَها حتى نُتِيْحَهم[2] . ومثَّلَ المشركون يومئذ بقتلى المسلمين إلا ما كان من حنظلة ابن أبي عامر ، فإن أباه كان معهم ، فلذلك لم يُمثلوا به ذكره ابن عقبة . وقال : قال سهل بن سعد الساعدي : قال رسول الله ﷺ : « اللهم اغفرْ لقومي فإنهم لا يعلمون » .

وانهزمَ قومٌ من المسلمين ، منهم عثمان بن عفان ، وسعد بن عثمان ، وأخوه عقبة بن عثمان ، من بني زُرَيْق ، وخارجة بن عامر الأنصاري . ثم عفا الله عنهم ، ونزل فيهم : ﴿ إنَّ الذين تولَّوْا منكم يومَ التقى الجمعانِ إنما استزلَّهم الشيطانُ ببعضِ ما كَسَبوا ﴾ [آل عمران : ١٥٥] الآية .

قال ابن عقبة : تولوا حتى انتهوا إلى بئر جَرْم[3] .

ورويناعن محمد بن سعد : قال أبو النمر الكِناني ــ هو جدُّ شريك بن عبد الله بن أبي نَمْر المحدث ــ : شهد أحداً مع المشركين ، وقال : رَميتُ يومئذٍ بخمسين مَرْماة ، فأصبتُ منها بأسهم ، وإني لأنظر إلى رسول الله ﷺ ، وإن أصحابَه لَمحدقون به ، وإن النبلَ ليمرُّ عن يمينه وعن شماله ، ويقصرُ بين يديه ويخرجُ من ورائه ، ثم هداه الله للإسلام .

ذكر فوائد تتعلق بهذه الأخبار

● الأحابيش : الذين حالفوا قريشاً ، هم بنو المصطلق سعد بن عمرو ، وبنو الهُون بن خزيمة ، اجتمعوا بذنبة حُبْشي ، وهو جبل بأسفل مكة ، فتحالفوا بالله : إنا ليد على غيرنا

(١) السيرة النبوية ٢/١٠٠ .

(٢) « نُتِيحَهم » : قال في النهاية : يُقال : أتاح الله لفلان كذا : أي قدَّره له وأنزله به . وفي نور النبراس لوحة ٢/أ٢١٤ : يُقال : أتاح له الشيء يَتوحُ : تهيَّأ .

(٣) بئر جَرْم : هو بفتح الجيم وإسكان الراء وبالميم .

ما سجَى ليلٌ ووضحَ نهار ، وما رَسَا حُبْشِيٌّ مكانه . فسُمُّوا أحابيش ، باسم الجبل . قال حماد الراوية : سُمُّوا أحابيش لاجتماعهم ، والتجمُّع في كلام العرب هو التحبُّش . قاله ابن قتيبة في كتاب « المعارف » له . رأيت ذلك بخط جدي رحمه الله ، وقال : إنه قرأه على أبي عليّ شيخه عمر بن محمد الأزدي .

● والثَّلْم : ـــ ساكن اللام ـــ ، في السيف ، والثَّلَم ـــ مفتوح اللام ـــ : ثَلَمُ الوادي .

● وذكرَ أبا خيثمة الحارثي دليلَ رسول الله ﷺ ، ولم ينبه عليه ابنُ هشام ، والذي ذكره ابن[1] سعد وغيرُه أبو حَثْمة ، وهو عندهم والد سهل بن أبي حَثْمة ، قال أبو عمر[2] : وليس في الصحابة أبو خيثمة إلا عبد الله بن خيثمة السالمي ، له خبر معروف في غزوة تبوك ، وأبو خيثمة عبد الرحمن بن أبي سَبْرة الجُعفي ، والد خيثمة بن عبد الرحمن صاحبِ عبد الله بن مسعود ، وأبو حَثْمة هذا : عبد الله ، وقيل : عامر بن ساعدة بن عامر بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس ، نسبَه كذلك أبو عمر .

● ونضحتُ النشّابَ ، بالحاء المهملة : رميتُ .

● وذكرَ الرجز الذي قالته هند بنت عتبة * إن تقبلوا نعانق * وأوله :

نحنُ بناتُ طارق ... نمشي على النمارق

وكذا ذكره[3] ابن سعد ، فقال : روي هذا الشعرُ لهند بنت عتبة ؛ كما قال ابن إسحاق ، والشعر ليس لها ، وإنما هو لهند بنت بياضة بن طارق بن رياح بن طارق الإيادي ، قالته حين لقيت إياد جيش الفرس بجزيرة الموصل ، وكان رئيس إياد بياضة بن طارق ووقع في شعر أبي دُؤَاد الإيادي ، وذكر أبو رِيَاش وغيرُه أن بكرَ بن وائل لما لقيتْ تغلبَ يومَ قِضَّة ، ويُسمَّى يومَ التحليق ، أقبل الفِنْد[4] الزِّمّاني ، ومعه ابنتان ، وكانت إحداهما تقول : * نحن

(١) الطبقات الكبرى ٢/٣٨ .

(٢) الاستيعاب ؛ لابن عبد البر ٤/٤١ .

(٣) الطبقات الكبرى ٢/٤٠ .

(٤) « الفِنْد » : بكسر الفاء وسكون النون ودال مهملة ، هو لقب ، واسمه سهل الزماني ، كذا قاله مجد الدين الفيروز أبادي في قاموسه ، ولفظه : الفِنْد : بالكسر ، الجبل العظيم ، أوقطعة منه ، ويُفتح ، وفي الصحاح : والفِند : قطعة من الجبل طولاً ، والفِند : الزمانيُّ الشاعر .

بنـاتُ طـارق * فطـارق على رواية من رواه لهند بنت عتبـة أو لبنت الفِنْد الزِّمَّاني تمثيـل واستعـارة ، لا حقيقة ، شبَّهت أباها بالنجم الطارق في شرفه وعلوه ، وعلى رواية من رواه لهند بنت بياضة حقيقة لا استعارة ؛ لأنه اسمُ جدِّها ، قال البَطَلْيُوسي : والأظهر أنه لبنت بياضة ، وإنما قاله غيرُها متمثلاً . وقال أبو القاسم السهيلي على قول من قال أرادت به النجم لعلوه : هذا التأويل عندي بعيد ، لأن طارقاً وصف للنجم لطُروقه ، فلو أرادته لقالت : بناتُ الطارق ، فعلى تقدير الاستعارة يكون « بنات » مرفوعاً ، وعلى تقدير أن يكون الشعر لابنة بياضة بن طارق يكون منصوباً على المدح والاختصاص نحو :

* نحن بني ضَبّةَ أصحابَ الجمل * .

● والكَيُّول : آخرُ القوم أو آخرُ الصفوف .

● ولولت المرأة : دعت بالويل .

● ما يُليق : ما يُبقي .

● والهذ ــ معجم الذال ــ القطع ، ومهملها : الهدم .

● وقوله : فكأنما أخطأ رأسه ، أخطأ الشيء إذا لم يتعمده ، أي كان في إلقائه رأسَه كأنه لم يتعمده ولا قصده .

● ويَحْمُسُ النـاسَ : بالسـين المهمـلة ، يُشجعهم ، من الحماسـة ، وبالمعجمة من أحمشتُ النَّار : أوقدتها ، أي يُغضبهم .

● وذكر خبرَ قتادة بن النعمان في ذهاب عينه ورجوعها ، وقد روي أن عينيه جميعاً سقطتـا ، رواه محمـد بن أبي عثمان ، عن مـالك بن أنس ، عن محمد بن عبد الله بن أبي صعصعة ، عن أبيه ، عن أبي سعيد ، عن أخيه قتادة بن النعمان ، قال : أُصيبت عيناي يومَ أحد ، فسقطتا على وجنتيّ ، فأتيتُ بهما النبيَّ ﷺ فأعادهما مكانهما ، وبصقَ فيهما فعادتا تَبْرُقان . قال الدارقطني : هذا حديث غريب عن مالك ، تفرَّد به عمَّار بن نصر وهو ثقة ، ورواه الدارقطني : عن إبراهيم الحربي ، عن عمار بن نصر هذا .

● وذكرَ قتـل حُسَيْـل ـــ أبي حذيفة بن اليمان ـــ ويقال : الذي قتله خطأً عتبةُ بن مسعود ، أخو عبد الله بن مسعود .

● والهامة : كانت العرب تقول : إن روح الميت تصير هامة ، ومنه :

* وكيفَ حياةُ أصداءٍ وهامِ *

● وظِمْءُ حمار : الحمار أقصرُ الدواب ظمأً ، وأطولُها الإبل .

● وقوله عليه الصلاة والسلام : « من رجلٌ ينظرُ ما صنعَ سعد بن الربيع ؟ » . لم يُسمَّ في الخبر . قال الواقدي : هو مُحمد بن مسلمة . وذكر أبو عمر أنه أُبيّ بن كعب .

● وذكر السـهيـلي في حديث ابن إسحـاق ، عمن لا يَتهـم ، عن مقسـم ، عن ابن عباس : في صلاة النبي ﷺ على شهداء أحد : أنه يعني بمن لا يَتهم : الحسن بن عمارة ، وضعَّف الحديثَ به ، لكن قد ذكرناه من رواية يزيد بن أبي زياد ، عن مِقسم ، من طريق ابن ماجه ، ويزيدُ : أخرج له مسلم مقروناً بغيره في الأطعمة ، وصحَّح الترمذيُّ حديثَه في غير ما موضع ، وبينه وبين الحسن بن عمارة بون بعيد ، وقد رأيتُ قبل هذا موضعاً تكلَّم فيه السهيلي على رواية لابن إسحاق عمن لا يتَّهم ، فقال : هو الحسن بن عمارة . وهذا يحتاج إلى نقل عن ابن إسحاق ، وأقل ما في ذلك نقلٌ عن معاصر له أو قريب منه في الطبقة ، وإلا فما المانع من أن يكون الذي لا يتهمه في هذا الخبر هو يزيد بن أبي زياد ، فكثيراً ما يروي عنه ، وهو أجدرُ بالثناء عليه ، وقد روى الخبرَ عنه أبو بكر بن عياش كما أوردناه ، وعند ابن إسحاق رجلٌ آخرُ يقال له : يزيد بن أبي زياد ، وهو يزيد بن زياد بن أبي زياد ميسرة[1] ، يروي عن محمد بن كعب القرظي ، مستور الحال .

● وأوجب طلحة : أحدث شيئاً يستوجب به الجنة .

● الأتيّ : الغريب ، لا يُدرى من أين أتى ، كذا وقع في هذا الخبر عند ابن إسحاق ، وذكره ابن سعد ، فقال : قزمان بن الحارث من بني عبس حليف لبني ظَفَر .

● الوَقَّاع : السَّبَّاب .

---

(١) الجرح والتعديل ٩/٢٣٦ .

● ضاحيةُ الشيء : ناحيته .

● أنعمتَ ، فَعالِ[1] : اسم للفعل الحسن ، وأنعمَ : زاد . وقال السُّهيلي : معناه : أنعمتِ الأزلام ، وكان استقسمَ بها حين خروجه إلى أحد .

قال ابن إسحاق : وكان فيما أنزل الله من القرآن يوم أحد ستون آية من سورة آل عمران ، فيها صفةُ ما كان في يومهم ، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وإذ غدوتَ من أهلك تُبَوِّىءُ المؤمنين مقاعدَ للقتال والله سميعٌ عليمٌ ﴾[2] [آل عمران : ١٢١] .

ذكر من استُشهد يوم أحد

من المهاجرين عندهم[3] :

من بني هاشم بن عبد مناف : حمزة بن عبد المطلب بن هاشم .

ومن بني أمية بن عبد شمس : عبد الله بن جحش حليف لهم من بني أسد بن خزيمة .

ومن بني عبد الدار بن قصي : مصعب بن عُمير .

ومن بني مخزوم بن يقظة : شمَّاسُ بن عثمان .

وزاد ابن عقبة خامساً لهم ، وهو : سعد مولى حاطب ، من بني أسد بن عبد العزى .

وزاد ابن سعد[4] : عبد الله ، وعبد الرحمن ابني الهُبَيْب ، من بني سعد بن ليث . ووهب ابن قابوس المزني ، وابن أخيه الحارث بن عُقبة بن قابوس . ومالكاً ، ونعمان ، ابني خلف بن عوف بن دارم بن عَنْز بن وائلة بن سهم بن مازن بن الحارث بن سَلامان بن أسلم ابن أفْصَى بن حارثة ، كانا طليعتين للنبي ﷺ فقتلا يوم أحد شهيدين ، ودفنا في قبر . = أحدَ عشر .

---

(١) انظر تعليقتنا ص ٢٩ . وعلى تفسير السهيلي تُصبحُ العبارة : « أنعمتَ فَعَالي » .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١٠٦/٢ــ١٢١ .

(٣) « عندهم » : أي عند جميع أهل السير .

(٤) الطبقات الكبرى ٤٢/٢ .

وزاد أبو عمر[1] : ثَقِف بن عمرو الأسلمي ، حليف بني عبد شمس . وعقربة أبا بشير بن عقربة الجُهني . وذكرَ أن خُنيس بن حُذافة بن قيس بن عدي بن سُعيد بن سهم القرشي شهدَ أحداً ، ونالته بها جراحات مات منها بالمدينة .

وليس ذلك بشيء ، والمعروف أنه مات بالمدينة على رأس خمسةٍ وعشرين شهراً بعد رجوعه من بدر ، وتأيَّمَتْ منه حفصةُ بنت عمر ، فتزوَّجها رسولُ الله ﷺ في شعبان على رأس ثلاثينَ شهراً ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى ، وكل ذلك قبل أحد . وفي قول أبي عمر : عدي بن سُعيد بن سهم : وَهَم ثانٍ إنما هو عديّ بن سعد بن سهم ، وسعد وسُعيد ابنا سهم ، فعديّ من ولد سعد ، والله أعلم .

ومن الأنصار ، ثم من الأوس ثم :

من بني عبد الأشهل : عمرو بن معاذ ، وابن أخيه الحارث بن أوس ، والحارث بن أنس ، وعمارة بن زياد ، وسلمة ، وعمرو ، ابنا ثابت بن وقش ، وأبوهما ، وعمُّهما رفاعة ، وحُسيل بن جابر أبو حذيفة بن اليمان ، حليف لهم ، وصيفي وخباب ابنا قيظي ، وعند ابن سعد : صيفي والحَباب ابنا قيظي بن عمرو بن سهل بن مخرمة بن قِلَع بن حريش بن عبد الأشهل . وكان ابن الكلبي يقول : حريش بن جُشم ، أخي عبد الأشهل ليس ولده . والمشهور الأول . وعمُّهما : عبَّاد بن سهل ، وعمُّه معبد بن مخرمة عند ابن سعد ، وعنده أيضاً عامر بن يزيد بن السَّكن ، وعند ابن إسحاق في أخبار الوقعة مقتل زياد بن السَّكَن ، حين قال رسول الله ﷺ : « مَنْ يَشري لنا نفسَه » قال : فقام زياد بن السَّكن في خمسة من الأنصار ، فقاتلوا حتى قُتلوا ، وكان زياد آخرهم . قال : وبعضُ الناس يقول : هو عُمارة بن يزيد[2] . ويزيد : ابن السكن بن رافع .

وسهل بن رومي بن وقش ، ورافع بن يزيد ، وقُرّة بن عُقبة بن قرة ، حليف لهم .

وفي عدادهم من ولد جشم بن الحارث أبي عبد الأشهل عندهم : إياس بن أوس بن عتيك ، ومن حلفائهم : حبيب بن زيد بن تيم بن أمية بن خِفاف بن بَيَاضة .

---

(١) الاستيعاب ١/٢٠٩ .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٨١ .

كذا ذكره ابن سعد : حبيب بن زيد ، في حلفاء بني عبد الأشهل ورأيته في موضع آخر من ولد مرة بن مالك بن الأوس ، وهو حبيب بن زيد بن تيم بن أمية بن بياضة بن خِفاف بن سعيد بن مرة بن مالك ، قاله ابن الكلبي .

وعبيدُ بن التَّيِّهان ، وهو عند ابن عقبة وأبي مَعْشر وابن القدَّاح : عتيك ، وابن عُمارة ينسبه إلى جُشم بن الحارث هذا ، وغيرُه يقول : من حلفائهم ، وليس من أنفسهم ، وقد سبق ذلك عند ذكر أخيه أبي الهيثم . قال أبو عمر : وقيل : بل قتل بصفين .

وعند ابن سعد : سهل بن عدي بن زيد بن عامر بن جُشم أخي عبد الأشهل بن جشم بن الحارث : ويسار مولى أبي الهيثم بن التيهان .

= أربعة وعشرون ، انفرد منهم ابن سعد عن ابن إسحاق بتسعة .

ومن بني ظَفر : يزيد بن حاطب بن أمية بن رافع بن سويد بن حرام بن الهيثم بن ظفر .

ومن بني حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو ــ وهو النَّبِيت ــ بن مالك بن الأوس ، عند ابن سعد : قيس بن الحارث بن عدي بن جشم بن مجدعة بن حارثة . والواقدي وابنُ عُمارة يقولان فيه : قيس بن مُحرِّث ، قال ابن عمارة : أما قيس بن الحارث فقُتل يوم اليمامة .

ومن بني عمرو بن عوف ، ثم من بني أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف : رفاعة بن عبد المنذر ، عند ابن سعد ، وفيه نظر .

ومن بني ضُبيعة بن زيد : أبو سفيان بن الحارث بن قيس بن زيد بن ضُبيعة ، وحنظلة بن أبي عامر بن صيفي بن النعمان بن مالك بن أمية بن ضُبيعة ، قتله أبو سفيان بن حرب ، وكان حنظلة بن أبي سفيان قُتل يوم بدر ، فكان أبوه أبو سفيان يقول : حنظلةُ بحنظلة .

ومن بني عُبيد بن زيد أخي ضُبيعة : أُنيس بن قتادة .

ومن حلفاء بني زيد بن مالك ، من بني العجلان : عبد الله بن سَلِمة بن مالك بن الحارث بن عدي بن الجَدِّ بن العجلان . وهو عند ابن إسحاق حليفٌ لبني السَّلَم بن امرىء القيس .

ومن بني العجـلان وأُنيف ، من بلي ، حـلفـاء بني زيد ، عند ابن سعد : ثابت بن الدَّحْدَاح ، ويقال : الدحداحة ، بن نعيم بن غنم بن إياس .

ومن بني معاوية بن مالك بن عمرو بن عوف : سُبيع بن حاطب بن قيس بن هيشة بن الحارث بن أمية بن معاوية ، وقال فيه ابن عقبة : سويبق .

ومن حلفائهم : مالك بن نُميلة ، ذكره ابن سعد و ابن هشام ، وليس عند ابن إسحاق في روايتنا ، وقال أبو عمر : ذكره إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق .

ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف : أبو حبّة ــ بالباء ــ بن عمرو بن ثابت ، وعند آخرين ، منهم ابن سعد : أبو حنّة ــ بالنون ــ بن ثابت ، وعبد الله بن جُبير .

ومن بني السَّلَم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس : خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النَّحّاط بن كعب بن حارثة بن غَنْم بن السَّلَم ، وهو أبو سعد بن خيثمة .

ومن بني خَطْمـة ، وهو عبـدُ الله بن جشـم بن مالك بن الأوس عند ابن هشـام : الحارث بن عدي بن خَرَشة بن أمية بن عامر بن خَطْمة .

= أربعة عشر ، منهم تسعة متفق عليهم .

ومن الخزرج ، ثم :

من بني النجـار ، ثم من بني سـواد بن غنم بن مالك بن النجـار و ابن سعد يقول : سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار ، والمعروف أن ولد غنم بن مالك ثلاثة : عوف ، وثعلبة ، وسواد ، كذا قال ابن الكلبي : عمرو بن قيس ، وابنه قيس ، وثابت بن عمرو ، وعامر بن مَخْلَد . وزاد ابن سعد عن ابن القَدَّاح : وعبد الله بن قيس ، وخالفه الواقدي ، فزعم أنه تأخّر إلى خلافة عثمان . وزاد ابن هشام فيهم : مالك بن إياس ، ولم يُوَصِّل نسبه .

ومن بني مبذول ، وهو عامر بن مالك بن النجار : أبو هُبيرة بن الحارث بن علقمة بن عمـرو بن ثَقْف بن مبـذول ، كذا هو عنـد ابن إسحـاق ، و ابن سعد يقول : ثَقْف بن مالك بن مبذول . قلت : وعمرو بن مَبذول ومالك بن مَبذول معروفان ، وكان الواقدي يقول فيه : أبو أُسيرة . و ابنُ عمه عمرو بن مُطْرَف بن علقمة ، ومنهم مَنْ يقول فيه : مُطرف بن عمرو .

ومن بني مَغالة ، وهم من بني عمرو بن مالك بن النجار : أوسُ بن ثابت ، غير أن الواقدي أنكر ذلك ، وزعم أنه بقي إلى خلافة عثمان .

ومن بني عديّ بن النجار : أنسُ بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حَرَام بن جُندب بن عامر بن غَنْم بن عدي . وزاد ابن سعد : عامر بن أمية . وزاد ابن هشام في بني عمرو بن مالك : إياس بن عدي ، ولم يَصِلْ نسبَه .

ومن بني مازن بن النجار : قيسُ بن مُخَلَّد ، وكيسانُ ، عبدٌ لهم . زاد ابن سعد : ورافع مولى غَزِيّة بن عمرو .

ومن بني دينار بن النجار : سُلَيمُ بن الحارث ، والنعمانُ بن عبد عمرو . وزاد ابن سعد : وأبو حَرَام عمرو بن قيس بن مالك بن كعب بن عبد الأشهل .

ومن بني الحارث بن الخزرج : خارجةُ بن زيد ، وسعدُ بن الربيع بن عمرو ، وأوسُ بن الأرقم بن زيد بن قيس بن نعمان بن مالك الأغر ، زاد ابن سعد : والحارث بن ثابت بن سفيان بن عديّ بن عمرو بن امرىء القيس بن مالك الأغر ، والحارث بن ثابت بن عبد الله بن سعد بن عمرو بن قيس بن عمرو بن امرىء القيس بن مالك .

ومن بني الأبجر ، وهو خُدْرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج : مالكُ بن سنان بن عُبيد بن ثعلبة بن عُبيد بن الأبجر ، كذا هو عند ابن إسحاق و ابن الكلبي وخليفة بن خياط . وابن سعد يُخالفهم فيُسقط عبيداً الأول ، وأما أبو عمر فأسقطه في نسب أبي سعيد الخدري كما فعل ابن سعد ، وأثبته في نسب أبيه كما قال غيره . وسعيدُ بن سُويد بن قيس بن عامر بن عبَّاد بن الأبجر ، وهو سعدُ بن سُويد بن عُبيد بن ثعلبة بن عُبيد بن أبجر عند الدمياطي . وسعدُ بن سُويد بن عُبيد بن أبجر ، عند ابن سعد . وعقدَ أبو عمر ترجمتين في كتابه في الصحابة ؛ إحداهُما في باب سعد ، والأخرى في باب سعيد ، وقال في كل منهما : قُتل بأحد شهيداً ، ويُحتمل أن يكونَ واحداً وقعَ الاختلاف فيه . وعتبةُ بن رُبيع بن رافع بن معاوية بن عُبيد بن ثعلبة بن عُبيد بن الأبجر . و ابن سعد يقول : معاوية بن عُبيد بن الأبجر . وعبدُ الله بن الربيع بن قيس ذكره ابن الكلبي .

ومن بني ساعدة بن كعب بن الخزرج : ثعلبةُ بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن

حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة ، وثَقْبُ بن فروة بن البديّ ، وبعضُهم يَفتح قافه أيضاً ، ويُقال فيه : ثُقيب[1] ، ويُقال في البديّ : البدين بن عامر بن عوف بن حارثة بن عمرو بن الخزرج ، وعبيدُ بن مسعود بن البدي ، قاله ابن عقبة . وعبدُ الله بن عمرو بن وهب بن ثعلبة بن وقش بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة ، وضَمْرةُ ، حليف لهم من جُهينة ، وهو ضمرة بن عمرو بن كعب بن عمرو بن عدي بن عامر بن رِفاعة بن كليب بن مُودِعة بن عدي بن غَنْم بن الربعة بن رَشْدان بن قيس بن جهينة .

ومن القواقلة ، وهم بنو غنم وبنو سالم ابني عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج : العبَّاسُ بن عبادة بن نضلة ، ونوفلُ بن عبد الله بن نضلة المذكور . وغير ابن إسحاق يقول : نوفل بن ثعلبة بن عبد الله بن نضلة . والنعمانُ بن مالك .

ومن حلفائهم : المُجَذَّر بن زياد ، وعَبْدَةُ بن الحسحاس ، ويقال فيه : عبادة .

ومن بني الحبلى ، وهو سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج : رِفاعةُ بن عمرو بن زيد ، وزيدُ بن وديعة ، ذكره الدمياطي .

ومن بني سَلِمة ، ثم من بني حَرَام : عبد الله بن عمرو ــ أبو جابر ــ وعمروُ بن الجموح ، وابنه خَلاَّدُ ، وأبو أيمن مولى عمرو ، هذا هو المشهور ، قال أبو عمر : ويقال : هو ابنه .

ومن بني سَواد بن غنم : سُليم بن عمرو ، ومولاه عنترة ، وسهل بن قيس .

ومن بني زُريق : ذكوان بن عبد قيس . زاد ابن سعد : ورافع بن مالك .

ومن بني حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غَضَب بن جُشَم بن الخزرج : عُبيد بن المُعلَّى بن لُوذان بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عدي بن مالك بن زيد مناة بن حبيب .

= سبعة وأربعون ، عند ابن إسحاق منهم : سبعة وثلاثون .

فجميعهم ستة وتسعون . من المهاجرين ومَنْ ذُكر معهم : أحد عشر ، ومن الأنصار : خمسة وثمانون ؛ من الأوس : ثمانية وثلاثون ، ومن الخزرج : سبعة وأربعون . منهم عند ابن

(١) في هامش « ب » : أسقط المؤلف قولاً في اسمه هو « ثَقْف » بالفاء في آخره .

إسحاق من المهاجرين : أربعة ، ومن الأنصار : واحد وستون ، من الأوس : أربعة وعشرون ، ومن الخزرج : سبعة وثلاثون . والباقون عن موسى بن عقبة ، أو عن ابن سعد ، أو عن ابن هشام ، وقد ذكرَ أبو عمر فيهم : زيادَ بن السكن أبا عمارة بن زياد ، وقد حكينا عن ابن إسحاق كيف وقع ذكره عنده ، وهو داخل في المعدودين من بني عبد الأشهل ، وممن ذكر أبو عمر في « الاستيعاب » : أبا زيد الأنصاري ، وهو أبو بشير بن أبي زيد ، ذكره عن ابن الكلبي . وفي باب الباء في باب بشير ابنه ، وذكر في « كتاب الصحابة » حارثة بن عمرو الأنصاري من بني ساعدة ، ولم يَصِلْ نسبَه . وذكر الحافظ أبو محمد الدمياطي في « نسب الأوس » له : خِداشُ بن قتادة بن ربيعة بن خالد بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد ، أخا أُنيس بن قتادة ، وقال : شهد بدراً وقتل بأحد ، قاله ابن الكلبي ، وقد ذكرنا أخاه أُنيسا في شهداء أحد . وذكر أبو عمر في كتابه في « المغازي » منهم عُمير بن عدي الخَطْمي ، وغيره يقول في عمير : لم يشهد أحداً ، وكان ضريرَ البصر .

فقد تجاوزوا بهذه الزيادات المائة ، على أنه قد ذُكر أن قتلى أحد سبعون ، ومن الناس من يجعلُ السبعين من الأنصار خاصة ، وكذلك قال ابن سعد في باب غزوة أحد ، لكنهم في تراجم الطبقات له زادوا على ذلك .

ويُذكر في تفسير قوله تعالى ﴿ أو لما أصابتكم مُصيبة قد أُصبتم مثليها ﴾ [آل عمران : ١٦٥] أنه تسلية للمؤمنين عمن أُصيب منهم يوم أحد ، بأنهم أصابوا من المشركين يوم بدر سبعين قتيلاً وسبعين أسيراً ، فإن صحَّ ذلك نقلاً وحملاً ، فالزيادة ناشئة عن الخلاف في التفصيل ، وليست زيادة في الجملة .

وقُتل من كفار قريش يوم أحد : ثلاثة وعشرون رجلاً .

منهم : حملة اللواء من بني عبد الدار بن قصيّ ، عشرة قد سبق ذكرهم ، ومنهم : أبو يزيد بن عُمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، والقاسطُ بن شُريح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار .

ومن بني أسد بن عبد العزى : عبد الله بن حُميد بن زهير بن الحارث بن أسد .

ومن بني زُهرة بن كلاب : أبو الحكم بن الأخنس بن شُريق الثقفي ، حليف لهم ،

وسباعُ بن عبد العزى ، واسمه عمرو بن نَضْلة من غُبْشان بن سُليم بن مَلْكان ــ حليف لهم من خزاعة ــ .

ومن بني مخزوم : هشام بن أبي أمية بن المغيرة ، والوليدُ بن العاصي بن هشام بن المغيرة ، وأبو أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة ، وخالد بن الأعلم حليفٌ لهم .

ومن بني جُمح : عمرو بن عبد الله بن عُمير بن وهب بن حُذافة بن جُمح ، وهو أبو عزة ، وأبيٌّ بن خلف بن وهب بن حُذافة ، قتله رسولُ الله ﷺ .

ومن بني عامر بن لؤي : عبيدةُ بن جابر ، وشيبةُ بن مالك . وذكرَ غيرُ ابن إسحاق فيهم : شُريح بن قارظ ، والله أعلم .

ومما قيل من الشعر يوم أحد قول حسان بن ثابت يذكر أصحابَ اللواء من بني عبد الدار :

منع النومَ بالعِشاء الهمومُ ... وخَيالٌ إذا تغورُ النجومُ
من حبيبٍ أصابَ قلبكَ منه ... سَقَمٌ فهو داخلٌ مكتومُ
لم تَفُتْها شمسُ النهار بشيء ... غيرَ أن الشبابَ ليس يدومُ
رُبَّ حِلْمٍ أضاعَه عدمُ الما ... لِ وجهلٍ غطَّى عليه النعيمُ
لا تَسُبَّنَّنِي فلستَ بسِبِّي ... إن سبِّي من الرجال الكريمُ[١]
ما أبالي أنبَّ بالحَزْنِ تَيْسٌ ... أم لَحَاني بظهرِ غيبٍ لئيمُ[٢]
وليَ البأس منكمُ إذْ رحلتُم ... أسرةٌ من بني قُصَيٍّ صميمُ
تسعةٌ تحملُ اللواء وطارتْ ... في رَعَاعٍ من القنا « مَخزومُ »[٣]
وأقاموا حتى أُتيحوا جميعاً ... في مقامٍ وكلُّهم مَذمومُ[٤]
وأقامُوا حتى أُزيروا شَعُوباً ... والقَنَا في نحورِهم مَحطُومُ[٥]

(١) « سبي » : السِّبُّ : هو الذي يُقاولُ الرجل في السبِّ ، ويكون مساوياً له في الشرف .

(٢) « نَبَّ » : صاح .

(٣) « رَعاع » : ضعفاء .

(٤) « أُتيحوا » : أُصيبوا .

(٥) « شَعوباً » : الموت .

وقـــريشٌ تَفِـــرُّ مِنّـــا لِواذاً　　　أن يُقيموا وخفَّ منها الحُلومُ[١]
لم تُطقْ حمْــلَه العــواتقُ منهــم　　　إنمــا يحمـــلُ اللواء النجــومُ[٢]

ومن أبيات لعبد الله بن الزِّبعرَى ، ولم يكن أسلم يومئذ :

يــا غرابَ البــين أسمعتَ فقــلْ　　　إنمــا تنـطـقُ شـيـئـاً قد فُعــلْ
كلُّ عيشٍ ونعـــيمٍ زائـــلٌ　　　وبنـــاتُ الدهـر يـلعبنَ بكُــلْ
أبـــلغـنَ حســـانَ عنـــا آيــةً　　　فقـريضُ الشعر يَشفي ذا الغُلَلْ
كم قتـــلنَـــا من كريمٍ سـيِّـدٍ　　　مــاجـدِ الجَدَّيْن مِقـدام بطــلْ
صـــادقِ النجــدةِ قَرْمٍ بارعٍ　　　غير مُلتاثٍ لدى وقع الأســلْ[٣]
حــين حَــلَّت بقبــاء بَـرْكُهَــا　　　واستحرَّ القتل في عبد الأشلْ[٤]
ليتَ أشـيــاخي ببـدرٍ شَـهِـدُوا　　　جَزَعَ الخزرجِ من وَقعِ الأســلْ
فقتــلنــا الضِّعْفَ من أشرافِهــم　　　وعَـدَلْنــا مَيْــلَ بـدرٍ فـاعتـدلْ

وقال حسان يبكي حمزة في أبيات رضي الله عنهما :

أتعــرفُ الدارَ عفــا رسْمَهـــا　　　بعدَك صوبُ المُسبلِ الهاطلِ[٥]
ســـاءلتُهـا عن ذاكَ فاستعجمتْ　　　لم تدرِ ما مَرجوعةُ الســائل ؟[٦]
دعْ عنـك داراً قد عفَــا رسمُهــا　　　وابكِ عـلى حمزةَ ذي النــائـلِ
المــالىء الشِّـــيزى إذا أعصفتْ　　　غبراء في ذي الشَّبَـم المـاحلِ[٧]
والتَّـــارِكِ القِـــرنَ لدى لِبْـــدةٍ　　　يعـثرُ في ذي الخُرُصِ الذابلِ[٨]

---

(١) « لِوَاذاً » : مُسْتَخفِين مستترين .
(٢) « النجوم » المشاهير من الناس ، وشبهم بالنجوم .
(٣) « قرم » : الفحل الكريم الأصل . « مُلتاث » : ضعيف .
(٤) « بركها » : صدرها . « عبد الأشل » : يريد بني عبد الأشهل .
(٥) « صوب » : مطر .
(٦) « مَرجوعةُ السائل » : رجعُ الجواب .
(٧) « الشِّيزى » : القِصَاعُ من الخشب . « الشَّبَم » : البَرْد . وذي الشَّبَم : زمن اشتداد البرد .
(٨) « القِرْن » : المكافىء في القتال . « لِبْدة » : غُبار مُلبَّد . « ذي الخُرُص » : الرمح ، والخُرُص : سنانه ، جمعه : خُرْصان . والذَّابل : الرقيق .

واللابسِ الخيلَ إذا أحجمتْ كالليث في غـابتـه البـاســلِ
أبيضُ في الذِّروةِ من هاشمٍ لم يَمرِ دُونَ الحقِّ بالباطلِ [١]
مالَ شهيداً بينَ أسيافِكم شُلَّتْ يدا وحشيٍّ من قاتلِ [٢]
أيُّ امرىءٍ غادرَ في أَلَّةٍ مَطرورةٍ مارِنَةِ العامِلِ [٣]
أظلمتِ الأرضُ لفقدانه واسودَّ نورُ القمر النَّاصلِ [٤]
صلى عليه اللهُ في جَنَّةٍ عاليةٍ مُكْرَمَةِ الدَّاخِلِ
كنا نرى حمزةَ حِرْزاً لنا من كل أمرٍ نابَنا نازلِ

وقال كعب بن مالك يبكي حمزة أيضاً :

طرقتْ همومُك فالرُّقادُ مُسهَّدُ وجزعْتَ أن سُلخَ الشَّبابُ الأغيدُ [٥]
ودعتْ فؤادَك للهوى ضَمْرِيَةٌ فهواكَ غوريٌّ وصَحيُك منجدُ [٦]
فدعِ التَّمادي في الغَواية سادِراً قد كنت في طلب الغَواية تُفْنَدُ
ولقد أَنى لكَ أن تَناهى طائعاً أو تستفيقَ إذا نهاكَ المرشدُ [٧]
ولقد هُدِدْتُ لفقدِ حمزةَ هدَّةً ظلت بناتُ الجَوْفِ منها تَرْعَدُ [٨]
ولو انَّها فُجعتْ حِراءُ بمثله لرأيتَ راسِيَ صَخْرِهَا يتهدَّدُ

---

(١) « لم يَمْرِ » من المِراء ، وهو الجدال .

(٢) « وحشيٍّ » : حذف التنوين من وحشي ؛ للضرورة ؛ لأنه علم ، والعلم قد يُترك صرفه كثيراً .

(٣) « أَلَّةٍ » : حربة لها سنان طويل . « المطرورة » : المسننة المحددة . « مارِنَة » : ليِّنة . « العَامل » : أعلى الرمح مما يلي حديدته .

(٤) « القمر الناصل » : الخارج من السحاب .

(٥) « الأغيد » : الناعم .

(٦) « ضمرية » : نسبة إلى قبيلة « ضمرة » ، وهي من القبائل التي تسكن الغور . « غوري » : نسبة إلى الغور ، وهو منخفض من الأرض ، والمقصود هنا : الجزء الساحلي من الحجاز الذي يُسمَّى أيضاً « تهامة » . « وصحيُك » : كذا في جميع النسخ ، وفي السيرة النبوية ؛ لابن هشام : « وصحوك » هما بمعنى واحد . وقد وردت في السيرة الشامية ٣٥٠/٤ « وصحبك » وهو تصحيف .

(٧) « أنى » : حان وقته .

(٨) « بناتُ الجوف » : يعني قلبه وما اتصل به من كبده وأمعائه .

قرمٌ تمكن في ذؤابة هاشم ... حيثُ النبوة والنَّدى والسؤدَدُ
والعاقرُ الكُومَ الجلادَ إذا غدتْ ... ريحٌ يكادُ الماء منها يَجمُد[1]
والتاركُ القِرْنَ الكَمِيَّ مُجَدَّلاً ... يومَ الكريهة والقنا يَتقصد[2]
وتراه يرفلُ في الحديد كأنه ... ذو لِبْدةٍ شثنُ البراثن أربد
عمُّ النبيِّ محمدٍ وصفيُّه ... ورد الحِمام فطابَ ذاك المورد
وأتى المنية مُعْلِماً في أسرة ... نصروا النبيَّ ومنهم المُسْتَشْهدُ[3]
ولقد إخالُ بذاكَ هِنداً بشّرت ... لتُميتَ داخلَ غصَّةٍ لا تبردُ
مما صَبَحْنَا بالعقنقل قومَها ... يوماً تغيَّبَ فيه عنها الأسعد
وببئر بدرٍ إذ يَرُدُّ وجُوهَهم ... جبريلُ تحتَ لوائنا ومُحمّدُ
حتى رأيتُ لدى النبيِّ سراتَهم ... قسمين : نقتلُ من نشاء ونطرد
فأقام بالعَطَنِ المُعَطَّن منهمُ ... سبعون : عُتبةُ منهم والأسودُ[4]
وابنُ المغيرة قد ضربنا ضربةً ... فوقَ الوريد لها رشاشٌ مُزبدُ
وأميَّةُ الجُمَحِيُّ قوَّمَ ميلَه ... عضبٌ بأيدي المؤمنين مُهنَّدُ
فأتاك فَلُّ المشركين كأنّهم ... والخيل تَثْفِنُهم نَعامٌ شُرَّدُ[5]
شتان من هو في جهنَّم ثاوياً ... أبداً ومن هو في الجنان مُخلَّدُ

وقال كعب يذكر يوم أحد ، أنشدَه ابن هشام :

سائل قُريشاً غداة السَّفْح من أُحد ... ماذا لقينا وما لاقَوْا من الهربِ
كنّا الأسودَ وكانوا النُّمرَ إذْ زَحفوا ... ما إنْ نراقبُ مِن إلٍّ ولا نسبِ[6]
فكم تركنا بها من سيِّدٍ بطلٍ ... حامي الذمار كريم الجَدِّ والحسبِ[7]

---

(١) « الكُوم » جمع كوماء ، وهي العظيمة السنام من الإبل .
(٢) « الكَمِيّ » : الشجاع . « مجدلاً » : مطروحاً على الجدالة ، وهي الأرضُ . « يتقصَّدُ » : يتكسر .
(٣) « مُعْلَمَاً » : مُشهِراً نفسه بعلامة يُعرف بها في الحرب .
(٤) « العطن » : مبرك الإبل حول الماء . و « المُعَطَّن » : الذي عُوِّد أن يتخذ عَطَناً .
(٥) « تَثْفِنُهم » : تطردهم وتتبع آثارهم .
(٦) « إلٌّ » : عهد .
(٧) « الذمار » : كل ما يجب على المرء حمايته من مال وأهل وولد .

فينا الرسولُ شهابٌ ثمَّ يتبعُه نور مضيء له فضل على الشهبِ
الحقُّ منطقهُ والعدلُ سيرتُه فمنْ يُجبْه إليه ينجُ من تَبَبِ[1]
نَجْدُ المُقدَّمِ ، ماضي الهَمِّ ، مُعتزِمٌ حين القلوبُ على رَجْفٍ من الرُّعُبِ
يمضي ويذمُرنا من غير معصية كأنه البدرُ لم يُطبع على الكذبِ[2]
بدا لنا فاتَّبعناه نُصدقه وكذبوه فكنا أسعدَ العربِ
جالُوا وجُلْنا فما فاؤوا ولا رَجعوا ونحن نتبعُهم لم نألُ في الطلبِ
لسنا سواء وشتَّى بين أمرهما حزبُ الإله وأهل الشرك والنُّصُبِ[3]

وقال ضِرارُ بن الخطاب الفِهْري يذكرُ يومَ أُحد من أبيات :

ما بالُ عينِك قد أزرى بها السُّهُدُ كأنَّما جالَ في أجفانِها الرَّمَدُ
أمنْ فِراقِ حَبيبٍ كنتَ تألفُه قد حالَ من دونهِ الأعداء والبُعُدُ
أم ذاكَ من شَغْبِ قومٍ لا جَداء بهم إذاالحروبُ تَلَظَّتْ نارُها تَقِدُ[4]
ما يَنتهونَ عن الغيِّ الذي رَكِبوا وما لهمْ من لؤيٍّ – ويحَهم – عضدُ
وقد نشدناهمُ بالله قاطبةً فما تردُّهمُ الأرحامُ والنَّشَدُ
حتى إذا ما أبَوْا إلا محاربةً واستحصدتْ بيننا الأضغان والحِقَدُ[5]
سرنا إليهم بجيش في جوانبِه قواضبُ البيض والمحبوكةُ السُّردُ
فأبرز الحَينُ قوماً من منازلهم فكان منا ومنهم مُلتقىً أُحدُ
وقد تركناهمُ للطير ملحمةً وللضباع ، إلى أجسادِهم تَفِدُ

وقالت نُعمُ امرأة شمّاس بن عثمان تبكي شمَّاساً ، وكان أُصيب يوم أحد رحمه الله ورضي عنه :

يا عينُ جُودي بفيضٍ غير إبسَاسِ على كريمٍ مِن الفتيانِ لبَّاسِ[6]

---

(١) « من تَبَب » : من خسران .

(٢) « يذمرنا » : يدفعنا .

(٣) إنشاد ابن هشام لهذه القصيدة يبدأ من البيت السابع ، و أوله يمضي ويذمُرنا ... إلخ انظر السيرة ٢/١٦٨ .

(٤) « لاجَدَاء » : لا جدوى ، أي : لا نفع .

(٥) « استحصدت » : تقوَّت واستحكمت .

(٦) « إبساس » : الإبساس : مسحُ ضرع الناقة بقصد إدرارها ، استعارته للدمع الفائض بغير تكلّف .

صعبِ البديهة ، ميمونٍ نقيبتُه   حَمَّالِ ألويةٍ رَكَّابِ أفراس[1]
أقول لما أتى الناعي له جزعاً   أودى الجَوَادُ وأودى المُطعمُ الكاسي
وقلتُ لما خَلَتْ منه مجالسُه   لا يُبعدِ اللهُ منا قُرْبَ شَمَّاسِ

فأجابها أخوها يُعزِّيها :

اقْنَيْ حياءَك في عزٍّ وفي كرمٍ   فإنَّما كانَ شمَّاسٌ من النَّاسِ[2]
لا تقتلي النفسَ إذ حانتْ منيته   في طاعة الله يومَ الرَّوْعِ والباسِ
قد كان حمزةُ ليثَ الله فاصطبري   فذاقَ يومئذٍ من كاسِ شمَّاسِ

وذكر أبو عمر البيتين الأول والأخير من هذه الأبيات الثلاثة ، ونسبها لحسان ، يُعزِّي أختَ شماس فيه ، وهو شماس بن الشريد بن هَرْمي بن عامر بن مخزوم . كذا نسبه ابن الكلبي ، وزاد فيه أبو عمر سُويداً ، بين الشريد وهَرْمي ، وليس بشيء .

وشمَّاس لقب ، واسمه عثمان بن عثمان ، قُتل يوم أحد ، ابنُ أربع وثلاثين سنة ، وكان رسولُ الله ﷺ لا يرمي ببصره يميناً ولا شمالاً يومئذ إلا رأى شمَّاساً في ذلك الوجه يذبُّ بسيفه عنه ، حتى غشيَ رسولَ الله ﷺ القومُ ، فترَّسَ بنفسه دونَه ، حتى قُتل ، فحُمل إلى المدينة وبه رَمَقٌ ، فأُدخل على عائشة ، فقالت أم سلمة : ابن عمي يُدخل على غيري ؟ فقال رسول الله ﷺ : احمِلُوه إلى أم سلمة ، فحُمِل إليها ، فمات عندها . فأمرَ رسولُ الله ﷺ أن يُرَدَّ إلى أحد فيُدفن هنالك كما هو في ثيابه التي مات فيها ، بعد أن مكث يوماً وليلة ، إلا أنه لم يأكلْ ولم يشربْ ، ولم يُصَلِّ عليه رسول الله ﷺ ولم يُغسِّلْه .

وكان خارجة بن زيد بن أبي زهير قد أخذته الرماحُ يوم أُحد فجُرح بضعة عشر جرحاً ، فمرَّ به صفوانُ بن أمية فعرفه ، فأجهزَ عليه ومثَّل به ، وقال : هذا ممن أغرى بأبي يوم بدر ـــ يعني أباه أمية بن خلف ـــ وقد ذكرَ بعضُهم خارجةَ فيمن قتلَ أمية ، ولما قتلَ صفوانُ بن أمية من قتلَ يومَ أُحد ، قال : الآن شَفَيْتُ نفسي حين قتلتُ الأماثلَ من أصحاب محمد ، قتلت ابنَ قَوْقلٍ و ابنَ أبي زهير ، وأوسَ بن أرقم .

---

(١) « صعب البديهة » : قوي في مواجهة الأمور لا يتردد . « ميمونٍ نقيبته » : حميدُ الأخلاق مُباركها .
(٢) « اقنَيْ حياءكِ » : من القنية ، أي الزمي حياءكِ واحفظيه .

ذكر فوائد تتعلق بما ذكرناه من الأشعار

● قال السهيلي : في قول حسان « وجهلٍ غَطَّى عليه النعيم » رواية يونس بن حبيب غطا ، مخففة الطاء ، ومعناه عنده : علا عليه النعيم .

● وقوله « لم تُطقْ حملَه العواتقُ منهم » يُريد بذلك أنه عندما قتل صؤاب مولى بني عبد الدار ، وكان عاشر مقتول تحت لوائهم سقطَ ، فرفعته امرأةٌ منهم هي عَمْرة بنت علقمة ، كما ذكرناه من قبل ، ثم طرحته .

● وفي شعر ابن الزِّبَعْرَى « عبد الأشل » يريد عبد الأشهل .

● والشيِّزي : خشب تُعمل منه القصعة ، وقيل : القصعة من خشب الجوز .

● الخُرُص : الرمح القصير ، وجمعه خُرْصان .

● ومَرَاه : جحدَه .

● والألَّة : الحربة .

● وسِنان طرير : ذو هيئة حسنة .

● ومارنة : لينة ، عامل الرمح : صَدْرُه ، والناصِلُ : الخارج .

● والكُوْم : جمع كَوْماء ، وهي الطويلة السَّنَام .

● والجِلاد : أدسمُ الإبل لبناً .

● وقال ابن القوطية : ثفَنَ الرجلَ ثفْناً : ضربَه ، وثفَنَ الكتيبةَ : طردها .

● ذمرته : لمته وحضضته .

* * *

ذكرُ فضْلِ شُهدَاء أُحُد

روينـا عن ابن إسحاق : قال : حدثني إسماعيل بن أمية ، عن أبي[1] الزبير ، عن ابن عباس ، قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لما أصيب إخوانُكم بأحد ، جعلَ اللهُ أرواحَهم في أجواف طير خُضْرٍ تردُ أنهارَ الجنة وتأكلُ من ثمارها ، وتأوي إلى قناديلَ من ذهب في ظل العرش ، فلما وَجَدوا طِيْبَ مأكلهم ومشربهم وحسنَ مقيلهم ، قالوا : يا ليتَ إخواننا يعلمون ما صنعَ اللهُ بنا ، لئلا يزهدوا في الجهاد ولا يَنْكُلوا عند الحرب ، فقال اللهُ تبارك وتعالى : فأنا أبلغهم عنكم ، فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ على نبيه هذه الآيات ﴿ ولا تحسبنَّ الذين قُتلوا في سبيلِ اللهِ أمواتاً بل أحياءٌ ﴾ الآيات [آل عمران : ١٦٩ - ١٧٥][2] .

وذكرَ ابنُ إسحاق ها هنا : حدثني الحارث بن فُضَيْل ، عن محمود بن لَبيد ، عن ابن عباس أنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « الشهداء على بارقٍ نهر بباب الجنة في قبة خضراء ، يأتيهم فيها رزقهم بكرةً وعيشاً »[3] . قرأتُه على السيدة مُؤنسة خاتون بنت السلطان الملك العـادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب رحم الله سـلفهـا ، أخبرتكِ الشيخـة أم هانىء عفيفـة بنت أحمد بن عبد الله كتـابة ، عن أبي طاهر عبد الواحد بن محمد بن الصبـاغ ، أخبرنا أبو نعيم ، أخبرنا أبو علي بن الصواف ، حدثنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا عبد الله بن نمير ، عن محمد بن إسحاق ، فذكرَه .

* * *

---

(١) أبو الزبير : قال في نور النبراس لوحة ٢ب/١٢ : هو محمد بن مسلم بن زيد بن أبي الزبير المكي ، روى عن عائشة وابن عباس وابن عمر ، حديثه في مسلم والبخاري مقروناً بغيره ، وله ترجمة في الميزان ٣٧/٤ .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١١٩/٢ ، وفي نور النبراس : حديث أبي الزبير هذا ، عن ابن عباس ، ليس في الكتب الستة ولا بعضها .

(٣) المصدر السابق ١١٩/٢ ، ورواه الحاكم في المستدرك ٧٤/٢ وقال : صحيح على شرط مسلم ، وأقره الذهبي .

غزوةُ حَمْرَاء[1] الأسد

وهي صبيحة يوم الأحد عند ابن إسحاق لستٌ عشرة مضت من شوال . وعند ابن سعد : لثمانٍ خلون من شوال من صبيحة أُحد ، والخلاف عندهم في أُحد كما سبق .

قال ابن إسحاق . وأذَّنَ مُؤذِّنُ رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو ، وأذَّن مُؤذِّنه أن لا يخرجَ معنا أحدٌ إلا أحدٌ حضرَ يومنا بالأمس ، فكلَّمه جابرُ بن عبد الله بن عمرو بن حَرَام ، فقال : يا رسول الله إن أبي كان خَلَّفني في أخواتٍ لي سبع ، وقال : يا بني إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نتركَ هؤلاء النِّسْوة ، لا رجلَ فيهنّ ، ولستَ بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله ﷺ ، فتخلفْ على أخواتِك . فتخلَّفْتُ عليهن . فأذنَ له رسولُ الله ﷺ ، فخرجَ معه . وإنما خرجَ رسولُ الله ﷺ مُرْهِباً للعدو ، وليُبْلِغَهم أنه خرج في طلبه ليظنُّوا به قوة ، وأن الذي أصابَهُم لم يُوهنْهم عن عدوهم .

فخرجَ رسولُ الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد ــ وهي من المدينة على ثمانية أميال ــ واستعمَل على المدينة ابنَ أمِّ مكتوم فيما قال ابن هشام ، فأقامَ بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

وقد مرَّ به ــ كما حدثني عبد الله بن أبي بكر ــ معبد بن أبي معبد الخُزاعي ، وكانت خزاعةُ مسلمهُم ومشركهُم عَيْبَةَ[2] نصح رسول الله ﷺ بتهامة ، صفقتهم[3] معه ، لا يُخفون عنه شيئاً كان بهاَ ، ومعبدُ يومئذ مشركٌ ، فقال : يا محمد أما والله لقد عزَّ علينا ما أصابَكَ في أصحابك ، ولوددنا أن الله قد عافاك فيهم . وكان معبد قد رأى خروجَ رسول الله ﷺ والمسلمين إلى حمراء الأسد ، ولقي أبا سفيان وكفَّارَ قريش بالروحاء ، فأخبرَهم بخروج رسول الله ﷺ في طلبهم ، فَفَتَّ ذلك في أعضاد قريش ، وقد كانوا أرادوا الرجوعَ إلى المدينة ، فكسرَهم خروجُه ﷺ ، فتمادَوْا إلى مكة .

---

(١) «حمراء الأسد» : اسم مكان على ثمانية أميال من المدينة ، وهي على يسار الطريق .

(٢) «عيبةَ نُصح ..» : موضع سره وأمانته .

(٣) «صفقتهم معه» : اتفاقهم .

وظَفِر رسول الله ﷺ في مخرجه ذلك بمعاويةَ بن المغيرة بن أبي العاص ، فأمرَ رسولُ الله ﷺ بضرب عنقه صبراً ، وهو والد عائشة أم عبد الملك بن مروان .

ورُوى أن النبيَّ ﷺ قال وهو بحمراء الأسد حين بلغه أنهم هَمُّوا بالرجعة : « والذي نفسي بيده ، لقد سُوِّمت لهم حجارةٌ لو صُبِّحوا بها ، لكانوا كأمسِ الذاهب » .

قال ابن هشام : ويقال إن زيد بن حارثة وعمار بن ياسر قتلا معاوية بن المغيرة بعد حمراء الأسد كان لجأ إلى عثمان بن عفان ، فاستأمن له رسولَ الله ﷺ ، فأمَّنَه على أنه إن وجد بعد ثلاث قُتل ، فأقام بعد ثلاث ، وتوارى ، فبعثهما النبي ﷺ ، وقال إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا ، فوجداه فقتلاه[1] .

وقال ابن سعد : ودعا رسول الله ﷺ بلوائه وهو معقود لم يُحلّ ، فدفعَه إلى علي بن أبي طالب ، ويقال : إلى أبي بكر الصديق ، وخرجَ وهو مجروح في وجهه ، ومشجوج في جبهته ، ورباعيته قد شَظِيَتْ[2] ، وشفته السفلى قد كُلمت في باطنها ، وهو متوهنٌ منكبَه ـــ يعني الأيمن ـــ من ضربة ابن قمئة ، وركبتاه مجحوشتان[3] ، وحشدَ أهلُ العوالي ونزلوا حيث أتاهم الصريخ ، وركب رسول الله ﷺ فرسَه ، وخرج النَّاسُ معه ، فبعث ثلاثةَ نفر من أسلم طليعةً في آثار القوم ، فلحق اثنان منهم القومَ بحمراء الأسد . قال : وللقوم زَجَلٌ وهم يأتمرون بالرجوع ، وصفوانُ بن أمية ينهاهم عن ذلك ، فبَصُروا بالرجلين ، فعطفوا عليهما فقتلوهما ، ومَضَوْا ومضى رسولُ الله ﷺ بأصحابه ، حتى عسكروا بحمراء الأسد ، وكان المسلمون يُوقدون تلك الليالي خمسمائة نار حتى تُرى من المكان البعيد ، وذهبَ صوتُ معسكرهم ونيرانهم في كل وجه ، فكبَتَ الله تبارك وتعالى بذلك عدوَّهم[4] .

وكان دليلُه ﷺ إلى حمراء الأسد ثابت بن الضحاك بن ثعلبة من الخزرج وليس بأخي أبي جَبيرة بن الضحاك ، ذاك أوسي من بني عبد الأشهل ، وله حديث في النهي عن المزارعة رواه مسلم[5] ، ومن الناس من يجعل ذلك الحديث لثابت هذا ، وليس بشيء .

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١٠١/٢ ـــ ١٠٥ .

(٢) « شَظيت » : كسرت .

(٣) « مجحوشتان » : من الجحش ، وهو انخداشُ الجلد .

(٤) الطبقات الكبرى ٤٩/٢ .

(٥) رواه مسلم في المساقاة (باب المزارعة والمؤاجرة) رقم /١٥٤٩/ .

سريةُ أبي سَلَمة بن عبد الأسد

روينا عن ابن سعد ، قال : ثم سرية أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي إلى قَطَن ، وهو جبل بناحية فَيد ــ ماء لبني أسد بن خزيمة ــ في هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً ، وذلك أنه بلغ رسولَ الله ﷺ أن طليحة وسلمة ابني خويلد ، قد سارا في قومهما ، ومن أطاعهما ، يدعونهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، فدعا رسولُ الله ﷺ أبا سلمة ، وعقد له لواء ، وبعث معه مائةً وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار ، وقال : سِرْ حتى تنزلَ أرضَ بني أسد ، فأغِرْ عليهم قبل أن تَلاقى عليك جموعُهم . فخرجَ ، فأغذَّ السيرَ ، ونَكَبَ عن سَنَن الطريق ، وسبقَ الأخبارَ ، وانتهى إلى أدنى قَطَن ، فأغار على سَرْحٍ لهم ، فضمَّه ، وأخذ رِعاءً لهم مماليكَ ثلاثة ، وأُفلت سائرُهم ، فجاؤوا جميعهُم فحذَّروهم ، فتفرقوا في كل ناحية ، ففرَّق أبو سلمة أصحابَه ثلاثَ فِرق في طلب النَّعَم والشاء ، فآبوا إليه سالمين ، قد أصابوا إبلاً وشاء ، ولم يلقَوْا أحداً ، فانحدر أبو سلمة بذلك كلِّه إلى المدينة[1] .

سريةُ عبدِ الله بن أُنيْس

قال ابن سعد : ثم سرية عبد الله بن أُنيس إلى سفيان بن خالد بن نُبيح الهُذَلي بعُرَنَةَ ؛ خرج من المدينة يوم الاثنين لخمسٍ خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من مُهاجر رسول الله ﷺ ، وذلك أنه بلغ رسولَ الله ﷺ أن سفيان بن خالد الهُذَلي ثم اللَّحْيَاني ــ وكان ينزل عُرَنَة وما والاها ــ في ناس من قومه ، قد جمعَ الجموعَ لرسول الله ﷺ ، فبعثَ رسولُ الله ﷺ عبدَ الله بن أُنيس ليقتلَه ، فقال : صفه لي يا رسول الله . فقال : « إذا رأيتَه هِبْتَه وفَرِقتَ منه » ، وذكرتَ الشيطان . قال : وكنت لا أهابُ الرجالَ ، فاستأذنتُ رسولَ الله ﷺ أن أقومَ ، فأذن لي ، فأخذتُ سيفي وخرجتُ أعتزي إلى خزاعةَ ، حتى إذا كنتُ ببطن عُرَنَة ، لقيته يمشي ووراءه الأحابيشُ ومن ضوى إليه ، فعرفتُه بنعت رسول الله ﷺ ، وهِبْته ، فرأيتني أقطرُ عرقاً ، فقلت : صدق الله ورسولُه ﷺ . فقال : مَن

---

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/٥٠ .

الرجل ؟ فقلت : رجلٌ من بني خُزَاعة ، سمعتُ بجمعِك لمحمد ، فجئتُك لأكونَ معك . قال : أجل ، إني لأجمع له ، فمشيْت معه ساعةً وحدَّثته ، فاستحلى حديثي ، حتى انتهى إلى خِبائه ، وتفرق عنه أصحابُه (قال لي : يا أخا خزاعة ! هلمَّ ، فجئته : فقال لي : اجلس ، فجلست[1]) حتى إذا هدأ النَّاسُ وناموا ، اغتررته فقتلتُه ، وأخذتُ رأْسَه ، ثم دخلت غاراً في الجبل ، وضربتْ العنكبوت عليَّ ، وجاء الطلبُ فلم يجدوا شيئاً ، فانصرفوا راجعين ، ثم خرجتُ فكنتُ أسيرُ الليل وأتوارى بالنهار ، حتى قدمتُ المدينة ، فوجدتُ رسول الله ﷺ في المسجد ، فلما رآني ، قال : « أفلحَ الوجهُ » . قلت : أفلح وجهُك يا رسول الله . فوضعتُ رأسَه بين يديه ، وأخبرتهُ خبري ، فدفعَ إليَّ عصاً ، فقال تخصَّرْ بهذه في الجنة . فكانت عندهَ ، فلما حضرتْه الوفاةُ ، أوصى أهلَه أن يُدرجوها في كفنه ، ففعلوا ، وكانت غيبتُه ثمانَي عشرةَ ليلة ، وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم[2] .

وقال ابن عقبة : جعلوها في كفنه بين جلده وثيابه .

وقال موسى بن عقبة أيضاً : فزعموا أن رسول الله ﷺ أخبرَ بموته قبل قدوم عبد الله بن أنيس .

قال ابن هشام : وقال عبدُ الله بن أُنيس في ذلك :

تركتُ ابنَ ثور كالحُوَارِ وحولَه ... نوائحُ تفري كلَّ جيبٍ مُقَدَّد
تناولتُه والظُّعْنُ خلفي وخلفَه ... بأبيضَ من ماء الحديد مُهند
أقول له والسيفُ يعجمُ رأسَه ... أنا ابنُ أنيسٍ فارساً غيرَ قُعْدُد
وقلتُ له خذها بضربةِ ماجدٍ ... حنيفٍ على دينِ النبيِّ محمد
وكنتُ إذا همَّ النبيُّ بكافر ... سبقتُ إليه باللسان وباليد[3]

- وقوله : يَعْجُم رأسه : من قولهم فلان يَعجُم التمرة : أي يلوكها ويعَضُّها .
- والقُعْدُد : الجبان .

(١) ما بين القوسين أثبتناه من « ج » .
(٢) الطبقات الكبرى ٢/٥٠ — ٥١ .
(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٦٢٠ .

● قال ابن عقبة : ولا ندري من أين بعثَ رسولُ الله ﷺ عبدَ الله بن أُنيس إلى ابن نُبيح ، أمن المدينة أم من غيرها ؟ .

* * *

بعث الرجيع

وكان في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من مُهاجر رسول الله ﷺ عند ابن سعد[١] .

روينا من طريق البخاري ، قال : حدثني موسى بن إسماعيل ، حدثنا إبراهيم ، أخبرنا ابنُ شهاب ، أخبرني عَمرو بن أَسِيد بن جارية الثقفي حليف بني زُهرة ، وكان من أصحاب أبي هريرة ، عن أبي هُريرة رضي الله عنه ، بعثَ رسول الله ﷺ عشرةً[٢] عيناً ، وأمَّر عليهم عاصمَ بن ثابت الأنصاري ، جَدَّ[٣] عاصم بن عمر بن الخطاب ، حتى إذا كانوا بالهدأة ، بين عُسفان ومكة ، ذُكروا لحيٍّ من هُذيل ، يُقال لهم بنو لحيان ، فنفروا لهم بقريب من مائة رجلٍ رام ، فاقتصُّوا آثارَهم حتى وجدوا مأكلَهم التَّمرَ في منزل نزلوه ، فقالوا : تمرُ يثرب ، فاتَّبعوا آثارَهم ، فلما حسَّ بهم عاصمٌ وأصحابُه ، لجؤوا إلى موضع ، فأحاطَ بهم القومُ ، فقالوا لهم انزلوا فأعطوا بأيديكم ولكم العهدُ والميثاقُ أن لا نقتلَ منكم أحداً . فقال عاصمُ بن ثابت : أيها القوم أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر ، ثم قال : اللهم أخبرْ عنَّا نبيَّك ﷺ ، فرموهم بالنبلِ فقتلوا عاصماً ، ونزلَ إليهم ثلاثةُ نفر على العهد والميثاق ، منهم خبيب ، وزيد بن الدَّثِنَّة ، ورجلٌ آخر ، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتارَ قسيهم فربطوهم بها ، فقال الرجل الثالث[٤] : هذا أوّلُ الغدر ، والله لا أصحبكم ، إن لي بهؤلاء أُسوة ــ يُريد القتلى ــ فجرَّروه وعالجوه ، فأبى أن يصحبَهم ، فانْطُلق بخبيب وزيد بن الدَّثِنَّة حتى باعوهما بعد وقعة بدر ، فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل خُبيباً ، وكان خبيبٌ هو قتلَ الحارث بن عامر يوم بدر ، فلبث خبيب عندَهم أسيراً حتى أجمعوا قتلَه ، فاستعارَ من بعض بناتِ الحارث مُوسى

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/٥٥ .

(٢) « عَيْناً » : العَيْنُ : هو الذي يتجسسُ الأخبار .

(٣) صوابه « خالُه » لا جدّه ؛ لأن والدة عاصم هي جميلة بنت ثابت الأنصاري ، وعاصم أخوها . قال القاضي عِياض : إذا قرىء « جَدٌّ » بالكسر على أنه صفة لثابت ؛ استقام الكلام . انظر فتح الباري ٧/٣١٠ .

(٤) هو عبدُ الله بن طارق الظفري ، حليف لهم .

يستحدُّ بها ، فأعارته فدرجَ بُنيٌّ لها وهي غافلة حتى أتاه ، فوجدته مُجلسَه على فَخِذه والموسى بيده ، قالت : ففزعتُ فزعةً عرفها خبيبٌ ، فقال : أتَخْشَيْنَ أن أقتلَه ، ما كنت لأفعل ذلك . قالت : والله ما رأيتُ أسيراً قطُّ خيراً من خبيب ، والله لقد وجدته يوماً يأكل قِطْفاً[1] من عنب في يده ، وإنه لموثق بالحديد ، وما بمكة من ثمرة ، وكانت تقولُ : إنه لرزق رزقه الله خُبيباً . فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحِلِّ ، قال لهم خبيب : دعوني أُصلّي ركعتين ، فتركوه ، فركع ركعتين ، فقال : والله لولا أن تحْسِبوا أن ما بي جزعٌ لزدت ، ثم قال اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدَداً ، ولا تُبق منهم أحداً ، ثم أنشأ يقول :

فلستُ أُبالي حين أُقتل مُسلماً ... على أي جنبٍ كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يُباركْ على أوصال شِلْوٍ مُمَزَّعِ[2]

ثم قام إليه أبو سِروعة عقبةُ بن الحارث فقتلَه . وكان خبيب هو سنَّ لكل مسلم قُتل صبراً الصَّلاةَ . وأخبرَ رسولُ الله ﷺ أصحابَه يومَ أُصيبوا خبرَهم ، وبعث ناسٌ من قريش إلى عاصم بن ثابت حين حُدِّثوا أنه قُتل أن يُؤتَوا بشيءٍ منه يُعرف ــ وكان قتل عظيماً من عظمائهم ــ فبعثَ الله لعاصم مِثْل الظُّلة[3] من الدَّبْر ، فحمته من رسلهم ، فلم يقدروا أن يقطعوا منه شيئاً ــ كذا روينا في هذا الخبر من طريق البخاري[4] في جامعه ، وفيه أنَّ خُبيباً هذا قتلَ الحارثَ بن عامر يوم بدر ، وليس ذلك عندهم بمعروف ، وإنما الذي قتل الحارث بن عامر خبيب بن إساف بن عنبة بن عمرو بن خديج بن عامر بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج . وخُبيبُ بن عدي لم يشهدْ بدراً عند أحد من أرباب المغازي .

وروينا عن ابن إسحاق ، قال : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : وقدم على رسول الله ﷺ بعد أحد رَهْطٌ من عَضَل والقارة ، فقالوا : يا رسول الله إن فينا إسلاماً ، فابعثْ معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا في الدين ، ويُقرئوننا القرآن ، ويعلّمونا شرائعَ الإسلام ، فبعثَ معهم نفراً ستة من أصحابه ، وهم : مَرْثدُ بن أبي مَرْثد الغَنَوي حليفُ

---

(١) « قِطْفاً » : عنقوداً .

(٢) « شِلْو مُمزَّع » : جسد مقطع .

(٣) « الظُّلَّة » : السحابة .

(٤) رواه البخاري في المغازي (باب غزوة الرجيع) رقم / ٤٩٨٦ / .

حمزة بن عبد المطلب ، وخالد بن البُكير الليثي حليف بني عدي بن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أخو بني عمرو بن عوف ، وخبيب بن عدي أخو بني جَحْجَبَا بن كُلْفة بن عمرو بن عوف ، وزيدُ بن الدَّثِنَّة أخو بني بياضة ، وعبد الله بن طارق حليفُ بني ظَفَر . وأَمَّرَ رسولُ الله ﷺ على القوم مَرْثَدَ بن أبي مرثد الغنوي ، فخرجوا مع القوم حتى إذا كانوا على الرجيع ــ ماء لهذيل ــ غدروا بهم ، فاستصرخوا عليهم هُذيلاً ، فلم يَرُعِ القومَ وهم في رحالهم إلا الرجالُ بأيديهم السيوف ، قد غَشَوْهم ، فأخذوا أسيافهم ليقتلوا القومَ ، فقالوا لهم : إنا والله لا نُريد قتلكم ، ولكنَّا نُريد أن نُصيب بكم شيئاً من أهل مكة ، ولكم عهدُ الله وميثاقُه أن لا نقتلكم ، فأبوا ، فأما مرثدٌ وخالدٌ وعاصم فقالوا : والله لا نقبلُ من مشركٍ عهداً ، وقاتلوا حتى قُتلوا . فلما قُتل عاصم أرادت هُذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سُلافة بنتِ سعد بن شُهيد ، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يومَ أحد لئن قَدَرتْ على رأس عاصمٍ لتشربنَّ فيه الخمر .

قال أبو جعفر الطبري : وجعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة .

رجع إلى خبر ابن إسحاق : فمنعه الدَّبْر ، فلما حالت بينهم وبينه ، قالوا دعوه حتى يُمسي فنأخذه ، فبعث الله الوادي فاحتملَ عاصماً فذهب به ، وقد كان عاصمٌ أعطى الله عهداً أن لا يمسَّه مُشركٌ ، ولا يمسَّ مشركاً أبداً .

وأما زيد بن الدَّثِنَّة وخبيبٌ وابن طارق فلانوا ورقُّوا ، ورغبوا في الحياة ، فأعطوا بأيديهم ، فأسروهم ، ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها ، حتى إذا كانوا بالظهران ، انتزعَ عبدُ الله بن طارق يدَه من القِران(١) ، ثم أخذَ سيفَه واستأخَر عن القوم ، فرمَوْه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبْره بالظهران رحمه الله .

وأما خُبيبٌ وزيدٌ فقدموا بهما مكة ، فباعوهما من قريش بأسيرين من هُذيل كانا بمكة ، فابتاع خبيباً حجيرُ بن أبي إهاب التيمي ، حليف بني نوفل ، لعقبة بن الحارث بن عامر ليقتلَه بأبيه . وأما زيدُ بن الدَّثِنّة فابتاعه صفوانُ بن أمية ، ليقتلَه بأبيه ، فأخرجه مع مولى له يُقال له نَسطاس إلى التنعيم خارج الحرم ليقتلَه ، واجتمع رهط من قريش ، فيهم أبو سفيان بن

---

(١) « القِران » : الحبل .

حرب ، فقال له أبو سفيان حين قُدِّمَ ليقتلَ : أنشدُك بالله يا زيد أتحبُّ أن محمداً الآن عندنا مكانك تُضربُ عنقُه وأنك في أهلك ؟ فقال : والله ما أحبُّ أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تُصيبه شوكةٌ تؤذيه وأني لجالس في أهلي . قال : يقول أبو سفيان : ما رأيتُ من الناس أحداً يُحبُّ أحداً كحبِّ أصحاب محمد محمداً . ثم قتلَه نَسْطاسُ يرحمه الله(١) .

ورأيت في كتاب « ذيل المذيَّل » لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، لحسان بن ثابت يرثي أصحاب الرجيع الستة :

ألا ليتني فيها شهدت ابنَ طارق ... وزيداً وما تُغني الأماني ومرثداً
ودافعت عن حِبِّيْ خُبيبٍ وعاصمٍ ... وكان شفاءً لو تداركتُ خالدا

وذكر ابن سعد أن البعث كانوا عشرة ، وذكر الستة الذين ذكرناهم ، وزاد : ومُعَتِّب بن عُبيد ، وهو أخو عبد الله بن طارق لأمه ، ولم يذكر الباقين(٢) .

وذكر ابن عقبة أيضاً معتِّبَ بن عُبيد فيهم ، وذكر أن الذي قيل له : أتحبُّ أن محمداً مكانك ؟ هو خُبيب بن عديّ ، حين رُفع على الخشبة ، فقال : لا والله. فضحكوا منه . قال : وقال خُبيب : اللهم إني لا أجدُ إلى رسولك رسولاً غيرَك ، فأبلغه مني السلام ، وزعموا أن رسول الله ﷺ قال وهو جالس في ذلك اليوم الذي قُتلا فيه : وعليكما ــ أو عليكَ ــ السلام ، خبيبٌ قتلته قريش . ولا يدرون أذكَر زيدَ بن الدَّثِنة معه أم لا ؟ .

وزعموا أنهم رَمَوْا زيد بن الدَّثِنة بالنبل ، وأرادوا فتنته ، فلم يزدد إلا إيماناً وتثبيتاً ، وزعموا أن عمرو بن أمية الضَّمْري دفن خُبيباً . قال أبو عمر : وروى عمرو بن أمية الضَّمْري ، قال : بعثني رسولُ الله ﷺ إلى خُبيب بن عديّ لأنزلَه من الخشبة ، فصعدت خشبتَه ليلاً ، فقطعت عنه ، وألقيتُه ، فسمعت وَجَبَةً(٣) خلفي ، فالتفتُّ فلم أر شيئاً .

وقال ابن عقبة : واشترَكَ في ابتياع خُبيب ــ كما زعموا ــ أبو إهاب بن عزيز ، وعِكرمة بن أبي جهل ، والأخنس بن شُريق ، وعُبيدة بن حكيم بن الأوقص ، وأُميّة بن أبي

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١٦٩/٢ ــ ١٧٢ .
(٢) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٥٥/٢ .
(٣) « وجبة » :صوت شيء يسقط .

عتبة ، وبنو الحضرمي ، وصفوان بن أمية بن خلف ، وهم أبناء من قُتل من المشركين يوم بدر ، ودفعوه إلى عقبة بن الحارث ، فسجنه في داره .. الحديث .

وكان فيما أنزل الله تعالى في المنافقين الذين كانوا يلمزونهم ، وفيهم ، من القرآن : ﴿ ومن الناس من يُعجبُكَ قولُه في الحياةِ الدُّنيا ﴾ إلى أن ذكرهم فقال : ﴿ ومن النَّاسِ مَنْ يَشري نفسَه ابتغاءَ مَرْضَاةِ الله ﴾ [البقرة : ٢٠٤ ــ ٢٠٧] الآيات .

ومما قاله حسان يهجو هُذيلاً :

لعمري لقد شانت هذيلَ بن مدركٍ ... أحاديثُ كانت في خُبيب وعاصم
أحاديثُ لحيانٍ صَلُوا بقبيحها ... ولحيانُ رَكَّابون شرَّ الجرائم
همُ غَدَرُوا يومَ الرَّجيعِ وأسلمتْ ... أمانَتُهم ذا عِفّةٍ ومكارم
قُبَيِّلَةٌ ليس الوفاء بهمِّهم ... وإن ظُلموا لم يدفعوا كفَّ ظالم
إذَا النَّاسُ حَلُّوا بالفضاء رأيتَهم ... بمجرى مسيلِ الماء بين المخارم
محلُّهمُ دارُ البَوَار ورأيُهم ... إذا نابَهم أمرٌ كرأي البهائم

● الدَّبْرُ : ذكر النحل .

* * *

قصة بئر معونة

وكانت في صفر على رأس أربعة أشهر من أحد عند ابن إسحاق ، قال : وكان من حديثهم كما حدثني أبي : إسحاق بن يسار ، عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وعبدُ الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم[1] وغيرُه من أهل العلم ، قالوا : قدم أبو براء عامرُ بن مالك بن جعفر مُلاعبُ الأسنة على رسول الله ﷺ فعرضَ عليه الإسلام ، ودعاه إليه ، فلم يُسلم ولم يُبعد عن الإسلام ، وقال : يا محمد لو بعثتَ رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد ، فدعوتَهم إلى أمرك رجوتُ أن يستجيبوا لك ، فقال رسول الله ﷺ : « إني أخشى أهل نجد عليهم » . قال أبو براء : أنا لهم جار ، فابعثهم فليدعوا النَّاس إلى أمرك . فبعثَ رسول اللهُ ﷺ المنذرَ بن عمرو ، أخا بني ساعدة الْمعْنِق ليموت ، في أربعينَ — وعن غير ابن إسحاق : في سبعين — رجلاً من أصحابه ، من خيار المسلمين ، فساروا حتى نزلوا بئر معونة ، وهي بين أرض بني عامر وحرة بني سُليم ، كلا البلدين منها قريب ، وهي إلى حرة بني سُليم أقرب ، فلما نزلوها ، بعثوا حَرَامَ بنَ مِلحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر في كتابه ، حتى عدا على الرجل فقتلَه ، ثم استصرخَ عليهم بني عامر ، فأبَوْا أن يُجيبوه إلى ما دعاهم إليه ، وقالوا : لن نُخْفِرَ أبا براء وقد عقد لهم عقداً وجِواراً ، فاستصرخَ عليهم قبائلَ من سُليم عُصَيّة ورِعْلاً ، فأجابوه إلى ذلك ، ثم خرجوا حتى غَشَوْا القومَ ، فأحاطوا بهم في رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا سيوفَهم فقاتلوهم حتى قُتلوا إلى آخرهم رحمهم الله ، إلا كعبَ بن زيد أخا بني دينار بن النجار ، فإنهم تركوه وبه رَمَقٌ ، فارْتُثَّ[2] من بين القتلى ، فعاش حتى قُتل يوم الخندق شهيداً رحمه الله . وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضَّمْري ، ورجل آخر من الأنصار ، أحدُ بني عمرو بن عوف . قال ابن هشام : هو المنذر بن محمد بن عقبة بن أُحيحة بن الجُلاَح .

---

(١) في جميع النسخ : عبد الله بن محمد بن أبي بكر ، والتصحيح من السيرة النبوية ١٨٤/٢ وتقريب التهذيب ص ٣٢٠ وهامش « د » .

(٢) « فَارْتُثَّ » : حُمل من المعركة مرتثاً ، أي : جريحاً وبه رمقٌ .

قال ابن إسحاق : فلم ينبئهما بمُصاب أصحابهما إلا الطير ، تحوم على العسكر ، فقالا : والله إن لهذه الطير لشأناً ، فأقبلا ينظران ، فإذا القومُ في دمائهم ، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفةٌ ، فقال الأنصاري لعمرو بن أمية : ماذا ترى ؟ قال : أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبرَه الخبرَ ، فقال الأنصاري : لكني ما كنت لأرغبَ بنفسي عن موطنٍ قُتل فيه المنذر بن عمرو ، ثم قاتلَ القومَ حتى قُتل رحمه الله ، وأخذوا عمروَ بن أمية أسيراً ، فلما أخبرَهم أنه من مُضر ، أخذه عامرُ بن الطفيل وجزَّ ناصيتَه وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمِّه . فخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقَرْقَرة[1] من صدر قناة ، أقبل رجلان من بني عامر ، حتى نزلا معه في ظل هو فيه ، فكان مع العامريَّيْن عقدٌ من رسول الله ﷺ وجوار لم يعلم به عمرو بن أمية ، وقد سألهما حين نزلا : ممن أنتما ؟ فقالا : من بني عامر ، فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما ، وهو يرى أن قد أصاب بهما ثُؤرَةً[2] من بني عامر ، فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ ، فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ فأخبرَه الخبرَ ، قال رسول الله ﷺ : لقد قتلتَ قتيلين ، لأدينهما . ثم قال رسولُ لله ﷺ : هذا عملُ أبي براء ، قد كنتُ لهذا كارهاً مُتخوِّفاً ، فبلغ ذلك أبا براء ، فشقَّ عليه إخفارُ عامرٍ إياه ، وما أصاب أصحابَ رسول الله ﷺ بسببه .

وقال حسان بن ثابت يُحرِّض بني أبي براء على عامر بن الطفيل :

بني أمِّ البنينَ ألم يرُعْكُم ... وأنتم من ذوائبِ أهلِ نجدِ
تَهَكُّمُ عامرٍ بأبي براء ... ليُخفرَه وما خطأٌ كعمدِ
ألا أبلغْ ربيعةَ ذا المساعي ... فما أحدثتَ في الحَدَثان بعدي
أبوكَ أبو الحروب أبو براء ... وخالُك ماجدٌ حكمُ بنُ سعدِ

● أم البنين : هي أمُّ براء ، من بني عامر بن صعصعة .

فحمل ربيعةُ بن أبي براء على عامر بن الطفيل ، فطعنه بالرمح ، فوقعَ في فخذه فأشواه[3] ، ووقع عن فرسه فقال هذا عمل أبي براء ، إن أنا مِتُّ فدمي لعمي فلا يُتبعنَّ به ،

---

(١) « القرقرة » : هي قرقرة الكدر ، موضع بناحية المعدن « مهد الذهب » .

(٢) « ثؤرة » : ثأراً .

(٣) « فأشَواه » : أصابه وأخطأ مقتله .

وإن أعش فسأرى رأيي[1] .

قال أبو عمر : ذكر عبد الرزاق : عن معمر ، عن ثُمامة بن عبد الله بن أنيس ، عن أنس بن مالك ، أن حَرَامَ بن ملْحان ، هو خال أنس ، طُعن يومَ بئر معونة في رأسه ، فتلقَّى دمَّه بكفه ثم نضحَهِ على رأسه ووجهه ، وقال : فزت ورب الكعبة . وقيل : إن حرام بن مِلحان ارْتُثَّ يوم بئر معونة ، فقال الضحَّاك بن سُفيان الكِلابي ــ وكان مسلماً يكتمُ إسلامه ــ لامرأة من قومه : هل لك في رجل إن صحَّ كان نعم المراعي ؟ فضمّته إليها فعالجته ، فسمعته يقول :

أتتْ عامرٌ ترجو الهوادةَ بيننا ... وهل عامرٌ إلا عدوٌّ مُداجن
إذا ما رجعنا ثم لَمْ تكُ وقعةٌ ... بأسيافنا في عامر أو نُطاعن
فلا ترجوَنّا أن تقاتلَ بعدنا ... عشائرنا وَالمقرُبات الصوافنُ

فوثبوا عليه فقتلوه ، والأول أصح .

وقُتل يومئذ عامر بن فُهيرة ، قتلَه عامر بن الطفيل . ومن طريق يُونس بن بكير ، عن ابن إسحاق عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : لما قدم عامرُ بن الطفيل على رسول الله ﷺ ، قال له : مَن الرجل الذي لما قُتل رأيتَه رُفع بين السماء والأرض ، حتى رأيتَ السماء دونَه ، ثم وُضع ؟ فقال له : هو عامر بن فُهيرة[2] .

وروى ابن المبارك : عن يونس ، عن ابن شهاب ، قال : زعم عروة بن الزبير أن عامر بن فُهيرة قُتل يومئذ ، فلم يُوجد جسدُه حين دفنوا ، يرون أن الملائكة دفنته ، رحمه الله ، والله أعلم بالصواب .

وممن استُشهد يوم بئر معونة[3] عامر بن فُهَيْرة مولى أبي بكر الصديق ، وهو ابن أربعين سنة ، قديم الإسلام ، أسلم قبل أن يدخلَ رسول الله ﷺ دارَ الأرقم بن أبي الأرقم .

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/١٨٣ ــ ١٨٨ .
(٢) السائل هو عامر بن الطفيل ، كما في الروض الأنف ؛ للسهيلي ٣ /٢٣٩ وانظر رواية البكائي عن ابن إسحاق في السيرة النبوية ٢/١٨٦ .
(٣) « بئر معونة » : في أرض بني سُليم ، فيما بين مكة والمدينة .

والحكم بن كيسان ، مولى بني مخزوم ، والمنذر بن محمد بن عقبة بن أُحيحة بن الجُلاَح ، وأبو عبيدة بن عمرو بن مِحْصَن ، والحارث بن الصِّمَّة بن عمرو بن عتيك بن عمرو بن مبذول ، وأُبيُّ بن معاذ بن أنس بن قيس بن عُبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، وأخوه أنس . وابن إسحاق وابن عقبة يُسميانه أوساً ، والواقدي يقول : إنَّ أنساً هذا مات في خلافة عثمان .

وأبو شيخ بن أبيّ بن ثابت بن المنذر بن حَرَام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار ، وحَرَامُ وسُلَيمُ ابنا مِلْحان بن خالد بن زيد بن حَرَام بن جُندب بن عامر بن غَنْم بن عدي بن النجار ، واسم مِلْحان : مالك ، وهما أخوا أمِّ سُليم أمِّ أنس بن مالك ، وأخوا أمِّ حَرَام امرأة عُبادة بن الصامت . ومالكٌ وسفيان ابنا ثابت من الأنصار ، من بني النَّبيت ، وذلك مما انفرد به محمد بن عمر الواقدي ، لم يُوجد ذكر مالك وسفيان في شهداء بئر معونة عن غير محمد بن عمر .

وعروةُ بن أسماء بن الصلت ، من بني عمرو بن عوف ، من حلفائهم ، وقُطْبَةُ بن عبد عمرو بن مسعود بن كعب بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار ، والمنذرُ بن عمرو بن خُنَيْس بن لَوْذَان بن عبد ودّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة ، وهو أميرهم .

ومعاذُ بن ماعص بن قيس بن خَلْدَةُ بن عامر بن زُرَيْق ، وأخوه عائذ . وغيرُ الواقدي يقول : جُرح معاذ ببدر ، ومات منه بالمدينة ، وقيل في عائذ : مات باليمامة .

ومسعود بن سعد بن قيس بن خَلْدة بن عامر بن زُريق عند الواقدي ، وأما ابن القَدَّاح فقال : مات بخيبر .

وخالدُ بن ثابت بن النعمان بن الحارث بن عبد رَزَاح بن ظَفَر ، وقيل : بل قُتل خالد بن ثابت بمؤتة .

وسفيانُ بن حاطب بن أمية بن رافع بن سُويد بن حَرَام بن الهيثم بن ظَفَر ، وسعدُ بن عمرو بن ثَقْف ، واسمُه كعب بن مالك بن مبذول ، وابنه الطُّفيل وابن أخيه سهل بن عامر بن سعد بن عمرو بن ثقف ، وعبدُ الله بن قيس بن صِرْمة بن أبي أنس بن صِرْمة بن

مالك بن عديّ بن النجار ، ونافعُ بن بُدَيل بن ورقاء الخزاعي ، وفيه يقول عبد الله بنُ رواحة يرثيه :

رحـــم الله نــافعَ بنَ بُـديـلٍ رحمــة المبتــغــي ثــوابَ الجهــاد
صـــابراً صــادقَ اللقـاء إذا ما أكثَــر القـومُ قـال قولَ السَّــداد[1]

ذكر هؤلاء المستشهَدين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في كتابه « ذيل المذيل » من رواية ابن عبد البر ، عن أبي عُمر أحمد بن محمد بن الجَسور ، عن أبي بكر أحمد بن الفضل بن العباس الخفَّاف ، عنه . ومن أصل أبي عمر بن عبد البر نقلت .

وعند ابن سعد : فيهم الضَّحاك بن عبد عمرو بن مسعود بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النجار[2] .

وذكر ابنُ القدَّاح فيهم عمرو بن معبد بن الأزعر بن زيد بن العطاف بن ضُبيعة من بني عمرو بن عوف ، واسمه عند ابن إسحاق عمرو ، وهو عند ابن القداح عُمير .

وذكر ابنُ الكلبي خالدَ بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار في شهداء بئر معونة .

وذكر أبو عمر النَّمْري في « الاستيعاب » سهيلَ بن عامر بن سعد فيهم ، وأظنه سهل بن عامر الذي ذكرناه ، على أنه ذكر ذلك في ترجمتين إحداهما في باب سهل والأخرى في باب سُهيل .

والمختلفُ في قتله في هذه الواقعة مختلف في حضوره ، فأرباب المغازي متفقون على أن الكل قُتلوا إلا عمرو بن أمية الضَّمْري ، وكعب بن زيد بن قيس بن مالك بن كعب بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار ، فإنه جُرح يوم بئر معونة ، ومات بالخندق .

---

(١) الاستيعاب ٣/٥٤١ .

(٢) الطبقات الكبرى ، لابن سعد ٢/٥٢ .

وقال ابن سعد : لما أُحيط بهم قالوا : اللهم إنا لا نجدُ من يُبلِغُ رسولَك منا السلام غيرَك ، فأقرئه منا السلام ، فأخبرَه جبريلُ عليه السلام بذلك ، فقال : وعليهم السلام . وقال : فقدَ عمرو بن أمية عامرَ بن فُهيرة من بين القتلى ، فسأل عنه عامرَ بن الطفيل ، فقال : قتله رجلٌ من بني كلاب يقال له جَبَّار بن سُلْمَى ، فلما قتله قال : فزتُ والله ، ورُفع إلى السماء ، فأسلم جَبَّار بن سُلمى لِما رأى مِن قتل عامر بن فُهيرة ورَفْعِه . وقال رسول الله ﷺ : « إنَّ الملائكة وارت جُثَّته ، وأُنزل في عِلِّيِّين »[1] .

وروينا عن ابن سعد ، قال : أخبرنا الفضل بن دُكين ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عاصم ، قال : سمعت أنس بن مالك ، قال : ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ وَجَدَ على أحد ما وَجَدَ على أصحاب بئر معونة[1] .

وروينا من طريق مسلم ، قال : حدثنا يحيى بن يحيى ، قال : قرأتُ على مالك ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك ، قال : دعا رسولُ الله ﷺ على الذين قَتلوا أصحابَ بئر معونة ثلاثين صَبَاحاً يدعو على رِعل ولحيان وعُصَيَّة ، عصت الله ورسوله . قال أنس : أنزل الله في الذين قُتلوا ببئر معونة قرآناً قرأناه ثم نُسخ بعدُ : أنْ بَلِّغوا قومَنا أنْ قد لَقِيْنَا رَبَّنا فرضيَ عَنَّا ورَضيْنَا عنه[2] .

كذا وقع في هذه الرواية ، وهو يُوهم أن بني لحيان ممن أصاب القراء يومَ بئر معونة ، وليس كذلك ، وإنما أصاب هؤلاء رِعْل وذَكْوان وعُصَّية ومَنْ صحبَهم من سُليم . وأما بنو لِحيان فهم الذين أصابوا بعثَ الرجيع ، وإنما أتى الخبرُ إلى رسول الله ﷺ عنهم كلِّهم في وقت واحد ، فدعا على الذين أصابوا أصحابَه في الموضعين دعاء واحداً .

* * *

---

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٥٢/٢ ـــ ٥٤ .

(٢) رواه مسلم في المساجد (باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة) رقم /٦٧٧/ .

غزوة بني النَّضِير

وهي عند ابن إسحاق في شهر ربيع الأول ، على رأس خمسة أشهر من وقعة أحد .

وقال البخاري[١] : قال الزهري ، عن عروة : كانت على رأس ستة أشهر من وقعة بدر قبل أحد .

قال موسى بن عقبة : وكانوا قد دَسُّوا إلى قريش في قتال رسول الله ﷺ فحَضُّوهم على القتال ، ودَلُّوهم على العورة .

قال ابن إسحاق وغيره : ثم خرج رسولُ الله ﷺ إلى بني النضير ليستعينَهم في دية ذَينِكَ القتيلين اللذين قتل عمرو بن أمية الضَّمْري ، للجوار الذي كان رسولُ الله ﷺ عقد لهما ، وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحِلف ، فلما أتاهم رسولُ الله ﷺ يستعينُهم في ديتهما ، قالوا : نعم يا أبا القاسم ، نُعينك على ما أحببتَ مما استعنتَ بنا عليه (اجلسْ حتى تطعم وترجع بحاجتك ، فجلس إلى ظل جدارٍ من جُدر بيوتهم)[٢] ؛ ثم خلا بعضُهم ببعض ، وقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ــ ورسولُ الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد ــ فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة ، فيريحَنا منه ، فانتدب لذلك عمرو بن جَحَّاش بن كعب أحدُهم ، فقال : أنا لذلك ، فصَعِد ليُلقيَ عليه صخرةً كما قال ، ورسولُ الله ﷺ في نفر من أصحابه ، فيهم أبو بكر وعمر وعليّ رضي الله عنهم[٣] .

وقال ابن سعد : فقال سلاَّمُ بن مِشكم ــ يعني لليهود ــ لا تفعلوا ، والله ليُخبرنَّ بما هممتم به ، وإنه لنقض العهد الذي بيننا وبينه[٤] .

---

(١) ذكره البخاري تعليقاً في المغازي (باب حديث بني النضير) .

(٢) ما بين القوسين زيادة من « ج » و « د » .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١٩٠/٢ .

(٤) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٥٧/٢ .

رجع إلى خبر ابن إسحاق : قال : فأتى رسولَ الله ﷺ الخبرُ من السماء بما أراد القوم ، فقام رسولُ الله ﷺ راجعاً إلى المدينة ، فلما استلبثَ النبيَّ ﷺ أصحابُه قاموا في طلبه ، فلقوا رجلاً من المدينة مُقبلاً ، فسألوه ، فقال : رأيته داخلاً إلى المدينة ، فأقبلَ أصحابُ النبيِّ ﷺ حتى انتهوا إليه ، فأخبرهم الخبر بما كانت أرادت يهود من الغدر به[1] .

قال ابن عقبة : ونزل في ذلك ﴿ يأيُّها الذينَ آمَنُوا اذْكُروا نِعْمَةَ اللَّهِ عليْكُم إذْ هَمَّ قَوْمٌ أنْ يَبْسُطُوا .. ﴾ الآية [المائدة : ١١] .

رجع إلى خبر ابن إسحاق : فأمرَ رسولُ الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم ، واستعملَ على المدينة ابنَ أُمِّ مكتوم ـــ فيما قال ابن هشام ـــ قال : ثم سار بالناس حتى نزلَ بهم فحاصرَهم ستَّ ليالٍ ، ونزل تحريمُ الخمر .

قال ابن إسحاق : فتحصَّنوا منه في الحصون ، فأمر رسولُ الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها ، فنادوه : أن يا محمد قد كنتَ تَنهى عن الفساد وتعيبُه على من صنعه ، فما بالُ قطع النخيل وتحريقها ؟ .

وقد كان رهطٌ من بني عوف بن الخزرج ، منهم عبدُ الله بن أُبَيٍّ بن سَلول ، ووديعة بن مالك بن أبي قوقل ، وسُويد ، وداعس ، بعثوا إلى بني النضير : أن اثبتوا وتمنَّعوا ، فإنا لن نُسلمَكم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أُخرجتُم خرجنا معكم . فتربَّصوا ذلك من نصرهم ، فلم يفعلوا ، وقذفَ الله في قلوبهم الرعبَ ، فسألوا رسولَ الله ﷺ أن يُجليَهم ويكفَّ عن دمائهم ، على أنَّ لهم ما حملتِ الإبلُ من أموالهم إلا الحَلْقة[2] ، ففعلَ ، فاحتملوا من أموالهم ما استقلَّت به الإبل ، فكان الرجل يهدِم بيتَه عن نِجافِ بابه[3] فيضعَه على بعيره فينطلق به ، فخرجوا إلى خيبرَ ، ومنهم من سار إلى الشام ، وخَلَّوا الأموال[4] لرسول الله ﷺ ، فكانت له خاصة يضعُها حيث يشاء .

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/١٩٠ .
(٢) « الحَلْقَة » : السِّلاح ، أو هو الدروع خاصة ، والمراد الأول .
(٣) « نِجاف بابه » النِّجاف : العتبة التي بأعلى الباب ، أما التي في أسفله فتسمى الأُسكفّة .
(٤) « الأموال » : بساتين النخيل .

ولم يُسلم من بني النضير إلا رجلان : يامين بن عُمير[1] ــ أبو كعب وابن عم عمرو بن جَحَّاش ــ وأبو سعد[2] بن وَهْب ، أسلما فأحرزا أموالهما بذلك ، وُيقال : إن رسول الله ﷺ قال ليامين : ألم ترَ إلى ما لقيتُ من ابن عمِّك ، وما هَمَّ به من شأني ، فجعلَ يامين جُعْلاً لمن يقتلُه ، فقُتل[3] .

ونزل في أمر بني النضير سورة الحشر . قال ابن عقبة : ولحق بنو أبي الحُقيق بخيبرَ ومعهم آنية كثيرة من فضة ، قد رآها النبيُّ ﷺ وأصحابُه حين خرجوا بها ، وعمد حيٌّ بن أخطب حتى قدم مكة على قريش ، فاستغواهم على رسول الله ﷺ ، واستنصرَهم ، وبيَّن الله عز وجل لرسول الله ﷺ حديثَ أهل النفاق ، وما بينهم وبين اليهود .

وفيما ذكرَ ابن سعد من الخبر عن بني النضير : أنهم حين هَمُّوا بغدر رسول الله ﷺ ، وأعلمه الله بذلك ، ونهض سريعاً إلى المدينة ، بعث إليهم محمد بن مَسلَمة : أن اخرجوا من بلدي ، فلا تساكنوني بها ، وقد هممتم بما هممتم به من الغدر ، وقد أجّلتُكم عشراً ، فمن رؤي بعد ذلك ضربتُ عنقَه . فمكثوا على ذلك ، أياماً يتجهزون ، وأرسلوا إلى ظَهْر[4] لهم بذي الجَدْر[5] ، وتَكَارَوْا[6] من ناس من أشجع إبلاً . فأرسل إليهم ابن أُبَيّ : لا تخرجوا من دياركم ، وأقيموا في حصونكم فإن معي ألفين من قومي ومن العرب ، يدخلون حصنَكم فيموتون من آخرهم ، وتمدُّكم قريظة وحلفاؤُكم من غطفان . فطمع حيٌّ فيما قال ابن أبَيّ ، فأرسلَ إلى رسول الله ﷺ : إنا لا نخرج من ديارنا ، فاصنع ما بدا لك . فأظهرَ رسولُ الله ﷺ التكبيرَ ، وكبَّرَ المسلمون لتكبيره ، وقال : حارَبَتْ يهود . فسارَ إليهم النبيُّ ﷺ في أصحابه ، فصلّى العصر بِفناء بني النضير ، وعليٌّ يحمل رايتَه ، واستخلف على

---

(١) في جميع النسخ : يامين بن عمرو بن كعب ابن عم عمرو بن جحَّاش . والتصحيح من نور النبراس والإصابة ٦٤٨/٣ .

(٢) في جميع النسخ : أبو سعيد ، والتصحيح من نور النبراس والإصابة ٨٧/٤ .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ١٩١/٢ ــ ١٩٢ .

(٤) « ظهر » : إبل .

(٥) « بذي الجَدْر » : كان على ستة أميال من المدينة من ناحية قباء .

(٦) « تَكارَوْا » : اكتروا المراكب من الإبل واستأجروها .

المدينة ابنَ أُمِّ مكتوم . فلما رأوا رسولَ الله ﷺ قاموا على حصونهم ، معهم النَّبل والحِجارة ، واعتزلتهم قريظةُ فلم تُعِنْهم ، وخذلَهم ابن أُبيّ وحلفاؤهم من غطفان ، فيئسوا من نصرهم ، فحاصرَهم رسولُ الله ﷺ ، وقطَّع نخلَهم . فقالوا : نحن نخرج عن بلادك . فقال : لا أقبلُه اليومَ ، ولكن اخرجوا منها ، ولكم دماؤكم وما حملت الإبلُ إلا الحَلْقة . فنزلت يهودُ على ذلك ، وكان حاصرَهم خمسة عشر يوماً ، فكانُوا يُخرِّبون بيوتَهم بأيديهم ، ثم أجلاهم عن المدينة ، ووليَ إخراجَهم محمد بن مسلمة ، وحملوا النساء والصبيان ، وتحمَّلُوا على ستمائة بعير . فقال رسول الله ﷺ : هؤلاء في قومهم بمنزلة بني المغيرة في قريش . فلحقوا بخيبرَ ، وحزن المنافقون عليهم حزناً شديداً ، وقبضَ رسول الله ﷺ الأموالَ والحَلْقة ، فوجد من الحَلْقة خمسين درعاً ، وخمسين بيضة ، وثلاثمائة وأربعين سيفاً .

وكانت (أموال) بني النضير صَفِّياً[1] لرسول الله ﷺ ، حَبْساً لنوائبه[2] ، ولم يُخمِّسْها ، ولم يُسهم منها لأحد ، وقد أعطى ناساً من أصحابه ، ووسَّع في الناس منها[3] .

وذكر أبو عبد الله الحاكم في كتاب « الإكليل » له ، بإسناده إلى الواقدي ، عن معمر بن راشد ، عن الزهري ، عن خارجة بن زيد ، عن أمِّ العلاء ، قالت : طارَ لنا عثمان بن مظعون في القرعة ، فكان في منزلي حتى توفي ، قالت : فكان المسلمون والمهاجرون في دورهم وأموالهم ، فلما غنم رسولُ الله ﷺ بني النضير ، دعا ثابتَ بن قيس بن شمَّاس ، فقال : ادعُ لي قومَك . فقال ثابت : الخزرج يا رسول الله ؟ قال رسول الله ﷺ : الأنصارُ كلُّها . فدعا له الأوس والخزرج ، فتكلَّم رَسولُ الله ﷺ ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم ذكر الأنصار ، وما صنعوا بالمهاجرين ، وإنزالَهم إيَّاهم في منازلهم وأموالهم ، وأثَرَتَهم على أنفسهم . ثم قال : إن أحببتُم قسمتُ بينَكم وبين المهاجرين ما أفاء الله عليَّ من بني النضير ، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في منازلكم وأموالكم ، وإن أحببتُم أعطيتُهم وخرجوا من دوركم . فتكلَّم سعد بن عبادة وسعدُ بن معاذ ، فقالا : يا رسول الله بل تقسمُ بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا . ونادتِ الأنصار : رضينا وسلَّمنا

---

(١) « صفياً » : ما يصطفيه الرئيس لنفسه من الغنائم قبل القسمة ، يضعه حسب المصلحة حيث يشاء .

(٢) « لنوائبه » : النوائب : الطوارىء والنوازل .

(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/٥٧ ــ ٥٨ .

يا رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : « اللهم ارحمِ الأنصار وأبناءَ الأنصار » . فقسمَ رسولُ الله ﷺ ماأفاءَ الله عليه ، وأعطى المهاجرينَ ، ولم يُعطِ أحداً من الأنصار شيئاً إلا رجلين كانا مُحتاجين : سهل بن حُنيف ، وأبا دُجانة . وأعطى سعدَ بن معاذ سيفَ ابنَ أبي الحُقَيقُ ، وكان سيفاً له ذكر عندهم .

وذكرَ أبو بكر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، في كتاب « فتوح البلدان » له ؛ أن رسولَ الله ﷺ قال للأنصار : ليست لإخوانكم من المهاجرين أموال ، فإن شئتم قسمتُ هذه وأموالَكم بينكم وبينهم جميعاً ، وإن شئتم أمسكتم أموالَكم وقسمتُ هذه فيهم خاصة ، فقالوا : بل اقسم هذه فيهم واقسم لهم من أموالنا ما شئت ، فنزلت : ﴿ ويؤثرونَ على أنفُسِهِم ولو كانَ بهم خَصَاصَة ﴾ [الحشر : ٩] قال أبو بكر رضي الله عنه : جزاكم الله يا معشر الأنصار خيراً ، فوالله ما مَثَلُنا ومَثَلُكم إلا كما قال الغنويُّ :

جزى الله عنا جعفراً حين أزلقت ... بنــا نعــلُنــا في الواطِئِينَ فزلَّتِ
أَبــوْا أن يَمَــلُّونــا ولو أَنَّ أُمَّنَــا ... تلاقي الذي يلقوْنَ منا لَملَّتِ[1]

قال : وكانت أموال بني الضير خالصة لرسول الله ﷺ ، وكان يزرع تحت النخل في أرضهم ، فيدخر من ذلك قوتَ أهله وأزواجه سنة ، وما فَضَل جعله في الكُرَاع والسِّلاح .

وروينا من طريق البخاري ، قال : حدثني إسحاق ، أخبرنا حِبَّان ، حدثنا جُويرية بن أسماء ، عن نافع ، عن ابن عمر ؛ أن النبيَّ ﷺ حَرَّق نخل بني النضير ، قال : ولها يقول حسان بن ثابت :

وهــان عــلى ســراة بني لؤيٍّ ... حــريقٌ بــالبُــويرة مُستـطــير

فأجابه أبو سفيان بن الحارث :

أدامَ الله ذلك من صــنــيــعٍ ... وحَـرَّق في نـواحيهــا السـعـيرُ
ستـعــلمُ أيُّنَــا منهــا بـنُزْهٍ ... وتعــلمُ أيَّ أرضينــا تضــيرُ[2]

هذه رواية البخاري[3] .

(١) فتوح البلدان ، للبلاذري ص ٣٣ ـــ ٣٤ .

(٢) « بنزه » : بمنأى .

(٣) رواه البخاري في المغازي (باب حديث بني النضير) رقم /٤٠٣٢/ .

وقال أبو عمرو الشيباني وغيرُه : إن أبا سفيان بن الحارث قال :

لعَــزَّ عــلى ســـراةِ بــني لؤيٍّ ... حــريقٌ بــالبُــويـرة مُستـطــيرُ

ويُروى بالبويلة .

وذكرَ ابنُ سعد أنَّ رسولَ الله ﷺ أعطى الزبيرَ بن العوام وأبا سلمة البُويلةَ من أرضهم ، فأجابه حسان :

أدامَ الله ذلكـــم حــريقـــاً ... وضُـــرِّم في طوائِفهــا السعــيرُ

هُــمُ أُوتـوا الكتــابَ فضيَّعوه ... فهـــم عُمْـيٌ عن التــوارةِ بُــورُ

هذه أشبه بالصواب من الرواية الأولى .

* * *

غزوةُ ذَاتِ الرِّقَاع

قال ابن إسحاق : ثم أقامَ رسولُ الله ﷺ بعد غزوة بني النضير شهرَ ربيع .

وقال الوقشيُّ : الصواب شهري ربيع وبعض جمادى .

ثم غزا نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان ، واستعملَ على المدينة أبا ذر الغِفاري ، ويقال عثمان بن عفان ــ فيما قال ابن هشام ــ وقال : حتى نزل نخلاً ، وهي غزوة ذات الرقاع ، وسُمِّيت بذلك لأنهم رقعوا فيها راياتهم ، ويُقال : ذات الرقاع شجرة بذلك الموضع ، وقيل : لأن أقدامَهم نَقِبَتْ[1] ، فكانوا يَلُفُّون عليها الخِرَق ، وقيل : بل الجبل الذي نزلوا عليه كانت أرضه ذات ألوان تشبه الرِّقاع .

قال ابن إسحاق : فلقي بها جمعاً من غطفان ، فتقاربَ الناسُ ، ولم يكن بينهم حرب ، وقد خاف الناس بعضَهم بعضاً ، حتى صلَّى رسولُ الله ﷺ بالناس صلاةَ الخوف ، ثم انصرف بالناس[2] .

قال ابن سعد : وكان ذلك أوَّلَ ما صلاها[3] .

وبين الرواة خُلْفٌ في صلاة الخوف ، ليس هذا موضعه .

رجع إلى الأول : قال ابن إسحاق : حدثني عمرو بن عُبيد ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله ؛ أن رجلاً من بني محارب ، يقال له غَوْرث ، قال لقومه من غطفان ومحارب : ألا أقتلُ لكم محمداً ؟ قالوا : بلى ، وكيف تقتلُه ؟ قال : أفتكُ به . قال : فأقبلَ إلى رسول الله ﷺ وهو جالسٌ وسيفُه في حِجْره . فقال : يا محمد! أنْظرُ إلى سيفك هذا ؟ قال : نعم . فأخذَه فاستلَّه ، ثم جعلَ يهزُّه ويهمُّ ، فيكبتُه الله . ثم قال : يا محمد أما تخافني ؟ قال : لا ، وما أخاف منك . قال : وفي يدي السيف ؟ قال : لا ، بل يمنعني الله منك . قال : ثمّ

---

(١) « نَقِبَتْ » : رقَّ باطنُها ؛ لما تُصادفه من خشونة الأرض ، رقةً تمنعهم من مواصلة السير حفاة .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٢٠٣ ــ ٢٠٤ .

(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/٦١ .

عمد إلى سيف رسول الله ﷺ فردَّه عليه . فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿ يا أيُّها الذينَ آمَنْوا اذْكُروا نِعْمَةَ الله عَليْكم إذْ همَّ قومٌ .. ﴾[١] الآية [المائدة : ١١] .

وقد رواه من حديث جابر أيضاً أبو عَوانة ، وفيه : فسقط السيفُ من يده ، فأخذه رسولُ الله ﷺ ، فقال : من يمنعك مني ؟ قال : كن خير آخذ . قال : تشهدُ أنْ لا إله إلا الله وأني رسولُ الله ؟ قال الأعرابي : أعاهدك أني لا أقاتلُك ، ولا أكون مع قوم يُقاتلونك . قال : فخلّى رسولُ الله ﷺ سبيلَه ، فجاء إلى قومه ، فقال : جئتكم من عند خير الناس[٢] .

قلت : وقد تقدم في غزوة ذي أَمَر خبرٌ لرجل يقال له دُعثور بن الحارث ، من بني مُحارب يُشبه هذا الخبر ، قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف ، فقال : من يمنعك مني اليوم ؟ قال رسول الله ﷺ : الله . ودفع جبريلُ في صدره ، فوقع السيفُ من يده ، فأخذه رسولُ لله ﷺ ، وقال : من يمنعُك مني ؟ قال : لا أحد ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله . ثم أتى قومَه فجعل يدعوهم إلى الإسلام ، ونزلت ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ... ﴾ الآية [المائدة : ١١] والظاهر أن الخبرين واحد . وقد قيل : إن هذه الآية نزلت في أمر بني النضير كما سبق ، فالله أعلم .

وفي انصرافه عليه الصلاة والسلام من هذه الغزوة أبطأ جملُ جابر بن عبد الله به ، فنخسَه النبيُّ ﷺ ، فانطلق متقدماً بين يدي الرِّكاب ، ثم قال : أتبيعُنيه ؟ فابتاعه منه ، وقال له : لك ظهرُه إلى المدينة . فلما وصل إلى المدينة أعطاه الثمن ووهبَ له الجمل[٣] .

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٢٠٥ .

(٢) رواه أبو عوانة في مسنده ٢/٣٦٥ ، وفي إسناده يحيى بن أبي كثير ، ذُكر بالتدليس .

(٣) قال برهان الدين الحلبي : وفي انصرافه عليه الصلاة والسلام من هذه الغزوة أبطأ جمل جابر . اعلم أن في البخاري ؛ أن قصة الجمل كانت بطريق تبوك ولكنه مُعلّق ، وفي مسلم في البيوع أنه كان في رجوعه من مكة إلى المدينة . وقال ابن إمام الجوزية في غزوة ذات الرقاع مالفظه : وقد ذكر أن قصة بيع جمل جابر إلى النبي ﷺ كانت في غزوة ذات الرقاع ، وقيل : في رجوعه من تبوك ، وقيل : في إخباره للنبي ﷺ أنه تزوج امرأة ثيباً تقومُ على أخواته وتكفلهم ؛ إشعار بأنه بادر إلى ذلك بعد مقتل أبيه ، ولم يُؤخر إلى عام تبوك ، والله أعلم . نور النبراس لوحة ٢ ب/٣٠ . والحديث رواه البخاري في مواضع عديدة أولها الوكالة (باب إذا وكل رجل رجلاً أن يعطي شيئاً ولم يُبيِّن كم يُعطي) رقم /٢٣٠٩/ ، ورواه مسلم في المساقاة (باب بيع البعير

وقال ابن سعد : قالوا : قدم قادم المدينة بجلَب له ، فأخبر أصحابَ النبي ﷺ أن أنمار وثعلبة قد جمعوا لهم الجموع ، فبلغَ ذلك رسولَ الله ﷺ ، فخرجَ ليلة السبت لعشر خلون من المحرم في أربعمائة من أصحابه ، ويقال سبعمائة ، فمضى حتى أتى محالَّهم بذات الرقاع ، فلم يجد في محالِّهم إلا نسوة ، وبعث رسولُ الله ﷺ جِعَالَ بن سُراقة بشيراً بسلامته وسلامة المسلمين ، قال : وغاب خمسَ عشرة ليلة[1] .

وروينا في صحيح البخاري[2] ، من حديث أبي موسى ، أنهم نَقِبتْ أقدامُهم ، فلفُّوا عليها الخِرق ، فسُمِّيت غزوةَ ذاتِ الرقاع ، وجعل حديث أبي موسى هذا حجة في أن غزوة ذات الرقاع متأخرة عن خيبر ، وذلك أن أبا موسى إنما قدم مع أصحاب السفينتين بعد هذا بثلاث سنين ، والمشهور في تاريخ غزوة ذات الرقاع ما قدَّمناه ، وليس في خبر أبي موسى ما يدلُّ على شيء من ذلك .

● وغورث : مقيَّد بالغين معجمة ومهملة ، وهو عند بعضهم مصغرٌ بالعين المهملة .

= واستثناء ركوبه) رقم /٧١٥/ كما روت أجزاء منه كتب السنن الأربعة ، وانظر القصة في السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٢٠٦ ـ ٢٠٧ .

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/٦١ .

(٢) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب غزوة ذات الرقاع) رقم /٤١٢٨/ .

غزوة بدر الأخيرة

قال ابن إسحاق : ولما قدم رسولُ الله ﷺ المدينة من غزوة ذات الرقاع ، أقام بها بقية جمادى الأولى إلى آخر رجب ، ثم خرج في شعبان إلى بدر لميعاد أبي سفيان حتى نزله .

قال ابن هشام : واستعملَ على المدينة عبدَ الله بن عبد الله بن أُبَيّ بن سلول الأنصاري .

قال ابن إسحاق : فأقام عليه ثمان ليالٍ ينتظرُ أبا سفيان ، وخرجَ أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مَجَنَّة من ناحية الظَّهران ، وبعضُ الناس يقول قد بلغَ عُسفان ، ثم بدا له في الرجوع ، فقال : يا معشر قريش إنه لا يُصلحكم إلا عامٌ خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن ، وإن عامَكم هذا عامُ جدبٍ ، وإني راجع فارجعوا ، فرجع الناس ، وسمَّاهم أهلُ مكة جيش السَّويق ، يقولون : إنما خرجتم تشربون السَّويق . وأقام رسولُ الله ﷺ على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده ، فأتاه مَخشيُّ بن عمرو الضَّمْري ، وهو الذي كان وادَعَه على بني ضَمْرة في غزوة ودان ، فقال : يا محمد أجئتَ لميعاد قريش على هذا الماء ؟ قال : نعم يا أخا بني ضَمْرة ، وإن شئتَ مع ذلك رَدَدْنَا إليك ما كان بيننا وبينَك ، ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينَك . قال : لا والله يا محمد ، ما لنا بذلك منك حاجة . ثم انصرفَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينة[1] .

وروى الحاكم في « الإكليل » عن الواقدي ، قال : وكان رسول الله ﷺ قد خرجَ في هذه الغزوة في ألف وخمسمائة من أصحابه ، وكانت الخيل عشرةَ أفراس ، فرسٌ لرسول الله ﷺ ، وفرسٌ لأبي بكر ، وفرسٌ لعمر ، وفرسٌ لأبي قتادة ، وفرسٌ لسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل ، وفرسٌ للمقداد ، وفرس للحُباب ، وفرس للزبير ، وفرسٌ لعَّباد بن بشر ، وذكرَ عنه أن النبيَّ ﷺ استخلفَ على المدينة عبدَ الله بنَ رواحة .

* * *

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٢٠٩ ــ ٢١٠ .

غزوة دُومة الجَنْدَل

ودومة بضم الدال وفتحها ، سميت بدومة بن إسماعيل لأنه نزلها .

ثم غزا رسول الله ﷺ دومة الجندل ، قال ابن هشام : في شهر ربيع الأول ، واستعملَ على المدينة سِباعَ بن عُرْفطة الغِفاري ، ثم رجع رسولُ الله ﷺ قبل أن يصلَ إليها ولم يلقَ كيداً ، فأقام بالمدينة بقية سنته .

وقال ابن سعد : قالوا : بلغ رسولَ الله ﷺ أن بدومة الجندل جمعاً كثيراً يظلمون من مرَّ بهم ، وأنهم يُريدون أن يدنوا من المدينة . وهي طرفٌ من أفواه الشام ، بينها وبين دمشق خمس ليـال ، وبينها وبين المدينة خمسَ عشرة أو ست عشرة ليلة ، فندب رسولُ الله ﷺ الناسَ ، وخرج لخمس ليال بقين من شهر ربيع الأول في ألف من المسلمين ، فكان يسيرُ الليل ويكمنُ النهار ، ومعه دليلٌ له من بني عُذْرةَ يُقال له مذكور ، فلما دنا منهم إذا هم مُغرِّبون[1] ، وإذا آثار النَّعَم والشَّـاء ، فهجمَ على ماشيتهم ورُعاتهم ، فأصابَ من أصابَ وهربَ من هربَ في كلِّ وجه .

وجاء الخبرُ أهلَ دُومة فتفرَّقوا ، ونزل رسولُ الله ﷺ بسـاحتِهم فلم يلق بها أحداً ، فأقامَ بها أياماً وبثَّ السـرايا وفرَّقَهـا ، فرجعتْ ولم تُصبْ منهم أحداً ، وأُخذ منهم رجلٌ فسـألَه رسولُ الله ﷺ عنهم ، فقال : هربوا حيث سمعوا أنك أخذتَ نَعَمهم ، فعرضَ عليه الإسلام فأسلم ، ورجعَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينة لعشرِ ليالٍ بقين من شهر ربيع الآخر .

وفي هذه الغزوة وادعَ رسول الله ﷺ عُيينةَ بن حِصْن أن يرعى بتَغْلَميْن[2] وما والاها إلى المَرَاضِ[3] ، وكانت بلاده قد أجدبتْ[4] .

(١) « مُغرِّبون » : نازحون عن مكانهم .

(٢) « بتَغْلَمَيْن » : ضبطهـا في نور النـبراس بالعـين ، فقال : تعلم كجعفر : موضع أو جبل ، واسـم الجبل « تعلمان » كزعفران . وضبطها الصالحي في السيرة الشامية بالغين المعجمة ، وكذا وردت في القاموس في مادة « غلم » ، فقال : وتغلم كتمنع : أرض . وتغلمان : ــ مثنى ــ موضع . والمؤلف أورده بالياء ، مما يدل على أنهما مكانان كل منهما يحمل اسم : تغلم أو تعلم ؛ كالأخشبين . أما إذا كان المقصود ــ جبلاً أو موضعاً ــ جاء بالألف وضعاً ، فإنه يجب التزامه في جميع الأحوال .

(٣) « المَرَاض » : كَسَحَاب ، وهو اسم مكان من راض يروض ، موضع أو واد على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة .

(٤) الطبقات الكبرى ٢/٦٢ ــ ٦٣ .

غزوة الخندق

وقال ابن إسحاق : ثم كانت غزوةُ الخندق في شوال سنة خمس .

وقال ابن سعد : في ذي القعدة[1] .

فحدثني[2] يزيدُ بن رُومان مولى آل الزبير ، عن عروة بن الزبير ، ومن لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، ومحمد بن كعب القرظي ، والزهري ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، وغيرهم من علمائنا ، كلٌّ قد اجتمع حديثُه في الحديث عن الخندق ، وبعضهم يُحدِّث ما لا يحدِّث بعضٌ ، قالوا : إنه كان من حديث الخندق ، أن نفراً من يهود ، منهم سَلاَّم بن مِشكم ، وابن أبي الحُقيق ، وحُيَيٌّ بن أخطب ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحُقيق النَّضَريون ، وهَوْذةُ بن قيس ، وأبو عمار الوائلي ، في نفر من بني النضير ، ومن بني وائل ، وهم الذين حَزَّبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ ، خرجوا حتى قدموا على قريش مكة ، يدعونهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، وقالوا : إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصلَه . فقالت لهم قريش : يا معشر يهود! إنكم أهلُ الكتاب الأول ، والعلمِ بما أصبحنا نختلف فيه ، أفديننا خيرٌ أم دينه ؟ قالوا : بل دينُكم خيرٌ من دينه ، وأنتم أولى بالحقِّ منه . فأنزل الله فيهم : ﴿ ألم ترَ إلى الذين أُوتوا نصيباً مِن الكِتَاب يُؤمِنُونَ بالجِبْتِ والطَّاغُوت ﴾ الآية إلى قوله : ﴿ وكَفَى بجهنَّم سَعِيْراً ﴾ [النساء : ٥١ ــ ٥٥] فلما قالوا ذلك لقريش سرَّهم ، ونَشِطوا لما دعوْهم إليه من حرب رسول الله ﷺ ، فاجتمعوا لذلك ، واتَّعدوا له ، ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاؤوا غطفان من قيس عَيْلاَن ، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك ، واجتمعوا معهم فيه .

فخرجت قريش ، وقائدُها أبو سفيان بن حرب ، وخرجت غطفان وقائدُها عُيَيْنة بن

---

(١) الطبقات الكبرى ٢/٦٥ .

(٢) رجع إلى ابن إسحاق ٢/ ٢١٤ . وقال ابن القيم في زاد المعاد : كانت في سنة خمس من الهجرة في شوال على أصح القولين .

حصن في بني فَزَارة ، والحارث بن عوف المُرّي في بني مرة ، ومسعود[١] بن رُخَيْلة فيمن تابعه من أشجع .

فلما سمعَ بهم رسولُ الله ﷺ وبما أجمعوا له من الأمر ، ضربَ على المدينة الخندقَ ، فعمل فيه رسولُ الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر ، وعمل معه المسلمون فيه ، فدأبَ ودأبوا ، وأبطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين في عملهم ذلك رجالٌ من المنافقين ، وجعلوا يُوَرُّون[٢] بالضعف من العمل ، ويتسللون إليهم بغير علم من رسول الله ﷺ ولا إذن ، وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة من الحاجة التي لا بد له منها يذكرُ ذلك لرسول الله ﷺ ، ويستأذنُه في اللحوق بها ، فإذا قضى حاجتَه رجَع إلى ما كان عليه من عمله رغبةً في الخير واحتساباً به[٣] .

قرأتُ على السيدة الأصيلة مؤنسة خاتون ابنة المولى السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب رحم الله سلفَها ، أخبرتك الشيخة الأصيلة أم هانيء عفيفة بنت أحمد بن عبد الله الفَارقَانية إجازة ، قالت : أخبرنا أبو طاهر عبد الواحد بن أحمد بن محمد بن الصبَّاغ ، أخبرنا أبو نُعيم ، أخبرنا أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن ، حدثنا أبو جعفر محمد بن نصر الصايغ ، حدثنا إبراهيم بن حمزة ، حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن عُبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : بعثني خالي عثمان بن مظعون لآتيه بلحاف ، فأتيتُ النبيَّ ﷺ فاستأذنته وهو بالخندق ، فأذن لي ، وقال لي : مَنْ لقيتَ منهم فقل لهم : « إنَّ رسولَ الله ﷺ يأمرُكم أن ترجعوا » . قال : وكان ذلك في برد شديد ، فلقيتُ الناسَ ، فقلت لهم : إن رسولَ الله ﷺ يأمرُكم أن ترجعوا . قال : والله ما عَطَفَ عليَّ منهم اثنان أو واحد[٤] .

---

(١) ورد اسمه في السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٢١٥ « مسعر » والصواب ما أثبته المؤلف . انظر الإصابة ٣/٤١٠ ، ونور النبراس .

(٢) « يُوَرّون » يتسترون بالعمل القليل مدعين الضعف .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٢١٤ ــ ٢١٦ .

(٤) روى حديثَ ابن عمر أبو نُعيم الأصبهاني ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/١٣٥ وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، ورجاله رجال الصحيح . وقال سبط ابن العجمي في نور النبراس معقباً على كلام

كذا وقع في هذا الخبر : عثمان بن مظعون ، وعثمان بن مظعون توفي قبل هذا ، وإخوة عثمان : قدامة والسائب وعبد الله ، تأخروا . وقدامةُ مذكور فيمن شهد الخندق ، وهم أخوال عبد الله بن عمر رضي الله عنهم .

قال ابن إسحاق فأنزل الله عز وجل في ذلك : ﴿ إنما المؤمنونَ الذين آمنوا بالله ورسولِه وإذا كانُوا معه على أمرٍ جامعٍ لم يذهبُوا حتى يَستأذنُوهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ إنَّ اللهَ غفورٌ رَحيمٌ ﴾ [النور : ٦٢] ثم قال ـــ يعني للمنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ويذهبون من غير إذن ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ﴾ الآية إلى قوله : ﴿ أو يُصيبهم عذابٌ أليم . ألا إنَّ لله ما في السَّماواتِ والأرضِ قد يعلمُ ما أنتُم عليه ﴾ من صدق أو كذب إلى قوله ـــ ﴿ واللَّهُ بكلِّ شيءٍ عليم ﴾[1] [النور : ٦٣ ـــ ٦٤] .

وقال ابن سعد : وتجهزت قريشُ ، وجمعوا أحابيشَهم ؛ ومن تبعهم من العرب ، فكانوا أربعة آلاف ، وعقدوا اللواء في دار الندوة ، وحمله عثمان بن طلحة ، وقادوا معهم ثلثمائة فرس ، وكان معهم ألف وخمسمائة بعير ، وخرجوا يقودُهم أبو سفيان بن حرب ، ووافقتهم بنو سُليم بمر الظهران ، وكانوا سَبعمائة يقودهم سفيان بن عبد شمس ، حليف حرب بن أمية ، وهو أبو أبي الأعْور السُّلَمي الذي كان مع معاوية بصفين ، وخرجت معهم بنو أسد يقودُهم طُليحة بن خُويلد الأسدي ، وخرجت فَزَارة فأوعبت ، وهم ألف يقودهم عُيينة بن حصن ، وخرجت أشجع وهم أربعمائة يقودهم مسعودُ بن رُخيلة ، وخرجت بنو مرة وهم أربعمائة يقودهم الحارث بن عوف وخرج معهم غيرهم . وقد روى الزهري أن الحارثَ بن عوف رجع ببني مرة فلم يشهد الخندق منهم أحد ، وكذلك روت بنو مُرّة ، والأول أثبت : أنهم شهدوا الخندق مع الحارث بن عوف ، فكان جميع القوم الذين وافوا الخندقَ ممن ذكر من القبائل عشرة آلاف ، وهم الأحزاب ، وكانوا ثلاثة عساكر ، وعِناجُ[2] الأمر إلى أبي سفيان .

= المؤلف : هذا تنبيه حسن . وعثمان توفي بعد سنتين ونصف من الهجرة ، وهو أول من مات من المهاجرين في المدينة ... ونقل المؤلف فيما يظهر من كلامه إلى أن المذكور في هذا الحديث « قدامة » واشتبه على الراوي ، وأخذتُ ذلك من كلام المؤلف . وقدامة مذكور فيمن شهد الخندق . .

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٢١٦ ـــ ٢١٧ .

(٢) « عِنَاجُ الأمر » : العِنَاجُ في اللغة : حبل تحمل به البدلو ونحوها ، يثبت في أسفلها أو في عراها ، والمقصود هنا : بيده قيادتهم ومِلاكُ أمرهم .

فلما بلغ رسول الله ﷺ ندبَ الناس وأخبرهم خبر عدوهم ، وشاورهم في أمرهم ، فأشار عليه سلمانُ بالخندق ، فأعْجَب ذلك المسلمين ، وعسكر بهم رسولُ الله ﷺ إلى سفح سَلْع ، وكان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف ، واستخلف على المدينة ابنَ أمّ مكتوم ، ثم خنَدقَ على المدينة ، فعمل فيه رسولُ الله ﷺ بيده ، ليُنَشِّطَ النَّاسَ ، وكمل في ستة أيام[1] . انتهى ما نقله ابن سعد .

وغيره يقول : حفر رسولُ الله ﷺ وأصحابُه في الخندق بضعَ عشرة ليلة ، وقيل : أربعاً وعشرين .

وكان في حفر الخندق آيات من أعلام النبوة : منها أن جابراً كان يُحدِّث : أنه اشتد عليهم في بعض الخندق كُدْيَةٌ[2] فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فأخذ المِعولَ وضرب فعاد كثيباً أهيل[3] . وروي في هذا الخبر أنه عليه الصلاة والسلام دعا بماء فتفل عليه ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعوَ به ، ثم نضحَ ذلك الماء على تلك الكُدْية ، فيقول من حضرها : فوالذي بعثه بالحق لانهالت حتى عادت كالكثيب ما تردُّ فأساً ولا مسحاةً .

ومنها خبرُ الحفنة من التمر الذي جاءت به ابنة بشير بن سعد لأبيها وخالِها عبد الله بن رواحة ليتغديا به ، فقال لها رسولُ الله ﷺ : هاتيه ، فصبّته في كفي رسول الله ﷺ ، فما ملأهما ، ثم أمرَ بثوب فبُسط له ، ثم قال لإنسان عنده : اصرخ في أهل الخندق : أن هَلُمّ إلى الغداء . فاجتمع أهلُ الخندق عليه ، فجعلوا يأكلون منه ، وجعل يزيدُ حتى صدرَ أهلُ الخندق عنه ، وإنه ليسقطُ من أطراف الثوب .

ومنها حديث شُوَيْهةِ جابر ، وكانت غيرَ جِدٍّ[4] سمينة ، قال : صنعتُها ، وإنما أريدُ أن ينصرفَ معي رسولُ الله ﷺ وحده ، فلما قلت له ، أمر صارخاً ، فصرخَ : أن انصرفوا مع رسول الله ﷺ إلى بيت جابر بن عبد الله . قال : قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون . قال :

---

(١) الطبقات الكبرى ٢/٦٦ — ٦٧ .

(٢) « كُدْيَةٌ » : الصخرة العظيمة الشديدة .

(٣) « أهْيَل » : رملٌ مُنْصَبٌّ .

(٤) « غيرُ جدٍّ سمينة » : غير كاملة السِّمن .

فأقبل الناسُ معه ، فجلس فأخرجناها إليه فبرَّكَ ثم سمَّى الله عز وجل ، ثم أكلَ وتواردَها النَّاسُ ، كلما فرغَ قومٌ قاموا ، وجاء آخرون ، حتى صدرَ أهلُ الخندق عنها . رواه البخاري[1] ، وفيه : وهم ألف ، فأُقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا ، وإن برمتنا لتَغِطُّ كما هي ، وإن عجيننا ليُخبز كما هو .

ومنها : حديث سلمان الفارسي أنه قال : ضربتُ في ناحية من الخندق ، فغلظت عليَّ ، ورسولُ الله ﷺ قريبٌ مني ، فلما رآني أضربُ ، ورأى شدة المكان عليَّ ، نزل فأخذ المِعولَ من يدي ، فضربَ به ضربةً لمعتْ تحت المِعول برقةٌ ، ثم ضربَ به أخرى فلمعت تحته برقة أخرى ، ثم ضربَ به الثالثة فلمعت برقة أخرى ، قال : قلت : بأبي وأمي أنتَ يا رسول الله ما هذا الذي رأيت يلمع تحت المِعْوَلِ وأنت تضرب ؟ قال : أو قد رأيتَ ذلك يا سلمان ؟ قال : قلت : نعم . قال : أمَّا الأولى فإن الله فتح عليَّ بها اليمن ، وأما الثانية فإن الله فتح عليَّ بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة فإن الله فتحَ عليَّ بها المشرق[2] .

قال ابن إسحاق : وحدثني مَنْ لا أتهم ، عن أبي هريرة ؛ أنه كان يقول حين فُتحت هذه الأمصار في زمن عمر وزمن عثمان : افتتحوا ما بدا لكم ، فوالذي نفسُ أبي هريرة بيده ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونُها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله محمداً ﷺ مفاتيحها قبل ذلك .

ولما فرغَ رسولُ الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال[3] ، وغطفان ومن تبعهم بذنب نَقْمَى[4] إلى جانب أحد ، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى

---

(١) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب غزوة الخندق) رقم /٤١٠١/ وفي الجهاد ، ورواه مسلم في الأشربة (باب جواز استتباعه غيرَه إلى دار من يثق برضاه بذلك) رقم /٢٠٣٩/ .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٢١٧ ــ ٢١٩ . وحديث سلمان ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/١٣٢ وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن حنبل ونعيم العنبري ، وهما ثقتان . والبيهقي في دلائل النبوة ٣/٣٩٩ من مغازي ابن عقبة و٣/٤١٧ من رواية ابن إسحاق . وقال في نور النبراس : عزاه بعض مشايخي لموسى بن عقبة . وقال السهيلي : خرجه البغوي من طريق البراء بن عازب .

(٣) مجتمع الأسيال : موضع تجتمع فيه السيول ، ويقع شمال المدينة المنورة .

(٤) ذنبُ نَقْمَى : موضع من أعراض المدينة ، كان لآل أبي طالب . قاله الصغاني .. كما في نور النبراس .

جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب هنالك عسكرَه ، والخندق بينه وبين القوم ، وأمر بالنساء والذراري أن يُجعلوا في الآطام[1] .

وقال ابن سعد : كان لواءُ المهاجرين بيد زيد بن حارثة ، ولواء الأنصار بيد سعد بن عبادة ، وكان رسول الله ﷺ يبعثُ سلمةَ بن أسلم في مائتي رجل ، وزيدَ بن حارثة في ثلاثمائة رجل يَحرسُون المدينةَ ، ويُظهرون التكبير ، وذلك أنه كان يخافُ على الذراري من بني قريظة ، وكان عباد بن بشر على حرسِ[2] رسول الله ﷺ مع غيره من الأنصار يحرسونه كلَّ ليلة . كذا قال ابن سعد في هذا الموضع[3] .

وقال في باب حراس النبي ﷺ : حَرَسَه يومَ بدر حين نام في العريش سعدُ بن معاذ ، ويوم أحد محمد بن مسلمة ، ويوم الخندق الزبيرُ بن العوام[4] .

رجع إلى ابن سعد[5] : وكان المشركون يتناوبون بينهم ، فيغدو أبو سفيان بن حرب في أصحابه يوماً ، ويغدو خالد بن الوليد يوماً ، ويغدو عمرو بن العاص يوماً ، ويغدو هُبيرة بن أبي وَهب يوماً ، ويغدو عكرمة بن أبي جهلٍ يوماً ، ويغدو ضِرار بن الخطاب الفِهْري يوماً ، فلا يزالون يُجيلون خيلَهم ، ويتفرقون مرةً ، ويجتمعون أخرى ، ويُناوشون أصحاب رسول الله ﷺ ، ويقدمون رماتَهم فيرمون .

رجع إلى ابن إسحاق : وخرج عدو الله حُيَيُّ بن أخطب النَّضْري حتى أتى كعبَ بن أسد القُرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدَهم ، وكان قد وادعَ رسولَ الله ﷺ على قومه ، وعاقدَه على ذلك ، فلما سمع كعبٌ بحيي أغلقَ دونَه باب حصنه ، فاستأذن عليه فأبى أن يفتحَ له ، فناداه حيي ويحك يا كعب افتح لي . قال : ويَحك يا حيّي إنك امرؤ مشؤوم ، وإني قد عاهدت محمداً ، فلست بناقض ما بيني وبينَه ، ولم أر منه إلا وفاء وصدقاً . قال : ويحك افتح لي أُكلمْكَ . قال : ما أنا بفاعل . قال : والله إن أغلقتَ دوني إلا تخوّفاً على

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٢١٩ ـــ ٢٢٠ .

(٢) كذا في جميع النسخ ، وفي الطبقات ؛ لابن سعد : على حرس قبة رسول ﷺ .

(٣) الطبقات الكبرى ٢/٦٧ .

(٤) المصدر السابق ٢/٦٧ .

(٥) أي : رجع إلى أخبار غزوة الخندق .

جشيشتك[1] أن آكل معك منها . فأحفظَ[2] الرجلَ ، ففتح لَه . فقال : ويحك يا كعب جئتُك بعزّ الدهر ، وببحر طام ، جئتُك بقريش ، حتى أنزلتُهم بمجتمع الأسيال من رومة ، وغطفان حتى أنزلتهم بذنب نَقْمَى إلى جانب أُحد ، قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه . قال له كعب : جئتني والله بذلّ الدهر وبجَهام[3] قد هَراقَ ماءه ، يرُعد ويُبرق وليس فيه شيء ، ويحك يا حيي دعني وما أنا عليه ، فإني لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاءً . فلم يزلْ حيٌّ بكعب يفتِلُهُ في الذروة والغارب[4] ، حتى سمح له على أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً : لئن رجعتْ قريش وغطفان ، ولم يُصيبوا محمداً أن أدخلَ معكَ في حِصْنكَ حتى يصيبني ما أصابكَ . فنقضَ كعبُ بن أسد عهدَه ، وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ .فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبَرَ وإلى المسلمين ، بعثَ رسولُ الله ﷺ سعدَ بن معاذ وسعدَ بن عبادة ومعهما ابنُ رواحة وخوَّات بن جُبير . فقال : انطلقوا حتى تنتظروا أحقٌّ ما بلغنا عن هؤلاء القوم ، فإن كان حقاً فالحنوا إليَّ لحناً حتى أعرفه ، ولا تفتُّوا في أعضاد الناس ، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا بذلك للناس . فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ، نالُوا من رسول الله ﷺ ، وقالوا : مَنْ رسولُ الله ؟ لا عهدَ بيننا وبين محمد ، ولا عقد ، فشاتَمهم سعدُ بن معاذ وشاتموه ، وكان رجلاً فيه حِدَّة . فقال له سعد بن عبادة : دعْ عنك مشاتمتَهم فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة[5] .

وذكر ابن عائذ : أن الذي شاتمهم سعد بن عبادة ، والذي قال له : ما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة ، سعد بن معاذ .

ثم أقبل السَّعْدان[6] ومن معهما على رسول الله ﷺ فسلَّمُوا عليه ، ثم قالوا : عَضَل

(١) « جشيشتك » : طعام يُصنع من البر المجروش جرشاً غليظاً ، يُلقى عليه لحم أو تمر ، ونحو ذلك . وقد يُسمى دشيش أو جريش .
(٢) « فأحفظَ الرجل » : أثار حفيظته وأغضبه وأغاظه .
(٣) « بجهام » : سحاب رقيق لا ماء فيه .
(٤) مثلٌ يُضرب في المراوضة والمخاتلة . وانظر فوائد المؤلف ص ١١٤ .
(٥) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٢٢٠ ــ ٢٢١ .
(٦) رجع إلى ابن إسحاق .

والقارة ، أي : كغدر عَضَل والقارة بأصحاب الرجيع . فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر ، أبشروا يا معشر المسلمين . وعَظُمَ عند ذلك البلاء واشتد الخوف ، وأتاهم عدُّوهم من فوقهم ومن أسفلَ منهم ، حتى ظنَّ المؤمنون كلَّ الظنِّ ، ونجم النفاق من بعض المنافقين ، حتى قال مُعَتِّبُ بن قُشير : كان محمد يعدُنا أن نأكلَ كنوزَ كسرى وقيصر ، وأحدُنا اليوم لا يأمَن على نفسه أن يذهب إلى الغائط . وقيل : لم يكن مُعتب من المنافقين ، وقد شهد بدراً . قاله ابن هشام(١) .

وقال ابن عائذ : وقال رجال ممن معه : يا أهلَ يثربَ لا مُقام لكم فارجعوا .

قال ابن إسحاق : وقال أوس بن قيظي : يا رسول الله ! إن بيوتنا عورة من العدو ، وذلك عن ملأ من رجال قومه ، فأْذَنْ لنا أن نخرجَ فنرجعَ إلى ديارنا فإنها خارجٌ من المدينة . فأقام رسولُ الله ﷺ وأقام عليه المشركون بضعاً وعشرين ليلة قريباً من شهر ، لم يكن بينهم حرب إلا الرمي بالنَّبْل ، والحِصَار(٢) .

وقال ابن عائذ : وأقبل نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي على فرس له ليُوثبَه الخندقَ ، فوقع في الخندق فقتلَه الله تعالى ، وكَبُر ذلك على المشركين ، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ : إنا نعطيكم الدية على أن تدفعوه إلينا فندفِنَه . فردَّ إليهم رسولُ الله ﷺ : إنه خبيثٌ ، خبيثُ الدية ، فلعنَه الله ولعنَ ديتَه ، ولا نَمْنَعُكم أن تَدفِنوه ، ولا أربَ لنا في ديته . وقيل : أعطوا في جثته عشرةَ آلاف .

قال ابن إسحاق : وبعثَ رسولُ الله ﷺ كما حدثني عاصمُ بن عمر ، عن الزهري إلى عُيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفَزَاري ، وإلى الحارث بن عوف المُرّي ، وهما قائدا غطفان ، فأعطاهما ثلثَ ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ، فجرى بينَه وبينهما الصلحُ حتى كتبوا الكتبَ ، ولم تقع الشهادة ولا عزيمةُ الصلح إلا المراوضة في ذلك ، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعلَ ، بعثَ إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة يذكر ذلك لهما ، واستشارهما فيه ، فقالا : يا رسول الله أ مْرَاً تحبُّه فنصنعُه ، أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به ، أم شيئاً تصنعُه لنا ؟ قال : بل شيء أصنعُه لكم ، والله ما أصنعُ ذلك إلا أني

---

(١) و (٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٢٢٢ .

رأيتُ العربَ قد رمتكم عن قوسٍ واحدة ، وكالَبُوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسرَ عنكم من شوكتِهم إلى أمر ما . فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله! قد كنا نحنُ وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبدُ الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قِرى أو بيعاً ، فحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزَّنا بك وبه نعطيهم أموالنا ؟ ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نُعطيهم إلا السيف ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم . فقال رسول الله ﷺ : فأنت وذاك . فتناول سعدٌ الصحيفةَ فمحا ما فيها من الكتاب . ثم قال ليَجهَدُوا علينا .

فأقام رسولُ الله ﷺ والمسلمون وعدوهم محاصرهم ، ولم يكن بينهم قتال ، إلا أن فوارسَ من قريش ، منهم عمرو بن عبد ودّ وعكرمة بن أبي جهل وهُبيرة بن أبي وَهْب وضرار بن الخطاب تلبَّسُوا للقتال ، ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بني كنانة ، فقالوا : تهيَّؤا يا بني كنانة للحرب ، فستعلمون من الفرسان اليوم ، ثم أقبلوا تُعْنِقُ(١) بهم خيلُهم حتى وقفوا على الخندق ، فلما رأوه ، قالوا : والله إن هذه لمكيدة ما كانت العربُ تكيدها . ثم تيَّمموا مكاناً من الخندق ضيِّقاً ، فضربوا خيلَهم فاقتحمت منه ، فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع ، وخرج عليٌّ بن أبي طالب في نفر معه من المسلمين ، حتى أخذوا عليهم الثَّغْرة التي أقحموا منها خيلَهم ، وأقبلت الفرسان تُعْنِقُ نحوَهم . وكان عمرو بن عبد ودّ قد قاتل يومَ بدر حتى أثبتته الجراحةُ ، فلم يشهد يومَ أُحد ، فلما كان يوم الخندق خرجَ مُعْلِماً ليُرى مكانُه ، فلما وقف هو وخيلُه ، قال مَنْ يُبارز ؟ فبرز له عليٌّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه .

وذكر ابن سعد في هذا الخبر : أن عمراً كان ابن تسعين سنة ، فقال علي : أنا أبارزه . فأعطاه رسول الله عليه الصلاة والسلام سيفه وعمَّمَه وقال : اللهم أَعِنْهُ عليه .

رجع إلى الأول : فقال له : يا عمرو إنك كنتَ عاهدتَ الله تعالى لا يدعوكَ رجلٌ من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتَها منه . قال له : أجل . قال له عليّ : فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله عليه الصلاة والسلام وإلى الإسلام . قال : لا حاجة لي بذلك . قال له علي : فإني أدعوك إلى النزال . قال له : لم يا ابن أخي ؟ فو الله ما أُحبُّ أن أقتلَك . قال علي : لكني والله أحبُّ أن أقتلَك . قال : فحمي عمرو عند ذلك ، فاقتحم عن فرسه ، فعقرَه ، وضربَ وجهه ، ثم أقبل على عليّ فتناولا وتجاولا ، فقتله عليٌّ وخرجت خيلُهم منهزمة حتى اقتحمت

(١) « تُعْنِقُ » : تُسرع .

من الخندق هاربة ، وقال عليٌّ في ذلك :

نصرَ الحجـارةَ من سفـاهة رأيه ... ونصرتُ دينَ محمـد بضرابِ[1]
فصـددتُ حين تركتُـه متجدلاً ... كالجذع بين دَكَادكٍ ورَوابِ[2]
وعفـفتُ عن أثوابـه ولو انـني ... كنتُ المُـقَطَّـر بَزَّني أثـوابي[3]
لا تحسبـنَّ الله خـاذلَ دينِـه ... ونبـيِّـه يـا معشـرَ الأحـزابِ

وعن ابن إسحاق من غير رواية البكائي ؛ أن عمراً لما نادى بطلب من يبارزُه ، قام عليٌّ رَضي الله عنه وهو مُقَنَّع في الحديد ، فقال : أنا له يا نبيَّ الله . فقال له : اجلس إنه عمرو . ثم كررَّ عمرو النداء ، وجعل يُؤَنِّبهم ، ويقول : أين جنَّتُكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلَها ؟ أفلا تُبرزون لي رجلاً . فقام علي فقال : أنا يا رسول الله . فقال : اجلس إنه عمرو ، ثم نادى الثالثة وقال :

ولقـد بُححت من النـداء ... بجمعكـم هـل من مُبـارز
ووقفتُ إذ جَبُـن المشجـع ... وِقفـةَ الرجـل المُنـاجـز
وكـذاك أنـي لـم أزل ... متسـرعـاً قبـل الهزاهز[4]
إن الشجـاعـةَ في الفـتى ... والجـودَ من خـير الغـرائـز

فقام علي رضي الله عنه ، فقال : أنا له يا رسول الله . فقال : إنه عمرو . فقال : وإن كان عمراً ، فأذنَ له رسولُ الله عليه الصلاة والسلام ، فمشى إليه عليٌّ وهو يقول :

لا تعجـلنَّ فقـد أتـا ... كَ مجيبُ صوتِك غيرُ عاجز
ذو نيـة وبصـيرة ... والصـدق مَنْجَى كلِّ فـائز
إني لأرجـو أن أُقيـ ... مَ عـليكَ نائحـةَ الجنـائز
من ضربـةٍ نجـلاء يـبـ ... ـقى ذكرُها عندَ الهزاهز[4]

---

(١) في السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٢٤/٢ والسيرة الشامية ٥٣٤/٤ : ونصرتُ دينَ محمّدٍ بصوابِ .

(٢) « مُتَجَدِّلاً : مرمياً على الجدالة لاصقاً بها ، والجدالة : الأرض . و« دكادك » : جمع دكداك ، وهو من الرمل ما تلبَّدَ بالأرض ولم يرتفع .

(٣) « المُقَطَّر » : المُلقى على أحد قُطْرَيه ، أي جنبيه . و« بَزَّني » : سلبني . ونبَّه ابن هشام في السيرة وسبط ابن العجمي في نور النبراس أن أهل العلم بالشعر يُنكرون نسبتها لعلي رضي الله عنه .

(٤) « الهَزَاهِز » : الحروب .

فقال عمرو : من أنت ؟ قال : أنا علي . قال : ابنُ عبد مناف ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب . فقال : غيرُك يا ابنَ أخي ، من أعمامك ، من هو أسنُّ منك ، فإني أكره أن أُهريقَ دمَك . فقال علي : لكني والله ما أكره أن أُهريق دمَك . فغضب ، ونزلَ وسلَّ سيفه كأنه شعلةُ نار ، ثم أقبل نحو علي مغضباً . ويقال : إنه كان على فرسه ، فقال له علي : كيف أقاتلك وأنت على فرسك ؟ ولكن انزل معي ، فنزلَ عن فرسه ، ثم أقبل نحوه ، فاستقبله علي بدرَقَتِه ، فضربه عمرو فيها فقدَّها ، وأثبت فيها السيفَ ، وأصاب رأسَه فشجَّه ، فضربَه عليٌّ على حبل العاتق ، فسقطَ ، وثار العَجَاجُ ، وسمع رسولُ الله عليه الصلاة والسلام التكبيرَ ، فعرف أن علياً قد قتلَه .

قال ابن هشام : وكان شعار أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام يوم الخندق ويوم بني قريظة ﴿ حم . لا يُنصرون ﴾[1] .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبو ليلى عبد الله بن[2] عبد الرحمن الأنصاري ، أخو بني حارثة ؛ أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق ، وكان من أحصن حصون المدينة . قال : وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن . قالت : وذلك قبل أن يُضربَ علينا الحجاب ، فمرّ سعدٌ وعليه درع له مُقَلَّصةَ ، قد خرجت منها ذراعه كلُّها ، وفي يده حربتُه يَرْقَدُ[3] بها ويقول :

لَبِّثْ قليلاً يشهدِ الهيجَا حَمَلْ ... لا بأسَ بالموت إذا حانَ الأجل[4]

فقالت له أُمُّه : الحقْ بُنيَّ فقد والله أخَّرْتَ . قالت عائشة رضي الله عنها : فقلت لها :

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٢٢٦ . والشِّعار : هي العلامة التي كانوا يتعارفون بها في الحرب ، والمعروفة اليوم بكلمة السر .

(٢) في المطبوع : عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الرحمن . وقد نبَّه صاحب « نور النبراس » إلى أن الصواب : عبد الله بن عبد الرحمن بن سهل . ثم قال : إن الذهبي ذكره في الكنى من « التهذيب » وأشار إلى أنه روى له البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه .

(٣) « يَرْقَدُ بها » : يُسرع .

(٤) البيت كما جاء في نور النبراس لرجل من كلب اسمه : حمل بن سعدانة بن حارثة ، تمثل به سعد رضي الله عنه في هذا الموقف .

يا أم سعد والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي . قالت : وخفتُ عليه حيث أصابَ السهمُ منه . فرُمي سعدُ بن معاذ بسهمٍ فقطع منه الأكحل[1] ، رماه كما حدثني عاصم : حِبان بن العَرِقة[2] أحد بني عامر بن لؤي ، فلما أصابه قال : خذها مني وأنا ابن العَرِقة . فقال له سعد : عَرَّق الله وجهَك في النار[3] .

ويقال : بل الذي رماه خفاجة بن عاصم بن جبارة ، وقيل بل الذي رماه أبو أسامة الجشمي حليف بني مخزوم .

رجع إلى خبر ابن إسحاق : ثم قال سعد : اللهم إن كنتَ أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها ، فإنه لا قومَ أحبُّ إليَّ أن أجاهد من قوم آذَوْا رسولَك ، وأخرجوه وكذبوه ، اللهم إن كنت قد وضعت الحربَ بيننا وبينهم فاجعلْها لي شهادة ، ولا تُمتني حتى تقر عيني من بني قريظة[3] .

وذكر ابن عائذ أن المشركين جهزوا نحو رسول الله ﷺ كتيبةً عظيمة غليظة ، فقاتلوهم يوماً إلى الليل ، فلما حضرت العصرُ دنت الكتائبُ ، فلم يقدر النبي عليه الصلاة والسلام ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا الصلاة على ما أرادوا ، فانكفأت مع الليل ، فزعموا أن رسول الله ﷺ . قال : شغلونا عن صلاة العصر ملأ الله بطونَهم وقبورهم ناراً .

وقرأت على أبي النور إسماعيل بن نور بن قمر الهيتي ، أخبركم الشيخ أبو نصر موسى بن عبد القادر الجيلي قراءة عليه وأنت تسمع ؟ فأقرَّ به ، أخبرنا : أبو بكر بن الزاغوني ، أخبرنا ابن البسري ، أخبرنا المخلص ، حدثنا يحيى بن محمد ، حدثنا محمد بن يزيد أبو هاشم الرفاعي ، حدثنا أبو مالك الجنبي عمرو بن هاشم ، حدثنا يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : ما صلَّى رسولُ الله عليه الصلاة والسلام يومَ الخندق الظهر والعصر حتى غابتْ الشمس[4] .

---

(١) « الأكحل » : عرق في وسط الذراع يكثر فصده .

(٢) « العَرِقة » : قلابة بنت سعد ، وهي أمه ؛ لقبت بذلك لطيب ريحها ، وهي جدة أم المؤمنين خديجة رضي الله تعالى عنها ، (أمُّ أمّها هالةُ) .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٢٢٧ .

(٤) حديث سعيد بن المسيب عن عمر ليس في الكتب الستة ، كذا قال في « نور النبراس » ورجح أن رواية

رواية سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب ، ذهَب بعضُ الناس إلى أنها مرسلة ، لأنه ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، وقيل : ولد لسنتين خلتا من خلافة عمر ، وهو الصحيح إن شاء الله تعالى ، فتكون متصلة ، وله عنه أحاديث يسيرة هي عندهم متصلة ، ويقول في بعضها : سمعتُ عمرَ رضي الله عنه على المنبر .

وذكر ابن سعد في هذا الخبر أنهم شغلوا عن صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء . قال ابن سعد : وأقام أُسيد بن الحضير على الخندق في مائتين من المسلمين ، وكرَّ خالدُ بن الوليد في خيل من المشركين ، يطلبون غِرَّة المسلمين ، فناوشوهم ساعة ، ومع المشركين وحشيٌّ ، فزرق[1] الطفيلَ بن النعمان من بني سلمة بمزراقه فقتلَه ، وانكشفوا ؛ وسار رسول الله ﷺ إلى قبته ، فأمر بلالاً فأذَّن وأقام الظهر فصلَّى ، ثم أقام بعدُ لكل صلاة إقامة إقامة ، وصلى هو وأصحابه ما فاتهم من الصلوات ، وقال : شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ، ملأ الله أجوافهم وقبورهم ناراً . ولم يكن لهم قتال[2] بعد ذلك جميعاً ، حتى انصرفوا ، إلا أنهم لا يدعَون الطلائع بالليل ، يطمعون في الغارة[3] .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله عليه الصلاة والسلام وأصحابه فيما وصف الله عز وجل من الخوف والشدة ، بمظاهرة عدوهم وإتيانهم إليهم من فوقهم ومن أسفل منهم ، ثم إن نُعيمَ بن مسعود الأشجعي أتى رسولَ الله عليه الصلاة والسلام ، فقال : يا رسول الله! إني أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي ، فمرني بما شئتَ . فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام إنما أنتَ فينا رَجلٌ واحد ، فخذِّلْ عنا ما استطعتَ ، فإن الحربَ خُدعة . فخرج نُعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة ، وكان لهم نديماً في الجاهلية . فقال : يا بني قريظة قد

= سعيد عن عمر متصلة ، ونقل كلام المزي في التهذيب ، قال أحمد : رأى سعيد عمر وسمع منه ، وإذا لم يُقبل سعيد عن عمر فمن يقبل وفي سنده محمد بن يزيد مختلف في جرحه وتعديله ، وممن ضعَّفه أبو حاتم والنسائي وقال أحمد : لا بأس به . وأبو مالك الجَنْبي : فيه ضعف أيضاً ، قال أحمد : صدوق ولم يكن صاحب حديث ، وقال البخاري : فيه نظر .

(١) « زَرَقَ » : رماهُ بمزراقه ، وهو الرمح القصير .

(٢) في « أ » و « ب » : ولم يكن لهم قتال بعد ذلك جميعاً .

(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٦٨/٢ ــ ٦٩ .

عرفتم ودي إياكم ، وخاصَةَ ما بيني وبينكم . قالوا : صدقتَ ، لستَ عندنا بمتهم . فقال لهم : إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم ، البلدُ بلدكم ، وبه أموالكم ونساؤكم وأبناؤكم ، لا تقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره ، وإن قريشاً وغطفان قد جاؤوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدُهم وأموالهم ونساؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نُهزة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم ، وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رُهُناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمداً ، حتى تُناجِزوه . قالوا : لقد أشرت بالرأي . ثم خرج حتى أتى قريشاً ، فقال لأبي سفيان بن حرب ومَنْ معه من رجال قريش : قد عرفتم ودي لكم . وفراقي محمداً ، وإنه قد بلغني أمرٌ قد رأيت أن أبلغَكموه نصحاً لكم ، فاكتموه عني . قالوا : نفعل . قال : تعلَّموا أن معشرَ يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه أنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يُرضيك أن نأخذَ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم ، فنعطيَكهم فتضربَ أعناقهم ؟ ثم نكون معك على من بقي منهم ، حتى نستأصلَهم . فأرسلَ إليهم : نعم . فإن بعثتْ إليكم يهود يلتمسون منكم رُهُناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم رجلاً واحدً ، ثم خرج حتى أتى غطفان ، فقال : يا معشر غطفان إنكم أصلي وعشيرتي وأحبُّ الناس إلي ، ولا أراكم تتهموني . قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم . قال : فاكتموا عليّ . قالوا : نعم . ثم قال لهم مثل ما قال لقريش ، وحذَّرهم . فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس ، وكان من صنيع الله لرسوله ﷺ ، أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان إلى بني قريظة : عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان ، فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام ، قد هلك الخُفُّ والحافر ، فأَعِدُّوا للقتال ، حتى نناجز محمداً ، ونَفرغ مما بيننا وبينه . فأرسلوا إليه أن اليومَ يومُ السبت ، وقد علمتم ما نال منا مَنْ تعدَّى في السبت ، ومع ذلك فلا نقاتل معكم حتى تعطونا رُهُناً . فلما رجع الرسولُ بذلك ، قالوا : صدقنا والله نُعيم بن مسعود ، فردوا إليهم الرسل ، وقالوا والله لا نُعطيكم رُهُناً أبداً فاخرجوا معنا إن شئتم ، وإلا فلا عهد بيننا وبينَكم . فقال بنو قريظة : صدق والله نُعيم بن مسعود . وخَذَّل الله بينهم ، واختلفت كلمتُهم ، وبعث الله عليهم ريحاً عاصفاً ، في ليال شديدة البرد ، فجعلت الريحُ تقلب أبنيتهم ، وتكفأ قدورهم . فلما اتصل برسول الله ﷺ اختلافُ أمرهم ، بعث

حذيفةَ بن اليمان ليأتيَه بخبرهم ، فأتاهم واستتر في غِمارهم ، وسمع أبا سفيان يقول : يا معشر قريش ليتعرفْ كلُّ امرىء منكم جليسَه . قال حذيفة : فأخذتُ بيد جليسي ، وقلت من أنت ؟ فقال : أنا فلان ، ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدارِ مقـام ، ولقد هلك الكراع والخف ، وأخلفتنا بنو قريظة ، ولقينا من هذه الريح ما تروْن ، ما يستمسكُ لنا بناء ، ولا تثبت لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، فارتحِلوا فإني مرتحلٌ ، ووثبَ على جمله ، فما حلَّ عِقالَ يده إلا وهو قائم ، قال حذيفة : ولولا عهدُ رسول الله ﷺ إليَّ إذ بعثني أن لا أُحدِثَ شيئاً ، لقتلتُه بسهم . ثم أتيتُ رسولَ الله ﷺ عند رحيلهم ، فوجدته قائماً يُصلِّي ، فأخبرته ، فحمد الله ، وسمعتْ غطفانُ بما فعلت قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم[1] .

وروينـا من طريق البخـاري : حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سفيان ، عن محمد بن المُنْكدر ، قال : سمعت جابراً يقول : قال رسول الله ﷺ يومَ الأحزاب : « من يأتينا بخبر القوم ؟ فقال الزبير : أنا . ثم قال : مَنْ يأتينا بخبر القوم ؟ فقال الزبير : أنا . ثم قال : مَنْ يأتينا بخبر القوم ؟ فقال الزبير : أنا . ثم قال : إنَّ لكلِّ نبيّ حَوارياً وإنَّ حَواريَّ الزبيرُ »[2] .

كذا وقع في هذا الخبر ، والمشهور أن الذي توجَّه ليأتي بخبر القوم حذيفة بن اليمان ، كما روينا عنه من طريق ابن إسحاق وغيره . قال ــ يعني النبيّ ﷺ ــ : من رجل يقوم فينظُر لنا ما فعل القوم ، ثم يرجع ؟ ــ يشترط له رسول الله ﷺ الرجعة ــ أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة ، فما قام رجل من القوم ، من شدة الخوف ، وشدة الجزَع ؛ وشدة البرد ، فلما لم يقم أحدٌ ، دعاني فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني . فقال : يا حذيفة اذهب فادخل في القوم . وذكر الحديث .

وذكر ابن عقبة ومحمد بن عائذ : خروج حذيفة إلى المشركين ، ومشقة ذلك عليه ، إلى أن قال له رسول الله ﷺ : قم فحفِظَكَ الله من أمامك ومن خلفك ، وعن يمينك ، وعن شمالك حتى ترجع إلينا . فقام حذيفة مستبشراً بدعاء رسول الله ﷺ ، كأنه احتُملَ احتمالاً ، فما شقَّ عليه شيء مما كان فيه .

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٢٣٠ ــ ٢٣٣ . بتصرف يسير .

(٢) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب غزوة الخندق) رقم /٤١١٣/ .

وعند ابن عائذ : فقبضَ حذيفةُ على يد رجل عن يمينه ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا معاوية بن أبي سفيان ، وقبض على يد آخر عن يساره ، فقال : من أنت ؟ فقال : أنا فلان . وفعل ذلك خشية أن يُفطن له ، فبدرهم بالمسألة .

وقد روينا في خبر نُعيم بن مسعود غير ما ذكرناه .

وقال ﷺ حين أجلى الأحزاب : « الآن نغزوهم ولا يغزوننا ، نحن نسير إليهم » . ذكره البخاري[1] بسنده .

وقال ابن سعد : وأقام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد في مائتي فارس ساقةً لعسكر المشركين ورداً لهم مخافة الطلب ، وانصرف رسول الله ﷺ يوم الأربعاء لسبع ليال بقين من ذي القعدة[2] .

وكان مما قيل من الشعر يوم الخندق قول عبد الله بن الزِّبَعْرى السهمي :

حيِّ الديارَ محا معارفَ رسمها ... طولُ البِلى وتراوحُ الأحقاب
قفرًا كأنَّك لم تكن تلهو بها ... في نعمةٍ بأوانسٍ أترابِ
فاترك تَذَكُّر ما مضى من عيشة ... ومَحَلةٍ خَلْقِ المقام ، يباب
واذكرْ بلاء معاشر واشكرهمُ ... ساروا بأجمعهم من الأنصاب[3]
أنصابِ مكة عامدين ليثربٍ ... في ذي غياطلَ ، جحفلٍ جبجابِ[4]
يدعُ الحزونَ مناهجاً معلومةً ... في كل نشزٍ ظاهرٍ وشعاب[5]
فيه الجيادُ شوازبٌ مجنوبةً ... قُبُّ البطونِ ، لواحقُ الأقراب[6]

---

(١) رواه البخاري في كتاب المغازي (باب غزوة الخندق) رقم /٤١٠٩/ .

(٢) الطبقات الكبرى ٢/٦٩ ـــ ٧٠ .

(٣) « الأنصاب » : هنا ، جمع نُصب ، وهو الحجر ونحوه مما تُعلم به الحدود المكانية ، كأعلام الحرم .

(٤) « في ذي غياطل » : جمع غيطلة ، وهي هنا الصوت المرتفع المختلط.و« جَبْجَاب » : كثير الصوت .

(٥) « الحزون » : جمع حَزْن ، وهو ما ارتفع من الأرض . و« المناهج » : جمع منهج ، وهو الطريق الواضح البيِّن .

(٦) « شوازب » : ضوامر . و« مجنوبة » : مقودة . و« قبُّ البطون » : ضوامر البطون ، مفردها أقبّ . و« لواحق » : ضوامر أيضاً ، و« الأقراب » : جمع قَرَب ، وهو الخاصرة وما يليها .

من كل سَلْهبةٍ وأجردَ سَلهبٍ ... كالسِّيد بادر غفلة الرُّقّابِ[1]
جيشٌ عيينةُ قاصدٌ بلوائه ... فيه ، وصخر قائد الأحزاب
قرمان كالبدرين أصبح فيهما ... غيث الفقير ومعقل الهُرَّاب[2]
حتى إذا وردوا المدينة وارتدَوا ... للموتِ كلَّ مُجرَّبٍ قَضَّاب[3]
شهراً وعشراً قاهرينَ محمداً ... وصِحَابَه في الحرب ، غيرُ صحاب
لولا الخنادق غادروا من جمعهم ... قتلى لطير سُغَّبٍ وذئاب

فأجابه حسان بن ثابت رضي الله عنه :

هل رسمُ دارسةِ المَقام يبابِ ... مُتكلِّمٌ لمحاورٍ بجوابِ ؟
فدعِ الديارَ وذِكرَ كلِّ خريدةٍ ... بيضاء ، آنسةِ الحديث ، كَعابِ
واشكُ الهموم إلى الإله وما ترى ... من معشر ظلموا الرسول ، غِضابِ
ساروا بجمعهمُ إليه وألَّبوا ... أهل القرى وبوادي الأعراب
جيشٌ عيينة وابنُ حرب فيهمُ ... متخمطون بحَلْبة الأحزاب[4]
حتى إذا وردُوا المدينةَ وارتجوْا ... قتلَ الرسول ومغنم الأسلاب
وغدَوْا علينا قادرينَ بأيْدِهم ... رُدُّوا بغيظهمُ على الأعقاب[5]
بهبوبِ مُعْصفةٍ تفرِّق جمعَهم ... وجنودُ ربِّك سيِّد الأرباب
وكفى الإلهُ المؤمنين قتالَهم ... وأثابَهم في الأجر خيرَ ثواب
من بعد ما قنطوا ، ففرَّقَ جمعَهم ... تنزيلُ نصرِ مليكنا الوهَّاب
وأقرَّ عين محمد وصِحابه ... وأذلَّ كل مُكذِّبٍ مُرتاب

وقال هُبيرة بن أبي وهب يعتذر من فراره ، ويبكي عمرو بن عبد ود ويذكر علياً ، وقد سبق بعض هذه الأبيات :

---

(١) « سَلْهَبَة » : طويلة . و« السِّيد » : الذئب .
(٢) « قرمان » : مفردها قرم ، وهو من الإبل : الفحل ، ومن الناس : السيد في قومه .
(٣) « كلُّ مجرّب قضّاب » : كل سيف معروف بشدة القطع .
(٤) « متخمطون » : جمع متخمط ، وهو المتكبر الشديد الغضب . و« الحَلْبة » : جماعة الخيل تُعدُّ للسباق .
(٥) « بأيدهم » : بقوتهم .

لعمريَ ما وليَّتُ ظهري محمداً وأصحابَه جبناً ولا خِيفة القتل
ولكنني قلَّبت أمراً فلم أجدْ لسيفي غَنَاءً إن ضربتُ ولا نَبْلِ
وقفتُ فلما لم أجد لي مُقَدَّماً شددتُ كضرغامٍ هزبرٍ أبي شِبْلِ
ثَنى عِطْفه عن قِرْنه حين لم يَجدْ مَكَرّاً ، وقِدْماً كان ذلك من فعلي
فلا تَبْعَدَنْ يا عمرو حياً وهالكاً وحُقَّ بحسن المدح مِثْلُك من مِثْلِ
ولا تَبْعَدَنْ يا عمرو حياً وهالكاً فقد مُتَّ محمودَ الثنا، ماجِدُ الأصل
فمن لطِرَاد الخيل تُقدعُ بالقنا وللفخر يوماً عند قرقرة البُزْلِ[1]
هنالك لو كان ابنُ عبدٍ لزارَها وفرَّجها حقاً فتىً غيرَ ما وغْلِ[2]
فعنك عليٌّ لا أرى مثلَ موقفٍ وقفتَ على نجد المقَدَّم كالفَحْلَ[3]
فما ظَفِرَتْ كفَّاك فخراً بمثله أَمِنْتَ به ما عِشْتَ من زَلَّةِ النَّعلِ

● « الغيطلة » : الشجر الملتف ، والغيطلة : الجلبة ، والغيطلة : التباس الظلام .

● و« جبجاب » كثير الصوت .

● و« المتخمط » : الشديد الغضب .

ذكر شهداء الخندق

من بني عبد الأشهل : سعد بن مُعاذ ، وأنس بن أوس بن عَتيك ، وعبد الله بن سهل .

ومن بني جُشم بن الخزرج ، ثم من بني سَلِمة : الطفيل بن النعمان ، وثعلبة بن غنمة .

ومن بني النجار : كعب بن زيد .

وذكر شيخنا الحافظ أبو محمد عبد المؤمن الدمياطي في « نسب الأوس » له في بني ظفر : قيس بن زيد بن عامر بن سواد بن ظَفَر ، شهد أحداً وحضر الخندق ومات هناك

---

(١) « تُقدعُ » : تُكفُّ ، و« قرقرة » : الصوت . و« البُزْل » : جمع بازل ، وهو الجمل الذي بَزَلَ نابه ، وذلك حين يبلغ الثامنة أو التاسعة ، فيغدو قوياً ويصلب عوده .

(٢) « ابنُ عبدٍ » : هو عمرو بن ود . و« وَغْل » : « الوَغْل » الفاسد الخسيس من الرجال .

(٣) « عنكَ عليٌّ » : اسم فعل أمر بمعنى : تباعدْ ، وعليٌّ : منادى منوّن .

ودُفن . وذكر في « نسب الخزرج » له : عبد الله بن أبي خالد بن قيس بن مالك بن كعب بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار بن النجار ، قُتل يوم الخندق شهيداً ، ذكره ابن الكلبي .

* * *

غزوة بني قُرَيظة

روينـا عن أبي بكر الشـافعي ، حدثنا عُبيد بن عبد الواحد بن شريك البزار ، حدثنا سعيد بن أبي مريم ، أخبرنا العمري(1) ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة رضيِ الله عنها ، قالت : لما رجعَ النبيُّ ﷺ يومَ الخندق ، بينا هو عندي إذ دُقَّ البابُ ، فارتاعَ لذلك رسولُ الله ﷺ ، ووثب وثبة منكرة ، وخرج ، فخرجت في أثره ، فإذا رجل على دابة ، والنبيُّ ﷺ متكىء على مَعْرَفة(2) الدابة يكلمه ، فرجعت ، فلما دخلَ ، قلت : من ذلك الرجل الذي كنتَ تُكـلمُـه ؟ قال : ورأيتِه ؟ قلت : نعم . قال : بمن تشبهينه ؟ قلت : بدحيةَ بن خليفة الكلبي . قال : ذاك جبريل ، أمرني أن أمضيَ إلى بني قريظة (3) .

قال ابن إسحـاق : ولما أصبح رسولُ الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسـلمون ، ووضعوا السلاح ، فلما كانت الظهر ، أتى جبريلُ النبيَّ ﷺ ـــ كما حدثني الزهري ـــ معتجراً(4) بعمـامة من استـبرق ، على بغـلة عليهـا رِحَالةٌ(5) ، عليهـا قطيفة من ديبـاج ، فقـال : أو قد وضعتَ السـلاحَ يا رسولَ الله ؟ قال : نعـم . فقـال جبريلُ : ما وضعت المـلائكـةُ السِّلاحَ بعد ، وما رجعتُ الآن إلا من طلب القوم ، إن الله يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة ، فإني عامد إليهم ، فمزلزل بهم . فأمرَ رسولُ الله ﷺ مؤذناً

---

(1) « العُمَريُّ » : هو عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، العمري الفقيه المدني ، أحد الأعلام ، مشهور . نور النبراس .

(2) « مَعْرفة » : منبت شعر الرقبة .

(3) قال في نور النبراس : الحديث ـــ حديث عائشة رضي الله عنها ـــ ليس في شيء من الكتب الستة بهذه الطريق .

وهو في البخاري عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة .. في المغازي (باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب) رقم /٤١١٧/ .

(4) « مُعْتَجَراً » : من الاعتجار ، وهو لف العمامة على الرأس ، وردُّ طرفيها على وجهه ، ولا يعمل منها شيئاً تحت ذقنه .

(5) « رِحَالةٌ » : سرج من جلد ليس فيه خشب .

فأذَّن في الناس : من كان سامعاً مُطيعاً فلا يُصلِّيَنَّ العصرَ إلا ببني قريظة[1] .

وروينا عن ابن عائذ : أخبرني الوليد ، عن معاذ بن رفاعة السلامي ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال : بينا رسول الله ﷺ يغسل رأسه ، مرجعه من طلب الأحزاب ، إذ وقف عليه جبريلُ ، فقال : ما أسرعَ ما حللتم! والله ما نزعنا من لأمتنا [2] شيئاً منذ نزل العدو بك ، قم فشدَّ عليك سلاحَك فوالله لأدقنَّهم كدقِّ البيض على الصفا ، ثم ولَّى فأتبعته بصري ، فلما رأينا ذلك نهضنا [3].

قال : وأخبرني الوليد ، قال أخبرني سعيد بن بشير ، عن قتادة ، قال : بعثَ رسول الله ﷺ يومئذ منادياً :« يا خيل الله اركبي »[4] .

قال ابن سعد : ثم سار إليهم في المسلمين ، وهم ثلاثة آلاف ، والخيل ستة وثلاثون فرساً ، وذلك في يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة[5] ، واستعمل على المدينة ابنَ أم مكتوم فيما قاله ابن هشام .

قال ابن إسحاق : وقدَّم رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب برايته إلى بني قريظة ، وابتدرها الناس ، فسار حتى إذا دنا من الحصون ، سمع منها مقالةً قبيحةً لرسول الله ﷺ ، فرجع حتى لقي رسولَ الله ﷺ بالطريق ، فقال:يا رسول الله لا عليكَ أن لا تدنو من هؤلاء الأخابيث . قال : لِمَ ؟ أظنك سمعتَ منهم لي أذىً ؟ قال : نعم يا رسول الله . قال : لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً . فلما دنا رسولُ الله ﷺ من حصونهم ، قال : يا إخوانَ القِرَدة هل أخزاكم الله وأنزلَ بكم نِقمته ؟ قالوا : يا أبا القاسم ما كنتَ جهولاً .

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٢٣٣ ــ ٢٣٤ .

(٢) « من لأْمَتِنَا » : اللأمة : الدرع .

(٣) قال في نور النبراس : هذا ليس في شيء من الكتب الستة بهذه الطريق .
والوليد : هو الوليد بن مسلم ، عالم أهل الشام . ومُعاذ بن رفاعة السُّلامي : قال أحمد : لا بأس به : وقال ابن المديني ودُحيم : ثقة . وقال أبو حاتم : لا يُحتجُّ به . وقال ابن عدي : عامة ما يرويه لا يتابع عليه .
ويشهد له حديث عائشة في البخاري وغيره .

(٤) قال في نور النبراس لوحة ٢ ب/٥٠ : هذا مرسل ، قتادة تابعي . وسعيد بن بشير : بصري ، نزل دمشق ، قال البخاري : يتكلمون في حفظه وهو يحتمل ، وقال دُحيم : ثقة . وكان مشيختنا يوثقونه .

(٥) الطبقات الكبرى ٢/٧٤ ، والسيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٢٣٤ .

ومر رسول الله ﷺ بنفر من أصحابه بالصَّوْرَين قبل أن يصل إلى بني قريظة ، فقال : هل مرَّ بكم أحد ؟ قالوا : يا رسول الله مرَّ بنا دحيةُ بن خليفة الكلبيّ على بغلة بيضاء ، عليها رِحَالة ، عليها قطيفة ديباج . فقال رسول الله ﷺ : ذاك جبريل بُعث إلى بني قريظة ، يُزلزل بهم حصونهم ، ويقذُف الرعب في قلوبهم .

ولما أتى رسولُ الله ﷺ بني قُريظة نزل على بئر من آبارها ، وتلاحق به الناس ، فأتى رجال من بعد العشاء الآخرة ، ولم يُصلُّوا العصرَ ؛ لقول رسول الله ﷺ : لا يُصلِّيَنَ أحدٌ العصرَ إلا في بني قريظة . فشغلهم ما لم يكن لهم منه بُدٌّ في حربهم ، وأبوا أن يُصلُّوا لقول النبي ﷺ : حتى تأتوا بني قريظة . فصَلَّوْا العصرَ بها بعد العشاء الآخرة ، فما عابهم الله بذلك في كتابه ، ولا عنَّفهَم به رسولُ الله ﷺ ، حدثني بهذا الحديث : أبي إسحاقُ بن يسار ، عن معبد بن كعب بن مالك الأنصاري .

وحاصرَهم رسولُ الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة حتى جَهَدَهم الحِصَارُ ، وقذف الله في قلوبهم الرعب .

وقد كان حيٌّ بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم ، حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه ، فلما أيقنوا بأن رسولَ الله ﷺ غيرُ منصرف عنهم ، حتى يناجزَهم . قال كعب بن أسد لهم : يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإني عارض عليكم خِلالاً ثلاثاً ، فخذوا أيَّها شئتم . قالوا : وما هي ؟ قال : نتابع هذا الرجل ونصدِّقُه ، فوالله لقد تبيَّن لكم أنه لنبيٌّ مرسل ، وأنه للذي تجدونه في كتابكم ، فتأمنونَ على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم . قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبداً ، ولا نستبدل به غيرَه . قال : فإذا أبيتم عليَّ هذه ، فهلُمَّ فلنقتلْ أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرجْ إلى محمد وأصحابه رجالاً مُصلتين بالسيوف ، لم نترك وراءنا ثَقَلاً[1] ، حتى يحكم الله بيننا ، وبين محمد ، فإن نهلكْ نهلكْ ولم نترك وراءنا نَسْلاً نخشى عليه ، وإن نظهرْ فلعمري لنجدنَّ النساء والأبناء . قالوا : نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم . قال : فإن أبيتم عليَّ هذه فإن الليلة ليلةُ السبت ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابهُ قد أَمِنُونَا فيها . فانزلوا لعلنا

(١) « ثَقَلاً » : الثَّقَل : متاع المسافر وأهله وأتباعه ، وكل شيء نفيس مصون .

نُصيب من محمد وأصحابه غِرَّةً . قالوا : نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يُحدث فيه من كان قبلنا إلا من قد علمت ، فأصابه ما لم يخفَ عليك من المسخ قال : ما باتَ رجلٌ منكم منذ ولدته أمُّه ليلةً واحدة من الدهر حازماً .

ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعثْ إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر ، أخا بني عمرو بن عوف ــ وكانوا حلفاء الأوس ــ نستشيرُه في أمرنا . فأرسلَه رسولُ الله ﷺ إليهم ، فلما رأوه ، قام إليه الرجال ، وجَهَشَ إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه ، فرقَّ لهم ، وقالوا : يا أبا لُبابة أترى أن ننزلَ على حكم محمد ؟ قال : نعم . وأشار بيده إلى حَلْقِهِ ، إنه الذبح . قال أبو لبابة : فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خُنتُ الله ورسوله ، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ، ولم يأتِ رسولَ الله ﷺ ، حتى ارتبطَ في المسجد إلى عمود من عُمُدِهِ ، وقال : لا أبرحُ مكاني هذا حتى يتوبَ الله عليَّ مما صنعتُ ، وعاهدتُ الله أن لا أطأَ بني قريظة أبداً ، ولا أُرى في بلد خنتُ الله ورسوله فيه أبداً .

فلما بلغ رسولَ الله ﷺ خبرُه ، وكان قد استبطأه ، قال : أما لو جاءني لاستغفرتُ له ، وأمّا إذ فعلَ ما فعلَ فما أنا بالذي أطلقُه من مكانه ، حتى يتوبَ الله عليه .

وحدثني يزيد بن عبد الله بن قُسيط : أن توبة أبي لُبابة نزلت على رسول الله ﷺ وهو في بيت أم سلمة ، قالت أم سلمة : فسمعتُ رسول الله ﷺ من السَّحَرِ وهو يضحكُ ، قالت : قلت : مم تضحك أضحك الله سِنَّك ؟ قال : تيب على أبي لُبابة . قالت : قلت : أفلا أبشِّره يا رسول الله . قال : بلى إن شئتِ . قال : فقامت على باب حجرتها ــ وذلك قبل أن يُضرب عليهن الحجابُ ــ فقالت : ياأبا لبابة أبشرْ فقد تاب الله عليك . قالت : فثار الناس ليطلقوه ، فقال : لا والله ، حتى يكونَ رسولُ الله ﷺ هو الذي يطلقني بيده . فلما مرَّ عليه خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقَه .

قال ابن هشام : أقام أبو لبابة مرتبطاً بالجِذع ستَّ ليال ، تأتيه امرأتُه في وقت كلِّ صلاةٍ فتحلُّه للصلاة ، ثم يعود فيرتبط بالجذع فيما حدثني بعض أهل العلم[1] .

وقال أبو عمر : روى ابنُ وهب ، عن مالك ، عن عبد الله بن أبي بكر ؛ أن أبا لبابة

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٢٣٤ ــ ٢٣٨ .

ارتبط بسلسلةٍ رَبُوض ــ والربوض : الثقيلة ــ بضعَ عشرة ليلة ، حتى ذهب سمعُه ، فما يكادُ يسمع ، وكادَ يذهبُ بصرُه ، وكانت ابنته تحلُّه إذا حضرت الصلاة ، أو أراد أن يذهب لحاجة ، فإذا فرغ أعادته إلى الرِّباط ، فقال رسول الله ﷺ : لو جاءني لاستغفرت له .

قال أبو عمر : اختلف في الحال الذي أوجب فعلَ أبي لبابة هذا بنفسه ، وأحسنُ ما قيل في ذلك : ما رواه معمر عن الزهري ، قال : كان أبو لبابة ممن تخلَّفَ عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فربطَ نفسَه بسارية ، وقال : والله لا أحلُّ نفسي منها ولا أذوقُ طعاماً ولا شراباً حتى يتوبَ الله عليَّ ، أو أموت . فمكث سبعة أيام لا يذوقُ طعاماً ولا شراباً حتى خرَّ مغشيّاً عليه ، ثم تاب الله عليه . وذكر نحو ما تقدم في حَلِّ رسول الله ﷺ إياه[1] .

ثم قال أبو لبابة : يا رسول الله إن من توبتي أن أهجرَ دارَ قومي التي أصبتُ فيها الذنب ، وأن أنخلعَ من مالي كلِّه صدقة إلى الله وإلى رسوله . قال : يجزئك يا أبا لبابة الثلث .

وروي عن ابن عباس من وجوه في قوله تعالى : ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخرَ سيئاً ﴾ الآية [التوبة : ١٠٢] أنها نزلت في أبي لبابة ونفر معه سبعة أو ثمانية ، أو سبعة سواه تخلفوا عن غزوة تبوك ، ثم ندموا فتابوا وربطوا أنفسهم بالسواري ، فكان عملُهم الصالح توبتَهم ، والسيىء تخلُّفهم عن الغزو مع رسول الله ﷺ[1] .

قال أبو عمر : وقد قيل إن الذنب الذي أتاه أبو لبابة كان إشارته إلى حلفائه بني قريظة أنه الذبح إن نزلتم على حكم سعد بن معاذ وإشارته إلى حلقِه ، فنزلت فيه : ﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا تَخونُوا اللّهَ والرسولَ ﴾ الآية[1] [الأنفال : ٢٧] .

قال ابن إسحاق : ثم إن ثعلبة بن سعية ، وأسيد بن سعية ، وأسيد بن عبيد ، وهم نفر من هَدل ، ليسوا من بني قريظة ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك ، وهم بنو عم القوم ، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها قُريظة على حكم رسول الله ﷺ .

وخرج في تلك الليلة عمرو بن سُعدى القرظي ، فمرَّ بحرس رسول الله ﷺ ، وعليه محمد بن مسلمة تلك الليلة ، فلما رآه ، قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن سُعدى ، وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله ﷺ ، وقال : لا أغدر بمحمد

---

(١) الاستيعاب ١٦٩/٤ على هامش الإصابة .

أبداً . فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرمني[1] عثرات الكرام ، ثم خلّى سبيلَه ، فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهبَ فلم يُدرَ أين وجَّه من الأرض إلى يومه هذا ، فذُكر لرسول الله ﷺ شأنُه ، فقال : ذلك رجل نجاه الله بوفائه . وبعض الناس يزعم أنه كان أُوثق برُمّةٍ[2] فيمن أُوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فأصبحت رُمَّتُه ملقاةً ، ولا يُدرى أين ذهب . فقال رسول الله ﷺ فيه تلك المقالة ، فالله أعلم أي ذلك كان .

فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فتواثبت الأوسُ ، فقالوا : يا رسول الله إنهم موالينا دون الخزرج ، وقد فعلتَ في موالي إخواننا بالأمس ما قد علمتَ . وقد كان رسول الله ﷺ قبلَ بني قريظة قد حاصر بني قينقاع ، وكانوا حلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ، فسأله إياهم عبدُ الله بن أبيّ بن سلول ، فوهبهم له ، فلما كلَّمتْه الأوسُ . قال رسول الله ﷺ : ألا ترضوْن يا معشرَ الأوس أن يحكُمَ فيهم رجلٌ منكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فذلك إلى سعد بن معاذ . وكان رسول الله ﷺ قد جعل سعدَ بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم ، يقال لها : رفيدة في مسجده وكانت تُداوي الجرحى ، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين ، وكان رسولُ الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق : اجعلوه في خيمة رُفيدة ، حتى أعودَه من قريب ، فلما حكَّمَه رسولُ الله ﷺ في بني قريظة ، أتاه قومُه فحملوه على حمار ، وقد وطَّؤوا له بوسادة من أدم ، وكان رجلاً جسيماً ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم يقولون : يا أبا عمرو أحسنْ في مواليك ، فإن رسول الله ﷺ إنما ولأَّكَ ذلك ، لتحسنَ فيهم . فلما أكثروا ، قال : لقد آنَ لسعد أن لا تأخذَه في الله لومةُ لائم . فرجعَ بعضُ من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل ، فنَعى إليهم رجلاً من بني قريظة ، قبلَ أن يصل إليهم سعد ، عن كلمته التي سمع منه . فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين ، قال رسول الله ﷺ : قوموا إلى سيِّدكم . فأما المهاجرون من قريش فيقولون : إنما أراد رسول الله ﷺ الأنصار . وأما الأنصار فيقولون : عمَّ بها رسولُ الله ﷺ المسلمينَ ، فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو : إن رسول الله ﷺ قد

---

(١) كذا في الأصول ، وفي السيرة النبوية : لا تحرمني إقالة عثرات الكرام .

(٢) « برمّةٍ » : بقطعة من الحبل بالية .

وَلاك أمرَ مواليك ، لتحكمَ فيهم . فقال سعد : عليكم بذلك عهدُ الله وميثاقُه أن الحكمَ فيهم كما حكمتُ ؟ قالوا : نعم . قال : وعلى مَنْ هنا ؟ — في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ ، وهومعرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له — فقال رسولُ الله ﷺ : نعم . قال سعد : فإني أحكم فيهم أن تُقتلَ الرجالُ ، وتُقسمَ الأموالُ ، وتُسبى الذراري والنساء[1] .

قال ابن سعد : قال حميد : وقال بعضهم : وتكون الديار للمهاجرين دون الأنصار . قال : فقالت الأنصار : إخواننا كنا معهم . فقال : إني أحببتُ أن يستغنوا عنكم[2] .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن علقمة بن وقاص الليثي ، قال : قال رسول الله ﷺ لسعد : لقد حكمتَ فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة .

قال ابن هشام : حدثني من أثقُ به من أهل العلم : أن عليَّ بن أبي طالب صاحَ وهم محاصرو بني قريظة بكتيبة الإيمان ، وتقدَّم هو والزبير بن العوام ، قال : والله لأذوقنَّ ما ذاق حمزة ، أو أفتحنَّ حصنَهم . فقالوا : يا محمد نتزلُ على حكم سعد .

قال ابن إسحاق : ثم استُنزلوا ، فحبَسَهم رسولُ الله ﷺ في دار بنت الحارث — امرأة من بني النجار — ثم خرجَ رسولُ الله ﷺ إلى سوق المدينة ، التي هي سُوقها اليوم ، فخندقَ بها خنادقَ ، ثم بعثَ إليهم فضربَ أعناقهم في تلك الخنادق ، يخرج بهم إليها أرسالاً ، وفيهم عدو الله حيُّ بن أخطب ، وكعب بن أسد رأسُ القوم ، وهم ستمائة أو سبعمائة ، والمكثر يقول كانوا ما بين الثمانمائة والتسعمائة ، وقد قالوا لكعب بن أسد — وهو يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالاً — : يا كعب ! ما تراه يصنع بنا ؟ قال : في كل موطن لا تعقلون ! أما ترون الداعي لا ينزع ، وأنه من ذهب منكم لا يرجع ، والله القتل . فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسولُ الله ﷺ ، وأُتي بحيّي بن أخطب عدوّ الله ، مجموعةً يداه إلى عنقه بحبل ، فلما نظرَ إلى رسول الله ﷺ ، قال : أما والله ما لمتُ نفسي في عداوتك ، ولكنه مَنْ يَخذلِ اللهُ يُخْذَلْ . ثم أقبلَ على الناس ، فقال : أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر وملحمة كُتبت على بني إسرائيل ، ثم جلس فضُربت عنقه .

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٢٣٨ — ٢٤٠ .

(٢) الطبقات الكبرى ٢/٧٧ .

وقد حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : لم يُقتل من نسائهم إلا امرأةٌ واحدة ، قالت : والله إنها لعندي تَحدَّث معي وتضحكُ ظهراً وبطناً ، ورسول الله ﷺ يقتل رجالَها في السوق ، إذ هتف هاتفٌ باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله . قالت : قلتُ لها : ويلك ما لك ؟ قالت : أُقتل . قلت : ولم ؟ قالت : لحدثٍ أحدثته . قالت : فانطُلق بها فضُربت عنقها . فكانت عائشة تقول : فوالله ما أنسى عجباً منها : طِيبَ نفسها ، وكثرةَ ضَحِكها ، وقد عرفتْ أنها تُقتل .

قال ابن هشام : هي التي طرحت الرحى على خَلَّاد بن سويد فقتلته[1] .

وقال ابن سعد : أمر بهم رسول الله ﷺ محمَّدَ بنَ مسلمة ، فكُتِّفوا وجُعلوا ناحيةً ، وأُخرجَ النساء والذرية فكانوا ناحية ، واستعمل عليهم عبد الله بن سَلام ، وجمع أمتعتَهم وما وجد في حصونهم من الحَلْقة والأثاث والثياب ، فوجد فيها ألفاً وخمسمائة سيف وثلاثمائة درع ، وألفي رمح وخَمسمائة تُرسٍ وجحفة[2] ، وخمراً وجِرَار سَكَر ، فأُهريق ذلك كله ، ولم يُخمَّسْ ، ووجدوا جمالاً نواضحَ ، وماشيةً كثيرة[3] .

قال ابن إسحاق : وقد كان ثابت بن قيس بن الشَّماس كما ذكَر ابن شهاب الزهري ، أتى الزَّبير[4] بن باطا القرظي ، وكان يكنى أبا عبد الرحمن ، وكان الزَّبير قد منَّ على ثابت بن قيس في الجاهلية ، ذكر لي بعضُ ولد الزَّبير أنه كان مَنَّ عليه يومَ بُعاث ، أخذَه فجزَّ ناصيتَه ، ثم خلَّى سبيلَه ، فجاءه ثابت وهو شيخ كبير ، فقال : يا أبا عبد الرحمن هل تعرفني ؟ قال : وهل يَجْهلُ مثلي مثلَك ؟ قال : إني قد أردتُ أن أجزيَك بيدك عندي . قال : إن الكريمَ يَجزي الكريم . ثم أتى ثابت رسولَ الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله إنه كان للزَّبير عليَّ مِنَّة ، وقد أحببتُ أن أجزيَه بها ، فهبْ لي دَمَه . فقال رسول الله ﷺ : هو لك . فأتاه ، فقال : إن رسول الله ﷺ قد وهبَ لي دَمَك ، فهو لك . قال : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد ، فما

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٢٤٠ ــ ٢٤٢ .

(٢) « جحفة » : ترس .

(٣) الطبقات الكبرى ٢/٧٥ .

(٤) الزَّبير : بفتح الزاي المشددة ، و« الزُّبير » بضم الزاي إلا هذا . قال السهيلي : هو جد الزَّبير بن عبد الرحمن المذكور في الموطأ في كتاب النكاح . انظر الموطأ (باب نكاح المحلّل وما أشبهه ٢/٥٣١) .

يصنع بالحياة ؟ قال : فأتى ثابت رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! بأبي أنتَ وأمي ، امرأته وولدَه . قال : هم لك ، قال : فأتاه ، فقال : قد وهب لي رسولُ الله ﷺ أهلَكَ وولدَكَ ، فهم لك . قال : أهل بيت بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابت رسولَ الله ﷺ ، فقال : يا رسولَ الله ! مالَه . قال : هو لك . فأتاه ثابتٌ ، فقال : قد أعطاني رسولُ ﷺ مالَك ، فهو لك . قال ــ أي ثابت ــ : ما فعلَ الذي كأنَّ وجهَه مرآة صينية ، تتراءى فيه عذارى الحيِّ ؛ كعبُ بن أسد ؟ قال : قُتل . قال : فما فعل مقدمتنا إذا شددنا ، وحاميتُنا إذا فررنا ؛ عَزَّال بن سموأل ؟ قال : قُتل . قال : فما فعل سيِّدُ الحاضر والبادي ؛ حُيي بن أخطب ؟ قال : قُتل . قال : فما فعل المجلسان ــ يعني بني كعب بن قريظة ، وبني عمرو بن قريظة ــ ؟ قال : ذهبوا ، قُتلوا . قال : فإني أسألُك يا ثابت بيدي عندك إلَّا ألحقتني بالقوم ، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير . فما أنا بصابر لله قَبْلَةَ[1] دلوِ ناضحٍ ؛ حتى ألقى الأحبَّة ، فقدَّمه ثابتٌ ، فضرب عُنقَه .

فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله : ألقى الأحبَّة . قال : يلقاهم والله في نار جهنَّم خالداً مُخلَّداً[2] .

وذكر أبو عبيد هذا الخبر ، وفيه : فقال رسولُ الله ﷺ : لكَ مالُه وأهلُه إنْ أسلم[3] .

قال ابن إسحاق : حدَّثني شعبة بن الحجَّاج ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عطية القرظي ، قال : كان رسولُ الله قد أمر أن يُقتلَ من بني قريظة كلُّ من أنبتَ ، وكنتُ غلاماً ، فوجدني لم أُنبتْ ، فخلُّوا سبيلي . وسألتْ أُمُّ المنذر سلمى بنت قيس[4] ، أختُ سَليط رسولَ الله ﷺ ــ وكانت إحدى خالاته ــ : رفاعةَ بن سموأل القرظي ، وكان قد بلغ . قالت :

(١) انظر فوائد المؤلف ص ١١٧ .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٢٤٢ ــ ٢٤٣ .

(٣) الأموال ، لأبي عُبيد القاسم بن سلام ص ١٦٣ .

(٤) سلمى بنت قيس : هي إحدى خالات جد رسول الله ﷺ (عبد المطلب) ؛ لأنها من بني عدي بن النجار ، وكانت فيمن بايع تحت الشجرة ، وصلَّى إلى القبلتين . لها رواية وأخرج لها الإمام أحمد في المسند . نور النبراس .

فإنه زعم أنه سيُصلِّي ويأكل لحم(١) الجمل ، فوهبه لها . ثمَّ خُمِّست غنائمهم وقُسِّمت ، للفارس ثلاثة أسهم ؛ سهم له ، وسهمان لِفرسِه ، وللراجل سهم ، وهو أول فيء وقعت فيه السُّهمان وخُمِّس ، وكانت الخيل ستة وثلاثين فرساً .

ثم بعثَ رسولُ الله ﷺ سعدَ بن زيد الأنصاري أخا بني عبد الأشهل بسبايا من بني قريظة إلى نجد ، فابتاع لهم بهم خيلاً وسلاحاً ، وكان رسولُ الله ﷺ قد اصطفى لنفسه منهم ريحانة بنت عمرو بن خُنَافة ، إحدى نساء بني عمرو بن قريظة ، فكانت عند رسول الله ﷺ حتى توفي عنها ، وسيأتي ذكرها في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

وأنزل الله عزَّ وجل في أمر الخندق وبني قريظة من القرآن القصة في سورة الأحزاب: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنودٌ فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروْها وكان الله بما تعملون بصيراً ﴾ [الأحزاب : ٩] والجنود : قريش وغطفان وبنو قريظة . وكانت الجنود التي أرسلها الله عليهم مع الريح : الملائكة ﴿ إذ جاؤوكم من فوقِكم ﴾ بنو قريظة ﴿ ومن أسفلَ منكم ﴾ : قريش وغطفان إلى قوله : ﴿ وأورثكم أرضَهم وديارَهم وأموالَهم وأرضاً لم تطؤوها ــ يعني خيبر ــ وكان اللهُ على كلِّ شيءٍ قديراً ﴾ [الأحزاب : ١٠ ـ ٢٧] .

فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر لسعد بن معاذ جرحه ، فمات منه . وأتى جبريلُ النبيَّ ﷺ من الليل معتجراً بعمامة من استبرق ، فقال : يا محمد من هذا الذي فُتحت له أبوابُ السماء ، واهتزَّ له العرش ؟ قال : فقام رسولُ الله ﷺ سريعاً يجرُّ ثوبَه إلى سعد بن معاذ ، فوجده قد مات . ولما حُمل على نعشه وجدوا له خِفَّة . فقال رسول الله ﷺ : إن له حملة غيرَكم(٢) .

وقال رسول الله ﷺ فيما ذكر ابن عائذ : لقد نزل سبعون ألف ملك شهدوا سعداً ما وطئوا الأرض إلا يومَهم هذا .

---

(١) لأن اليهود يحرمون أكل لحم الجمال ، أسوة بإسرائيل الذي حرَّمه على نفسه ، قال الله تعالى : ﴿ كلُّ الطعام كان حِلاً لبني إسرائيلَ إلا ما حرَّمَ إسرائيلُ على نفسه ﴾ [آل عمران : ٩٣] .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٢٤٤ ــ ٢٥١ .

وقال ابن سعد : مرت عليه عنز وهو مضطجع ، فأصابت الجرحَ بظُلفها ، فما رقأ حتى مات ، وبعث صاحب دُومة الجندل إلى رسول الله ﷺ ببغلة وجُبَّةٍ من سندس ، فجعلَ أصحابُ رسول الله ﷺ يعجبون من حُسن الجبة ، فقال رسول الله ﷺ : « لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسنُ » يعني من هذا[1] .

واستُشهد يوم بني قريظة خلَّاد بن سويد الحارثي ، الذي طرحت المرأة عليه الرحا ، وقد تقدَّم خبر قتلها ، وزاد ابن عائذ : ومنذر بن محمد أخو بني جَحْجَبا . ومات أبو سِنان بن مِحْصن الأَسَدي ، ورسولُ الله ﷺ محاصر بني قريظة ، فدُفن في مقبرة بني قريظة ، ولما انصرفَ أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله ﷺ:لن تغزوَكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تغزونهم . فكان كذلك .

* * *

(١) الطبقات الكبرى ٢/٢٤٤ ــ ٢٥١ .

ذكر فوائد تتعلق بما سبق مِن ذكر
الخندق وبني قريظة

● أول من حفر الخنادق في الحروب : منوشهر بن إيرج ، وأول من كمَّن الكمائن : بخت نُصَّر ، ذُكر ذلك عن الطبري .

● والنسبة إلى بني النضير نَضَرِيٌّ بفتحتين ، كثَقَفي .

● وعُيينة بن حِصن : لقب لقائد الأحزاب ، واسمه حذيفة ، لقب بذلك لشَتَر[١] كان في عينيه .

● وذُكر حيٌّ بن أخطب وما قال لكعب بن أسد ، وأنه لم يزل يَفْتِلُ في الذروة والغارب . قال السهيلي : هذا مثل ، وأصلُه في البعير يستصعب عليك ، فتأخذ القُرادَ[٢] من ذروته وغارب سنامه ، فيجد البعيرُ لذة ، فيأنس عند ذلك ، وأنشد للحطيئة :

لعمرُك ما قُراد بني كُليب إذا نُزعَ القُرادُ بمستطاع

يريد أنهم لا يُخدعون ولا يُستذلون .

● واللحن : العدول بالكلام عن الوجه المعروف إلى وجه لا يعرفه إلا صاحبه ، كما أن اللحن الذي هو الخطأ عدول عن الصواب المعروف ، وقال الجاحظ في قول مالك بن أسماء :

منطق صائبٌ وتلحنُ أحيانًا ، وخيرُ الكلام ما كان لحنا

يُريد أن اللحن الذي هو الخطأ قد يُستملحُ ويُستطاب من الجارية الحديثة السن . وخُطِّىء الجاحظُ في هذا التأويل ، وأُخبرَ بما قاله الحجاج بن يوسف لامرأته هند بنت أسماء بن خارجة حين لَحنَتَ ، فأنكر عليها اللَّحنَ ، فاحتجت بقول أخيها مالك بن أسماء * وخيرُ الحديث ما كان لحناً * فقال لها الحجاج : لم يردْ أخوك هذا ، وإنما أراد الذي هو التورية

---

(١) « لِشَتَرٍ » : الشَّتَرُ : انقلاب الجفن من أعلى وأسفل وانشقاقه ، أو استرخاء أسفله .

(٢) القراد : دُويبة معروفة تلصق في جلد البعير .

والإلغاز ، فسكتت . فلما حُدِّثَ الجاحظُ بهذا الحديث ، قال : لو كان بلغني هذا قبل أن أؤلف كتاب البيان ما قلتُ في ذلك ما قلت . فقيل : أفلا تغيِّرُه ؟ قال : وكيف وقد سارت به البغال الشهبُ ، وأنجدَ في البلاد وأغار . انتهى ما حكاه السهيلي ، وتأويلُ الجاحظ أولى ، لما فيه من مقابلة الصواب بالخطأ ، ولعلَّ الشاعرَ لو أراد المعنى الآخر ، لقال : منطق ظاهر . ليقابلَ بذلك ما تقتضيه التوريةُ واللغز من الخفاء ، وكما قال الجاحظ في تأويل : وتلحن أحياناً ، قاله ابن قتيبة .

● وحِبَّان بن العَرِقة : هو حبان بن عبد مناف بن منقذ بن عمرو بن مَعيص بن عامر بن لؤي ، والعَرِقة أمه . وهي قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم ، تكنى أم فاطمة ، سُمِّيت العَرِقة لطيب ريحها . كذا ذكر السُّهيلي . وابن الكلبي يقول : هي أُمُّ عبد مناف جدّ أبيه ، وهو عنده : حبان بن أبي قيس بن علقمة بن عبد مناف . وموسى بن عقبة يقول فيه : جَبَّار بن قيس بالجيم والراء ، أحدُ بني العَرِقة .

● وحديث اهتزاز العرش لموت سعد بن معاذ حديث[1] صحيح . قال السهيلي : والعجب من رواية من روى عن مالك أن يُقال : اهتزَّ العرشُ لموت سعد بن مُعاذ . ولم ير التحديث بذلك مع صحة نقله وكثرة الرواة له ، ولا أدري ما وجه ذلك ، ولعلَّها غير صحيحة عنه ، فقد خرَّجه البخاري .

قلت : هذا يقتضي أن يكون إنكار مالك محمولاً عنده على أمر عنده يرجع إلى الإسناد

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (باب مناقب سعد بن معاذ) رقم /٣٨٠٣/ ، ومسلم في فضائل الصحابة (باب من فضائل سعد بن معاذ) رقم /٢٤٦٧/ ، والترمذي في المناقب (باب مناقب سعد بن معاذ) رقم /٢٨٤٧/ . قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري .. » ١٣٤/٧ : والمراد باهتزاز العرش استبشاره وسروره بقدوم روحه ، يقال لكل من فرح بقدوم قادم عليه : اهتز له ، ومنه اهتزت الأرض بالنبات إذا اخضرت وحسنت .. وبعد أن ذكر اختلاف العلماء ، وكراهية مالك لروايته قال : وقد جاء اهتزاز العرش لسعد بن معاذ عن عشرة من الصحابة أو أكثر ، وثبت في الصحيحين ، فلا معنى لإنكاره .
وقال ابن الأثير في جامع الأصول ٦٢/٩ : « اهتزاز العرش » : كناية عن ارتياحه بروحه حين صعِد بها ، لكرامته على ربه ، وكل من خف لأمر وارتاح له ، فقد اهتزَّ له ، والمعنى : فرح أهل العرش بقدومه على الله لما رأوا من منزلته وكرامته وفضله .

وليس كذلك ، بل قد اختلَفَ العلماء في هذا الخبر ، فمنهم من يحمله على ظاهره ، ومنهم من يَجنح فيه إلى التأويل . وما كانت هذه سبيله من الأخبار المشكلة ، فمن الناس من يكره روايتَه إذا لم يتعلق به حكم شرعي ، فلعلَّ الكراهة المروية عن مالك من هذا الوجه ، والله أعلم .

● وأسِيد بن سَعْيَة بفتح الهمزة وكسر السين ، كذا هو عند أكثر الرواة ، ونُقل عن بعضهم أُسيد ، بضم الهمزة وفتح السين .

● وجهشت إلى الشيء ، وأجهشتُ : أسرعت متباكياً .

● ويعني بالأرقعة : السماوات . قال ابن دُريد : كذا جاء في هذا الحديث « سبعةُ أرقعة » على لفظ التذكير ، على معنى السقف . قال الفسوي : ومثل تسميتهم إياها بالجرباء تسميتهم إياها بالرَّقيع ، قال ابن الأعرابي : سَموها بالرقيع ، لأنها مرقوعة بالنجوم . قال أبو علي : والأجربُ : خلاف الأملس .

● والمرأة المقتولة من بني قريظة اسمها بُنانة ، امرأة الحكم القرظي . قال السُّهيلي : وفي قتلِها دليل لمن قال تُقتل المرتدة من النساء أخذاً بعموم قوله عليه الصلاة والسلام : « من بدَّل دينَه فاضْرِبوا عنقَه »[1] وفيه مع العموم قوة أخرى ، وهي تعليق الحكم بالردة والتبديل ، ولا حجة مع هذا لمن زعم من أهل العراق بأن لا تقتل المرتدة لنهيه عليه الصلاة والسلام عن قتل النساء والولدان .

قلت : هما عامان تعارضا ، وكل من الفريقين يخص أحد الحديثين بالآخر ، فالعراقيون يخصون حديثَ « من بدل دينه فاقتلوه » بحديث النهي عن قتل النساء والصبيان . وغيرهم يُخالفهم ، وتخصيص المخالف أولى لوجه ليس هذا موضع ذكره . وأما استدلالُه بهذا الحديث

---

(١) رواه البخاري في استتابة المرتدين (باب حكم المرتد والمرتدة) رقم /٦٩٢٢/ ، والترمذي في الحدود (باب ما جاء في المرتد) رقم /١٤٥٨/ ، وأبو داود في الحدود (باب الحكم فيمن ارتد) رقم /٤٣٥١/ ، والنسائي في تحريم الدم (باب الحكم في المرتد) ١٠٤/٧ و١٠٥ ، وهو في المسند ٢٨٢/١ . كلهم عن ابن عباس رضي الله عنهما ، بلفظ « من بدل دينه فاقتلوه » . وفي الموطأ في الأقضية (باب القضاء فيمن ارتد) عن زيد بن أسلم ، بلفظ « من غير دينه فاضربوا عنقه » وهو مرسل .

على قتل المرتدة ، ولم تكن هذه مرتدة قط فعجيب ، بل هي قاتلة ، قتلتْ خَلاَّد بن سُويد ، ومقـاتلة بتعاطيها ذلك ، وناقضـة للعهد ، فالعراقي موافق لغيره في قتل هذه ، وفي انفرادها بالقتل عن نساء بني قريظة ما يُشعر بأنه لما انفردت به عنهن من قتل خلاَّد ، فليس هذا من حكم المرتدة في وِرد ولا صَدَر .

● وقول الزَّبير ــ وهو بفتح الزاي وكسر الباء ــ : لستُ صابراً قَبْلَةَ دَلوٍ ناضح . هو عند ابن إسحاق بالفاء والتاء ثالثة الحروف ، وقال ابن هشام : إنما هو بالقاف والباء الموحدة ، وقـابل الدلو : الذي يأخذها من المُستقي . وذكرَ أبو عُبيد الحديثَ في « الأموال » إفراغةَ دلو .

* * *

سرية محمد بن مسلمة إلى القرطاء

روينا عن ابن عائذ : عن الوليد بن مُسلم ، عن ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، قال : بعث رسول الله ﷺ محمدَ بن مسلمة أخا بني عبد الأشهل ، بعثَه إلى القُرَطاء من هوازن .

وروينا عن ابن سعد : قال : ثم سرية محمد بن مسلمة إلى القرطاء ، خرج لعشر ليالٍ خلون من المحرم على رأس تسعة وخمسين شهراً من مُهاجر رسول الله ﷺ ، بعثه في ثلاثين راكباً إلى القُرَطاء ، وهم بطن من بني أبي بكر بن كلاب ، وكانوا ينزلون البَكَرات بِناحية ضَرِيَّة[1] ، وبين المدينة وضَرِيَّة سبع ليال ، وأمره أن يشن عليهم الغارة ، فسار الليل وكمن النهار ، وأغار عليهم ، فقتل نفراً منهم ، وهرب سائرُهم ، واستاق نَعَماً وشاء ، ولم يعرض للظُعُن ، وانحدروا إلى المدينة فخمَّس رسول الله ﷺ ما جاء به ، وفضّ[2] على أصحابه ما بقي ، فعدَّلوا الجزور بعشرة من الغنم ، وكانت النعم مائة وخمسين بعيراً ، والغنم ثلاثة آلاف شاة ، وغاب تسع عشرة ليلة وقدم لليلة بقيت من المحرم[3] .

وذكر أبو عبد الله الحاكم : أنها في المحرم سنة ست ، وأن ثُمامة بن أُثَال الحنفي أُخذ فيها ، وذكر حديثَ إسلامه[4] .

وروينا من طريق مسلم رحمه الله : حدثنا قُتيبة بن سعيد ، حدثنا ليث ، عن سعيد بن أبي سعيد ، أنه سمع أبا هريرة يقول : بعثَ رسولُ الله ﷺ خيلاً قِبلَ نجد ، فجاءت برجل من بني حَنيفة ، يُقال له : ثُمامة بن أُثَالٍ سيد أهل اليمامة ، فربطوه بسارية من سواري المسجد ، فخرج إليه رسول الله ﷺ ، فقال : « ماذا عندكَ يا ثمامةُ ؟ » قال : عندي

---

(١) « ضرية » : اسم بئر .

(٢) « فضّ » : فرَّق .

(٣) الطبقات الكبرى ٢/٧٨ .

(٤) رواه البيهقي في دلائل النبوة ٤/٧٨ ــ ٧٩ عن أبي عبد الله الحافظ ، المعروف بالحاكم ، ولم نجده في المستدرك .

يا محمد !خيرٌ ، إن تقتلْ تقتلْ ذا دمٍ ، وإن تُنعم تُنعم على شاكر ، وإن كنتَ تريد المالَ فسَلْ تُعْطَ منه ما شئتَ .. الحديث . وفيه : فقال رسول الله ﷺ : « أَطلِقوا ثُمامةَ » . فانطلق إلى نخل قريب من المسجد ، فاغتسل ، ثم دخل المسجد ، فقال : أشهدُ أن لا إله إلا الله وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه . يا محمد ! والله ما كان على الأرض وجهٌ أبغضَ إليَّ من وجهِكَ ، فقد أصبح وجهُكَ أحبَّ الوجوه كلِّها إليَّ ، والله ما كان على الأرض من دِينٍ أبغضَ إليَّ من دِينِكَ ، فقد أصبحَ دِينُكَ أحبَّ الدِّينِ كلِّه إليَّ .. الحديث[1] .

والقُرَطاء : قُرْط وقُرَيط وقَرِيط بنو عبد بن عبيد ، وهو أبو بكر بن كلاب من قيس عَيلان ، ذكره الرُّشاطي قال : وذكر الطبري ، قال : قال أبو اليقظان : تزوَّج النبيُّ ﷺ عَمْرة ، وهي من القُرَطاء ، من بني أبي بكر بن كلاب[2] .

وممن يُنسب هذه النسبة محمد بن القاسم بن شعبان القُرْطي الفقيه ، له مصنف في الفقه على مذهب مالك رحمه الله وهو مصري ، وقد ذكره الأمير[3] .

* * *

(١) رواه مسلم في الجهاد والسير (باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه) رقم /١٧٦٤/ ، ومعنى : « ماذا عندك يا ثمامة ؟ » أي ماذا تظن بي أن أفعل بك ؟! .

(٢) الطبري ١٦٨/٣ .

(٣) الإكمال ؛ لابن ماكولا ١٤١/٧ .

سرية عبد الله بن عتيك

لقتل أبي رافع سلام بن أبي الحُقَيْق

واستأذن نفرٌ من الخزرج رسولَ الله ﷺ في قتلِه ، ذبّاً عن الله وعن رسوله ﷺ ، وتشبُّهاً بالأوس فيما فعلوه من قتل ابن الأشرف ، فأذِن لهم ، وكذلك كانوا رضي الله عنهم يتنافسون فيما يُزْلِفُ إلى الله وإلى رسوله . وكان ابن أبي الحُقيق بخيبَرَ ، فخرج إليه من الخزرج من بني سَلِمة خمسةُ نفر : عبد الله بن عَتيك ، ومسعود بن سِنان ، وعبد الله بن أُنيس ، وأبو قتادة الحارث بن رِبْعي ، وخزاعيٌّ بن أسود حليفٌ لهم مِنْ أسلَمَ .

وأمَّر رسولُ الله ﷺ عليهم ابنَ عَتيك ، ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة . فخرجوا حتى إذا قدموا خيبرَ ، أتوا دارَ ابن أبي الحُقيق ليلاً ، فلم يدعوا بيتاً في الدار إلا أغلقوه على أهله ، قال : وكان في عُلّية ، له إليها عجلة[١] . قال : فأسندوا فيها حتى قاموا على بابه ، فاستأذنوا فخرجت إليهم امرأتُه ، فقالت : من أنتم ؟ فقالوا : ناس من العرب ، نلتمسُ الميرة . قالت : ذاكم صاحبُكم فادخلوا عليه ، فلما دخلنا أغلقنا علينا وعليها الحجرةَ ، تخوفاً أن يكون دونه مَحُولة[٢] تحول بيننا وبينه ، قال : وصاحتِ المرأة فنوَّهت بنا . قال : وابتدرناه وهو على فراشه بأسيافنا ، والله ما يدلُّنا عليه في سواد الليل إلا بياضه ، كأنه قُبْطية ملقاة . قال : ولما صاحت بنا امرأتُه ، جعل الرجل منا يرفع عليها سيفَه ، ثم يذكرُ نهيَ رسول الله ﷺ فيكفُّ يدَه ، ولولا ذلك لفرغنا منها بليل . قال : فلما ضربناه بأسيافنا ، تحامل عليه عبدُ الله بن أُنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذَه ، وهو يقول : قَطْني قطْني ، أي حسبي حسبي . قال : وخرجنا وكان عبد الله بن عُتيك رجلاً سيء البصر ، فوقع من الدرجة ، فوُثِئت[٣] يدُه وَثْأً شديداً ، ويقال : رجله ـــ فيما قال ابن هشام وغيره ـــ . قال : وحملناه حتى نأتي منهراً[٤] من عيونهم فندخل

(١) « عَجَلة » : درج من جذوع النخل ، منقور وغير منقور . « فأسندوا فيها » : صعدوا .

(٢) في السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢٧٥/٢ : « أن تكون دونه مُجاوِلةٌ تحولُ بيننا وبينه » .

(٣) « وثِئتْ يده » : ووثِئت ـــ بالتاء ـــ : وجع عظمها وجعاً لم يبلغ الكسر ، أو حصل فيها انفكاك .

(٤) « مَنْهَراً » : خرق في الحِصْن يدخل منه الماء .

فيه . قال : فأوقدوا النيران واشتدوا في كل وجه يَطلبون ، حتى إذا يئسوا رجعوا إلى صاحبهم فاكتنفوه وهو يقضي بينهم . قال : فقلنا : كيف لنا بأن نعلمَ بأن عدو الله قد مات ؟ قال : فقال رجل منا : أنا أذهبُ فأنظرُ لكم فانطلقَ حتى دخل في الناس . قال : فوجدتُها ورجالُ يهود حولهُ ، وفي يدها المصباح تنظر في وجهه ، وتحدثهم وتقول : أما والله لقد سمعت صوتَ ابن عَتيك ثم أُكذبتُ[1] . قلت : أنّى ابن عتيك بهذه البلاد ؟ ثم أقبلتْ تنظرُ في وجههِ ، ثم قالت : فاضَ وإله يهود . فما سمعتُ من كلمةٍ كانت ألذَّ إلى نفسي منها . قال : ثم جاءنا فأخبرَنا الخبرَ ، فاحتملْنَا صاحبَنَا ، فقدمنا على رسول الله ﷺ فأخبرناه بقتل عدو الله ، واختلفنا عندَه في قتله ، كلُّنا يدعي . قال : فقال رسول الله ﷺ هاتوا أسيافَكم فجئناه بها ، فنظرَ إليها ، فقال لسيف عبد الله بن أُنيس : هذا قتلَه ، أرى فيه أثرَ الطعام [2].

قال ابن سعد : هي في شهر رمضان سنة ست ، قال : وقالوا : كان أبو رافع قد أجلبَ في غطفان ومَن حولَه من مشركي العرب ، وجعلَ لهم الجعلَ العظيم لحرب رسول الله ﷺ [3].

وذكر ابن عقبة فيمن قتلَ أبا رافع : أسعدَ بن حرام ولم يذكرْه غيره .

● والعجلة : درجة من نخل ، قاله القُتَبي[4] .

* * *

---

(١) « أُكذبتُ » : كذبت نفسي .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٢٧٤ ــ ٢٧٥ .

(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/٩١ وفيها : أن تقديم عبد الله بن عتيك عليهم كان لمعرفته لغة يهود .

(٤) « القُتَبي أو القُتَيْبي » : نسبة إلى قُتَبة ، بطن من باهلة ، وإلى قُتيبة : جد أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري الكاتب ، له « غريب الحديث » وغيره توفي سنة ٢٧٦هـ . اللباب ؛ لابن الأثير ٣/١٥ .

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

رضي الله عنهما

روينا عن ابن إسحاق قال : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد . مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي ، عن حبيب بن أبي أوس ، قال : حدثني عمرو بن العاص من فيه ، قال : لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق ، جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون رأيي ويَسمعون مني ، فقلت لهم : تعلمون والله إني أرى أمرَ محمد يعلو الأمور علواً منكراً ، وإني قد رأيتُ أمراً فما ترون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيتَ ؟ قلت : رأيتُ أن نكونَ عند النجاشي ، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي ، فإنا أن نكون تحت يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ، وإن ظهر قومُنا فنحن من قد عُرفوا ، فلن يأتينَا منهم إلا خيرٌ . قالوا : إنَّ هذا لرأي . قلت : فاجمعوا ما نهدي له ، وكان أحبُّ ما يُهدى إليه من أرضنا الأدَمَ ، فجمعنا له أدَماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه ، فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضَّمْري ، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه ، قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال : قلت لأصحابي هذا عمرو بن أمية الضَّمْري لو دخلتُ على النجاشي فسألتُه إياه ، فأعطانيه فضربتُ عنقَه ، فإذا فعلتُ ذلك رأتْ قريش أني قد أجزأتُ عنها حين قتلتُ رسولَ محمد . قال : فدخلتُ وسجدت له كما كنت أصنع . فقال : مرحباً بصديقي ، أهديتَ إلي من بلادك شيئاً ؟ قال : قلت : نعم أيها الملك . قد أهديت لك أَدَماً كثيراً . قال : ثم قربته إليه فأعجَبَه ذلك واشتهاه . ثم قلت له : أيها الملك إني قد رأيتُ رجلاً خرج من عندك، وهو رسولُ رجلٍ عدوٌ لنا ، فأعطنيه لأقتلَه ، فإنه قد أصابَ منا من أشرافنا وخيارِنا . قال : فغضبَ ، ثم مدَّ يدَه فضربَ بها أنفَه ضربةً ظننتُ أنه قد كسرَه ، فلو انشقتْ لي الأرضُ لدخلتُ فيها فَرَقاً منه . ثم قلت له : أيها الملك والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتُكَه . قال : أتسألني أن أعطيَك رسولَ رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي على موسى لتقتلَه ؟ قال : فقلت : أيُها الملك ! أكذاك هو ؟ قال : ويحكَ يا عمرو ! أَطِعْني واتَّبِعْه ، فإنه والله لعلى الحق ، ولَيظهرنَّ على من خالفه كما ظهر موسى على فرعونَ وجنودِه . قال :

قلت : أفتبايعني على الإسلام ؟ قال : نعم . فبسطَ يدَه فبايعتُه على الإسلام ، ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه ، وكتمتُ أصحابي إسلامي .

ثم خرجت عامداً إلى رسول الله ﷺ لأسلم ، فلقيتُ خالد بن الوليد ، وذلك قُبيل الفتح ، وهو مقبل من مكة ، فقلت : أين يا أبا سليمان ؟ والله لقد استقام المِيْسم[1] ، وإن الرجلَ لنبيٌّ ، أذهبُ والله فأسلم ، فحتى متى ، قال : قلت : وأنا والله ما جئتُ إلا لأُسلم . قال : فقدمنا المدينة على رسول الله ﷺ ، فتقدم خالد بن الوليد فأسلَم وبايعَ ، ثم دنوتُ ، فقلت يا رسول الله إني أبايعك على أن يُغفر لي ما تقدم من ذنبي — ولم أذكر ما تأخر — فقال رسولُ الله ﷺ : يا عمرو بايعْ فإن الإسلامَ يَجُبُّ ما كان قبلَه ، وإن الهجرةَ تجبُّ ما كان قبلَها . قال : فبايعتُه ثم انصرفت .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما[2] .

قال أبو القاسم السهيلي : وذكر الزبير حديثَ عمرو هذا ، وقال : وقدم معهما عثمان بن طلحة صحبهما في تلك الطريق . قال عمرو : وكنتُ أسنَّ منهما ، فأردتُ أن أكيدَهما فقدَّمتهما قبلي للمبايعة ، فبايعا رسولَ الله ﷺ على أن يُغفرَ لهما ما تقدَّم من ذنبهما ، وأضمرتُ في نفسي أن أذكرَ ما تقدم من ذنبي وما تأخَّر ، فلما بايعتُ قلتُ : على أن يُغفرَ لي ما تقدم من ذنبي . وأُنسيت أن أقول ما تأخر[3] .

● قوله قد استقام المِيْسم : أي ظهرت العلامة ، ومن رواه المَنْسم بالنون ، أراد الطريق .

* * *

---

(١) « المَيْسَم » : العلامة .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٢٧٦ — ٢٧٨ .

(٣) الروض الأنف ٣/٣٠٤ .

غزوة بني لِحْيان

هي عند ابن سعد لغرة هلال شهر ربيع الأول سنة ست(١) .

وقال ابن إسحاق : وخرج ـــ يعني النبيَّ ﷺ ـــ في جُمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح بني قُريظة إلى بني لِحيان ، يطلبُهم بأصحاب الرجيع ، خبيب بن عدي وأصحابه ، وأظهر أنه يُريد الشام ؛ ليُصيبَ من القوم غِرَّة ، واستعمل على المدينة ابنَ أم مكتوم فيما قال ابن هشام ، حتى أتى منازل بني لِحيان ، فوجدهم قد حَذِروا وتمنَّعوا في رؤوس الجبال ، فلما نزلها رسولُ الله ﷺ ، وأخطأه من غِرتهم ما أراد . قال : لو أنا هبطنا عُسفانَ لرأى أهلُ مكة أنا قد جئنا مكة ، فخرجَ في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عُسفان ، ثم بعثَ فارسين من أصحابه حتى بلغا كُراع الغميم(٢) ، ثم كَرّا .

وراح رسولُ الله ﷺ قافلاً ، فكان جابر بن عبد الله يقولُ : سمعت رسول الله ﷺ يقول حين وَجَّه : « آيبون تائبون إن شاء الله ، لربنا حامدون ، أعوذُ بالله من وَعْثَاء السفر ، وكآبة المنقلب ، وسوء المنظر في الأهل والمال » .

والحديث عن غزوة بني لِحْيان : عن عاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، عن عبد الله بن كعب بن مالك(٣) .

وقال ابن سعد : فبعث أبا بكر في عشرة فوارس لتسمعَ به قريش فيَذْعَرهم ، فأتوا الغميم ثم رجعوا ولم يلقوا أحداً(٤) .

* * *

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٧٨/٢ .
(٢) « كُراع الغميم » : واد بعد عُسفان بثمانية أميال ، وقيل : بين عُسْفان ومرِّ الظَّهْران .
(٣) السيرة النبوية ٢٧٩/٢ ـــ ٢٨٠ .
(٤) الطبقات الكبرى ٧٩/٢ .

غزوة ذي قــرد
ويقال لها غزوة الغابة

قال ابن إسحاق : ثم قدم رسول الله ﷺ المدينة ، فلم يقم بها إلا ليالي قلائل ، حتى أغـار عُيينــة بن حِصــن بن حذيفــة بن بدر الفِزاري في خيـل من غَطَفـان على لِقـاح[1] رسول الله ﷺ بالغابة ، وفيها رجل من بني غفار وامرأة له ، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح .

فحــدثني عـاصم بن عمـر بن قتــادة ، وعبـد الله بن أبي بكـر ، ومَنْ لا أتهـم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، كلٌّ قد حدَّث في غزوة ذي قرد بعضَ الحديث ، أنه كان أول من نَذِر بهم[2] سـلمةُ بن عمرو بن الأكوع ، غدا يُريد الغابةَ مُتَوَشِّحاً قوسَه ونبلَه ، ومعه غلام لطـلحةَ بن عبيد الله معه فرس له يقوده ، حتى إذا علا ثنية الوَدَاع ، نظرَ إلى بعض خيولهم ، فأشرف إلى ناحية سَلْع ، ثم صرخَ واصباحاه ، ثم خرج يشتدُّ في آثار القوم ، وكان مثل السَّبُع ، حتى لحق القومَ ، فجعل يردهم بالنبل ، ويقول إذا رمى :

* خذها وأنا ابنُ الأكوعْ *
* واليومُ يومُ الرُّضعْ[3] *

فإذا وُجِّهت الخيل نحوه انطلق هارباً ، ثم عارضهم ، فإذا أمكنه الرمي رمى ، ثم قال :

* خذها وأنا ابنُ الأكوعْ *
* واليومُ يومُ الرُّضعْ *

---

(١) « لِقَاح » : جمع لِقحة ، بكسر اللام وفتحها : هي الناقة ذات الدَّر ، لم يمض على ولادتها أكثر من ثلاثة أشهر .

(٢) « نَذِرَ » : علم .

(٣) « الرُّضع » : جمع راضع ، وهو اللئيم ، والمعنى : اليوم يوم هلاك اللئام .

قال : فيقول قائلُهم : أوُكَيِّعنا[1] ! هو أول النهار .

قال : وبلغ رسولَ الله ﷺ صياحُ ابن الأكوع ، فصُرِخَ في المدينة : الفزعَ الفزعَ ! فكان أول من انتهى إلى رسول الله ﷺ من الفرسان : المقداد بن عمرو ـــ وهو الذي يقال له : المقداد بن الأسود حليف بني زهرة ـــ ثم عباد بن بشر ، وسعد بن زيد ، أحد بني كعب بن عبد الأشهل ، وأُسيد بن ظهير ـــ يُشَكُّ فيه ـــ وعُكَّاشة بن مِحصن ، ومُحرز بن نضلة ، وأبو قتادة ، وأبو عيَّاش عبيد بن زيد بن صامت أخو بني زُريق ، فلما اجتمعوا إلى رسول الله ﷺ أمَّرَ عليهم سعد بن زيد ، ثم قال : اخرج في طلب القوم ، حتى ألحقَكَ بالناس .

وقد قال رسول الله ﷺ فيما بلغني ، عن رجال من بني زريق ، لأبي عياش : يا أبا عياش لو أعطيتَ هذا الفرسَ رجلاً هو أفرسُ منك فلحق بالقوم . فقال أبو عياش : قلت : يا رسول الله ، أنا أفرسُ الناس ، ثم ضربتُ الفرسَ ، فوالله ما جرى بي خمسين ذراعاً حتى طرحني ، فعجبت أن رسولَ الله ﷺ يقولُ : لو أعطيتَه أفرسَ منك ، وأنا أقولُ : أنا أفرسُ الناس . فزعم رجالٌ من بني زُريق أن رسولَ الله ﷺ أعطى فرسَ أبي عيَّاش معاذَ بن ماعص ـــ أو عائذَ بنَ ماعصِ بن قيس بن خلدة وكان ثامناً ـــ .

كذا وقع هنا ـــ وبعض الناس يقول : إن معاذ بن ماعص وأخاه عائذاً قتلا يوم بئر معونة شهيدين ، وقد تقدم ذلك ، وبعض الناس يعد سلمةَ بنَ الأكوع أحدَ الثمانية ، ويطرحُ أُسيد بن ظَهير ، ولم يكن سلمة يومئذ فارساً ، قد كان أوَّلَ من لحق بالقوم على رجليه ، فخرج الفرسان في طلب القوم حتى تلاحقوا .

فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن أوَّلَ فارس لحق بالقوم محرز بن نضلة ، أخو بني أسد بن خزيمة ، وكان يُقال لمحْرز : الأخرم ، ويُقال له : قمير ، وأن الفزعَ لما كان جال فرسٌ لمحمود بن مسلمة في الحائط حين سمع صاهلة الخيل ، وكان فرساً صنيعاً[2] جَامًّا ، فقال نساء من نساء بني عبد الأشهل ـــ حين رأين الفرس يجول في الحائط ، بجذعِ نخل هو مربوط

---

(١) « أوكَيِّعَنا » : الهمزة الأولى للنداء ، وأُكَيِّع : تصغير أكوع ؛ سهلت همزته واواً بعد التصغير = وُكَيِّع .
(٢) « صنيعاً » : مُنْشَأ بعناية واهتمام ، و« جَاماً » : مرتاحاً .

به ـــ : يا قمير ! هل لك في أن تركب هذا الفرس فإنه كما ترى ، ثم تلحق برسول الله ﷺ وبالمسلمين ؟ قال : نعم . فأعطينه إياه ، فخرج عليه ، فلم يلبث أن بذَّ الخيل لجِمَامه ، حتى أدركَ القوم ، فوقف لهم بين أيديهم ، ثم قال : قفوا يا معشر بني اللَّكِيعة[1] ، حتى يلحق بكم من وراءكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار . قال : وحمل عليه رجل منهم فقتلَه ، وجال الفرسُ فلم يُقدر عليه ، حتى وقف على أرِيِّه[2] في بني عبد الأشهل ، فلم يُقتل من المسلمين غيره .

قال ابن هشام : قُتل يومئذ من المسلمين مع محرز : وقَّاص بن محرز المُدْلجِي ، فيما ذكر غير واحد من أهل العلم[3] .

قال ابن إسحاق : ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة حبيبَ بن عُيينة بن حصن ، وغَشَّاه بردَه ثم لحق بالناس . وأقبل رسولُ الله ﷺ في المسلمين ـــ واستعمل على المدينة ابنَ أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام ـــ فإذا حبيب مُسَجًّى ببرد أبي قتادة ، فاسترجع الناس ، وقالوا : قُتل أبو قتادة . فقال رسولُ الله ﷺ : « ليس بأبي قتادة ، ولكنه قتيل لأبي قتادة وضعَ عليه بردَه ، لتعرفوا أنه صاحبُه .

وأدرك عُكَّاشَةُ بن محصن أوباراً وابنه عمرو بن أوبار ، وهما على بعير واحد ، فانتظمهما بالرمح فقتلَهما جميعاً ، واستنقذوا بعضَ اللِّقاح ، وسارَ رسولُ الله ﷺ حتى نزل بالجبل من ذي قَرد ، وتلاحق به الناسُ ، وأقام عليه يوماً وليلة ، وقال له سلمة بنُ الأكوع : يا رسول الله لو سرحتني في مائة رجل لاستنقذتُ بقيةَ السَّرْحِ ، وأخذتُ بأعناق القوم . فقال رسول الله ﷺ فيما بلغني : إنهم الآن ليغبقون[4] في غطفان ، فقسم رسولُ الله ﷺ في أصحابه ، في كل مائة رجل جزوراً ، وأقاموا عليها ، ثم رجع رسول الله ﷺ قافلاً حتى قدم المدينة ، وأقبلتِ امرأةُ الغِفاري على ناقة من إبل رسول الله ﷺ ، حتى قدمت عليه فأخبرته الخبر ، فلما فرغتْ ، قالت : يا رسول الله ! إني قد نذرتُ لله أن أنحرَها إن نجاني الله عليها .

---

(١) « اللَّكيعة » : اللئيمة .

(٢) « أرِيِّه » : مربطه .

(٣) السيرة النبوية ٢/٢٨١ ـــ ٢٨٣ .

(٤) « ليُغبقون » : يُسقون الغبوقَ : وهو اللبن يُشرب في العشيّ .

قال : فتبسَّم رسولُ الله ﷺ ، قال : « بئس ما جَزَيْتِها أن حملك الله عليها ، ونجاكِ بها ثم تنحرينها ، لا نذر في معصية الله ، ولا فيما لا تملكين ، إنما هي ناقة من إبلي ، ارجعي إلى أهلك على بركة الله » .

والحديث[1] عن امرأة الغِفاري وما قالت ، وما قال لها رسول الله ﷺ ، عن أبي الزبير المكي ، عن الحسن البصري .

وقال ابن عقبة : كان رئيس القوم ـــ يعني المشركين ـــ مَسعدةُ الفِزاري ، وهو عنده قتيل أبي قتادة ، وفيه قوله عليه الصلاة والسلام : « لتعرفوه ، فتخلُّوا عن قتيله وسلبه » . ثم إن فوارسَ النبي ﷺ أدركوا العدو والسَّـرْح ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، واستنقذوا السَّرْحَ ، وهزم الله تعالى العدو . ويُقال : قتل أبو قتادة قِرفة ابن امرأة مسعدة .

وأما ابنُ سعد ، فقال : وقتل المقدادُ بن عمرو حبيبَ بن عيينة بن حصن ، وقِرفة بن مالك بن حذيفة بن بدر[2] .

قال ابن عقبة : وقُتل يومئذ من المسلمين الأجْدع محرز بن نضلة قتله أوبار ـــ كذا قاله ـــ وهو عند ابن سعد أثار ، وعند ابن عائذ أبار . فشدَّ عُكَّاشة بن محصن فقتل أوباراً وابنَه .

وذكر ابن عائذ عن الوليد بن مسلم ، عن عبد الله بن لَهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة نحوَ ما ذكرنا عن ابن عقبة .

وذكر ابن سعد أنها في شهر ربيع الأول سنة ست من الهجرة ، وأن اللقاح عشرون ، فأغار عليها عُيينةُ في ليلة الأربعاء في أربعين فارساً ، فاستاقوها ، وكان أبو ذر فيها ، وقتلوا ابنَ أبي ذر ، وجاء الصريخ ، فنادى : الفزعَ الفزعَ ، فنُودي : يا خيلَ الله اركبي . وكان أوَّلَ ما نودي بها[2] .

قلت : قد تقدم عن قتادة من طريق ابن عائذ النداء بـ : يا خيَلَ الله اركبي في وقعة بني

---

(١) الحديث في السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٨٠ عن الحسن البصري ، ومعناه في صحيح مسلم عن عمران بن حصين في النذر (باب لا وفاء لنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك العبد) رقم /١٦٤١/ .

(٢) الطبقات الكبرى ٢/٨٠ .

قريظة ، وهي قبل هذه عندهم .

وركبَ(١) رسولُ الله ﷺ ، فخرجَ غداةَ الأربعاء في الحديد مقنعاً فوقفَ ، وكان أوَّلَ من أقبلَ إليه المقدادُ بن عمرو ، وعليه الدرع والمِغفر شاهراً سيفه ، فعقد له رسول الله ﷺ لواء في رمحه وقال : امضِ حتى تلحقَك الخيلُ ، وخلَّف سعدَ بن عبادة في ثلاثمائة من قومه يحرسون المدينة . قال : وذهب الصريخ إلى بني عمرو بن عوف ، فجاءت الأمدادُ ، فلم تزلْ الخَيلُ تأتي ، والرجال على أقدامهم وعلى الإبل ، حتى انتهوا إلى رسول الله ﷺ بذي قرد ، فاستنقذوا عشرَ لقاح ، وأفلت القوم بما بقي ، وهو عشر . وصلى رسول الله ﷺ بذي قرد صلاة الخوف ، وأقام به يوماً وليلة يتحسب(٢) الخبر ، وقسمَ في كل مائة من أصحابه جزوراً ينحرونها ، وكانوا خمسمائة ، ويقال سبعمائة ، وبعث إليه سعد بن عبادة بأحمالِ تمرٍ ، وبعشر جزائر ، فوافت رسولَ الله ﷺ بذي قرد . قال ابن سعد : والثبت عندنا أن سعد بن زيد أمير هذه السرية ، ولكن الناس نسبوها للمقداد ، لقول حسان :

(غداة فوارس المقداد) .

قلت : وأوله :

ولَسَـــرَّ أولادَ اللقـيـطـــة أننــا   سِـــلمٌ غـداةَ فـوارسِ المقـدادِ

قال : فعـاتبه سعد ، فقال : اضطرني الرويُّ إلى المقداد . ورجعَ رسول الله ﷺ إلى المدينة يوم الاثنين وكان قد غاب خمس ليال .

وفي رواية لابن سعد في هذا الخبر : عن هاشم بن القاسم ، عن عكرمة بن عمار ، حدثني إياس بن سلمة ، عن أبيه ، قال : خرجتُ أنا ورباح ، غلامُ النبي ﷺ ، وخرجتُ بفرس لطلحة بن عُبيد الله ، كنت أريد أن أنَدّيَه(٣) مع الإبل ، فلما أن كان بغلس أغار عبدُ الرحمن بن عُيينة على إبل رسول الله ﷺ ، فقتل راعيَها ، وخرج يطردُهَا ، وذكر نحو

---

(١) رجع إلى ابن سعد .

(٢) « يتحسَّبُ » : يتعرف ويتوخى ويستخبر . وفي الطبقات الكبرى : يتحسس .

(٣) « أنَدّيه » : من التندية ، وهي أن تورد الإبل والخيل ساعة ، ثم تردُّ إلى المرعى ساعة ، ثم تردُّ إلى الماء مرة أخرى . وفي نسخة « هـ » : « أبدّيه » بالباء ، أي : أخرجه إلى البَادية.

ما تقدم ، وفيه حتى ما خلق الله شيئاً من ظَهْرِ النبيِّ ﷺ إلا خلفته وراء ظهري ، ثم لم أزل أرميهم ، حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رمحاً ، وأكثر من ثلاثين بردة ، يستخفونها ، ولا يُلقون من ذلك شيئاً إلا جعلت عليه حِجارةً ، وجمعته على طريق رسول الله ﷺ ، وفيه : أنه جلاهم عن ماء ذي قرد ، ويخلفون فرسين ، فجئتُ بهما أسوقهما إلى رسول لله ﷺ ، وفيه : قوله عليه الصلاة والسلام : « إنهم الآن يُقْرَوْنَ بأرض غطفان » . قال : فجاء رجل من غطفان ، فقال مَرُّوا على فلان الغطفاني ، فنحر لهم جَزوراً ، فلما أخذوا يكشطون جلدَها رأوا غبرةً ، فتركوها وخرجوا هِراباً ، فلما أصبحنا ، قال رسول الله ﷺ : خيرُ فرساننا اليوم أبو قتادة ، وخيرُ رَجَّالتِنا سلمة ، فأعطاني رسول الله ﷺ سهمَ الراجلِ والفارس جميعاً[1] .

وفي رواية البخاري لهذا الخبر ، من طريق سلمة ، فقلت : يا نبيَّ الله قد حميت القوم الماء وهم عطاش ، فابعث إليهم الساعة ، فقال : « يا ابنَ الأكوع ملكتَ فأسجحْ »[2] .

ذكر فوائد تتعلق بهذه الواقعة

● قَرَد : مفتوح القاف والراء ، وحكى السهيلي عن أبي علي الضَّمَّ فيهما .

● وقوله : اليومَ يومُ الرُّضَّع : يُريديومَ هلاك الرُّضع ، والرُّضع : اللئام ، من قولهم : لئيم راضع ، وهو الذي يرضع الغنَم ولا يحلبها ، فيُسمَعَ صوتُ الحلب ، وقد قيل فيه غير ذلك .

● ومحرز بن نَضْـلة : المعروف فيـه سكون الضـاد ، ورأيت عن الدارقطني فتحَها ، وحكى البغوي عن ابن إسحاق : محرز بن عون بن نضلة ، وبعضهم يقول : ابن ناضلة .

* * *

(١) الطبقات الكبرى ٢/٨٠ ــ ٨٤ بتصرف واختصار .

(٢) رواه البخاري في المغازي (باب غزوة ذات القرد) رقم /٤١٩٤/ ، ومعنى « أسجحْ » : أحسن العفو .

سرية سعيد بن زيد إلى العُرَنيِّن

وهي في شوال سنة ست عند ابن سعد[1]

قال ابن عقبة : وكان قد قدم على رسول الله ﷺ نفر من عُرينة ، وعرينة حيٌّ من بَجيلة ، وكانوا مجهودين مضرورين ، قد كادوا يهلكون ، فأنزلَهم عندَه ، وسألوه أن يُنحِيهم من المدينة ، فأخرجَهم رسولُ الله ﷺ إلى لقاح له بفيفاء الخبَار[2] من وراء الحِمى ، فيها مولى لرسول الله ﷺ يُدعى يساراً ، فقتلوه ، ثم مَثَّلوا به ، واستاقوا لقاحَ رسول الله ﷺ ، فبعث رسولُ الله ﷺ في آثارهم ، فأدركوا فوق المُنَقَّى[3] ، فأمرَ بهم رسولُ الله ﷺ ، فقُطِّعتْ أيديهم وأرجلُهمُ ، وسمَلَ أعينَهم ، وأمير الخيل يومئذٍ سعيد بن زيد . وتحدث بهذا الحديث كما زعموا أنس بن مالك ، وذكروا أن رسول الله ﷺ نهى بعد ذلك عن المُثَل بالآية التي في سورة المائدة : ﴿ إنما جزاء الذين يُحاربونَ الله ورسولَه ويَسعون في الأرض فَسَاداً أن يُقَتَّلوا أو يُصلَّبوا أو تُقَطَّعَ أيديهم وأرجلُهم من خِلاف أو يُنفوا من الأرض ذلك لهم خزيٌ في الدنيا ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم ﴾ [المائدة : ٣٣] هذه الآية والتي بعدها .

قرىء على أبي محمد عبد الرحيم بن يوسف المِزِّي ، وأنا أسمع ، أخبرك أبو علي حنبل بن عبد الله بن الفرج ؟ فأقرَّ به . أخبرنا الرئيس أبو القاسم بن الحُصَين ، أخبرنا أبو علي بن المُذَهَّب ، أخبرنا أبو بكر القَطِيعيّ ، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، أخبرنا أبي ، حدثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال : أسلم ناسٌ من عُرينة ، فاجْتَوَوْا المدينةَ ، فقال لهم رسولُ الله ﷺ لو خرجتم إلى ذَوْدٍ[4] لنا ، فشربتُم من ألبانها . قال حُميد : وقال قتادة عن أنس : وأبوالِها . فلما صَحُّوا كفروا بعدَ إسلامهم ، وقتلوا راعيَ النبيِّ ﷺ مؤمناً أو

---

(١) الطبقات الكبرى ٢/٩٣ .

(٢) « فيفاء الخَبَار » : موضع قرب المدينة ، والفيفا : الأرض الواسعة ، والخَبَار : الأرض السهلة . معجم ما استعجم ٣/١٠٣٦ ــ ١٠٣٧ .

(٣) « المُنَقَّى » : موضع على سِيف البحر مما يلي المدينة .

(٤) « ذَوْدٍ » : المجموعة من النوق لا تقل عن ثلاث .

مسلماً ، وساقوا ذَوْدَ رسول الله ﷺ وهربوا محاربين ، فأرسلَ رسولُ الله ﷺ في آثارهم ، فأُخذوا ، فقطَّعَ أيديَهم وأرجلَهم وسمَّرَ أعينَهم[1] ، وتركهم في الحرة حتى ماتوا .

وقال ابن سعد : وبلغَ رسولَ الله ﷺ الخبرُ ، فبعثَ في أثرهم عشرين فارساً ، واستعمل عليهم كرزَ بن جابر الفِهري ، فأدركوهم ، فأحاطوا بهم ، فأسروهم وربطوهم وأردفوهم على الخيل ، حتى قدموا المدينة ، قال : وكانت اللقاح خمس عشرة غَزاراً ، فردوها إلى المدينة ، ففقد رسول الله ﷺ منها لقحةً تُدعى الحِنَّاء ، فسأل عنها فقيل نحروها .

ذكر فوائد تتعلق بهذا الخبر

● قد تقدم أن نفراً من عُرينة ، وروي من عُكَل أو عرينة على الشك ، وروي من عُكل وعُرينة من غير شك ، وروي : أن نفراً قدموا ولم يذكر من أي قبيلة هم . والكل في الصحيح[1] من حديث أنس ، فأما عُرينة ففي بَجيلة وقُضاعة ، فالذي في بجيلة عُرينة بن نذير بن قسر بن عبقر ، وعبقر أمه بجيلة ، قاله الرُّشاطي ، قال : ومنهم الرهط الذين أغاروا على إبل النبي ﷺ . قال : والعَرَن : حكة تصيب الفرس والبعير في قوائمهما . وأما عُكل ففي الرباب ، وعكل امرأة حضنت بني عوف بن وائل بن قيس بن عوف بن عبد مناة من الرباب ، حكى ابن الكلبي ، قال : ولد عوف بن وائل الحارث وجشماً وسعداً وعلياً وقيساً ، وأمهم ابنة ذي اللَّحيْة من حمير ،وحضنتهم عُكَل أمة لهم ، فغلبت عليهم . قال ابن دُريد : اشتقاق عكل من عكلت الشيء إذا جمعته ، وقال غيره : يكون من عَكَل يَعْكُلُ : إذا قال برأيه ، مثل حَدَسَ ، ورجل عَكْليٌّ ، أي : أحمق . منهم من الصحابة : خزيمة بن عاصم بن

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ١٠٧/٣ بهذا اللفظ والإسناد ، ورواه البخاري في الحدود (باب المحاربين) رقم /٦٨٠٢/ ، ومسلم في القسامة (باب حكم المحاربين والمرتدين) رقم /١٦٧١/ ، وأبو داود في الحدود (باب ما جاء في المحاربة) رقم /٤٣٦٤/ ، والترمذي في الطهارة (باب ما جاء في بول ما يؤكل لحمه) رقم /١٨٤٦/ ، والنسائي في تحريم الدم (باب تأويل قول الله عز وجل : إنما جزاء الذين يُحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً) ٩٣/٧ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ ، وابن ماجه في الحدود (باب من حاربَ وسعى في الأرض فساداً) رقم /٢٥٧٨/ .
ومعنى : « سمَّرَ أعينهم » : سملَها ، فقأها بحديد أو شوك ، ونحو ذلك .

قطن بن عبد الله بن عبادة بن سعد بن عوف المذكور ، لم يذكره أبو عمر ، ولا نسبه ابن فتحون ، قاله الرشاطي .

● وقوله : فـاجتووا المدينـة : قال ابن سِيده : وجوي الأرض جوىً ، واجتواها : لم توافقه . وقد وقع في بعض الروايات أنهم شكوا أجوافَهم .

● وأبوال الإبل وألبانها يدخل في شيء من علاج الاستسقاء (وهي)[1] ، إبل البادية التي ترعى الشيح والقيصوم .

● وقول ابن عقبة : وذكروا أن رسولَ الله ﷺ نهى بعد ذلك عن المُثَل ، فمن الناس من رأى ذلك ، وزعم أن هذا الخبر منسوخ بقوله تعالى : ﴿ إنما جزاء الذين يُحاربون الله ورسولَه ﴾ [المائدة : ٣٣] الآية ، وبنهيه عليه الصلاة والسلام عن المثلة ، وقد روي في ذلك شيء عن بعض السلف ، ومن الناس من أبى ذلك ، وقد يترجح هذا لأنه مختلف في سبب نزول هذه الآية ، فقد ذكر البغوي وغيره لنزولها قصةً غير هذه ، وأيضاً فليس فيها أكثر مما تشعره لفظة « إنما » من الاقتصار في حد الحِرابة على ما في الآية ، وأما من زاد على الحِرابة جنايات أُخر كما فعل هؤلاء ، حيث زادوا بالردة ، وسمل أعين الرعاء وغير ذلك . فقد روينا في خبرهم عن ابن سعد أنهم قطعوا يدَ الراعي ورجله ، وغرسوا الشوك في لسانه وعينيه حتى مات ، فليس في الآية ما يمنع من التغليظ عليهم ، والزيادة في عقوبتهم ، فهذا قِصاص ليس بمثلة ، والمثلة ما كان ابتداء من غير جزاء . وقد روينا من طريق الترمذي والنسائي جميعاً : عن الفضل بن سهل ، عن يحيى بن غيلان ـــ وثقّهما النسائي ـــ عن يزيد بن زريع ، عن سليمان التيمي ، عن أنس بن مالك ، قال : إنما سملَ النبيُّ ﷺ أعينَ أولئك العُرَنيين ؛ لأنهم سملوا أعينَ الرعاء ، ولو أن شخصاً جنى على قوم جنايات في أعضاء متعددة ، فاقتص منه للمجني عليهم ، لما كان التشويه الذي حصل به ، من المثلة المنهي عنها . وإذا اختلفت في سبب نزول الآية الأقوال ، وتطرق إليها الاحتمال فلا نسخ . وقد روي هذا الحديث عن أنس من غير وجه ، وروي أيضاً من حديث ابن عمر[2] وعائشة وغيرهما ، ولو لا ما شرطناه من الاختصار لأوردنا طرفاً من طرقه ، ولبسطنا الكلام عليه .

---

(١) زيادة للتوضيح .

(٢) حديث ابن عمر رواه أبو داود في الحدود (باب ما جاء في المحاربة) رقم /٤٣٦٩/ ، والنسائي في تحريم الدم

غزوة بني المُصْطَلِق

وهي غزوة المريسيع

وهي في شعبان سنة ست عند ابن إسحاق ، وفي سنة أربع عند موسى بن عقبة ، وفي شعبان سنة خمس يوم الاثنين لليلتين خلتا منه عند ابن سعد ، والخندق بعدها عنده في ذي القَعدة من السنة .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ومحمد بن يحيى بن حَبَّان ، كل قد حدثني بعض حديث بني المصطلق قالوا : بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يَجمعون له ، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار ، أبو جويرية بنت الحارث زوج النبيِّ ﷺ ، فلما سمع رسول الله ﷺ بهم خرجَ إليهم حتى لقيَهم على ماء من مياههم ، يُقال له : المريسيع ، من ناحية قُديد إلى الساحل ، فتزاحفَ النَّاسُ واقتتلوا ، فهزمَ الله بني المُصْطَلِق وقُتل من قُتل منهم ، ونفَّل رسولُ الله ﷺ أبناءَهم ونساءَهم وأموالهم ، فأفاءهم عليه[1] .

وذكر ابن سعد أن رسولَ الله ﷺ بعث بُريدة بن الحُصَيب الأسلمي يعلمُ علمَ ذلك ، فأتاهم ، ولقي الحارث بن أبي ضرار وكلّمه ، ورجعَ إلى رسول الله ﷺ ، فأخبره خبرهم . فندبَ رسولُ الله ﷺ الناسَ إليهم ، وأسرعوا الخروج ، وقادُوا الخيلَ ، وهي ثلاثون فرساً ، في المهاجرين منها عشرة ، وفي الأنصار عشرون . واستخلف على المدينة زيدَ بن حارثة[2] .

وقال ابن هشام : استعمل عليها أبا ذر الغفاري ويقال : نُميلة بن عبد الله الليثي[1] .

رجع إلى خبر ابن سعد : وكان معه فرسان : لِزَاز ، والظرب ، وبلغَ الحارثَ بنَ أبي

= (باب تأويل قول الله عز وجل : إنما جزاء الذين يُحاربون الله ورسوله) ١٠٠/٧ ، و٩٨/٧ عن سعيد بن المسيب مرسلاً ، و٩٩/٧ عن عائشة رضي الله عنها . كما رواه أبو داود والنسائي عن أبي الزناد وعبد الله بن ذكوان مرسلاً أيضاً ، ويشهد للمرسل من هذه الروايات ما تقدم مرفوعاً عن أنس وغيره في الكتب الستة .

(١) السيرة النبوية ٢٨٩/٢ ــ ٢٩٠ .

(٢) الطبقات الكبرى ٦٣/٢ .

ضِرار ومن معه مسيرُ رسول الله ﷺ إليهم ، وأنه قد قَتلَ عينَه الذي كان قد وجَّهه ليأْتيَه بخبر رسول الله ﷺ فسيء بذلك الحارث ومن معه ، وخافوا خوفاً شديداً ، وتفرَّق عنهم من كان معهم من العرب ، وانتهى رسولُ الله ﷺ إلى المريسيع ، وهو الماء ، فضربَ عليه قُبَّته ، ومعه عائشة وأم سلمة ، فتهيَّؤوا للقتال ، وصفَّ رسولُ الله ﷺ(١) ، ودفعَ راية المهاجرين إلى أبي بكر ، ورايةَ الأنصـار إلى سعد بن عُبادة ، فتراموْا بالنبل ساعةً ، ثم أمر رسولُ الله ﷺ أصحـابَه فحمـلُوا حملةَ رجلٍ واحد ، فما أفلت منهم إنسـان ، وقُتل عشرةٌ منهم ، وأُسر سائرُهم ، وسبى رسولُ الله ﷺ الرجالَ والنساء والذرية(٢) .

وقد روينا من طريق مسلم خلافَ ذلك ، قال : حدثنا يحي بن يحي التميمي ، حدثنا سُليم بن أخضر ، عن ابن عون ، قال : كتبتُ إلى نافع أسأله عن الدعاء قبل القتال فكتبَ إليّ : إنما كان ذلك في أول الإسـلام ، قد أغارَ رسـولُ الله ﷺ على بني المُصْطَلِق وهم غارُّون ، وأنعامهم تُسقى على الماء ، فقتلَ مقاتلتَهم ، وسبى سبيَهم ، وأصابَ يومئذ ـــ قال يحي : أحسبُه قال : جويرية أو البتة ابنة الحارث ـــ وحدثني هذا الحديث عبد الله بن عمر وكان في ذلك الجيش(٣) .

وقد أشـار ابن سـعـد إلى هـذه الروايـة ، وقـال : الأول أثبت(٤) . قـال : وأمر رسـول الله ﷺ بالأُسـارى فكُتِّفوا ، واستعمـل عليهـم بُريدة بن الحُصيب ، وأمر بالغنائم فجُمعت ، واستعمل عليها شُقران مولاه ، وجمع الذريّة ناحية ، واستعملَ على قسم الخمس وسُهمان المسلمين مَحمِيَةَ بن جَزء الزُّبَيْدي . وكانت الإبل ألفي بعير ، والشاء خمسةَ آلاف شاة ، وكان السبي مائتي بيت ، وقال : غابَ رسول الله ﷺ عن المدينة ثمانياً وعشرين ليلة ، وقدم المدينة لهلال رمضان(٤) .

رجع إلى ابن إسحـاق : قال : وقد أُصيب رجل من المسـلمـين من بني كلب بن

---

(١) في الطبقات : فصفَّ رسول الله ﷺ أصحابه .

(٢) الطبقات الكبرى ٢/٦٣ ـــ ٦٤ .

(٣) رواه مسلم في الجهاد والسير (باب جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم دعوة الإسلام ، من غير تقدم الإعلام بالإغارة) رقم /١٧٣٠/ .

(٤) الطبقات الكبرى ٢/٦٤ ـــ ٦٥ .

عوف بن عامر بن ليث بن بكر ، يقال له : هشام بن صُبابة ، أصابه رجلٌ من الأنصار من رهط عُبادة بن الصامت ، وهو يرى أنه من العدو ، فقتلَه خطأً ، فبينا الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غِفار يُقال له جهجاه بن مسعود ، يقود فرسَه ، فازدحَم جهجاهٌ وسِنَانُ بن وَبْر الجهني ، حليفُ بني عوف بن الخزرج على الماء ، فاقتتلا ، فصرخَ الجهنيُّ : يا معشر الأنصار ! وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين ! فغضب عبد الله بن أبيّ بن سلول ، وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم ، غُلَامٌ حَدَثٌ ، فقال : أقد فعلوها ؟ أقد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ؟ والله ما أعدُّنا وجلابيبَ قريش هذه ، إلا كما قال الأول : سَمِّنْ كلبَكَ يأكلْك . أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجنَّ الأعَزُّ منها الأذَلَّ . ثم أقبل على من حضره من قومه ، فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتمُوهم بلادَكم وقاسمتُوهم أموالَكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحَوَّلوا إلى غير داركم . فسمع ذلك زيدُ بن أرقم ، فمشى به إلى رسول الله ﷺ ، وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوه ، فأخبره الخبر ، وعنده عمر بن الخطاب ، فقال : مر به عَبَّادَ بن بشر فليقتلْه . فقال رسول الله ﷺ : فكيف يا عمر إذا تحدَّثَ الناسُ بأن محمداً يقتلُ أصحابهَ ؟ لا ، ولكن ائذنْ بالرحيل . ــ في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها ــ فارتحل الناس ، وقد مشى عبد الله بن أبيّ بن سلول إلى رسول الله ﷺ ، حين بلغه أنَّ زيد بن أرقم قد بلَّغه ما سمعه منه ، فحلفَ بالله ما قلتُ ما قالَ ، ولا تكلَّمْتُ به ، وكان في قومه شريفاً عظيماً ، فقال من حضر رسولَ الله ﷺ من الأنصار من أصحابه : يا رسول الله عسى أن يكون الغلامُ أوْهَم في حديثه ، ولم يحفظ ما قال الرجل ــ حَدَباً على ابن أُبيّ ودفعاً عنه ــ فلما استقلَّ رسولُ الله ﷺ وسار ، لقيه أُسيد بن الحُضير ، فحيَّاه بتحية النبوة وسلم عليه ، وقال : يا نبيَّ الله والله لقد رحتَ في ساعة منكرة ، ما كنتَ تروح في مثلها . فقال له رسول الله ﷺ : أو ما بلغك ما قال صاحبُكم ؟ قال : أيُّ صاحب يا رسول الله ؟ قال عبد الله بن أبيّ . قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إن رجعَ إلى المدينة أخرجَ الأعزُّ منها الأذَلَّ . قال : فأنت والله يا رسولَ الله تخرجه إن شئتَ ، هو والله الذليل ، وأنت العزيز . ثم قال : يا رسول الله ارفق به ، فو الله لقد جاء الله بكَ وإنَّ قومَه لينظمون له الخرزَ ؛ لِيُتَوِّجُوه به ، فإنه ليرى أنك قد استلبته مُلْكاً . ثم متنَ[1] رسولُ الله ﷺ بالناس يومَهم ذلك حتى أمسى ،

(١) انظر شرحها في فوائد المؤلف ص ١٤٤ .

وليلتهم حتى أصبح ، وصَدْرَ يومهم ذلك ، حتى آذته الشمس ، ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا مَسَّ الأرض ، فوقعوا نياماً ، وإنما فعل ذلك ليَشغلَ الناسَ عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبيٍّ ، ثم راحَ رسول الله ﷺ بالناس ، وسلك[1] الحجازَ ، حتى نزل على ماء بالحجاز فوق النَّقيع ، يُقال له نَقْعَاً[2] . فلما راحَ رسول الله ﷺ بالناس ، هبت على الناس ريحٌ شديدة آذتهم ، وتخوفوها ، فقال رسول الله ﷺ : لا تخافوها فإنها هبَّتْ لموت عظيم من عظماء الكفار . فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت ، أحدَ بني قينقاع ، وكان من عظماء اليهود ، وكهفاً للمنافقين ، مات ذلك اليوم .

ونزلت السورة التي ذكرَ الله فيها المنافقين في ابن أبيّ ، ومن كان على مثل أمره ، فلما نزلت أخذَ رسولُ الله ﷺ بأُذن زيد بن أرقم ، ثم قال : هذا الذي أوفى الله بأذنه .

وبلغ عبدَ الله بن عبد الله بن أُبيّ الذي كان من أمر أبيه ، فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن عبدَ الله أتى رسولَ الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! إنه قد بلغني أنك تُريد قتلَ عبدِ الله بن أبيٍّ فيما بلغك عنه ، فإن كنتَ فاعلاً ، فمرني فأنا أحمل لك رأسَه ، فوالله لقد علمتِ الخزرجُ ما كان بها من رجلٍ أبرَّ بوالده مني ، إني أخشى أن تأمرَ به غيري ، فيقتلَه ، فأقتلَ مؤمناً بكافر ، فأدخل النار . فقال رسول الله ﷺ : بل نترفق به ونُحسن صحبتَه ما بقي معنا . وجعلَ بعد ذلك إذا أحدثَ الحدثَ ، كان قومُه هم الذين يُعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه ، فقال رسول الله ﷺ لعمرَ بن الخطاب ـــ حين بلغه ذلك من شأنهم ـــ :كيف ترى يا عمر ؟ أما والله لو قتلتُه يوم قلتَ لي اقتله ، لأُرعدتْ له آنُفٌ لو أمرتُها اليومَ بقتله لقتلَتْه ، قال : قال عمر : قد والله علمتُ لأمرُ رسول الله ﷺ أعظمُ بركة من أمري .

وقدم مِقيس بن صُبابة من مكة مسلماً فيما يظهر ، فقال : يا رسول الله ! جئتك مسلماً ، وجئتُ أطلبُ دِيةَ أخي ، قُتل خطأ ، فأمر له رسول الله ﷺ بدية أخيه هِشام بن

---

(١) « الحجاز » : المقصود به هنا المرتفع من الطريق ، وذلك أن مثل هذه الطريق بما فيها من منحدرات ومفاجآت ؛ تجعل المارَّ فيها على حذر دائم ، وذلك مما يُساعد على انشغالهم وانصراف أذهانهم عما كادوا أن يقعوا فيه من الاختلاف .

(٢) « نَقْعَاً » : وفي معجم البكري : نَقْعَاء ؛ بفتح أوله وإسكان ثانية ، بعده عين مهملة ممدود : اسم بئر خلف المدينة .

صُبابة ، فأقام عند رسول الله ﷺ غير كثير ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتلَه ، ثم خرج إلى مكة مرتداً ، فقال في شعر يقوله :

شَفَى النفسَ أن قد بات بالقاع مُسْنَداً ... يُضَرِّجُ ثوبيْه دماءُ الأخادعِ[1]
وكانت همومُ النفس من قبل قتله ... تُلمُّ فيحميني وِطَاءُ المضاجعِ[2]
حللتُ به وِتري وأدركتُ ثُؤْرتي ... وكنت إلى الأوثان أوَّلَ راجعِ[3]
ثأرتُ به فِهْراً ، وحَمَّلْتُ عَقْلَه ... سَراةَ بني النجار أربابَ فارعِ[4]

وقال مِقيس بن صُبابة أيضاً :

جَلَّلته ضربةً باءت لها وَشَلٌ ... من ناقع الجوف يعلوه وينصرمُ[5]
فقلتُ والموتُ تغشاه أسِرَّتُه : ... لا تأمَنَنَّ بني بَكرٍ إذا ظُلموا[6]

قال ابن هشام : وكان من شعار المسلمين يوم بني المُصْطَلِق : يا منصور أمت أمت[7] .

قال ابن إسحاق : وأُصيب من بني المُصْطَلِق ناس يومئذ ، وقتل عليٌّ بن أبي طالب منهم رجلين ؛ مالكاً وابنه ، وكان رسول الله ﷺ قد أصاب منهم سبياً كثيراً فشا قَسْمُه في المسلمين . وكان فيمن أُصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبي ضِرار زوج رسول الله ﷺ . قال أبو عمر : كان اسمها برة ، فغيَّرَه رسول الله ﷺ وسماها جويرية . فأرسلَ النَّاسُ ما بأيديهم من سبايا بني المصطلق لذلك ، فكانت مائة بيت ، وأسلم بنو المصطلق ، ثم بعد ذلك بأزيدَ من عامين بعثَ إليهم الوليدَ بن عقبة مُصَدِّقاً ، فتوَهَّم أنهم خرجوا لقتاله ففر راجعاً ، وأخبر رسول الله ﷺ بظنه ، فهمَّ عليه الصلاة والسلام بقتالهم ،

---

(١) « بالقاعِ » : المنخفض من الأرض فيه انبساط .
(٢) « وِطَاء المضاجع » : المضاجع الوطيئة ؛ الفرش اللينة .
(٣) « وِتري » : الوِتر : طلب الثأر . « ثؤرتي » : الثؤرة : الثأر نفسه .
(٤) « عَقْلَه » : ديته . و« سَرَاةُ بني النجار » : خيارهم وسادتهم . و« فارع » : أحد حصونهم .
(٥) « باءتْ » : أخذت بالثأر . و« الوَشَل » : النصر . و« ناقع الجوف » : الدم .
(٦) « أسِرَّته » : التجاعيد والانحناءات ، فيما يشبه الخطوط ، تكون في جلد الوجه والجبهة . و« بنو بكر » : قومه .
(٧) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٢٩٠ ــ ٢٩٦ .

فأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا إنْ جاءَكم فاسقٌ بنبإٍ فتبيَّنوا ﴾ الآية [الحجرات : ٦] والتي بعدها[١] .

حديث الإفك

وفي هذه الغزاة قال أهل الإفك في عائشة رضي الله تعالى عنها ما قالوا ، فبرأها الله مما قالوا .

روينا من طريق البخاري ، حدثنا يحي بن بُكير ، حدثنا الليث ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، أخبرني عروة بن الزبير ، وسعيدُ بن المسيب ، وعلقمة بن وقاص ، وعبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود ، عن حديث عائشة زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا ، فبرأها الله مما قالوا . وكلٌّ حدثني طائفةً من الحديث ، وبعض حديثهم يُصَدِّقُ بعضاً ، وإن كان بعضُهم أوعى له من بعض . الذي حدثني عروة عن عائشة ؛ أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : كان النبي ﷺ إذا أرادَ أن يخرج أقرعَ بين أزواجه ، فأيتُهنَّ خرج سهمها خرجَ بها رسولُ الله ﷺ معه . قالت عائشة : فأقرع بيننا في غزوة غزاها ، فخرج سهمي ، فخرجتُ مع رسول الله ﷺ بعد ما أُنزلَ الحجاب ، فأنا أُحمل في هودجي ، وأُنزل فيه ، حتى إذا فرغَ رسول الله ﷺ من غزوته تلك ، وقفل ، ودنونا من المدينة قافلين ، آذن ليلةً بالرحيل ، فمشيت ، حتى جاوزت الجيشَ ، فلما قضيت شأني ، أقبلتُ إلى رَحْلي ، فإذا عقد لي من جَزْع أَظْفَار قد انقطع ، فالتمست عِقدي ، وحبسني ابتغاؤه ، وأقبل الرهط الذين كانوا يَرْحَلُوُن بي ، فاحتملوا هودجي ، فَرَحَلُوه على بعيري الذي كنتُ ركبتُ ، وهم يحسبون أني فيه ، وكان النساء إذ ذاك خِفافاً ، لم يُثقلْهنَّ اللحم ، إنما يأُكلنَ العُلْقة[٢] من الطعام ، فلم يستنكر القوم خِفة الهودج حين رفعوه ، وكنت جاريةً حديثةَ السِنِّ ، فبعثوا الجملَ وساروا ، فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش ، فجئتُ منازلَهم وليس بها داعٍ ولا مجيب ، فأَممْتُ منزلي الذي كنتُ فيه ، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إليَّ ، فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمتُ . وكان صفوان بن المُعَطَّل السُّلمي ثم الذكواني من

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٢٩٠ ــ ٢٩٦ .

(١) « العُلْقة » : القليل ، وما يَتَبَلَّغ به .

وراء[1] الجيش ، فادَّلَجَ[2] ، فأصبح عند منزلي ، فرأى سواد إنسانٍ نائم ، فأتاني ، فعرفني حين رآني ، وكان يراني قبل الحجاب ، فاستيقظتُ باسترجاعه حين عرفني ، فخمَّرْتُ وجهي بجلبابي ، والله ما يُكلِّمني ، ولا أكلِّمه وما سمعتُ منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته ، فوطىء على يدها ، فركبتها ، فانطلق بي يقودُ بي الراحلة ، حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا ، مُوغِرَينْ في نحرِ الظهيرة[3] ، فهلَكَ من هَلَكَ .

وكان الذي تولَّى الإفكَ عبد الله بن أبيّ بن سلول ، فقدمنا المدينة ، فاشتكيتُ حين قدمتُ شهراً ، والناس يخوضون[4] في قول أصحاب الإفك ، ولا أشعرُ بشيء من ذلك ، وهو[5] يَريبني في وجعي أني لا أعرفُ من رسول الله ﷺ اللطفَ الذي كنتُ أرى منه حين أشتكي ، إنما يدخلُ عليَّ رسول الله ﷺ فيسلِّمُ ، ثم يقولُ : كيف تيكم ؟ ثم ينصرف ، فذاك الذي يَريبني ، ولا أشعر بالشر ، حتى خرجتُ بعد ما نَقَهْتُ ، فخرجتْ معي أمُّ مِسْطح قِبَلَ المَناصِعِ[6] ، وهو مُتَبَرَّزُنا ، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل ، وذلك قبل أن نتخذَ الكُنُفَ[7] قريباً من بيوتنا ، وأمرُنا أمرُ العرب الأُول في التبرز قِبَلَ الغائط ، فكنا نتأذى بالكُنف أن نتخذها عند بيوتنا ، فانطلقتُ أنا وأمُّ مِسطح ــ وهي ابنة أبي رُهْم بن عبد مناف ، وأمُّها بنت صخر بن عامر خالةُ أبي بكر الصديق ، وابنها مِسطح بن أُثاثة ــ

---

(١) كان صفوان على ساقه الجيش ، يلتقط ما يسقطُ من متاع المسلمين ، حتى يأتيهم به ، ولذلك تخلَّفَ . الروض الأنف .

(٢) « فادَّلَجَ » : بالتضعيف ، ومثلها : أدلج ؛ سار ليلاً .

(٣) « موغرينَ في نحر الظهيرة » : الظهيرة الوقت الذي تبلغ فيه الشمس نهايتها من الارتفاع . ونحرها : وسطها . والإيغار : السير فيها ، يُقال : أوغرَ الرَّجُل : إذا سار في الوغرة ، وهي شدة حرِّ الظهيرة .
ورُوي « مُوعِرين » : من قولهم : أوعرَ الرجل : سار في الوعر ، ولعلهما فعلا ذلك ليقاطعا على الجيش بسرعة .

(٤) كذا في « أ » و« ب » وفي بقية النسخ ونور النبراس : « يُفيضون » .

(٥) لعلها : « وما يَرِيْبُني » .

(٦) « المناصع » : جمع منصع ، وهي فسح رملية منخفضة منتشرة هنا وهناك تستعمل لقضاء الحاجة ، وقد كانت أماكن معروفة ومخصوصة في المدينة .

(٧) « الكُنُف » : بضم الكاف والنون ، جمع كنيف ، وهو المرحاض .

فأقبلت أنا وأمُّ مسطح قِبلَ بيتي ، قد فرغنا من شأننا ، فعثرت أمُّ مِسطح في مِرْطها[1] ، فقالت : تعسَ مِسطح . فقلت لها : بئس ما قلت ، أتسُبِّينَ رجلاً شهدَ بدراً . قالت : أي هَنْتَاه[2] أو لم تسمعي ما قال ؟ قلت : وما قال ؟ قالت : فأخبرتني بقول أهل الإفك ، فازددتُ مرضاً على مرضي ، فلما رجعت إلى بيتي ، ودخلَ عليَّ رسولُ الله ﷺ ــ تعني[3] سلَّم ــ ثم قال : كيف تيكم ؟ فقلت : أتأذنُ لي أن آتيَ أبويَّ . قالت : وأنا حينئذ أُريد أن أستيقنَ الخبرَ من قِبَلهمَا . قالت : فأذن لي رسولُ الله ﷺ ، فجئتُ أبويَّ ، فقلت لأمي : يا أُمَّتاه ! ما يتحدثُ الناسُ ؟ قالت : يا بنية ! هوِّني عليك ، فوالله لقلَّ ما كانت امرأة قط وضيئة ، عند رجل يُحِبُّها ، ولها ضرائر ، إلا أكثرنَ عليها . قالت : فقلت : سبحان الله ! ولقد تحدث الناس بهذا ؟ قالت : فبكيت تلك الليلة ، حتى أصبحتُ لا يرقأُ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم ، حتى أصبحتُ أبكي .

فدعا رسولُ الله ﷺ عليَّ بنَ أبي طالب وأسامةَ بن زيد حين استلبثَ[4] الوحيَ ، يستأمرهما في فراق أهله . قالت : فأما أسامةُ بن زيد فأشارَ على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله ، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود . فقال : أهلَكَ يا رسول الله ، ولا نعلمُ إلا خيراً . وأما عليُّ بن أبي طالب ، فقال : يا رسول الله ! لم يضيِّقِ الله عليكَ ، والنساءُ سواها كثير ، وإنْ تسألِ الجاريةَ تصدقْكَ . قالت : فدعا رسولُ الله ﷺ بَرِيْرَةَ ، فقال : أي بريرةُ ! هل رأيتِ من شيءٍ يَريبك ؟ قالت : بريرةُ . والذي بعثكَ بالحقِّ ، إن رأيتُ عليها أمراً أغمُصه[5] عليها ، أكثرَ من أنها جاريةٌ حديثةُ السِنِّ تنامُ عن عجين أهلها ، فتأتي الداجن[6] فتأكله . فقام رسولُ الله ﷺ فاستعذرَ[7] من عبد الله بن أبي بن سلول . قالت : فقال

---

(١) « مرط » : كساء .

(٢) « أي هَنْتَاه » : كلمة ملازمة للنداء ، تقال في مثل هذا الموقف ، تدل في عمومها على الغرارة والغفلة .

(٣) هذا إدراجٌ قُصد به تفسير قولها : « ودخل عليَّ » .

(٤) « استلبثَ الوحيَ » : بفتح الباء ، استبطأه ، وبضمها : أبطأ . وفي الصحيح : « وقد لبثَ شهراً لا يُوحى إليه في شأني » .

(٥) « أغمصه » : أعيبه .

(٦) « الداجن » : الشاة التي تألف البيت ولا تخرج إلى المرعى .

(٧) « فاستعذر » : طلب الانتصاف منه ، وهو قوله ﷺ : « من يعذرني ... » .

رسول الله ﷺ وهو على المنبر : يا معشرَ المسلمين مَنْ يعذرني من رجلٍ قد بلغني أذاه في أهل بيتي ، فوالله ما علمتُ عن أهلي إلا خيراً . ولقد ذكروا رجلاً ما علمتُ عليه إلا خيراً ، وما كان يدخل على أهلي إلا معي . فقام سعدُ بن معاذ الأنصاري فقال : يا رسولَ الله أنا أعذُرك منه ، إن كان من الأوس ضربتُ عنقَه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنَا أمرَك . قالت : فقام سعد بن عبادة وهو سيِّدُ الخزرج ، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ، ولكن احتملته الحميّةُ ، فقال لسعد : كذبتَ لعمرُ الله ، لا تقتلُه ولا تقدرُ على قتله . فقام أُسيد بن حُضير ، وهو ابن عم سعد بن معاذ ، فقال لسعد بن عبادة : كذبتَ لعمرُ الله لنقتلنَّه ، فإنك منافق تُجادلُ عن المنافقين . فتثاورَ الحيَّان : الأوس والخزرج ، حتى هَمُّوا أن يقتتلوا ، ورسول الله ﷺ قائم على المِنبر ، فلم يزل رسولُ الله ﷺ يُخفِّضُهم حتى سكتوا وسكت .

قالت : فمكثتُ يومي ذلك لا يرقأُ لي دمع ولا أكتحل بنوم ، فأصبح أبواي عندي ، وقد بَكَيْت ليلتين ويوماً لا أكتحلُ بنوم ، ولا يرقأ لي دمع ، يظنان أنَّ البكاءَ فالقٌ كبدي . قالت : فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي ، فاستأذنتْ عليَّ امرأة من الأنصار ، فأذنتُ لها ، فجلستْ تبكي معي . قالت : فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسولُ الله ﷺ ، فسلَّم ثم جلس . قالت : ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل قِبَلَها ، ولقد لبثَ شهراً لا يُوحى إليه في شأني . قالت : فتشهَّد رَسولُ الله ﷺ حينَ جلسَ ، ثم قال : أما بعد يا عائشة ، فإنه قد بلغني عنكِ كذا وكذا ، فإن كنتِ بريئةً فسيبرئك الله ، وإن كنتِ ألممتِ بذنبٍ فاستغفري الله وتوبي إليه ، فإنَّ العبدَ إذا اعترَف بذنبه ، ثم تاب إلى الله ، تابَ الله عليه . قالت : فلما قضى رسولُ الله ﷺ مقالتَه ، قَلَص دمعي ، حتى ما أُحِسُّ منه بقطرة ، فقلت لأبي : أجبْ رسولَ الله ﷺ فيما قال . قال : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ . فقلت لأمي : أجيبي رسولَ الله ﷺ . فقالت : ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ . قالت ــ فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن ــ : والله لقد علمت ، لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم ، وصدقتم به ، فلئن قلتُ لكم إني بريئة ــ والله يعلم أني بريئة ــ لا تصدقوني بذلك ، ولئن اعترفتُ لكم بأمر ــ والله يعلم أني منه بريئة ــ لتصدقوني ، والله ما أجدُ لكم مثلاً إلا قولَ أبي يوسف : ﴿ فصبرٌ جميلٌ والله المستعانُ على ما تَصفون ﴾

[يوسف : ٨٣] قالت : ثم تحولتُ فاضطجعت على فراشي . قالت : وأنا حينئذ أعلم أني بريئة وأن الله مبرئي ببراءتي ، ولكن والله ما كنتُ أظنُّ أن الله منزل في شأني وحياً . يتلى ، ولشأني في نفسي كان أحقَر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يتلى ، ولكن كنتُ أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها . قالت : فوالله ما رام[1] رسول الله ﷺ ، ولا خرج أحد من أهل البيت ، حتى أنزل الله عليه ، فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء[2] ، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجُمان من العرق ، في يوم شات ، من ثقل القول الذي ينزل عليه . قالت : فلما سُرِّيَ عن رسول الله ﷺ ، سُرِّي عنه وهو يضحك ، فكانت أول كلمة تكلم بها : يا عائشة ! أمَّا الله فقد برأك . فقالت أمي : قومي إليه . قالت : فقلت : والله لا أقومُ إليه ، ولا أحمدُ إلا الله . وأنزل الله : ﴿ إنَّ الذين جاؤوا بالإفكِ عصبةٌ منكم ﴾ [النور : ١١] العشر الآيات كلَّها ، فلما أنزل الله هذا في براءتي . قال أبو بكر الصديق ـــ وكان يُنفق على مِسطح بن أُثاثة ، لقرابته منه وفقره ـــ : والله لا أُنفق على مِسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال ، فأنزل الله : ﴿ ولا يأتلِ أُولوا الفضل مِنكم والسَّعَة أن يُؤتوا أُولي القُربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليَعْفُوا وليَصْفَحُوا ألا تُحبُّون أن يغفرَ الله لكم والله غفورٌ رحيم ﴾ [النور : ٢٢] قال أبو بكر : بلى والله إني لأُحب أن يغفرَ الله لي ، فرجعَ إلى مسطح النفقةَ التي كان ينفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبداً .

قالت عائشة : وكان رسول الله ﷺ يسأل زينبَ ابنة جحش عن أمري ، قال : يا زينب ماذا علمتِ أو رأيتِ ؟ فقالت : يا رسول ا أحمي سمعي وبصري ، ما علمتُ إلا خيراً . قالت : وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ ، فعصمها الله بالورع ، وطفقتْ أختها حمنةُ تُحارب لها ، فهلكت فيمن هلك[3] من أصحاب الإفك .

قال البخاري : حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا سليمان ، عن حصين ، عن أبي وائل ، عن مسروق ، عن أم رومان أم عائشة ؛ أنها قالت : لما رُميت عائشة خرَّت مغشياً عليها[4] .

---

(١) « ما رام » : ما ترك المكان ، مضارعها : يريم .

(٢) « البُرَحاء » : شدة الكرب من ثِقَل الوحي ، قاله ابن الأثير في النهاية .

(٣) روى البخاري حديث الإفك في المغازي (باب حديث الإفك) رقم /٤١٤١/ .

(٤) رواه البخاري في المغازي (باب حديث الإفك) رقم /٤١٤٣/ بأطول مما أورده المؤلف رحمه الله تعالى .

ذكرُ فوائدَ تتعلَّقُ بخبر بني المُصْطَلِق وحديثِ الإفك

● المُصْطَلِق : هو جُذَيمَةُ بن كعب ، من خزاعة .

● والمريسيع : ماء لهم[1] .

● وجهجاه بن مسعود ، وقال أبو عمر : جهجاه بن سعد بن حَرَام ، هو صاحب حديث « المؤمن يأكلُ في مِعًى واحد »[2] . وقيل إن ذلك قيل في غيره ، وقال الطبري : المحدثون يزيدون فيه الهاء ، والصواب : جهجا ، دون هاء . وجهجاه هذا هو الذي جاء وعثمان رضي الله عنه يخطب ، وبيده عصا النبي ﷺ ، فأخذها وكسرها على ركبته اليمنى ، فدخلت فيها شظية منها ، فبقي الجرح ، وأصابته الأَكَلَة ، وشُدَّت العصا ، وكانت مضببة . ذكره ابن مسلمة التُّجيبي في تاريخه .

● وسِنان بن وَبْر بإسكان الباء عند بعضهم ، وقال أبو عمر[3] : سنان بن تيم ، ويقال : ابن وَبْر ، وفي كتاب ابن شبة . سنان بن أُبير . وحكى الأُموي عن ابن إسحاق : سنان بن عمرو ، ويقال : ابن وَبْرة .

● ومتن بالناس : قال صاحب[4] « العين » : ساروا سيراً مماتناً ، أي بعيداً .

● وفي حديث الإفك ذكر صفوان بن المعطل ، قال السهيلي : وكان يكون على ساقة العسكر ، يلتقط ما يسقط من المتاع ، ولذلك تخلَّفَ . في هذا[5] الحديث[6] .

وقد روي أنه كان ثقيلَ النوم ، لا يستيقظ حتى يرتحلَ الناسُ ، ويشهد لذلك حديث أبي

---

(١) « المريسيع » : قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٤٣٠/٧ : بينه وبين الفرع مسيرة يوم .

(٢) الاستيعاب ٢٥٢/١ ــ ٢٥٣ ، والحديث رواه مسلم في الأشربة (باب المؤمن يأكل في مِعًى واحد) رقم /٢٠٦٢/ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٣) الاستيعاب ١٨٧/٢ بهامش الإصابة .

(٤) صاحب العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٥هـ ، والعين : هو أول معجم أُلِّف في العربية .

(٥) أي : كما جاء في الحديث عند البخاري .

(٦) الروض الأنف ٢٠/٤ .

داود[1] أن امرأة صفوان اشتكت به إلى رسول الله ﷺ ، فذكرت أشياء ، منها أنه لا يُصَلِّي الصبح . فقال صفوان : يا رسول الله إني امرؤ ثقيلُ الرأس ، لا أستيقظُ حتى تطلعَ الشمس . فقال له النبي ﷺ : « إذا استيقظتَ فصلِّ » . وقُتل صفوان شهيداً في خلافة معاوية ، واندقت رجله يوم قُتل ، فطاعنَ بها وهي منكسرة حتى مات .

● وجَزْعَ ، ظَفَار[2] : قال يعقوب : مدينة باليمن ، وقد وقع : جَزْعٌ ظَفَاريٌّ ، وهو أيضاً صحيح .

● وأم رومان : زينب بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عَتَّاب بن أُذينة بن سُبيع بن دَهمان بن الحارث بن غَنْم ، كذا قال مصعب[3] ، وغيره يُخالفه ، وقد وقع في الصحيح : رواية مسروق عنها بصيغة العنعنة وغيرها ، ولم يُدْرِكْها ، ومُلَخصُ ما أجاب به أبو بكر الخطيب[4] : أن مسروقاً يمكن أن يكون قال : سُئلت أم رومان ، فأثبت الكاتب صورة الهمزة ألفاً ، فتصحفت على من بعده بسألت ، ثم نقلت إلى صيغة الإخبار بالمعنى من طريق ، وبقيت على صورتها في آخر ، ومخرجها التصحيف المذكور .

● ومِسطح : لقب ، واسمه عوف بن أُثاثة بن عَبَّاد بن المطلب بن عبد مناف . ذكر الأُموي : عن أبيه ، عن ابن إسحاق ، قال : أبو بكر لِمسطح :

يـاعوفُ ويحكَ هَلا قلتَ عارفةً ... من الكـلام ولم تتبعْ بـه طَمَعـاً
وأدركَتْـكَ حُمَـيَّـاً معشـرٍ أُنف ... ولم تكن قـاطعـاً يا عوفُ مُنقطِعـا

---

(١) رواه أبو داود في الصوم (باب المرأة تصوم بغير إذن زوجها) رقم /٢٤٥٩/ عن أبي سعيد الخدري ، وصحَّح الحافظ ابن حجر إسناده . الإصابة ١٩١/٢ .

(٢) « جزع ظَفَار » : أما الجزع ، فقالوا : إنه الخرز اليماني ، وقد سبق للمؤلف أن أوردها وفقاً لرواية البخاري « جزع أظفار » .
والأظفار ، وظفار ـــ منوناً وغير منون ـــ نوع من الطيب أسود اللون ، يعجن ويشكل على هيئة الأظفار ، ثم يُثقب لينظمَ عقداً تلبسه النساء . وعليه فإن عقد السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها كان من هذا النوع ، ولا علاقة له بظفار اليمن إلا تشبيه طيبها المنظوم بالجزع . انظر القاموس المحيط ، والنهاية في غريب الحديث مادة « ظفر » وفتح الباري ٤٥٩/٨ .

(٣) مصعب الزبيري في كتابه « نسب قريش » لم يُطبع منه إلا جزء واحد .

(٤) الروض الأنف ٢١/٤ .

فأنزلَ اللهُ وحياً في براءتها وبينَ عوفٍ وبينَ اللهِ ما صنَعا
فإنْ أعشْ أجزِ عوفاً عن مقالتِه شرَّ الجزاء إذا ألفيتُه تَبِعا

قال أبو عمر : أمرَ النبيُّ ﷺ بالذين رَمَواْ عائشةَ بالإفك حين نزل القرآن ببراءتها ، فجُلدوا الحدَّ ثمانين فيما ذكرَ أهلُ السير والعلم والخبر .

● ووقع في هذا الحديث : فقام سعدُ بن معاذ الأنصاري ، فقال : يا رسول الله ﷺ أنا أعذرُك منه . ووقع عند ابن إسحاق في هذا الخبر بدلَ سعد بن معاذ أسيدُ بن حُضير ، فمن الناس من يرى أن ذكر سعد في هذا الخبر وَهَم ، لأن سعداً مات عند انقضاء أمر بني قريظة ، ويرى أن الصواب ما ذكره ابن إسحاق من ذكر أُسيد بن حُضير . ولو اتفق أهلُ المغازي على أن وقعةَ الخندق وبني قريظة متقدمةٌ على غزوة بني المُصْطَلِق لكان الوَهَم لازماً لمن رآه كذلك ، ولكن هم مختلفون في ترتيب هذه المغازي كما سبق في هذه وغيرها .

ورأيتُ عن الحاكم أبي عبد الله ، أن سببَ هذا الخلاف إنما هو لاختلاف في التاريخ ، هل هو لمقدم النبي ﷺ في ربيع الأول كما هو عند قوم ، أو للعام الذي قدم فيه كما هو عند آخرين ، وذلك لا يتم لأمرين :

أحدهما : أن تلك المدة التي وقع الاختلاف فيها إنما هي نحو ثلاثة أشهر ، وهي من أول العام إلى ربيع الأول ، وزمن الخلاف أوسعُ من ذلك ، فهذه الغزوة عند ابن عُقْبة في سنة أربع ، وعند غيره في شعبان سنة ست .

الثاني : أنها مختلفة الترتيب عندهم في تقديم بعضها على بعض ، فهذه عند ابن سعد وجماعة قبل الخندق ، وعند ابن إسحاق وآخرين بعدها ، وذلك غير الأول ، وأما ابن سعد فإنه يؤرخ هذه الوقائع بالأشهر لا بالسنين .

● وفي هذه الغزوة نهى النبي ﷺ عن العزل ، أخبرنا أبو عبد الله بن عبد المؤمن ، بقراءة الحافظ أبي الحجاج المِزي عليه وأنا أسمع بمرج دمشق ، قال : أخبركم المؤيد بن الأخوة إجازة من أصبهان ؟ فأقرَّ به ، قال : أخبرنا زاهر بن طاهر الشحامي ، أخبرنا أبو سعد الكَنْجَرُوَذي ، أخبرنا أبو طاهر محمد بن الفضل ، أخبرنا جدي أبو بكر محمد بن

إسحاق بن خزيمة ، حدثنا عليّ ــ هو ابن حجر ــ حدثنا إسماعيل ــ هو ابن جعفر ــ حدثنا ربيعة ــ هو ابن أبي عبد الرحمن ــ عن محمد بن يحيى بن حَبَّان بن منقذ ، عن ابن محيريز ؛ أنه قال : دخلتُ أنا وأبو صِرْمة على أبي سعيد الخدري ، فسأله أبو صِرمة ، فقال : يا أبا سعيد هل سمعتَ رسولَ الله ﷺ يذكرُ العزلَ ؟ فقال : نعم ، غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة بني المُصْطَلِق ، فسبينا كرائمَ العرب ، فطالت علينا العزبةُ ، ورغبنا في الفداء ، فأردنا أن نستمتعَ ونعزلَ ، فقلنا : نفعلُ ورسولُ الله ﷺ بين أظهرنا لا نسأله ، فسألنا رسولَ الله ﷺ ، فقال : « لا عليكم أن لا تفعلوا ، ما كتب الله خَلْقَ نَسَمةٍ هي كائنة إلى يوم القيامة إلا ستكون »(١) .

● قال ابن سعد : وفيها سقط عقدٌ لعائشة ، فاحتَبسوا على طلبه ، فنزلت آية التيمم . فقال أُسيد بن الحُضير : ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر(٢) .

قرأت على أبي الفتح الشيباني بدمشق ، أخبركم الخَضِر بن كامل قراءةً عليه وأنتم تسمعون ، قال : أخبرنا أبو الدرّ ياقوت بن عبد الله الرُّومي سماعاً « ح » قال الشيباني : وأخبرنا أبو اليُمْن الكِندي إجازةً إن لم يكن سماعاً ، قال : أخبرنا ابن البَيْضَاوي ، قالا : أخبرنا أبو محمد بن هِزَارمَرْد أخبرنا المُخلِّصُ حدثنا البغوي ، حدثنا مُصعب بن عبد الله الزُّبيري ، حدثني مالك ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ، حتى إذا كنَّا بالبيداء ، أو بذات الجيش ، انقطع عقدي ، فأقامَ رسولُ الله ﷺ على التماسه ، وأقام الناس معه ، وليسوا على ماء ، وليس معهم ماء ، فجاء أبو بكر ، ورسولُ الله ﷺ واضعٌ رأسَه على فخذي قد نام ، فقال : حبست رسول الله ﷺ ، والناسَ ، وليسوا على ماء ، وليس معهم ماء . قالت عائشة : فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقولَ ، وجعل يطعنُ بيده في خاصرتي ، فلا يمنعني من

(١) حديث العزل رواه البخاري في النكاح (باب العزل) رقم /٥٢١٠/ ، ومسلم في النكاح (باب حكم العزل) رقم /١٤٣٨/ ، والموطأ في الطلاق (باب ما جاء في العزل) ٥٩٤/٢ ، وأبو داود في النكاح (باب ما جاء في العزل) رقم /٢١٧١/ ، والترمذي في النكاح (باب ما جاء في كراهية العزل) رقم /١١٣٨/ ، والنسائي في النكاح (باب العزل) ١٠٧/٦ .

(٢) الطبقات الكبرى ٦٥/٢ .

التحرك إلاَّ مكانُ رسول الله ﷺ على فخذي ، فنامَ رسولُ الله ﷺ حتى أصبحَ على غير ماء ، فأنزلَ الله تعالى آية التيمم . فقال أُسيدُ بن حُضير ، وهو أحد النقباء : ما هذا بأول بركتكم يا آلَ أبي بكر(١) . قالت : فبعثنا البعيرَ الذي كنتُ عليه ، فوجدنا العِقدَ تحتَه . قال البغوي : هذا معنى لفظ الحديث .

وروى الطبراني في معجمه من حديث محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : لما كان من أمر عِقْدي ما كان ، قال أهل الإفك ما قالوا ، فخرجت مع النبي ﷺ في غزوة أخرى ، فسقط أيضاً عِقْدي ، حتى حبس التماسُه النَّاس ، وطلع الفجرُ ، فلقيتُ من أبي بكر ما شاء الله ، وقال لي يا بنية في كل سفرة تكونين عَنَاءً وبلاءً ، وليس مع الناس ماء ، فأنزلَ الله الرخصة بالتيمم ، فقال أبو بكر : والله يا بنية إنك لِما علمتُ مباركة(٢) .

فهذه الرواية تقتضي أن الواقعتين كانتا في غزوتين ، والله أعلم .

* * *

(١) حديث عائشة رواه البخاري في التيمم (باب إذا لم يجد ماء ولا تراباً) رقم /٣٣٦/ ، ومسلم في الحيض (باب التيمم) رقم /٣٦٧/ ، والموطأ في الطهارة (باب هذا باب في التيمم) ٥٣/١ ــ ٥٤ ، وأبو داود في الطهارة (باب التيمم) رقم /٣١٧/ ، والنسائي في الطهارة (باب بدء التيمم) ١٦٣/١ ــ ١٦٤
وسبب عدول المؤلف عن روايته من هذه الكتب طلباً لإسناد البدل ؛ كما في نور النبراس ، لوحة ٢ ب/٩٨ .

(٢) رواه الطبراني في معجمه الكبير ١٢١/٢٣ (١٥٩) .

سريةُ عُكَّاشةَ بن مِحْصَن إلى الغَمْر

قال ابن سعد بعد ذكر غزوة الغابة ــ وهي غزوة ذي قَرَد ــ :

ثم سرية عُكَّاشة بن مِحصن الأَسَدي إلى الغَمْر ، غَمْر مرزوق ــ مفتوح الغين المعجمة ساكن الميم بعدها راء مهملة ــ وهو ماء لبني أسد ، وكانت في شهر ربيع الأول سنة ست . قالوا : وجَّه رسولُ الله ﷺ عُكَّاشة بن مِحصن إلى الغَمْر في أربعين رجلاً .

قال الواقدي فيما حكاه عنه الحاكم أبو عبد الله : فيهم ثابت بن أقرم ، وسِباع بن وهب .

فخرجَ[1] سريعاً يُغِذُّ السيرَ ، ونَذِرَ به القوم ، فهربوا ، فنزلوا عُليا بلادهم ، ووجدوا ديارَهم خُلُوفاً[2] ، فبعثَ شُجَاعَ بن وَهْب طليعةً ، فرأى أثر النعم ، فتحملوا ، فأصابوا ربيئة[3] لهم ، فأمَّنوه فدلَّهم على نَعَم لبني عمٍّ له ، فأغاروا عليها ، فاستاقوا مئتي بعير ، فأرسلوا الرجل ، وحَدِروا[4] النَّعَم إلى المدينة ، وقدموا على رسول الله ﷺ ولم يلقوا كيداً[5] .

وقال ابن عائذ : أميرُهم ثابت بن أقرم ، ومعه عُكَّاشةُ بن مِحْصَن الأَسَدي ، حليف بني أمية بن عبد شمس ، ولَقيطُ بن أعصم ، حليفُ بني عمرو بن عوف ، ثم من بني معاوية : ابن مالك من بليّ ، فأُصيب فيها ثابت .

كذا وجدتُ عن الحاكم : سِباع بن وَهْب ، ولعلَّه شُجاع بن وَهْب الذي يأتي ذكره بعد ذلك .

* * *

---

(١) رجع إلى ابن سعد .

(٢) « خُلُوفاً » : غائبين .

(٣) « ربيئة » : طليعة .

(٤) « حَدِروا النَّعِم » استاقوا النَّعم وأنزلوه .

(٥) الطبقات الكبرى ٢/٨٤ ــ ٨٥ .

سرية محمد بن مسلمة إلى ذي القَصَّة

بفتح القاف والصاد المهملة .

قال ابن سعد : في ربيع الآخر ، سنة ست . قالوا : بعثَ رسولُ الله ﷺ محمَّدَ بن مسلمة إلى بني ثعلبة وبني عوال ، وهم بذي القَصَّة ، وبينها وبين المدينة أربعةٌ وعشرون ميلاً ، طريقَ الربذة ، في عشرة نفر ، فوردوا عليهم ليلاً ، فأحدقَ بهم القومُ وهم مائةُ رجل ، فترامَوا ساعةً من الليل ، ثم حملتِ الأعراب عليهم بالرماح ، فقتلوهم ، ووقع محمد بن مَسلمة جريحاً ، فضُرب كعبُه فلا يتحرك ، وجرَّدُوهم من الثياب ، ومرَّ بمحمد بن مسلمة رجلٌ من المسلمين ، فحملَه حتى ورد به المدينة ، فبعث رسولُ الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في أربعين رجلاً إلى مصارعهم ، فلم يجدوا أحداً ، ووجدوا نَعَماً وشاء ، فساقه ورجع[1] .

وذكَر الحاكم عن الواقدي نحوه في كتاب « الإكليل » .

سرية أبي عبيدة بن الجراح
إلى ذي القَصَّة

ثم سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القَصَّة في شهر ربيع الآخر سنة ست . قالوا : أجدبت بلاد بني ثعلبة وأنمار ، ووقعتْ سحابة بالمَراض إلى تَغْلَمَين . والمَراضُ : على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة . فسارت بنو محارب وثعلبة وأنمار إلى تلك السحابة ، وأجمعوا أن يغيروا على سرح المدينة وهي ترعى بهيفاء ، موضع على سبعة أميال من المدينة ، فبعث رسولُ الله ﷺ أبا عُبيدة بن الجراح في أربعين رجلاً من المسلمين حين صَلَّوْا المغربَ ، فمشَوْا ليلتَهم ، حتى وافوا ذا القَصَّة مع عَمَاية الصبح ، فأغاروا عليهم ، فأعجزوهم هرباً في الجبال ، وأصاب رجلاً واحداً فأسلم ، وتركه ، فأخذَ نَعَماً من نَعَمهم فاستاقه ، ورِثَّةً[2] من مَتاعهم ، وقدمَ بذلك المدينة فخمَّسه رسولُ الله ﷺ ، وقسمَ ما بقي عليهم[3] .

---

(١) المصدر السابق ٢/٨٥ .

(٢) « رثة » : السقط من متاع البيت .

(٣) الطبقات الكبرى ٢/٨٦ .

وقال ابن عائذ : أخبرنا الوليد بن مسلم ، عن عبد الله بن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، قال : ثم بعثَ أبا عبيدة بن الجراح إلى ذي القَصَّة من طريق العراق[1] . ورأيته مقيداً بالصاد المهملة والمعجمة معاً .

سرية زيد بن حارثة إلى بني سُليم بالجَمُوم[2]

بفتح الجيم .

ذكر موسى بن عُقبة : عن ابن شهاب ، قال : وبعثَ رسولُ الله ﷺ زيدَ بن حارثة في غزوة الجَموم ، فأصابَ زيدٌ نعماً وشاء ، وأسرَ جماعةً من المشركين .

وقال ابن سعد : هي في شهر ربيع الآخر سنة ست . قالوا : بعث رسولُ الله ﷺ زيدَ بن حارثة إلى بني سليم ، فسار حتى ورد الجَموم ــ ناحية بطنِ نخلٍ ، عن يسارها . وبطنُ نخل من المدينة على أربعة برُد ــ فأصابوا عليه امرأة من مُزينة يقال لها حليمة ، فدلَّتهم على محَلَّة من محالِّ بني سُليم ، فأصابوا في تلك المحلَّة نَعَماً وشاء ، وأسرى ، فكان فيهم زوج حليمة المزنية . فلما قفل زيد بن حارثة بما أصاب ، وهبَ رسولُ الله ﷺ للمزنية نفسَها وزوجَها ، فقال بلالُ بنُ الحارث المزني في ذلك :

لعمرُك ما أخنى المَسُول ، ولا ونتْ حليمةُ ، حتى راحَ ركبُهما معاً[3]

سرية زيد بن حارثة إلى العِيص

قال ابن سعد : ثم سرية زيد بن حارثة إلى العيص[4] ــ وبينها وبين المدينةأربع ليال ، وبينَها وبين ذي المروة ليلة ــ في جُمادى الأولى سنة ست ، قالوا : لما بلغ رسول الله ﷺ أن

---

(1) خبر ابن عائذ في إسناده ابن لهيعة : ضعيف ، وهو مرسل لأن عروة بن الزبير تابعي . نور النبراس لوحة ٢ ب/٩٩ .

(2) الجَمُوم : أرض لبني سُليم ، وبها كانت إحدى غزوات النبي ﷺ أرسل إليها زيد بن حارثة غازياً . وهي بلدة كبيرة عامرة اليوم تقع على طريق المدينة مكة المزفت ، وتبعد عن مكة حوالي ٤٠ كم .

(3) الطبقات الكبرى ٨٥/٢ .

(4) « العِيص » : موضع في بلاد بني سُليم به ماء يُقال له : ذَنَبان العيص ، وهو فوق السوارقية . معجم البلدان ١٧٣/٤ .

عيراً لقريش قد أقبلت من الشام ، بعث زيد بن حارثة في سبعين ومائة راكب معترضاً لها ، فأخذوها وما فيها ، وأخذوا يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن أمية ، وأسروا ناساً ممن كان في العير ، منهم أبو العاص بن الربيع ، وقدمَ بهم المدينة ، فاستجارَ أبو العاص بزينبَ بنت رسول الله ﷺ فأجارته ، ونادت في الناس حين صلَّى رسولُ الله ﷺ الفجرَ : إني قد أجرتُ أبا العاص . فقال رسول الله ﷺ :«ما علمتُ بشيء من هذا ، وقد أجرنا من أجرتِ» وردَّ عليه ما أُخذ منه[1] .

سرية زيد بن حارثة إلى الطَّرَف

ثم سرية زيد بن حارثة إلى الطَّرَف ، وهو ماء قريب من المَرَاض دون النخيل ، على ستة وثلاثينَ ميلاً من المدينة . فخرج إلى بني ثعلبة في خمسةَ عشرَ رجلاً ، فأصابَ نعماً وشاءً ، وهربتِ الأعرابُ . وصبَّح زيدٌ بالنَّعَم المدينة ، وهي عشرون بعَيراً ، ولم يلق كيداً ، وغاب أربعَ ليال ، وكان شعارهم : أَمِتْ أَمِتْ[2] .

وقال الواقدي فيما ذكر عنه الحاكم : وخافوا أن يكونَ رسولُ الله ﷺ سار إليهم .

سرية زيد بن حارثة إلى حِسْمَى

ثم سرية زيد بن حارثة إلى حِسْمى ، وهي وراء وادي القرى في جمادى الآخرة سنة ست .

قالوا : أقبلَ دِحية بن خليفة الكلبي من عند قيصر ، وقد أجازه وكساه ، فلقيه الهُنيد بن عارض ، وابنُه عارض بن الهُنيد — وعند ابن إسحاق : عُوْص فيهما ، بدل عارض — في ناس من جُذام بِحِسْمَى ، فقطعوا عليه الطريق ، فلم يتركوا عليه إلا سَمَلَ ثوب ، فسمع بذلك نفر من بني الضُّبَيْب ، فنفروا إليهم ، فاستنقذوا لدحية متاعَه ، وقدم دحيةُ على النبي ﷺ فأخبرَه بذلك ، فبعثَ زيدَ بن حارثة في خمسمائة رجل وردَّ معه دحية ، وكان زيدٌ يسير بالليل ويكمُن بالنهار ، ومعه دليل له من بني عُذْرة ، فأقبل بهم حتى هجم بهم مع الصبح على القوم ، فأغاروا

---

(١) الطبقات الكبرى ٨٦/٢ .

(٢) الطبقات الكبرى ٨٧/٢ .

عليهم ، فقتلوا فيهم فأوجعوا وقتلوا الهُنيد وابنَه ، وأغاروا على ماشيتهم وَنعَمِهم ونسائهم ، فأخذوا من النَّعَم ألفَ بعير ، ومن الشَّاء خمسةَ آلاف شاة ، ومن السبي مائة من النساء والصبيان ، فدخلَ زيد بن رِفاعة الجُذامي في نفر من قومه إلى رسول الله ﷺ ، فدفعَ إلى رسول الله ﷺ كتابَه الذي كان كتب له ولقومه لياليَ قدم عليه فأسلم ، وقال : يا رسول الله لا تحرِّم علينا حلالاً ولا تُحِلَّ لنا حراماً . قال : فكيف أصنعُ بالقتلى ؟ قال أبو يزيد بن عمرو : أطلق لنا يا رسول الله من كان حياً ومن قُتل فهو تحت قدميَّ هاتين . فقال رسول الله ﷺ : صدق أبو يزيد ، فبعثَ معهم علياً إلى زيد بن حارثة يأمرُه أن يُخلِّيَ بينهم وبين حُرَمِهم وأموالهم ، فتوجَّه عليٌّ ، ولقي رافعَ بنَ مَكِيث الجُهني ــ بشيرَ زيد بن حارثة ــ على ناقة من إبل القوم ، فردَّها عليّ على القوم . ولقي زيداً بالفحلتين ، وهي بين المدينة وذي المروة ،فأبلغه أمرَ رسول الله ﷺ ، فردَّ إلى الناس كلَّ ما كان أُخذَ لهم[1] .

● وذكر غير ابن سعد أمر هذه السرية أطول من هذا .

● وحِسْمى على مثال فِعلى مكسور الأول ، قيَّده أبو علي : موضعٌ من أرض جُذام ، وذكروا أن الماء في الطوفان أقامَ به بعد نُضوبه ثمانين سنة .

● وعند ابن إسحاق أبو زيد بن عمرو . وعنده رفاعة بن زيد الجُذامي ، وهو الصحيح .

● وعُوص : قيَّده بعض الناس : عُوْض . وقال النمري : ليس عوض إلا في حمير ، وعُوْض بن إرم بن سام بن نوح ، وفي غيرهما عُوص .

سرية زيد بن حارثة إلى وادي القرى

ثم سرية زيد بن حارثة إلى وادي القرى في رجب سنة ست .

قال ابن عائذ : وأخبرني الوليد بن مسلم ، عن عبد الله بن لهيعة ، عن أبي الأسود عن عروة ، قال : ثم غزوة زيد بن حارثة إلى وادي القرى ، فأُصيب يومئذ من المسلمين وَرْد بن مِرداس ، وارْتُثَّ[2] زيد بن حارثة من بين وسط القتلى .

(١) الطبقات الكبرى ٢/٨٨ .

(٢) « وارْتُثَّ » : حُمل من المعركة رثيثاً ، أي جريحاً وبه رمق .

وقال غيره : فلما قدم زيد آلى أن لا يَمَسَّ رأسَهُ غسلُ جنابةٍ حتى يغزوَ بني فزارة . فلما استبلَّ من جراحه بعثه رسول الله ﷺ إلى بني فَزَارة في جيش ، فقتلَهم بوادي القرى .

وعن ابن إسحاق : من طريق يوُنس بن بُكير ، قال : حدثني عبد الله بن أبي بكر ، قال : بعثَ رسولُ الله ﷺ زيدَ بن حارثةَ إلى وادي القرى ، فلقي به بني فَزارة ، وأُصيب بها ناسٌ من أصحابه ، وانفلت زيد من بين القتلى ، فأُصيب فيها أحدُ بني سعد بن هُذَيم ، أصابه أحد بني بكر ، فلما قدم زيد بن حارثة نَذَر أن لا يمسَّ رأسَه غسلٌ من جنابة ، حتى يغزوَ فَزارة ، فلما استبلَّ من جراحه ، بعثه رسول الله ﷺ في جيش إلى بني فَزارة ، فلقيهم بوادي القرى ، وأصاب فيهم .

وقتلَ قيسُ بن[1] المُسَحَّر بن النعمان مسعدةَ بنَ حَكَمَةٍ بن مالك بن بَدْر ، وأسرَ أمَّ قِرْفَة ، وهي فاطمة بنت زمعة بن بَدْر ، وكانت عند حُذيفة بن بدر عجوزاً كبيرة ، وبنتاً لها ، وعبدَ الله بن مسعدة . فأمر زيد بن حارثة أنْ تُقتلَ أمُّ قِرفة ، فقتلَها قتلاً عنيفاً ، وربطَ برجليها حبلين ، ثم رُبطا إلى بعيرين شتى ، حتى شَقَّاها[2] . ثم قدموا على رسول الله ﷺ بابنة أم قِرفة ، وبعبد الله بن مسعدة ، فكانت بنت أم قِرْفة لسلمة بن الأكوع ، وكان هو الذي أصابها ، وكانت في بيت شرف من قومها . كانت العرب تقول : « لو كنتَ أعزَّ من أم قِرفة » . فسألَها رسولَ الله ﷺ ، فوهبَها له ، فأهداها لخاله حَزْن بن أبي وهب ، فولدت له عبدَ الرحمن بن حَزْن .

هكذا ذكر محمد بن إسحاق ومحمد بن سعد ؛ أن أميرَ هذه السرية زيدُ بن حارثة[3] .

وقد روينا في صحيح مسلم[4] أن رسولَ الله ﷺ بعثَ أبا بكر إلى بني فَزارة ، وسيأتي لهذا الخبر مزيد بيان إن شاء الله تعالى .

---

(١) في الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد : « المحسر » وفي نور النبراس أشار إلى ورودها بالوجهين .

(٢) كانت أمُّ قِرفة تشدد في السب على رسول الله ﷺ والنيل من شخصه الكريم . الروض الأنف ٤/٢٥٢ .

(٣) الطبقات الكبرى ٢/٩٠ ، والسيرة النبوية ٢/٦١٧ .

(٤) رواه مسلم في الجهاد (باب التنفيل وفداء المسلمين بالأسارى رقم /١٧٥٥/ وأبو داود في الجهاد (باب الرخصة في المدركين يُفرَّق بينهم) رقم /٢٦٩٧/ وقال السهيلي ٤/٢٥٣ : وهذه الرواية أصح ، وأحسن من رواية ابن إسحاق .

سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دُومة الجَنْدل

قال ابن سعد : ثم سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دُومة[1] الجَندل في شعبان سنة ست .

قالوا : دعا رسولُ الله ﷺ عبد الرحمَن بن عوف ، فأقعدَه بين يديه ، وعمَّمه بيده . وقال : اغزُ بسم الله ، وفي سبيل الله ، فقاتلْ من كفرَ بالله ، ولا تَغُلَّ ، ولا تَغْدُرْ ، ولا تقتلْ وليداً . وبعثه إلى كلب بدُومةَ الجندل ، فقال : إن استجابوا لك فتزوجْ ابنة ملكهم ، فسارَ عبد الرحمن بن عوف حتى قدم دُومةَ الجَندل ، فمكثَ ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام ، فأسلم الأَصْبَغُ بن عمرو الكلبي ، وكان نصرانياً ، وكان رأسهم ، وأسلم معه ناس كثير من قومه ، وأقام من أقام على إعطاء الجزية ، وتزوَّجَ عبدُ الرحمن بن عوف تُماضِرَ بنت الأَصْبَغ ، وقدم بها إلى المدينة ، وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمن[1] .

وذكرَ ابن إسْحاق أن النبيَّ ﷺ بعثَ أبا عبيدة بن الجراح لدُومة الجندل في سرية[2] .

سرية زيد بن حارثة إلى مدين

وذكر ابن إسحاق سريةً لزيد بن حارثة إلى مدين ، قال : فأصابَ سبياً من أهل مِيْنا ، وهي السواحل ، وفيها جُمَّاع من الناس ، فبيعوا ، فَفُرِّق بينهم — يعني بين الأمهات والأولاد — فخرج رسولُ الله ﷺ وهم يبكون ، فقال : ما لهم ؟ فقيل : يا رسول الله فُرِّقَ بينهم . قال : لا تبيعوهم إلا جميعاً . وكان مع زيد بن حارثة في هذه السرية ضُميرة مولى علي بن أبي طالب وأخٌ له[2] .

سرية علي بن أبي طالب إلى بني سعد بن بكر بفَدَك

قال ابن سعد عطفاً على سرية عبد الرحمن بن عوف : ثم سرية علي بن أبي طالب إلى بني سعد بن بكر بفَدَك ، في شعبان سنة ست . قالوا : بلغَ رسولَ الله ﷺ أن لهم جمعاً ، يُريدون أن يُمِدُّوا يهودَ خيبر ، فبعث إليهم علياً في مائة رجل ، فسار الليلَ وكمنَ النهار ، حتى

(١) الطبقات الكبرى ٢/٨٩ .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٦٣٤ — ٦٣٥ .

انتهى إلى الغَمِج[1] ـــ وهو ماء بين خيبر وفدك ، وبين فدك والمدينة ست ليال ـــ فوجدوا به رجلاً ، فسألوه عن القوم ، فقال أُخبركم على أنّكم تؤمنوني ، فأمّنوه ، فدلّهم ، فأغاروا عليهم ، وأخذوا خمسمائة بعير وألفيْ شاة ، وهربتْ بنو سعد بالظُّعن ، ورأسُهم وَبْرُ بن عُليم ، فعزلَ عليٌّ صفيَّ رسول الله ﷺ لَقوحاً تدعى الحَفِدَة ، ثم عزل الخمس ، وقسمَ سائرَ الغنائم على أصحابه[2] .

وذكر الحاكم بسنده في هذا الخبر من طريق الواقدي ، وقال : فأصاب عيناً ، فأقرَّ لهم أنه بُعِثَ إلى خيبرَ يعرضُ عليهم نصرَهم ، على أن يجعلوا لهم تمرَ خيبر .

سرية زيد بن حارثة إلى أمّ قِرْفَة
بوادي القرى

ذكر ابن سعد أنها في شهر رمضان سنة ست . قال : قالوا : خرج زيد بن حارثة في تجارة إلى الشام ومعه بضائع لأصحاب النبي ﷺ ، فلما كان دون وادي القرى ، لقيه ناسٌ من فَزارة من بني بدر ، فضربوه ، وضربوا أصحابه ، وأخذوا ما كان معهم . ثم استبلَّ زيد . وذكر ابن سعد نحو ما سبق عن ابن إسحاق من طريق ابن بُكير في خبر أم قِرفة السابق ، وقال في آخره : وقدم زيد بن حارثة من وجهه ذلك فقرعَ باب النبي ﷺ فقام إليه عُرياناً يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبَّله وساءله فأخبره بما ظفَّره الله به .

كذا ثبت عند ابن سعد لزيد سريتان بوادي القرى ، إحداهما في رجب ، والثانية في رمضان .

● وإنما قالوا : « أعزُّ من أمِّ قِرْفة » لأنها كانت يُعلّق في بيتها خمسون سيفاً ، كلُّهم لها ذو محرم . والواقدي يذكر أنها قُتلت يومَ بُزاخة[3] ، وإنما المقتول يومَ بُزاخة بنوها التسعة . وذكر الدولابي أن زيداً إنما قتلَها كذلك لسبِّها رسولَ الله ﷺ . وعند مسلم أن

(١) « الغَمِج » : لغة : الماء غير العذب .

(٢) الطبقات الكبرى ٢/٨٩ ـــ ٩٠ .

(٣) « بُزَاخة » : ماء لبني أسد ، كانت به وقعة بين المسلمين والمرتدين مع طُليحة في خلافة الصديق رضي الله عنه .

رسولَ الله ﷺ فدا بابنتها أسيراً كان في قريش من المسلمين ، وهو مخالف لما حكيناه عن ابن إسحاق من أنها صارت لحَزْن بن أبي وَهْب .

● وقيس بن المُسَحر بتقديم السين عند الطبري ، وبتقديم الحاء عند غيره وفتح السين ، ومن الناس من يكسرها .

● ووَرْد بن عمرو بن خداش . وفي الأصل عمرو بن مِرْداس ، وكأنه تصحيف ، وهو أحد بني سعد بن هذيم ، وهو سعد بن زيد بن ليث بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة . حضنَه عبدٌ اسمه هذيم ، فغلبَ عليه . قاله ابن الكلبي .

سرية عبد الله بن رواحة إلى أُسير بن رِزَام

وغير ابن سعد يقول : اليسير بن رِزام اليهودي بخيبرَ في شوال سنة ست .

قالوا : لما قُتل أبو رافع سَلام بن أبي الحُقيق ، أمَّرتْ يهودُ عليهم أُسيرَ بن رِزام ، فسار في غطفان وغيرهم ، فجمَعهم لحرب رسول الله ﷺ ، وبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ ، فوجَّه عبد الله بن رواحة في ثلاثة نفر ، في شهر رمضان سِرًّاً ، فسألَ عن خبره وغِرّته ، فأُخْبرَ بذلك . فقدم على رسول الله ﷺ فأخبرَه ، فندَب رسولُ الله ﷺ الناسَ ، فانتدب له ثلاثون رجلاً ، فبعث عليهم عبدَ الله بن رواحة ، فقدموا على أُسير ، فقالوا : نحن آمنون حتى نعرضَ عليك ما جئنا له ، قال : نعم ولي منكم مثلُ ذلك . فقالوا : نعم ، فقلنا : إن رسول الله ﷺ بعثنا إليكَ لتخرجَ إليه فيستعملكَ على خيبرَ ويُحسنَ إليك ، فطمع في ذلك ، فخرجَ ، وخرجَ معه ثلاثون رجلاً من اليهود ، مع كل رجل رديفٌ من المسلمين ، حتى إذا كنا بقرقرةِ نِبار ندم أُسير ، فقال عبد الله بن أُنيس الجهني ، وكان في السرية : وأهوى بيده إلى سيفي ، ففطنتُ له ، ودفعتُ بعيري ، وقلت : غدراً أي عدوَّ الله . فعل ذلك مرتين ، فنزلتُ ، فسقت بالقوم حتى انفرد لي أُسير ، فضربتُه بالسيف فأندرتُ[1] عامَّة فخذه

(١) « أندرتُ » : أسقطتُ .

وساقِه ، وسقط عن بعيره وبيده مِخرش[1] من شَوْحط[2] ، فضربني فشجني مأمومةً[3] ، وملنا على أصحابه ، فقتلناهم كما هم ، غير رجل واحد أعجزنا شدًّا . ولم يُصَبْ من المسلمين أحدٌ ، ثم أقبلنا إلى رسول الله ﷺ فحدثناه الحديث ، فقال : قد نجاكم الله من القوم الظالمين[4] .

وقال ابن عائذ : أخبرنا الوليد ، عن عبد الله بن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، قال : بعثَ رسولُ الله ﷺ عبدَ الله بنَ عتيك في ثلاثين راكباً ، فيهم عبد الله بن أُنيس . وقال غيرُ الوليد : بعث عبدَ الله بنَ رواحة . وفيما ذكره ابن عائذ : وقدموا على رسول الله ﷺ فبصَقَ في شَجَّتِه فلم تَقِحْ ولم تُؤذه حتى مات .

وقال ابن إسحاق : إن ابنَ رواحة غزا خيبرَ مرتين ، إحداهما التي أصابَ فيها ابنَ رِزام[5] .

سرية عمرو بن أُمية الضَّمْري وسلمة بن حَرِيس

وعند ابن إسحاق : جَبَّار بن صخر ، بدل سلمةَ بن حريس .

قال ابن سعد : ثم سرية عمرو بن أمية الضمري وسلمة بن أسلم بن حَرِيس إلى أبي سفيان بن حرب بمكة ، وذلك أن أبا سفيان بنَ حرب ، قال لنفر من قريش : ألا أحد يغتر[6] محمداً ؟ فإنه يمشي في الأسواق ، فأتاه رجلٌ من الأعراب ، فقال : قد وجدتُ أجمعَ الرجال قلباً ، وأشدَّهم بطشاً ، وأسرَعهم شداً ، فإن أنت قويتني خرجتُ إليه حتى أغتالَه ،

---

(١) « مِخْرش » : المِحْجن ، وهو عصا معقوفة الرأس .

(٢) « شَوْحط » : شجر ينبت في الجبال ، تُتخذ منه قناة الرمح .

(٣) « مأمومةً » : اسم مفعول ، من قولهم : أمَّ فلانٌ فلاناً بعصاً ونحوها إذا جرحه بها في أمِّ رأسه .

(٤) الطبقات الكبرى ٢/٩٢ ــ ٩٣ .

(٥) السيرة النبوية ٢/٦١٨ .

(٦) « يغتر » : يغتنم منه غِرّة .

ومعي خِنجر مثلُ خافية[1] النسر ، فأسَوِّرَهُ[2] ، ثم آخذُ في عَيْر[3] ، وأسبقُ القوم عَدْواً فإني هادٍ بالطريق خِرِّيت[4] . قال : أنت صاحبنا ، فأعطاه بعيراً ، ونفقة ، وقال : اطوِ أمرَك ، فخرجَ ليلاً ، فسار على راحلته خمساً ، وصبَّح ظَهْرَ الحَرَّة صُبحَ سادسةٍ . ثم أقبل يسألُ عن رسول الله ﷺ حتى دُلَّ عليه ، فعقلَ راحلتَه ، ثم أقبل إلى رسول الله ﷺ ، وهو في مسجد بني عبدِ الأشهل ، فلما رآه رسولُ الله ﷺ ، قال : إن هذا ليُريد غدراً ، فذهَب ليُجنىء[5] على رسول الله ﷺ فجذبه أُسيد بن الحُضير بداخلة[6] إزاره ، فإذا بالخنجر ، فأُسقط في يديه ، وقال : دمي دمي . فأخذ أُسيد بلَبَّتِه فذعتَه[7] . فقال رسول الله ﷺ : اصدقني ما أنت ؟ قال : وأنا آمن ؟ قال : نعم . فأخبره بأمره ، وما جعل له أبو سفيان ، فخلَّى عنه رسولُ الله ﷺ فأسلم ، وبعثَ رسولُ الله ﷺ عمرو بن أمية الضَّمري وسلمة بن أسلم إلى أبي سفيان بن حرب ، وقال : إن أصبتما منه غِرة فاقتلاه ، فدخلا مكة ، ومضى عمرو بن أمية يطوفُ بالبيت ليلاً ، فرآه معاوية بن أبي سفيان ، فعرفه ، فأخبر قريشاً بمكانه ، فخافوه وطلبوه ، وكان فاتكاً في الجاهلية ، وقالوا : لم يأت عمرو لخير ، فحشدَ له أهلُ مكة ، وتجمَّعوا ، وهربَ عمرو وسلمة ، فلقيَ عمروٌ عبيدَ الله بن مالك بن عبيد الله التيمي ، فقتلَه ، وقتل آخرَ من بني الدِّيل سمعه يتغنى ويقول :

ولستُ بمسلم ما دمتُ حياً ... ولست أدينُ دينَ المسلمينا

ولقي رسولين لقريش بعثَهما يتجسسان الخبرَ ، فقتلَ أحدَهما وأسرَ الآخرَ ، فقدمَ به المدينة ، فجعل عمرو يخبرُ رسولَ الله ﷺ ، ورسولُ الله ﷺ يضحك[8] .

---

(١) « خافية » : واحدة الخوافي ، وهي مجموعة الريشات الخفية في جناح الطائر ، تقوي الريشات الظاهرة في مُقدَّمه ، وإضافتها للنسر هنا تُشعر بحدتها وقوتها .

(٢) « فأسَوِّرُه » : لعل المقصود أنه يثب عليه بسرعة ويسوِّره بطعناته ويُحيطه بها .

(٣) « عَيْر » : جبل بالمدينة معروف ، يحدُّ حرم المدينة من الجنوب ، ويأخذ فيه : يدخل في شِعابه وهضابه .

(٤) « خِرِّيت » : ماهر .

(٥) « ليُجنىء » :يَميلُ ويُكِبُّ .

(٦) « بداخلة إزاره » : بأطرافه الداخلية .

(٧) « فذَعَتَه » : خنقه خنقاً شديداً .

(٨) الطبقات الكبرى ٢/٩٤ .

غزوة رسول الله ﷺ الحديبية

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسولُ الله ﷺ بالمدينة ــ يعني بعد غزوة بني المُصْطَلِق ــ رمضان وشوالاً ، وخرج في ذي القَعدة معتمراً لا يريد حرباً[1] .

وعند ابن سعد : يوم الاثنين لهلال ذي القعدة[2] .

قال ابن هشام : واستعملَ على المدينة نُميلة بن عبد الله الليثي .

قال ابن إسحاق : واستنفرَ العربَ ومَنْ حولَه من أهل البوادي من الأعراب ، وهو يخشى من قريش الذي صنعوا ، أن يَعرضوا له بحرب ، أو يَصدُّوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثيرٌ من الأعراب ، وخرجَ رسول الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار ، ومَنْ لحق به من العرب ، وساق الهديَ معه ، وأحرم بالعمرة ، ليأمنَ النَّاسُ من حربه ، وليعلمَ النَّاسُ أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له .

حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن مِسور بن مخرمة ، ومروان بن الحكم ، أنهما حدَّثاه قالا : خرجَ رسولُ الله ﷺ عام الحديبية ، يرُيد زيارة البيت ، لا يرُيد قتالاً ، وساق معه الهديَ سبعين بدنة ، وكان النَّاسُ سبعمائة رجل ، فكانت كلُّ بدنةٍ عن عشرة نفر[1] .

وقال ابن عقبة : عن جابر ، عن كل سبعة بدنة .

وذكر ابن عائذ عن الوليد بن مسلم ، عن الزهري : كانوا أربعَ عشرة مائة[3] .وذكر ابن عقبة عن جابر : كانوا ستة عشر مائة .

وروينا عن البراء من طريق ابن سعد وغيره : كانوا ألفاً وأربعمائة[2] .

---

(١) السيرة النبوية ٣٠٨/٢ .

(٢) الطبقات الكبرى ٩٥/٢ .

(٣) في « ب » زيادة : وهو الأصح . ونبه صاحب نور النبراس إلى أن هذا العدد ــ ألف وأربعمائة ــ هو أكثر الروايات وروداً . ويؤيده ما رواه البخاري في المغازي (باب غزوة الحديبية) رقم /٤١٥٠/ .

ورويناعن جابر كانوا خمس عشرة مائة ، أخبرنا الشيخ نظام الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن الحسين بن الخليلي قراءة عليه وأنا أسمع بمصر ، أخبرنا أبو نصر بن الدجاجي إجازة من بغداد ، أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد بن علوي الكوفي قراءة عليه وأنا أسمع ، أخبرنا أبو الفرج محمد بن أحمد بن علوان الخازن ، أخبرنا القاضي أبو عبد الله الجعفي ، حدثنا أبو جعفر محمد بن رباح الأشجعي ، حدثنا أبو الحسن علي بن منذر الطريقي ، حدثنا محمد بن فُضيل بن غزوان الضَّبي ، حدثنا حصين بن عبد الرحمن ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن جابر بن عبد الله ، قال : عطش النَّاسُ يوم الحديبية ، ورسولُ الله ﷺ بين يديه رَكْوة يتوضأ منها ، فأقبل النَّاس نحوَه ، فقال : ما لكم ؟ قالوا : يا رسول الله ليس عندنا ماء نشربُ ولا نتوضأ منه إلا ما في ركوتك . فوضعَ رسولُ الله ﷺ يدهَ في الركوة[١] ، فجعلَ الماء يفور من بين أصابعه أمثالَ العُيون . قال : فشربنا وتوضأنا . قال : فقلت لجابر : كم كُنتم يومئذ ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمسَ عشرة مائة[٢] .

وقال ابن سعد : ويقال ألف وخمسمائة وخمسة وعشرون رجلاً .

وأحرم معه ﷺ زوجه أم سلمة[٣] . وروينا عن عبد الله بن أبي أوفى من طريق ابن سعد : كانو ألفاً وثلاثمائة .

قال ابن إسحاق : وخرج رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بعُسفان ، لقيه بِشر بن سفيان الكعبي ، وابن هشام يقول : بُسر . فقال : يا رسول الله هذه قريش قد سمعتُ بمسيركَ ، فخرجوا معهم العوذ المطافيل[٥] ، قد لبسوا جلود النمور ، وقد نزلوا بذي طوى[٦] ، يعاهدون

---

(١) « الرَّكوة » : إناء صغير من جلد .

(٢) رواه البخاري في المغازي (باب غزوة الحديبية) رقم /٤١٥٢/ ، ومسلم في الإمارة (باب استحباب مبايعة الإمام بجيش عند إرادة القتال) رقم /١٨٥٦/ ، وإنما آثر المؤلف إخراجه من غيرهما طلباً للعلو . نور النبراس . ونُطق العدد على هذا النحو لا يزال شائعاً إلى اليوم في بعض القبائل العربية .

(٣) الطبقات الكبرى ٢/٩٥ .

(٤) المصدر السابق ٢/٩٨ .

(٥) انظر فوائد المؤلف ص ١٧٤ .

(٦) ذو طوى : وادٍ بمكة .

الله أن لا تدخلَها عليهم عَنوة أبداً ، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم ، وقد قدموها إلى كُرَاع الغَمِيم .

وقال ابن سعد : قدَّموا مائتي فارس ، عليها خالد بن الوليد ، ويقال : عكرمة بن أبي جهل . قال : ودنا خالد في خيله حتى نظرَ إلى أصحاب رسول الله ﷺ ، فأمر رسولُ الله ﷺ عَبَّادَ بن بِشر ، فتقدَّم في خيله ، فقام بإزائه ، وصفَّ أصحابَه ، وحانتْ صلاةُ الظهر ، فصلَّى رسولُ الله ﷺ بأصحابه صلاةَ الخوف[1] .

رجع إلى خبر ابن إسحاق : قال : فقال رسولُ الله ﷺ : يا ويح قريش ، أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خَلَّوْا بيني وبين سائر العرب ، فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش ؟ فوالله لا أزالُ أُجاهد على الذي بعثني الله به حتى يُظهَره الله أو تنفردَ هذه السالفة[2] ، ثم قال : مَن رجلٌ يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها . فحدثني عبدُ الله بن أبي بكر ؛ أن رجلاً من أسلم ، قال : أنا يا رسول الله . قال : فسلكَ بهم طريقاً وَعْراً أجرل[3] بين شعاب ، فلما خرجوا منه وقد شق ذلك على المسلمين ، وأفضَوْا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي . قال رسول الله ﷺ للناس قولوا : نستغفرُ الله ونتوبُ إليه . فقالوا ذلك . فقال : والله إنها للحطة[4] التي عُرضت على بني إسرائيل فلم يقولوها .

قال ابن شهاب : فأمرَ رسول الله ﷺ الناس ، فقال : اسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحَمْضِ[5] ، في طريق يُخرجه على ثنية المُرار ، مهبط الحديبية من أسفل مكة . قال : فسلك

---

(١) الطبقات الكبرى ٢/٩٥ .

(٢) « السالفة » : صفحة العنق ، وهما سالفتان من جانبيه ، وكنَّى بانفرادها عن الموت .

(٣) انظر فوائد المؤلف ص ١٧٤ .

(٤) « لَلْحِطَّة » : يُريد ﷺ قولَ الله تعالى لبني إسرائيل : ﴿ وادخلوا الباب سُجَّداً وقُولوا حِطَّة .. ﴾ [البقرة : ٥٨] ومعناها : اللهم حطَّ عنا ذنوبنا .

(٥) « الحَمْض » : ما كان ذا مرارة وملوحة من النبات كالرِّمث والأَثْلِ والطَّرْفَاء . والخلة من النبات ما فيه حلاوة ، تقول العرب : الخُلَّة خبز الإبل والحَمْض فاكهتها . قاله في نور النبراس .

الجيشُ ذلك الطريق ، فلما رأتْ قريش قَتَرة[1] الجيش قد خالفوا عن طريقهم ، ركضوا راجعين إلى قريش . وخرجَ رسولُ الله ﷺ حتى إذا سلك في ثنية المُرار بركت ناقته . فقال الناس : خلأت القصواء[2] فقال : ما خلأتْ ، وما هو لها بخلق ، ولكن حبسَها حابسُ الفيل عن مكة ، لا تدعوني قريشٌ اليومَ إلى خُطّة يسألون فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها . ثم قال للناس : انزلوا . قيل له : يا رسول الله ما بالوادي ماء ننزل عليه . فأخرجَ سهماً من كِنانته ، فأعطاهُ رجلاً من أصحابه ، فنزلَ في قَليب من تلك القُلُب ، فغرزه في جوفه ، فجاش بالرَّواء[2] حتى ضربَ النَّاسُ عنه بعطن[3] .

قال : فحدثني بعضُ أهل العلم ، عن رجال من أسلم ، أن الذي نزل في القليب ناجيةُ بن جُندب ، سائقُ بُدْنِ رسول الله ﷺ . وقد زعمَ لي بعضُ أهل العلم أن البراء بنَ عازبَ كان يقول : أنا الذي نزلتُ بسهم رسول الله ﷺ ، فالله أعلم .

قال الزهري في حديثه : فلما اطمأن رسولُ الله ﷺ أتاه بُديل بن وَرقاء في رجال من خُزاعة ، فكلَّموه ، وسألوه ما الذي جاء به ؟ فأخبرَهم أنه لم يأت يُريد حرباً ، وإنما جاء زائراً للبيت ومُعظِّماً لحرمته ، ثم قال لهم نحواً مما قال لبِشر بن سفيان . فرجعوا إلى قريش ، فقالوا : يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمد ، إن محمداً لم يأتِ لقتال ، إنما جاء زائراً لهذا البيت ، فاتهموهم وجبَّهوهم[2] ، وقالوا : إن كان جاء ولا يُريد قتالاً ، فوالله لا يدخلُها علينا عُنوةً أبداً ، ولا تَحدَّث بذلك عنا العرب . وكانت خزاعةُ عيبةَ[4] رسول الله ﷺ ، مسلمُها ومشركُها ، لا يُخفون عليه شيئاً كان بمكة .

ثم بعثوا إليه مِكرزَ بن حفص بن الأخيف ، أخا بني عامر ، فلما رآه رسول الله ﷺ مقبلاً ، قال : هذا الرجل غادر[5] . فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وكلَّمه ، قال له

---

(١) « قَتَرة الجيش » : غباره .

(٢) انظر الفوائد ص ١٧٤ .

(٣) « بعَطَن » : مبرك الإبل حول الماء .

(٤) « عيبة » : العيبة : الحقيبة ونحوها ، والمقصود أنهم خاصته وموضع سره .

(٥) كذا هنا ، وفي صحيح البخاري في المغازي رقم (٢٧٣١ و٢٧٣٢) : « فاجر » . وقال الحافظ : وفي رواية ابن إسحاق « غادر » وهو أرجح .. وأورد قصة من مغازي الواقدي ثبت فيها غدره .

رســول الله ﷺ نحواً مما قـال لبـديـل وأصحــابه ، فرجع إلى قريش وأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ ، ثم بعثوا إليه الحُلَيْس بن علقمة بن زَبَّان ، وكان يومئذ سيد الأحابيش[1] ، وهو أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه رسولُ الله ﷺ ، قال : إن هذا من قوم يتـألهون ، فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه ، فلما رأى الهديَ يسـيرُ إليه من عُرض[2] الوادي بقلائده ، قد أكل أوبارَه من طول الحبس عن مَحِلّه[3] ، رجعَ إلى قريش ، ولم يصل إلى رسول الله ﷺ ؛ إعظاماً لما رأى ، فقال لهم ذلك . فقالوا له : اجلس فإنما أنت أعرابيّ لا علم لك . فحدثني عبدُ الله بن أبي بكر ، أن الحُلَيسَ غضبَ عند ذلك ، وقال : يا معشر قريش والله ما على هذا حالفنـاكم ، ولا على هذا عاقدناكم ، أَيُصَدُّ عن بيت الله من جاءه مُعَظِّماً ، والذي نفس الحُلَيس بيده لتُخَلُّنَّ بين محمد وما جاء له ، أو لأنفِرن بالأحابيش نفرةَ رجل واحد . قال : فقالوا : مه ، كفَّ عنا يا حُلَيس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

قال الزهري في حديثه : ثم بعثوا إلى رسول الله ﷺ عروةَ بن مسعود الثقفي ، فقال : يا معشر قريش إني قد رأيتُ ما يَلقى منكم من بعثتموه إلى محمد إذا جاءكم ؛ من التعنيف وسوء اللفظ ، وقد عرفتم أنكم والد وأني ولد ، ــ وكان عروةُ لسُبيعة بنت عبد شمس ــ وقد سمعتُ بالذي نابَكم ، فجمعتُ من أطاعني من قومي ، ثم جئتكم حتى آسيتُكم بنفسي ، قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم ، فخرج حتى أتى رسولَ الله ﷺ ، فجلس بين يديه ، ثم قال : يا محمد أجمعتَ أوشابَ الناس ثم جئتَ بهم إلى بيضتِك[4] لتفضها بهم ؟ إنها قريش قد خرجت معها العوذُ المطافيل ، قد لبسوا جلود النمور ، يعُاهدون الله لا تدخلَها عليهم عنوة أبداً ، وايم الله لكــأني بهؤلاء قد انكشـفوا عنك غداً . قـال : وأبو بكر الصـديق خلف رسول الله ﷺ قاعد ، فقال : امصُصْ بَظْرَ اللات ، أنحن ننكشف عنه ؟ قال : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أبي قحافة ، قال : أما والله لولا يدٌ كانت لك عندي لكأفاتك بها ،

(١) « الأحابيش » : هم أحياء من القَارَة انضموا إلى بني ليث في محاربتهم قريشاً ، والتحبُّش : التَّجمع ، وقيل : حالفوا قريشاً تحت جبل يُسمَّى حبشيّاً فسُمُّوا بذلك .

(٢) « عُرْض الوادي » جانبه وناحيته ، ويُطلق أيضاً على الوسط .

(٣) « مَحِلّه » : موضعه الذي يُنحر فيه من الحرم .

(٤) « بيضتك » : أهلُك وعشيرتُك .

ولكن هذه بها . قال : ثم جعل يتناول لحيةَ رسول الله ﷺ وهو يُكلِّمه . قال : والمغيرةُ بن شعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ في الحديد . قال : فجعلَ يقرعُ يدَه إذا تناول لحيةَ رسول الله ﷺ ، ويقول : اكففْ يدكَ عن وجه رسول الله ﷺ قبل أن لا تصلَ إليك ، قال : فيقول عروة : ويحكَ ما أفظَّكَ ! وما أغلظَكَ ! قال : فتبسم رسولُ الله ﷺ ، فقال له عروة : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة ، قال : أي غُدَرْ وهل غسلتُ سوأتك إلا بالأمس ؟! .

قلت : كذا وقع في هذا الخبر ؛ أن عروة عَمُّ المغيرة ، وإنما هو عَمُّ أبيه . هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود فعروة وأبو عامر أخوان .

قال ابن هشام : أراد عروةُ بقوله هذا أن المغيرةَ قبل إسلامه قتل ثلاثة عشرَ رجلاً من بني مالك من ثقيف ، فتهايجَ الحيَّان من ثقيف : بنو مالك رهطُ المقتولِيْن ، والأحلاف رهطُ المغيرة ، فوَدَى عروةُ المقتولين ثلاثة عشر ديةً ، وأصلح ذلك الأمرَ .

قال الزهري : فكلَّمَه رسولُ الله ﷺ نحواً مما كلَّم به أصحابَه ، وأخبرَه أنه لم يأت يُريد حرباً ، فقام من عند رسول الله ﷺ ، وقد رأى ما يصنعُ به أصحابُه ، لا يتوضأُ إلا ابتدروا وضوءه ، ولا يبصقُ بصاقاً إلا ابتدروه ، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه ، فقال : يا معشر قريش إني جئت كسرى في ملكه ، وقيصرَ في ملكه ، والنجاشيَّ في ملكه ، وإني والله ما رأيتُ مَلِكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه ، ولقد رأيتُ قوماً لا يُسلمونه لشيء أبداً ، فرَوا رأيَكم .

قال ابن إسحاق : فحدثني بعضُ أهل العلم أنَّ رسولَ الله ﷺ ، دعا خِراشَ بن أمية الخزاعي ، فبعثَه إلى قريش بمكة ، وحملَه على بعير له يُقال له الثعلب ، ليبُلِّغ أشرافَهم عنه ما جاء له ، فعقروا به جملَ رسول الله ﷺ ، وأرادوا قتلَه ، فمنعه الأحابيشُ ، فخَلَّوْا سبيلَه ، حتى أتى رسول الله ﷺ . وحدثني بعضُ من لا أتهم ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، أن قريشاً كانوا بعثوا أربعينَ رجلاً منهم ، أو خمسين رجلاً ، وأمروهم أن يُطيفوا بعسكر رسول الله ﷺ ، ليُصيبوا لهم من أصحابه أحداً ، فأُخذوا أخذاً ، فأُتي بهم رسولُ الله ﷺ ، فعفا عنهم وخلَّى سبيلَهم ، وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنَّبْل . ثم دعا

عمرَ بن الخطاب ليبعثَه إلى مكة فُيبلِّغ عنه أشرافَ قريش ما جاء له . فقال : يا رسول الله إني أخافُ قريشاً على نفسي بمكة ، وما بمكة من بني عدي بن كعب أحدٌ يمنعني ، وقد عرفتْ قريش عداوتي إياها ، وغلظتي عليها ، ولكن أدلُّك على رجل أعزُّ بها مني ، عثمان بن عفان ، فدعا رسولُ الله ﷺ عثمانَ بن عفان ، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يُخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وأنه لم يأت إلا زائراً لهذا البيت ، ومعظماً لحرمتِه[1] . فخرجَ عثمان بن عفان إلى مكة ، فلقيه أبانُ بن سعيد بن العاص حين دخل مكة ، أو قبل أن يدخلَها ، فجعله بين يديه ، ثم أجاره ، حتى بلَّغ رسالةَ رسول الله ﷺ ، فانطلق عثمانُ حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلَّغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به . فقال لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم : إن شئتَ أن تطوفَ بالبيت فطفْ . قال : ما كنتُ لأفعلَ حتى يطوفَ به رسولُ الله ﷺ . فاحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسولَ الله ﷺ والمسلمين أن عثمانَ قد قُتل .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسولَ الله ﷺ قال حين بلغَه أن عثمان قد قُتل : لا نبرحُ حتى نناجزَ القومَ ، ودعا رسولُ الله ﷺ الناسَ إلى البيعة ، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، فكان الناسُ يقولون : بايعهَم رسولُ الله ﷺ على الموت ، وكان جابرُ بن عبد الله يقول : إن رسولَ الله ﷺ لم يبايعْنا على الموت ، ولكن بايعنَا على أن لا نفِرَّ ، فبايع رسولُ الله ﷺ الناسَ ، ولم يتخلَّفْ عنه أحد من المسلمين حضرها ، إلا الجَدُّ بن قيس ، أحد بني سَلِمة ، فكان جابر يقول : والله لكأني أنظرُ إليه لاصقاً بإبط ناقته ، قد ضبأ[2] إليها ، يستتر بها من الناس . ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي ذُكر من أمر عثمان باطل .

قال ابن هشام : فذكر وكيع ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ؛ أن أوَّل من بايع رسولَ الله ﷺ بيعةَ الرضوان أبو سنان الأسدي .

قال ابن إسحاق : قال الزهري : ثم بعثتْ قريش سُهيلَ بن عمرو ـــ أخا بني عامر بن لؤي ـــ إلى رسول الله ﷺ . قالوا : ائت محمداً فصالحْه ، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجعَ

(١) كذا في السيرة النبوية ؛ لابن هشام ، وفي الأصول « مُعَظِّماً له لحرمته » .
(٢) « ضبأ » : لجأ ، ومن معانيها : الاختفاء والاستتار .

عنا عامَه هذا ، فوالله لا تَحدَّثُ العربُ أنه دخلَها علينا عُنوة أبداً . فأتاه سهيلُ بن عمرو ، فلما رآه رسولُ الله ﷺ مقبلاً ، قال : قد أراد القومُ الصلحَ حين بعثوا هذا الرجل . فلما انتهى سهيلٌ إلى رسول الله ﷺ تكلَّم فأطالَ الكلام ، وتراجعَا ، ثم جرى بينهما الصلحُ ، فلما التأم الأمرُ ، ولم يبق إلا الكتاب ، وثبَ عمرُ بن الخطاب ، فأتى أبا بكر ، فقال له : يا أبا بكر أليس برسول الله ؟ قال : بلى . قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال : فعلامَ نُعطي الدنيئة[1] في ديننا ؟ قال أبو بكر : يا عمر الزم غَرْزَه[2] فإني أشهدُ أنه رسولُ الله ﷺ . قال عمر : وأنا أشهد أنه رسولُ الله . ثم أتى رسولَ الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ألستَ برسول الله ؟ قال : بلى . قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال : فعلامَ نُعطي الدنيئة[1] في ديننا ؟ قال : أنا عبدُ الله ورسولُه ، لن أخالفَ أمرَه ، ولن يُضيِّعني . قال : فكان عمر يقول : ما زلتُ أصومُ وأتصدَّقُ وأُصلِّي وأعتِقُ من الذي صنعتُ يومئذٍ ، مخافَة كلامي الذي تكلَّمتُ به حين رجوتُ أن يكون خيراً .

ثم دعا رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب ، فقال اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم . قال : فقال سهيل بن عمرو : لا أعرفُ هذا ، ولكن اكتبْ : باسمك اللهم . فكتبَها . ثم قال اكتب : هذا ما صالحَ عليه محمدٌ رسولُ الله سهيلَ بن عمرو . فقال سهيل بن عمرو : لو شهدتُ أنك رسولُ الله لم أقاتلْكَ ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك . قال : فقال رسولُ الله ﷺ اكتب : هذا ما صالحَ عليه محمد بن عبد الله سهيلَ بن عمرو ، واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشرَ سنين ، يأمن فيهنَّ الناسُ ، ويكفُّ بعضُهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وَليِّه رَدَّه عليه ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يرده عليه ، وأن بيننا عيبة مكفوفة[3] ، وأن لا إسلال ولا إغلال[3] ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أراد أن يدخلَ في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، فتواثبتْ

---

(١) « الدنيئة » : ويُروى : الدنيّة أيضاً بالتسهيل ، ما فيه ذلة وحقارة ، والفعل منه : دنا ودَنُو .

(٢) « الزمْ غَرْزه » : الزم أمره ولا تُفارقه ، والغَرْزُ : ركاب الإبل خاصة ، وكان يُصنع عندهم من الجلد أو الخشب .

(٣) انظر فوائد المؤلف ص ١٧٥ .

خُزاعة ، فقالوا : نحن في عقد محمد وعهده . وتواثبت بنو بكر ، فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم ، وأنك ترجع عنا عامَك هذا فلاتدخلُ علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل ، خرجنا عنها فدخلتَها بأصحابك ، فأقمتَ بها ثلاثاً ، معك سلاح الراكب : السيوف في القُرُب ، لا تَدْخلُها بغيرها .

فبينا رسولُ الله ﷺ يكتبُ الكتاب هو وسهيل بن عمرو ، إذ جاء أبو جَندل بن سُهيل بن عمرو ، يرسفُ في الحديد ، قد انفلتَ إلى رسول الله ﷺ ، وقد كان أصحابُ رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يَشكُّونَ في الفتح لرؤيا رآها رسولُ الله ﷺ ، فلما رأَوْا ما رأَوْا من الصلح والرجوع ، وما تحمَّل عليه رسول الله ﷺ في نفسه ، دخلَ النَّاسَ من ذلك عليهم أمرٌ عظيم ، حتى كادوا يهلكون . فلما رأى سهيلٌ أبا جندل قام إليه فضربَ وجهَه ، وأخذَ بتلبيبه[٢] ، ثم قال : يا محمد قد لَجَّتِ[١] القضية بيني وبينَك قبل أن يأتيك هذا ، قال : صدقت . فجعل ينتره[٢] بتلبيبه ، ويجرُّه ليردَّه إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخُ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أُرَدُّ إلى المشركين يفتنوني في ديني ؟ فزادَ الناسَ ذلك إلى ما بهم . فقال رسول الله ﷺ : يا أبا جَندل اصبرْ واحتسبْ ، فإن الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صُلحاً ، وأعطيناهم على ذلك وأعطَوْنا عهدَ الله ، وإنا لا نغدر بهم . قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جَندل يمشي إلى جنبه ، ويقول : اصبرْ يا أبا جندل ، فإنما هم المشركون ، وإنما دم أحدهم دمُ كلب . قال : ويُدني قائمَ السيفِ منه ، قال : يقول عمر : وددتُ أن يأخذَ السيفَ فيضربَ به أباه . قال : فضنَّ الرجلُ بأبيه ، ونفذتِ القضية ، فلما فرغَ الكتابُ[٣] ، أشهد على الصلح رجالاً من المسلمين ورجالاً من المشركين : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمود بن مسلمة ، ومِكرز بن حفص وهو مشرك ، وعلي بن أبي طالب ، وكان هو كاتب الصحيفة .

---

(١) « لَجَّت » : تمت .

(٢) « ينترهُ بتلبيبهِ » : ينتره : يجذبه جذباً شديداً . بتلبيبه : التلبيب : ما في موضع اللَّبب من الثياب ، جمعه تلابيب ، واللَّبب واللَّبَة : المنحر ، والأخذ بتلبيب الرجل : أن يَجمع ثيابه عند نحره في الخصومة .

(٣) « فرغ الكتاب » : انتهت الكتابة .

وكان رسـول الله ﷺ مُضطرباً[1] في الحِلِّ ، وكان يُصلي[2] في الحرم ، فلما فرغَ من الصلح قام إلى هديه فنحره ، ثم جلس فحلق رأسَه ، وكان الذي حلقه فيما بلغني في ذلك اليوم خِراشُ بن أمية بن الفضل الخزاعي ، فلما رأى النَّاسُ رسول الله ﷺ قد نحرَ وحلقَ تواثبوا ينحرون ويحلقون .

وذكر ابن إسحـاق عن ابن أبي نَجيـح ، عن مجاهـد ، عن ابن عبـاس : دعـا رسولُ الله ﷺ بالرحمة للمُحلِّقين ثلاثاً ، وللمقصِّرين مرة[3] .

وذكر ابن سعد بسنده ؛ أن عثمان وأبا قتادة الأنصاري ممن لم يحلق[4] .

وقال ابن[5] أبي نَجيح : حدثني مجاهد ، عن ابن عباس ، أن رسولَ الله ﷺ أهدى عام الحديبية في هداياه جملاً لأبي جهل في رأسه بُرة[6] من فضة ، ليغيظَ بذلك المشركين .

قال الزهري في حديثه : ثم انصرف رسولُ الله ﷺ من وجهه ذلك قافلاً ، حتى إذا كان بين مكـة والمدينة ، نزلت سورةُ الفتح : ﴿ إنَّا فتحنَا لكَ فتحاً مُبيناً . ليغفرَ لكَ اللهُ مـا تقدَّمَ من ذنبِكَ وما تأخَّرَ ويُتِـمَّ نعمتَـه عليكَ ويهديَك صِـرَاطاً مُسْتقيماً ﴾ [الفتح : ١ ــ ٢] . ثم كانت القصة فيه وفي أصحابه ، حتى انتهى إلى ذكر البيعة ، فقال : ﴿ إنَّ الذين يُبـايعونَك إنما يُبايعون الله ﴾ الآية [الفتح : ١٠] . ثم ذكر من تخلف عنـه من الأعراب ، ثم قال حين استنفرهم للخروج معه فأبطؤوا عليه : ﴿ سيقولُ لكَ المُخلَّفونَ من الأعراب شَغَلَتْنا أموالُنا وأهلونَا ﴾ [الفتح : ١١] ثم القصة عن خبرهم ، حتى انتهى إلى قوله : ﴿ سيقولُ المُخلَّفُون إذا انطلقْتُم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نَتَّبِعْكُم يُريدون أن يُبَدِّلُوا كلامَ الله قلْ لن تتبعونا ﴾ [الفتح : ١٥] . ثم القصة عن خبرهم ، وما عرض عليهم من

(١) « مضطرباً في الحِلِّ » : ضارباً خيامه خارج حدود حرم مكة .

(٢) « وكان يُصلِّي في الحرم » : يُريد أنه لم يكن يصلي في مخيمه ﷺ خارج حدود الحرم ، وإنما كان يُفارقه ليصلي في داخلها ، وذلك لقرب الحديبية منها .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٣٠٨ ــ ٣١٩ .

(٤) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/١٠٤ .

(٥) رجع إلى ابن إسحاق .

(٦) « بُرة » : حلقة معدنية تُجعل في أنف البعير .

جهاد القوم أولي البأس الشديد ، فذكر آيات من سورة الفتح[1] .

وذكر ابن عائذ : فيما رواه عن محمد بن شعيب ، عن عثمان بن عطاء الخراساني ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ووعده ربُّه أنه فاتحها ، وبيَّنَ له فتحها ، ولم يجعل لمن تخلف عنه بالمدينة من غير معذرة نصيباً في مغانم خيبر ، فقال : ﴿ سيقولُ المُخَلَّفُون إذا انطلَقْتم إلى مغانمَ لتأخذَوها ﴾ حتى بلغ ﴿ إلا قليلاً ﴾ [الفتح : ١٥] .

وقال ابن عقبة في تفسير قوله ﴿ فتحاً قريباً ﴾ [الفتح : ١٨] رجوعهم من العام المقبل إلى مكة معتمرين ، وقيل خيبر .

وهاجرت إلى رسول الله ﷺ أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط في تلك المدة ، فخرج أخواها عمارة والوليد في ردها بالعهد ، فلم يفعل النبي ﷺ ذلك . ونزلت : ﴿ إذا جاءَكم المؤمناتُ مهاجراتٍ فامتحنُوهنَّ الله أعلمُ بإيمانهنّ ﴾ [الممتحنة : ١٠] الآيات . وكان ممن طَلَّقَ عند نزول قوله تعالى : ﴿ ولا تُمسكوا بِعصم الكوافر ﴾ [الممتحنة : ١٠] عمر بن الخطاب ، طلَّق امرأته قُرَيْبة بنت أبي أمية بن المغيرة ، فتزوجها معاوية بن أبي سفيان وهما على شركهما ، وأم كلثوم بنت جرول ، فتزوَّجَها أبو جهم بن حذيفة بن غانم رجل من[2] قومه ، وهما على شِركهما .

وروي أن بعض من كان مع النبي ﷺ قال له لما قدم المدينة : ألم تقلْ يا رسولَ الله إنك تدخل مكة آمناً ؟ قال : بلى ، أفقلت لكم من عامي هذا ؟ قالوا : لا . قال : فهو كما قال جبريل[3] .

وذكر ابن عقبة : عن ابن شهاب ؛ أن رسول الله ﷺ استشـار الناس حين بلغه أن قريشاً تجمع له ، فقال : أترون أن نُغيرَ على ما جمعوا لنا ، وعلى جُلِّ أموالهم ، فنصيبَهم ، فإن قعدوا قعدوا مَغيظين مَوتورين ، وإن تبقَ منهم عنق نقطعها ؟ أم ترون أن نؤمَّ البيتَ الحرام ،

---

(١) السيرة النبوية ٢/٣١٩ ـــ ٣٢٢ .

(٢) في السيرة النبوية : « وأم كلثوم بنت جرول ؛ أم عبيد الله بن عمر الخزاعية .. » فهي وزوجها وابنها عبيد الله من خزاعة .

(٣) السيرة النبوية ٢/٣٢٥ ـــ ٣٢٧ .

فمن صدَّنا عنه قاتلناه ؟ قال أبو بكر الصديق : الله ورسوله أعلم ، جئنا لأمر ، فنرى أن نؤمّه ، فمن صدَّنا عنه قاتلناه . قال رسول الله ﷺ : فنعم . ويُقال : سار رسولُ الله ﷺ حتى إذا كان بعُسفان ، لقيه بشرُ بن سفيان الكعبي ، فقال : إن قريشاً قد نزلت بذي طُوى ، وذكر نحو ما تقدم . وفيه : بعد كتابة الصحيفة بالصلح ، فهم ينتظرون نفاذ ذلك وإمضاءه ، رمى رجلٌ من أحد الفريقين رجلاً من الفريق الآخر ، فكان بينهم شيء من قتال ، يترامون بالنبل والحجارة ، فصاح الفريقان كلاهما ، وارتهن كلٌّ واحد من الفريقين مَنْ كان عنده من الآخرين ، فارتهنَ المشركون عثمان بن عفان ومن كان معه ، وارتهن المسلمون سُهيلَ بن عمرو ومن كان معه من المشركين ، يقولون : فعند ذلك دعا رسول الله ﷺ المسلمين إلى البيعة ، وأراد القتال ، فبايعوه على الموت . وقال جابر : على أن لا يفروا ، وعمر آخذ بيده . والشجرة : سمرة . والخيل مائة فرس ، فبايعناه ، غير الجَدِّ بن قيس ، فلما رأت قريش ذلك رعبهم[1] الله ، وأرسلوا من كان في أيديهم من المسلمين ، فدعَوا إلى الموادعة والصلح ، والمسلمون لهم عالون ، وصالحهَم رسولُ الله ﷺ ، وكره عمرُ الصلحَ ، ثم رجع عن ذلك . ولما رجع عليه الصلاة والسلام من الحديبية ، كلَّمه بعضُ أصحابه ، فقالوا : جهدنا وفي الناس ظهر[2] فانحرْه لنأكلَ من لحمه ، ولنَدَّهِنَ من شحومه ، ولنَحْتذِيَ[3] من جلوده . فقال عمر بن الخطاب : لا تفعل يا رسول الله ، فإن النَّاسَ إن يكن فيهم بقيةُ ظهر أمثل ، فقال رسول الله ﷺ : ابسطوا أنطاعَكم[4] وعباءَكم ، ففعلوا ، ثم قال : من كان عنده بقية من زاد أو طعام فلينثرْه ، ودعا لهم ، فقال : قربوا أوعيتكم ، فأخذوا ما شاء الله .

وقد روينا نحوه : من حديث إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه من طريق مسلم ، وفي آخره : فقال النبيُّ ﷺ : « فهل من وَضوء ؟ » فجاء رجلٌ بإداوة[5] ، فيها نطفةٌ من ماء ، فأفرغا في قدح ، فتوضأنا كلُّنا .. الحديث[6] .

---

(١) « رَعَبهم الله » : بتخفيف العين : أفزعهم ، ولا يُقال : أرعبه ، انظر الصحاح للجوهري .

(٢) « وفي الناس ظَهْرٌ » : إبل مركوبة .

(٣) « ولنَحْتَذِيَ من جلوده » : نتخذ منها أحذية .

(٤) « أنطاعكم » : جمع نِطع ، وهو البساط من الجلد .

(٥) « بإداوة » : إناء صغير من جلد ، والنطفة : الماء القليل .

(٦) رواه مسلم في كتاب اللقطة (باب استحباب خلط الأزواد إذا قلَّت ..) رقم /١٧٢٩/ .

قال ابن عقبة : وأقبل رسولُ الله ﷺ من الحديبية راجعاً ، فقال رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ : ما هذا بفتح ، لقد صَدُّونا عن البيت ، وصُدَّ هَدْيُنا ، وردَّ رسول الله ﷺ رجلين من المؤمنين ، كانا خرجا إليه . فبلغ رسولَ الله ﷺ قولُ أولئك[1] ، فقال : بئس الكلام بل هو أعظم الفتح ، قد رضي المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم ، ويسألوكم القضية ، ويرغبون إليكم في الأمان ، وقد رأَوْا منكم ما كرهوا ، وأظفرَكم الله عليهم ، وردَّكم الله سالمين مأجورين ، فهو أعظم الفتوح . وفيه : أنسيتم يومَ أُحد إذ تُصعدون ولا تَلوون على أحد ، وأنا أدعوكم في أخراكم ؟ أنسيتم يومَ الأحزاب إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفلَ منكم وإذ زاغت الأبصارُ وبلغت القلوبُ الحناجر وتظنون بالله الظنونا ؟ فقال المسلمون : صدق الله ورسولُه ، فهو أعظمُ الفتوح ، والله يا نبيَّ الله ما فَكَّرنا فيما فكَّرتَ فيه ، ولأنت أعلم بالله وأمره منا .

وذكر ابن عائذ : أن رسول الله ﷺ أقامَ في غزوته هذه شهراً ونصفاً .

وقال ابن سعد : أقام بالحديبية بضعة عشر يوماً ، ويقال : عشرين ليلة ، ثم انصرف رسول الله ﷺ ، فلما كانوا بضَجنان[2] نزلت عليه : ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾ فقال جبريل : نهنئك يا رسول الله . وهنأه المسلمون[3] .

وروينا عن ابن سعد ، قال : أخبرنا إسماعيل بن عبد الله بن أبي أُويس ، عن مُجمِّع بن يعقوب ، عن أبيه ، أنه قال : لما صُدَّ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه ، وحلقوا بالحديبية ، ونحروا ، بعثَ الله ريحاً عاصفاً ، فاحتملت أشعارَهم فألقتها في الحرم[4] .

وعن طارق بن عبد الرحمن ، قال : كنت عند سعيد بن المسيِّب ، فتذاكروا الشجرة ،

---

(١) كذا في الأصول ، وفي دلائل النبوة للبيهقي ٤/١٦٠ : « فبلغ رسولَ الله ﷺ قولُ رجالٍ من أصحابه ، فقال .. » وهو الأنسب . والخبر عن عروة بن الزبير ، وفي إسناده ابن لهيعة ، وهو ضعيف .

(٢) « ضجنان » : جبل على بريد من مكة .

(٣) الطبقات الكبرى ٢/٩٤ .

(٤) الطبقات الكبرى ٢/١٠٤ ، والخبر مرسل ؛ لأن يعقوب بن مجمع بن يزيد بن حارثة الأنصاري ، تابعي ، ذكره ابن حبان في الثقات ، كذا في نور النبراس لوحة ٢ ب/١٢٣ .

فضحك ، ثم قال : حدثني أبي ، أنه كان ذلك العام معهم ، وأنه قد شهدها فنَسوها من العام المقبل[1] .

وروينا عن ابن سعد ، قال : أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء ، أخبرنا عبد الله بن عوف ، عن نافع ، قال : كان الناس يأتون الشجرةَ التي يُقال لها شجرة الرضوان ، فيُصلُّون عندَها ، قال : فبلغ ذلك عمر بن الخطاب ، فأوعدَهم فيها ، وأمر بها فقُطعت[2] .

وروينا عن ابن عمر ، قال : كانت رحمةً من الله[3] .

وروينا عن ابن سعد ، أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء العجلي ، قال : أخبرنا خالد الحَذَّاء ، قال : أخبرني أبو المَلَيح ، عن أبيه ، قال : أصابنا يومَ الحديبية مطرٌ لم يَبُلَّ أسافلَ نعالنا ، فنادى منادي رسول الله ﷺ : أن صَلُّوا في رحالكم[4] .

ذكر فوائد تتعلق بخبر الحديبية

● الحديبية : بئر سُمي المكان بها ، والأعرف فيها التخفيف ، ورأيت بخط جدي : قال الأستاذ نقلاً عن أبي علي الشلوبين : هي بتخفيف الياء لا غير ، وكأنه تصغير حدبى

(١) حديث طارق رواه البخاري في المغازي (باب غزوة الحديبية) رقم /٤١٦٥/ ومسلم في المغازي (باب استحباب مبايعة الأمير الجيش) رقم /١٨٥٩/ .

(٢) الطبقات الكبرى ١٠٤/٢ ، وقال في نور النبراس : ونافع لم يدرك عمر بن الخطاب فاعلمه ، فروايته عنه مرسلة .

(٣) لم يذكر سبط ابن العجمي من أخرجه وإنما قال : حديث ابن عمر أخرجه ... وترك له بياضاً ، وهذا في النسختين المخطوطتين من نور النبراس .
وقال الصالحي : الحكمة في قطع عمر الشجرة وفي إخفاء مكانها أن لا يحصل بها افتتان لما وقع تحتها من الخير ، فلو بقيت لما أمن من تعظيم الجهال لها ... وإلى ذلك أشار ابن عمر بقوله : كانت رحمة من الله ... سبل الهدى والرشاد ١٢٢/٥ .

(٤) الطبقات الكبرى ١٠٥/٢ وقال في نور النبراس : الحديث الذي ذكره المؤلف أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه ..
وفي سنن أبي داود رقم /١٠٥٩/ عن خالد الحذاء عن أبي قلابة ، عن أبي المَليح .. وفي سنن ابن ماجه رقم /٩٣٦/ عن خالد الحذاء عن أبي المليح .. وخالد سمع منهما كما في نور النبراس لوحة ٢ ب/١٢٤ ، أو أن اسم أبي قلابة سقط من السيرة ، والله أعلم .

مقصورةً . قال ابن السَرَّاج : والجعْرانة بإسكان العين قاله الأصمعي ، وأتى بالتشديد[1] ، وذكر أنه سمعه من فصحاء العرب .

وإحرامه عليه الصلاة والسلام كان من ذي الحليفة .

● والأجرل : الكثير الحجارة ، والجرول والجَرَل : الحجارة .

● والعُوذ المطافيل : النساءُ اللاتي معهن أطفالهن ، وقال السهيلي : جمع عائذ ، وهي الناقة التي معها ولدها ، يُريد أنهم خرجوا بذوات الألبان من الإبل ليتزوَّدوا بألبانها ، ولا يرجعوا حتى يُناجزوا محمداً ﷺ وأصحابَه .

● وخلأت القصواء : حرنت ، والخلأ في الإبل ، كالحران في غيرها من الدواب .

● وماء رَوَاء : ورِوىً[2] ، وقوم رِواء من الماء ، عن ثعلب .

● وناجية : كان اسمه ذكوان ، فسماه رسول الله ﷺ حين نجا من كفار قريش ناجية .

● وجَبَهتَ الرجل : استقبلته بما يكره .

● ويتألّهون : يعظمون أمر الإله ، وقال الخشني : التألُّه التعبُّد .

● ورأيتُ عن ابن الكلبي في نسب الحُليس بن ريان : أنه الحليس بن عمرو بن الحارث بن المُغَفَّلَ ، وهو الريان بن عبد ياليل ، ويقال الحُليس بن يزيد بن الريان .

● والأوباش : والأوشاب ، الأخلاط من الناس .

● وأبو سنان الأَسَدي : اسمه وهب بن مِحصن ، أخو عُكَّاشة بن محِصن .

روينا عن أبي عَروبة ، حدثنا علي بن المنذر ، حدثنا محمد بن فضيل ، عن عاصم ، عن عامر ، قال : كان أوَّلَ من بايعَ بيعة الرضوان أبو سنان الأَسَدي ، قال : يا رسول الله ! بايعني . قال : على ماذا ؟ قال : على ما في نفسك . قال : ما في نفسي ؟ قال : الفتح أو الشهادة . فبايعَه رسولُ الله ﷺ ، وجاء الناس ، فجعلوا يقولون نُبايُعك على بيعةِ أبي سنان ،

---

(١) المقصود تشديد الياء من كلمة « الحديبيّة » ، وفي صحيح البخاري عن البراء « الحديبية » : بئر . قال الحافظ بينها وبين مكة مرحلة ، وبينها وبين المدينة تسع مراحل .

(٢) وماء رواء ورِوىً ـــ ويقال : رويٌّ أيضاً ـــ : كثيرٌ مُرْوٍ . وقوم رواء : مرتوون .

كذا روي هذا عن الشعبي من غير وجه[١] .

والصَّواب سنان بن أبي سنان . قال الواقدي فيما حكى عنه أبو عمر : وسِنان أَوَّلُ من بايع بيعة الرضوان ، وتوفي سِنان سنة اثنتين وثلاثين ، وأما أبوه أبو سِنان فمات في حصار بني قريظة ، ذكر ذلك أبو جعفر الطبري وغيرُه ، وقال : كان أسنَّ من أخيه عُكَّاشة بسنتين ، قال : ودفن بمقبرة بني قريظة اليوم . وقد تقدم ذلك . وقد ذَكَر أن أَوَّلَ المبايعين يومئذ عبد الله بن عمر . قال أبو عمر : ولا يصح[٢] .

وقد روينا من طريق البخاري ، قال : حدثني شجاع بن الوليد ، قال : سمع النضر بن محمد ، حدثنا صخر ، عن نافع ، قال : إن الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر ، وليس كذلك ، ولكن عمر يوم الحديبية أرسلَ عبدَ الله إلى فرسٍ له عند رجل من الأنصار ليقاتل عليه ، ورسولُ الله ﷺ يُبايع عند الشجرة ، وعمر لا يدري بذلك ، فبايعه عبدُ الله ، ثم ذهبَ إلى الفرس فجاء به إلى عمر ، وعمر يستلئم للقتال ، فأخبره أن رسولَ الله ﷺ يُبَايعُ تحت الشجرة . قال : فانطلق عمر فذهب معه حتى بايع رسول الله ﷺ ، فهي التي يتحدث الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر[٣] .

روينا من طريق مسلم : عن سلمة بن الأكوع ، ثم إن رسول الله ﷺ دعا للبيعة في أصل الشجرة ، قال : فبايعته أوَّلَ الناس ، ثم بايعَ وبايعَ .. الحديث[٤] .

● قال السهيلي : وفي هذا الحديث مصالحة المشركين على غير مال يؤخذ منهم ، وذلك جائز إذا كان بالمسلمين ضعف ، وقد تقدم مصالحتهم على مال يُعطونه في غزوة الخندق . قال : واختُلف هل يجوز صُلْحُهم إلى أكثر من عشر سنين ، وحجة من منع ، أن حظر الصلح هو الأصل ، بدليل آية القتال ، وقد ورد التحديد بالعشر في حديث ابن

---

(١) رواه أبو عروبة في كتابه التاريخ كما في نور النبراس ، وقال الصالحي : رواه الطبراني وغيره كما في القصة عن الشعبي ، ورواه ابن منده . سبل الهدى والرشاد ٥/١٢٠ ، وانظر مجمع الزوائد ٦/١٤٩ ، والإصابة ٤/٩٤ .

(٢) الاستيعاب ٢/٨٠ و٢/٣٤٢ على هامش الإصابة .

(٣) رواه البخاري في المغازي (باب غزوة الحديبية) رقم /٤١٨٦/ . و« يستلئم » : يلبس اللأمة ، وهي السلاح .

(٤) رواه مسلم في الجهاد والسير (باب غزوة ذي قَرَد وغيرها) رقم /١٨٠٧/ .

إسحاق ، فحصلت الإباحة في هذا المقدار متحققة ، وبقيت الزيادة على الأصل .

قلت : ليس في مطلق الأمر بالقتال ما يمنع من الصلح ، وإن كان المراد ما في سورة براءة من ذلك ، مما نزل بعد هذه الواقعة ، ففي التخصيص بذلك اختلاف بين العلماء . وأما تحديد هذه المدة بالعشر ، فأهل النقل مختلفون في ذلك ؛ فروينا عن ابن سعد ، كما روينا عن ابن إسحاق ، وروينا عن موسى بن عقبة ، قال : وكان الصلح بين رسول الله ﷺ وبين قريش سنتين يأمَن بعضُهم بعضاً . وكذلك روينا عن ابن عائذ عن محمد بن شعيب عن عثمان بن عطاء عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن مدة الصلح كانت إلى سنتين والله أعلم .

● وأما كتابة الصلح : فقرىء على عبد الرحيم بن يوسف المِزي وأنا أسمع ، أخبركم أبو علي حنبل بن عبد الله ، أخبرنا ابن الحصين ، أخبرنا أبو علي بن المُذْهِب ، أخبرنا القطيعي أخبرنا عبد الله بن أحمد ، حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، سمعت البراءَ بن عازب يقول : لما صالَح رسولُ الله ﷺ أهلَ الحديبية ، كتبَ عليٌّ رضي الله عنه كتاباً بينهم . قال : فكتبَ : محمد رسول الله . فقال المشركون : لا تكتب : محمد رسول الله ، ولو كنتَ رسولَ الله لم نقاتلْك . قال : فقال لعلي : امحه . فقال : ما أنا بالذي أمحاه(1) ، فمحاه رسولُ الله ﷺ بيده .. الحديث(2) .

وقد روى البخاري : أن النبي ﷺ كتبَ ذلك بيده(3) ، وعدَّ ذلك من وقف عنده

---

(1) « أمحاه » : هو مضارع محى اليائي ، تقول : أمحاه وأمحيه محياً أي أذهبت أثره . وتقول : أمحوه محواً ــ بالواو أيضاً ــ وهو بمعناه .

(2) رواه البخاري في الصلح باب كيف يكتب هذا ما صالح فلانُ بن فلان ..) رقم /٢٦٩٨/ ، والترمذي في الحج والبر (باب ما جاء في بر الخالة) رقم /١٩٠٥/ والمناقب ، والمسند ٤/٢٩١ .
والحديث رواه مسلم أيضاً في الجهاد والسير (باب صلح الحديبية) رقم /١٧٨٣/ ، وعدل المؤلف إلى إخراجه من المسند ؛ لأنه وقع له أعلى ، كما في نور النبراس لوحة ٢ ب/١٢٥ .

(3) رواه البخاري في الصلح (باب كيف يكتب هذا ما صالح فلانُ بن فلان ..) رقم /٢٦٩٩/ وفي عمرة القضاء من المغازي رقم /٤٢٥١/وقال الحافظ ابن كثير في كتابه « الفصول » بتحقيقنا ص ٢٩٦ : وقد عُلم أن المقيد يقضي على المطلق ؛ ففي الرواية الأخرى ــ في البخاري ــ فأمرَ علياً فكتب .. وانظر هذا الموضوع مبسوطاً في فتح الباري ٧/٥٠٣ ــ ٥٠٤ .

معجزة له عليه الصلاة والسلام ، وما شهدَ به القرآن من أنه النبيُّ الأميُّ الذي لا يُحسن الكتابة ، مع ما كان يأتي به من أقاصيص الأولين وأخبار الأمم الماضين هو المعجزة العظمى ، لما تضمن من تكذيب من نسبَ ذلك إلى علم تلقاه من أساطير الأولين ، ممن كان اكتتبها فهي تُملى عليه . وهذا عَلَمٌ عظيم من أعلام نبوته ، وأصل كبير من دلائل صدقه في أنه عليه الصلاة والسلام إنما كان يتلقى ذلك من الوحي . وسلامة هذا الأصل من شبهة قد تركت للملحد حجة في معارضته ، وإن بعدت أولى . وذكر الإمام أبو الوليد الباجي أنه كتبَ ، فأنكر ذلك علماء الأندلس ، فبعث إلى الآفاق يستفتي بمصر والشام والعراق وغيرِ ذلك ، فجُلُّهم قال : لم يكتب النبي ﷺ بيده قط ، ورأوا ذلك محمولاً على المجاز ، وأن معنى كتب : أمر بالكتابة . وقالت طائفة يسيرة منهم : كتبَ . وجرت هذه المسألة يوماً بحضرة شيخنا الإمام أبي الفتح القشيري رحمه الله ، فلم يعبأ بقول من قال : كتب . وقال عن الباجي : هو قولٌ أحوجَه إلى أن يستنجد بالعلماء من الآفاق .

● وأبو جندل : اسمه العاصي ، وهو أخو عبد الله بن سُهيل ، شهد عبدُ الله بدراً مع النبي ﷺ ، وكان إسلامُه قبل ذلك ، وأوَّلُ مشاهد أبي جندل الفتح ، وإنما ذكرنا ذلك ليُعلم الفرق بينهما ، فقد ذُكر أن بعض من أَلَّف في الصحابة سمَّى أبا جندل عبد الله ، وليس كذلك . ورجعَ أبو جندل إلى مكة يوم الحديبية في جوار مِكرز بن حفص فيما حكى ابن عائذ .

● قال أبو القاسم السهيلي ـ وذكر قولَ الله سبحانه : ﴿ إذا جاءكم المؤمنات مهاجراتٍ فامتحنوهن ﴾ [الممتحنة : ١٠] ـ وهذا عند أهل العلم مخصوص بنساء أهل العهد والصلح ، وكان الامتحان أن تُستحلف المرأة المهاجرة أنها ما هاجرت ناشزاً ، ولا هاجرت إلا لله ولرسوله ، فإذا حلفت لم تُردَّ ، ورُدَّ صَداقُها إلى بَعلها ، وإن كانت من غير أهل العهد لم تُستحلف ولم يُرد صداقها[1] .

● وعَيبة مكفوفة : أي صدور منطوية على ما فيها لا تُبدي عداوة .

● والإغلال : الخيانة .

● والإسلال : السرقة .

(١) الروض الأنف ٣٦/٤ .

ذكر الخبر عن أبي بصير وأبي جندل

قال ابن إسحاق : فلما قدم رسولُ الله ﷺ المدينة أتاه أبو بصير ؛ عُتبة بن أَسيد بن جارية الثقفي ، وكان ممن حُبس بمكة ، فلما قدم على رسول الله ﷺ كتبَ فيه أزهرُ بن عبد عوف بن الحارث بن زهرة ، والأخنسُ بن شَريق بن عمرو بن وهب الثقفي إلى رسول الله ﷺ ، وبعثا رجلاً من بني عامر بن لؤلي ، ومعه مولى لهم ، فقدما على رسول الله ﷺ بكتاب الأزهر والأخنس . فقال رسولُ الله ﷺ : يا أبا بصير ! إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمتَ ، ولا يصلحُ لنا في ديننا الغدرُ ، وإن الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرَجاً ، فانطلقْ إلى قومك . قال : يا رسول الله ! أتردّني إلى المشركين يفتنوني في ديني ؟ قال : يا أبا بصير ! انطلق فإن الله سيجعلُ لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً . فانطلقَ معهما ، حتى إذا كان بذي الحُلَيفة جلس إلى جدار ، وجلس معه صاحباه ، فقال أبو بصير : أصارمٌ سيفُك هذا يا أخا بني عامر ؟ فقال : نعم ، انظر إليه إن شئت . فاستلَّه أبو بصير ثم علاه حتى قتله ، وخرج المولى سريعاً حتى أتى رسولَ الله ﷺ وهو جالسٌ في المسجد ، فلما رآه رسولُ الله ﷺ طالعاً ، قال : إن هذا الرجل قد رأى فَزعاً ، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ، قال : ويحك ما لك ؟ قال : قتل صاحبُكم صاحبي ، فوالله ما برِحَ حتى طلعَ أبو بصير متوشحاً السيف ، حتى وقف على رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! وفَّت ذِمَّتُك ، وأدّى الله عنك ، أسلمتني بيد القوم ، وقد امتنعتُ بديني أن أُفتن فيه ، أو يُعبث بي . قال : فقال رسول الله ﷺ : « ويل امه[1] مِحَشَّ حربٍ ، لو كان معه رجال ! » . ثم خرجَ أبو بصير حتى نزلَ العِيصَ من ناحية ذي المروة على ساحل البحر ، بطريق قريش التي كانوا يأخذون إلى الشام ، وبلغ المسلمين الذين

---

(١) « ويل امه مِحَشّ حربٍ » : الويل : الهلاك ، ويجوز في لامه هنا : الضم والفتح والكسر ، والمِحَشُّ : ما يُحرك به النار من حديد ونحوه ، وهي منصوبة على التميز ، على تقدير : « من مِحش حربٍ » .
ولم يُرد النبي ﷺ الدعاء عليه بالهلاك ، وإنما هي عبارة جرت على ألسنة العرب ؛ كتربت يدك ونحوه . أراد بها التعجب من إقدامه في الحرب وإيقاده لنارها ، وامتداح شجاعته .

كانوا احْتُبسوا بمكة قولُ رسول الله ﷺ لأبي بصير : « ويل امه مِحَشّ حرب ، لو كان معه رجال ! » فخرجوا إلى أبي بصير بالعِيص ، فاجتمع إليه قريب من سبعين رجلاً ، فكانوا قد ضَيَّقوا على قريش ، لا يظفَرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تمرُّ بهم عير إلا اقتطعوها ، حتى كتبتْ قريش إلى رسول الله ﷺ تسألُه بأرحامِها إلا آواهم ، فلا حاجة لهم بهم ، فآواهم رسولُ الله ﷺ ، فقدموا عليه المدينة(١) .

وذكر ابن عقبة هذا الخبر أطولَ من هذا ، وسمَّى الرجلَ الذي بعثته قريش في طلب أبي بَصير : جُحيش بن جابر من بني منقذ . قال : وكان ذا جلَدَ ورأي في أَنْفُس المشركين ، وجعل لهما الأخنس في طلب أبي بصير جُعْلاً ، فقدما على رسول الله ﷺ ، فدفع أبا بصير إليهما ، فخرجا به ، حتى إذا كان بذي الحليفة ، سلَّ جُحيش سيفَه ثم هزَّه ، فقال : لأضربنَّ بسيفي هذا في الأوس والخزرج يوماً إلى الليل . وذكر نحو ما تقدم ، وفيه : فجاء أبو بصير بسلبِهِ إلى رسول الله ﷺ ، فقال خَمِّسْه يا رسول الله . قال : إني إذا خَمَّسْتُه لم أفِ بالذي عاهدتهم عليه ، ولكن شأنَك بسلب صاحبك ، واذهب حيثُ شئتَ . فخرجَ أبو بصير معه خمسةُ نفر كانوا قدموا معه مُسلمين من مكة ، حتى إذا كانوا بين العيص وذي المروة من أرض جُهينة ، وانفلت أبو جَندل بن سُهيل في سبعين راكباً أسلموا وهاجروا ، فلحقوا بأبي بصير ، وكرهوا أن يقدموا على رسول الله ﷺ في هدنة المشركين ، وكرهوا الثَّوَاء بين ظهري قومهم ، فنزلوا مع أبي بصير في منزل كريه إلى قريش ، فقطعوا به مادَّتهم من طريق الشام ، وأبو بصير يُصلِّي لأصحابه ، فلما قدم عليه أبو جندل كان هو يَؤُمُّهم ، واجتمعَ إلى أبي جندل ناس من غِفار وأسلم وجُهَينة وطوائف من الناس حتى بلغوا ثلاثمائة مقاتل وهم مسلمون ، لا يمر بهم عير لقريش إلا أخذوها وقتلوا أصحابها . وذكروا مرورَ أبي العاص بن الربيع وقصته . قلت : وقد تقدَّم أن أبا العاص أُخذ في سرية زيد بن حارثة إلى العيص . قال : وكتب رسولُ الله ﷺ إلى أبي جندل وأبي بصير أن يقدَما عليه ، ومن معهما من المسلمين أن يلحقوا ببلادهم وأهليهم ، فقدم كتابُ رسول الله ﷺ عليهما وأبو بصير يموتُ ، فمات وكتابُ رسول الله ﷺ في يده يقرأه ، فدفنه أبو جندل مكانه ، وجعل عند قبره مسجداً ، وقدم أبو

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٣٢٣ ــ ٣٢٤ .

جندل على رسول الله ﷺ معه ناس من أصحابه ، ورجع سائرهم إلى أهليهم . وقال أبو جندل فيما حكاه الزبير :

أبلغ قريشاً عن أبي جندلِ ... أنّا بذي المروة فالسّاحلِ
في معشر تخفِقُ أيمانُهم ... بالبيض فيها والقنا الذابلِ
يأبون أن تبقى لهم رفقةً ... من بعد إسلامهمُ الواصلِ
أو يجعلَ الله لهم مخرجاً ... والحقُّ لا يُغلبُ بالباطلِ
فيسلمَ المرء بإسلامه ... أو يقُتلَ المرء ولم يأتلِ

● وأبو بصير : سماه ابن إسحاق عُتبة ، ومن الناس من يُسميه عبيداً ، وهو ابن أُسيد بن جارية بن أسيد بن عبد الله بن سَلَمة بن عبد الله بن غَبْرة بن عوف بن قِسي ، وهو ثَقيف بن مُنبِّه بن بكر بن هوزان ، حليف بني زُهْرة .

* * *

غزوة خيبر

قال ابن إسحاق : وأقامَ رسولُ الله ﷺ بعد رجوعه من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم ، وخرج في بقية منه غازياً إلى خيبر ، ولم يبق من السنة السادسة من الهجرة إلا شهرٌ وأيام . واستخلفَ على المدينة نُميلة بن عبد الله الليثي فيما قاله ابن هشام .

وقال موسى بن عقبة : لما قدم رسولُ الله ﷺ المدينةَ ، منصرفه من الحديبية ، مكث عشرين يوماً أو قريباً منها ، ثم خرجَ غازياً إلى خيبر ، وكان الله وعدَه إياها وهو بالحديبية .

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن أبي الهيثم بن نصر الأسلمي ؛ أن أباه حدّثه ، أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول في مسيره إلى خيبر لعامر بن الأكوع ــ وهو عَمُّ سلمة بن عمرو بن الأكوع ؛ وكان اسم الأكوع سناناً ــ : « انزلْ يا بن الأكوع فخذْ لنا من هَنَاتِكَ[1] » . قال : فنزلَ يرتجز :

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدَّقنا ولا صلَّيْنا
إنا إذا قومٌ بغوْا علينا ... وإن أرادوا فتنةً أبينا
فأنزلنْ سكينةً علينا ... وثبِّتِ الأقدام إن لاقينا

فقال رسول الله ﷺ : يرحمُكَ ربُّك . فقال عمر بن الخطاب : وجبت والله يا رسولَ الله ، لو أمتعتنا به . فقُتل يومَ خيبر شهيداً ، وكان قتلُه فيما بلغني ، أن سيفه رجع عليه ، وهو يقاتل ، فكلَمَه كَلْماً شديداً ، فمات منه ، فكان المسلمون قد شَكُّوا فيه وقالوا : ما قتلَه إلا سلاحُه ، حتى سألَ ابن أخيه سلمة بن عمرو بن الأكوع رسولَ الله ﷺ عن ذلك ، وأخبره بقول الناس ، فقال رسول الله ﷺ : إنه لشهيد ، وصلى عليه المسلمون .

وحدثني من لا أتهم عن عطاء بن أبي مروان الأسلمي ، عن أبيه ، عن أبي مُغيث بن

(١) « من هَنَاتِكَ » : من أخبارك وأشعارك ، جمع هَنَة ، وهي كلمة يُكنى بها عما تعرف وما لاتعرف ، وأراد هنا حداءه وارتجازه .

عمرو[1] ، أن رسول الله ﷺ لما أشرف على خيبر ، قال لأصحابه وأنا فيهم : قفوا . ثم قال : اللهم ربَّ السماواتِ وما أظللنَ وربَّ الأرضين وما أقللنَ ، وربَّ الشياطين وما أضللنَ ، وربَّ الرياح وما أذرينَ ، فإنا نسألك من خيرِ هذه القرية ، وخيرِ أهلِها ، وخيرِ ما فيها ، ونعوذُ بك من شرِّها وشرِّ أهلها وشر ما فيها ، أقدموا بسم الله . قال : وكان يقولُها لكل قرية دخلَها .

وحدثني من لا أتهم : عن أنس بن مالك ، قال : كانَ رسولُ الله ﷺ إذا غزا قوماً لم يُغِرْ عليهم حتى يُصبحَ ، فإن سمع أذاناً أمسكَ ، وإن لم يسمع أذاناً أغارَ ، فنزلنا خيبَر ليلاً ، فبات رسولُ الله ﷺ ، حتى إذا أصبحَ لم يسمعْ أذاناً ، فركب وركبنا معه ، وركبتُ خلفَ أبي طلحة ، وإن قدمي لتمسُّ قدمَ رسول الله ﷺ ، واستقبلَنا عُمَّال خيبرَ غادين ، وقد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم ، فلما رأَوْا رسولَ الله ﷺ والجيش ، قالوا : محمد والخميس معه ، فأدبروا هُرَّاباً . فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر ، خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساءَ صباحُ المنذرين . حدثنا هارون عن حميد عن أنس بمثله[2] .

وروينا عن أبي علي بن الصواف بالسند المتقدم إليه ، حدثنا الحسين بن علي بن مصعب ، حدثنا محمد بن السري ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين ، عن أنس بن مالك ، عن أبي طلحة ، قال : لما أشرف رسولُ الله ﷺ على خيبرَ ، وجدَ اليهود وهم في عملهم ، معهم مساحيهم ، فقالوا : محمد والخميس . فقال رسول الله ﷺ : خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صَباح المنذرين[3] .

---

(١) في الأصول « عن أبي معتب » والتصحيح من نور النبراس ، وقال : هل هو صحابي أم لا فيه قولان . لوحة ٢/ب ١٢٩ .

(٢) السيرة النبوية ٣٢٨/٢ ــ ٣٣٠ ، وحديث أنس عن أبي طلحة صحيح رواه البخاري في الصلاة (باب ما يذكر في الفخذ) رقم /٣٧١/ ، ومسلم في الجهاد (باب غزوة خيبر) رقم /١٣٦٥/ ، وأبو داود في الخراج (باب ما جاء في سهم الصفي) رقم /٢٩٩٦/ ، والترمذي في السير (باب في البيات والغارات رقم /١٥٥٠/ ، والنسائي في الصلاة (باب التغليس في السفر) ٢٧١/١ ــ ٢٧٢ .

(٣) في الأصول حدثنا الحسين بن علي بن مصعب ، حدثنا بن حسان ، عن محمد بن أبي السري ، حدثنا عبد الرزاق ، والتصحيح من نور النبراس ، وقال : حديث أبي طلحة هذا ليس في شيء من الكتب الستة . ويشهد له الحديث السابق .

رجع إلى الأول : وكان رسولُ الله ﷺ حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك على عِصْر[1] فُبني له فيها مسجد ، ثم على الصهباء[2] ، ثم أقبلَ رسولُ الله ﷺ بجيشه إلى خيبر ، حتى نزل بوادٍ يُقال له الرجيع[3] ، فنزلَ بينهم وبين غطفان ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهلَ خيبر ، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله ﷺ ، فبلغني أن غطفان لما سمعت بمنزل رسول الله ﷺ من خيبر ، جمعوا ثم خرجوا ؛ ليظاهروا يهودَ عليه ، حتى إذا ساروا مَنْقَلَةً[4] سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حِسّاً ، ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم ، فرجعوا على أعقابهم ، فأقاموا في أهليهم وأموالهم ، وخَلَّوْا بينَ رسول الله ﷺ وبين خيبر ، وتَدَنَّى[5] رسولُ الله ﷺ الأموال ، يأخذها مالاً مالاً ، ويفتحها حِصْناً حِصناً ، فكان أوَّلَ حُصونهم افتُتح حصنُ ناعم ، وعنده قتل محمود بن مسلمة برحى أُلقيت عليه منه[6] .

أخبرنا أبو الفتح بن المجاور الشيباني بقراءتي عليه بالشام ، أخبرنا أبو اليُمْن الكِندي قراءة عليه وأنا أسمع ، أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن عمر الحريري ، أخبرنا أبو طالب محمد بن علي بن الفتح ، أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد الواعظ ، حدثنا أبو بكر محمد بن جعفر المَطْبري ، حدثنا حماد بن الحسن ، حدثنا أبي ، عن هشيم ، عن العوام بن حَوْشَب ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن ابن عمر قال : جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ ، فقال : إن اليهود قتلوا أخي ، فقال : لأدفعنَّ الرايةَ إلى رجل يُحِبُّ اللّهَ ورسولَه ، فيفتحُ الله عز وجل عليه ، فيُمكِّنه الله من قاتل أخيك . فبعثَ إلى عليٍّ رضي الله تعالى عنه ، فعقدَ له اللواءَ . فقال : يا رسول الله إني أرمد كما ترى . قال : وكان يومئذ أرمد ، فتفلَ في عينيه . قال

---

(1) « عِصْر » : جبل بين المدينة ووادي الفُرُع ، كذا في القاموس ونور النبراس ، ولعل الفرع تصحيف ، فهو وادي القرى كما جاء في هامش النسخة « أ » .

(2) « الصهباء » : موضع على مرحلة من خيبر (٤٥ كم) وتسمى المرحلة أيضاً « روحة » .

(3) الرجيع : هو غير وادي الرجيع السابق ، والذي يقع بين عُسفان ومكة . وانظر نور النبراس ، لوحة ٢/ب ١٣٠ .

(4) « مَنْقَلة » : مرحلة من مراحل السير .

(5) « تَدَنَّى الأموالَ » : اقترب منها شيئاً فشيئاً .

(6) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٣٣٠ .

عليٌّ رضي الله عنــه : فمــا رَمِدْتُ بعدَ يومئذ . قال العوام : فحدثني جبلة بن سُحيم أو حبيب بن أبي ثابت عن ابن عمر ، قال : فمضى بذلك الوجه ، فما تتامَّ آخرُنا ، حتى فتح الله على أولياء الله ، فأخذَ عليٌّ رضي الله عنه قاتلَ الأنصاري ، فدفعه إلى أخيه فقتلَه[1] .

الرجلُ الأنصاري : هو محمد بن مسلمة .

وروينـا في المعجم الصغير لأبي القاسم الطبراني ، حدثنا محمد بن الفضـل بن جابر السَّقَطي ببغداد ، حدثنا فُضيل بن عبد الوهاب ، حدثنا جعفر بن سليمان ، عن الخليل بن مرة ، عن عمـرو بن دينــار ، عن جـابر بن عبـد الله ، قـال : لمـا كان يومُ خيــبر بعثَ رسول الله ﷺ رجلاً فجَبُنَ ، فجاء محمد بن مسلمة ، فقال : يا رسول الله لم أرَ كاليوم قط ، قُتل محمود بن مسـلمة . فقال رسول الله ﷺ : « لاَ تَمنَّوا لِقاءالعدو ، واسـألوا الله العافية ، فإنكم لا تَدرون ما تُبتلوْن به منهم ، فإذا لقيتموهم فقولوا : اللهم أنت رَبُّنا وربُّهم ، ونواصينا ونواصيهم بيدك ، وإنما تقتلُهم أنت ، ثم الزموا الأرض جلوساً ، فإذا غَشُوكم فانهضوا ، وكبِّروا » . ثم قال رسـول الله ﷺ : « لأبعثن غداً رجلاً يُحِبُّ الله ورَسـولَه ، ويُحِبَّـانه ، لا يُولي الدُّبرَ » . فلما كان من الغد بعثَ علياً وهو أرمد شديدُ الرمد ، فقال : « سر » . فقال : يا رسولَ الله ما أُبصر موضع قدمي . فَتَفَلَ في عينيه ، وعقدَ له اللواء ، ودفع إليه الراية . فقال علي : علام أُقاتلهم يا رسول الله ؟ قال : « على أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأني رسـولُ الله ، فإذا فعـلوا ذلك فقد حقنوا دماءهم وأموالَهم إلا بحقها ، وحسـابهم على الله تعالى »[2] .

رجع إلى الأول : ثم القَمُوص حصن بني أبي الحُقَيْق ، وأصابَ رسول الله ﷺ منهم سبايا ، منهن صفيَّة بنت حُيَيِّ بن أخطب ــ وكانت عند كِنانة بن الربيع بن أبي الحُقيق ــ وبنتا عمٍّ لها ، فاصطفى رسولُ الله ﷺ صفيَّة لنفسِه[3] .

(1) قال في نور النبراس : الحديث من هذه الطريق ليس في شيء من الكتب الستة ، وهذا الرجل الظاهر أنه محمد بن مسلمة . لوحة ٢/ب ١٣١ .

(2) رواه الطبراني في المعجم الصغير ١٠/٢ وقال في نور النبراس لوحة ٢ ب/١٣١ : هذا الحديث ليس في شيء من الكتب الستة .

(3) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٣٣١/٢ .

وجعلها عند أمِّ سُليم ، حتى اعْتدَّتْ وأسلمتْ ، ثم أعتقها وتزوجها ، وجعلَ عتقَها صداقَها . واختلفَ الفقهاء في هذه المسألة ، فمنهم من جعلَ ذلك خصوصاً له عليه الصلاة والسلام كما خُصَّ بالموهوبة وبالتسع ، ومنهم من جعلَ ذلك سنّةً لمن شاء من أمته .

وكان دحية بن خليفة الكلبي قد سألَ رسول الله ﷺ صفية ، فلما اصطفاها لنفسه أعطاه ابنتَيْ عمِّها[1] .

وقيل : كان رسولُ الله ﷺ وهبَها له ، ثم ابتاعها منه بسبعة أرؤس .

وفشت[2] السبايا من خيبر في المسلمين ، وأكلَ المسلمون لحومَ الحمر الأهلية ، ونهى رسولُ الله ﷺ الناس عن إتيان الحُبالى من النساء ، وأكلِ الحمار الأهليّ ، وأكلِ كل ذي ناب من السباع ، وبيع المغانم حتى تقسم ، وأن لا يُصيبَ أحدٌ امرأةً من السبي ، حتى يستبرئها ، ولا يركبَ دابة من فيء المسلمين ، حتى إذا أعجفَها ردها فيه ، ولا يلبسَ ثوباً من فيء المسلمين ، حتى إذا أخلَقه ردَّه فيه ، وأن يبيعَ أو يَبتاع تبرَ[3] الذهبِ بالذهب العين ، وتبرَ الفِضة بالورِق العين . وقال : ابتاعوا تبرَ الذهب بالورِق وتبرَ الفضة بالذهب العين[4] .

وفيه : نهى رسولُ الله ﷺ عن أكل الثوم ، وعن متعة النساء ، ورخَّص في لحوم الخيل ، وقسم للفارس سهماً وللفرس سهمين .

فسَّره نافع ، فقال : إذا كان مع الفارس فرس فله ثلاثة أسهم ، وإن لم يكن فله سهم .

قال ابن إسحاق : ثم جعلَ رسولُ الله ﷺ يتدنى الحصون والأموال ، فحدثني عبد الله بن أبي بَكر ، أنه حدَّثه بعضُ من أسلم ، أن بني سهم من أسلم ، أتوْا رسولَ الله ﷺ ، فقالوا : يا رسول الله والله لقد جَهدْنا ، وما بأيدينا من شيء ، فلم يجدوا عند رسول الله ﷺ شيئاً يُعطيهم إياه ، فقال : اللهم إنك قد عرفت حالَهم ، وأن ليست بهم قوة ، وأن ليس بيدي شيء أُعطيهم إياه ، فافتح عليهم أعظمَ حصونها عنهم غَنَاءً ، وأكثَرها طعاماً وَوَدَكاً . فغدا الناس ، ففتح الله عليهم حصن الصَّعْبِ بن معاذ ، وما بخيبرَ حصن كان

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٣٣١ .

(٢) رجع إلى ابن إسحاق .

(٣) « تِبْر » : تبر كل معدن ، هو المستخرج قبل أن يُصاغ ، فإذا أُطلق انصرف إلى الذهب خاصة .

(٤) السيرة النبوية ٢/٣٣٢ .

أكثر طعاماً وَوَدَكاً منه ، فلما افتتح رسول الله ﷺ من حصونهم ما افتتَح ، وحازَ من الأموال ما حاز ، انتهوا إلى حصنَيهم : الوطيح والسَّلالِم ، وكانا آخر حُصون أهل خيبر افتتاحاً ، فحاصرَهم رسولُ الله ﷺ بضعَ عشرة ليلة . قال ابن هشام : وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم خيبر : أمت أمت .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل أخو بني حارثة ، عن جابر بن عبد الله ، قال : فخرج مرحبُ اليهودي من حِصنهم ، قد جمع سلاحَه يرتجزُ ، وهو يقول :

قد علمتْ خيبرُ أني مَرْحبْ   شاكي السِّلاحِ بطلٌ مُجرَّبْ

في أبيات ، وهو يقول : من يُبارز ؟ فأجابه كعبُ بن مالك :

قد علمتْ خيبرُ أني كعبُ   مُفرِّجُ الغمَّى جريءٌ صُلْبُ[1]

في أبيات ، فقال رسولُ الله ﷺ : من هٰذا ؟ فقال محمد بن مسلمة : أنا له يا رسول الله . أنا والله الموتور الثائر ، قُتل أخي بالأمس . قال : فقم إليه ، اللهم أعنه عليه . قال : وضربه محمد بن مَسلمة حتى قتلَه ، ثم خرج بعد مَرحب أخوه ياسر ، وهو يقول : من يبارز ؟ فزعم هشامُ بن عروة أن الزبير بن العوام خرجَ إلى ياسر ، فقالت له أمُّه صفية بنت عبد المطلب : يَقتلُ ابني يا رسول الله ؟ قال : بل ابنك يقتلُه إن شاء الله . فخرج الزبير فالتقيا فقتله الزبير[2] .

هذه رواية ابن إسحاق في قتل مرحب ، وروينا في الصحيح من حديث سلمة بن الأكوع ، أن عليَّ بن أبي طالب[3] قتلَه .

وبعثَ رسولُ الله ﷺ أبا بكر برايته إلى بعض حُصون خيبر ، فقاتل ورجَعَ ولم يكن فتح ، وقد جَهِدَ . ثم بعث للغد عمر بن الخطاب ، فقاتل ورجع ، ولم يكن فتح ، وقد جَهِد ، فقال عليه الصلاة والسلام : لأعطينَّ الرايةَ غداً رجلاً يُحب الله وَرسولَه ، يفتحُ الله

---

(١) « الغُمَّى » : مقصور الغماء ، الكرب .

(٢) السيرة النبوية ٢/٣٣٢ ــ ٣٣٣ .

(٣) رواه مسلم في الجهاد (باب غزوة ذي قَرَد وغيرها) رقم /١٨٠٦/ .

على يديْه ، ليس بفرَّار . فدعا علياً وهو أرمد ، فتفلَ في عينيه ، ثم قال : خذ هذه الراية ، فامض بها ، حتى يفتحَ الله عليك . فخرج بها يُهرول ، حتى ركزها في رَضْمٍ[1] من حجارة تحت الحصن ، فاطَّلعَ إليه يهوديٌّ من رأس الحصن ، فقال : من أنت ؟ فقال : عليٌّ بن أبي طالب . فقال : يقول اليهودي عَلَوْتم وما أُنزل الله على موسى ، أو كما قال . فما رجع حتى فتح الله عليه .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن حسن[2] ، عن بعض أهله ، عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ ، قال : خرجنا مع عليٍّ حين بعثه رسولُ الله ﷺ برايته ، فلما دنا من الحصن ، خرج إليه أهلُه ، فقاتلَهم ، فضربَه رجلٌ من يهود ، فطرح ترسَه من يده ، فتناول عليٌّ باباً كان عند الحصن فترَّسَ به عن نفسه ، فلم يزلْ في يده وهو يقاتل حتى فتحَ الله عليه ، ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فلقد رأيتني في نفر سبعة أنا ثامنهم نَجْهَد على أن نقلبَ ذلك الباب فما نقلبُه .

وحاصرَ رسول الله ﷺ أهلَ خيبر في حصنهم الوَطيح والسَلالم ، حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يُسيِّرهم ، وأن يحقنَ لهم دماءَهم ، ففعل ، وكان رسولُ الله ﷺ قد حازَ الأموالَ كلَّها الشَّق ونطاة والكتيبةَ وجميع حصونهم ، إلا ما كان من ذَيْنكَ الحِصنين ، فلما نزل أهل خيبر على ذلك ، سألوا رسولَ الله ﷺ أن يُعاملَهم في الأموال على النصف ، وقالوا : نحن أعلمُ بها منكم وأعمرُ لها ، فصالحَهم رسول الله ﷺ على النصف ، على أنا إذا شئنا أن نخرجَكم أخرجناكم[3] .

وقد اختلف الناس في فتحها كيف كان ، فروينا من طريق أبي داود ، قال : حدثنا داود بن مُعاذ ، حدثنا عبدُ الوارث ، وحدثنا يعقوب بن إبراهيم وزياد بن أيوب ؛ أن

---

(١) « رَضْم » : الحجارة المجتمع بعضها فوق بعض ، مبنية وغير مبنية .

(٢) قال في نور النبراس لوحة ٢/ب ١٣٥ : الظاهر أنه عبد الله بن الحسن (السبط) ابن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أبو محمد الهاشمي المتوفى سنة ١٤٨ هـ .

(٣) السيرة النبوية ٢/٣٣٥ ــ ٣٣٧ . وحديث أبي رافع رواه الإمام أحمد في المسند ٦/٨ .

إسماعيل بن إبراهيم حدثهم ، عن عبد العزيز بن صُهيب ، عن أنس بن مالك ؛ أن رسول الله ﷺ غزا خيبرَ فأصبناها عُنوة ، فجُمع السبيُ[1] .

وروينا عن ابن إسحاق ، قال : سألتُ ابنَ شهاب ، فأخبرني أن رسول الله ﷺ افتتحَ خيبرَ عُنوة بعد القتال[2] .

وروينا من طريق السجستاني . حدثنا ابن السَّرح ، حدثنا ابن وهب ، قال : أخبرني يُونس ، عن ابن شهاب ، قال : بلغني أن رسولَ الله ﷺ افتتحَ خيبرَ عُنوة بعد القتال ؛ ونزلَ من نزلَ من أهلها على الجلاء بعد القتال[3] .

قال أبو عمر : هذا هو الصحيح في أرض خيبر ، أنها كانت عُنوةً كلَّها ، مغلوباً عليها ، بخلاف فَدَك ، فإن رسولَ الله ﷺ قسمَ جميعَ أرضها على الغانمين لها ، المُوجفين عليها بالخيل والركاب ، وهم أهلُ الحديبية . ولم يَختلف العلماء أن أرضَ خيبرَ مقسومةٌ ، وإنما اختلفوا هل تُقسم الأرضُ إذا غُنمتِ البلاد أو تُوقف ؟ فقال الكوفيون : الإمام مُخَيَّر بين قسمتها كما فعلَ رسول الله ﷺ بأرض خيبر ، وبين إيقافِها كما فعلَ عمرُ بسواد العراق . وقال الشافعي : تُقسم الأرض كُلُّها كما قسمَ رسول الله ﷺ خيبرَ ؛ لأن الأرض غنيمة كسائر أموال الكفار . وذهب مالك إلى إيقافها اتباعاً لعمر ، لأن الأرضَ مخصوصةٌ من سائر الغنيمة ، بما فعل عمر في جماعة من الصحابة من إيقافها لمن يأتي بعده من المسلمين . وروى مالك : عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، قال : سمعتُ عمرَ يقول : لولا أن يُترَكَ آخرُ الناس لا شيء لهم ما افتتح المسلمون قرية إلا قسمتُها سُهماناً ، كما قسم رسولُ الله ﷺ خيبر سهماناً . وهذا يدل على أن أرض خيبر قُسمت كُلُّها سُهماناً ، كما قال ابن إسحاق ، وأما من قال : خيبر كان بعضُها صُلحاً وبعضُها عُنوة ، فقد وهم وغلط ، وإنما دخلت عليه الشبهة بالحصنين اللذين أسلمَهما أهلُهما في حقن دمائهم ، فلما لم يكن أهل ذينك الحصنين من الرجال والنساء والذرية

---

(١) رواه أبو داود في الخراج والإمارة (باب ما جاء في أرض خيبر) رقم /٣٠٠٩/ ، ورواه البخاري بأطول من هذا في الصلاة (باب ما يذكر في الفخذ /٣٧١/ ومسلم في الجهاد (باب غزوة خيبر) رقم /١٣٦٥/ والنسائي في النكاح (باب البناء في السفر) ٦/١٣٢ ـ ١٣٣ .

(٢) السيرة النبوية ٢/٣٥٥ .

(٣) رواه أبو داود في الخراج والإمارة (باب ما جاء في حكم أرض خيبر) رقم /٣٠١٨/ وإسناده معضل .

مغنُومين ، ظنَّ أن ذلك صُلحٌ ، ولعمري إنه في الرجال والنساء والذرية لضرب من الصلح ، ولكنهم لم يتركوا أرضَهم إلا بالحصار والقتال ، فكان حكم أرضهما كحكم سائر أرض خيبرَ ، كُلهَا عنوة ، غنيمة مقسومة بين أهلها . وربما شُبِّهَ على من قال : إن نصفَ خيبرَ صُلحٌ ونصِفَها عنوةٌ ، بحديث يحي بن سعيد ، عن بُشَير بن يسار ، أن رسولَ الله ﷺ قسم خيبرَ نصفين ، نصفاً له ونصفاً للمسلمين . فقال أبو عمر : وهذا لو صَحَّ لكان معناه أن النصف له مع سائر من وقع في ذلك النصف معه ، لأنها قُسمت على ستة وثلاثين سهماً ، فوقع سهمُ النبي ﷺ وطائفة معه في ثمانية عشر سهماً ، ووقع سائر الناس في باقيها ، وكلُّهم ممن شهد الحديبية ثم خيبر . وليست الحصون التي أسلمها أهلُها بعد الحصار والقتال صُلحاً ، ولو كانت صُلحاً لملكها أهلُها كما يَملِكُ أهلُ الصلح أرضَهم وسائرَ أموالهم ، فالحقُّ في هذا ما قاله ابن إسحاق دون ما قاله موسى بن عقبة وغيره عن ابن شهاب . انتهى ما ذكره أبو عمر[1] .

فأما قوله : قسم جميعَ أرضها ، فإن الحصنين المفتتحين أخيراً ، وهما الوطيح والسلالم ، لم يجر لهما ذكر في القسمة ، وسيأتي بيان ذلك عند ذكر القسمة . وأما تأويلُه لحديث بُشير بن يسار ، فقد كان ذلك التفسير ممكناً لو كان في الحديث إجمالٌ يَقبل التفسير بذلك ، ولكنه ليس كذلك ، وسيأتي في الكلام على القسمة . وأما قوله : كلُّهم ممن شهد الحديبية ثم شهد خيبر . فالمعروف أن غنائمَ خيبر كانت لأهل الحديبية ، ممن حضرَ الوقعة بخيبر ومَنْ لم يحضرها وهو جابر بن عبد الله الأنصاري ، ذكره ابن إسحاق . وذلك لأن الله أعطاهم ذلك في سفر الحديبيـة . وعن الحكم ، عن أبي ليلى في قوله تعالى : ﴿ وأَثَابَهم فتحاً قريباً ﴾ [الفتح : ١٨] قال : خيبر . ﴿ وأُخرَى لم تَقْدِرُوا عليها ﴾ [الفتح : ٢١] : فارس والروم ، وأن أهل السفينتين لم يشهدوا الحديبية ولا خيبر ، وكانوا ممن قُسم له من غنائم خيبر ، وكذلك الدوسيون ، وكذلك الأشعريون ، قدموا ورسولُ الله ﷺ بخيبرَ ، فكلَّم رسولُ الله ﷺ أصحابَه أن يُشركوهم في الغنيمة ، ففعلوا .

وذهب آخرون إلى أن بعضَها فُتح صلحاً والبعض عُنوة ، كما ذكرناه عن موسى بن عقبة ، وكما رويناه عن مالك ، عن الزهري ، من طريق أبي داود ، قال : قرىء على الحارث بن

(١) الدرر ص ٢٠١ ــ ٢٠٣ .

مسكين وأنا شاهد ، أخبركم ابن وهب ، قال : حدثني مالك ، عن ابن شهاب : أن خيبرَ كان بعضُها عُنوة وبعضُها صُلحاً ، والكتيبة أكثرها عنوة ، وفيها صلح . قلت لمالك : وما الكتيبة ؟ قال : أرض خيبر ، وهي أربعون ألف عَذْق[1] ، ورويناه عن سعيد بن المسيب أيضاً . قال أبو داود : حدثنا محمد بن يحيى بن فارس ، حدثنا عبد الله بن محمد ، عن جويرية ، عن مالك ، عن الزهري ، أن سعيدَ بن المسيب أخبرَه : أن رسولَ الله ﷺ افتتحَ بعضَ خيبرَ عنوة[2] . وروينا عن أبي داود حدثنا حسين بن علي العجلي ، حدثنا يحيى ــ يعني ابن آدم ــ حدثنا ابن أبي زائدة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، وعبد الله بن أبي بكر ، وبعض ولد محمد بن مسلمة ، قالوا : بقيت بقية من أهل خيبر ، تحصنوا ، فسألوا رسولَ الله ﷺ أن يحقنَ دماءهم ويُسيِّرَهم ، ففعل ، فسمع بذلك أهل فدك ، فنزلوا على مثل ذلك[3] .. الحديث .

قلت : وقد يعضد هذا القول ما يأتي في أخبار القسمة ، وقد روينا من طريق أبي داود : حدثنا هارون بن زيد بن أبي الزرقاء ، حدثنا حمَّاد بن سلمة ، عن عُبيد الله بن عمر ، قال : أحسبه عن نافع ، عن ابن عمر ؛ أن النبيَّ ﷺ قاتلَ أهل خيبرَ ، فغلبَ على النخل والأرض ، وألجأهم إلى قصرِهم ، فصالحوه على أن لرسول الله ﷺ الصفراء والبيضاء والحَلْقَة ، ولهم ما حملت رِكابُهم ، على أن لا يكتمُوا ، ولا يُغيِّبوا شيئاً ، فإن فعلوا فلا ذمَّةَ لهم ولا عهدَ ، فغيَّبوا مَسْكاً لحيي بن أخطب ، فيه حليُّهم . وفي الخبر . قال : قال النبيُّ ﷺ لسَعْيَة : « أين مَسْكُ حُيي بن أخطب ؟ » قال : أذهبته الحروب والنفقات . فوجدوا المَسْك ، فقتلَ ابنَ أبي الحُقَيْق ، وسبى نساءهم وذراريَهم وأراد أن يُجليهم . فقالوا : يا محمد دعنا نعملْ في هذه الأرض ، ولنا الشطرُ ما بدا لك ، ولكم الشطر[4] .

---

(١) « عَذْق » : نخلة .

(٢) رواه أبو داود في الخراج والإمارة (باب ما جاء في حكم أرض خيبر) رقم /٣٠١٧/ ، وإسناده صحيح إلا أنه مرسل عن سعيد بن المسيب .

(٣) رواه أبو داود في الخراج والإمارة (باب ما جاء في حكم أرض خيبر) رقم /٣٠١٦/ وهو مرسل أيضاً .

(٤) رواه أبو داود في الخراج والإمارة (باب ما جاء في حكم أرض خيبر) رقم /٣٠٠٦/ . « والمَسْك » : الجلد ، والمقصود هنا : ما اتخذ منه وعاء خازناً .

وزاد أبو بكر البلاذري في هذا الخبر ، قال : فدفعَ رسولُ الله ﷺ سعيةَ بن عمرو إلى الزبير ، فمسَّه بعذاب ، فقالَ : رأيتُ حيّاً يطوفُ في خَرِبة هاهنا ، فذهبوا إلى الخَرِبة ، ففتشوها ، فوجدوا المَسْكَ . فقتلَ رسولُ الله ﷺ ابني أبي الحُقيق ، فأحدُهما[1] زوج صفية بنت حُيي بن أخطب ، وسبى نساءهم وذراريَهم ، وقسم أموالَهم للنَّكث الذي نَكَثوا .

ففي هذا أنها فُتحت صُلحاً ، وأن الصُّلح انتقضَ ، فصارت عنوة ، ثم خَّمسها رسولُ الله ﷺ وقسمَها .

ذكــر القســمة

قال ابن إسحاق : وكان المتولي للقسمة بخيبر جَبَّارُ بن صخر الأنصاري من بني سَلِمة ، وزيد بن ثابت من بني النجار ، وكانا حاسبين قاسمين[2] .

قال ابن سعد : وأمر رسول الله ﷺ بالغنائم فجُمعت ، واستعمل عليها فروة بن عمرو البياضي ، ثم أمر بذلك فجزىء خمسة أجزاء ، وكتب في سهم منها لله ، وسائر السهمان أغفال ، وكان أول ما خرج سهم النبي ﷺ ، لم يُتخيَّر في الأخماس ، فأمر ببيع الأربعة الأخماس في من يزيد ، فباعها فروة ، وقسم ذلك بين أصحابه ، وكان الذي ولي إحصاء الناس زيدَ بن ثابت ، فأحصاهم ألفاً وأربعمائة ، والخيل مائتي فرس ، وكانت السُّهمان على ثمانية عشر سهماً ، لكل مائة سهمٌ ، وللخيل أربعمائة سهم ، وكان الخُمسُ الذي صار لرسول الله ﷺ يُعطي منه على ما أراه الله من السلاح والكسوة ، وأعطى منه أهلَ بيته ، ورجالاً من بني عبد المطلب ونساءً ، واليتيمَ ، والسائلَ ، وأطعم من الكتيبة نساءه وبني عبد المطلب وغيرَهم[3] .

ثم ذكر قدوم الدوسيين والأشعريين ، وأصحاب السفينتين ، وأخذَهم من غنائم خيبر ، ولم يُبيِّن كيف أخذوا . وإذا كانت القسمة على ألف وثمانمائة سهم ، وأهل الحديبية ألفاً وأربعمائة ، والخيل مائتي فرس بأربعمائة سهم ، فما الذي أخذه هؤلاء المذكورون .

---

(١) هو كنانة بن الربيع بن أبي الحُقيق ، وجاء اسمه صريحاً كما نقله ابن هشام في السيرة النبوية ٣٥٦/٢ .
(٢) السيرة النبوية ٣٥٧/٢ .
(٣) الطبقات الكبرى ١٠٧/٢ ـــ ١٠٨ .

وقال ابن إسحاق : وكانت المقاسم على أموال خيبر على الشَّق ونطاة والكتيبة ، فكانت الشّق ونطاة في سُهمان المسلمين ، وكانت الكتيبة خُمسَ الله ، ثم قال : وكانت نطاة والشق ثمانية عشر سهماً ، نطاة من ذلك خمسة أسهم ، والشق ثلاثة عشر سهماً ، وقُسمت الشق ونطاة على ألف وثمانمائة سهم ، وكانت عدة الذين قُسمت عليهم خيبر ألفاً وثمانمائة ، رجالُهم وخيلُهم ، الرجال أربع عشرة مائة ، والخيل مائتان لكل فرس سهمان(١) .

وهذا أشبه مما تقدم ، فإن هذه المواضع الثلاثة مفتوحة بالسيف عُنوة من غير صلح . وأما الوطيح والسلالم فقد يكون ذلك هو الذي اصطفاه رسولُ الله ﷺ ، لما ينوب المسلمين ، ويترجح حينئذ قول موسى بن عقبة ومن قال بقوله : أن بعضَ خيبرَ كانت صلحاً ، ويكون أخذ الأشعريين ومن ذُكر معهم من ذلك ، وتكون مشاورة النبي ﷺ أهل الحديبية في إعطائهم ليست استنزالاً لهم عن شيء من حقهم ، وإنما هي المشورة العامة ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

وروى البلاذري : حدثنا الحسين بن الأسود ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : قُسمت خيبرُ على ألف وخمسمائة سهم وثمانين سهماً ، وكانوا ألفاً وخمسمائة وثمانين رجلاً ، الذين شهدوا الحديبية منهم ألف وخمسمائة وأربعون ، والذين كانوا مع جعفر بن أبي طالب بأرض الحبشة أربعون رجلاً(٢) .

ليس في هذا الخبر مع ضعفه ذكر للخيل ، وفيه أن أصحاب السفينتين كانوا أربعين ، وقد ذُكر ذلك ، غير أن المشهور الذي ذكره ابن إسحاق أن أصحاب السفينتين كانوا ستة عشر رجلاً ، وأن قوماً منهم قدموا قبل ذلك بنحو سنتين من الحبشة ، وليس لهم مدخل في هذا ، ومجموعهم نحو من ثمانية وثلاثين رجلاً . وإن كان المراد أصحاب السفينتين ومن أخذَ معهم من الدوسيين والأشعريين فقد يحتمل .

وأما قول أبي عمر : قسم جميع أرضها بين الغانمين(٣) . فقد حكينا عن ابن إسحاق

(١) السيرة النبوية ٢/٣٤٩ ــ ٣٥٠ .
(٢) البلاذري ، وإسناده ضعيف جداً كما أشار المؤلف رحمه الله إلى ذلك .
(٣) الدرر ص ٢٠١ .

ما قسم منها . وقد روينا عن أبي داود : حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا حاتم بن إسماعيل ، حدثنا سليمان بن داود المَهْري ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني عبد العزيز بن محمد « ح » وحدثنا نصر بن علي ، أخبرنا صفوان بن عيسى ، وهذا لفظ حديثه ، كلُّهم عن أسامة بن زيد ، عن الزهري ، عن مالك بن أوس بن الحَدَثان ، قال : كان فيما احتَّجَ به عمر رضي الله عنه ، أنه قال : كانت لرسول الله ﷺ ثلاثُ صفايا : بنو النضير ، وخيبر ، وفدك . فأما بنو النضير فكانت حُبْساً لنوائبه ، وأما فدك فكانت حُبْساً لأبناء السبيل ، وأما خيبرَ فجزأها رسولُ الله ﷺ ثلاثة أجزاء ، جزءين بين المسلمين ، وجزءاً نفقة لأهله ، وما فضلَ عن نفقة أهله جعلَه بين فقراء المهاجرين[(١)] .

وأما حديث بُشير بن يسار ، فبُشير بن يسار تابعي ثقة ، يروي عن أنس بن مالك وغيره ، ويروي عنه هذا الخبر يحي بن سعيد ، ويُختلف عليه فيه ، فبعض أصحاب يحي يقول فيه : عن بُشير ، عن سهل بن أبي حثمة . وبعضهم يقول إنه سمع نفراً من أصحاب النبي ﷺ ، وبعضهم يقول : عن رجال من أصحاب النبي ﷺ ، ومنهم مَنْ يُرسله . وروينا من طريق أبي داود : حدثنا حسين بن علي الأسود ، أن يحي بن آدم حدثهم ، عن أبي شهاب ، عن يحي بن سعيد ، عن بُشير بن يسار ؛ أنه سمع نفراً من أصحاب النبي ﷺ قالوا . فذكر الحديث[(٢)] . قال : فكان النصف سهام المسلمين وسهم رسول الله ﷺ ، وعزلَ النصف للمسلمين لما ينوبه من الأمور والنوائب[(٣)] . ورواية محمد بن فضيل : عن يحي ، عنه ، عن رجال من أصحاب النبي ﷺ ، أن رسولَ الله ﷺ لما ظهر على خيبرَ وقسمها على ستة وثلاثين سهماً ، جمع كلُّ سهم مائة سهم ، فكان لرسول الله ﷺ وللمسلمين النصف من ذلك ، وعزل النصف الباقي لمن ينزلُ به من الوفود والأمور ونوائب الناس[(٤)] . فهذه الرواية والتي قبلَها مصرحة بأن النصف للنبي ﷺ وللمسلمين المقسوم عليهم ، والنصف

---

(١) رواه أبو داود في الخراج والإمارة والفيء (باب في صفايا رسول الله ﷺ) رقم /٢٩٦٧/ ، ومالك بن أوس ابن الحَدَثان مختلف في صحبته ، والأصح عند أبي عمر أنه تابعي . نور النبراس ٢ ب/١٤٥ .

(٢) في سنن أبي داود « فذكر هذا الحديث » .

(٣) رواه أبو داود في الخراج والإمارة (باب ما جاء في حكم أرض خيبر رقم /٣٠١١/ .

(٤) رواه أبو داود في الخراج والإمارة (باب ما جاء في حكم أرض خيبر) رقم /٣٠١٢/ .

الباقي هو المدخر لنوائب المسلمين . وأصرحُ منهما رواية سُليمان بن بلال ، عن يحيى ، عن بُشير ، المرسلة ؛ أنه عليه الصلاة والسلام قسمها ستة وثلاثين سهماً ، فعزل للمسلمين الشطر ثمانية عشر سهماً ، يجمع كل سهم مائة سهم ، النبيُّ ﷺ معهم ، له سهم كسهم أحدهم ، وعزلَ رسولُ الله ﷺ ثمانيةَ عشر سهماً ، وهو الشطر لنوائبه وما ينزل به من أمور المسلمين ، فكان ذلك الوطيح والكتيبة والسلالم وتوابعها .. الحديث[1]. فقد تضمن هذا أن المدخر للنوائب الذي لم يُقسم بين الغانمين هو الوطيح والسلالم الذي لم يجرِ لهما في العنوة ذكر صريح ، والكتيبة هي التي كان بعضُها صلحاً وبعضُها عنوة ، وقد يكون غلب حكم الصلح فلذلك لم يُقسم فيما قسم . فلم يبق لتأويل أبي عمر رحمه الله وجه ، ونصُّ الخبر يُعارضه ، والله أعلم .

ودفَعها رسولُ الله ﷺ لأهلها بشطر ما يخرج منها فلم تزل كذلك إلى أثناء خلافة عمر .

قرأتُ على غازي بن أبي الفضل ، أخبرَكم حنبل بن عبد الله ، أخبرنا ابن الحصين ، أخبرنا ابن المذْهب ، أخبرنا القطيعيُّ ، أخبرنا عبد الله بن أحمد حدثنا أبي ، حدثنا يحيى ، عن عُبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن رسولَ الله ﷺ عاملَ أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع[2].

وقُتل من اليهود ثلاثة وتسعون رجلاً ، واستُشهد من المسلمين خمسة عشر رجلاً فيما ذكر ابن سعد ، وزاد غيره عليه ، وسيأتي ذكرهم ، ومنهم الأسود الراعي ، وكان من خبره أنه أتى رسولَ الله ﷺ وهو محاصرٌ لبعض حصون خيبر ، ومعه غنم كان فيها أجيراً لرجل من يهود ، فقال : يا رسول الله اعرض عليَّ الإسلام . فعَرَضَه عليه ، فأسلم . وكان رسول الله ﷺ لا يحقرُ أحداً أن يدعوَه إلى الإسلام ، ويعرضَه عليه ، فلما أسلم ، قال : يا رسول الله إني كنتُ أجيراً لصاحب هذا الغنم ، وهي أمانةٌ عندي ، فكيف أصنع بها ؟ قال : اضربْ في

(١) رواه أبو داود في الخراج والإمارة (باب ما جاء في حكم أرض خيبر) رقم /٣٠١٤/ .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٢/١٧ و٢٢ و٣٧ ، وقال في نور النبراس : ٢ ب/١٤٥ : الحديث أخرجه بهذه الطريق البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه ، وإنما عدل المؤلف عن تخريجه من هذه الكتب أو أحدها ، وذلك لأنه وقع له هذا الحديث أعلى منها برجل .. .

وجهها فإنها سترجعُ إلى رَبِّها ، أو كما قال . فقام الأسود فأخذ حفنة من الحصباء ، فرمى بها في وجوهها ، وقال : ارجعي إلى صاحبك ، فوالله لا أصحبك ، وخرجتْ مجتمعةً ، كأن سائقاً يَسوقُها حتى دخلت الحصن ، ثم تقدم إلى ذلك الحصن ، فقاتل مع المسلمين ، فأصابَه حَجَرٌ فقتلَه ، فأُتي به إلى رسول الله ﷺ ، فوضع خلفه ، وسُجِّي بشملة كانت عليه ، فالتفتَ إليه رسولُ الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه ، ثم أعرضَ عنه ، فقالوا : يا رسول الله لم أعرضتَ عنه ؟ قال إن معه الآن زوجتيه من الحور العين ينفضان الترابَ عن وجهه ، ويقولان : تَرَّبَ الله وجهَ من تَرَّبَ وجهَكَ وقتلَ من قتلك(١) .

وروينا من طريق البخاري : حدثنا المَكيُّ بن إبراهيم ، حدثنا يزيد بن أبي عُبيد ، قال : رأيتُ أثرَ ضربةٍ في ساق سلمة . فقلت : يا أبا مُسلم ما هذه الضربة ؟ قال : هذه ضربةٌ أصابتني يومَ خيبرَ ، فقال الناسُ أُصيب سلمة ، فأتيتُ إلى النبيِّ ﷺ ، فنفثَ فيه ثلاث نَفَثَاتٍ ، فما اشتكيتُها حتى الساعة(٢) .

ذكر من استُشهد بخيبر

من قريش : من بني أميـة بن عبد شمس ، من حلفائهم : ربيعة بن أكثم ، وثقف بن عمرو ، ورِفاعة بن مَسروح = ثلاثة .

ومن بني أسد بن عبد العزى : عبد الله بن الهُبيب . وقيل : أُهيب بن سحيم بن غبرة من بني سعد بن ليث حليفهم ، وابن أختهم = رجل .

ومن الأنصار : ثم من بني سَلِمة : بشر بن البراء ، وفضيل بن النعمان . قال محمد بن سعد : كذا وجدناه في غزوة خيبر ، وطلبناه في نسب بني سَلِمة فلم نجدْه ، قال : ولا نحسبُه إلا وَهَماً في الكتاب ، وإنما أرادَ الطفيل بن خنساء بن النعمان بن سِنان ، والله أعلم . حكاه أبو عمر ، ونسبُ الطفيلُ في ترجمته من كتابه : الطفيل بن مالك بن النعمان بن خنساء ، شهد العقبة وبدراً وأُحدا وجُرح بها ثلاثة عشر جرحاً ، وعاش حتى شهد الخندق ، وقُتل

(١) السيرة النبوية ٢/٣٤٤ ــ ٣٤٥ .

(٢) رواه البخاري في المغازي (باب غزوة خيبر) رقم (٤٢٠٦) .

بالخندق شهيداً ، قتله وحشيٌّ بن حرب[1] . وذكرَ موسى بن عُقبة في البدريين الطفيلَ بن النعمان بن خنساء ، والطفيلَ بن مالك بن خنساء = رجلين .

ومن بني زريق : مسعود بن سعد .

ومن الأوس : من بني عبد الأشهل : محمود بن مسلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث ، حليف لهم من بني حارثة ، أدلى عليه مَرحبُ رَحىً فأصابت رأسه ، فهشمت البيضةُ رأسَه ، وسقطت جلدةُ جبينه على وجهه ، فأُتي به رسول الله ﷺ فردَّ الجلدة ، فعادتْ كما كانت وعصبَها رسولُ الله ﷺ بثوبه ، فمكثَ ثلاثة أيام ومات رحمه الله . ذكره أبو عمر .

ومن بني عمرو بن عوف : أبو ضَيَّاح بن ثابت ، والحارث بن حاطب ، وعروة بن برة بن سراقة . وعند أبي عمر عروة بن مرة ، وأوس بن الفائد ـــ وعند أبي عمر : ابن الفاكه ، وأُنيف بن حبيب ، وثابت بن واثلة . وعند ابن إسحاق ابن أثلة . وطلحة ، ولم نقف على نسبه ، وأوس بن قتادة .

ومن بني غِفار : عمارة بن عقبة ، رُمي بسهم .

ومن **أسلم** : عامر بن الأكوع ، عمُّ سلمة بن عمرو بن الأكوع . والأكوع : هو سنان بن عبد الله بن قشير بن خزيمة بن مالك بن سلامان بن أسلم بن أفصى .

والأسودالراعي ، واسمه أسلم ، وقد تقدم خبره .

ومن حلفاء بني زهرة : مسعود بن ربيعة القَارِي[2] .

وقال أبو معشر والواقدي : مات سنة ثلاثين ، وقد زاد على الستين .

وعند أبي عمر فيهم : أوس بن عائذ[3] .

* * *

(١) الاستيعاب ٢/٢٢٨ ـــ ٢٢٩ .

(٢) نسبةً إلى القارة .

(٣) الدرر ص ٢٠٦ .

أمر وادي القرى

وكان في جمادى الآخرة سنة سبع . ذكر أبو بكر البلاذري بأسانيده ، قال : قالوا : أتى رسولُ الله ﷺ منصرفَه من خيبر وادي القرى ، فدعا أهلها إلى الإسلام ، فامتنعوا من ذلك وقاتلوا ، ففتحها رسولُ الله ﷺ عنوة ، وغنّمه الله أموالَ أهلها ، وأصاب المسلمون منها أثاثاً ومتاعاً ، فخمّس رسولُ الله ﷺ ذلك ، وترك الأرض والنخل في أيدي يهود ، وعاملَهم على نحو ما عامل عليه أهل خيبر ، فقيل : إن عمر أجلى يهودَها ، وقسمَها بين من قاتل عليها . وقيل : إنه لم يجلهم ، لأنها خارجة من الحجاز ، وهي اليوم مضافة إلى عمل المدينة . وولاّها رسولُ الله ﷺ عمروَ بن سعيد بن العاص ، وأقطعَ رسولُ الله ﷺ جَمْرة بن النعمان ابن هوذة العُذري رَمْية سوطه[1] من وادي القرى ، وكان سيد بني عُذْرَةَ ، وأول أهل الحجاز قدم على النبي ﷺ بصدقة بني عُذْرةَ[2]. وكذلك قال أبو عمر : إنه افتتحها عُنوة وقَسَمها[3] .

وأما ابن إسحاق فذكر أن رسول الله ﷺ حاصرَ أهلَها ليالي ، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة[4] .

وفيها أُصيب غلام للنبي ﷺ يُقال له مدعم أصابه سهم غَرْب[5] فقتله .

أخبرنا القاضي الصدر الرئيس نظام الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن الحسن بن الخليلي قراءة عليه وأنا أسمع بمصر ، قال : أخبرنا أبو محمد المبارك بن إبراهيم بن مختار بن تغلب بن السِّيبي[6] في كتابه إليَّ من مدينة السلام ، ومولدُه سنة سبع عشرة وخمسمائة ، وتوفي

(١) في الإصابة ٢٤٤/١ : حُضْرَ فرسِهِ ورميةَ سوطِهِ . والحُضْرُ : العدو . فكأنه عليه الصلاة والسلام أقطعه مقدار عدوة فرسه مع مقدار رمية السوط في تلك الحالة .

(٢) فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٨ — ٣٩ .

(٣) الدرر ص ٢٠٧ .

(٤) السيرة النبوية ٣٣٨/٢ .

(٥) « غَرْب » : سهم لا يُعرف راميه .

(٦) السِّيْبي : نسبة إلى « السِّيب » وهي بلدة على الفرات بغرب الحلة .

سنة ستمائة ، قال : أخبرنا أبو القاسم بن الحُصَيْن إملاء من لفظه سنة ثلاث وعشرين ، أخبرنا القاضي أبو القاسم التنوخي ، أخبرنا عبيد الله بن محمد بن إسحاق المَتُّوثي ، حدثنا البغوي ، حدثنا مصعب بن عبد الله ، حدثني مالك ، عن ثور بن زيد الدِّيلي ، عن أبي الغيث مولى ابن مطيع ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ عامَ خيبر ، فلم نغنم ذهباً ولا وَرِقاً إلا الثياب والمتاع والأموال . فوجَّهَ رسولُ الله ﷺ نحوَ وادي القُرى ، وقد أُهدي لرسول الله ﷺ عبدٌ أسود يقال له مدعم ، فبينما هو يَحطُّ رحلَ رسول الله ﷺ إذ جاءه سهم عابر فقتلَه ، فقال الناس : هنيئا له الجنة . فقالَ رسولُ الله ﷺ : « كلا والذي نفسي بيده ، إنَّ الشملةَ التي أخذَها يومَ خيبر من المغانم ، لم تُصبْها المقاسمُ ، لتشتعلُ عليه ناراً » . فلما سمعوا بذلك جاءَ رجلٌ بشراك[١] ـــ أو شراكين ـــ إلى رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « شراك من نار أو شراكان من نار »[٢] .

قال البلاذري : حدثني علي بن محمد بن عبد الله مولى قريش ، عن العباس بن عامر ، قال : أتى عبدُ الملك بن مروان يزيدَ بن معاوية ، فقال : إن أمير المؤمنين معاوية كان ابتاع من بعض اليهود[٣] أرضاً بوادي القرى ، وأحيا إليها أرضاً ، وليست لك بذلك المال عناية ، فقد ضاعَ وقلَّتْ غَلَّتُه ، فأَقطِعنيه فإنه لا خطرَ له ، فقال يزيد : إنا لا نبخلُ بكثير ، ولا نُخدع عن صغير . فقال : يا أمير المؤمنين غَلَّتُه كذا . قال : هو لك . فلما وَلَّى ، قال يزيد : هذا الذي يُقال إنه يلي بعدنا ، فإن يكُ ذلك حقاً فقد صانعناه ، وإن يكُ باطلاً فقد وصلناه[٤] .

* * *

(١) « بِشِراك » : الشِّراك أحدُ سُيور النعل .

(٢) قال في نور النبراس : حديث أبي هريرة هذا أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي ، وإنما عدل المؤلف عن أن يُخرجه من هذه الكتب أو أحدها ؛ لأنه من الطريق التي أخرجها أعلى من الكتب .
وقول أبي هريرة فيه : خرجنا .. على المجاز ؛ أي خرج الصحابة ؛ لأنه قدم بعد أن فتح الله على رسوله ﷺ خيبر .. لوحة ٢/ب ١٤٨ .

(٣) في بعض النسخ « من رجل يهودي » كذا قال في نور النبراس ، وكذلك هو في المطبوع . وأثبتنا ما في أصولنا الخمسة .

(٤) فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٩ . وفي الكلام صنعة وتكلف لما فيه من التنبؤ بالغيب .

خبر تَيْمَاء

قال أبو بكر البلاذري : قالوا : ولما بلغَ أهلُ تيماء ما وطىء به رسولُ الله ﷺ أهلَ وادي القرى صالحوه على الجزية ، فأقاموا ببلادهم وأرضهم في أيديهم ، وولأها رسول الله ﷺ يزيدَ بن أبي سفيان ، وكان إسلامه يومَ فتحها(١) ، وروى عن عمر بن عبد العزيز أن عمرَ بن الخطاب أجلى فدك وتيماء وخيبر .

سرية عمر بن الخطاب إلى تُرَبة

قال ابن سعد . عطفاً على وقعة خيبر : ثم سرية عمر بن الخطاب إلى تُرَبة في شعبان سنة سبع من مهاجر رسول الله ﷺ ، قالوا : بعثَ رسول الله ﷺ عمرَ بن الخطاب في ثلاثين رجلاً إلى عَجُز(٢) هوازن بتُرَبة ، وهي بناحية العَبْلاء على أربع ليال من مكة ، طريق صنعاء وبَحْرَان(٣) ، فخرج وخرج معه دليل من بني هلال ، فكان يسير الليل ويكمن النهار ، فأتى الخبرُ هوازنَ فهربوا ، وجاء عمر بن الخطاب محالَّهم ، فلم يلقَ منهم أحداً ، فانصرف راجعاً إلى المدينة(٤) .

● تُرَبة : بضم التاء وفتح الراء ، على وزن عُرَنة ، ذكره الحازمي ، وقال : بقرب مكة ، على مسافة يومين منها . وذكره ابن سِيده في أمثال له وقال : أسماء مواضع .

وذكر ابن سِيده تُرَبة ، وليس عند الحازمي . تُرْبة ساكنة الراء : موضع من بلاد بني عامر بن مالك .

* * *

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري ص ٤٨ ، وفيه : إن إسلامه كان يوم فتح تيماء . وفي الإصابة : إن إسلام يزيد بن أبي سفيان كان يوم فتح مكة .

(٢) « عُجْز هوازن » : آخر منازلهم جنوباً .

(٣) كذا في الأصول ، وكذا ضبطها صاحب نور النبراس ، وقال : إنها موضع بناحية الفرُع ، ومن المعلوم أن تُرَبَة ليست في اتجاهها ، فلعلها مصحفة من « نجران » .

(٤) الطبقات الكبرى ٢/١١٧ .

سرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى بني كلاب بنجد

ثم سرية أبي بكر الصديق إلى بني كلاب بنجد ، بناحية ضَرِيّة في شعبان سنة سبع من مهاجر رسول الله ﷺ .

روينا عن ابن سعد ، أخبرنا هاشم بن القاسم ، حدثنا عكرمة ــ يعني ابن عمار ــ حدثنا إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه ، قال : غزوتُ مع أبي بكر ، إذ بعثَه النبيُّ ﷺ علينا ، فسبَى ناساً من المشركين ، فقتلناهم ، وكان شعارنا : أمت أمت . قال : فقتلت بيدي سبعة أهل أبيات من المشركين . وقال : أخبرنا هاشم بن القاسم حدثنا عكرمة بن عَمَّار ، حدثنا إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه ، قال : بعثَ رسولُ الله ﷺ أبا بكر إلى فزارة ، وخرجتُ معه ، حتى إذا ما صلَّينا الصبحَ أمرنا فشنينا الغارة ، فوردنا الماء ، فقتل أبو بكر من قتل ونحن معه ، قال سلمة : فرأيت عُنُقاً[1] من الناس ، فمنهم الذراري ، فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل ، فأدركتهم ، فرميت بسهم بينهم وبين الجبل ، فلما رأوا السهمَ قاموا ، فإذا امرأة من فَزارة فيهم عليها قِشْع[2] من أدم ، معها ابنتها من أحسن العرب ، فجئت أسوقُهم إلى أبي بكر ، فنفلني أبو بكر ابنتَها ، فلم أكشفْ لها ثوباً ، حتى قدمتُ المدينة ، ثم باتت عندي ، فلم أكشف لها ثوباً ، حتى لقيني رسولُ الله ﷺ في السوق ، فقال : يا سلمة هبْ لي المرأةَ . فقلتُ : يا نبي الله والله لقد أعجبتني وما كشفتُ لها ثوباً . فسكتَ حتى كان من الغد لقيني رسولُ الله ﷺ في السوق ولم أكشفْ لها ثوباً . فقال : يا سلمةُ هبْ لي المرأة لله أبوكَ . قال : فقلت : هي لك يا رسول الله . قال : فبعث بها رسولُ الله ﷺ إلى مكة ففدى بها أسرى من المسلمين كانوا في أيدي المشركين[3] .

سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى فَدَك

ثم سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى فدك في شعبان سنة سبع .

(١) « عُنُقاً » : جماعة .

(٢) « قِشْع » : بفتح القاف وكسرها ، وسكون الشين : الفرو البالي .

(٣) الطبقات الكبرى ١١٨/٢ .

قـالوا : بعث رســولُ الله ﷺ بشـيرَ بن سعد في ثلاثين رجلاً إلى بني مرة بفدك ، فخرج ، فلقي رِعَاءَ الشاء ، فسأل عن الناس ، فقيل : في بواديهم . فاستاق النَّعَم والشاء ، وانحدر إلى المدينة ، فخرج الصريخ ، فأخبرهم ، فأدركه الدَّهْم[1] منهم ، عند الليل ، فباتوا يرامونهم بالنبل حتى فنيتْ نبلُ أصحاب بشير . وقاتل بشير حتى ارْتُثَّ[2] ، وضُرب كعبُه ، وقيـل : قد مـات . ورجعـوا بنعَمهـم وشـائهم ، وقدم عُلْبَـة بن زيد الحارثي بخبرهم على رسول الله ﷺ ، ثم قدم من بعده بشير بن سعد[3] .

سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى المَيْفَعَة

قال : ثم سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى المَيْفَعَة في شهر رمضان ، سنة سبع . قالوا : بعث رسولُ الله ﷺ غالبَ بن عبد الله إلى بني عُوَال ــ بضم العين ــ وبني عبد بن ثعلبة ، وهم بالمَيْفعة ، وهي وراء بطن نخل إلى النُّقْرة قليلاً بناحية نجد ، وبينها وبين المدينة ثمانية برد ، بعثه في مائة وثلاثين رجلاً ، ودليلُهم يسار مولى رسول الله ﷺ ، فهجموا عليهم جميعاً ، ووقعوا في وسط مَحالِّهم ، فقتلوا من أشراف لهم ، واستاقوا نَعَماً وشاء ، فحدروه إلى المدينة ولم يأسروا أحداً . وفي هذه السرية قتلَ أسامةُ بن زيد الرجلَ الذي قال لا إله إلا الله ، فقال النبيُّ ﷺ : « ألا شققتَ عن قلبه فتعلمَ أصادقٌ هو أم كاذب ؟ » . فقال أسامة : لا أقاتلُ أحداً يشهدُ أن لا إله إلا الله[4] .

وبَوَّبَ البخاريُّ على هذه السرية : بابُ بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحُرقَات من جهينة . قال : حدثني عمرو بن محمد ، حدثنا هشيم ، أخبرنا حصين ، أخبرنا أبو ظَبيان قال : سمعتُ أسامة بن زيد ، يقول : بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحُرَقة ، بطن من جُهينة ، فَصَبَّحْنا القومَ ، فهزمناهم ، ولحقتُ أنا ورجلٌ من الأنصار رجلاً منهم ، فلما غشيناه قال : لا إله إلا الله . فكفَّ الأنصاريُّ ، فطعنتُه برمحي حتى قتلته . فلما قدمنا بلغ النبيَّ ﷺ ، فقال : « يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله ؟ » . قلت : إنما كان مُتعوِّذاً ، فما زال

---

(١) « الدَّهْم » : العدد الكثير .

(٢) « ارْتُثَّ » : حُمل من المعركة جريحاً منقطع القوى .

(٣) الطبقات الكبرى ١١٨/٢ ــ ١١٩ .

(٤) المصدر السابق ١١٩/٢ .

يكررها ، حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم[1] .

سرية بشير بن سعد الأنصاريّ إلى يَمْن وجَبَار

قال : ثم سرية بشير بن سعد الأنصاريّ إلى يَمْن وجَبَار في شوال سنة سبع . قالوا : بلغ رسولَ الله ﷺ أن جمعاً من غطفان بالجَنَاب ، قد واعدهم عُيينة بن حصن الفَزاري ، ليكون معهم ، ليزحفوا إلى رسول الله ﷺ . فدعا رسولُ الله ﷺ بشيرَ بن سعد ، فعقدَ له لواء ، وبعث معه ثلاثمائة رجل ، فساروا الليل وكَمنوا النهار ، حتى أتوا إلى يَمْن وجَبَار ، وهي نحو الجناب ، والجِناب مَعارض سِلاح وخيبر ووادي القرى ، فنزلوا بسِلاح ، ثم دنوا من القوم ، فأصـابوا لهم نَعَمـاً كثيراً ، وتفرَّق الرعاء ، فَحَذَّروا الجمع ، فتفرقوا ولحقوا بُعليا بلادهم ، وخرج بشير بن سعد في أصحابه حتى أتى مَحالَّهم ، فيجدها وليس فيها أحدٌ ، فرجعَ بالنَّعَم وأصابَ منهم رجلين فأسَرَهما وقدم بهما إلى رسول الله ﷺ فأسلما ، فأرسلهما[2] .

- ويمن : بفتح الياء آخر الحروف ، وقيل بضمها ، وقيل بالهمزة مفتوحة ساكنة الميم .
- وجَبَار بفتح الجيم وباء معجمة ثانية الحروف مخففة ، وبعدها ألف وراء .
- والجِنَاب : بكسر الجيم ، من أرض غطفان ، وذكره أيضاً الحازمي ، وقال : من بلاد فزَارة .
- وعارضتُ فلاناً في السير ، أي : سرت حِيَاله .
- وسِلاح : بكسر السين المهملة وبالحاء المهملة ، موضع قريب من خيبر .

---

(١) رواه البخاري في المغازي (باب بعث النبي ﷺ أسامة ..) رقم /٤٢٦٩/ ومسلم في الإيمان (باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله) رقم /٩٦/ ، وأبو داود في الجهاد (باب على ما يقاتل المشركون) رقم /٢٦٤٣/ .
ولم يُرد أسامة أنه يتمنى أنه لم يكن مسلماً قبل ذلك ، وإنما هو استعظام لما صدر منه بعد شدة إنكار الرسول ﷺ عليه ، فهو يتمنى أن لو كان ما صدر منه ضمن أخطاء جاهلية تُجَبُّ بالإسلام .
وذكر البغوي : أن رسول الله ﷺ استغفر بعدُ لأسامة ثلاث مرات ، وقال له : أعتقْ رقبةً . انظر شرح السنة .

(٢) الطبقات الكبرى ٢/١٢٠ .

عمرة القضاء

ويُقال لها عمرة القصاص

وكان من خبرها أن رسولَ الله ﷺ خرج في ذي القعدة من السنة السابعة قاصداً مكة للعمرة ، على ما عاقد عليه قريشاً في الحديبية . فلما اتصل ذلك بقريش ، خرج أكابرٌ منهم عن مكة ، عداوة لله تعالى ولرسوله ﷺ ، ولم يقدروا على الصبر في رؤيته يطوف بالبيت هو وأصحابه ، فدخل رسول الله ﷺ مكة ، وأتمّ الله له عمرتَه ، وقعد بعضُ المشركين بقُعيقعان(١) ، ينظرون إلى المسلمين وهم يطوفون بالبيت ، فأمرهم رسول الله ﷺ بالرَّمَل ليُروا المشركين أن بهم قوة ، وكان المشركون قالوا في المهاجرين : قد وهنتهم حُمَّى يثرب .

وتزوَّج رسولُ الله ﷺ في عمرته تلك ميمونة بنت الحارث الهلالية ، قيل : تزوجها قبل أن يُحرم بعمرته ، وقيل : بعد أن حلَّ من عمرته ، وقيل : تزوجها وهو محرم . فلما تمت الثلاثة الأيام التي هي أمد الصلح ، جاء حُويطب بن عبد العزى ومعه سُهيل بن عمرو إلى رسول الله ﷺ عن المشركين بأن يخرجَ عن مكة ، ولم يُمهلوه حتى يبنيَ على ميمونة ، فخرج رسولُ الله ﷺ وبنى بها بِسَرِف(٢) .

وذكر ابن سعد أن المعتمرين بها كانوا ألفين ، هم أهل الحديبية ومن انضافَ إليهم ، إلا من مات منهم أو استُشهد بخيبر . واستخلفَ رسول الله ﷺ على المدينة أبا رُهم الغفاري ، وقيل : غيره ، وساقَ ستين بدنة ، وجعل عليها ناجيةَ بن جندب ، ومائة فرس ، قدَّم عليها محمد بن مسلمة أمامه . وجعلَ على السلاح أوسَ بن خولي في مائتي رجل ببطن يَأْجَج ، ثم خلَفهم غيرُهم حتى قضى الكلُّ مناسكَ عمرتهم رضي الله عنهم(٣) .

أخبرنا أحمد بن يوسف السَّاوي بقراءة والدي عليه رحمهما الله تعالى سنة ست وسبعين وستمائة ، أخبرنا أبو رَوْح المطهر بن أبي بكر البيهقي سماعاًعليه سنة خمس وستمائة ، أخبرنا

---

(١) « قُعَيْقعان » : جبل مشهور بمكة .

(٢) « سَرِف » : موضع على ستة أميال من مكة .

(٣) الطبقات الكبرى ٢/١٢٠ ــ ١٢١ .

الإمام أبو بكر محمد بن علي الطُّوسي ، أخبرنا أبو علي نصر الله بن أحمد بن عثمان الخشنامي ، أخبرنا القاضي أبو بكر الحيري ، أخبرنا أبو علي الميداني ، أخبرنا محمد بن يحيى الذُّهلي ، حدثنا عبد الرزاق ، عن معمر ؛ عن الزهري ، عن أنس بن مالك ، أن النبيَّ ﷺ دخلَ مكة في عُمرة القضاء ، وعبدُ الله بن رواحة آخذٌ بغَرْز النبي ﷺ ، وهو يقول :

خَلُّوا بني الكفار عن سبيله ... قد أُنزلَ الرحمنُ في تنزيله

بأن خيرَ القتلِ في سبيله[1]

وكان إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة قُبيلَ عمرة القضاء ، وقيل بعدها .

سرية ابن أبي العَوْجاء السُّلَمي إلى بني سُليم

قال ابن سعد : ثم سرية ابن أبي العوجاء إلى بني سُليم في ذي الحجة سنة سبع . قالوا : بعثَ رسولُ الله ﷺ ابنَ أبي العَوْجاء السُّلمي في خمسين رجلاً إلى بني سُليم ، فخرج إليهم ، وتقدمه عين لهم كان معهم فحذَّرهم ، فجمعوا ، فأتاهم ابن أبي العوجاء وهم مُعدُّون له ، فدعاهم إلى الإسلام ، فقالوا : لا حاجة لنا إلى ما دَعَوْتنا إليه ،فترامَوْا بالنبل ساعة ، وجعلتِ الأمداد تأتي ، حتى أحدقوا بهم من كل ناحية ، فقاتلَ القومُ قتالاً شديداً ، حتى قُتل عامَّتُهم ، وأُصيب ابنُ أبي العَوْجاء جريحاً مع القتلى ، ثم تحاملَ حتى بلغَ رسولَ الله ﷺ ، فقدموا المدينةَ في أول يوم من صفر سنة ثمان[2] .

* * *

(١) رواه النسائي في الحج (باب إنشاد الشعر في الحرم ..) ٢٠٢/٥.
ورواه الترمذي في الأدب (باب ما جاء في إنشاد الشعر) رقم /٢٨٥١/ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه .
وقد روى عبد الرزاق هذا الحديث أيضاً عن معمر عن الزهري عن أنس نحو هذا ، وروي في غير هذا الحديث أن النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء وكعب بن مالك بين يديه ، وهذا أصح عند بعض أهل الحديث ، لأن عبد الله بن رواحة قتل يوم مؤتة ، وإنما كانت عمرة القضاء بعد ذلك .

(٢) الطبقات الكبرى ١٢٣/٢ .

سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني المُلَوِّح بالكَدِيد

قال ابن سعد : ثم سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني المُلَوِّح بالكَدِيد[1] في صفر سنة ثمان . قال : أخبرنا عبد الله بن عمرو أبو معمر ، حدثنا عبد الوارث بن سعيد ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة ، عن مسلم بن عبد الله الجهني ، عن جندب بن مَكيث الجُهني ، قال : بعثَ رسولُ الله ﷺ غالبَ بن عبد الله الليثي ، ثم أحد بني كلاب بن عوف في سرية كنتُ فيهم ، وأمَرهم أن يَشُنُّوا الغارةَ على بني المُلَوِّح بالكَدِيد ، وهم من بني ليث . قال : فخرجنا ، حتى إذا كنا بالكَدِيد لقينا الحارثَ بن البَرْصَاء الليثي ، فأخذناه ، فقال : إنما جئتُ أُريد الإسلام ، وإنما خرجتُ إلى رسول الله ﷺ . قلنا : إن تكن مسلماً لم يَضُرُرْكَ رباطنا يوماً وليلة ، وإن تكن على غير ذلك نستوثق منك . قال : فشددناه وثاقاً ، وخَلَّفنا عليه رُويجلاً منا أسود ، فقلنا : إن نازَعك فاحتزَّ رأسه ، فسرنا حتى أتينا الكَدِيد عن غروب الشمس ، فكمنّا في ناحية الوادي . وبعثني أصحابي ربيئة لهم ، فخرجتُ حتى آتي تلاً مشرفاًعلى الحاضر يُطلعني عليهم ، حتى إذا أسندتُ فيه ، علوتُ على رأسه ، ثم اضطجعتُ عليه . قال : فإني لأنظرُ إذ خرجَ رجلٌ منهم من خِباء له ، فقال : لامرأته : إني أرى على هذا الجبلِ سَواداً ما رأيته أولَ من يومي هذا . فانظري إلى أوعيتِك لا تكونُ الكلابُ جَرَّتْ منها شيئاً . قال : فنظرتْ ، فقالت : والله ما أفقدُ من أوعيتي شيئاً . قال : فناوليني قوسي ونبلي ، فناولته قوسَه وسهمينِ معها ، فأرسلَ سهماً ، فوالله ما أخطأ بين عيني ، قال : فانتزعتُه فوضعتُه ، وثبتُّ مكاني ، ثم أرسلَ آخر فوضعه في منكبي ، فانتزعتُه فوضعتُه ، وثبتُ مكاني . قال : فقال لامرأته : والله لو كانت ربيئة لقد تحركت بعدُ ، والله لقد خالطَها سهمان لا أبا لك ، فإذا أصبحتِ فانظريهما لا تمضغُهما الكلاب . قال : ثم دخلَ ، وراحتِ الماشية من إبلهم وأغنامهم ، فلما احتلبوا واطمأنوا ، فناموا ، شننا عليهم الغارة ؛ واستقنا النَّعم . قال : فخرجَ صريخُ القوم في قومهم ، فجاء ما لا قبل لنا به ، فخرجنَا بها نحدرُها ، حتى مررنا بابن البَرْصاء ، فاحتملناه واحتملنا صاحبنا ، فأدركنَا القومُ ، حتى نظروا إلينا ، ما بيننا وبينهم إلا الوادي ، ونحن مُوجّهون في ناحية الوداي ، إذ جاء الله بالوادي

---

(١) « الكَدِيد » : موضع بين قُديد وعُسفان ، بينه وبين مكة ٤٢ ميلاً .

من حيث شاء يملأ جنبيه ماء ، والله ما رأينا يومئذ سحاباً ولا مطراً ، فجاء بما لا يَستطيع أحد أن يَجوَزه ، فلقد رايتُهم وقوفاً ينظرون إلينا وقد أسندناها في المسيل . وقال الواقدي : في المُشَلَّل(١) ـــ بدل المسيل ـــ نحدرها وفتناهم فوتاً ، لا يقدون فيه على طلبنا ، قال : وكانوا بضعةَ عشر رجلاً(٢) .

سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى مُصاب أصحاب بشير بن سعد بفَدَك

ثم سرية غالب بن عبد الليثي أيضاً إلى مُصاب أصحاب بشير بن سعد بفَدك في صفر سنة ثمان . قال : أخبرنا محمد بن عمر ، حدثني عبدُ الله بن الحارث بن الفُضيل ، عن أبيه ، قال : هيأ رسولُ الله ﷺ الزبيرَ بن العوام ، وقال له : سِرْ حتى تنتهي إلى مُصاب أصحاب بشير بن سعد ، فإن أظفرك الله بهم فلا تُبق منهم . وهيأ معه مائتي رجل ، وعقد له لواء ، فقدم غالبٌ من الكَديد من سرية قد ظَفَّره الله عليهم ، فقال رسولُ الله ﷺ للزبير : اجلسْ ، وبعثَ غالبَ بن عبد الله في مائتي رجل ، وخرج أسامة بن زيد فيها ، حتى انتهى إلى مُصاب أصحاب بشير ، وخرج معه عُلْبة بن زيد فيها ، فأصابوا منهم نَعَماً ، وقتلوا منهم قتلى . قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني أفلح بن سعيد ، عن بشير بن محمد بن عبد الله بن زيد ، قال : خرجَ مع غالب في هذه السرية عتبة بن عمر وأبو مسعود ، وكعب بن عجرة ، وأسامة بن زيد ، وعُلْبة بن زيد الحارثي . أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني شبل بن العَلاء بن عبد الرحمن ، عن إبراهيم بن حُويِّصة ، عن أبيه ، قال : بعثني رسولُ الله ﷺ في سرية مع غالب بن عبد الله إلى بني مرة ، فأغرنا عليهم من الصبح ، وقد أوعز إلينا أميرُنا أن لا نفترقَ ، ووَاخَى بيننا ، فقال : لا تعصوني ، فإن رسول الله ﷺ ، قال : « من أطاعَ أميري فقد أطاعني ومن عَصَاه فقد عصاني » وإنكم متى ما تعصوني

(١) « المُشلَّل » : هو بُقديد من ناحية البحر ، وهو الجبل الذي يهبط منه إلى قُديد ، والله أعلم .

(٢) الطبقات الكبرى ١٢٠/٢ ـــ ١٢١ . والحديث أخرجه أحمد في المسند ٤٦٧/٣ عن يعقوب ، عن أبيه ، عن ابن إسحاق به بزيادة يسيرة في آخره ، وأبو داود في الجهاد رقم /٢٦٧٨/ بسند ابن سعد سواء ، عن أبي معمر عبد الله بن عمرو به غير أن فيه : بعث عبد الله بن غالب والصواب العكس .

فإنكم تعصون نبيّكم . قال : فآخى بيني وبين أبي سعيد الخدريّ ، قال : فأصبنا القوم(١) .

سرية شجاع بن وهب الأسَدي إلى بني عامر بالسِّيء

ثم سرية عامر بن وهب الأسدي إلى بني عامر بالسِّيء ، في شهر ربيع الأول سنة ثمان .

قال : أخبرنا محمد بن عمر الأسلَمي ، قال : حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرَةَ ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة ، عن عمر بن الحكَم ، قال : بعثَ رسولُ الله ﷺ شجاعَ بن وهب في أربعة وعشرين رجلاً إلى جمع من هوازن بالسِّيء ناحية رُكبَة ، من وراء المعدن ، وهي من المدينة على خمس ليال ، وأمره أن يُغيرَ عليهم ، فكانَ يسيرُ الليل ويكمن النهار ، حتى صبَّحهم وهم غارُّون ، فأصابوا نَعَماً كثيراً وشاء ، واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة ، واقتسموا الغنيمة ، وكانت سُهمانهم خمسة عشر بعيراً ، وعدَلوا البعيرَ بعشر من الغنم ، وغابت السرية خمس عشرة ليلة(٢) .

سرية كعب بن عُمير الغِفَاري إلى ذاتِ أطلاح
وهي من وراء وداي القرى

ثم سرية كعب بن عُمير الغفاري إلى ذات أطلاح ، وهي من وراء وادي القرى ، في شهر ربيع الأول سنة ثمان . قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، قال : بعثَ رسولُ الله ﷺ كعبَ بن عُمير الغفاري في خمسة عشر رجلاً ، حتى انتهوا إلى ذات أطلاح من أرض الشام ، فوجدوا جمعاً من جمعهم كثيراً ، فدعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل . فلما رأى ذلك أصحابُ رسول الله ﷺ ، قاتلوهم أشدَّ القتال ، حتى قُتلوا ، وأُفلت منهم رجلٌ جريح في القتلى ، فلما برد عليه الليل تحاملَ حتى أتى رسولَ الله ﷺ فأخبره الخبر ، فشقَّ ذلك عليه ، وهمَّ بالبعثة إليهم ، فبلَغه أنهم قد ساروا إلى موضع آخر فتركهم(٣) .

---

(١) الطبقات الكبرى ١٥٢/٢ ، وعبد الله بن الحارث وثقة ابن حبان ويحيى بن معين . وأبوه الحارث بن فُضيل ثقة أيضاً أخرج له مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه ، وهو تابعي ، فحديثه مرسل . نور النبراس لوحة ٢/ب ١٥٧ .

(٢) الطبقات الكبرى ١٢٧/٢ وعمر بن الحكم تابعي ، فالحديث مرسل أيضاً .

(٣) المصدر السابق ١٢٧/٢ وابن شهاب الزهري تابعي ثقة ، فالحديث مرسل .

غــزوة مؤتــة

وهي بأدنى البلقاء من أرض الشام في جمادى الأولى سنة ثمان

وكان سببها أن رسولَ الله ﷺ بعثَ الحارث بن عُمير الأزدي ، أحدَ بني لِهْب بكتابه إلى الشام ، إلى ملك الروم ، وقيل إلى ملك بُصرى ، فعرضَ له شُرحبيل بن عمرو الغسَّاني ، فأوثقه رباطاً ثم قُدِّمَ فضربَ عنقَه صبراً ، ولم يُقتل لرسول الله ﷺ رسولٌ غيرُه ، فاشتدَّ ذلك عليه حين بلغَه الخبرُ عنه .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : بعثَ رسولُ الله ﷺ بَعْثَه إلى مُؤتة في جمادى الأولى من سنة ثمان ، وأمَّرَ عليهم زيدَ بن حارثة ، وقال : إن أُصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فإن أُصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس ، فتجهَّزَ النَّاسُ ، ثم تهيؤوا للخروج ، وهم ثلاثةُ آلاف ، فلما حضر خُروجُهم ، وَدَّعَ الناسُ أمراءَ رسول الله ﷺ وسلَّموا عليهم . فلما وُدِّع عَبدُ الله بن رواحة بكى ، فقيل : ما يُبكيك ؟ فقال : أما والله ما بي حبٌّ للدنيا ولا صبابة بكم ، ولكني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقرأ آيةً من كتاب الله يذكر فيها النار ﴿ وإنْ منكم إلا واردُها كان على ربِّك حتماً مَقْضِيّـاً ﴾ [مريم : ٧١] . فلستُ أدري كيف لي بالصَّدَر بعد الورود . فقال المسلمون : صحبَكم الله ودفعَ عنكم وردَّكم إلينا صالحين ، فقال عبد الله بن رواحة :

لكــنني أســألُ الرحمن مغفــرةً ... وضربـةً ذاتَ فَرْغٍ تقذفُ الزَّبَدا[1]
أو طعنــةً بيــديْ حَـرَّانَ مُجهـزةً ... بحربـة تُنْفِـذُ الأحشــاء والكَبِـدا[2]
حتى يُقــالَ إذا مروا على جـدثي ... أرشــدَه الله من غــازٍ وقد رَشَـدا

ثم مضوا ، حتى نزلوا مَعان من أرض الشام ، فبلغ النَّاسَ أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم ، وانضمَّ إليهم من لَخْم وجُذام والقَيْن وبَهراء وبَلِيٍّ مائة ألف

---

(١) « ذات فَرْغ » : ذات سعة ، و« الزَّبَد » : هنا رغوة الدم .
(٢) « حَرَّانَ » : محترق الجوف ألماً . و« مجهزةً » : سريعة القتل .

منهم ، عليهم رجل من بَلِيٍّ يُقال له مالك بن رافلة . فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على مَعَان ليلتين ، ينظرون في أمرهم ، وقالوا نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبِره بعدد عدونا ، فإما أن يمدَّنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له . قال : فشجَّعَ الناسَ عبدُ الله بن رواحة ، وقال : يا قوم والله إن الذي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نُقاتلُ بعَدد ولا قوة ولا كثرة ، وما نقاتلُهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين إما ظُهورٌ وإما شهادة[1] .

قال ابن إسحاق : ثم مضى الناس ، فحدثني عبدُ الله بن أبي بكر ، أنه حُدِّث عن زيد بن أرقم ، قال : كنتُ يتيماً لعبد الله بن رواحة ، فخرجَ في سفره ذلك مُردفي على حقيبةِ[2] رَحْلِهِ ، فوالله إنه ليسير ليلة إذ سمعته وهو يُنشد ، ويقول :

إذا أدنيتني وحملتِ رَحْلي ... مسيرةَ أربعٍ بعد الحِساءِ
فشأنُكِ فانعمي وخَلاكِ ذَمٌّ ... ولا أرجعْ إلى أهلي ورائي
وجاءَ المسلمون وغادروني ... بأرضِ الشامِ مُنتهيَ الثَّواءِ

في أبيات ، فلما سمعتهن بكيْتُ ، فخفقني بالدِّرة ، وقال : ما عليك يا لكع أن يرزقني الله شهادةً ، وترجعَ بين شُعبتي الرحل . قال : ثم قال عبد الله بن رواحة في سفره ذلك ، وهو يرتجز ، ويقول :

يا زيدُ زيدَ اليَعْمَلاتِ الذُّبل ... تطاولَ الليلُ هُديتَ فانزلِ

ثم مضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء ، لقيتهم جُموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مَشَارف ، ثم دنا العدو ، وانحازَ المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة ، فالتقى الناسُ عندها ، فتعبأ لهم المسلمون ، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عُذْرة ، يقال له : قطبة بن قتادة ، وعلى ميسرتهم رجل من الأنصار يُقال له : عَبابة بن مالك ، ويقال عُبادة . ثم التقى الناس فاقتتلوا ، فقاتل زيدُ بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاطَ في رماح القوم ، ثم أخذها جعفر ؛ فقاتل بها حتى إذا ألحمه[3]القتال ، اقتحم عن فرسٍ له

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٣٧٣ ــ ٣٧٥ والخبر عن عروة بن الزبير مرسل .

(٢) « حقيبة رحله » : مؤخرته .

(٣) « ألحمَه القتالُ » : نشب فيه فلم يجد مخلصاً .

شقراء ، فعقرَها ، ثم قاتل القومَ حتى قُتل ، فكان جعفرٌ أوَّلَ مَنْ عرقب فرساً في الإسلام[1] وقاتل . وروي أنه أخذ اللواء بيمينه ، فقاتل به حتى قُطعت يمينه ، فأخذَ الراية بيساره فقُطعت يسارُه ، فاحتضن الراية وقاتل حتى قُتل رحمه الله ، وسِنُّه ثلاثٌ وثلاثون ، أو أربع وثلاثون سنة . ثم أخذها عبد الله بن رواحة ، وتقدم بها وهو على فرسه ، فجعل يستنزلُ نفسَه ويتردد بعض التردد ، ثم نزل ، فلما نزلَ أتاه ابنُ عم له بَعْرقٍ[2] من لحم ، فقال : شُدَّ بها صلبَك . فإنك قد لقيت أيامَك هذه ما لقيت ، فأخذه من يده ، فانتهشَ منه نهشةً ، ثم سمع الحَطْمة[3] في ناحية الناس ، فقال : وأنتَ في الدنيا ؟ ثم ألقاه من يده ، ثم أخذَ سيفَه ، فقاتل حتى قُتل . ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بني العجلان ، فقال : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم . قالوا : أنت . قال : ما أنا بفاعل . فاصطلحَ النَّاسُ على خالد بن الوليد . فلما أخذَ الراية دافع القومَ وحاشى بهم ، ثم انحاز وانحيز عنه ، حتى انصرف بالناس[4] .

وقد حكى ابن سعد وغيرُه أنَّ الهزيمةَ كانت على المسلمين ، وحكى أيضاً أن الهزيمةَ كانت على الروم . وكذا وردَ في صحيح البخاري ، والمختار من ذلك ما ذكره ابن إسحاق من انحياز كل فئة عن الأخرى من غير هزيمة ، وقد وقع ذلك في شعر لقيس بن المُسَحَّر اليعمري كذلك .

وأطلع الله رسوله ﷺ على ذلك من يومه فأخبر به عليه الصلاة والسلام أصحابَه رضي الله عنهم بالمدينة قبل ورود الخبر بأيام . وقال : « لقد رُفعوا إلي في الجنة فيما يرى النائم على سُرر من ذهب ، فرأيتُ في سرير عبد الله بن رَواحة ازوراراً عن سريرَيْ صاحبَيْه ، فقلت : عمَّ هذا ؟! فقيل لي : مضيا ، وتردَّد عبدُ الله بعضَ التردد ثم مضى » .

---

(١) كذا في الأصل « أ » و« ب » و« ج » ، وفي « د » والمطبوع : فكان جعفر أول من عرقبَ فرساً في سبيل الله .

و« قاتل » أي بعد عرقبة فرسه ، وكان بعضُ الفرسان يفعلونها وسيلةً لتثبيت من معهم وحملهم على القتال .

(٢) « بعَرْق من لحم » : العظم عليه بعض لحم .

(٣) « الحَطْمة » : واحدة الحطم ، وهو الكسر ، والمقصود الهجمة ، مع ما يُصاحبها من أصوات السلاح والمقاتلين .

(٤) السيرة النبوية ٢/٣٧٧ ــ ٣٨٠ .

قال أبو عمر : وذكر عبدُ الرزاق ، عن ابن عيينة ، عن ابن جُدْعان ، عن ابن المسيب ، قال : قال رسول الله ﷺ : مُثِّل لي جعفر وزيد وابن رواحة في خيمة من در ، كلٌّ واحد منهم على سريره ، فرأيت زيداً وابن رواحة في أعناقهما صدود ، ورأيتُ جعفراً مستقيماً ليس فيه صدود . قال : فسألتُ ـــ أو قيل لي ـــ إنهما حين غشيَهما الموتُ أعرَضا ، أو كأنَّهما صَدَّا بوجوههما ، وأما جعفر فإنه لم يفعل . وقال رسول الله ﷺ في جعفر : إن الله أبدلَه بيديه جناحين يطيرُ بهما في الجنة حيثُ شاء[1] . قال أبو عمر : وروينا عن ابن عمر ، أنه قال : وجدنا ما بين صدر جعفر ومَنكبيْه وما أقبلَ منه تسعين جراحة ، ما بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح . وقد روي : أربع وخمسون ، والأول أثبت[2] .

وقال موسى بن عقبة : قدم يَعلى بن مُنْيَة على رسول الله ﷺ بخبر أهل مؤتة ، فقال له رسول الله ﷺ : إن شئتَ فأخبرني ، وإن شئتَ أخبرتُك . قال : فأخبرني يا رسول الله . فأخبره ﷺ خبرَهم كلّهُ ، ووصفَه له . فقال : والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً واحداً لم تذكره ، وإنَّ أمرَهم لكَما ذكرتَ . فقال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله رفعَ لي الأرضَ حتى رأيتُ معتركَهم[3] » .

ذكر تسمية من استُشهد يوم مُؤْتة

ذكر ابن إسحاق منهم : من بني هاشم : جعفر بن أبي طالب ، وزيد بن حارثة .

ومن بني عديّ بن كعب : مسعود بن الأوس بن حارثة بن نضلة .

ومن بني مالك بن حِسل : وهب بن سعد بن أبي سرح .

ومن الأنصار : من بني الحارث بن الخزرج : عبد الله بن رواحة ، وعبّاد بن قيس .

---

(١) الاستيعاب ٢١٢/١ ، وابن جُدعان : علي بن زيد ، ضعيف ، والخبر مرسل .

(٢) الاستيعاب ٢١١/١ ، وهو في البخاري في المغازي (باب غزوة مؤتة) رقم /٤٢٦٠/ .

(٣) روى الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » أن عبد الرحمن بن سمرة هو الذي جاء بخبر أهل مؤتة . وقال موسى بن عقبة : إنه يَعْلَى بن مُنَيَة . وذكر ابن عبد البر أن كلاً منهما أسلم يوم الفتح ؛ ففي الخبرين نظر ، والله أعلم ، نور النبراس لوحة ٢/ب ١٦٥ .

ومن بني غنم بن مالك بن النجار : الحارث بن النعمان بن أساف بن نضلة بن عبد بن عوف بن غنم .

ومن بني مازن بن النجار : سُراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء .

وزاد ابن هشام عن الزهري فيهم : أبا كليب وجابراً ابني عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول ، وهما لأب وأم . وفي بني مالك بن أفصى : عمراً وعامراً ابني سعد بن الحارث بن عبَّاد بن سعد بن الحارث بن عباد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفصى[1] .

ذكر فوائد تتعلق بهذه الأخبار

● مؤتة : بضم الميم وبالهمز .

● ولِهْب : بكسر اللام وسكون الهاء .

● وقوله في شعر ابن رواحة « وضربةً ذاتَ فَرْغٍ » : بفتح الفاء وسكون الراء المهملة ، وبعدها غين معجمة ، قال ابن سيده : وطعنة فرغاء وذات فرغ : واسعة يسيل دمها .

● ومعان : بضم الميم ، وقال الوقشيُّ : الصواب فتحُها ، وفي الغريب المصنف : المبآة المنزل . والمَعان مثله .

● والحِساء : جمع حِسْي ، وهو موضع رمل تحته صلابة ، فإذا قطرت السماء على ذلك الرمل نزل الماء ، فمنعته الصلابة أن يغيض ، ومنعَ الرملُ السمائمَ[2] أن تنشفه ، فإذا بُحث ذلك الرملُ وُجد الماء ، والحِساء هاهنا : اسم منزلة معروفة .

● وقوله : « فشأنك فانعمي » : استحسنه المبرِّد ، وكان قد أُنشدَ قبله قول الشمَّاخ يمدح عَرابة بن أوس :

إذا بلَّغتِني وحملتِ رَحْلي ... عَرابةَ ، فاشرَقي بدم الوتينِ

قال : وقد أحسن كلَّ الإحسان ، كأنه يقول : لست أحتاج أن أرحل إلى غيره . قال :

---

(١) السيرة النبوية ٢/٣٨٨ ـــ ٣٨٩ .

(٢) « السَّمَائم » : رياح السموم ، المعروفة بشدة لفحها وحرارتها .

وقد عاب بعض الرواة قوله : « فاشرَقي بدم الوتين » قال : وكان ينبغي أن ينظرَ لها بعد استغنائه عنها . وذكرَ قصة الأنصارية التي نجت على الناقة ، وقالت : إني نذرت إن نجوتُ عليها أن أنحرَها . فقال رسول الله ﷺ : « بئس ما جزيتها[1] .. » الحديث . قلت : وقد سلم بيت ابن رواحة من هذا .

● وقوله : ولا أرجعْ : دعاء ، وهو مجزوم بالدعاء ، ومعناه : اللهم لا أرجع ، وهذا الدعاء ينجزم بما ينجزم به الأمر والنهي .

● وقال الوقشيُّ الصواب : مُشتهيَ الثَّواء ، ولما وقع في الأصل[2] وجه .

● وقوله : « يا زيدُ زيدَ اليَعَملات الذبَّل » قال ابن إسحاق : يقوله لزيد بن أرقم ، وكان يتيمَه . قال أبو عمر : قيل : بل قال ذلك في غزوة مؤتة لزيد بن حارثة .

● وتخوم البلقاء : في مختصر العين : تَخوم الأرض ــ يعني بفتح التاء ــ اسم على مثال فَعول ، وبعضهم يقول : تُخوم ــ بالضم ــ كأنه جمع ، وهو فصل ما بين الأرضين .

● وشاط : هلك ، قال : « وقد يشيطُ على أرماحِنا البطلُ » .

● وقوله : وخاشى بهم : بالخاء المعجمة ، قال ابن قُتيبة : هو من الخشية ، كأنه خاف عليهم . وقال ابن هشام : ويُقال : فحاشى بهم[3] .

* * *

(١) الحديث رواه مسلم في النذر (باب لاوفاء لنذر في معصية الله) رقم /١٦٤١/ ،وأبو داود في الأيمان والنذور (باب في النذر فيما لا يملك) رقم /٣٣١٦/ .

(٢) يعني « منتهيَ الثَّوَاء » : أي نهايته ومثواه بالاستشهاد في أرض الشام . أما « مشتهيَ الثواء » : فمعناها : راغباً في أن تكون مثواه .

(٣) « فحاشى بهم » : لجأ بهم إلى حاشية المكان ، أي ابتعد بهم ناحية . أما « فخاشى بهم » : فهي تعني أنه حجزهم عن العدو خشيةً عليهم من الهلاك ، وذلك لقلة عددهم .

سرية عمرو بن العاص إلى ذات السَّلاسِل

وهي من وراء وادي القرى .

سميت بماء بأرض جذام ، يُقال له السلسل ، وقال السهيلي : ذات السُّلاسِل ، بضم السين الأولى وكسر السين الثانية ؛ ماء بأرض جذام ، به سميت الغزاة[1] .

ثم سرية[2] عمرو إلى ذات السلاسل ، وبينها وبين المدينة عشرة أيام ، وكانت في جمادى الآخرة سنة ثمان . قال ابن سعد : قالوا : بلغ رسولُ الله ﷺ أن جمعاً من قُضاعة قد تجمعوا يرُيدون أن يدنوا إلى أطراف المدينة ، فدعا رسولُ الله ﷺ عمروَ بن العاص ، وعقد له لواء أبيض ، وجعل معه رايةً سوداء ، وبعثه في ثلثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ، ومعهم ثلاثون فرساً وأمَّره أن يستعين بمن مر به من بَلِيّ وعُذْرة وبَلْقَيْن ، فسار الليل وكمن النهار ، فلما قرب من القوم بلغه أن لهم جمعاً كثيراً ، فبعث رافع بن مَكيث الجهني إلى رسول الله ﷺ يستمدُّه ، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح ، في مائتين ، وعقدَ له لواءً ، وبعثَ معه سراة المهاجرين والأنصار وفيهم أبو بكر وعمر ، وأمره أن يلحق بعمرو ، وأن يكونا جميعاً ، ولا يختلفا ، فلحق بعمرو ، فأراد أبو عبيدة أن يؤمَّ الناسَ ، فقال عمرو : إنما قدمتَ عليّ مدداًوأنا الأمير ، فأطاع له بذلك أبو عبيدة ، فكان عمرو يُصلّي بالناس . وسار حتى وَطِيء بلاد بَلِيّ ودوَّخها[3] ، حتى أتى إلى أقصى بلادهم وبلاد عُذْرةَ وبَلْقَيْن ، ولقي في آخر ذلك جمعاً ، فحمل عليهم المسلمون فهربوا في البلاد وتفرقوا . وبعثَ عوف بن مالك الأشجعي بريداً إلى رسول الله ﷺ فأخبرَه بقُفولهم وسلامتهم وما كان في غزاتهم[4] .

وذكر ابن إسحاق نزولَهم على ماء بجذام يقال له السُّلْسَل ، قال : وبذلك سُميت ذات السلاسل .

---

(١) الروض الأنف ٢٥٢/٤ .

(٢) من هنا يبدأ كلام ابن سعد ؛ كما في الطبقات الكبرى ١٣١/٢ .

(٣) « دوَّخها » : يُقال : داخ الجيشُ البلاد يدُوخها ، ودوَّخها يدوِّخها ، بالتشديد : قهرها واستولى عليها .

(٤) الطبقات الكبرى ١٣١/٢ .

أخبرنا عبد الرحيم بن يوسف المِزي بقراءة والدي عليه ــ رحمهما الله ــ قال : أخبرنا أبو علي حنبل بن عبد الله بن الفرج الرصافي ، قال : أخبرنا الرئيس أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحصين الشيباني ، قال : أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن المذهب ، قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي ، قال : أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن أبي عدي ، عن داود ، عن عامر ، قال : بعثَ رسولُ الله ﷺ جيشَ ذات السلاسل ، فاستعملَ أبا عبيدة على المهاجرين ، واستعمل عمروَ بن العاص على الأعراب ، وقال لهما : تطاوعا . قال : فكانوا[1] يُؤمَرون أن يُغيروا على بكر ، فانطلقَ عمرووأغارَ على قُضاعة ، لأن بكراً أخوالُهُ ، قال : فانطلقَ المغيرةُ بن شعبة إلى أبي عُبيدة ، فقال : إن رسولَ الله ﷺ قد استعملك علينا ، وإن ابن فلان قد اتَّبع أميرَ القوم ، فليس لك معه أمر ، فقال أبو عبيدة : إن رسولَ الله ﷺ أمرنا أن نتطاوع ، فأنا أُطيع رسول الله ﷺ وإنْ عصاه عمرو[2] .

* * *

(١) « فكانوا » : الضمير يعود على من كانوا تحت إمرة أبي عُبيدة من المهاجرين .

(٢) هذا الحديث مرسل ، وليس في أحد الكتب . انظر نور النبراس لوحة ٢/ب ١٦٩ .

سرية الخَبَط

ثم سرية الخَبَطْ[1] أميرُها أبو عبيدة بن الجراح ، وكانت في رجب سنة ثمان .

قالوا : بعثَ رسولُ الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح في ثلاثمائة رجل من المهاجرين والأنصار ، وفيهم عمر بن الخطاب إلى حيٍّ من جُهينة بالقَبَلِيّة مما يلي ساحل البحر ، وبينها وبين المدينة خمس ليال ، فأصابَهم في الطريق جوعٌ شديد ، فأكلوا الخَبَط . وابتاعَ قيسُ بن سعد جَزُراً ونحرها لهم ، وألقى لهم البحرُ حوتاً عظيماً ، فأكلوا منه وانصرفوا ولم يلقوْا كيداً[2] .

قرأتُ على أبي الهيجاء غازي بن أبي الفضل الدمشقي ، أخبركم الشيخ أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزذ قراءة عليه وأنت تسمع ؟ فأقرَّ به . أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحصين الشيباني ، أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غَيْلان البزاز ، أخبرنا أبو محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي ، حدثنا إبراهيم بن إسحاق ، حدثنا محمد بن سهل ، حدثنا ابن أبي مريم ، أخبرنا يحيى بن أيوب ، حدثني جعفر بن ربيعة وعمرو بن الحارث أن بكرَ بن سوادة حدثهما ، أنَّ أبا حمزة الحميري حدثه ، سمعَ جابر بن عبد الله ، يقول : إن رسولَ الله ﷺ بعثَهم بعثاً عليهم قيس بن سعد بن عبادة ، فجَهِدوا ، فنحرَ لهم قيس تسعَ ركائب . قال عمرو في حديثه : فقال رسول الله ﷺ : إن الجودَ لمن شيمة أهل ذلك البيت . قال إبراهيم : لم يكن قيسُ بن سعد أميرَ هذا الجيش ، إنما كان أبو عبيدة ، وقيسٌ معه ، كذا أخبرني محمد بن صالح عن محمد بن عمر . قال : وحدثني داود بن قيس وإبراهيم بن محمد الأنصاري وخارجة بن الحارث ، قالوا : بعثَ رسولُ الله ﷺ أبا عبيدة في سرية ، فيها المهاجرون والأنصار ، وهم ثلاثمائة رجل إلى ساحل البحر ، إلى حيٍّ من جُهينة ، فأصابَهم جوعٌ شديد ، فقال قيسُ بن سعد : من يَشتري مني تمراً بجُزُر ، يُوفيني الجُزُر هاهنا ، وأُوفيه التمرَ بالمدينة ، فجعل عمر يقول : واعجباه لهذا الغلام ، لا مال له ،

(١) « الخَبَط » : بفتح الخاء والباء ؛ أي المخبوط ، وهو الورق الذي يتساقط من الأشجار بعد خبطها بالعصا ونحوها ؛ لتأكله الإبل . قالوا : وهو فَعَل بمعنى مفعول .

(٢) الطبقات الكبرى ٢/١٣٢ .

يُدَيِّنُ في مال غيره . فوجد رجلاً من جُهينة . فقال قيس : بعني جزوراً أوفيك وسقه من تمر المدينة . فقال الجهني : والله ما أعرفك . فمن أنت ؟ فقال : أنا ابن سعد بن عبادة بن دليم ، قال الجهني : ما أعرفني بنسبك وذكَر كلاماً ، فابتاع منه خمسَ جزائرَ ، كلُّ جزورٍ بوسق من تمر ، يشترط عليه البدويُّ من تمر آل دُلَيم ، يقول قيس : نعم . قال : فأشهِدْ لي . فأشهدَ له نفراً من الأنصار ، ومعهم نفرٌ من المهاجرين . قال قَيس : أشهِدْ مَنْ تحب . قال : وكان فيمن أُشهد عمر بن الخطاب . فقال عمر : ما أشهدُ ، هذا يُدَيِّنُ ولا مال له ، وإنما المال لأبيه . قال الجهني : والله ما كان سعد ليُخْني[1] بابنه في وسقة من تمر ، وأرى وجهاً حسناً وفعالاً شريفاً . فكان من عمر وقيس كلامٌ ، حتى أغلظَ لقيس . وأخذ الجزُرَ فنحرَها لهم في مواطن ثلاثة ، كلَّ يوم جزوراً . فلما كان اليوم الرابع نهاه أميره ، فقال : أتُريد أن تُخْفِرَ ذمتك ولا مال لك ؟ قال محمد : فحدثني محمد بن يحيى بن سهل ، عن أبيه ، عن رافع بن خديج ، قال : أقبل أبو عُبيدة ومعه عمر ، فقال : عزمت عليك أن لا تنحَر ، أتريد أن تُخفرَ ذمتك ؟ قال قيس : يا أبا عبيدة أترى أبا ثابت يقضي ديون الناس ، ويحملُ الكَلَّ ، ويُطعم في المجاعة ، لا يقضي عني وسَقةً من تمر لقوم مجاهدين في سبيل الله ؟ فكاد أبو عبيدة أن يلين له ، وجعلَ عمر يقول : اعزمْ . فعزم عليه وأبى أن ينحرَ ، وبقيت جزوران ، فقدم بهما قيس المدينة ظهراً ، يتعاقبون عليهما ، وبلغ سعداً ما أصاب القوم من المجاعة ، فقال : إن يكُ قيس كما أعرف فسينحر للقوم . فلما قدم قيسٌ لقيه سعد ، فقال : ما صنعتَ في مجاعة القوم ؟ قال : نحرتُ . قال أصبتَ ، قال : ثم ماذا ؟ قال : ثم نحرت . قال : أصبتَ . قال : ثم ماذا ؟ قال : ثم نحرت . قال : أصبت . قال : ثم ماذا ؟ قال : ثم نُهيت . قال : مَنْ نهاك ؟ قال : أبو عبيدة أميري . قال : ولم ؟ قال : زعم أنه لا مال لي ، وإنما المال لأبيك . فقلت : أبي يقضي عن الأباعد ، ويحمل الكلَّ ، ويُطعم في المجاعة ، ولا يصنعُ هذا بي ، قال : فلك أربعُ حوائط ، أدناها حائطٌ تجذُّ منه خمسين وَسْقاً . قال : وقدم البدويُّ مع قيس ، فأوفاه أوْسُقَه ، وحمله وكساه ، فبلغَ النبيَّ ﷺ فعل قيس ، فقال : « إنه في قلب جود[2] » .

---

(١) « ليُخْني بابنه » : يتخلى عنه ، ويُخْفِر ذمته .

(٢) هذا الخبر معضل أو مرسل وهو في الغيلانيات ، وفيه أبو حمزة الحميري لا يُعرف حاله ، وفيه الواقدي ، والاختلاف على اسم الأمير ، وهو أبو عُبيدة بلا خلاف ، وقيس بن سعد كان في السرية ، ونحرَ ثلاثة

خبـــر العنبـــر

وروينـا من طريق البخـاري : حدثنـا علي بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، قال : الذي حفظناه من عمرو بن دينار ، قال : سمعتُ جابرَ بن عبد الله ، يقول : بعثنا رسولُ الله ﷺ في ثلثمائة راكب ، أميُرنا أبو عبيدة بن الجراح ، نرصد عيرَ قريش ، فأقمنا بالساحل نصفَ شهر ، فأصابنَا جوعٌ شديد ، حتى أكلنا الخَبَط ، فسُمي ذلك الجيشُ جيشَ الخبط ، فألقى لنا البحرُ دابةً يُقالُ لها : العنبر ، فأكلنَا منها نصفَ شهر ، وادَّهنا من وَدَكه ، حتى ثابتْ إلينا أجسامنا ، فأخذَ أبو عبيدة ضِلْعَاً من أعضائه فنصبه ، فعَمد إلى أطول رجل معه ــ قال سفيان مرة : ضِلعاً من أضلاعه فنصبَه وأخذ رجلاً وبعيراً فمرَّ تحته ــ قال جابر : وكان رجلٌ من القوم نحرَ ثلاث جزائرَ . وذكر تمام الحديث[1] .

* * *

= جُزُر ، ثم نهاه أميره أبو عُبيدة عن نحر الرابع ، فانتهى ... كما في البخاري عن عمرو بن دينار ، عن أبي صالح .. وانظر نور النبراس لوحة ٢/ب ١٧٠ . وفتح الباري ٨١/٨ وفيه عن ابن خزيمة ؛ أن النبي ﷺ قال : « إن الجودَ من شيمة أهل ذلك البيت » .

(١) رواه البخاري في المغازي (باب غزوة سيف البحر) رقم /٤٣٦٠/ .
ورواه مسلم في الصيد رقم /١٩٣٥/ والنسائي في الصيد رقم ٢٠٧/٧ و٢٠٩ ، وأبو داود في الأطعمة رقم /٣٨٤٠/ والموطأ ٩٣٠/٢ في صفة النبي ﷺ ، والترمذي في صفة القيامة رقم /٢٤٧٧/ .

سرية أبي قتادة بن رَبْعي إلى خُضْرة
وهي أرض مُحَارب

ثم سرية أبي قتادة بن رَبعي الأنصاري إلى خُضْرة[1] ، وهي أرض محارب بنجد في شعبان سنة ثمان . قالوا : بعثَ رسولُ الله ﷺ أبا قتادة ، ومعه خمسة عشر رجلاً إلى غطفان ، وأمره أن يشنَّ عليهم الغارة ، فسار الليلَ وكمن النهارَ ، فهجمَ على حاضرٍ منهم عظيم ، فأحاطَ به ، فصرخَ رجلٌ منهم : يا خُضْرة ! وقاتل منهم رجال ، فقَتلوا من أشرافِ هم ، واستاقوا النَّعم فكانت الإبلُ مائتي بعير والغنم ألفي شاة ، وسبَوْا سبياً كثيراً ، وجمعوا الغنائم ، فأخرجوا الخمس فعزلوه ، فأصابَ كلُّ رجل اثني عشر بعيراً ، فعُدلَ البعيرُ بعشرٍ من الغنم ، وصارت في سهم أبي قتادة جارية وضيئة ، فاستوهَبها منه رسولُ الله ﷺ ، فوهَبها له ، فوهَبها رسولُ الله ﷺ لَمحميّة بن جَزْء . وغابوا في هذه السرية خمس عشرة ليلة[2] .

قرأتُ على أبي الهيجاء غازي بن أبي الفضل الدمشقي بقَرافة[3] سارية ، أخبركم أبو علي حنبل بن عبد الله المُكَبِّر ، أخبرنا أبو القاسم بن الحصين ، أخبرنا أبو علي بن المُذْهِب ، أخبرنا أبو بكر بن مالك ، أخبرنا عبد الله ، حدثني أبي : حدثنا سفيان ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ؛ أن رسولَ الله ﷺ بعثَ سريةً إلى نجد فبلغت سُهمَانُهم اثني عشر بعيراً ، ونفلنَا رسولُ الله ﷺ بعيراً بعيراً[4] .

* * *

(١) كذا ضبطها صاحب نور النبراس لوحة ٢/ب ١٧١ ، وضبطها الشامي في سيرته ٢٩١/٦ : بفتح الخاء وكسر الضاد ، وكذا في النسخة « د » من عيون الأثر .

(٢) الطبقات الكبرى ؛لابن سعد ١٣٢/٢ ــ ١٣٣ .

(٣) « قَرَافة سَارية » : مقبرة أهل القاهرة .

(٤) المسند ١٠/٢ و٦٢ ، ورواه البخاري في المغازي (باب السرية التي قبل نجد) رقم /٤٣٣٨/ ومسلم في الجهاد والسير (باب الأنفال) رقم /١٧٤٩/ ، وإنما رواه من المسند لأنه من طريقه أعلى برجل .

سرية أبي قتادة بن رَبعي الأنصاري إلى بطن إضَم

وهي في أول شهر رمضان سنة ثمان

قالوا : لما همَّ رسولُ الله ﷺ بغزو أهل مكة ، بعثَ أبا قتادة بن رَبْعى في ثمانية نفر ، سرية إلى بطنِ إضم ـــ وهي فيما بين ذي خُشُب وذي المروة ، وبينها وبين المدينة ثلاثة بُرد ـــ ليظنَّ ظانٌّ أن رسولَ الله ﷺ توجه إلى تلك الناحية ، ولأن تذهَب بذلك الأخبار . وكان في السرية مُحَلِّم بن جَثَّامة الليثي ، فمرَّ عامر بن الأضبط الأشجعي ، فسلَّم بتحية الإسـلام ، فأمسك عنـه القوم ، وحمل عليـه مُحلِّم بن جَثَّامة فقتلَه وسلبَه متاعَه وبعيرَه ووطْب[1] لبنٍ كان معه ، فلما لحقوا بالنبي ﷺ نزل فيهم القرآن : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا إذا ضربتُم في سبيل الله فتبيَّنوا ولا تقولُوا لمن ألقى إليكم السلامَ لستَ مُؤمنا تبتغونَ عرضَ الحياة الدنيا فعند الله مغانمُ كثيرة ﴾ إلى آخر الآية [النساء : ٩٤] . فمضوا ؛ فلم يلقوا جمعاً ؛ فانصرفوا حتى انتهوا إلى ذي خُشُب ، فبلَغهم أن رسولَ الله ﷺ قد توجَّه إلى مكة ، فأخذوا على يَيْن[2] حتى لقوا النبيَّ ﷺ بالسُّقيا[3] [4] .

وهي عند ابن إسحاق منسوبة لابن أبي حدرد . وذكر ابن إسحاق في خبر مُحَلِّم بن جَثَّامة بعد ذلك يوم حنين ، أن النبي ﷺ صَلَّى الظهرَ بحُنين ، ثم عمد إلى ظِلٍّ شجرة ، فجلس تحتها ، فقام إليه الأقرعُ بن حابس وعُيينة بن حصن ، يختصمان في عامر بن الأضبط ، عُيينـة يطـلبُ بدمه وهو يومئذٍ سيِّدُ غطفان ، والأقرع يدفعُ عن محُلِّم لمكانه من خِندف ، فتداولا الخصومة ، ثم قبلوا الدية ، ثم قالوا : أين صاحبُكم هذا يستغفرُ له رسول الله ﷺ ، فقام رجلٌ آدم ضَرْبٌ[5] طويلٌ ، هو مُحلِّم ، فرفع رسولُ الله ﷺ يديه ، ثم قال : « اللهم

---

(١) « وطبُ لبن » : وعاء كبير من جلد ،يُشبه القِربة .

(٢) « يَيْن » كذا ضبطها في نور النبراس لوحة ٢/ب ١٧٣ وسبل الهدى ٢٩٧/٦ ومعجم البلدان ٥٣٣/٨ : قالوا : وادٍ به عين ، من أعراض المدينة .

(٣) « السقيا » قرية من قرى وادي الفرع .

(٤) الطبقات الكبرى ١٣٣/٢ .

(٥) « ضَرْب » :خفيف اللحم ، ممشوق مستدق .

لا تغفر لُمحلِّم بن جَثَّامة » ثلاثاً ، فقام يتلقى دمعَه بفضل ردائه . الحديث[1] . وفي حديث عن الحسن : ما مكثَ إلا سبعاً حتى مات ، فلفظته الأرضُ مرات ، فعمدوا به إلى صُدَّين[2] فسطحوه بينهما ، ثم رضموا عليه الحجارة حتى واروه[3] .

سرية ابن أبي حَدْرَد الأسلمي إلى الغابة

قال ابن أبي حدرد فيما حكاه ابن إسحاق : تزوجتُ امرأةً من قومي ، فجئتُ رسولَ الله ﷺ أستعينه على نكاحي ، فقال : وكَم أصدقتَ ؟ قلت : مائتي درهم . فقال : سبحان الله لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن واد ما زدتم ، والله ما عندي ما أُعينُك به . قال : فلبثت أياماً ، وأقبل رجلٌ من بني جُشَم بن معاوية ، يقال له : رفاعة بن قيس ، أو قيس بن رفاعة ، في بطن عظيم من بني جشم ، حتى نزلَ بقومه ومن معه بالغابة ، يُريد أن يجمعَ قيساً على حرب رسول الله ﷺ ، وكان ذا اسم في جُشم وشرف ، فدعاني رسولُ الله ﷺ ورجلين معي من المسلمين ، فقال اخرجوا إلى هذا الرجل ، حتى تأتوا منه بخبر وعلم . قال : وقدَّم لنا شارفاً عجفاء[4] ، فحملَ عليها أحدَنا ، فوالله ما قامت به ضعفاً ، حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم ، حتى استقلت[5] وما كادت ، ثم قال : تبلَّغوا عليها واعتقِبوها . قال : فخرجنا ومعنا سلاحُنا من النبل والسيوف ، حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر ، عُشيشية مع غروب الشمس ، كمنتُ في ناحية ، وأمرت صاحبيَّ فكمَنَا في ناحية أخرى من حاضر القوم ، وقلت لهما : إذا سمعتماني قد كبَّرت وشددتُ في ناحية العسكر فكبِّرا وشُدَّا معي ، فوالله إنا لكذلك ننتظر غِرة القوم ، أو أن نُصيبَ منهم شيئاً ، وقد غشِيَنا الليلُ ، حتى ذهبت فحمةُ العشاء ، وكان لهم راع سرحَ في ذلك البلد ، فأبطأ عليهم حتى

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٢٨/٢ وفيها : أن قومه قالوا : إنا لنرجو أن يكون رسول الله ﷺ قد استغفرَ له .

(٢) « صُدَّين » : تثنية صُدّ ، بضم الصاد وفتحها ، وهو الجبل .

(٣) السيرة النبوية ٦٢٨/٢ ، وفيها : فبلغ رسول الله ﷺ شأنه فقال : « والله إن الأرضَ لتطَّابق على من هو شرٌّ منه ، ولكن الله أراد أن يعظكم في حُرَم ما بينكم بما أراكم منه » . وهو خبر مرسل عن الحسن البصري .

(٤) « شارفاً عجفاء » : الشارف : الناقة المسنّة ، والعجفاء : المهزولة .

(٥) « استقلت » : نهضت .

تخوفوا عليه ، فقام صاحبُهم ذلك ، وأخذ سيفَه فجعلَه في عنقه ، ثم قال : والله لأتبعنَّ أثر راعينا هذا ، ولقد أصابَه شرٌّ . فقال نفر ممن معه : والله لا تذهبُ أنتَ ، نحن نكفيك . قال : والله لا يذهبُ إلا أنا . قالوا : فنحن معك . قال : والله لا يتبعني أحدٌ منكم . وخرجَ حتى مرَّ بي ، فلما أمكنني نفحتُه[1] بسهمٍ فوضعتُه في فؤاده ، فوالله ما تكلَّم ، ووثبت إليه ، فاحتززْتُ رأسَه ، وشدَدْتُ في ناحية العسكر ، وكبَّرتُ ، وشدَّ صاحباي وكبَّرا ، فوالله ما كان إلا النجاء ممن فيه : عندك ، عندك[2]! بكل ما قَدروا عليه من نسائهم وأبنائهم ، وما خفَّ معهم من أموالهم ، واستقنا إبلاً عظيمة وغنماً كثيرة ، فجئنا بها إلى رسول الله ﷺ ، وجئتُ برأسه أحملُه معي ، فأعانني رسولُ الله ﷺ من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيراً في صَدَاقي فجمعتُ إليَّ أهلي[3] .

* * *

(١) « نفحته بسهم » : رميته به .

(٢) « عندك ، عندك » بمعنى الإغراء . تقول : عندك زيد ؛ أي خذه .

(٣) السيرة النبوية ٢/٦٢٩ ــ ٦٣٠ .

فتح مكة

شرَّفها الله تعالى

وكانت في شهر رمضان سنة ثمان . وكان السبب فيها فيما ذكر ابن إسحاق : أن بني بكر بن عبد مناة بن كِنانة عَدَتْ على خُزاعة ، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له الوتير . وكان الذي هاجَ ما بين بكر وخُزاعة ؛ أن رجلاً من بني الحَضرمي يقال له : مالك بن عَبَّاد ـــ وحلفُ الحضرميِّ يومئذٍ إلى الأسود بن رَزْن ـــ خرج تاجراً ، فلما توسط أرضَ خُزاعة عدوْا عليه فقتلوه ، وأخذوا ماله ، فعدَتْ بنو بكر على رجل من خُزاعة فقتلوه ، فعدتْ خُزاعة قَبْلَ الإسلام على بني الأسود بن رَزْن الدِّيلي ، وهم مِنْخَر[1] بني كنانة وأشرافهم : سَلْمى وكُلثوم وذُؤيب ، فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم ، فبينما هم كذلك حجز بينهم الإسلام . وتشاغلَ الناسُ به ، فلما كان صلحُ الحديبية بينَ رسول الله ﷺ وبينَ قريش ، كان فيما شرطوا ؛ أنه من أحبَّ أن يدخلَ في عقد رسول الله ﷺ وعهده فليدخل فيه ، ومن أحبَّ أن يدخلَ في عقد قريش وعهدهم فليدخلْ فيه . فدخلتْ بنو بكر في عهد قريش ، ودخلت خُزاعةُ في عقد رسول الله ﷺ ، فلما كانت الهدنة اغتنمها بنو الدِّيل بن بكر ؛ وأرادوا أن يُصيبوا منهم ثأراً بأولئك النفر الذين أصابوا منهم في الأسود بن رَزْن ، فخرج نوفلُ بن مُعاوية الدِّيلي في بني الدِّيل بن بكر من كِنانة ، حتى بيَّتَ خُزاعةَ وهم على الوتير ـــ ماء لهم ـــ فأصابوا منهم رجلاً ، وتحاوزوا واقتتلوا ، ورفدتْ بني بكر قريشٌ بالسلاح ، وقاتلَ معهم من قريش مَنْ قاتل بالليل مُستخفياً[2] .

ذكر ابن سعد منهم : صفوان بن أمية ، وحُويطب بن عبد العزى ، ومِكرز بن حفص بن الأخيف[3] .

---

(١) « مَنْخر بني كِنانة » : المنخر : الأنف ، وهو الأبرز من أعضاء الوجه ، والمقدم فيها ، والمقصود أنهم سادتهم والمقدّمون فيهم .

(٢) السيرة النبوية ٣٨٩/٢ ـــ ٣٩٠ .

(٣) الطبقات الكبرى ١٣٤/٢ .

حتى حاوزوا[1] خزاعة إلى الحرمِ . فلما انتهوا إليه ، قالت بنو بكر يا نوفل إنا قد دخلنا الحرمَ إلهكَ إلهكَ[2] . فقال كلمةً عظيمةً : لا إله اليوم يا بني بكر ، أصيبوا ثأركم ، فلعمري إنكم لتسرقون في الحرم ، أفلا تُصيبون ثأرَكم فيه ؟ .

وقد أصابوا منهم ليلةَ بيتوهم بالوتير رجلاً : يُقال له مُنَبِّه ، فلما دخلت خزاعة مكة لجؤوا إلى دار بُديل بن ورقاء الخزاعي ، ودار مولى لهم يُقال له رافع . ولما تظاهر بنو بكر وقريش على خُزاعة ، ونقضوا ما كان بينهم وبينَ رسول الله ﷺ من العهد والميثاق ، خرجَ عمرو بن سالم الخُزاعي ــ قال ابن سعد : في أربعين راكباً[3] ــ حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينةَ ، وكان ذلك ما هاج فتحَ مكة ، فوقفَ عليه وهو جالس في المسجد بين ظُهراني الناس ، فقال :

يـارَبِّ إني نـاشـدٌ محمـداً
حلـفَ أبينـا وأبيـه الأتلـدا[4]
قـد كنتُـم وُلْداً وكُنَّـا والداً
ثُمَّتَ أسـلمنـا فلم ننزعْ يدا
فـانصرْ هـداكَ الله نصراً أعتـدا
وادعُ عبـادَ الله يـأتـوا مـددا[5]
فيهـم رسـولُ الله قـد تجرَّدا
إن سِيم خسفـاً وجهُه تربَّدا[6]
في فيـلقٍ كالبحـرِ يجري مُزْبِدا
إنَّ قـريشـاً أخلفـوكَ المـوعدا
ونقـضـوا ميثـاقَك المـوكَّدا

(١) « حاوزوا خزاعة » : ساقوهم ، وفي الأصول « جاوزوهم » والتصحيح من السيرة النبوية .
(٢) « إلهكَ إلهكَ » : منصوبان على التحذير بفعل محذوف تقديره : اتق أو احذر ، ونحو ذلك .
(٣) الطبقات الكبرى ٢/١٣٤ .
(٤) « ناشد » : طالب ، و« الأتلد » : القديم .
(٥) « نصراً أعتداً » : نصراً عتيداً ، أي حاضراً .
(٦) « تجردا » : تهيأ للحرب ، و« تَرَبَّدا » : تغيَّر غضباً ، ورفضاً للخسف والذل .

وجعـــلوا لي في كَدَاءٍ رُصَّـــدا

وزعمــوا أنْ لستُ أدعـو أحـدا

وهـــم أذلُّ وأقـــلُّ عـــددا

هـــم بَيَّتــونــا بـالوتـير هُجَّـدا

وقَتَّـــلُونـــا رُكَّعـــاً وسُجَّـــدا

يقول : قُتلنا وقد أسلمنا . فقال رسول الله ﷺ : نُصرتَ يا عمرو بن سالم . ثم عرض لرسول الله ﷺ عَنَانٌ من السماء ، فقال : « إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب » .

ثم خرج بُديـل بن ورقاء في نفر من بني خزاعة ، حتى قدموا على رسـول الله ﷺ ، فأخبروه بما أصيب منهم ، وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم[1] .

قلت : لعل الأربعين راكباً الذين ذكر ابن سعد قدومهم من خزاعة مع عمرو بن سالم هم هؤلاء .

رجع إلى خبر ابن إسحاق : ثم رجعوا إلى مكة ، وقد قال رسول الله ﷺ للناس : كأنكـم بأبي سفيـان قد جاءكم ليشـدَّ العقدَ ، ويزيدَ في المدة . ومضى بُديل بن ورقاء في أصحابه ، حتى لَقُوا أبا سفيان بن حرب بعُسفان ، وقد بعثته قريش إلى رسول الله ﷺ ليشدَّ العقدَ ويزيدَ في المدة ، وقد رَهبوا الذي صنعوا ، فلما لقي أبو سفيان بُديلَ بن ورقاء ، قال : من أين أقبـلتَ يـا بدُيـل ؟ وظنَّ أنه قد أتى النبيَّ ﷺ ، قال : سـرتُ في خزاعة في هذا الساحل ، وفي بطن هذا الوادي . قال : أو ما جئت محمداً ؟ قال : لا . فلما راح بُديل إلى مكة ، قال أبو سفيان : لئن كان جاء المدينة ، لقد علفَ بها النوى ، فأتى مَبْرَكَ راحلتِه ، فأخذَ من بعرها فَفَتَّه ، فرأى فيه النوى ، فقال : أحلف بالله لقد جاء بُديل محمداً . ثم خرجَ أبو سفيـان حتى قدم المدينـةَ ، فدخل على ابنته أمِّ حبيبة ، فلما ذهبَ ليجلسَ على فِراش رسول الله ﷺ طوته عنه ، فقال : يا بنية ما أدري أرغبتِ بي عن هذا الفراش ، أم رغبتِ به عني ؟ قالت : بل هو فراشُ رسول الله ﷺ وأنتَ مشركٌ نجس . قال : والله لقد أصابَكِ بعدي شرٌّ . ثم خرج حتى أتى رسولَ الله ﷺ ، فكلَّمه ، فلم يردَّ عليه شيئاً ، ثم ذهب إلى

---

(١) السيرة النبوية ٢/٣٩٤ ـــ ٣٩٥ .

أبي بكر ، فكلَّمه أن يُكلِّمَ له رسولَ الله ﷺ ، فقال : ما أنا بفاعل . ثم أتى عمر بن الخطاب ، فكلَّمه ، فقال : أنا أشفع لكم إلى رسول الله ﷺ ؟ فوالله لو لم أجد إلا الذرَّ لجاهدتكم به . ثم جاء فدخلَ على عليِّ بن أبي طالب ، وعنده فاطمة وحسن غلام يدبُّ بين يديْها ، فقال : يا عليّ إنك أمسُّ القوم بي رحماً ، وإني قد جئتُ في حاجة ، فلا أرجعنَّ كما جئتُ خائباً ، اشفع لي إلى رسول الله ﷺ . فقال : ويحك يا أبا سفيان والله لقد عَزَمَ رسولُ الله ﷺ على أمرٍ ما نستطيعُ أن نكلِّمَه فيه . فالتفتَ إلى فاطمةَ ، فقال : يا بنتَ محمد! هل لك أن تأمري ابنكِ هذا فيجيرَ بين الناس فيكونَ سيِّدَ العرب إلى آخر الدهر ؟ قالت : والله ما يبلغُ بُنَيَّ ذاك ، أن يجير بين الناس ، وما يُجيرُ أحدٌ على رسول الله ﷺ . قال : يا أبا الحسن إني أرى الأمورَ قد اشتدت عليَّ فانصحني . قال : والله ما أعلمُ لك شيئاً يغني عنك ، ولكنَّك سيِّدُ بني كِنانة ، فقم وأجرْ بينَ الناس ، ثم الحقْ بأرضِك . قال : أو ترى ذلك مُغنياً عني شيئاً ؟ قال : لا والله ما أظنُّه ، ولكني لا أجدُلك غيرَ ذلك . فقام أبو سفيان في المسجد ، فقال : أيُّها الناس إني قد أجرتُ بينَ الناس ، ثم ركبَ بعيرَه فانطلق . فلما قدم على قريش ، قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئتُ محمداً فكلمتُه ، فوالله ما ردَّ عليَّ شيئاً ، ثم جئت ابن أبي قُحافة ، فلم أجد فيه خيراً ، ثم جئتُ عمرَ بن الخطاب فوجدتُه أدنى العدو . ثم جئت علياً ، فوجدته ألينَ القوم ، وقد أشارَ عليَّ بشيء صنعتُه ، فوالله ما أدري هل يُغني عني شيئاً أم لا . قالوا : وبم أمرك ؟ قال : أمرني أن أُجير بين الناس ففعلتُ . قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا . قالوا : ويلك والله إنْ زادَ الرجلُ على أن لعبَ بك . قال : لا والله ، ما وجدت غير ذلك .

وأمر رسولُ الله ﷺ الناسَ بالجَهاز ، وأمر أهلَه أن يُجهِّزوه ، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة وهي تُحرِّك بعض جَهاز رسول الله ﷺ ، فقال : أي بنية أمركنَّ رسولُ الله ﷺ بتجهيزه ؟ قالت : نعم فتجَّهزْ . قال : فأين تَرَيْنَه يُريد ؟ قالت : لا والله ما أدري . ثم إن رسولَ الله ﷺ أعلمَ الناس أنه سائر إلى مكة ، وأمرهم بالجد والتَّجهُّز ، وقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتَها في بلادها . فتجهز الناس .

فكتبَ حاطبُ بن أبي بلتعة إلى قريش كتاباً يُخبرهم بذلك ، ثم أعطاه امرأةً ، وجعل لها جُعْلاً على أن تُبلِّغَه قريشاً ، فجعلته في قرون رأسها ، ثم خرجتْ به ، وأتى رسولَ الله ﷺ

الخبرُ من السماء بما صنعَ حاطب ، فبعثَ عليّاً والزبيرَ ــ وغيرُ ابن إسحاق يقول : بعث عليّاً والمقدادَ ــ فقال : أدركا أمرأة ، قد كتب معها حاطب بكتاب إلى قريش ، يُحذِّرهم ما قد أجمعنا له في أمرهم ، فخرجا حتى أدركاها ، فاستنزلاها ، والتمسا في رحلها ، فلم يجدا شيئاً ، فقال لها عليٌّ : إني أحلف بالله ما كُذِبَ رسولُ الله ﷺ ولا كُذبنا ، ولتُخرجِنَّ هذا الكتاب أو لنكشفنَّك . فلما رأت الجِدَّ منه ، قالت : أعرض . فأعرض ، فحلَّتْ قرونَ رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها ، فدفعته إليه ، فأتى به رسولَ الله ﷺ ، فدعا حَاطِباً ، فقال له : ما حملَكَ على هذا ؟ فقال : والله إني لمؤمنٌ بالله ورسوله ، ما غيَّرتُ ولا بَدَّلتُ ، ولكني ليس لي في القوم أصلٌ ولا عشيرةٌ ، ولي بين أظهرهم ولدٌ وأهلٌ ، فصانعتهم عليهم . فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله دعني فلأضربْ عنقَه ، فإن الرجل قد نافق . فقال رسول الله ﷺ : وما يُدريك يا عمر لعلَّ الله قد اطَّلَعَ على أصحاب بدر يومَ بدرٍ ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم .

ثم مضى رسولُ الله ﷺ لسفره ، فاستخلف على المدينة أبا رُهم كُلثوم بن الحصين الغِفاري ــ وقال ابن سعد : عبدَ الله بن أمِّ مكتوم ــ فخرجَ لعشرٍ مضينَ من شهر رمضان ، فصامَ وصامَ النَّاسُ معه ، حتى إذا كانوا بالكُديد أفطر ، ثم مضى حتى نزل مَرَّ الظهران في عشرة آلاف . وعميت الأخبارُ عن قريش ، فهم على وجل وارتقاب ، فخرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حِزام وبُديل بن ورقاء يتجسسون الأخبار .

وكان العباس قد خرجَ قبل ذلك بعياله مُسلماً مُهاجراً ، فلقيَ رسولَ الله ﷺ ، قيل : بالجحفة ، وقيل : بذي الحُليفة . وكان فيمن خرجَ ولقي رسولَ الله ﷺ ببعض الطريق أبو سفيان بن الحارث ، وعبدُ الله بن أبي أمية بن المغيرة بالأبواء ، وقيل بين السقيا والعَرْج ، فأعرضَ عنهما ، فقالت له أم سلمة : لا يكن ابنُ عمِّك وابنُ عمتك أخي ؛ أشقى الناس بك . وقال علي لأبي سفيان ــ فيما حكاه أبو عمر ــ ائت رسولَ الله ﷺ من قِبل وجهِهِ فقل له ما قال إخوة يوسف عليه السلام ليوسف : ﴿ تالله لقد آثركَ الله علينا وإنْ كنَّا لخاطئين ﴾ [يوسف : ٩١] فإنه لا يرضى أن يكون أحْدٌ أحسنَ قولاً منه . ففعل ذلك أبو سفيان ، فقال له رسول الله ﷺ : ﴿ لا تثريبَ عليكم اليومَ يغفرُ الله لكم وهو أرحمُ الراحمين ﴾ [يوسف : ٩٢] وقبلَ منهما إسلامَهما ، فأنشده أبو سفيان معتذراً أبياتاً ، منها :

لعمرُك إني يومَ أحملُ رايةً لتغلبَ خيلُ اللاّتِ خيلَ محمّدِ
لكالمدلجِ الحيرانَ أظلَمَ ليلُه فهذا أواني حين أُهدى فأهتدي
هداني هادٍ غيرُ نفسي ودلّني على الله مَنْ طَرَّدْتُه كلَّ مَطردِ

فضربَ رسول الله ﷺ صدرَه ، وقال : أنتَ طَرَّدْتني كلَّ مَطردٍ[1] .

وكان أبو سفيان بعد ذلك ممن حسن إسلامُه ، فيقال : إنه ما رفعَ رأسه إلى رسول الله ﷺ منذ أسلم حياء منه ، وكان رسولُ الله ﷺ يُحبُّه ويشهدُ له بالجنة ، ويقول : أرجو أن يكون خَلَفاً من حمزة . ويُروى أنه لما حضرته الوفاة ، قال : لا تبكوا عليَّ فإني لم أتنطفْ[2] بخطيئة منذ أسلمت .

فلما نزلَ رسولُ الله ﷺ مَرَّ الظهران ــ وقال ابن سعد : نزله عِشاء ، فأمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار ، وجعل على الحرس عمر بن الخطاب[3] ــ رَقَّتَ نفس العباس لأهل مكة ، قال : فجلستُ على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء ، فخرجتُ عليها حتى جئت الأراك ، فقلت : لَعلِّي أجدُ بعض الحَطَّابة ، أو صاحب لَبَن ، أو ذا حاجة ، يأتي مكة فيخبرَهم بمكان رسول الله ﷺ ، ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلَها عُنوة ، فوالله إني لأسير عليها ، إذ سمعتُ كلامَ أبي سفيان وبُديلَ بن ورقاء ، وهما يتراجعان ، وأبو سفيان يقولُ : ما رأيتُ كالليلة نيراناً قطُّ ولا عسكراً . قال : يقول بُديل : هذه والله خُزاعة ، حَمَشَتْها[4] الحرب ، فيقول أبو سفيان : خزاعةُ أذلُّ وأقلُّ من أن تكون نيرانها وعسكرُها . قال : فعرفت صوتَه ، فقلت : يا أبا حنظلة ! فعرفَ صوتي ، فقال : أبو الفضل ؟ قلت : نعم . قال : مالك فداك أبي وأمي ؟ قال : قلت والله هذا رسولُ الله في الناس ، واصباحَ قريش والله . قال : فما الحيلة فداك أبي وأمي ؟ قال : قلت : والله لئن ظَفِر بك ليضربَنَّ عنقكَ ، فاركبْ في عَجُز هذه البغلة ، حتى آتي بك رسولَ الله ﷺ فأستأمنَه لك . فركب خلفي ، ورجع صاحباه . قال : فجئتُ به ، كلما مررتُ بنارٍ من نيران المسلمين ، قالوا :

---

(١) السيرة النبوية ٢/٣٩٧ ــ ٤٠١ .
(٢) « لم أتنطَّفْ » : لم أتلطَّخْ .
(٣) الطبقات الكبرى ٢/١٣٥ .
(٤) « حمشتها الحرب » : أحرقتها .

مَنْ هذا ؟ وإذا رأواْ بغلةَ رسول الله ﷺ وأنا عليها ، قالوا : عمُّ رسولِ الله ﷺ على بغلته ، حتى مررتُ بنار عمرَ بن الخطاب ، فقال : من هذا ؟ وقام إليَّ ، فلما رأى أبا سفيان على عَجُز الدابة ، قال : أبو سفيان عدوُّ الله ؟ الحمدُ لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد . ثم خرجَ يَشتدُّ نحوَ رسول الله ﷺ ، ورَكَضْتُ البغلةَ ، فسبقتُ ، فاقتحمت عن البغلة ، فدخلتُ على رسول الله ﷺ ، ودخل عليه عمر ، فقال : يا رسول الله هذا أبو سفيان فدعني فلأضربْ عنقَه . قال : فقلت : يا رسولَ الله إني قد أجرتُه ، ثم جلستُ إلى رسول الله ﷺ فأخذتُ برأسه ، فقلت : والله لا يُناجيه الليلةَ رجلٌ دوني ، فلما أكثرَ عمر في شأنه ، قلت : مهلاً يا عمر ، فوالله لو كان من رجال بني عديّ بن كعب ما قلتَ مثل هذا . قال : مهلاً يا عباس فوالله لإسلامُك يومَ أسلمتَ كان أحبَّ إليَّ من إسلام الخطابِ لو أسلَمَ ، وما بي إلا أني قد عرفتُ أن إسلامَك كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب . فقال رسول الله ﷺ : اذهبْ به يا عباس إلى رَحْلِكَ ، فإذا أصبحتَ فأْتني به . فذهبتُ به ، فلما أصبحَ غدوتُ به إلى رسول الله ﷺ ، فلما رآهُ رسولُ الله ﷺ ، قال : ويحكَ يا أبا سفيان ألم يأنِ لك أن تعلمَ أنه لا إله إلا الله ؟ قال : بأبي أنت وأمي ما أحلمَكَ وأكرمَكَ وأوصلَكَ ، لقد ظننتُ أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى شيئاً بعدُ . قال : ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟ قال : بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أمّا هذه والله فإن في النفس حتى الآن منها شيئاً . فقال له العباس : ويحك أسلم ، واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله قبلَ أن تُضرب عنقُك . قال فشهد شهادة الحقِّ فأسلم . قال العباس . قلت يا رسول الله إن أبا سفيان رجلٌ يُحبُّ الفخرَ ، فاجعلْ له شيئاً . قال : نعم ، من دخلَ دارَ أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلقَ بابَه عليه فهو آمن ، ومن دخلَ المسجدَ فهو آمن . ثم أمر العباسَ أن يحبسَ أبا سفيان بمضيق الوادي عند خطم الجبل[1] حتى تمرَّ به جنود الله فيراها ، ففعل ، فمرت القبائل على راياتها ، كلما مرت قبيلةٌ ، قال : يا عباس من هذه ؟ فأقول : سُليم . قال : يقول : ما لي ولسُليم ؟ ثم تمرُّ به القبيلةُ ، فيقول : يا عباس من هؤلاء ؟ فأقول : مُزينة . فيقول : ما لي ولمزينة ؟ حتى نفدت القبائلُ ، ما تمرُّ به قبيلة إلا سألني عنها ، فإذا أخبرته بهم ، قال : ما لي ولبني فلان ؟ حتى مرَّ به رسولُ الله ﷺ

(١) « خَطْم الجبل » : أنفه ، وهو طرف منه بارز تضيق به الطريق .

في كتيبته الخضراء ، فيها المهاجرون والأنصار ، لا يُرى منهم إلا الحَدَق من الحديد . قال : سبحان الله يا عباس من هؤلاء ؟ قال : قلت : هذا رسولُ الله ﷺ في المهاجرين والأنصار . قال : ما لأحدٍ بهؤلاء قِبَلٌ ولا طاقة[1] .

وفي صحيح البخاري : أن كتيبةَ الأنصار جاءتْ مع سعد بن عبادة ، ومعه الراية ، قال : ولم يُرَ مثلُها ، قال : ثم جاءت كتيبةٌ هي أقلُّ الكتائب ، فيهم رسول الله ﷺ وأصحابُه ، وراية النبيّ ﷺ مع الزبير[2] .

كذا وقع عند جميع الرواة ، ورواه الحُميديُّ في كتابه : هي أجلُّ الكتائب ، وهو الأظهر[3] .

رجع إلى الأول : فقال أبو سفيان : والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيماً . قال : قلت : يا أبا سفيان إنها النبوة . قال : فنعم إذن . قال : قلت : النجاء إلى قومك ، حتى إذا جاءهم صرخَ بأعلى صوته : يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قِبَلَ لكم به ، فمن دخلَ دار أبي سفيان فهو آمن . فقامت إليه هند بنت عتبة ، فأخذت بشاربه ، فقالت : اقتلوا الحَمِيْتَ الدَّسِمَ الأحمسَ[4] ، قُبِّحَ من طليعة[5] قوم . قال : ويلكم لا تغرَّنَّكم هذه من أنفسكم ، فإنه قد جاءكم ما لاقبل لكم به ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن . قالوا: قاتلكَ الله وما تُغني عنا دارُك ؟ قال : ومن أغلقَ عليه بابَه فهو آمن ، ومن دخلَ المسجدَ فهو آمن . فتفرَّق الناسُ إلى دورهم وإلى المسجد[6] .

وذكر الطبري أن النبيَّ ﷺ وجَّه حكيمَ بن حِزام مع أبي سفيان بعد إسلامهما إلى

---

(١) السيرة النبوية ٢/٤٠٢ ـــ ٤٠٤ .

(٢) رواه البخاري في المغازي (باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح) رقم /٤٢٨٠/ .

(٣) قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٩/٨ : « .. وهي أقل الكتائب » : أي أقلُّها عدداً . قال عياض : وقع للجميع بالقاف ، ووقع في الجمع للحميدي « أجلّ » بالجيم ، وهي أظهر ، ولا يبعد صحة الأولى ؛ لأن عدد المهاجرين كان أقل من عدد غيرهم من القبائل .

(٤) « الدَّسِم » : الكثير الودَك ، وسيشرح المؤلف غيرها في الفوائد .

(٥) « طليعة قوم » : طليعة الجيش ، من يُبعث ليطلع على مقدم العدو ، ويستطلع أخباره .

(٦) السيرة النبوية ٢/٤٠٤ ـــ ٤٠٥ .

مكـة ، وقال : من دخلَ دارَ حكيم فهو آمن ــ وهي بأسفل مكة ــ ومن دخل دار أبي سفيـان فهو آمن ــ وهي بأعلى مكـة ــ فكان هذا أماناً منه لكل من لم يقاتل من أهل مكة[1] .

ولهذا قال جماعة من أهل العلم منهم الشافعي رحمه الله : إن مكة مُؤمَّنة وليست عنوة ، والأمان كالصـلح . ورأى أن أهلَها مالكون رباعَهم ، فلذلك كان يُجيز كِراءها لأربابها ، وبيعَها وشراءها ، لأن من أُمِّنَ فقد حُرِّم مالُه ودمُه وذريتُه وعياله . فمكة مُؤمَّنَة عند من قال بهذا القول ، إلا الذين استثناهم رسولُ الله ﷺ وأمر بقتلهم وإن وُجدوا متعلقين بأستار الكعبة .

وأكثرُ أهل العلم يرون أن فتحَ مكة عنوة ، لأنها إنما أُخذت بالخيل والركاب . والخلافُ بين العـلماء في جواز أخذِ أجرِ المسـاكن بمكة أو المنع منه مشهور معروف ، وقد جاء في حديث عن عائشة من طريق إبراهيم بن مهاجر في مكة ؛ أنها مُنَاخُ من سَبَقَ[2] .

أخبرنا أبو عبد الله بن أبي الفتح الصُّوري بمرج دمشق ، أخبرنا أسعد بن سعيد بن روح وعائشة بنت مَعْمَر بن الفاخر إجازة من أصبهان ، قالا : أخبرتنا أم إبراهيم فاطمة الجُوزدانية سماعاً ، قالت : أخبرنا أبو بكر بن رِيْذَة الضَّبِّي ، قال : أخبرنا أبو القاسم الطبراني ، حدثنا يوسف بن الحسـن بن عبـد الرحمن العبَّـاداني ، حدثنـا نصر بن علي الجَهضمي ، حدثنـا وهب بن جرير بن حازم ، حدثنا أبي ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصـاري ، عن علي بن عبد الله بن العباس ، عن ابن عباس ، قال : دخلَ رسولُ الله ﷺ مكة يومَ الفتح ، وعلى الكعبة ثلثمائة وستون صنماً ، قد شدَّ لهم إبليس أقدامَها برصاص ، فجاء ومعه قضيبٌ ، فجعلَ يُهوي به إلى كل صنم منها ، فيخرُّ لوجهه ، فيقول : ﴿ جاءَ الحقُّ وزهقَ الباطلُ إن الباطلَ كان زهُوقاً ﴾ [الإسراء : ٨١] حتى

---

(١) تاريخ الطبري ٣/٥٥ .

(٢) رواه أبو داود في المناسك (باب تحريم حرم مكة) رقم /٢٠١٩/ والترمذي في الحج (باب مِنى مُنَاخ مَن سبق) رقم /٨٨١/ وابن ماجه في المناسك رقم /٣٠٠٦/ وأحمد في المسند ٦/١٨٧ و٢٠٧ ولفظ أبي داود : عن عائشة قالت : قلت يا رسول الله ألا نبني لك بِمِنى بيتاً ، أو بناء يُظلُّك من الشمس ؟ فقال : « لا ، إنما هو مُناخُ من سبقَ إليه » . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

مرَّ عليها كلِّها[١].

ولا خلافَ أنه لم يجر فيها قسم ولا غنيمة ، ولا سُبيَ من أهلها أحد ، لما عظَّم الله من حرمتها ، ألا ترى إلى قوله ﷺ : « مكة حرام مُحَرَّم لم تحلَّ لأحد قبلي ، ولا تحلُّ لأحدٍ بعدي ، وإنما أُحِلَّت لي ساعة من نهار ، ثم هي حرام إلى يوم القيامة »[٢].

قال أبو عمر : والأصَحُّ ــ والله أعلم ــ أنها بلدة مُؤَمَّنة ، أُمِّن أهلُها على أنفسهم ، وكانت أموالهم تبعاً لهم[٣] .

وقال الأموي : كانت راية رسول الله ﷺ يوم الفتح بيد سعد بن عبادة ، فلما مرَّ بها على أبي سفيان ، وكان قد أسلم أبو سفيان ، فقال سعد إذ نظر إليه : اليومَ يومُ الملحمة ، اليوم تُستحلُّ الحُرَمة ، اليوم أذلَّ الله قريشاً . فأقبلَ رسول الله ﷺ في كتيبة من الأنصار ، حتى إذا حاذى أبا سفيان ، ناداه : يا رسول الله أُمرتَ بقتل قومك ؟ فإنه زعم سعدٌ ومن معه حين مرَّ بنا أنه قاتلُنا ، أنشدُك اللّهَ في قومك ، فأنت أبرُّ الناس وأرحُمهم وأوصلُهم . فقال عثمان وعبدُ الرحمن بن عوف : يا رسول الله والله ما نأمنُ سعداً أن تكون منه في قريش صولة . فقال رسول الله ﷺ : يا أبا سفيان اليومَ يومُ المرحمة ، اليومَ أعزَّ الله فيه قريشاً .

وقال ضرار بن الخطاب الفِهري يومئذ :

يا نبيّ الهدى إليكَ لَجا حيُّـ ـــي قريشٍ ، ولاتَ حين لَجاء
حين ضاقتْ عليهمُ سَعَةُ الأر ضِ ، وعاداهُمُ إلهُ السماء
والتقتْ حَلْقَتا البِطَان على القو مِ ونُودوا بالصَّيْلم الصَّلْعاء[٤]
إن سعداً يُريد قاصمةَ الظهـ ـر بأهلِ الحُجون والبَطحاء

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٤/٧ وقال : رواه الطبراني في المعجم الصغير وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة ، وبقية رجاله ثقات .

(٢) رواه أبو عبيد في كتابه الأموال ص ٩٥ ، وهو في المسند ٢٥٣/١ عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) الدرر ص ٢١٤ .

(٤) « حَلْقتا البِطَان » : البِطان : هنا الحزام للقتب يُجعل تحت بطن البعير ، يُقال : التقتا حَلْقتا البِطان : كناية عن اشتداد الأمر وضيقه ، وسيشرح المؤلف غيرها في الفوائد .

خزرجيٌّ لو يستطيعُ من الغيـ ـظ رمانا بالنسر والعَوَّاء[1]
وَغِرُ الصَّدْرِ لاَ يُهِمُّ بشيء غيرِ سفكِ الدِّمَا وَسَبْيِ النساء
قد تَلَظَّى على البطاحِ وجاءتْ عنه هندٌ بالسوءةِ السَّوْآء
إذ ينادي بِذُلِّ حيٍّ قريشٍ وابنُ حربٍ بذا من الشهداء
فلئنْ أقحمَ اللواء ونادى يا حُماةَ الّلواء أهلَ الّلواء
ثم ثابتْ إليه من بُهَمِ الخز رجِ والأوسِ أنجمُ الهيجاء[2]
لتكونَنَّ بالبطاحِ قريشٌ فِقعةَ القاعِ في أكفِّ الإماء[3]
فانْهَيَنْه فإنَّه أسدُ الأسـ ـدِ لدى الغابِ والغٌ في الدِّماء
إنه مُطرقٌ يُديرُ لنا الأمـ ـرَ سكوتاً كالحيَّةِ الصَّمَّاء[4]

فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد بن عبادة فنزعَ اللواء من يده ، وجعله بيد قيس ابنِه ، ورأى رسولُ الله ﷺ أن اللواء لم يخرج عنه إن صار إلى ابنه قيس . قال أبو عمر : وقد رُوي أن النبيَّ ﷺ أعطى الراية للزبير إذ نزعها من سعد .

رجع إلى خبر ابن إسحاق : وأمرَ رسولُ الله ﷺ خالدَ بن الوليد ، فدخل من الّليط أسفلَ مكة في بعض الناس ، فكان خالد على المُجنَّبة اليمنى ، وفيها أسلم وسُلَيم وغِفار ومُزينة وجُهينة وقبائل من قبائل العرب . وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصفِّ من المسلمين ينصبُّ لمكة بين يدي رسول الله ﷺ[5] .

وروينا في صحيح مسلم أن أبا عبيدة كان على البَيَاذقة ــ يعني الرجالة[6]ــ .

---

(١) « بالنسر » : النَّسر : أحد النسرين ، هما نجمان معروفان ، والعَوَّاء : بالمد ، وقد تُقصر : أحد منازل القمر .

(٢) « بُهَم » : جمع بُهْمَة : وهو الشجاع الذي لا يُدرى من أين يُؤتى من شدة بأسه .

(٣) « القاع » : الأرض المنخفضة المستوية فيها اتساع . و« الفِقعة » : الكمأة ، وحين تكون في القاع تأتي رخوة سطحية ، تنالُها الدواب بأرجلها ، يشبهون بها الرجل الذليل يُهانُ ويُمتهنُ .

(٤) « الحية الصَّمَّاء » : التي لا تسمع .

(٥) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٤٠٧ .

(٦) رواه مسلم في الجهاد والسير (باب فتح مكة) رقم /١٧٨٠/ والنسائي في التفسير ؛ كما في نور النبراس لوحة ٢/ب ١٨٥ .

قال ابن إسحاق : ودخلَ رسولُ الله ﷺ من أَذَاخر حتى نزل بأعلى مكة ، وضُربت له هناك قبة .

وكان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسُهيل بن عمرو ، قد جمعوا أناساً بالخَنْدَمة ليُقاتلوا . وقد كان حِمَاسُ بن قيس بن خالد أخو بني بكر ، يُعدُّ سلاحاً قبل دخول رسول الله ﷺ ويُصلح منه ، فقالت له امرأته : لماذا تُعِدُّ ما أرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه . قالت : والله ما أراه يقومُ لمحمد واصحابه شيء ، قال : والله إني لأرجو أنْ أُخدِمَكِ بعضَهم ، ثم قال :

إنْ يُقبلوا اليومَ فمالي عِلَّه ... هذا سلاحٌ كاملٌ وألَّه[1]
وذو غِرارين سريعُ السَّلَه[2]

ثم شهد الخندمة مع صفوان وسهيل وعكرمة ، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد وناوشوهم شيئاً من قتال ، فقُتل كرز بن جابر الفهري ، وخُنَيْس بن خالد بن ربيعة بن أصرم الخزاعي ، وكانا في خيل خالد بن الوليد ، فشذا عنه ، فسلكا طريقاً غير طريقه فقُتلا جميعاً . وأُصيب من جُهينة سلمة بن المَيْلاء ، وأُصيب من المشركين قريب من اثني عشر رجلاً أو ثلاثة عشر رجلاً ، ثم انهزموا .

وقال ابن سعد : قُتل أربعةٌ وعشرون رجلاً من قريش وأربعةٌ من هذيل ـ قال[3] : فخرجَ حِماس منهزماً ، حتى دخل بيته ، ثم قال لامرأته : أغلقي عليَّ بابي ، قالت : وأين ما كنت تقول ؟ فقال :

إنَّكِ لو شهدتِ يومَ الخندمه ... إذْ فرَّ صفوانٌ وفرَّ عِكرمه
واستقبلتنا بالسيوف المُسلمه ... يقطعنَ كلَّ ساعد وجمجمه
ضرباً فلايُسمع إلا غمغمه ... لهم نَهِيتٌ حولنا وهمهمه
لم تَنْطِقي في اللوم أدنى كلمه

(١) « ألَّهْ » : الأَلَّة : الحربة لها سنان طويل .
(٢) « ذو غِرارينْ » : السَّيف له حَدَّان .
(٣) قال : أي ابن إسحاق ، كما في السيرة ٢/٤٠٨ .

أخبرنا أبو الفضل الموصلي بقراءة والدي عليه رحمهما الله ، قال : أخبرنا الشيخ أبو علي حنبل بن عبد الله بن الفرج بن سعادة الرصافي المكبر سماعاً عليه بسفح قاسيون سنة اثنتين وستمائة ، قال : أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن الحصين الشيباني ، قال : أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن المذهب ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي ، أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثني أبي ، حدثنا بهزٌ وهاشم ، حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت ، قال هاشم : حدثني ثابت ، حدثنا عبد الله بن رباح ، قال : وفدتْ وفودٌ إلى معاوية أنا فيهم وأبو هريرة ، فذكر حديثاً . وفيه : قال : فقال أبو هريرة : ألا أعلمُكم بحديث من حديثكم يا معشر الأنصار ؟ قال : فذكر فتح مكة : قال : أقبل رسولُ الله ﷺ فدخل مكة ، قال : فبعثَ الزبيرَ على إحدى المجنِّبتين[1] ، وبعثَ خالداً على المجنِّبة الأخرى ، وبعث أبا عُبيدة بنَ الجراح على الحُسَّرِ[2] ، فأخذوا بطنَ الوادي ، ورسولُ الله ﷺ في كتيبة ، قال : قد وَبَّشَتْ[3] قريش أوباشاً لها ، قال : فقالوا نقدم هؤلاء فإن كان لهم شيء كنا معهم ، وإن أُصيبوا أُعطينا الذي سُئلنا . وفيه : فقال : يا أبا هريرة ؟ فقلت : لبيك يا رسولَ الله . قال : فقال اهتف لي يا للأنصار . وفيه : ولا يأتني إلا أنصاريٌّ . فهتف بهم فجاؤوا ، فأطافوا برسول الله ﷺ . قال : فقال رسول الله ﷺ : ترون إلى أوباش قريش وأتباعهم ؟ ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى : احصدوهم حصداً حتى توافوني بالصفا . فقال أبو هريرة : فانطلقنا ، فما يشاءُ أحد منا أن يقتلَ منهم ما شاء ، وما أحد يُوجِّه إلينا منهم شيئاً . قال : فقال أبو سفيان : يا رسول الله أُبيحتْ خضراءُ قريش[4] ، لا قريشَ بعد اليوم . قال فقال رسول الله ﷺ : « مَنْ أغلقَ بابه فهو آمن ، ومن دخلَ دارَ أبي سفيان فهو آمن . قال : فغلَّقَ النَّاسُ أبوابَهم . قال : فأقبلَ رسولُ الله ﷺ إلى الحَجَر فاستلمَه ، ثم طاف بالبيت . قال : وفي يده قوس ، آخذاً بسِية القوس[5] ، فأتى في

---

(١) « المجنبتين » : هما الميمنة والميسرة .

(٢) « الحُسَّر » : جمع حاسر ، وهو المقاتل لا درع له .

(٣) « أَوْبَاشاً لها » : جموعاً من قبائل شتى ، ووبَّشتهم : جمعتهم .

(٤) « خضراء قريش » : جمهرتهم وعامتهم ، كنى بالخضرة عن السواد الذي يعني هنا الجماعة الكاثرة ، والعرب تكني بالخضرة عن السواد ، وبالسواد عن الخضرة ، ومنه سواد العراق .

(٥) « سِية القوس » : ما عُطف من طرفيْها ، وللقوس سيتان .

طوافه على صنم إلى جنب البيت يعبدونه ، قال : فجعل يطعن بها في عينه ، ويقول : ﴿ جاءَ الحقُّ وزهقَ الباطلُ إنَّ الباطلَ كان زَهُوقاً ﴾ [الإسراء : ٨١] ﴿ جاءَ الحقُّ وما يُبدىءُ الباطلُ وما يُعيد ﴾ [سبأ : ٤٩] ، قال : ثم أتى الصفا فعلاه حيث ينظر إلى البيت ، فرفع يديه فجعل يذكر الله تعالى بما شاء أن يذكرَه ويدعوه ، قال : والأنصارُ تحته . قال : يقول بعضُهم لبعض : أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ، ورأفة بعشيرته . قال : وجاء الوحيُ — وكان إذا جاء الوحيُ لم يخفَ علينا ، فليس أحد من الناس يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى يُقضى — قال هاشم : فلما قُضي الوحي رفع رأسه ، ثم قال : يا معشرَ الأنصار قلتم : أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته . قالوا : قلنا ذلك يا رسول الله . قال : فما اسمي إذن ؟ إني عبدُ الله ورسولُه ، هاجرتُ إلى الله وإليكم ، فالمحيا محياكم والمماتُ مماتُكم . قال : فأقبلوا إليه يبكون ، ويقولون : والله ما قلنا الذي قلنا إلا الضنُّ بالله ورسوله . فقال رسولُ الله ﷺ : فإن الله ورسولَه يَعْذِرانِكم ويُصَدِّقانِكم . رواه أبو داود عن[1] الإمام أحمد بن حنبل .

وكان رسولُ الله ﷺ قد عهد إلى أُمرائه من المسلمين حين أمرَهم بدخول مكة أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، إلا أنه قد عَهدَ في نفر سمَّاهم بقتلهم ، وإن وُجدوا تحت أستار الكعبة ، منهم : عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري ، وعبد العزى بن خَطلَ ، وعكرمة بن أبي جهل ، والحويرث بن نُقيذ بن وهب بن عبد بن قصي ، ومِقيس بن صُبابة ، وهَبَّار بن الأسود ، وقينتا ابن خطل ، كانتا تُغنِّيان ابنَ خطل بهجو رسول الله ﷺ ، وسارّة مولاة لبني عبد المطلب .

فأما ابن أبي سرح فكان ممن أسلم قبل ذلك وهاجر ، وكان يكتبُ الوحيَ لرسول الله ﷺ ، ثم ارتدَّ مشركاً ، وصار إلى قريش ، فلما كان يوم الفتح فرَّ إلى عثمان — وكان أخاه من الرضاعة ، أرضعت أُمُّه عثمانَ — فغيَّبه حتى أتى به رسولَ الله ﷺ بعد ما اطمأن الناسُ ، فاستأمنه له ، فصمتَ رسولُ الله ﷺ طويلاً ، ثم قال : نعم . فلما

(١) رواه مسلم في الجهاد والسير (باب فتح مكة) رقم /١٧٨٠/ والنسائي في التفسير ، وأبو داود في الخراج والإمارة (باب ما جاء في خبر مكة) رقم /٣٠٢٤/ والإمام أحمد في المسند ٥٣٨/٢ . وانظر نور النبراس لوحة ٢/ب ١٨٨ لتعرف سبب عدول المؤلف إلى إخراجه من المسند .

انصرفَ عثمان ، قال رسول الله ﷺ لمن حولَه : ما صمتُّ إلا ليقومَ إليه بعضُكم فيضربَ عنقَه . فقال رجلٌ من الأنصار : فهلا أومأتَ إليَّ يا رسول الله ؟ فقال : إن النبيَّ لا ينبغي أن تكون له خائنةُ أعين .

قلت : وكان بعد ذلك ممن حسن إسلامه ، ولم يظهر منه شيء يُنكر عليه ، وهو آخر النجباء العقلاء الكرماء من قريش ، وكان فارسَ بني عامر بن لؤي ، المقدَّم فيهم ، وولاه عمر بن الخطاب ثم عثمان رضي الله عنهم .

وأما ابن خَطَل فإنما أمر بقتله أنه كان مسلماً ، فبعثه رسولُ الله ﷺ(١) مُصَدِّقاً ، وبعث معه رجلاً من الأنصار ، وكان معه مولى له يخدمه ، وكان مسلماً ، فنزل منزلاً وأمر المولى أن يذبح له تيساً ، فيصنعَ له طعاماً ، فنامَ ، فاستيقظ ابن خطل ولم يصنع له شيئاً ، فعدا عليه فقتلَه ثم ارتد مشركاً . وكانت له قينتان : فَرْتَنا وقَرِيبة ، وكانتا تغنيان بهجاء رسول لله ﷺ ، فأمر بقتلهما معه ، فقتلَه سعيد بن حريث المخزومي وأبو برزة الأسلمي .

وروينا عن ابن جُميع ، حدثنا محمد بن أحمد الخولاني بمكة ، حدثنا أحمد بن رشدين ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن لَهيعة ، عن عُقَيل ، عن ابن شهاب ، عن أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ ؛ أنه دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه المِغْفر ، فلما نزعه جاءه رجلٌ فقال : ابنُ خَطَل مُتعلِّق بأستار الكعبة . فقال : اقتلوه(٢) . قال ابن شهاب : ولم يكن رسولُ الله ﷺ يومئذ مُحرماً(٣) .

وأما عكرمة بن أبي جهل(٤) ، ففَرَّ إلى اليمن ، فاتبعته امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام فردته ، فأسلم وحسن إسلامه ، وكان يُعدُّ من فضلاء الصحابة .

---

(١) « مصدقاً » : جامعاً للصدقة .

(٢) حديث أنس رواه البخاري في المغازي (باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح) رقم /٤٢٨٦/ ، ومسلم في الحج (باب جواز دخوله مكة بغير إحرام) رقم /١٣٥٧/ ، والموطأ في الحج ١/٤٢٣ ، وأبو داود في الجهاد رقم /٢٦٨٥/ ، والترمذي في الجهاد رقم /١٦٩٣/ ، والنسائي في الحج ٥/٢٠١ .

(٣) هذا تعليل للأمر بالقتل . وفي الموطأ : ولم يكن فيما نرى يومئذ ــ والله أعلم ــ مُحرماً .

(٤) كان السبب في إهدار دمه ــ والله أعلم ــ هو أنه كان شديداً كأبيه في إيذاء رسول الله ﷺ .

وأما الحويرث بن نُقيذ[1] فكان يؤذي رسولَ الله ﷺ بمكة ، فقتله علي بن أبي طالب يوم الفتح .

وأما مِقيس بن صُبابة فكان قد أتى النبيَّ ﷺ قبل ذلك مسلماً ، ثم عدا على رجل من الأنصار فقتلَه بأخيه هشام بن صُبابة بعد أن أخذ الدية ، وكان الأنصاريُّ قتل أخاه مسلماً خطأً في غزوة ذي قَرَدَ[2] وهو يُرى أنه من العدو . وقد تقدم ذلك في غزوة ذي قرد وأبيات مِقيس في ذلك ، ثم لحق بمكة مرتداً ، فقتله يومَ الفتح نُمَيْلة بن عبد الله الليثي وهو ابن عمه .

قال أبو عمر : ومن سنَّته ﷺ أنه قال : « لا أعفي أحداً قتل بعد أخذ الدية » . هذا من المسلمين[3] . وأما مقيس فارتد[4] أيضاً .

وأما هبَّار بن الأسود:فهو الذي عرضَ لزينبَ بنت رسول الله ﷺ في سفهاء قريش حين بعث بها أبو العاص زوجها إلى المدينة ، فأهوى إليها هبار هذا ونخس بها ، فسقطت على صخرة ، فألقت ذا بطنها ، واهراقت الدماء ، فلم يزل بها مرضها ذلك حتى ماتت سنة ثمان ، فقال عليه الصلاة والسلام : إن وجدتم هباراً فأحرقوه بالنار ، ثم قال : اقتلوه فإنه لا يُعذب بالنار إلا ربُّ النار . فلم يوجد يوم الفتح ، ثم أسلم بعد الفتح وحسن إسلامه وصحبَ النبيَّ ﷺ .

وذكر الزبير أنه لما أسلم وقدم مهاجراًجعلوا يسبُّونه ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال : سُبَّ من سَبَّكَ . فانتهوا عنه .

وأما قينتا ابن خَطَل فَرْتَنَا وقَرِيبة فقتلت إحداهما واستُؤمِن رسول الله ﷺ للأخرى ، فأمَّنهَا ، فعاشت مدة ، ثم ماتت في حياة النبي ﷺ .

---

(١) كذا في الأصول ، وفي السيرة الشامية ٥/٣٤٠ : الحويرث بن نُقيدر ؛ بضم النون وفتح القاف وسكون التحتية فدال مهملة ، فراء مهملة .

(٢) سبق للمؤلف أن ذكر هذه الحادثة في غزوة بني المصطلق ، ويبدو أنه تابع هنا ابن عبد البر في الاستيعاب في ترجمة هشام بن صُبابة .

(٣) الدرر ص ٢٢٠ .

(٤) عبارة أبو عمر بن عبد البر في المصدر السابق : وأما مِقْيَس بن صُبابة فارتد وقُتل بعد أخذ الدية .

وأما سارة فاستؤمن لها أيضاً فأمَّنها عليه الصلاة والسلام فعاشت إلى أن أوطاها[1] رجل فرساً بالأبطح في زمن عمر فماتت .

واستجار بأم هانىء بنت أبي طالب رجلان ، قيل : هما : الحارث بن هشام ، وزهير بن أبي أمية ، وقيل : أحدهما جعدة بن هبيرة . فأجارتهما ، فأراد عليّ قتلهما ، فدخلت إلى رسول الله ﷺ وهو يُصلّي الضحى ، فذكرت ذلك له ، فأمضى جوارها ، وقال : قد أجرنا من أجرت وأمَّنَّا من أمَّنْتِ . وأسلمت أم هانىء يوم الفتح ، وهي شقيقة علي بن أبي طالب وعقيل وجعفر وطالب ، أُمُّهم فاطمة بنت أسد ، قيل : اسمها فاختة ، وقيل : هند . ومن حجة من قال إن اسمها هند قول زوجها هبيرة بن أبي وهب المخزومي حين فر يوم الفتح ولم يسلم ولحق بنجران ومات على شركه من أبيات أولها :

أشاقتكَ هندٌ أم جفاكَ سؤالها ... كذاك النوى أسبابُها وانفتالها[2]
وقد أرَّقتْ في رأس حصنٍ ممرَّدٍ ... بنجرانَ يسري بعد نومٍ خيالُها
وعاذلةٍ هبَّتْ عليَّ تلومني ... وتعذلني بالليل ، ضلَّ ضلالها[3]
لئن كنتِ قد تابعت دينَ محمد ... وعَطَّفَتِ الأرحامَ منك حِبَالُها
فكوني على أعلى سحيقٍ بهضبة ... ممنَّعةٍ لا يُستطاع قِلالُها[4]
فإنّي من قومٍ إذا جدَّ جِدُّهم ... على أيِّ حالٍ أصبحَ اليومَ حالُها
وإني لأحمي مِن وراء عشيرتي ... إذا كثرتْ تحت العوالي مجالُها[5]
وطارتْ بأيدي القوم بيضٌ كأنَّها ... مخاريقُ ولدانٍ يطيشُ ظِلالُها[6]
وإنَّ كلامَ المرء في غير كُنهه ... لكالنبل تهوي ليس فيها نصالها

(١) « أوطاها » : حملها عليه فوطئها ؛ أي داسها . وهي التي كان معها كتاب حاطب بن أبي بلتعة . انظر الإصابة ٣٢٣/٤ .
(٢) « انفتالُها » : تقلبها من حال إلى حال .
(٣) « ضل ضلالها » : هذا دعاء عليها بالضلال .
(٤) « سحيق » : بعيد . « قلالها » : جميع قلّة ، وهي القمة .
(٥) « العوالي » : الرماح الطويلة . « مجالها » : اسم مكان من الجَوَلان .
(٦) في السيرة النبوية ٤٢١/٢ : « وصارت » . و« مخاريق » : مناديل ، يعقد الأطفال طرف كل واحد منها ، يضرب بها بعضهم بعضاً في لعبهم .

بقية الخبر عن فتح مكة

ولما نزل رسولُ الله ﷺ مكة واطمأن الناسُ ، خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعاً على راحلته ، يستلم الركن بِمحجن[1] في يده ، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مِفتاحَ الكعبة ، فَفُتِحتْ له فدخلها ، فوجدَ بها حمامةً من عِيدان ، فكسرَها بيده ثم طرحها ، ثم وقفَ على باب الكعبة ، فقال : لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده . ألا كلُّ مأثرة[2] أو دم أو مال يُدَّعى فهو تحت قدميَّ هاتين ، إلا سِدانة البيت وسِقاية الحاج . ألا وقتيل الخطأ شبه العمد السوطُ والعصا ففيه الدية مغلظةً مائة من الإبل ، أربعون منها في بطونها أولادها . يا معشر قريش ! إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظُّمَها بالآباء ، الناس من آدم وآدمُ من تراب . ثم تلا هذه الآية ﴿ يا أيُّها النَّاسُ إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى ﴾ الآية [الحجرات : ١٣] ثم قال : يا معشر قريش ما ترون أني فاعلٌ فيكم ؟ قالوا خيراً ، أخٌ كريم وابنُ أخ كريم . ثم قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء . ثم جلس في المسجد ، فقام إليه عليٌّ ومِفتاح الكعبة في يده ، فقال : يا رسول الله اجمع لنا الحِجابة مع السِّقاية صلى الله عليك وسلم .

فقال رسول الله ﷺ : أين عثمان بن طلحة ؟ فدُعي له ، فقال : هاك مِفتاحَك يا عثمان ، اليومَ يومُ بر ووفاء .

وروينا عن عثمان بن طلحة ، من طريق ابن سعد ، قال : كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس ، فأقبل — يعني النبي ﷺ — يوماً يريد أن يدخل الكعبة مع الناس ، فغَلَظْتُ عليه ونِلتُ منه ، وحَلُم عني ، ثم قال : يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت . فقلت : لقد هلكتْ قريش يومئذ وذَلَّتْ . فقال : بل عَمُرت وعزَّتْ يومئذ . ودخلَ الكعبة ، فوقعت كلمتُه مني موقعاً ظننت يومئذ أن الأمر سيصيرُ إلى ما قال .

---

(١) « بِمِحْجَن » : بعصاً معقوفة الرأس .

(٢) « مَأْثرة » : مكرمة ومفخرة معروفة موروثة .

وفيه أنه عليه الصلاة والسلام قال له يوم الفتح : يا عثمان أن ائتني بالمِفتاح فأتيته به ، فأخذه مني ، ثم دفعه إلي ، وقال : خذوها تالدة خالدة لا ينزعها منك إلا ظالم ، يا عثمان إن الله تعالى استأمنك على بيته ، فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف .

قال عثمان : فلما وَلَّيْتُ ناداني فرجعت إليه ، فقال : ألم يكن الذي قلتُ لك ؟ قال : فذكرت قولَه لي بمكة قبل الهجرة : لعلك سترى هذا المِفتاح يوماً بيدي أضعه حيث شئت . فقلت : بلى أشهد أنك رسول الله[1] .

وروينا عن سعيد بن المسيب أن العباس تطاول يومئذ لأخذ المفتاح في رجال من بني هاشم ، فدفعه رسول الله ﷺ لعثمان[2] .

ودخل النبيُّ ﷺ يومئذ الكعبة ومعه بلال فأمره أن يؤذِّن ، وأبو سفيان بن حرب وعَتَّاب بن أُسيد والحارث بن هشام جلوسٌ بفِناء الكعبة ، فقال عَتَّاب : لقد أكرم الله أُسيداً أن لا يكون سمع هذا ، فيسمعَ منه ما يَغيظه . فقال الحارث : أما والله لو أعلم أنه حق لاتبعته . فقال أبو سفيان : لا أقولُ شيئاً ، لو تكلمت لأخبرتْ عني هذه الحصباء . فخرجَ عليهم النبيُّ ﷺ ، فقال لهم : لقد علمتُ الذي قلتم ، ثم ذكر ذلك لهم ، فقال الحارث وعتاب : نشهد أنك رسولُ الله ، والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرَك .

وروينا عن ابن إسحاق من طريق زياد البكائيّ ، قال : حدثني سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي شُريح الخزاعي ، قال : لما قدم عمرو بن الزبير مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير جئته ، فقلت له : يا هذا إنا كنا مع رسول الله ﷺ حين افتتح مكة ، فلما كان الغدُ من يوم الفتح عَدَتْ خُزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك ، فقام رسولُ الله ﷺ فينا خطيباً ، فقال : يا أيُّها الناس إن الله تعالى حرَّمَ مكة يوم خلق السماوات والأرض فهي حرام من حرام إلى يوم القيامة ، فلايحلُّ لامرىء يُؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفِك فيها دماً ، ولا يَعضِد فيها شجراً . الحديث . وفيه : فقال عمرو لأبي شُريح : انصرف أيها الشيخ فنحن أعلم بحرمتها منكم ، إنها لا تَمنعُ سافكَ دم ، ولا خالعَ طاعة ، ولا مانعَ جزية .. الحديث[3] .

(١) الطبقات الكبرى ، وهذا الخبر ليس في شيء من الكتب الستة .

(٢) الخبر عن سعيد بن المسيب مرسل ، وليس في شيء من الكتب الستة ، وانظر نور النبراس ٢ ب/١٩٤ .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٤١٥ ــ ٤١٦ .

قلت : الذي وقع في الصحيح[1] أن هذا الخبر لعمرو بن سعيد بن العاص مع أبي شريح لا لعمرو بن الزبير وهو الصواب . والوَهَم فيه عن من دون ابن إسحاق . وقد رواه يُونس بن بُكير عنه على الصواب .

وحين افتتح رسول الله ﷺ مكة وقف على الصفا يدعو وقد أحدقت به الأنصار ، فقالوا فيما بينهم : أترون أنَّ رسول الله ﷺ إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فلما فرغَ من دعائه ، قال : ماذا قلتم ؟ قالوا : لا شيء يا رسول الله . فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال رسولُ الله ﷺ : معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم . ذكره ابن هشام ، وذكر أن فَضَالة بن عمير بن المُلَوَّح أراد قتلَ النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه ، قال رسول الله ﷺ أفضالة ؟ قال : نعم ، فضالة يا رسول الله . قال : ماذا كنتَ تُحدِّث به نفسك ؟ قال : لا شيء ، كنت أذكر الله . فضحكَ النبيُّ ﷺ ، ثم قال : استغفرِ الله ، ثم وضع يده على صدره فسكنَ قلبُه . فكان فضالة يقول : والله ما رفعَ يدَه عن صدري حتى ما خلق الله شيئاً أحبَّ إليَّ منه . قال فضالة : فرجعتُ إلى أهلي فمررتُ بامرأة كنت أتحدث إليها ، فقالت : هَلُمَّ إلى الحديث . فقلت : لا ، وانبعث فَضالة يقول :

قالت هَلُمَّ إلى الحديثِ فقلت لا ... يأبى عليكِ اللهُ والإسلامُ
لو ما رأيتِ محمداً وقبيلَه ... بالفتح يوم تُكسَّرُ الأصنامُ
لرأيتِ دينَ الله أضحى بَيِّناً ... والشركُ يغشى وجهَه الإظلامُ

وفر يومئذ صفوان بن أمية فاستأمنَ له عُميرُ بن وهب الجمحي رسولَ الله ﷺ ، فأمَّنه وأعطاه عِمامته التي دخل بها مكة ، فلحقه عُمير وهو يُريد أن يركبَ البحر ، فردَّه ، فقال : يا رسول الله اجعلني بالخيار شهرين . فقال : أنت بالخيار أربعة أشهر .

وكانت أمُّ حكيم بنت الحارث بن هشام تحت عِكرمة بن أبي جهل ، فأسلمت واستأمنتْ له رسولَ الله ﷺ ، فأمَّنه ، فلحقته باليمن ، فردَّته ، وأقرَّهما رسولُ الله ﷺ هو وصفوان على نكاحِهما الأول .

---

(١) رواه البخاري في العلم والحج والمغازي (باب منزل النبي ﷺ يوم الفتح رقم /٤٢٩٥/ ومسلم في الحج (باب تحريم مكة ..) رقم /١٣٥٤/ ، والترمذي في الحج (باب ما جاء في حرمة مكة) رقم /٨٠٩/ والنسائي في المناسك (باب تحريم القتال في الحرم) ٥/٢٠٥ ــ ٢٠٦ .

قال ابن سعد : ثم بعث رسولُ الله ﷺ تميمَ بن أسد الخزاعي فجدَّد أنصابَ[1] الحرم ، وحانت الظهر فأذَّن بلال فوق ظهر الكعبة ، وقال رسول الله ﷺ : لا تُغزى قريش بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة ـ يعني على الكفر ـ ووقف رسول الله ﷺ بالحَزْوَرَة[2] ، فقال : إنك لخيرُ أرض الله ، وأحبُّ أرض الله إليَّ ، ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت . وبثَّ رسولُ الله ﷺ السرايا إلى الأصنام التي حول مكة فكسرها ، منها العُزَّى ومَناة وسُواع وبُوانة وذو الكفَّين ، فنادى مناديه بمكة : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدعُ في بيته صنماً إلا كسره[3] .

* * *

(١) « أنصاب الحرم » : حدوده .

(٢) « الحزورة » : سوق مكة آنذاك ، ومن معانيها : الرابية الصغيرة . قال في نور النبراس : وقد دخلت الحزورة في المسجد لما زيد فيه . لوحة ٢/ب ١٩٦ .

(٣) الطبقات الكبرى ١٣٧/٢ .

ومما قيل من الشعر يوم الفتح

قول حسان بن ثابت :

عفتْ ذاتُ الأصـــابع فـاالجِواءُ	إلى عـذراءَ مــنزلُهـــا خَـــلاءُ[1]
ديـار من بـني الحَسْحَـاسِ قفـرٌ	تُعَـفيِّهــا الروامسُ والسَّـمــاءُ[1]
وكانت لا يـــزالُ بهـــا أنيسٌ	خِــلالَ مُروجهــا نَعَــمٌ وشَــاءُ
فـدعْ هـذا ، ولكـنْ مَنْ لِطَيفٍ	يُــؤرِّقــني إذا هب العشـــاءُ
لشــعثـــاءَ التي قــد تيَّمتْــه	فـليس لقـلبـهِ منها شِـفَــاءُ[1]
كأنَّ خبــيــئــةً من بيتِ رأسٍ	يكـونُ مزاجَها عســلٌ وماءُ[2]
إذا مــا الأشـربـاتُ ذُكرنَ يوماً	فهــنَّ لطــيِّب الرَّاح الفــداءُ[3]
نُـوليهــا المـلامــةَ إن ألمنــا	إذا مــا كان مَغْثٌ أو لِحَـــاءُ[4]
ونشـــربُهـــا فتـــتركنَـا مـلوكاً	وأُسْـــدَاً لا يُنَـهْـنِهُنَـــا اللقـــاءُ
عـدمنَــا خيــلنــا إنْ لم تَـروْهَـا	تُثـــير النَّـقْـعَ مَوْعِـدُهـا كَدَاءُ[5]
يُنــازعنَ الأعِنَّـــةَ مُصـغيــاتٍ	على أكتـافهــا الأَسَــلُ الظِّماءُ[6]
تَظَـــلُّ جِيــادُنـــا مُتَـمـطِّـراتٍ	تُـلَطـمهـن بـالخُمـرِ النســاءُ[7]
فـإمـا تُعـرضــوا عنَّـــا اعتَمَـرْنَـا	فكـــان الفتــحُ وانكشفَ الغِطـاء
وإلا فـــاصْــــبروا لجِلاَدِ يـــومٍ	يُعِـــين اللهُ فيـــه مَنْ يشـــاء

---

(١) سيأتي شرح الغريب في فوائد المؤلف ص ٢٤٦ .

(٢) « خبيئة » كذا في الأصل ، وفي « د » : سبيئة : وهما بمعنى : الخمرة مصونة أو منقولة . وبيت رأس : موضع بالأردن مشهور بالخمر .

(٣) « الأشربات » : جمع أشربة ، فهي جمع الجمع .

(٤) « ألمنا » : يُقال : ألامَ الرجلُ ، إذا فعل ما يستحق عليه اللوم ، فهو مُليم .

(٥) « كَدَاء » : موضع بأعلى مكة .

(٦) « مُصْغيات » : مائلات منحرفات للطعن ، والأَسَل : الرماح .

(٧) « متمطرات » : مسرعات . و« الخمر » : جمع خِمار ، وهو ما تُغطي المرأة به رأسها ووجهها .

وجـــبريـــلٌ رســـولُ الله فيـــنـــا ... ورُوحُ القُــدس ليس له كِفَـــاء
وقـــال الله قـــد أرســـلـتُ عبـداً ... يقـــول الحقَّ إن يَقـــعِ البـــلاء
شـــهـدتُ بـه فقُـومـوا صَـــدِّقوه ... فقَـــالوا لا نقـــومُ ولا نشـــاء
وقـــالَ الله قـــد يَسَّـــرْتُ جُنـداً ... هـم الأنصـــار عُرْضَتُها اللقـاء[1]
لنـــا في كلِّ يـــومٍ مِن مَعَـــدّ ... سِبـــابٌ أو قتـــالٌ أو هِجـــاء
فنحـكـــمُ بـالقـوافي مَنْ هَجـانـا ... ونضربُ حـــين تختـــلطُ الدمـاء
ألا أبـــلغ أبـــا ســـفيـــان عني ... مغـــلغـــلةً فقـــد بَرِحَ الخَفَـــاء[2]
بـــأن ســيـوفنــا تركتْكَ عبـداً ... وعبـــدُ الدار ســـادتُهـا الإمـاء
هجـــوتَ محمـــداً فـأجبتُ عنـــه ... وعنـــــد الله في ذاك الجـــزاء
أتهجـــــــوه ولستَ له بكفء ... فشـــرُّكما لخـــيرِكُمـــا الفِـدَاء
هجـــوتَ مُبـــاركاً بَرَّاً حَنيفـــاً ... أمـــينَ الله شـــيـمتُــه الوَفـاء
فمـن يهجـو رســولَ الله منكـم ... ويمـــدحُـــه وينـــصرُه ســـواء
فـــإن أبي ووالدَه وعِـــرضي ... لِعـرض محمـــدٍ منكـــم وِقـاء
لســـاني صـــارمٌ لا عيبَ فيــه ... وبحـــري لا تُكَـــدِّرهُ الدِّلاء

وقال أنس بن زُنيم يعتذر إلى رسول الله ﷺ مما قال فيهم عمرو بن سالم من أبيات :

ومـا حملتْ من نـاقةٍ فوق رحْلِهـا ... أبـــرَّ وأوفى ذمـــةً من محمـــدِ
أَحَثَّ عـلى خـيرٍ وأسبغَ نـائـلاً ... إذا راح كالسيف الصقيـل المهنّدِ
وأكســى لبُـردِ الخـال قبـلَ ابتذاله ... وأعطى لرأسِ السَّـابق المتجـرِّد[3]
تَعَـــلَّمْ رســولَ الله أنَّكَ مُـدركي ... وأن وعيـداً منكَ كالأخذ باليـدِ
تعـــلَّمْ رســـولَ الله أنك قـــادرٌ ... على كل صِرْمٍ ، مُتهمين ومُنجد[4]

(١) « عُرْضتها اللقاء » : عادتها أن تتعرض له ، فهي قوية عليه .

(٢) أبا سفيان : هو المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب ، وهو ابن عم النبي ﷺ ، وكان هجا النبي ﷺ قبل أن يُسلمَ . « مغلغلة » : رسالة تُرسل من بلد إلى آخر .

(٣) « السابق المتجرد » : الفرس السابق .

(٤) « صِرْم » : بيوت مجتمعة .

تعـلَّمْ بـأنَّ الركبَ ركبُ عُـويمر		هـم الكـاذبون المخلفـو كلَّ موعدِ
ونَبَّـوْا رســولَ الله أني هجـوتُـه		فـلا حملتْ ســوطي إليَّ إذاً يدي

ذكر فوائد تتعلق بخبر الفتح
سوى ما تقدم

● الوتير : ماء لخزاعة ، وهي في كلام العرب : الورد الأبيض . والعَنَان : السحاب .

● وقوله * قد كنتُـم وُلْداً وكُنَّـا والداً * يريد أن بني عبد منـاف أُمُّهـم من خُزاعة ، وكذلك قصيّ أمّه فاطمة بنت سعد الخزاعية . والوُلْد : الولد .

● وقوله « ثمت أسلمنا » : من السِّلم ؛ لأنهم لم يكونوا آمنوا بعد . وفيه * هم قتلونا ركّعاً وسّجداً * يدل على أن فيهم من كان أسلم وصلّى . قاله السهيلي .

● وحاطب بن أبي بلتعة مولى عُبيد الله بن حُميد بن زهير بن أسد بن عبد العزى ، واســم أبي بلتعـة عمرو . من ولده زياد بن عبد الرحمن شبطون . روى الموطأ عن مالك ، أندلسـي ، ولي قضــاء طُليطـلة . قال السهيلي : وقد قيـل إنه كان في الكتاب الذي كتبه حاطب بن أبي بَلتعة : إن رسول الله ﷺ قد توجَّه إليكم بجيش كالليل ، يسيرُ كالسيل ، وأُقسم بالله لو صار إليكم وحدَه لنصره الله عليكم ، فإنه منجزٌ له ما وعده . قيل : وفي الخبر دليل على قتل الجاسوس ، لتعليقه عليه الصلاة والسلام المنع من قتله بشهوده بدراً .

● وحمشتهـم الحرب : يقـال حمشتُ الرجلَ إذا أغضبتُه ، ويُقال حمشتُ النَّارَ : إذا أوقدتها ، ويُقال : حمست بالسين .

● وأبو سفيان بن الحارث : كان رضيعَ رسول الله ﷺ أرضعتهما حليمة ، وكان آلفَ الناس له قبل النبوة ، ثم كان أبعدَهم عنه بعد ذلك ، ثم أسلم يوم الفتح وحَسُن إسلامُه ، ولم يُنقم عليه شيء بعد ذلك ، وهو الذي أشار إليه حسان بقوله :

ألا أبـلغ أبـا ســفـيـان عني		مُغـلغـلةً فقـد بَرحَ الخَفَـاء

فإنه هو الذي كان يهجو رسولَ الله قبل إسلامه .

● والحَميت : الزِّقُ . والأحمس : الشديد ، والأحمس الذي لا خير عنده .

● ودخل عليه الصلاة والسلام مكة من ثنية كَداء ـ بفتح الكاف والمد ـ من أعلاها ، حيث وقف إبراهيم عليه السلام ، فدعا لذريته وهو قوله تعالى : ﴿ فاجعلْ أفئدةً من النَّاس تَهوي إليهم ﴾ [إبراهيم : ٣٧] فاستجيب له تبركاً بذلك .

● والصِّيْلم الصلعاء : الداهية .

● وخُنيس بن خالد : كذا هو عند ابن إسحاق ، وقد قُيِّد بالحاء المهملة المضمومة والباء الموحدة مفتوحةً والشين المعجمة .

● والنهيت : صوت الصدر ، وأكثر ما يوُصف به الأسد .

● وابن خَطَل : اسمه عبد الله ، وقيل : هلال ، وقيل بل هلال أخوه ، وكان يقال لهما الخَطَلان من بني تيم بن غالب .

● وصلاته عليه الصلاة والسلام في بيت أم هانىء ، قال السهيلي : هي صلاةالفتح تُعرف بذلك ، وكان الأمراء إذا افتتحوا بلداً يُصلُّونها ، وحكي عن الطبري قال : صلاَّها سعدُ بن أبي وقَّاص حين افتتح المدائن ، ودخل إيوانَ كسرى ، ثمان ركعات ، لا يفَصلُ بينها ، ولا تُصلَّى بإمام ، ولا يُجهر فيها بالقراءة .

● وذات الأصابع والجِوَاء : منزلان بالشام .

● وعذراء : قرية بقرب دمشق معروفة .

● وبنو الحَسْحَاس : من بني أسد .

● والروامس : الرياح . والسماء : يعني المطر .

● وشعثاء : بنت سَلام بن مِشكم اليهودي .

● وخبر (كأن خبيئة) : محذوف ، تقديره كأنَّ في فيها خبيئةً ، نحو قوله : إنّ محلاً وإنَّ مرتحلاً ، أي : إنَّ لنا محلاً .

● وألمنا : أتينا بما يُلام فاعُله ، أي نصرفُ اللومَ إلى الخمر ، ونعتذرُ بالسُّكر .

● والمغث : الضرب باليد . واللِّحَاء : الملاحاة باللسان .

● وشرُّكما لخيرِكُما الفِداء : أنصفُ بيت قالته العرب ، وهو من باب قوله عليه الصلاة والسلام : « شرُّ صفوفِ الرِّجال آخرُها » يُريد نقصان حظهم عن حظ الصف الأول . قال سيبويه : ولا يجوز أن يُريد التفضيل في الشر . حكاه أبو القاسم السهيلي .

● قال ابن إسحاق : وبلغني عن الزهري : أنه لما رأى رسولُ الله ﷺ النساءَ يُلطِّمْنَ الخيلَ بالخُمُر تبسَّمَ إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

● ونُحكم بالقوافي : أي نردُّ ، من حَكَمة[1] الدابة .

● وفي شعر أنس بن زُنيم : « وأعطي لبُردِالخالِ » الخال : من بُرود اليمن ، وهو من رفيع الثياب .

* * *

(١) « حَكَمة الدابة » : لجامها ، وبه تُرد وتُمنع . وسمي الحاكم حاكماً ؛ لأنه يردُّ الناسَ عن التعدِّي ، ويمنعهم عن الفساد .

سرية خالد بن الوليد

قال ابن سعد : ثم سرية خالد بن الوليد إلى العزى ، لخمس ليالٍ بقين من شهر رمضان سنة ثمان ، ليهدمَها ، فخرجَ في ثلاثين فارساً من أصحابه حتى انتهوْا إليها ، فهدمَها ، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبرَه . فقال : هل رأيتَ شيئاً ؟ قال : لا . قال : فإنك لم تهدمْها ، فارجعْ إليها فاهدمْها ، فرجع خالد وهو متغيظ ، فجرَّد سيفَه فخرجتْ إليه امرأةٌ عُريانة سوداء ثائرةُ الرأس ، فجعلَ السادنُ يصيحُ بها ، فضربَها خالد فجزَلَها[1] باثنتين ، ورجَع إلى رسول الله ﷺ فأخبرَه . فقال : نعم ، تلك العزى ، وقد أيستْ أن تُعبد ببلادكم أبداً ، وكانت بنخلة[2] ، وكانت لقريش وجميعِ بني كِنانة وكانت أعظمَ أصنامهم ، وكان سدنتُها بنو شيبان من بني سُليم[3] .

سرية عمرو بن العاص إلى سُواع

ثم سرية عمرو بن العاص إلى سُواع في شهر رمضان سنة ثمان ، وهو صنم لهذيل ليهدمه .

قال عمرو : فانتهيتُ إليه وعنده السادن ، فقال : ما تريد ؟ فقلت : أمرني رسولُ الله ﷺ أن أهدمَه . قال : لا تقدرُ على ذلك . قلتُ : لم ؟ قال : تُمنع . قلت : حتى الآن وأنت على الباطل ويحكَ وهل يسمع أو يُبصر . قال : فدنوتُ منه فكسرتُه ، وأمرتُ أصحابي فهدموا بيت خِزانته ، فلم يجدوا فيها شيئاً ، ثم قلت للسادن : كيف رأيت ؟ قال أسلمت لله تعالى[4] .

سرية سعد بن زيد الأَشْهَلي إلى مَناة

ثم سرية سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة في شهر رمضان سنة ثمان ، وكانت بالمُشَلَّل[5] ،

---

(١) « فجَزَ لَها باثنين » : الباء زائدة ، وجزلَه بالسيف يَجْزِله : قطعه جِزْلتين ؛ أي قطعتين .

(٢) « نخلة » : موضع بين مكة والطائف .

(٣) الطبقات الكبرى ٢/١٤٥ ــ ١٤٦ .

(٤) الطبقات الكبرى ٢/١٤٦ .

(٥) « المُشَلَّل » : من ناحية البحر ، وهو الجبل الذي يُهبط منه إلى قديد .

للأوس والخزرج وغسان .

فخرج في عشرين فارساً حتى انتهى إليها وعليها سادن ، فقال السادن : ما تُريد ؟ قال : هَدم مناة . قال : أنت وذاك . فأقبل سعد يمشي إليها ، وتخرج إليه امرأة سوداء عُريانة ثائرة الرأس ، تدعو بالويل ، وتضرب صدرَها ، فقال السادن : مناةُ دونَكِ بعضَ عُصَاتِكِ ويضربُها سعدُ بن زيد فيقتلُها ، ويُقبل[1] إلى الصنم معه أصحابه فهدموه ، ولم يجدوا في خزانتها شيئاً ، وانصرف راجعاً إلى رسول الله ﷺ لستٍّ بقين من شهر رمضان .

سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة من كنانة

ثم سرية خالد بن الوليد إلى بني جَذِيْمةَ من كِنانة ، وكانوا بأسفل مكة على ليلة بناحية يَلمْلَم في شوال سنة ثمان وهو يوم الغُمَيْصَاء .

وهي عند ابن إسحاق قبل سريته لهدم العزى . وسياق ما أذكره لابن سعد : قال : قالوا : لما رجع خالد بن الوليد من هدم العزى ، ورسول الله ﷺ مقيم بمكة ، بعثه إلى بني جَذيمة داعياً إلى الإسلام ، ولم يبعثْه مُقاتلاً ، فخرج في ثلاثمائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار وبني سُليم ، فانتهى إليهم . قال : ما أنتم ؟ قالوا : مسلمون ، قد صلَّينا وصدَّقنا بمحمد وبنينا المساجد في ساحاتنا وأذنَّا فيها ، قال : فما بال السلاح عليكم ؟ قالوا : إن بيننا وبين قوم من العرب عداوة ، فخِفنا أن تكونوا هم فأخذنا السلاح . قال : فضعوا السِّلاحَ . فوضعوه . فقال لهم : استأسِروا ، فاستأسر القومُ ، فأمر بعضَهم فكتَّف بعضاً ، وفرَّقهم في أصحابه ، فلما كان في السَّحر نادى منادي خالد : مَنْ كان معه أسيرٌ فَلْيُذَافه[2] ، والمُذَافَّة : الإجهاز عليه بالسيف . فأما بنو سُليم فقتلوا من كان في أيديهم . وأما المهاجرون والأنصار فأرسلوا أساراهم . فبلغ النبيَّ ﷺ ما صنع خالد . فقال : « اللهم إني أبرأُ إليك مما صنعَ خالد » . وبعثَ عليَّ بن أبي طالب فودى لهم قتلاهم وما ذهبَ منهم ، ثم انصرف إلى رسول الله ﷺ فأخبره[3] .

---

(١) كذا في الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ، وفي الأصول : « فأقبل » .

(٢) « فليُذافَّه » : تروى بالدال المهملة وبالذال المعجمة ، والمعنى واحد .

(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١٤٧/٢ .

وعند ابن إسحاق في هذا الخبر أن خالداً قال لهم ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا ، فلما وضعوه ، أمر بهم عند ذلك فكُتِّفوا ، ثم عرضهم على السيف ، وقد كان بين خالد وعبد الرحمن بن عوف كلام في ذلك ، فقال له عبد الرحمن : عملت بأمر الجاهلية في الإسلام . فقال : إنما ثأرتُ بأبيك . فقال عبد الرحمن : كذبت . قد قتلتُ قاتلَ أبي ، وإنما ثأرت بعمِّك الفاكه بن المغيرة ، حتى كان بينهما شرٌّ ، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ ، فقال : مهلاً يا خالد ، دع عنك أصحابي ، فوالله لو كان لك أُحُدٌ ذهباً ، ثم أنفقته في سبيل الله ما أدركتَ غَدْوةَ رجل منهم ولا روحته .

وكان بنو جَذيمة قتلوا الفاكه بن المغيرة وعوفَ بن عبد عوف قبل ذلك ، وقتلَ عبدُ الرحمن خالدَ بن هشام قاتل أبيه منهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عُتبة بن المغيرة بن الأخنس ، عن الزهري ، عن ابن أبي حدرد الأسلمي ، قال : كنت يومئذ في خيل خالد بن الوليد ، فقال لي فتى من بني جَذيمة هو في سني ، وقد جُمعت يداه إلى عنقه بِرمَّة[1] ، ونسوة مجتمعات غير بعيد منه : يا فتى! قلت : ما تشاء؟ قال : هل أنت آخذ بهذه الرُّمة فقائدي إلى هؤلاء النسوة حتى أقضي إليهن حاجة ، ثم تردَّني بعد فتصنعوا بي ما بدا لكم؟ قال : قلت والله ليسير ما طلبت ، فأخذته برُمّته فقدته بها ، حتى وقفته عليهن ، فقال : اسلمي حُبيش على نفد[2] العيش :

أُريتُكِ إذ طالبتُكم فوجدتُكم ... بِحَلْيَةَ أو ألفيتُكم بالخوانقِ[3]
ألم أكُ أهلاً أن يُنَوَّلَ عاشقٌ ... تكلَّفَ إدلاجَ السُّرى والوَدائقِ
فلا ذنبَ لي قد قلتُ إذ أهلُنا معاً ... أثيبي بودٍّ قبل إحدى الصَّفائقِ[4]
أثيبي بودٍّ قبل أن يشحطَ النوى ... وينأى الأميرُ بالحبيب المُفارقِ[5] [6]

(١) « برُمّة » : الرُّمَّة : قطعة من الحبل .

(٢) سيأتي شرحها في فوائد المؤلف ص ٢٥٢ .

(٣) سيأتي الشرح للغريب في فوائد المؤلف ص ٢٥٢ .

(٤) « أثيبي » : أنعمي ، و« الصفائق » : جمع صفيقة ، وهي الخطوب والحوادث .

(٥) « يشحط » : يبعد .

(٦) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ، ٤٣١/٢ ــ ٤٣٤ .

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد المؤمن الصُّوري بقراءتي عليه بظاهر دمشق ، قلت : أخبركم الشيخان أبو الفخر أسعد بن سعيد بن روح وأم حبيبة عائشة بنت مَعمرَ بن الفاخر في كتابهما إليكَ من أصبهان ؟ فأقرَّ به ، قالا : أخبرتنا أم إبراهيم فاطمة بنت عبد الله الجُوزدانية ، قالت : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن ريذة ، أخبرنا أبو القاسم الطبراني ، حدثنا أحمد بن شعيب ؛ أبو عبد الرحمن النسائي ، حدثنا محمد بن حرب المروزي ، حدثنا علي بن الحسين بن واقد ، عن أبيه ، عن يزيد النَّحْوي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أن النبيَّ ﷺ بعثَ سرية فغنموا ، وفيهم رجل ، فقال لهم : إني لستُ منهم ، عشقتُ امرأة ، فلحقتُها ، فدعوني أنظرْ إليها ، ثم اصنعوا بي ما بدا لكم ، فإذا امرأة طويلة أدماء ، فقال لها : اسلمي حُبيش قبل نفاد العيش :

أَرَيْتُكِ[1] لو تابعتُكم فلحقتُكم بَحلْيَةَ أو أدركتُكم بالخَوانق
أما كان حقاً أن يُنَوَّلَ عاشقٌ تكلَّف إدلاجَ السُّرى والوَدائق

قالت : نعم فديتُك . قال فقدَّموه فضَربوا عنقَه . فجاءت المرأة فوقعت عليه فشهَقت شهقةً أو شهقتين ثم ماتت . فلما قدموا على رسول الله ﷺ أخبروه الخبرَ ، فقال رسول الله ﷺ : « أما كان فيكم رجلٌ رحيم »[2] .

- الغميصاء : ماء لبني جَذيمة .
- والنفد : مصدر نفدَ الشيءُ ؛ إذا فني .
- وحُبيش : مرخَّم من حُبيشة .
- وحَلْيَة والخوانق : موضعان .
- والودائق : جمع وديقة ، وهي شدة الحر .

* * *

(١) في الأصول « أرأيت لوتبعتكم .. » والوزن يقتضي ما أثبتناه .
(٢) رواه النسائي ومنه ذكره السهيلي ، وأخرجه المؤلف من المعجم الأوسط للطبراني ؛ لأنه وقع له من المعجم أعلى برجل ، لكن في طريقه إجازة ، والله أعلم . نور النبراس لوحة ٨٣/٣ .

غزوة حُنين

وهي غزوة هوازن .

قال ابن إسحاق : ولما سمعتْ هوازن برسول الله ﷺ ، وما فتحَ الله عليه من مكة جمعها مـــالكُ بن عـوف النَّـصْــري ، فــاجتـمــع إليـــه مع هـوازن ثقــيف كلُّهـــا ، وسعد بن بكر وناس من بني هلال وهم قليـل ، ولم يشهدها من قيس عَيْلان إلا هؤلاء ، غابت عنها فلم يحضرْها من هوازن كعب ولا كلاب ، ولم يشهدها منهم أحد له اسم ، وفي جشم دُريد بن الصِّمّة ، شيخٌ كبير ليس فيه شيء إلا التيمُّنُ برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شجاعاً مُحْرِباً[1] ، وفي ثقيف سيدان لهم ، وفي الأحلاف قَارِب بن الأسود بن مُعتِّب ، وفي بني مالك ذو الخمار سُبيع بن الحارث بن مالك ، وأخوه أحمر بن الحارث . وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النَّصْري ، فلما أجمعَ السيرَ إلى رسول الله ﷺ حَطَّ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فلما نزل بأوطاس اجتمع إليه الناس وفيهم دريد بن الصمَّة ، فلما نزل قال : بأي واد أنتم ؟ قالوا بأوطاس . قال : نعمَ محلُّ[2] الخيل ، لا حَزْنٌ ضِرْسٌ[3] ولا سهلٌ دَهْسٌ[4] ، ما لي أسمع رُغاء البعير ونُهاق الحمير وبُكاء الصغير ويُعار الشاء ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف النَّصْري مع الناس أموالَهم ونساءَهم وأبناءَهم . قال : أين مالِك ؟ قيل : هذا مالِك . ودُعي له . فقال : يا مالِك! إنك قد أصبحتَ رئيسَ قومك ، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام ، ما لي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويُعار الشاء ؟ قال : سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالَهم . قال : ولم ؟ قال : أردتُ أن أجعلَ خلف كل رجل أهله وماله ، ليقاتل عنهم . قال : فأنقضَ[5] به ، ثم قال : راعي ضأن والله . وهل يردُّ

(١) « مُحرباً » : اسم فاعل من قولهم : أحربَ الرجل : إذا كان صاحبَ حروب .

(٢) في السيرة النبوية ، وفي زاد المعاد : « نعم مجال الخيل » .

(٣) « حزنٌ ضِرسٌ » : مرتفع من الأرض ذو حجارة حادة .

(٤) « سهل دهسٌ » : لين كثير التراب .

(٥) « فأنقضَ به » : من الإنقاض ؛ وهو الزجر . وسيأتي شرحها في فوائد المؤلف ص ٢٦٧ .

المنهزمَ شيء ، إنها إن كانت لك لم ينفعْك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك . ثم قال : ما فعلتْ كعب وكلاب ؟ قالوا : لم يشهدْها منهم أحد . قال : غاب الحَدُّ والجَدُّ[١] ، لو كان يوم عَلاء ورفعةٍ لم يغبْ عنه كعب وكلاب ، ولوددت أنكم فعلتم كما فعلتْ كعبٌ وكلاب . فمن شهدها منكم ؟ قالو : عمرو بن عامر ، وعوف بن عامر . قال : ذانك الجَذَعَان[٢] من عامر ، لا ينفعان ولا يضران . يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة[٣] بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئاً ، ارفعهم إلى مُتمنَّع بلادهم وعُليا قومهم ، ثم ألقِ الصُّبّى[٤]على متون الخيل ، وإن كانت لك لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالكَ ، قال : والله لا أفعل ، إنك قد كَبِرت وكَبُر عقلُك . والله لتُطيعُنّي يا معشرَ هوزان ، أو لأتكئنَّ على هذا السيف حتى يخرجَ من ظهري ، وكره أن يكون لدُريد فيها ذكرٌ أو رأي . قالوا : أطعناك . فقال دُريد بن الصِّمّة : هذا يومٌ لم أشهدْه ولم يفتني :

يـــــاليتـــــني فيهـــا جَـــذَعْ
أخبُّ فيـــــــهـــا وأضــعْ[٥]
أقـــود وطـــــفــاءَ الزمعْ[٦]
كأنهـــــــا شـــاةُ صَـــدَعْ[٧]

---

(١) « الحَدُّ والجَدُّ » : الحَدُّ : الحدة والشجاعة ، والجِدُّ بكسر الجيم ، ضد الهزل ، وبالفتح : الحَظُّ .
(٢) « الجَذَعان » : تثنية الجَذَع ؛ من الضأن ، يُشير إلى ضعف خبرتهما بالحرب .
(٣) « البيضة » : الجماعة .
(٤) « الصُّبّى » : بالقصر ، كما في جميع النسخ ، جمع صَابٌ ، كغازٍ وغزىً ، اسم فاعل من قولهم : صَبَا يَصبو . والمقصود : الذين يشتهون من قومه ويميلون إليها ، ويُحبون التقدم فيها والبراز
قال في النهاية : وقيل : إنما هو صُبّاء ، جمع صابىء بالهمز . كشاهد وشهّاد .
(٥) « أخبُّ » : من الخبب ، وهو ضرب من السير ذو خطو فسيح . و« أضع » : من الوَضَع : وهو ضرب من السير أسرع من الخبب .
(٦) « وطفاء الزمع » : الزمع : الشعر الذي يكون فوق مربط قيد الدابة ، والوطف : طول الشعر وطول الزمع : محمودٌ في الخيل .
(٧) « شاةُ صَدَع » : المقصود بالشاة هنا : الوَعْل ، وهو تيس الجبل المعروف ، والصَّدع : المتوسط الحجم منه .

ثم قال مالك للناس : إذا رأيتموهم فاكسروا جُفون[1] سيوفكم ، ثم شُدّوا شَدَّة رجل واحد . وبعث عُيوناً من رجاله فأتوه وقد تفرقت[2] أوصالُهم . قال : ويلَكم ما شأنكم ؟ قالوا : رأينا رجالاً بيضاً على خيل بلق ، والله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى ، فوالله ما رده ذلك عن وجهه أن مضى على ما يُريد .

ولما سمع بهم نبيُّ الله ﷺ بعث إليهم عبدَ الله بن أبي حدرد الأسلمي ، وأمره أن يدخلَ في الناس ، فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ، ثم يأتيه بخبرهم . فانطلق ابنُ أبي حدرد ، فدخل فيهم ، حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ . وسمع من مالك ، وأمرِ هوازن ما هم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسولَ الله ﷺ فأخبرَه الخبر . فلما أجمع رسولُ الله ﷺ السير إلى هوازن ذُكر له أن عند صفوان بن أمية أدراعاً وسلاحاً ، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك ، فقال : يا أبا أمية أعرنا سلاحَك هذا نلقَ فيه عدوَّنا غداً . فقال صفوان : أغصباً يا محمد ؟ قال : بل عارية ، وهي مضمونةٌ حتى نؤديَها إليك . قال : ليس بهذا بأس . فأعطاه مائةَ درعٍ بما يكفيها من السلاح . فزعموا أن رسول الله ﷺ سأله أن يكفيَهم حملَها ، ففعل . ثم خرجَ رسول الله ﷺ معه ألفان من أهل مكة ، مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ، ففتح الله بهم مكة ، فكانوا اثني عشر ألفاً ، واستعملَ عَتَّابَ بن أَسيد على مكة أميراً ، ثم مضى يُريد لقاء هوازن[3] .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : لما استقبلنا وادي حُنين انحدرنا في واد من أودية تِهامة أجوفَ حطوط[4] ، إنما تنحدر فيه انحداراً . قال : وفي عَماية الصبح ، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي ، فكمنوا لنا في شعابه وأحنائه ومضايقه ، وقد أجمعوا وتهيؤوا وأعدوا ، فوالله ما راعنا ونحن مُنحطُّون إلا الكتائبُ قد شَدُّوا علينا شدة رجل واحد ، وانشمرَ الناسُ راجعين لا يَلْوي أحدٌ على أحد ، وانحاز رسولُ الله ﷺ ذاتَ اليمين ، ثم قال : يا أيها الناس هلمَّ إليَّ أنا

---

(١) « جفون سيوفكم » : أغمادها .

(٢) تفرَّقتْ أوصالُهم : ارتعدت خوفاً .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٤٣٧ ـــ ٤٤٠ .

(٤) « أجوَف حطوط » : متسع شديد الانحدار .

رسولُ الله ﷺ، أنا محمد بن عبد الله . قال : فلاشيء[1] . حملتِ الإبلُ بعضَها على بعض ، فانطلق الناس ، إلا أنه قد بقي مع رسول الله ﷺ نفرٌ من المهاجرين وأهل بيته .

وفيمن ثبت[2] معه من المهاجرين : أبو بكر وعمر . ومن أهل بيته عليّ بن أبي طالب ، والعباس ، وأبو سفيان بن الحارث وابنه ، والفضل بن العباس ، وربيعة بن الحارث ، وأسامة بن زيد ، وأيمن بن أم أيمن ــ وقُتل يومئذ ــ .

قال : ورجلٌ من هوازن على جمل له أحمر ، بيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام هوزان ، وهوزانُ خلفَه ، إذا أدركَ طعنَ برمحه ، وإذا فاتَه الناس رفعَ رمحه لمن وراءَه فاتَّبعوه ، فبينما هو كذلك إذ أهوى إليه علي بن أبي طالب ورجلٌ من الأنصار يُريدانه . قال : فيأتي عليٌّ من خلفه فيضرب عرقوبي الجمل ، فوقع على عجزه ، ووثبَ الأنصاريُّ على الرجل فضربَه ضربةً أطنَّ قدمَه بنصف ساقه ، فانجعفَ[3] عن رحله . قال : واجتلد الناسُ ، فوالله ما رجعتْ راجعةُ الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله ﷺ[4] .

قال ابن إسحاق : فلما انهزم الناس ــ يعني المسلمين ــ ورأى من كان مع رسول الله ﷺ من جفاة أهل مكة الهزيمة ، تكلَّم رجالٌ منهم بما في أنفسهم من الضِّغن ، فقال أبو سفيان بن حرب : لا تنتهي هزيمتُهم دون البحر . وإنَّ الأزلام لمعه في كِنانته .

---

(١) « فلا شيء » : أي فلم يستطع الأكثرون الإسراع لإجابته : لهول المباغتة .

(٢) نقل سبط ابن العجمي رحمه الله تعالى عن بعض مشايخ مشايخه ؛ أن الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ عند الصدمة الأولى عشرة ، وعند ذكر المؤلف لأعمام وعمات رسول الله ﷺ ، مع من ذكرَ أسماءهم هنا يصل العدد إلى ثلاثة عشر رجلاً ، وذكر ابن الملقن عن الحارث بن النعمان : أن الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ مائة رجل . وفي الترمذي أنه ثبت معه مائة . وهذا الباب قابل للزيادة ، فمن وقف على أحدٍ ممن ثبت معه في حنين فليُلحقْه ؛ نظراً للكثرة ، فقد خرج من المدينة عشرة آلاف ، وانضم من الطلقاء ألفان . والخلاصة أن من ثبت أولاً كان قليلاً ثم ازداد من المهاجرين والأنصار ، إذ عادوا مباشرة للذب عن رسول الله ﷺ ، وسيأتي هذا التوضيح ظاهراً فيما نقله المؤلف عن العباس بن عبد المطلب ؛ حينما دعا الأنصار إلى العودة والثبات . وانظر نور النبراس لوحة ٣/٨٦ .

(٣) « انجعف » : انقلع .

(٤) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٤٤٢ ــ ٤٤٣ .

وصرخَ جَبَلَةُ بن الحنبل ـــ وصوَّبه ابن هشام : كَلَدة ـــ : ألا بطلَ السحر اليوم . فقال له صفوان أخوه لأمه ـــ وكان بعدُ مُشركاً ـــ اسكت فضَّ الله فاك ، فوالله لَئن يَربَّني رجلٌ من قريش أحبُّ إلي من أن يَرُبَّني رجلٌ من هوازن(1) .

وروينا عن ابن سعد : أخبرنا محمد بن عمر ، حدثنا عمر(2) بن عثمان المخزومي ، عن عبد الملك بن عُبيد ، قال محمد بن عمر : حدثنا خالد بن إلياس ، عن منصور بن عبد الرحمن الحَجَبي(3) ، عن أمه(4) وغيرها ، قالوا : كان شيبة بن عثمان رجلاً صالحاً له فضل ، وكان يُحدِّث عن إسلامه وما أراد الله به من الخير ، ويقول : ما رأيت أعجب مما كنا فيه من لزوم ما مضى عليه آباؤنا من الضلالات . ثم يقول : لما كان عام الفتح ودخلَ رسولُ الله ﷺ مكة عُنوة ، قلت : أسير مع قريش إلى هوازن بحُنين ، فعسى إن اختلطوا أن أُصيب من محمد غِرَّة ، فأثأرَ منه ، فأكونَ أنا الذي قمت بثأر قريش كلِّها ، وأقول : لو لم يبق من العرب والعجم أحدٌ إلا اتبع محمداًما تبعته أبداً ، وكنت مُرْصداً لما خرجت له ، لا يزداد الأمر في نفسي إلا قوة ، فلما اختلطَ الناس ، اقتحم رسولُ الله ﷺ ، عن بغلته وأصلتَ السيفَ ، فدنوت منه أُريد ما أريد ، ورفعتُ سيفي حتى كدتُ أُسَوِّره(5) ، فرُفع لي شُواظ من نار كالبرق كاد يَمْحُشني(6) ، فوضعت يدي على بصري خوفاً عليه ، والتفتُّ إلى رسول الله ﷺ ، فناداني : يا شيبُ ادن . فدنوتُ ، فمسحَ صدري ، ثم قال : اللهم أعذه من الشيطان . قال : فوالله لهو كان ساعتئذٍ أحبُّ إلي من سمعي وبصري ونفسي ، وأذهبَ

---

(1) المصدر السابق ٤٤٣/٢ ـــ ٤٤٤ . ومعنى « يربني » : يملكني ويسوسني .

(2) عمر بن عثمان المخزومي : اختلف في اسمه ، هل هو عُمر أو عمرو ، وذكره المزي في عَمرو ؛ بفتح العين وزيادة واو . ذكره ابن حبان في الثقات ، وأخرج له أبو داود . نور النبراس لوحة ٨٧/٣ .

(3) منصور بن عبد الرحمن : منسوب إلى حجابة الكعبة ، روى عن أمه صفية ، قال أبو حاتم : صالح الحديث ، وقال ابن سعد وغيره : ثقة ، مات سنة ١٣٧ هـ . ميزان الاعتدال ١٨٦/٤ .

(4) في الأصول « عن أبيه ، عن أمه وغيرها .. » والتصحيح من نور النبراس ، فإن زيادة « عن أبيه » من أخطاء النساخ في هذا السند . وأمه : هي صفية بنت شيبة الحاجب بن عثمان بن عبد الدار بن قصي ، العبدرية ، يقال لها : رويه ، وحديثها عن النبي ﷺ في أبي داود والنسائي وابن ماجه .

(5) « أُسوِّره » : أعلوه .

(6) « يمحشني » : يحرقني .

الله تعالى ماكان فيَّ ، ثم قال : ادنُ فقاتلْ . فتقدمت أمامَه أضرب بسيفي ، الله يعلم أني أُحبُّ أن أقيَه بنفسي كلَّ شيء ، ولو لقيتُ تلك الساعة أبي لو كان حياً لأوقعت به السيف . فجعلتُ ألزمُه فيمن لزمَه ، حتى تراجع المسلمون ، وكروا كرةَ رجل واحد ، وقرَّبتُ بغلةَ رسول الله ﷺ فاستوى عليها ، فخرج في أثرهم ، حتى تفرقوا في كل وجه ، ورجع إلى معسكره ، فدخل خِباءه ، فدخلت عليه ، ما دخل عليه غيري حباً لرؤية وجهه ، وسروراً به ، فقال : يا شيبُ الذي أراد الله بك خيرٌ مما أردتَ بنفسك . ثم حدثني بكل ما أضمرتُ في نفسي ، مما لم أكن أذكره لأحد قط . قال : فقلت : فإني أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنَّك رسولُ الله ، ثم قلت : استغفر لي . فقال : غفر الله لك .

قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري عن كثير بن العباس ، عن أبيه العباس بن عبد المطلب ، قال : إني لمع رسول الله ﷺ آخذٌ بحَكَمة بغلته البيضاء ، وقد شجرتها[1] بها . قال : وكنت امرأ جسيماً شديدَ الصوت . قال : ورسولُ الله ﷺ يقول حين رأى ما رأى من الناس : إلى أين أيها الناس ؟ قال : فلم أرَ الناسَ يلوون على شيء ، فقال : يا عباس اصرخْ : يا معشر الأنصار يا معشر أصحاب السَّمُرة[2] ، فأجابوا : لبَّيك لبَّيك . قال : فيذهب الرجل ليَثنيَ بعيرَه ، فلايقدر على ذلك ، فيأخذ درعَه فيقذفها في عنقه ، ويأخذ سيفه وترسه ، ويقتحم عن بعيره ويخلي سبيلَه ، ويؤمُّ الصوتَ ، حتى ينتهيَ إلى رسول الله ﷺ ، حتى إذا اجتمعَ إليه منهم مائة استقبلوا الناسَ ، فاقتتلوا ، فكانت الدعوى أول ما كانت : يا للأنصار ، ثم خلصت أخيراً يا للخزرج ، وكانوا صُبُراً عند الحرب . فأشرفَ رسولُ الله ﷺ في ركائبه ، فنظرَ إلى مُجتلد القوم وهم يجتلدون ، فقال : الآن حمي الوطيس[3] . وزاد غيره :

أنا النبيُّ لا كذبْ   أنا ابنُ عبدِ المطلبْ

وفي صحيح مسلم : ثم أخذ رسولُ الله ﷺ حَصَياتٍ فرمَى بها وجوهَ الكفار ثم قال :

---

(١) « شجرتها بها » : ضربتها بالحَكَمة (اللجام) .

(٢) « السمرة » : شجرة كبيرة ذات شوك ، والمقصود : من بايعوا رسول الله ﷺ تحتها بيعة الرضوان .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٤٤٤ ـــ ٤٤٥ ، « الوطيس » : التنور .

« انهزمُوا وربِّ محمد » ثم قال : فما هو إلا أنْ رماهم ، فما زلتُ أرى حَدَّهم كليلاً وأمرَهم مُدبراً[١] . ومن رواية أخرى أن النبيَّ ﷺ نزلَ عن البغلة ثم قبضَ قبضةً من ترابِ الأرض ، ثم استقبلَ بها وجوهَهم ، فقال : « شاهَتِ الوجوهُ » فما خلقَ الله تعالى منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تُراباً بتلك القبضة ، فولَّواْ مدبرين[١] .

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى : وحدثني أبي إسحاق بن يسار ، أنه حُدِّث عن جُبير بن مُطعم ، قال : لقد رأيتُ قبل هزيمةِ القوم ــ والناسُ يقتتلون ــ مثل البِجَاد[٢] الأسود ، أقبل من السماء حتى سقطَ بيننا وبين القوم ، فنظرتُ فإذا نملٌ أسود مبثوثٌ قد ملأ الوادي ، لم أشكَّ أنها الملائكة ، ولم يكن إلا هزيمة القوم[٣] .

قال ابن إسحاق : ولما انهزمت هوازنُ استحرَّ القتل من ثقيف في بني مالك ، فقُتل منهم سبعون رجلاً . ولما انهزم المشركون أتَوا الطائف ومعهم مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجَّه بعضهم نحو نخلة ، وبعث رسول الله ﷺ في آثار من توجَّه قِبل أوطاس أبا عامر الأشعري ، فأدركَ من الناس بعضَ من انهزم ، فناوشوه القتال فرُمي بسهم فقُتل ، فأخذَ الراية أبو موسى الأشعري ــ وهو ابن عمه ــ فقاتلَهم ، ففتحَ الله عليه وهزمهم الله ، فيزعمون أنَّ سلمةَ بن دُريد هو الذي رمى أبا عامر فقتلَه .

وقال ابن سعد : قتل أبو عامر منهم تسعةً مُبَارَزَة ، ثم برز العاشر مُعْلَما بعمامة صفراء فضرب أبا عامر فقتلَه ، واستخلفَ أبو عامر أبا موسى الأشعري فقاتلَهم حتى فتحَ الله عليه ، وقُتل قاتل أبي عامر ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم اغفرْ لأبي عامر ، واجعلْه من أعلى أمتي في الجنة . ودعا لأبي موسى أيضاً .

وقُتل من المسلمين أيضاً أيمن بن عُبيد[٤] ، وهو ابن أم أيمن ، وسراقة بن الحارث ، ورَقيم بن ثعلبة بن زيد بن لَوْذان ــ وعند ابن إسحاق : يزيد بن زمعة بن الأسود بن

---

(١) رواه مسلم في الجهاد والسير (باب في غزوة حنين) رقم /١٧٧٥/ .

(٢) انظر شرحها في فوائد المؤلف ص ٢٦٧ .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٤٤٩ .

(٤) في طبقات ابن سعد : أيمن بن عُبيد بن زيد الخزرجي ، وهو ابن أم أيمن ، أخو أسامة بن زيد لأمه .

المطلب بن أسد ، جمح به فرسٌ يقال له الجَنَاحُ[1] فقتل ـ واستحرَّ القتلُ في بني نصر بن معاوية ، ثم في بني رئاب ، فذُكر ذلك للنبي ﷺ ، فقال : اللهم اجبرْ مصيبتَهم .

ووقف مالك بن عوف على ثنية من الثنايا حتى مضى ضعفاء أصحابه وتتامَّ آخرهم ، ثم هربَ فتحصَّن في قصر يليه ، ويقال : دخلَ حصن ثقيف .

وأمرَ رسولُ الله ﷺ بالسبي والغنائم تُجْمَع ، فجُمع ذلك كله ، وحدروه إلى الجِعرَّانة ، فوُقف بها إلى أن انصرف رسولُ الله ﷺ من الطائف ، وهم في حظائر لهم يستظلون بها من الشمس . وكان السبي ستةَ آلاف رأس ، والإبل أربعة وعشرون ألفاً ، والغنم أكثر من أربعين ألف شاة ، وأربعة آلاف أوقيةفضة ، فاستأنى رسولُ الله ﷺ بالسبي أن يقدم عليه وفدُهم ، وبدأ بالأموال فقسَّمها ، وأعطى المؤلَّفةَ قلوبهم أوَّلَ الناس ، فأعطى أبا سفيان بن حرب أربعين أُوقية ومائة من الإبل . قال : ابني يزيد ؟ قال : أعطوه أربعين أوقية ومائة من الإبل . قال : ابني معاوية ؟ قال : أعطوه أربعين أوقية ومائة من الإبل . وأعطى حكيم بنَ حزام مائة من الإبل ، ثم سأله مائة أخرى فأعطاه . وأعطى النَّضْرَ بن الحارث بن كَلَدة مائة من الإبل ، وأعطى أُسيد بن جارية الثقفي مائة من الإبل ، وأعطى العلاء بن جارية الثقفي خمسين بعيراً ، وأعطى مخرمة بن نوفل خمسين بعَيراً ، وأعطى الحارث بن هشام مائة من الإبل ، وأعطى سعيدَ بن يربوع خمسين من الإبل ، وأعطى صفوان بن أمية مائة من الإبل ، وأعطى قيسَ بن عديّ مائة من الإبل ، وأعطى عثمان بن وهب خمسين من الإبل ، وأعطى سُهيل بن عمرو مائة من الإبل ، وأعطى حُويطب بن عبد العزى مائة من الإبل ، وأعطى هشام بن عمرو العامري خمسين من الإبل ، وأعطى الأقرعَ بن حابس التميمي مائة من الإبل ، وأعطى عُيينة بن حصن مائة من الإبل ، وأعطى مالك بن عوف مائة من الإبل ، وأعطى العباس بن مِرداس أربعين من الإبل . فقال في ذلك شعراً ، فأعطاه مائة من الإبل . ويُقال خمسين .

وأعطى ذلك كلَّه من الخمس وهو أثبتُ الأقاويل عندنا .

ثم أمرَ زيدَ بن ثابت بإحصاء الناس والغنائم ، ثم فضَّها على الناس ، فكانت سهمانهم لكل رجل أربعاً من الإبل وأربعين شاة ، فإن كان فارساً أخذ ثنتي عشرةمن الإبل وعشرين

---

(١) في جميع النسخ « الجمَّاح » ، والتصحيح من السيرة النبوية ، ونور النبراس لوحة ٣/ ٩٠ .

ومائة شاة ، وإن كان معه أكثر من فرس واحد لم يُسهم له[1] .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب ، ولم يكن في الأنصار منها شيء ، وَجِد هذا الحيُّ من الأنصار في أنفسهم ، حتى كثرت منهم القالة ، حتى قال قائلهم : لقي والله رسول الله ﷺ قومَه . فدخل عليه سعدُ بن عُبادة ، فقال : يا رسول الله إن هذا الحيَّ من الأنصار قد وَجِدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبتَ ، قسمتَ في قومك ، وأعطيتَ عطايا عظاماً في قبائل العرب ، ولم يكن في هذا الحيِّ من الأنصار منها شيء . قال : فأين أنتَ من ذلك يا سعد ؟ فقال : يا رسول الله ما أنا إلا من قومي . قال : فاجمَعْ لي قومَك في هذه الحظيرة . قال : فجاء رجالٌ من المهاجرين ، فتركهم فدخلوا؛ وجاء آخرون فردَّهم ، فلما اجتمعوا له ، أتى سعد فقال : قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار ، فأتاهم رسولُ الله ﷺ ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : يا معشر الأنصار ما قالة بلغتني عنكم ، وجِدة وجدتموها عليَّ في أنفسكم ؟ ألم آتكم ضُلاَّلاً فهداكم الله ؟ وعالةً فأغناكم الله ، وأعداء فألَّف الله بين قلوبكم ؟ قالوا : بلى ، الله ورسولُه أَمَنُّ وأفضلُ . ثم قال : ألا تجيبوني يا معشر الأنصار ؟ قالوا : بماذا نجيبكُ يا رسول الله ، لله ولرسولِه المَنُّ والفضلُ . قال : أما والله لو شئتم لقلتم فلصَدقتم ولصُدِّقتُم : أتيتنا مُكَذَّباً فصدَّقناك ، ومخذولاً فنصرناكَ ، وطريداً فآويناك ، وعائلاً فآسيناك . أوجدتم يا معشرَ الأنصار في أنفسكم في لغاعة[2] من الدنيا تألَّفتُ بها قوماً ليُسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالِكم ؟ فوالذي نفسُ محمد بيده لولا الهجرة لكنتُ امرأ من الأنصار ، ولو سلكَ النَّاسُ شِعبْاً وسلكتِ الأنصار شعباً لسلكتُ شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار . قال : فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله ﷺ قَسْماً وحظّاً . ثم انصرف

---

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١٥٢/٢ ــ ١٥٣ .

(٢) « لغاعة » : بمعجمتين ، وفي السيرة النبوية ، وبعض النسخ « لعاعة » بالمهملتين ، واللغاعة : الكلأ الخفيف ، والمعنى : أغضبتم لأجل شيء يسير من الدنيا ؟! .

رسول الله ﷺ وتفرَّقوا[1] .

وقدمتِ الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى ، أختُ رسول الله ﷺ من الرضاعة ، فقالت : يا رسول الله إني أختك . قال : وما علامة ذلك ؟ قالت : عضة عضضتَنيها في ظهري وأنا متورِّكتُك . قال : فعرف رسولُ الله ﷺ العلامةَ ، فبسطَ لها رداءه ، وأجلسها عليه ، وخيَّرها ، وقال : إن أحببتِ فعندي محببةً مكرمةً ، وإن أحببتِ أن أمتعك وترجعي إلى قومِك فعلتُ . قالت : بل تمتعني وتردُّني إلى قومي ففعل . فزعمتْ بنو سعد أنه أعطاها غلاماً له يُقال له مكحول وجارية ، فزوَّجت أحدهما الآخر ، فلم يزل فيهم من نسلهما بقية[2] .

وقال أبو عمر : فأسلمتْ ، فأعطاها رسولُ الله ﷺ ثلاثة أعبد وجارية ونَعَماً وشاء . وسماها : حذافة ، وقال : الشيماء لقب .

وقدمَ وفدُ هوازن على رسول الله ﷺ ، وهم أربعة عشر رجلاً ، ورأسهم زهير بن صُرَد ، وفيهم أبو برْقان عم رسول الله ﷺ من الرضاعة ، فسألوه أن يمنَّ عليهم بالسبي . فقال أبناؤكم ونساؤكم أحبُّ إليكم أم أموالُكم ؟ قالوا : ما كنا نعدل بالأحساب شيئاً . فقال : أما ما لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ، وسأسألُ لكم النَّاسَ . فقال المهاجرون والأنصار : ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ . فقال الأقرعُ بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا . وقال عُيينةُ بن حِصن . أما أنا وبنو فَزارة فلا . وقال العبَّاس بن مِرداس : أما أنا وبنو سُليم فلا . فقالت بنو سُليم : ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ . فقال العباسُ بن مِرداس : وهَّنتمُوني . وقال رسول الله ﷺ : إن هؤلاء القوم جاؤوا مسلمين ، وقد كنت استأنيت بسبيهم ، وقد خيَّرتُهم فلم يعَدِلوا بالأبناء والنساء شيئاً ، فمن كان عنده منهنَّ شيء فطابَتْ نفسُه بأن يردَّه فسبيلُ ذلك ، ومن أبى فليردَّ عليهم وليكنْ ذلك فَرْضاً علينا ؛ ستُّ فرائض[3] من أول

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٤٩٨ ـــ ٥٠٠ .

(٢) المصدر السابق ٢/٤٨٥ .

(٣) عبارة السيرة النبوية ؛ لابن هشام : « أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي ؛ فله بكل إنسان ست فرائض من أول سبي أصيبه » .

و« الفرائض » : جمع فريضة ، وهي البعير ، وأصلها البعير المأخوذ في الزكاة ، سمي بذلك لأنه فرض واجب على ربِّ المال ، ثم سُمي به البعير مطلقاً .

ما يُفيء الله علينا . قالوا : رضينا وسلَّمنا . فردوا عليهم نساءهم وأبناءهم ، ولم يتخلف منهم أحدٌ غيرُ عُيينة بن حصن ، فإنه أبى أن يردَّ عجوزاً صارتْ في يديْه منهم ، ثم ردَّها بعد ذلك . وكان رسولُ الله ﷺ قد كَسَا السبيَ قُبطيةً قُبْطيةً[1] .

أخبرنا أبو عبد الله بن أبي الفتح المقدسي سماعاً بالزُعيزِعية[2] بمرج دمشق ، أنبأنا أبو الفخر أسعد بن سعيد بن رَوْح الصالحاني وأم حبيبة عائشة بنت الحافظ أبي أحمد معمر بن الفاخر الأصبهانيان إجازة منهما ، قالا : أخبرتنا أم إبراهيم فاطمة بنت عبد الله بن أحمد بن القاسم بن عقيل الجُوزدانية ، قال الأول سماعاً ، وقالت الثانية حضوراً ، قالت : أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن رِيْذَة ، أنبأنا أبو القاسم الطبراني ، حدثنا عبيد الله بن رُمَاحِس القيسي برمادة[3] الرملة سنة أربع وسبعين ومائتين ، حدثنا أبو عمرو زياد بن طارق ــ وكان قد أتت عليه مائة وعشرون سنة ــ قال : سمعتُ أبا جرول زهير بن صُرد الجُشَمي يقول : لما أسَرَنا رسولُ الله ﷺ يوم حُنين يوم هوازن ، وذهبَ يفرق السبيَ والشاء ، أتيته فأنشأتُ أقول هذا الشعر :

امننْ علينا رسولَ الله في كرم ... فإنك المرء نرجوه وننتظر
امنن على بيضةٍ قد عاقَها قَدَرٌ ... مُشَتَّتٌ شملُها في دهرها غِيَر[4]
أبقت لنا الدهرَ هتَّافاً على حَزَنٍ ... على قلوبهمُ الغمَّاء والغَمَرُ
إن لم تَداركهمُ نعماء تنشرُها ... يا أرجحَ النَاس حِلْماً حين يُختبر
امنن على نسوةٍ قد كنتَ تَرضعُها ... إذ فوك تملؤه من مَحْضِها الدِّرَرُ[5]
إذ أنت طفل صغير كنت تَرضعُها ... وإذ يَزينُكَ ما تأتي وما تَذَرُ

---

(١) « قُبطية » : ضمت قافُها على غير قياس ، والتزموا كسرها في نسبة الإنسان ، جمعها قباطي ، نسبة إلى القبط ، وهي ثوب رقيق أبيض مصنوع في مصر .

(٢) « الزُّعُيزِعيّة » : قرية بمرج دمشق ، من غوطتها الشرقية .

(٣) « رمادة الرملة » : وهي رمادة فلسطين ؛ كما في معجم البلدان ٦٦/٣ .

(٤) « على بيضةٍ » : البيضة هنا الأصل والعشيرة .

(٥) « محضها » : حليبها الخالص . و« الدرر » : ما يدره ثديها من الحليب .

لا تجعلَنَّا كمنْ شَالتْ نَعامَتُه   واستبقِ منا فإنا معشر زُهرُ[1]
إنا لنشكرُ للنعَماء إذ كُفرتْ   وعندنا بعد هذا اليوم مُدَّخرُ
فألبسِ العفوَ من قد كنتَ تَرضعُه   مِن أُمَّهاتِك إن العفوَ مُشتَهرُ
ياخيرَ من مَرِحَتْ كُمْتُ الجياد به   عند الهياج إذا ما استوقدَ الشَّرَرُ[2]
إنا نُؤمِّل عفواً منك تُلبسُه   هذي البريّةَ إذ تعفو وتنتصرُ
فاعفُ عفا الله عما أنت راهبُه   يوم القيامة إذ يُهدى لك الظفرُ

قال : فلما سمع النبيُّ ﷺ هذا الشعر قال : « ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم » . وقالت قريش : ما كان لنا فهو لله ولرسوله . وقالت الأنصار : ما كان لنا فهو لله ولرسوله .

قال الطبراني : لا يُروى عن زهير بن صُرد بهذا التمام إلا بهذا الإسناد ، تفرَّد به عبيد الله بن رماحس .

ومما قيل من الشعر في يوم حنين : قول العباس بن مِرداس السُّلَمي :

عفى مَجْدَلٌ من أهله فمُتَالِعُ   فمِطْلى أريكٍ قد خلا فالمصانعُ[3]
ديار لنا يا جُمْلُ إذ جُلُّ عيشنا   رخيٌّ وصرْفُ الدهر للحيِّ جامعُ[4]
حُبَيِّبَةٌ ألوتْ بها غُرْبةُ النَّوى   لبينٍ، فهل ماضٍ من العيش راجعُ؟[5]
فإنْ تتبعِ الكفارَ غيرَ ملومةٍ   فإني وزيرٌ للنبيِّ وتابعُ
دعانا إليه خيرُ وفدٍ عَلِمتُهمْ   خُزيمةُ والمرَّارُ منهم وواسعُ[6]

---

(١) « شالت نعامته » : النعامة : باطن القدم ، وشالت : ارتفعت . ومن هلكَ ارتفعت رجلاه فبانت نعامته ، فالتركيب كناية عن الهلاك .

(٢) « كُمْتُ » : جميع كميت ، وهو ما كان لونه أحمر ضارب إلى السواد ، و« مَرِحَتْ » : نشطت .

(٣) « مُتالِعُ » : جبل بنجد . و« أريك » : موضع في ديار ذبيان . و« المصانع » : مستودعات تُصنع للماء مثل الصهاريج . وانظر شرح غيرها من الألفاظ الغريبة في فوائد المؤلف ص ٢٦٧ .

(٤) « جُمْلُ » : اسم امرأة . و« صَرْفُ الدهر » : في الأصول : « صرفُ الدارِ » والتصحيح من السيرة الشامية ٥/٥٠٤ . وصَرْفه : تغيُّره .

(٥) « حُبَيِّبَةٌ » : تصغير حبيبة ، وفي السيرة الشامية « حُبيبية » وقال : نسبة إلى بني حُبيب . و« ألوت بها » غيَّرتها .

(٦) « خزيمةُ والمَرَّارُ وواسع » : ثلاثتهم ممن وفد على رسول الله ﷺ من بني سُلَيْم .

فجئنا بألفٍ من سُليمٍ عليهمُ ... لَبوسٌ لهم من نَسْجِ دَاودَ رائعُ
نبايعُه بالأخشبين وإنما ... يدَ الله بين الأخشبين نُبايعُ
فجُسْنَا مع المهديِّ مكة عنْوةً ... بأسيافنا والنقعُ كابٍ وساطعُ[1]
علانيةً والخيلُ يغشَى مُتونَها ... حميمٌ وآنٌ من دمِ الجوفِ ناقعُ[2]
ويومَ حُنينٍ حين سارتْ هوازنٌ ... إلينا وضَاقتْ بالنفوس الأضالعُ
صبرنا مع الضحاكِ لا يستفزُّنَا ... قِراعُ الأعادى منهمُ والوقائعُ[3]
أمامَ رسولِ الله يخفقُ فوقَنا ... لواء كَخُذرُوفِ السَّحابةِ لامعُ[4]
عَشيَّةَ ضَحَّاكِ بن سفيانَ مُعتصٍ ... بسيف رسول اللَّهِ والموت كانعُ[5]
نذود أخَانا عن أخِينا ولو نرى ... مَصالاً لكنَّا الأقربينَ نُتابعُ[6]
ولكنَّ دينَ الله دينَ محمد ... رضِينا به ، فيه الهُدى والشرائعُ
أقامَ به بعد الضلالةِ أمرَنا ... وليس لأمرٍ حَمَّهُ اللَّهُ دافعُ[7]

وقوله :

ما بالُ عينِك فيها عائرٌ سَهِرُ ... مِثْلُ الحماطَةِ أغضى فوقَها الشُّفرُ[8]
عينٌ تأوَّبَها من شجوِها أرقٌ ... فالماء يغمرُها طَوْرًا وينحدرُ[9]
كأنه نظمُ دُرٍّ عندَ ناظمِهِ ... تَقَطَّعَ السلكُ منه فهو منتثر
يا بعدَ منزلِ من ترجُو مَوَدَّتَه ... ومَنْ أتى دُونَه الصُّمَّانُ فالحَفرُ
دع ما تقدَّم من عهد الشباب فقد ... ولَّى الشبابُ وزارَ الشيبُ والذُّعُرُ[10]

(١) « كابٍ » : مرتفع ، و« ساطع » : متفرق .
(٢) « حميمٌ » : عَرَق ، و« آنٌ » : دم حار ، و« ناقع » : كثير .
(٣) « الضحَّاك » : انظر نسبه في فوائد المؤلف ص ٢٦٧ .
(٤) « خذروف السحابة » : انظر الشرح في فوائد المؤلف ص ٢٦٧ .
(٥) « مُعتص » : اسم فاعل ، من قولهم : اعتصى القوم بالسيوف ؛ إذا ضاربوا بها .
(٦) انظر شرح الألفاظ ومعنى البيت في فوائد المؤلف ص ٢٦٧ .
(٧) « حَمَّه الله » : قضاه وقدره .
(٨) « الشُّفُر » : وأصلها بسكون الفاء ، وحُركت بالضم إتباعاً ، وهو أصل منبت شعر الجفن .
(٩) « تأوَّبَها » : جاءها مع الليل .
(١٠) « الذُّعُر » : الخوف ، وتروى « الزُّعُر » : وهو قلة الشَّعر .

واذكُرْ بلاءَ سُليمٍ في مواطِنِها وفي سُليم لأهلِ الفخرِ مُفتَخرُ
قومٌ هُمُ نصَرُوا الرحمنَ واتَّبعُوا دينَ الرسول وأمرُ الناس مُشتجِرُ
لا يغرسونَ فسيلَ النخلِ وسطَهُمُ ولا تخاورُ في مشتاهُم البقرُ[1]
إلا سوابحَ كالعِقْبانِ مَقْرُبَةً في دارةٍ حولَها الأخطارُ والعَكَرُ[2]
يُدعى خُفافٌ وعوفٌ في جوانبها وحيُّ ذكوانَ لا مِيلٌ ولا ضُجُرُ[3]
الضَّاربونَ جنودَ الشرك ضاحيةً ببطنِ مكَّةَ والأرواحُ تُبتدرُ
حتى رفعنَا وقتلاهُمْ كأنَّهُمُ نخلٌ بظاهرةِ البطحاءِ مُنْقَعِرُ
ونحن يومَ حُنينٍ كانَ مشهدُنا للدين عِزّاً وعندَ الله مُدَّخرُ
إذ نركبُ الموتَ مُخْضرّاً بطائنه والخيلُ ينجابُ عنها ساطعٌ كَدِرُ
تحتَ اللوامعِ والضحَّاكُ يَقْدُمُنَا كما مشى الليثُ في غاباتِه الخَدِرُ[4]
في مأزقٍ من مَكَرِّ الحربِ كَلْكَلُها تكادُ تأْفِلُ منه الشمسُ والقمرُ
وقد صبرنَا بأوطاسٍ أسِنَّتَنَا لله ننصرُ مَنْ شِئنا وننتصرُ
حتى تأوَّبَ أقوامٌ منازلَهم لولا المليكُ ولولا نحنُ ما صَدَرُوا
فما ترى معشراً قلُّوا ولا كَثُرُوا إلاَّ وأصبحَ مِنَّا فيهمُ أثرُ

وقد تركت من شعر العباس ما يبدو فضلُه ويُستحسن مثلُه ، إيثاراً للاختصار ، والله تعالى أعلم .

* * *

(١) يُريد أنهم ليسو أهل زرع ، ولا أهل تربية نَعَم ، وإنما أهل حرب وانتقال .

(٢) انظر الشرح في فوائد المؤلف ص ٢٦٧ .

(٣) « خِفاف » : هو ابن عُمير بن الحارث ، من شعرائهم المعدودين ، المعروف بابن ندبة ، ممن شهد حُنيناً ، وثبت على إسلامه في الردة . نور النبراس لوحة ٣/٩٨ .

و« عوف » : هو ابن أبي عوف الأشجعي ، أول مشاهده خيبر ، وشهد الفتح ، وكانت معه راية أشجع رضي الله عنه ، عمر دهراً ، وسكن الشام ، وتوفي في إمرة عبد الملك بن مروان سنة ٧٣هـ . نور النبراس لوحة ٣/٩٨ .

(٤) « الخَدِر » : الداخل في خدره ؛ أي في عرينه .

ذكر فوائد تتعلق بغزوة حُنين

وما اتّصلَ بها

● حنين بن قانية بن مهلائيل هو الذي يُنسب إليه الموضع . وهي غزوة حُنين وهوازن وأوطاس ، سميت بأوطاس باسم الموضع الذي كانت فيه الوقعة أخيراً حيث اجتمع فُلاَّلهم ، وتوجَّه إليهم أبو عامر الأشعري كما سبق .

● والوطيس : التنور ، وفي هذه الغزوة قال عليه الصلاة والسلام : « الآنَ حميَ الوطيسُ » حين استعرت الحرب ، وهي من الكلم التي لم يُسبق إليها ﷺ ، وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام في غير هذه الوقعة : « يا خيلَ اللّهِ اركبي » .

● وقوله : « فأنقضَ به » أي صوَّتَ بلسانه في فيه ، من النقيض وهو الصوت .

● وقوله : « راعي ضأن » يَجهِّلُه بذلك .

● وفرارُ من كان معه عليه الصلاة والسلام يوم حُنين ، قد أعقبَه رُجوعهم إليه سَرَعَة[1] ، وقتالهم معه حتى كان الفتح ، ففي ذلك نزلت : ﴿ ويومَ حُنينٍ إذ أَعَجَبتْكم كثرتُكم فلم تُغْن عِنكُم شيئاً ﴾ إلى قوله : ﴿ واللّهُ غفورٌ رحيم ﴾ [التوبة : ٢٥ ـــ ٢٧] كما قال فيمن تولّى يوم أُحد ﴿ ولقد عفَا الله عنهم ﴾ [آل عمران : ١٥٥] وإن اختلف الحال في الواقعتين .

● ويوم حُنين قال عليه الصلاة والسلام : « من قتَل قتيلاً فله سَلَبُه » فصار حكماً مستمراً ، وقتلَ أبو طلحة يومئذ عشرين وأخذ أسلابهم ، وفي هذه المسألة خلاف بين العلماء ليس هذا موضع ذكره .

● وفي خبر جُبير بن مطعم عن رؤيته الملائكة : رأيت مثل البِجَاد من النمل ـــ والبِجاد : الكساء ـــ وقد قال غيره يومئذ : رأيتُ رجالاً بيضاً على خيل بُلْقٍ ، فكانت الملائكة .

---

(١) « سَرَعَة » : مُسرعين ، والمفرد منها : سارع ، والفعل : سَرُعَ ، مثل كاتب وكتبة ، وبارٌ وبررة .

● والبغلة التي كان عليها النبيُّ ﷺ يومئذ : هي المسماة « فضة » التي أهداها له فروةُ بن نُفاثةَ .

● والمجدل : القصر ، وهو في هذا البيت اسم علم لمكان .

● ومِطلاء : يُمدُّ ويُقصر ، وهي أرض تعقلُ الرجلَ عن المشي .

● وخُذروف السحاب : أراد به البرق الذي في السحاب .

● وكانع : حاضر نازل .

● والضحاك بن سفيان : كانت بيده رايةُ سُليم يوم حُنين . قال البرقي : ليس هو الضحاك بن سفيان الكِلابي ، إنما هو الضحاك بن سفيان السلمي . وفي رواية غير البكائي عن ابن إسحاق رفع نسبه إلى بهثة بن سُليم ، لم يذكر أبو عمر السلميَّ .

● وقوله : نذود أخانا .. البيت : يُريد أنه من سُليم ،وسُليم من قيس ، كما أن هوازن من قيس ، كلاهما ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس . ومعناه : نقاتل إخوتنا ونذودهم عن إخوتنا من سُليم ، ولو نرى في حُكم الدِّين مَصالا : مَفعلاً ، من الصولة لكنا مع الأقربين يريد هوازن .

● والحَماطة : من ورق الشجر ما فيه خشونة .

● والعائر : كالشيء يَنخُسُ في العين لأنه يُعوِّرها .

● والسَّهِرُ : الرجل ، لأنه لَمَّا لم يُفتر عنه ، فكأنه سَهِرَ ولم ينم .

● والصِّمان والحَفَرُ : موضعان .

● وقوله لا يغرسون فَسِيلَ النخل : يعني أهل المدينة ، يُعيِّرهم بذلك .

● والمُقْرَبَة : الخيل التي قُرِّبت مرابطها .

● والأخطار : جمع خطر ، وهو القطيع الضخم من الإبل .

● والعَكَر : ما فوق خمسمائة من الإبل .

● وضاحية كل شيء : نواحيه البارزة . والظاهرة من الأرض : ما غَلُظَ منها .

سرية الطفيل بن عمرو الدوسي

إلى ذي الكفين في شوال سنة ثمان

قال ابن سعد : لما أراد رسولُ الله ﷺ المسير إلى الطائف ، بعث الطفيل بن عمرو إلى ذي الكفين ــ صنم عمرو بن حُممة الدوسي ــ يهدمه ، وأمره أن يستمد قومه ويوافيَه بالطائف ، فخرج سريعاً إلى قومه فهدم ذا الكفين ، وجعل يحشُّ[1] النارَ في وجهه ويحرقه ، ويقول :

يا ذا الكفين لستُ من عُبَّادِكَا ... ميلادُنا أقدمُ من ميلادِكَا

أنا حشَشتُ النَّارَ في فؤادِكَا

قال : وانحدر معه من قومه أربعمائة سِراعاً ، فوافَوْا النبيَّ ﷺ بالطائف بعد مقدمه بأربعة أيام ، وقدم بدبابة[2] ومَنجنيق ، وقال : يا معشر الأزد من يحملُ رايتَكم ، فقال الطفيل : من كان يحملُها في الجاهلية ؟ قالوا : النعمان بن الرازية اللِّهْبِيّ . قال : أصبتم[3] .

* * *

---

(١) « يحشُّ النار » : يُوقدها .

(٢) « بدبابة » : آلة من آلات الحرب ، يدخل فيها الرجال ، فيدنون بها إلى الأسوار ؛ لينقبوها .

(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١٥٧/٢ .

غزوة الطائف

في شوال سنة ثمان

قال ابن سعد : قالوا : خرجَ رسولُ الله ﷺ من حُنين يُريد الطائفَ ، وقدّم خالد بن الوليد على مقدّمته ، وقد كانت ثقيف رَمُّوا[1] حصنَهم ، وأدخلوا فيه ما يُصلحهم لسنة ، فلما انهزموا من أوطاس دخلوا حصنهم وأغلقوه عليهم ، وتهيؤوا للقتال ، وسار رسولُ الله ﷺ فنزلَ قريباً من حصن الطائف وعسكر هناك ، فرمَوْا المسلمينَ بالنبل رَمْياً شديداً كأنّه رِجْل[2] جراد ، حتى أُصيب من المسلمين ناس بجراحة ، وقُتل منهم اثنا عشر رجلاً ، فارتفعَ رسولُ الله ﷺ إلى موضع مسجد الطائف اليوم ، وكان معه من نسائه أم سلمة وزينب ، فضرب لهما قبّتين ، وكان يُصلّي بين القبّتين حصارَ الطائف كلَّه ، فحاصرهم ثمانية عشر يوماً ، ويُقال خمسة عشر يوماً[3] .

وقال ابن إسحاق : بضعاً وعشرين ليلة . وقال ابن هشام : سبعة عشر يوماً ، ونصب عليهم المَنْجنيق ، وهو أوّل ما رَمى به في الإسلام فيما ذكر ابن هشام[4] .

ورويناه عن ابن سعد قال : أخبرنا قَبيصة بن عقبة ، أخبرنا سفيان الثوري ، عن ثور بن يزيد ، عن مكحول ؛ أن النبيَّ ﷺ نصبَ المَنجنيق على أهل الطائف أربعين يوماً[5] .

قال ابن إسحاق : حتى إذا كان يومُ الشَّدْخةِ عند جدار الطائف ، دخل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ تحت دبابةٍ ، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليخرقوه ، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقيف بالنبل ، فقتلوا منهم رجالاً ، فأمرَ رسولُ الله ﷺ بقطع أعنابِ ثقيف ، فوقع الناس فيها يقطعون[4] .

---

(١) « رَمُّوا حصنهم » : أصلحوه ورمّموه .

(٢) « رِجْلُ جراد » : بكسر الراء ، الكثير منه .

(٣) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١٥٨/٢ .

(٤) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٤٨٢/٢ ــ ٤٨٣ .

(٥) الطبقات الكبرى ١٥٩/٢ .

قال ابن سعد : ثم سألوه أن يدعها لله وللرحم ، فقال رسول الله ﷺ : فإني أدعُها لله وللرحم . ونادى منادي رسول الله ﷺ أيّما عبدٍ نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر . فخرج منهم بضعة عشر رجلاً فيهم أبو بَكْرة ، نزل في بَكرة[1] ، فقيل : أبو بَكْرة . فعتقهم رسولُ الله ﷺ ، ودفع كلَّ رجل منهم إلى رجل من المسلمين يُموِّنه ، فشقَّ ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة ، ولم يُؤذن لرسول الله ﷺ في فتح الطائف .

واستشارَ رسولُ الله ﷺ نوفلَ بن معاوية الديلي ، فقال : ما ترى ؟ فقال : ثعلب في جُحْر إن أقمتَ عليه أخذتَه ، وإن تركته لم يضرَّك . فأمر رسولُ الله ﷺ عمرَ بن الخطاب فأذَّن في الناس بالرحيل ، فضجَّ الناس من ذلك ، وقالوا : نرحلُ ولم يُفتحْ علينا الطائف ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : فاغدوا على القتال . فغدوا ، فأصابتِ المسلمين جراحات ، فقال رسولُ الله ﷺ إنا قافلون إن شاء الله ، فسروا بذلك ، وأذعنوا ، وجعلوا يرحلون ورسول الله ﷺ يضحك ، وقال لهم رسول الله ﷺ : قولوا لا إله إلا الله وحده ، صدقَ وعدَه ، ونصرَ عبدَه ، وهزمَ الأحزابَ وحدَه . فلما ارتحلوا واستقلوا ، قال : قولوا : آيبون ، تائبون ، عابدون ، لربنا حامدون . وقيل : يا رسول الله ادع الله على ثقيف . قال : اللهم اهد ثقيفاً وائت بهم مسلمين[2] . والله تعالى أعلم .

تسمية من استشهد بالطائف مع رسول الله ﷺ

عن ابن إسحاق : سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، وعُرْفطة بن جنّاب حليف لهم من الأزد بن الغوث ، قال ابن هشام : ويقال : ابن حُبَاب . وعبد الله بن أبي بكرالصديق ، رُمي بسهم فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وعبد الله بن أبي أمية المخزومي ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة العدوي ؛ حليف لهم ، والسائب بن الحارث السهمي ، وأخوه عبد الله[3] .

ومن بني سعد بن ليث : جُليحة بن عبد الله .

---

(١) « بَكَرة » : خشبة مستديرة في وسطها مَحَزٌّ يجري فيه الحبل ، والبَكَرة : يُستقى عليها .

(٢) الطبقات الكبرى ٢/٢٠٢ .

(٣) هؤلاء كلهم من قريش .

ومن الأنصار : ثابت بن الجَذَع السُّلْمي ، والحارث بن سهل بن أبي صعصعة المازني النجاري ، والمنذر بن عبد الله الساعدي(١) . ومن الأوس : رُقيم بن ثابت بن ثعلبة(٢) .

ثم خرجَ رسولُ الله ﷺ عن الطائف إلى الجِعْرانة ، وبها قسم غنائم حُنين كما تقدم .

قال ابن سعد : ثم بعثَ رسول الله ﷺ المُصدِّقين(٣) ، قالوا : لما رأى رسولُ الله ﷺ هلال المحرم سنة تسع بعث المُصدِّقين ، يُصدِّقون العرب ، فبعث عُيينةَ بن حصن إلى بني تميم ، وبعث بُريدة بن الحُصيب إلى أسلم وغفار ، ويقال : بعث كعب بن مالك ، وبعث عبَّاد بن بشر الأشهلي إلى سُليم ومُزينة ، وبعث رافعَ بن مَكيث إلى جُهينة ، وبعث عمرَو بن العاص إلى بني فزارة ، وبعث الضحَّاك بن سفيان الكلابي إلى بني كلاب ، وبعث بُسرَ بن سفيان الكعبي إلى بني كعب ، وبعث ابن اللُّتبية الأزدي إلى بني ذبيان ، وبعث رجلاً من بني سعد هُذيم على صدقاتهم . وأمر رسولُ الله ﷺ مصدقيه أن يأخذوا العفوَ منهم ، ويتوقَّوْا كرائمَ أموالهم(٤) .

قال ابن إسحاق : وبعث المهاجرَين أبي أمية إلى صنعاء ، فخرج عليه العنسيُّ وهو بها ، وبعثَ زياد بن لَبيد إلى حضرموت ، وبعث عديَّ بن حاتم على طيء وبني أسد ، وبعث مالكَ بن نُويرة على صدقاتِ بني حنظلة ، وفرَّق صدقاتِ بني سعد على رجلين : الزِّبرقان بن بدر على ناحية ، وقيس بن عاصم على ناحية ، والعلاء بن الحضرمي على البحرين ، وبعثَ عليّاً إلى نجران ليجمعَ صدقاتهم ويقدم عليه بجزيتهم(٥) .

* * *

(١) هؤلاء الثلاثة من الخزرج .
(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٤٨٦ ــ ٤٨٧ .
(٣) « المصدقين » : جباة الزكاة .
(٤) الطبقات الكبرى ٢/١٦٠ .
(٥) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٦٠٠ .

سرية عُيينة بن حِصن الفَزَاري إلى بني تميم

وكانوا فيما بين السقيا وأرض بني تميم وذلك في المحرم سنة تسع

قالوا : بعث رسولُ الله ﷺ عُيينةَ بن حِصن الفَزَارى إلى بني تميم في خمسين فارساً من العرب ، ليس فيهم مهاجريٌّ ولا أنصاريّ ، فكان يسير الليل ويكمن النهار ، فهجم عليهم في صحراء ، فدخلوا وسرَّحوا مواشيهم ، فلما رأوا الجمعَ ولَّوْا ، وأخذ منهم أحدَ عشر رجلاً ، ووجدوا في المَحلَّة إحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبيّاً ، فجلهم إلى المدينة ، فأمر بهم رسولُ الله ﷺ فحُبسوا في دار رَمْلة بنت الحارث ، فقدم فيهم عِدّة[1] من رؤسائهم ، عطارد بن حاجب ، والزِّبْرِقان بن بدر ، وقيس بن عاصم ، والأقرع بن حابس ، وقيس بن الحارث ، ونعيم بن سعد ، وعمرو بن الأهتم ، ورَباح بن الحارث بن مجاشع . فلما رأوهم بكى إليهم النساء والذراري ، فعجّلوا فجاؤوا إلى باب النبي ﷺ ، فنادَوْا : يا محمد اخرج إلينا . فخرج رسول الله ﷺ ، وأقام بلالٌ الصلاة ، وتعلَّقوا برسول الله ﷺ يُكلِّمونه ، فوقف معهم ، ثم مضى فصلَّى الظهر ، ثم جلس في صَحْن المسجد ، فقدَّموا عطاردَ بن حاجب فتكلَّم وخطبَ ، فأمرَ رسولُ الله ﷺ ثابتَ بن قيس بن شمَّاس فأجابَهم ، ونزل فيهم : ﴿ إنَّ الذين يُنادونك من وراء الحُجرات أكثرهُم لا يعقلون ﴾ [الحجرات : ٤] فردَّ عليهم رسولُ الله ﷺ الأسرى والسبي[2] .

وذكر ابن إسحاق ما وقع بينهما من المفاخرة ، وما وقع بين الشاعرين الزِّبْرِقان بن بدر وحسان بن ثابت من المفاخرة نظماً ، فأنشد الزِّبْرِقان :

نحنُ الكرام فلا حيٌّ يُعادلنا ... منا الملوك وفينا تنصب البِيعُ[3]
وكم قسرنا من الأحياء كلِّهمُ ... عند النِّهابِ وفضلُ العزِّ يُتَّبعُ

---

(١) في « ب » زيادة : قيل : كانوا سبعين .

(٢) الطبقات الكبرى ٢/١٦٠ ــ ١٦١ .

(٣) « البِيَعُ » : جمع بيعة ، بكسر الباء ، مواضع الصلوات والعبادات .

ونحنُ يُطعِـم عنـد القحط مُطعِمُنَا ... من الشِّـواء إذا لم يُؤنسِ القزعُ[1]
أما ترى النـاسَ يـأتينـا سَـراتُهم ... من كلِّ أرضٍ هُوِيّاً ثم نصطنعُ[2]
فننحـرَ الكُومَ عُبْطـاً في أُرومتنـا ... للنـازلينَ إذا مـا أُنزلوا شَبعـوا[1]
فـلا ترانـا إلى حيٍّ نُفـاخرهُـم ... إلا استقـادُوا فكـانوا الرأسَ يُقتطعُ
فمنْ يُفـاخرنـا في ذاك نعرفـه ... فيرجعُ القـومُ والأخبـار تُستمعُ
إنّـا أبينـا ولا يـأبى لنـا أحدٌ ... إنـا كذلك عنـد الفخـر نرتفـعُ

وأُنشد لحسان مُجيباً له :

إنَّ الذوائبَ من فهـرٍ وإخوتِهـم ... قـد بيّنـوا سُـنّـة للنـاس تُتَّبـعُ
يرضى بهم كلُّ من كانت سريرتُه ... تقـوى الإله ، وكلُ الخير يُصطنعُ
قـومٌ إذا حـاربوا ضرُّوا عـدوَّهـم ... أو حاولوا النفع في أشياعِهم نفعُوا
سجيـةٌ تلك منهـم غيرُ مُحدثةٍ ... إنَّ الخلائقَ ــ فاعلم ــ شرُّها البدعُ
إن كان في النـاس سبَّاقونَ بعدَهم ... فكـلُّ سَبْقٍ لأدنى سَبْقِهـم تبعُ
لا يرفعُ النـاسُ مـا أَوهت أكفُّهـم ... عنـد الدفـاع ، ولا يُوهون ما رَفعوا
إن سـابقوا النَّاسَ يوماً فاز سبقُهم ... أو وَازنوا أهـلَ مجدٍ بالنَّدَى مَتعوا[1]
أعفـةٌ ذُكرتْ في الوحي عِفّتُهـم ... لا يَطبعـون ، ولا يُرديهم طَمَـعُ
لا يَبخلـون على جـار بفضلهـم ... ولا يَمسُّهـم مـن مطمعٍ طَبَـعُ[3]
إذا نصبْنـا لحيٍّ لم نَـدِبَّ لـه ... كما يَدِبُّ إلى الوحشيةِ الذَّرَعُ[1]
نسمـو إذا الحربُ نالتنا مَخالبُهـا ... إذا الزعـانفُ من أظفـارها خَشَعوا
لا يفخـرونَ إذا نـالوا عـدوَّهـمُ ... وإن أصيبـوا فـلا خُورٌ ولا هُـلُعُ
كأنهـم في الوغى والمـوتُ مكتنـعٌ ... أُسْـدٌ بحليـةَ في أرساغِهـا فَدَعُ[4]

---

(١) انظر شرح الألفاظ في فوائد المؤلف ص ٢٧٥ .
(٢) « هُوِيّاً » : سراعاً .
(٣) « طَبَع » : الطبع : الدنس ، وهو من باب فرِح ، وفي جميع النسخ والمطبوع اضطراب في البيتين ، والتصحيح من السيرة النبوية ؛ لابن هشام .
(٤) « مكتنع » : دان ، و« حلية » : مأسدة باليمن ، و« الفَدَع » : اعوجاج الرسغ من اليد والرجل ، وهو في الأسود محمود ؛لأنه يدل على قوتها وتمكنها في مشيها .

خـذ منهـم مـا أتى عفـواً إذا غضبـوا ... ولا يكـنْ همُّكَ الأمـرُ الذي منعـوا
فإنَّ في حربهم – فاتركْ عداوتَهم – ... شراً يُخاض عليه السُّم والسَلَعُ[1]
أكـرمْ بقـومٍ رسولُ الله شِيعتُهـم ... إذا تفـاوتتِ الأهـواءُ والشِّيَـعُ
أهـدي لهـم مِـدحتي قـلبٌ يُؤازرُه ... فيما أُحِبُّ لسـانٌ حـائك صَـنَعُ
فإنَّهـم أفضلُ الأحيـاء كلِّهـمُ ... إن جدَّ بالنَّاسِ جِدُّ القولِ أو شَمَعُوا[1]

فلما فرغ حسان ، قال الأقرعُ بن حابس : إنَّ هذا الرجلَ لمُؤتًى له ، لخطيبُه أخطبُ من خطيبنا ، ولشاعرُه أشعرُ من شاعرنا ، ولأصواتُهم أعلى من أصواتنا ، فلما فرغَ القومُ أسلموا ، وجوَّزَهم رسولُ الله ﷺ فأحسنَ جوائزَهم[2] .

ذكر فوائد تتعلق بهذا الخبر

والكلام على شيء من غريب شعره

● الأقرع بن حابس لقب ، واسمه فِراس وكان في رأسه قَرَعٌ فلُقب بذلك . ذُكر ذلك عن ابن دريد .

● واسم عُيينة بن حِصن : حُذيفة ، وكانت عينه جَحَظت فلقب بذلك .

● والزِّبرقان : القمر ، قال الشاعر :

تُضيء بـه المـنـابرُ حـين يَـرقى ... عـليهـا مثـلُ ضـوء الزِّبـرقـان

والزِّبْرقان : الخفيف العارضين ، واسمه الحصين .

● وقوله : إذا لم يُؤنس القزع : يُريد إذا كان الجدب ، ولم يكن في السماء سحاب ينقزع . والتقزع : تفرق السحاب .

● والكُوم : جمع كوماء ، وهي العظيمة السنام .

---

(١) انظر شرح الألفاظ في فوائد المؤلف ص ٢٧٦ .
(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٥٦٣ ــ ٥٦٧ .

● والاعتباط : الموت في الحداثة . قال : من لم يمت عَبْطةً يمت هرماً .

● ومَتعوا : ارتفعوا ، متع النهار إذا ارتفع .

● والذَّرَع : ولد البقر ، وجمعه ذُرعان ، وبقرة مذرع : إذا كانت ذات ذُرعان .

● والسَّلَع : شجر مر .

● وشَمَعوا : أي ضحكوا ، وفي الحديث « مَنْ تَتبَّع المشمعةَ شَمعَ الله به » يُريد من ضحك من الناس وأفرطَ في المزح ، وشَمعتِ الجارية والدابة شُموعاً : لعبت ، ومعناه في البيت هزلوا ، ومنه امرأة شموع ، إذا كانت مَزَّاحة . وذكروا أن قيس بن عاصم كان يُبغضُ عمرو بن الأهتم ، وهو الذي ضرب أباه فهتم فاه[1] ، فشُهرَ بالأهتم ، واسمه سِنان[2] بن سُمَيّ ، فغضٌّ منه بعضَ الغَضٌ عند رسول الله ﷺ ، ومع ذلك فأعطاه رسول الله ﷺ كما أعطى القوم .

● ولما دار بين عمرو والزبرقان قال عليه الصلاة والسلام يومئذ : إن من البيان لسحراً . وذلك أن عمراً قال في الزِّبرقان : إنه لمطاع في أدنيه ، سيِّدٌ في عشيرته . فقال الزِّبرقان : لقد حسدني يا رسول الله لشرفي ، ولقد علم أفضل مما قال . فقال عمرو : إنه لَذمِرُ[3] المروءة ، ضَيِّقُ العَطن[4] ، لئيم الخال. فعُرف الإنكار في وجه رسول الله ﷺ . فقال : يا رسول الله! رضيتُ ، فقلت أحسنَ ما علمت ، وسخطتُ فقلت أقبحَ ما علمت ، ولقد صدقت في الأولى وما كذبت في الثانية . ويُقال كانت أم الزِّبرقان باهلية ، فذلك أراد عمرو .

* * *

(١) « هتم فاه » : كسر ثناياه .

(٢) كذا في الأصول وهو الصحيح ؛ كما أورده الحفاظ ؛ كأبي عمر و ابن الجوزي ، وانظر نور النبراس لوحة ١٠٤/٣ .

(٣) « لَذَمِرُ المروءة » : القليل المروءة .

(٤) « العَطَن » : مبرك الإبل ، يُشير إلى بخله .

سرية قطبة بن عامر بن حَديدة

إلى خعثم بناحية بيشة قريباً من تُرَبَة في صفر سنة تسع

قال ابن سعد : قالوا : بعثَ رسول الله ﷺ قُطْبَةَ في عشرين رجلاً إلى حي من خثعم ، بناحية تَبَالة ، وأمره أن يشن الغارة ، فخرجوا على عشرة أبعرة يعتقبونها ، فأخذوا رجلاً فسألوه ، فاستعجم[1] عليهم ، فجعلَ يصيحُ بالحاضرة ويُحَذِّرهم ، فضربوا عنقَه ، ثم أقاموا حتى نام الحاضرُ ، فشَنُّوا عليهم الغارة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، حتى كثرت الجرحى في الفريقين جميعاً ، وقَتل قطبةُ بن عامر من قتل ، وساقوا النَّعَم والشاء والنساء إلى المدينة ، وجاء سيلٌ أَتِيٌّ فحال بينهم وبينه ، فما يجدون إليه سبيلاً ، وكانت سهمانهم أربعةَ أبعرةٍ ، والبعيرُ يُعْدَلُ بعشر من الغنم ، بعد أن أفرد الخمس[2] .

سرية الضحاك بن سُفيان الكلابي إلى بني كلاب

في شهر ربيع الأول سنة تسع

قالوا : بعثَ رسولُ الله ﷺ جيشاً إلى القُرَطاء ، عليهم الضحاك بن سفيان بن عوف بن أبي بكر الكلابي ، ومعه الأَصْيدُ بن سَلَمة بن قرط ، فلقوهم بالزُّخ زُخ لاَوة ، فدعوهم إلى الإسلام فأبوا ، فقاتلوهم فهزموهم ، فلحق الأَصْيَد أباه سلمة ، وسَلَمة على فرس له في غدير بالزخ ، فدعا أباه إلى الإسلام وأعطاه الأمان ، فسبَّه وسبَّ دينه ، فضرب الأَصْيدُ عرقوبي فرس أبيه ، فلما وقع الفرسُ على عُرقوبيه ارتكز سلمة على رمحه في الماء ، ثم استمسكَ حتى جاءه أحدهم فقتلَه ، ولم يقتلْه ابنه[3] .

● الزخّ : بالزاي والخاء المعجمتين[4] .

---

(١) « استعجمَ » : الاستعجام : السكوت ، والمقصود : امتناعه عن إجابتهم .

(٢) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/٢٠٦ .

(٣) الطبقات الكبرى ٢/٢٠٧ .

(٤) « زج لاوه » بالجيم ، قالوا : وهي موضع بضَرِيّة من ناحية نجد ، وقال في نور النبراس : إنها تصحفت على المؤلف ، ولم أر أحداً ذكرها بالخاء . نور النبراس لوحة ٣/١٠٧ .

سرية علقمة بن مُجَزِّر المُدْلجي إلى الحَبَشة
في شهر ربيع الآخر سنة تسع

قالوا : بلغ رسولَ الله ﷺ أن ناساً من الحبشة تراآهم أهلُ جُدة ، فبعث إليهم علقمةَ بن مُجزِّر في ثلثمائة ، فانتهى إلى جزيرة في البحر ، وقد خاض إليهم البحرَ فهربوا منه . فلما رجعَ تعجَّل بعضُ القوم إلى أهليهم فأذن لهم ، فتعجل عبدُ الله بن حُذافة السهمي فيهم ، فأمَّره على من تعجَّل ، وكانت فيه دُعابة ، فنزلوا ببعض الطريق ، وأوقدوا ناراً يصطلون عليها ويصطنعون ، فقال : عزمت عليكم إلا تواثبتم في هذه النار . فقام بعضُ القوم فتحَجَّزوا حتى ظنَّ أنهم واثبون فيها ، فقال : اجلسوا إنما كنتُ أضحك معكم . فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال : من أمركم بمعصية فلا تُطيعوه(١) .

سرية عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه
إلى الفُلْس صنمِ طيء ، ليهدمَه في التاريخ(٢)

قالوا : بعث رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب في خمسين ومائة رجل من الأنصار على مائة بعير وخمسين فرساً ، ومعه رايةٌ سوداء ولواءٌ أبيض ، إلى الفُلْس ليهدمَه ، فشنوا الغارة على مَحلَّة آل حاتم مع الفجر . فهدموا الفُلْسَ وحرقوه ، وملؤوا أيديَهم من السبي والنَّعم والشاء . وفي السبي أخت عدي بن حاتم ، وهرب عدي إلى الشام ، ووُجد في خزانة الفُلْس ثلاثة أسياف : رَسُوب ، والمِخْذَم ، وسيفٌ يُقال له : اليماني . وثلاثة أدراع . واستعملَ رسول الله ﷺ على السبي أبا قتادة ، واستعمل على الماشية ، والرِّقَة(٣) عبد الله بن عتيك . فلما نزلوا رَكَكَ(٤) . وعزل للنبي ﷺ صفيّاً : رَسُوباً والمِخْذَم ، ثم صار له بعدُ السيفُ الآخر . وعزلَ الخمسَ ، وعزل آل حاتم ، فلم يقسمهم حتى قدم بهم المدينة .

● والفُلْس : بضم الفاء وسكون اللام .

---

(١) الطبقات الكبرى ٢/٢٠٧ .

(٢) « في التاريخ » أي في نفس تاريخ السرية السابقة ، وهو شهر ربيع الآخر سنة تسع .

(٣) « والرِّقة » : جمعها رِقات ؛ كصِفة وصِفات ، وعِدَة وعِدَات ، الوَرِق ، وهو الفضة والدراهم .

(٤) « ركك » : اسم موضع يقع شرقي جبل سلمى من بلاد طَيء .

سرية عُكَّاشة بن مِحْصَن

إلى الجِبَاب أرض عُذرةَ وبَلِيّ ، وكانت في شهر ربيع الآخر سنة تسع من الهجرة .

* * *

خبرُ كعبِ بن زهيرٍ مع النبي ﷺ وقصيدته
وكان فيما بين رجوعه ﷺ من الطائف وغزوة تبوك

قال ابن إسحاق : ولما قدم رسولُ الله ﷺ من منصرفه عن الطائف، كتب بُجير بن زهير إلى أخيه كعب يخبرَه أن رسول الله ﷺ قتلَ رجالاً بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه ، وأن من بقي من شعراء قريش ابن الزِّبعرى وهُبيرة بن أبي وَهب قد هربوا في كل وجه ، فإن كانت لك في نفسك حاجة فطرْ إلى رسول الله ﷺ فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائباً ، وإن أنت لم تفعل فانجُ إلى نَجائِكَ[1] ، وكان كعب قد قال :

ألا أبــلغــا عــني بُجــيراً رســالةً ... فهل لك فيما قلتَ ـ ويَحكَ ـ هل لكَا ؟
فبيِّنْ لنــا إن كنتَ لستَ بفــاعــل ... على أيِّ شــيء غــيرَ ذلك دلَّكَــا ؟
عــلى خــلقٍ لم أُلفِ أمــاً ولا أبــاً ... عليــه ، ولا تُلفي عليــه أخاً لكــا
فإن أنتَ لم تفعلْ فلستُ بآسف ... ولا قائــل إمــا عثرت لعــاً لكــا[2]
سقــاكَ بها المأمــون كــأساً رويّــةً ... فــأنهلك المأمــونُ منها وعلّكــا[2]

قال : وبعث بها إلى بُجير ، فلما أتت بُجيراً كره أن يكتمَها رسولَ الله ﷺ ، فأنشده إياها ، فقال رسول الله ﷺ : سقاك بها المأمون ؟ صدقَ ، وإنه لكذوب ، وأنا المأمون . ولما سمع : « على خلقٍ لم أُلفِ أمّاً ولا أباً عليه » قال : أجل لم يلف عليه أباه ولا أمه . ثم قال بُجير لكعب :

من مبلغٍ كعباً فهل لكَ في التي ... تلومُ عليهــا بــاطلاً وهي أحزمُ
إلى الله ـ لا العزى ولا اللات ـ وحده ... فتنجــو إذا كان النَّجــاء وتســلمُ
لدى يومٍ لا ينجُو وليس بمفلتٍ ... من النار إلا طاهرُ القلب مسلمُ
فدينُ زهــير وهــو لا شــيء دينُــه ... ودينُ أبي سُــلمى عــليَّ مُحــرَّمُ

---

(١) « إلى نجائك » : إلى محل يُنجيك منه .
(٢) انظر شرح الألفاظ في فوائد المؤلف ص ٢٨٧ .

فلما بلغ كعباً الكتاب ضاقت به الأرض ، وأشفق على نفسه ، وأرجفَ به من كان في حاضره من عدوِّه ، فقالوا : هو مقتول . فلما لم يجد من شيء بدّاً قال قصيدتَه التي يمدح فيها رسول الله ﷺ ، ويذكر خوفَه وإرجافَ الوشاة به من عدوِّه ، ثم خرج حتى قدم المدينة ، فنزل على رجل كانت بينَه وبينَه معرفة من جُهينة كما ذُكر لي ، فغدا به إلى رسول الله ﷺ حين صلَّى الصبحَ ، فصلَّى مع رسول الله ﷺ ثم أشار له إلى رسول الله ﷺ ، فقال : هذا رسول الله ﷺ فقم إليه ، واستأمِنْه . فذُكر لي أنه قام إلى رسول الله ﷺ حتى جلس إليه ، فوضع يدَه في يدِه ، وكان رسولُ الله ﷺ لا يعرفُه ، فقال : يا رسول الله إنَّ كعبَ بن زهير قد جاء ليستأمنَ منك تائباً مسلماً ، فهل أنتَ قابلٌ منه إن أنا جئتُك به ؟ قال رسول الله ﷺ : نعم . قال : أنا يا رسول الله كعبُ بن زهير .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادةأنه وثبَ عليه رجلٌ من الأنصار ، فقال : يا رسول الله دعني وعدوَّ الله أضربُ عنقَه . فقال رسولُ الله ﷺ : دعه عنك ، فإنه قد جاء تائباً نازعاً[١] . قال : فغضب كعبٌ على هذا الحي من الأنصار لما صنعَ به صاحبُهم ، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير ، فقال في قصيدته[٢] التي قال حين قدم على رسول الله ﷺ :

بانت سعادُ فقلبي اليوم مَتبولُ ... مُتَيَّمٌ إثرها لم يُفْدَ ، مكبولُ[٣]
وما سعادُ غداةَ البين إذ رحلوا ... إلا أغنُّ، غضيضُ الطرف، مكحولُ[٤]
تجلو عوارضَ ذي ظَلْم إذا ابتسمتْ ... كأنَّه مُنْهَلٌ بالراح ، معلولُ[٥]
شُجَّتْ بذي شَبَمٍ من ماء مَحْنية ، ... صافٍ، بأبطحَ أضحى، وهو مشمولُ[٦]

---

(١) « نازعاً » تاركاً ما كان عليه .

(٢) سنقوم بشرح الألفاظ الغريبة في قصيدة كعب بن زهير ؛ التي لم تشملها فوائد المؤلف رحمه الله تعالى .

(٣) « متبول » ذاهب العقل ، و« متيّم » : مذلل ، و« مكبولُ » مقيد .

(٤) في « ب » و« د » : إذ برزت . و« أغنُّ » : في صوته غنة ويكون الصوت كذلك إذا خرج من الخياشيم ، وهو معروف في الظباء .

(٥) « عوارض » : العوارض : الأسنان كلها أو الضواحك منها . و« ذي ظَلْم » : ذات ماء وبريق .

(٦) « مَحْنِيَة » : المَحْنية : منعطف الوادي ، وهو معروف عندهم بصفاء الماء وبرودته . « بأبطح » : الأبطح : المسيل الواسع الذي فيه دقاق الحصا ، يُريد صفاءه أيضاً . « مشمول » : ضربته ريح الشمال فبردَ .

تنفي الرياحُ القَذَى عنه ، وأفرَطَهُ ... من صَوْبِ غاديةٍ بيضٌ يعاليلُ[1]
ويلُ آمِّها خُلَّةً لو أنها صدقتْ ... بوعدها ، أو لوَ أن النُّصْحَ مقبولُ[2]
لكنها خُلَّةٌ قد سِيطَ من دمها ... فَجْعٌ وولْع ، وإخلافٌ وتبديلُ
فما تدومُ على حالٍ تقومُ بها ... كما تَلَوَّنُ في أثوابها الغولُ[3]
وما تَمَسَّكُ بالوصل الذي زعمتْ ... إلا كما يُمسكُ الماءَ الغرابيلُ
كانت مواعيدُ عُرقوبٍ لها مثلاً ... وما مواعيدها إلا الأباطيلُ
أرجو وآملُ أن يَعْجَلْنَ في أمدٍ ... وما لهنَّ ـ إخالُ ـ الدهرَ تعجيلُ[4]
فلا يَغُرَّنْكَ ما مَنَّتْ وما وَعَدَتْ ... إن الأمانيَّ والأحلامَ تضليلُ
أمستْ سعادُ بأرضٍ لا يُبَلِّغُها ... إلا العِتاقُ النجيباتُ المراسيلُ
ولا يُبَلِّغُها إلا عُذافِرةٌ ... فيها على الأينِ إرقالٌ وتبغيلُ[5]
من كُلِّ نَضَّاخةِ الذِّفْرى إذا عَرِقتْ ... عُرْضَتُها طامسُ الأعلامِ مجهولُ[6]
ترمي النِّجادَ بعيني مُفْرَدٍ لَهَقٍ ... إذا تَوَقَّدَتِ الحِزَّانُ والمِيْلُ[7]

---

(١) « صوب غادية » : الصوب : المطر ، والغادية : السحابة تُمطر في الغداة .

(٢) في « ج » و« هـ » أكرم بها خُلَّة . وفي السيرة النبوية : فيالَها خُلَّة . و« خُلَّة » : الخِلّة : الصديق الصافي الود ، وهي في الأصل مصدر بمعنى الصداقة ؛ قال الله تعالى : ﴿ يومٌ لا بيعٌ فيه ولا خُلَّة ﴾ [البقرة : ٢٤٥] . يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث .

(٣) في « د » و« هـ » : فما تقوم على حالٍ تكونُ بها . و« الغول » : يزعمون أن الغولَ تُرى في الفلاة بألوان شتى ، قيل : وهي ساحرة الجن .

(٤) السيرة النبوية ، وشرح قصيدة كعب ؛ لابن هشام ص ١٦٢ :

أرجو وآملُ أنْ تدنو مودتُها ... وما إخالُ لَدَيْنَا منكِ تنويلُ

(٥) في السيرة النبوية ، وشرح قصيدة كعب ص ١٨٥ : لم يُبَلِّغها و« الأين » الإعياء والتعب .

(٦) « نضّاخة » : كثيرة رَشح العرق ، و« الذِّفرى » : النقرة التي خلف أذن الناقة أو البعير ، وهي أول ما يعرق منها ، مأخوذ من الذَّفَر : وهو الرائحة الظاهرة ، و« طامسُ الأعلام » : دارس العلامات ، و« عُرْضَتُها » : همتها .

(٧) في السيرة النبوية ، وشرح قصيدة كعب ص ١٩٧ : « ترمي الغيوب .. » والغيوب : آثار الطريق التي غابت معالمها عن العيون .

ضخـمٌ مُقَلَّدُهَا ، فعـمٌ مُقَيَّدُهَا ‌‌ ‌ في خَلْقِهَا عن بناتِ الفحلِ تفضيلُ[١]
حرفٌ ، أخوها أبوها ، من مُهَجَّنَةٍ ‌ ‌ وعمُّها خالُها ، قَوْدَاء ، شِمليلُ
يمشي القُرَادُ عليها ثم يُزْلِقُهُ ‌ ‌ مِنها لَبَانٌ وأقرابٌ زَهَالِيلُ[٢]
عَيْرَانَةٌ قُذِفَتْ بالنَّحْضِ عن عُرُضٍ ‌ ‌ مِرْفَقُهَا عن بَنَاتِ الزَّوْرِ مفتولُ[٣]
قَنْوَاءُ في حُرَّتَيْهَا للبصير بها ‌ ‌ عِتْقٌ مُبين ، وفي الخَدَّيْنِ تسهيلُ[٤]
كأنَّ ما فاتَ عينيها وَمَذْبحَها ‌ ‌ من خطمها ، ومن اللَّحْيين ، بِرْطِيلُ[٥]
تُمِرُّ مثلَ عسيبِ النخلِ ذا خُصَلٍ ‌ ‌ في غارزٍ ، لم تَخوَّنْه الأحاليلُ[٦]
تهوي على يَسَرَاتٍ وهي لاهيةٌ ‌ ‌ ذوابلٍ وَقْعُهُنَّ الأرضَ تحليلُ[٧]
سُمْرِ العُجَاياتِ يتركنَ الحَصى زِيَماً ‌ ‌ لم يَقِهِنَّ سوادَ الأُكْمِ تنعيلُ[٨]
يوماً يَظَلُّ به الحِرْبَاءُ مُرتبئاً ‌ ‌ كأنَّ ضَاحِيَه في النَّارِ مملولُ[٩]

---

(١) « مُقَلَّدها » : موضع القِلادة من العُنق ، و« فعمٌ مقيدها » : ممتلىء موضع القيد منها ، و« بنات الفحل » : الإناث من الإبل المنسوبة للفحل المعد للضراب . وفي السيرة النبوية ، وشرح قصيدة كعب ؛ لابن هشام ص ٢٠٦ ـــ ٢٠٩ هذان البيتان :

غلباء وَجْنَاء عُلْكُومٌ مُذَكَّرةٌ ‌ ‌ في دفها سعة ، قدَّامُها ميلُ
وجلدُها من أطومٍ مايُؤَيِّسُه ‌ ‌ طِلْحٌ بضاحيةِ المَتنينِ مهزولُ

(٢) « يُزلقُه » : يُسقطه .

(٣) « عيرانة » : العيرانة : الناقة المشبهة عَيْر الوحش في سرعته ونشاطه وصلابته ، و« النَّحْض » : اللحم ، و« عُرُض » : جانب ، و« الزَّوْر » : الصدر .

(٤) « قَنْوَاء » : محدودبة الأنف ، و« حُرَّتيها » : أذنيها ، و« عتق مبين » : كرم ظاهر ، و« تسهيلُ » : سهولة ولين .

(٥) « خطمها » : أنفها .

(٦) « غارز » : ضرع ، و« الأحاليل » : مخارج اللَّبن .

(٧) « تهوي » : تُسرع ، « ذوابل » : شديدة صُلبة ، وأصلُها الرماح ، شبَّه قوائمها بها . وفي السيرة النبوية ، وشرح قصيدة كعب ؛ لابن هشام ص ٢٢٩ :

تخدي على يَسَرَاتٍ وهي لاحقةٌ ‌ ‌ ذوابلٍ مَسُّهُنَّ الأرضَ تحليلُ

(٨) « تنعيل » : شد النعل على الخف أو الحافر ؛ لوقايته من الحجارة ، يُريد أن خفافها صُلبة لا تحتاج إلى تنعيل .

(٩) « مُرْتبئاً » : مرتفعاً ، وفي السيرة النبوية وشرح قصيدة كعب : مُصْطخداً : أي محترقاً بحر الشمس ، و« ضاحية » : مابرز للشمس منه ، و« مملول » : موضوع في المَلَّة : وهي الرماد الحار .

وقَـال للقـوم حَـاديهم وقـد جعلـتْ ... بُقْعُ الجَنَادِبِ يركضنَ الحصى قيلوا[١]
كأنَّ أوبَ ذراعيْـهَــا وقـد عَـرِقَتْ ... وقد تَـلَفَّـعَ بـالقُـورِ العَسَـاقيـلُ[٢]
أوبُ يـديْ فـاقـدٍ شمطـاء مُعْـوِلَةٍ ... قـامتْ فجـاوبَهـا نُكْدٌ مثاكيـلُ[٣]
نَـوَّاحـةٍ رخْـوَة الضَّبعَيْـنِ ليس لهـا ... لَمَّـا نَعَى بِكْـرَهَـاَ النـاعون معقـولُ[٤]
تفـري اللَّبَـانَ بكفَّيْهَـا ، ومِدْرَعُهـا ... مُشَـقَّـقٌ عن تراقيهـا رعـابيـلُ[٥]
تمشـي الغـواةُ بجنبيْـهَـا وقـولُهـمُ ... إنَّكَ يـا ابن أبي سـلمى لمقتـولُ[٦]
وقَـالَ كلُّ صـديق كنتُ آمـلُه ... لا أُلهِيَـنَّـكَ إني عنـكَ مشـغـولُ
فقـلتُ خَـلُّوا طريقـي لا أبا لَكُـمُ ... فكـلُّ مـا قـدَّرَ الرحمنُ مفـعـولُ
كلُّ ابنُ أُنثى وإن طالتْ سـلامتُـه ... يـومـاً عـلى آلةٍ حـدبـاء محمـولُ
نُبِّـئْتُ أنَّ رسـولَ الله أوعـدني ... والعـفـوُ عنـدَ رسـولِ الله مـأمولُ
مَهْـلاً هداكَ الذي أعطـاكَ نـافلة الـ ... ـفرقـانِ فيهـا مَوَاعِيْظٌ وتفصيـلُ[٧]
لا تَـأْخُـذَنِّي بـأقـوالِ الوُشـاةِ ولم ... أُذْنِبْ ولو كَثُـرَتْ فيَّ الأقـاويـلُ
لقـد أقـومُ مَقـامـاً لو يقـومُ بـه ... يُرى ويُسـمـع مـا قد أسمعَ الفيـلُ[٨]
لظـلَّ تُـرْعَـدُ مِنْ وَجْـدٍ بـوادرُه ... إنْ لم يكـنْ من رسـول الله تـنويـلُ[٩]

---

(١) « بُقْع » : جمع أبقع ، وهو ما فيه بياض وسواد ، و« قيلوا » أمر من القيلولة ، أي انزلوا واستريحوا .

(٢) « أوب ذراعيها » : سرعة تقلبهما ورجوعهما .

(٣) « أوبُ » : خبر كأن في البيت السابق ، و« نُكْد » : جمع نكداء ، وهي التي فقدت ولدها ، و« المثاكيلُ » : جمع مثكل ، وهي الكثيرة الثكل . وفي السيرة النبوية ، وشرح قصيدة كعب :
« شدَّ النهارِ ذراعا عَيْطَلٍ نَصَفٍ ... » .

(٤) « رخوة الضبعين » : مسترخية العضدين ، و« معقول » : بمعنى العقل .

(٥) « تفري » : تقطع ، و« مدرعها » : قميصها ، و« رعابيل » : قطع متفرقة ، مفرده : رعبول .

(٦) في السيرة النبوية : « تسعى الغواةُ جَنابيْها ... » .
وفي شرح قصيدة كعب ص ٢٥٧ : « يَسْعَى الوشاةُ جَنَابيْها ... » .

(٧) في السيرة النبوية ، وشرح قصيدة كعب ص ٢٧٢ : « نافلةَ القرآن .. » .

(٨) في السيرة النبوية :
لقـد أقـوم مقـامـاً لو يقـومُ بـه ... أرى وأسمع مـا لو يسـمـعُ الفيـلُ

(٩) « بوادره » : جمع بادرة ، وهي اللحمة التي بين المنكب والعنق . وفي السيرة النبوية :

حتى وضعتُ يميناً ما أنازعُها ... في كفِّ ذي نَقِماتٍ قِيلُه القِيلُ
فلهوَ أخوفُ عندي إذْ أُكلِّمُه ... وقيلَ إنَّكَ منسوبٌ ومسؤولُ
مِن ضَيْغمٍ بضَراء الأرضِ مُخْدَرُهُ ... في بطنِ عَثَّرَ غِيلٌ دونَهُ غِيلُ(١)
يغدو فيُلْحِمُ ضِرغامينِ عيشُهما ... لحمٌ من النَّاسِ مَعْفورٌ خراديلُ(٢)
إذا يُساوِرُ قِرناً لا يَحِلُّ له ... أن يتْرُكَ القِرنَ إلا وهو مَفلولُ(٣)
منه تَظَلُّ سباعُ الجوِّ نافرةً ... ولا تَمَشَّى بِواديه الأراجيلُ
ولا يزالُ بِواديه أخو ثقةٍ ... مُضَرَّجُ البَزِّ والدِّرْسانِ ، مأكولُ(٤)
إنَّ الرسولَ لنورٌ يُستضاء به ... مُهَنَّدٌ من سيوفِ اللهِ مسلولُ
في عُصبةٍ من قريشٍ قال قائلُهم ... ببطنِ مَكَّةَ لما أسلموا زُولوا
زَالوا فما زالَ أنكاسٌ ولا كُشُفٌ ... عند اللقاء ولا مِيلٌ معازيلُ(٥)
يمشونَ مشيَ الجمال الزُّهْر يعصِمُهم ... ضَرْبٌ إذا عَرَّدَ السُّودُ التنابيلُ(٦)
شُمُّ العرانين أبطالٌ لَبُوسُهم ... من نسجِ داودَ في الهيجا سَرابيلُ
بيضٌ سوابغُ قد شُكَّتْ لها حَلَقٌ ... كأنَّها حَلَقُ القفعاء ، مجدولُ(٧)
ليسوا مفاريحَ إنْ نالتْ رماحُهُم ... قوماً ، وليسوا مَجازيعاً إذا نِيلوا
لا يقعُ الطعنُ إلا في نحورِهِم ... وما لهم عن حِياض الموتِ تهليلُ

= لظَلَّ يُرعَد إلا أن يكون له ... من الرسولِ بإذنِ اللهِ تنويلُ

(١) « ضَرَاء الأرض » : الأرض التي فيها شجر ، و« مُخدرة » : المخدر : غابة الأسد ، و« عَثَّر » : اسم مكان مشهور بكثرة السِّباع ، و« الغيل » : الشجر الكثير الملتف .

(٢) « يُلْحِمُ ضرغامين » : يُطعم شبليْه اللحم ، و« معفور » : ملقى في العَفَر ، وهو التراب ، وذلك لكثرته وشبعه منه .

(٣) « يُسَاوِر » : يُواثب .

(٤) « البَز » : السلاح .

(٥) « أنكاسٌ » : جمع نكس ، وهو الرجل الضعيف ، و« الكشف » : جمع أكشف ، وهو الذي لا ترسَ معه ، و« ميل » : جمع أميل ، وهو الذي لا سيف له ، و« المعازيل » : جمع مِعزال ، وهو من لا سلاحَ معه .

(٦) « الزُّهر » : البيض ، و« عَرَّد » : فرَّ وأعرضَ .

(٧) « القفعاء » : شجر له ثمر كأنه حلق ، و« مجدول » : محكم السرد .

قال ابن هشام : قال كعب هذه القصيدة بعد قدومه على النبي ﷺ المدينة ، وبيته : « حرف أخوها أبوها » . وبيته : « ويمشي القراد » . وبيته : « عيرانة قذفت » . وبيته : « تمر مثل عسيب النخل » . وبيته : « تفري اللبان » . وبيته : « إذا يساور قرناً » . وبيته : « ولا يزال بواديه » : عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : قال عاصم بن عمر بن قتادة : فلما قال كعب :

* إذا عَرَّد السُّود التنابيلُ * .

ــ وإنما يُريد معشرَ الأنصار ، لما كان صاحبنا صنع به ، وخصَّ المهاجرين من قريش من أصحاب رسول الله ﷺ بمدِحته ــ غضبتْ عليه الأنصارُ ، فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار ، ويذكر بلاءهم مع رسول الله ﷺ ، وموضعهم من اليمن :

مَنْ سَرَّه كرمُ الحياة فلا يزلْ ... في مِقْنَبٍ من صَالحي الأنصارِ[1]
وَرِثُوا المكارمَ كابراً عن كَابرٍ ... إنَّ الخيَارَ هُم بَنُو الأخيارِ
الباذلينَ نفوسَهم لنبيِّهم ... يومَ الهِياجِ وفتيةَ الأحبارِ[2]
والذائدينَ النَّاسَ عن أديانهم ... بالمشرفيِّ وبالقَنا الخَطَّارِ
المكرهينَ السَّمْهريَّ بأدرعٍ ... كسوالفِ الهنديّ غير قِصارِ
والناظرينَ بأعيُنٍ مُحمرَّةٍ ... كالجمرِ غيرِ كليلةِ الإبصارِ
والبائعينَ نفوسَهم لنبيِّهم ... للموتِ يومَ تَعانُقٍ وكِرَارِ
يَتطهَّرونَ ــ يرونَه نُسْكاً لهم ــ ... بدماءِ من عَلِقُوا من الكُفَّارِ
دَرِبُوا كما دَرِبَتْ ببطنِ خَفِيَّةٍ ... غُلْبُ الرقابِ من الأسودِ ضَوَارِ
وإذا حَلَلْتَ ليمنعوكَ إليهمُ ... أصبحتَ عند مَعاقلِ الأعفارِ[3]
ضَرَبوا عليّاً يومَ بدرٍ ضربةً ... دانتْ لوقعتِها جميعُ نِزارِ[4]

---

(١) « مِقْنب » : جماعة الخيل .

(٢) هذا البيت لا وجود له في السيرة النبوية ؛ لابن هشام .

(٣) « الأعفار » : جمع عَفْر وهو ولد الوَعِل ، ويُضرب به المثل في الامتناع في قمم الجبال .

(٤) « ضربوا عليّاً .. » : هو علي بن مسعود بن مازن الغساني ، وإليه يُنسبُ بنو كِنانة ؛ لأنه كفل ولد أخيه لأمه عبد مَنَاة بن كنانة بعد وفاة أخيه فنُسبوا إليه ، رمز به إلى بني كنانة ، وربما إلى قريش كلها .

لو يعلمُ الأقوامُ عِلْمي كُلَّه   فيهمْ لصدَّقني الذين أُماري
قومٌ إذا خوتِ النُّجومُ فإنهم   للطارقينَ النازلينَ مَقاري
في العزِّ من غَسَّانَ في جرثومةٍ   أُعيتْ مَحافِرُها على المِنْقارِ[1]

ذكر فوائد تتعلق بهذا الخبر

● أبو سُلمى : ربيعة بن رِياح أحد بني مزينة .

● والمأمون : يعني النبيَّ ﷺ ،وكانت قريش تسميه أيضاً الأمين .

● « ولَعاً » : كلمة تقال للعاثر ، دعاءً له بالإقالة .

● تَبَلَتْ المرأةُ فؤادَ الرجل : رمته بهجرها فقطعت قلبه .

● ومعلول : من العَلَل ، وهو الشرب الثاني ، والأول النَّهَلُ ، ومنه قوله : مُنْهَل ، ويُستعمل معلول أيضاً من الاعتلال ؛ كما يقوله الخليل في العَرُوض ، حكاه ابن القُوطية ولم يعرفه ابن سيده .

● وشُجتَّ بذي شَبَمٍ : يعني الخمر ، وشُجَّت : كُسرت من أعلاها لأن الشَّجة لا تكون إلا في الرأس ، والشَّبَم : البرد ، والشَّبِم البارد . قاله الأصمعي ، وقال:شجَّ الشيءَ إذا علاه ، ومن هذا شَجُّ الشراب ، وهو أن يعلوَه بالماء فيمزجَه به .

● ومشمولُ : ضربَه الشَّمالُ .

● وأفرطه : أي ملأه ، عن السهيلي . وعن غيره : سبقه وتقدمه .

● واليعاليل : السحاب ، وقيل : جبال ينحدر الماء من أعلاها . واليعاليل أيضاً : الغدران ، واحدها يَعلول ، لأنه يَعُلُّ الأرضَ بمائه . وقال ابن سيده : اليَعلول : الحَبَابةُ من الماء ، وهو أيضاً السحاب المطرد . وقيل : القطعة البيضاء من السحاب . واليعلول : المطر بعد المطر . وبعد هذا البيت في القصيدة ، وليس من الرواية :

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥٠١/٢ ــ ٥١٥ .

من اللواتي إذا ما خُلَّةٌ صدقتْ   يَشفي مُضاجعَها شَمٌّ وتقبيلُ
بيضاءُ مقبلةً عجزاءُ مدبرةً   لا يُشتكى قِصَرٌ منها ولا طولُ

● قال الخشني : ساطَ مثل شاط ، يقال : شاط دمُه إذا سال ، وشاطت القدرُ إذا غلت . والصواب[1] فيه : سيط ، أي خُلط ومُزج . وكذلك فسره السهيليُّ ، أي : خُلط بلحمها ودمها .

وهذه الأخلاق التي وصفها بها : من الوَلْع ، وهو عندهم الكذبُ والخُلْف . والفَجْع : قاله ابن سيده : الفجيعة الرزيئة بما يكره ، فجعَه يَفْجَعُه فَجْعاً .

● والغول : التي تتراءى بالليل ، والسِّعلاةُ : التي تتراءى بالنهار من الجن .

● وعرقوب بن صخر من العماليق . وقيل:بل هو من الأوس أو الخزرج ، وقصته في إخلاف الوعد مشهورة حين وعد أخاه جَنَى نخلة له وعداً بعد وعد ، ثم جَذَّها ليلاً ولم يعطه شيئاً . قاله السهيلي وغيره ، وقال : كان يسكن المدينة يثرب . والبيت المشهور :

* مواعيدَ عرقوبٍ أخاه بيثرب * .

ومن الناس من يقول إنما هو يترب ، يعني أرضاً للعماليق ، ولم تكن يثرب سكنى العماليق ، فإن كان من ساكني المدينة كما ذكره السهيلي فالبيت مستقيم على الرواية المشهورة .

● النجيبات : السلسة السير ، والنجيبات السريعة .

● والمراسيل : السهلة السير التي تعطيك ما عندها عفواً .

● عُذَافِرةٌ : صُلْبة .

● وإرقال : إسراع .

● والتبغيل : قال السهيلي : ضربٌ من السير سريع . وقال غيره : سير البغال .

● عُرْضَتُها : جهة سوقها .

● والنِّجادُ : الأرض الصُّلبة .

---

(١) المؤلف رحمه الله تعالى يُصَوِّب رواية « سيط » بالسين ، وذلك له ، غير أنها بالشين أيضاً تعني نفس المعنى

● واللَّهق : الحمار الوحشي ، وقال : مفرد ؛ لأنه يرمي ببصره نحو الأُتُن ولا يمشي إلا كذاً معهن .

● والحِزَّان : ما غَلُظ من الأرض .

● والمِيْلُ : الأعلام ، وقال السهيلي : ما اتسع من الأرض .

● القوداء : الطويلة العنق .

● والشمليل : السريعة السير .

● والحرف : الناقة الضامرة .

● من مُهجَّنة : من إبل مستكرمة هِجَان .

● قال أبو القاسم[1] وقوله : أبوها أخوها ، أي إنها من جنس واحد في الكرم ، وقيل : إنها من فحل حمل على أمه فجاءت بهذه الناقة فهو أبوها وأخوها ، وكانت للناقة التي هي أم هذه بنت أخرى من الفحل الأكبر ، فعمُّها خالُها على هذا ، وهو عندهم من أكرم النتاج .

● واللَّبَان : الصدر .

● وأقراب زهاليل : خواصر ملس .

● وبنات الزَّوْر : يعني اللحمات النابتة في الصدر .

والبِرْطيل : حجر مستطيل ، وهو أيضاً المِعول .

● والعسيب : عظم الذَّنب ، وجمعه عِسْبان .

● والخُصَلُ : شعر الذنب .

● والتَّخوّن : قال الأصمعي : التنقص ، والتخوّن أيضاً : التعهد . لم تخوَّنه الأحاليل : يُريد رَوِيت من اللبن . والأحاليل : الذكور .

= الذي أورده ، وهو المزج كما في القاموس ، وقال ابن هشام : ويجوز أن يُقرأ « قد شيط » بالشين المعجمة ؛ لأنه يُقال : شاطه ؛ بمعنى ساطه .

(١) هو السهيلي ، انظر الروض الأنف ١٧١/٤ .

● واليَسْر : اللِّين والانقياد . واليَسَر : السهل . قال ابن سيده : وإن قوائمه ليَسَراتٌ : أي سهلة ، واحدتها يَسْرة ويَسَرة .

● وتحليل : أي قليل .

● والعُجَايات : عصب يكون في اليدين والرجلين ، الواحدة عُجَاية .

● والزِّيم : المتفرقة .

● والقور : الحجارة السود .

● والعساقيل : هنا السَّراب ، قال أبو القاسم[1] الخثعمي : وهذا من المقلوب ، أرادَ وقد تلفعت القورُ بالعساقيل .

● وقوله : شمطاء مُعولةٌ : جعلها شمطاء ؛ لأنها يائس من الولد فهي أشدُّ حزنا .

والخراديل : القطع من اللحم ، وفي الحديث « ومنهم المخردل » في قصة المارين على الصراط ، أي تُخردل لَحمَه الكلاليبُ التي حول الصراط .

● والأراجيل : جمع جمع ، وهو جمع أرجل ، وأرجل جمع رجل .

● والدِّرْيس : الثوب الخَلِق .

● زولوا : أي هاجروا .

● والتنابيل : القصار .

● والقفعاء : نبت ، قاله أبو حنيفة .

● والتهليل : الفزع والجبن .

وكعبُ بن زهير من فحول الشعراء ، هو وأبوه ، وكذلك ابنه عقبة بن كعب ، وابن عُقْبة أيضاً العوَّام ، وهو القائل :

ألا ليتَ شِعْرِي هل تغيَّرَ بعدَنا ... ملاحةُ عينْي أمِّ عمرٍو وجِيدُها
وهل بَلِيَتْ أثوابُها بعد جِدّةٍ ... ألا حَبَّذا أخلاقُها وجديدُها

---

(١) هو السهيلي ، انظر الروض الأنف ١٧١/٤ .

ومما يُستحسنُ لكعب قوله :

لو كنت أعجبُ من شيء لأعجبني ... سعيُ الفتى وهو مخبوءٌ له القدرُ
يَسعي الفتى لأمورٍ ليس يُدركُها ... فالنفسُ واحدةٌ والهمُّ مُنتشرُ
والمرءُ ما عاشَ ممدودٌ له أملٌ ... لا تنتهي العيشَ حتى ينتهي الأثرُ

ويُستحسنُ له أيضاً قولُه في النبي ﷺ :

تخدي به النَّاقةُ الأدماءُ مُعتجِراً ... بالبُردِ كالبَدْرِ جَلَّى ليلةَ الظُّلَمِ
ففي عِطافيْه أو أثناءِ بُرْدتِه ... ما يعلمُ اللّهُ من دينٍ ومن كَرَمِ

* * *

غزة تبوك

في شهر رجب سنة تسع توجّه رسول الله ﷺ لغزو الروم

قال ابن إسحاق : وكان ذلك في زمن عُسْرة من الناس وجَدْبٍ من البلاد ، وحين طابت الثمار ، والنَّاسُ يُحبُّون المُقامَ في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوصَ على الحال من الزمان الذي هم عليه ، وكان رسول الله ﷺ قَلَّما يخرجُ في غزوة إلا كنَّى عنها وورَّى بغيرها ، إلا ما كان من غزوة تبوك ، لبعد الشُّقّة وشدة الزمان . فقال رسول الله ﷺ ذاتَ يوم وهو في جَهازه ذلك للجَدِّ بن قيس ـــ أحد بني سَلِمة ـــ يا جَدُّ هل لك العام في جلاد بني الأصفر ؟ فقال : يا رسول الله ائذنْ لي ولا تفتني ، فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجلٍ بأشدَّ عُجْباً بالنساء مني ، وإني أخشى إن رأيتُ نساء بني الأصفر أن لا أصبرَ . فأعرضَ عنه رسول الله ﷺ ، وقال : قد أذنتُ لك . ففيه نزلت:﴿ ومنهم من يقولُ ائذن لي ولا تفتني ﴾ [التوبة : ٤٩] وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض لا تنفروا في الحر . فأنزل الله فيهم : ﴿ وقالوا : لا تنفروا في الحرِّ .. ﴾ الآية[1] [التوبة : ٨١] .

ثم إنَّ رسولَ الله ﷺ جَدَّ في سفره ، وأمر الناس بالجَهَاز ، وحضَّ أهل الغِنى على النفقة والحُملان في سبيل الله ، فحملَ رجالٌ من أهل الغِنى واحتسبوا ، وأنفقَ عثمانُ في ذلك نفقةً عظيمة لم يُنفق أحدٌ مثلَها[1] .

وذكر ابن سعد : قالوا : بلغ رسولَ الله ﷺ أن الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام ؛ وأن هرقل قد رزق أصحابَه لسنةٍ ، وأجلبتْ معه لخم وجُذام وعاملة وغسَّانِ وقدَّموا مقدّماتهم إلى البلقاء . وجاء البكاؤون وهم سبعة ، يستحملون رسولَ الله ﷺ ، فقال : ﴿ لا أجدُ ما أحملُكم عليه تَوَلَّوْا وأعينُهُم تفيضُ من الدمع حَزَناً ألَّا يجدوا ما ينفقون ﴾ [التوبة : ٩٢] وهم : سالم بن عُمير ، وعُلْبة بن زيد ، وأبو ليلى المازني ، وعمرو بن عَنَمَة ، وسلمة بن

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٥١٦ ـــ ٥١٨ .

صخر ، والعِرْباض بن سَارية . وفي بعض الروايات : وعبد الله بن مُغَفَّل ، ومعقل بن يَسار[١] .

وعند ابن عائذ فيهم : مهديّ بن عبد الرحمن .

وبعضُهم يقول : البكاؤون بنو مُقَرِّن السبعة ، وهم من مُزينة[١] .

وابن إسحاق يعد فيهم : عمرو بن الحمام بن الجموح ، وقال : وبعضُ الناس يقول : عبد الله بن عمرو المزني بدل ابن المغفل ، وهَرَمِيّ بن عبد الله الواقفي . وفيما ذكر ابن إسحاق أنه بلغه أن ابن يامين بن عُمير بن كعب النَّضْري لقي أبا ليلى وابن مُغَفَّل ، وهما كذلك ، فأعطاهما ناضحاً[٢] له ، وزوَّدَهما شيئاً من تمر[٣] .

وجاء المُعَذَّرون من الأعراب ليؤذنَ لهم فلم يَعْذِرْهم . قال ابن سعد : وهم اثنان وثمانون رجلاً ، وكان عبدُ الله بن أبيّ بن سَلول قد عسكر على ثنيّةِ الوَداع في حلفائه من اليهود والمنافقين ، فكان يُقال ليس عسكُره بأقلّ العسكرين[٤] . وكان رسولُ الله ﷺ يستخلف على عسكره أبا بكر الصديق يُصلّي بالناس ، واستخلف على المدينة محمد بن مَسلمة الأنصاري[٥] .

وقيل : سباع بن عُرفطة ـــ ذكره ابن هشام ـــ والأول أثبت[٥] .

فلما سارَ رسولُ الله ﷺ تخلّفَ عبدُ الله بن أبيٍّ ومن كان معه ، وتخلَّفَ نفرٌ من المسلمين من غير شك ولا ارتياب ، منهم : كعب بن مالك ، وهِلال بن أمية ، ومُرارة بن الربيع ، وأبو خَيثمة السالمي ، وأبو ذر الغفاري .

وشهدها رسول الله ﷺ في ثلاثين ألفاً من الناس ، والخيل عشرة آلاف فرس ، وأقام بها عشرين ليلة يُصلّي ركعتين ، ولحقه بها أبو خيثمة السالمي وأبو ذر ، وهرقل يومئذ بحمص[٥] .

---

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ١٦٥/٢ .

(٢) « ناضحاً » : الناضح : الحَمَل الذي يُستقى عليه .

(٣) السيرة النبوية ٥١٨/٢ .

(٤) هذا الزعم ظاهر البطلان من وجهين ؛ أحدهما : أنه لا وجود لليهود في المدينة بعد إجلائهم عنها . وثانيهما : أن المنافقين فئة قليلة في المجتمع المدني لا تُكوِّن عسكراً كاثراً ؛ يمكن مقارنته بجيش رسول الله ﷺ الذي بلغ عدده أربعين ألفاً من المقاتلة .

(٥) الطبقات الكبرى ١٦٥/٢ ـــ ١٦٦ .

وفيما ذكر ابن إسحـاق : أن رسولَ الله ﷺ عندما أراد الخروج ، خَلَّفَ عليَّ بن أبي طالب على أهله ، فأرجفَ به المنافقون ، وقالوا : ما خلَّفه إلا استثقالاً وتخففاً منه ، فأخذَ علي سـلاحَه ثم خرج حتى أتى رسـولَ الله ﷺ وهو نازل بالجُرف . فقـال : يا نبيَّ الله ! زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استثقلتني وتخفَّفتَ مني . فقال : كذبوا ، ولكني خَلَّفْتُكَ لما تركتُ ورائي ، فارجعْ في أهلي وأهلك ، أفلا ترضى يا عليّ أن تكونَ مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيَّ بعدي . فرجع عليٌّ إلى المدينة .

ثم إن أبا خيثمة رجعَ بعد أن سار رسولُ الله ﷺ أياماً إلى أهله في يوم حارّ ، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه ، قد رشَّتْ كلُّ واحدةٍ منهما عريشها ، وبرَّدت له فيها ماء ، وهيَّأتْ له فيه طعاماً . فلما دخل قام على باب العريش فنظَر إلى امرأتيه وما صنعتا له ، فقال : رسولُ الله ﷺ في الضِّحِّ[1] والريحِ والحرِّ وأبو خيثمة في ظِلٍّ بارد وطعام مُهيَّأ وامرأةٍ حسنـاء ؟ مـا هذا بـالنَّصَف . ثم قال : والله لا أدخلُ عريشَ واحدةٍ منكمـا حتى ألحقَ برسـول الله ﷺ ، فهيِّئـا لي زاداً ، ففعلتـا ، ثم قدَّم نَاضِحَـه فارتحلَه ، ثم خرج في طلب رسـول الله ﷺ حتى أدركَه حين نزلَ تبوكَ ، وقد كان أدركَ أبا خيثمـة عميرُ بن وَهب الجُمَحي في الطريق ، يطلبُ رسول الله ﷺ ، فترافقا ، حتى إذا دنوَا من تبوكَ ، قال أبو خيثمة لعمير : إن لي ذَنْباً فلا عليك أن تخلَّفَ عني حتى آتي رسولَ الله ﷺ ، ففعلَ ، حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازلٌ بتبوك ، قال الناس : هذا راكبٌ على الطريقِ مقبلٌ . فقال رسول الله ﷺ: « كن أبا خيثمة » قالوا : يا رسول الله هو والله أبو خيثمة . فلما أناخ أقبلَ فسلَّم على رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : « أولى[2] لك يا أبا خيثمة » . ثم أخبرَ رسولَ الله ﷺ الخبر . فقال له رسولُ الله ﷺ خيراً ودعا له بخير .

وقد كان رسولُ الله ﷺ حين مرَّ بالحِجْر فقال : لا تشربوا من مائها شيئاً ولا يُتَوَضَّأُ منه للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فاعْلِفُوه الإبلَ ، ولا تأكلوا منها شيئاً ، ولا يخرجنَّ أحدٌ منكم الليلة إلا ومعه صاحبٌ له . ففعلَ الناسُ ، إلا أن رجلين من بني ساعدة خرجَ

(١) « الضِّحُّ » : ضوء الشمس .

(٢) « أولى لك » : كلمة تهديد ووعيد ، معناها : اقتربتَ مما يُهلكك .

أحدهم لحاجته ، وخرج الآخرُ في طلب بعيره ، فأما الذي خرج لحاجتِه[1] فإنه خُنق على مذهبِه[2] ، وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجبلَيْ طيء ، فأُخبر بذلك رسولُ الله ﷺ فقال : ألم أنهكم أن يخرج أحد منكم إلا ومعه صاحبُه ، ثم دعا للذي خُنق على مذهبه فشُفي ، وأما الآخر الذي وقع بجبلي طيء فإنَّ طيئاً أهدته لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة .

قال ابن إسحاق : بلغني عن الزهري أنه قال : لما مرَّ رسولُ الله ﷺ بالحِجْر سجَّى ثوبَه على وجهه ، واستحثَّ راحلتَه ، ثم قال : لا تدخلوا بيوتَ الذين ظلموا إلا وأنتم باكون ، خوفاً أن يصيبَكم ما أصابهم .

قال ابن إسحاق : فلما أصبحَ الناس ولا ماء معهم شكوْا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فدعا رسولُ الله ﷺ ، فأرسلَ الله سحابةً فأمطرتْ ، حتى ارتوى الناسُ ، واحتملوا حاجتهم من الماء . ثم إن رسولَ الله ﷺ سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلَّتْ ناقُته ، فقال زيدُ بن اللُّصَيت ــ وكان منافقاً ــ أليس محمد يزعمُ أنه نبيّ ويُخبرُكم عن خبر السماء ، وهو لا يدري أين ناقتُه ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : إنَّ رجلاً يقول : وذكر مقالته ، وإني والله ما أعلمُ إلا ما علَّمني الله ، وقد دلَّني الله عليها وهي في الوادي ، في شعب كذا وكذا ، قد حبستها شجرةٌ بزمامِها ، فانْطَلِقُوا حتى تأتوني بها ، فذهبوا فجاؤوه بها .

ثم مضى رسولُ الله ﷺ فجعلَ يتخلف عنه الرجل ، فيقولون : تخلَّفَ عنا فلان . فيقول : دعوه فإن يك فيه خير فسيُلحقه الله بكم ، وإن يك غيرَ ذلك فقد أراحكم الله منه . وتلوَّمَ[3] أبو ذرٍّ على بعيره ، فلما أبطأ عليه أخذ متاعَه فحملَه على ظهره ، ثم خرج يتبعُ أثرَ رسول الله ﷺ ماشياً ، ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازلِه ، فنظر ناظرٌ من المسلمين ، فقال : يا رسولَ الله إنَّ هذا لرجلٌ يمشي على الطريق وحده . فقال رسولُ الله ﷺ : « كن أبا ذر » . فلما تأمله القومُ قالوا : يا رسول الله هو والله أبو ذر . فقال رسولُ الله ﷺ :

---

(١) « لحاجته » : لقضاء حاجته .

(٢) « على مذهبه » : المذهب هنا مكان قضاء الحاجة (التغوط) .

(٣) « تلوَّمَ » : تمكَّثَ وتمهل .

« رحمَ الله أبا ذر ؛ يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويُبعث وحده[1] » .

قال ابن إسحاق : فحدثني بُريدة بن سفيان الأسلمي ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : لما نفى عثمان أبا ذر إلى الربذة ، وأصابه بها قدرُه ، لم يكن معه أحد إلا امرأته وغلامُه ، فأوصاهما أن اغسلاني وكفناني ثم ضعاني على قارعة الطريق ؛ فأول ركب يمر بكم فقولوا : هذا أبو ذر صاحبُ رسول الله ﷺ ، فأعينونا على دفنه . فلما مات فعلا ذلك به . وأقبلَ عبدُ الله بن مسعود في رهط من أهل العراق عُمّارٍ[2] فلم يرعْهم إلا بالجنازة على ظهر الطريق ، قد كادت الإبل تطأها ، وقام إليهم الغلام ، فقال : هذا أبو ذر صاحبُ رسول الله ﷺ ، فأعينونا على دفنه . قال : فاستهلَّ عبدُ الله يبكي ، ويقول : صدق رسولُ الله ﷺ : « تمشي وحدَك ، وتموتُ وحدك ، وتُبعثُ وحدَك » . ثم نزل هو وأصحابه فوارَوْه . ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثَه وما قال له رسول الله ﷺ في مسيره إلى تبوك .

وقد كان رهطٌ من المنافقين ، منهم وديعة بن ثابت أخو بني عمرو بن عوف ، ومنهم : رجل من أشجع حليف لبني سَلِمة يُقال له : مُخَشِّن[3] بن حُمَيِّر ، يشيرون إلى رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك ، فقال بعضهم لبعض : أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً ؟ والله لكأنكم غداً مُقرَّنين في الحبال ، إرجافاً وترهيباً للمؤمنين . فقال مُخَشِّن بن حُمَيِّر . والله لوددتُ أني أُقاضى على أن يُضرب كلٌّ منا مائة جلدة ، وأنّا لنفلتُ أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه .

وقال رسول الله ﷺ فيما بلغني لعمار بن ياسر : أدركِ القومَ فإنهم قد احترقوا ، فسلهم عما قالوا ، فإن أنكروا فقل بلى قلتم كذا وكذا . فانطلق إليهم عمار ، فقال ذلك لهم ، فأتوْا رسولَ الله ﷺ يعتذرون إليه ، فقال وديعةُ بن ثابت : إنما كنا نخوض ونلعب ، فأنزل الله فيهم : ﴿ ولئن سألتَهم ليقولنَّ إنما كنَّا نخوضُ ونلعبُ ﴾ [التوبة : ٦٥] وقال مُخَشِّن بن حُمَيِّر : والله يا رسول الله قعد بي اسمي واسم أبي ، فكان الذي عُفي عنه في هذه الآية ،

---

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٥١٩ ــ ٥٢٤ .

(٢) « عُمّار » : معتمرين .

(٣) قال ابن هشام : ويُقال : مخشي .

فتسمَّى عبدَ الرحمن ، وسأل الله أن يقتلَه شهيداً لا يُعلم بمكانه ، فُقتل يومَ اليمامة فلم يُوجد له أثر[١] .

وذكر ابن عائذ أن رسول الله ﷺ نزل تبوك في زمان قل ماؤها فيه ، فاغترف رسول الله ﷺ غرفة بيده من ماء ، فمضمض بها فاه ، ثم بصقه فيها ، ففارت عينها حتى امتلأت ، فهي كذلك حتى الساعة[٢] .

ولما انتهى[٣] رسولُ الله ﷺ إلى تبوك أتاه يُحَنَّةُ بن رُؤبة صاحبُ أيلةَ ، فصالح رسولَ الله ﷺ وأعطاه الجزية ، وأتاه أهلُ جرباء وأَذْرُح فأعطوْه الجزية ، وكتبَ لهم رسولُ الله ﷺ كتاباً فهو عندهم . وكتب ليُحَنَّة بالمصالحة : بسم الله الرحمن الرحيم هذا أَمَنَةٌ من الله ومحمد النبي رسول الله ﷺ ليُحَنَّةَ بن رُؤبة ، وأهل أيلة سفنهم وسيَّارتهم في البر والبحر ، لهم ذمّة الله ومحّمد النبيِّ ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر ، فمن أحدثَ منهم حدثاً فإنه لا يحولُ مالُه دون نفسه ، وإنه طيّبٌ لمن أخذه من الناس ، وأنه لا يحِلُّ أن يُمنعوا ماء يَردُونه ، ولا طريقاً يُريدونه من بر أو بحر[٤] .

بعثُ رسول الله ﷺ خالدَ بن الوليد إلى أُكيدر دومة

قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أُكيدر دومة ، وهو أُكيدر بن عبد الملك ، رجل من كندة ، كان ملكاً عليها ، وكان نصرانياً ، فقال رسول الله ﷺ لخالد : إنك ستجده يصيدُ البقرَ . فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين في ليلة مقمرة صائفة ، وهو على سطح له ومعه امرأته ، فأتت البقرة تحك بقرونها بابَ القصر ، فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قط ؟ قال : لا والله . قالت : فمن يترُكُ هذه ؟ قال : لا أحد . فنزل ، فأمر بفرسه فأُسرج له ، وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخٌ

---

(١) السيرة النبوية ٢/٥١٩ ـــ ٥٢٥ .

(٢) خبر ابن عائذ معضل ؛ كما ذكر في نور النبراس لوحة ٣/١٢٣ .

(٣) رجع إلى كلام ابن إسحاق .

(٤) السيرة النبوية ٢/٥٢٥ ـــ ٥٢٦ .

له يقال له حسان ، فركب وخرجوا معه بمطاردهم[1] ، فلما خرجوا تلقّتهم خيلُ رسول الله ﷺ فأخذته ، وقتلوا أخاه ، وقد كان عليه قَباء من ديباج مُخوَّص[2] بالذهب ، فاستلبه خالد ، فبعث به إلى رسول الله ﷺ قبل قدومه عليه . وفيه قال عليه الصلاة والسلام : « لَمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا[3] » . ثم إن خالداً قدم بأُكيدر على رسول الله ﷺ ، فحقن له دمه ، وصالحه على الجزية ، ثم خلّى سبيلَه فرجع إلى قريته[4] .

قال ابن سعد : بعث رسول الله ﷺ خالداً في أربعمائة وعشرين فارساً سريةً إلى أُكيدر في رجب سنة تسع بدُومة الجَنْدل ، وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة . وذكر نحو ما تقدم ، وقال : وأجار خالدٌ أُكيدرَ من القتل حتى يأتي به رسولَ الله ﷺ على أن يفتح له دومةَ الجَنْدل ففعل ، وصالحه على ألفي بعير وثمانمائة رأس ، وأربعمائة درع ، وأربعمائة رمح ، فعزل النبي ﷺ صَفيّاً خالصاً ، ثم قسم الغنيمة ، فأخرج الخمس ، وكان للنبي ﷺ ، ثم قسم ما بقي في أصحابه ، فصارَ لكل واحد منهم خمس فرائض[5] [6] .

وذكر ابن عائذ في هذا الخبر أن أُكيدر قال عن البقر : والله ما رأيته قط جاءتنا إلا البارحة ، ولقد كنتُ أُضَمِّر لها اليومين والثلاثة ، ولكن قدرُ الله .

وذكر موسى بن عقبة : اجتماعَ أُكيدر ويُحَنَّة عند رسول الله ﷺ ، فدعاهما إلى الإسلام فأبيا ، وأقرا بالجزية ، فقاضاهما رسولُ الله ﷺ على قضيّة دُومةَ ، وعلى تبوك ، وعلى أيلة ، وعلى تيماء ، وكتب لهما كتاباً .

رجع إلى خبر تبوك : قال ابن إسحاق : فأقام رسولُ الله ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة لم

(١) « بمطاردهم » : جمع مِطرد ، وهو آلة الطرد ، رمح قصير يُطعن به الوحش في الطِّراد .

(٢) « مُخوَّص » : منسوج بالذهب .

(٣) رواه البخاري في اللباس (باب من مسِّ الحرير من غير لبس) رقم /٣٨٠٢/ ومسلم في فضائل الصحابة (باب فضائل سعد بن معاذ) رقم /٢٤٦٨/ والترمذي في المناقب (باب مناقب سعد بن معاذ) رقم/٣٨٤٦/ .

(٤) السيرة النبوية ٥٢٦/٢ .

(٥) « خمس فرائض » : خمس من الإبل ، مفرده فريضة .

(٦) الطبقات الكبرى ١٦٦/٢ .

يجاوزها ، ثم انصرف قافلاً إلى المدينة ، وكان في الطريق ماء يخرج من وَشَلٍ[1] ما يروي الراكب والراكبين والثلاثة ، بوادٍ يقال له وادي المُشَقَّق . فقال رسول الله ﷺ : من سبقنا إلى ذلك الماء فلا يستقينَّ منه شيئاً حتى نأتيَه . قال : فسبقه إليه نفرٌ من المنافقين فاستقَوْا ما فيه . فلما أتاه رسولُ الله ﷺ وقف عليه فلم ير فيه شيئاً . فقال : من سبقنا إلى هذا الماء ، فقيل له : يا رسول الله فلان وفلان وفلان . فقال : أو لم أنههم أن يستقوا منه شيئاً حتى آتيَه ، ثم لعنهم رسولُ الله ﷺ ودعا عليهم . ثم نزل فوضع يده تحت الوَشَل فجعل يصبُّ في يده ما شاء الله أن يصبَّ ، ثم نضحه[2] به ، ومسحه بيده ، ودعا رسول الله ﷺ بما شاء الله أن يدعوَ به ، فانخرق من الماء — كما يقولُ من سمعَه — ما إنَّ له حِسّاً كحسِّ الصواعق ، فشربَ الناس واستقوا حاجتَهم منه . فقال رسول الله ﷺ : لئن بقيتم — أو من بقي منكم — ليسمعنَّ بهذا الوادي وهو أخصبُ ما بين يديه وما خلفه[3] .

قال : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيمي أن عبد الله بن مسعود كان يحدث ، قال : قمت من جوف الليل وأنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فرأيت شُعلةً من نار في ناحية العسكر ، فاتَّبعتُها أنظر إليها ، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ، وإذا عبد الله ذو البجادين المزني قد مات ، وإذا هم قد حفروا له ، ورسولُ الله ﷺ في حفرته وأبو بكر وعمر يدليانه إليه ، وهو يقول : أدنيا إليَّ أخاكما ، فدلَّياه إليه ، فلما هيأه لشِقِّه ، قال : اللهم إني قد أمسيتُ راضياً عنه فارضَ عنه . قال : يقول عبد الله بن مسعود : يا ليتني كنت صاحب الحفرة[4] .

وقال ﷺ مرجعه من غزوة تبوك : « إن بالمدينة لأقواماً ما سِرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم » . قالوا : يا رسول الله وهم بالمدينة ؟ قال : « نعم ، حبسهم العذر[5] » .

---

(١) « وشل » : الوشل : الماء القليل ، أو الحجر ونحوه ، كالجبل يقطر منه الماء قليلاً قليلاً .

(٢) « نضحه » رشَّه .

(٣) روى مسلم بعضه في الفضائل (باب معجزات النبي ﷺ) رقم/٧٠٦/ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه .

(٤) السيرة النبوية ٥٢٧/٢ — ٥٢٨ ، ورواية محمد بن إبراهيم عن ابن مسعود مرسلة كما في نور النبراس لوحة ١١٥/٣ .

(٥) رواه البخاري في المغازي (باب غزوة تبوك) رقم/٤٤٢٣/ .

أمر مسجد الضِّرَار

ثم أقبلَ رسول الله ﷺ حتى نزل في أوان[1] ، بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار ، وكان أصحاب مسجد الضِّرار أتوْه وهو يتجهز إلى تبوك ، فقالوا : يا رسول الله! إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ، وإنا نحب أن تأتينا لتصلّيَ لنا فيه . فقال : إني على جناح سفر وحال شغل ــ أو كما قال ﷺ ــ ولو قد قدمنا إن شاء الله لأتيناكم فصلينا لكم فيه . فلما نزل بذي أوان ، أتاه خبرالمسجد ، فدعا رسولُ الله ﷺ مالكَ بن الدُّخْشُم أخا بني سالم بن عوف ، ومعنَ بن عدي أخا بني العجلان . فقال : انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهلُه فاهدماه وحرِّقاه ، فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف ، وهم رهط مالك بن الدُّخْشُم ، فقال مالك لمعن : أنْظِرني حتى أخرجَ إليك بنار من أهلي ، فدخل إلى أهله فأخذ سَعَفاً من النخل ، فأشعل فيه ناراً ، ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه وفيه أهله ، فحرَّقاه وهدَماه ، وتفرقوا عنه . ونزل فيه من القرآن : ﴿ والذين اتَّخذُوا مسجداً ضِراراً وكُفراً وتَفريقاً بينَ المؤمنين ﴾ [التوبة : ١٠٧] إلى آخر القصة . وكان الذين بَنَوْه اثني عشر رجلاً : خِذام بن خالد من بني عُبيد بن زيد أحد بني عمرو بن عوف ، ومن داره أُخرج مسجد الشقاق . وثعلبة بن حاطب من بني أمية بن زيد ، ومُعتِّب بن قُشير ، وأبو حبيبة بن الأزعر من بني ضُبيعة بن زيد ، وعبَّاد بن حُنيف ، وجارية بن عامر وابناه مُجمِّع وزيد ، ونبتل بن الحارث ، وبَحْزَج وبِجاد بن عثمان من بني ضُبيعة ، ووديعة بن ثابت من بني أمية رهطِ أبي لبابة بن عبد المنذر[2] .

* * *

(١) « أَوَان » : موضع قريب من المدينة ، وفي السيرة النبوية « بذي أُوان » بفتح الهمزة ، وأبو ذر الخشني يروية بضم الهمزة حيث وقع . نور النبراس لوحة ١١٦/٣ .

(٢) السيرة النبوية ٥٢٩/٢ ــ ٥٣٠ .

(أمرُ الثلاثة الذين خُلِّفوا
وأمرُ المعَذِّرين في غزوة تبوك[1])

وقد كان قد تخلف عنه رهط من المنافقين وتخلَّفَ الثلاثة الذين ذكرناهم : كعب ومرارة وهلال ، فأما المنافقون فجعلوا يحلفون له ويعتذرون ، فصفحَ عنهم رسولُ الله ﷺ ، ولم يَعْذِرهم الله ولا رسولُه .

وأما الثلاثة الآخرون فروينا من طريق البخاري : حدثني يحي بن بُكير ، حدثنا الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن عبدَ الله بن كعب ــ وكان قائدَ كعب من بنيه حين عَمِيَ ــ قال : سمعتُ كعبَ بن مالك يُحدِّث حين تخَلَّفَ عن غزوة تبوك ، قال كعب : لم أتخلَّفْ عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك ، غير أني كنتُ تخلَّفتُ في غزوة بدر ، ولم يُعاتَبْ أحدٌ تخلَّف عنها ، إنما خرجَ رسولُ الله ﷺ يُريد عير قريش ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلةَ العقبة حين تواثقنا على الإسلام ، وما أُحِبُّ أن لي بها مشهدَ بدر ، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها . كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسرَ حين تخلفت في تلك الغزوة ، والله ما اجتمعتْ عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتُها في تلك الغزوة ، ولم يكن رسول الله ﷺ يُريد غزوة إلا ورَّى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ، غزاها رسول الله ﷺ في حرٍّ شديد ، واستقبلَ سفراً بعيداً ومَفَازاً وعدُوّاً كثيراً ، فجلَّى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أُهبة غزوهم ، فأخبرهم بوجهه الذي يُريد ، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ ــ يُريد الديوان ــ قال كعب : فما رجلٌ يُريد أن يتغيَّبَ إلا ظنَّ أن سيخفى ما لم يَنزل فيه وحي من الله .

وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال ، وتجهَّز رسول الله ﷺ والمسلمون معه ، فطفقت أغدو لكي أتجهَّز معهم ، فأرجع ولم أقض شيئاً ، فأقول في نفسي أنا قادر عليه ، فلم يزلْ يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجِدُّ ، فأصبحَ رسول الله ﷺ

---

(١) هذا العنوان لم يرد في الأصول ، وأثبتناه من السيرة النبوية ٢/٥٣١ .

والمسلمون معه ، ولم أقض من جَهازي شيئاً ، فقلت أتجهز بعده بيوم أو يومين ، ثم ألحقُهم ، فغدوت بعد أن فَصَلُوا لأتجهزَ ، فرجعت ولم أقض شيئاً ، ثم غدوت ثم رجعت ولم أقضِ شيئاً ، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارطَ الغزو ، وهممت أن أرتحل فأُدركَهم وليتني فعلت ، فلم يُقَدَّر لي ذلك ، فكنت إذا خرجتُ في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه النفاق ، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء . ولم يذكرني رسولُ الله ﷺ حتى بلغ تبوكاً ، فقال وهو جالس في القوم بتبوك : ما فعلَ كعب ؟ فقال رجل من بني سَلِمة : يا رسول الله حبسه بُرداه ونظرُه في عِطْفَيْه . فقال معاذ بن جبل : بئس ما قلتَ ، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً . فسكت رسولُ الله ﷺ .

قال كعب بن مالك : فلما بلغني أنه توجَّه قافلاً حضرني همّي ، وطفقتُ أتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج من سخطه غداً ، واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي ، فلما قيل : إن رسول الله ﷺ قد أظلَّ قادماً ، زاح عني الباطل ، وعرفت أني لن أخرج منه بشيء أبداً فيه كذب ، فأجمعت صدقه . وأصبحَ رسول الله ﷺ قادماً ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد ، فركع فيه ركعتين ثم جلسَ للناس ، فلما فعل ذلك جاء المُخلَّفون ، فطَفِقوا يعتذرون إليه ويحلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً ، فقبلَ منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكلَ سرائرهم إلى الله . فجئته فلما سلَّمتُ عليه تبسَّمَ تبسُّم المُغضب . ثم قال : تعال . فجئتُ أمشي حتى جلست بين يديه ، فقال لي : ما خلَّفك ؟ ألم تكن قد ابتعتَ ظهرَك ؟ فقلتُ : بلى إني والله لو جلستُ عند غيرك من أهل الدنيا لرأيتُ أن سأخرجُ من سُخطه بعذرٍ ، ولقد أُعطيت جدلاً ، ولكني والله لقد علمتُ لئن حدَّثتك اليوَم حديث كذب ترضى به عني ليُوشكن الله أن يُسخطك عليَّ ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عفو الله ، لا والله ما كان لي من عذر ، والله ما كنتُ قطُ أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك . فقال رسول الله ﷺ : أمَّا هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضيَ الله فيك . فقمتُ .

وثَارَ رجال من بني سَلِمة فاتبعوني ، فقالوا لي : والله ما علمناك كنت أذنبتَ ذنباً قبلَ هذا ، ولقد عجزتَ أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المُخلَّفون ، وقد كان كافيك من ذنبك استغفارُ رسول الله ﷺ لك . فوالله ما زالوا يُؤنِّبوني حتى أردتُ أن

أرجعَ فأُكذِّب نفسي ، ثم قلت لهم : هل لقي هذا أحدٌ ؟ قالوا : نعم ، رجلان قالا مثل ما قلت ؛ فقيل لهما مثلُ ما قيل لك . فقلت من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع العَمْري ، وهِلال بن أمية الواقفي ، فذكروا لي رجلين صالحين شهدا بدراً فيهما أسوة ، فمضيت حين ذكروهما لي .

ونهى رسولُ الله ﷺ عن كلامنا ــ أيُّها الثلاثة ــ من بين من تخلَّفَ عنه ، فاجتنبنا النَّاسُ وتغيروا لنا ، حتى تنكرت في نفسي الأرضُ ، فما هي التي أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنتُ أشبَّ القوم وأجلدَهم ، فكنت أخرج فأشهدُ الصلاة مع المسلمين وأطوفُ في الأسواق ، ولا يُكلِّمني أحد ، وآتي رسولَ الله ﷺ فأسلِّمُ عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة ، فأقول في نفسي : هل حرك شفتيه برد السلام عليَّ أو لا ؟ ثم أُصلِّي قريباً منه فأسارقه النظر ، فإذا أقبلتُ على صلاتي أقبلَ إليَّ ، وإذا التفتُ نحوه أعرضَ عني ، حتى إذا طال عليَّ ذلك ، من جفوة الناس ، مشيتُ حتى تسوَّرتُ جدار حائط أبي قتادة ، وهو ابن عمي وأحبُّ الناس إليَّ ، فسلمت عليه ، فوالله ما ردَّ عليَّ السلام ، فقلت : يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمني أُحبُّ الله ورسولَه ؟ فسكتَ ، فعدتُ له فنشدته ، فسكت ، فعدتُ له فنشدته ، فقال : الله ورسولُه أعلم . ففاضتْ عيناي ، وتَوَلَّيتُ حتى تسورت الجدارَ .

قال : فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعُه بالمدينة : يقول : من يدلني على كعب بن مالك ، فطفِق الناس يُشيرون له حتى إذا جاءني دفع إليَّ كتاباً من ملك غسان ، فإذا فيه : أما بعد فقد بلغني أن صاحبَك قد جفاكَ ، ولم يجعلكَ الله بدار هَوَان ولا مَضيعة ، فالحقْ بنا نُواسِكَ . فقلت لما قرأتها : وهذا أيضاً من البلاْء ، فتيَمَّمتُ بها التنور فسجرته بها .

حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسولُ رسولِ الله ﷺ يأتيني ، فقال : إن رسولَ الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك . فقلت : أطلقها أم ماذاأفعل ؟ قال : بل اعتزلْها ولا تقربْها . وأرسل إلى صاحبيَّ مثل ذلك . فقلت لامرأتي : الحقي بأهلك فتكوني عندهم حتى يقضيَ الله في هذا الأمر . قال كعب : فجاءت امرأةُ هلال بن أمية رسولَ الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع ، ليس له خادم ، فهل تكره أن

أخدمَه ؟ قال : لا ، ولكن لا يقرَبْك . قالت : إنه والله ما به حركة إلى شيء ، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا . فقال لي بعضُ أهلي : لو استأذنت رسولَ الله ﷺ في امرأتك كما أذنَ لامرأة هلال بن أمية أن تخدمَه ؟ فقلت : والله لا أستأذنُ فيها رسولَ الله ﷺ وما يُدريني ما يقولُ رسول الله ﷺ إذا استأذنتُه فيها ، وأنا رجل شابٌّ ؟ .

فلبثت بعد ذلك عشرَ ليالٍ حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا . فلما صَلَّيتُ صلاة الفجر صبحَ خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا ، بينا أنا جالسٌ على الحال التي ذكر الله تعالى ، قد ضاقت عليَّ نفسي ، وضاقت عليَّ الأرضُ بما رحبت ، سمعتُ صوت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أبشر . فخررتُ ساجداً ، وعرفت أن قد جاء فرجٌ . وآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حتى صلّى صلاة الفجر ، فذهبَ الناس يبشرونا ، وذهب قِبَلَ صاحبيَّ مبشرون ، وركض إليَّ رجلٌ فرساً . وسعى ساع من أسلم ، فأوفى على ذُروة الجبل ، وكان الصوتُ أسرعَ من الفرس ، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني ، نزعتُ له ثوبيَّ فكسوتُه إياهما ببشراه ، والله ما أملكُ غيرَهما يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستُهما ، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ ، فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئوني بالتوبة ، يقولون : ليَهْنِك توبةُ الله عليك . قال كعب : حتى دخلت المسجد فإذا رسولُ الله ﷺ جالسٌ حولَه الناس ، فقام إليَّ طلحة بن عُبيد الله يُهرول حتى صافحني ، وهنأني ، والله ما قام إليَّ رجل من المهاجرين غيره ، ولا أنساها لطلحة . قال كعب : فلما سلمت على رسول الله ﷺ ، قال رسول الله ﷺ ، وهو يَبْرقُ وجهه من السرور : أبشر بخير يومٍ مرَّ عليك منذ ولدتك أمُّك . قال : قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : لا ، بل من عند الله ، وكان رسولُ الله ﷺ إذا سُرَّ استنارَ وجهه حتى كأنه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه ، فلما جلستُ بين يديه ، قلت : يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلعَ من مالي صدقةً إلى الله وإلى رسوله . قال رسول الله ﷺ : أمسكْ عليكَ بعضَ مالك فهو خيرٌ لك . قلت : فإني أُمسكُ سهمي الذي بخيبر . فقلت : يا رسول الله إن الله إنما نجاني بالصدق ، وإن من توبتي أن لا أُحَدِّثَ إلا صدقاً ما بقيتُ ، فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ أحسنَ مما

أبلاني ، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول لله ﷺ إلى يومي هذا كذباً ، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت .

وأنزل الله تعالى على رسوله عليه الصلاة والسلام : ﴿ لقد تابَ الله على النبيِّ والمهاجرينَ والأنصــار .. ﴾ إلى قوله : ﴿ وكونوا مع الصــادقين ﴾ [التوبة : ١١٧ ــ ١١٩] فوالله ما أنعمَ الله عليَّ نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظمَ في نفسي من صدقي لرسول الله ﷺ أن لا أكون كذبتُه فأهلكَ كما هلكَ الذين كذبوا ، فإن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحيَ شــرَّ ما قال لأحدٍ ، فقال الله تبارك وتعالى : ﴿ سيحلفون بالله لكم ﴾ إلى قوله : ﴿ فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ﴾ [التوبة : ٩٥ ــ ٩٦] .

قــال كعب : وكنــا تخلفنــا ــ أيهـا الثــلاثـة ــ عن أمر أولئك الذين قبــل منهــم رسولُ الله ﷺ حين حلفوا له ، فبايعهم واستغفرَ لهم ، وأرجأ رسولُ الله ﷺ أمرنا ، حتى قضى الله فيـه ، فبذلك قال الله تعالى : ﴿ وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا ﴾ [التوبة : ١١٨] وليس الذي ذكر الله مما خُلِّفنا عن الغزو ، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حَلفَ له واعتذر إليه فقبل منه[١] .

* * *

(١) رواه البخاري في المغازي (باب غزوة تبوك) رقم/٤٤١٨/ .

أمر وفد ثقيف وإسلامها

في شهر رمضان سنة تسع

قال ابن إسحاق : وقدم رسولُ الله ﷺ المدينةَ من تبوك في رمضان ، وقدم عليه في ذلك الشهر وفدُ ثقيف .

وكان من حديثهم أنَّ رسول الله ﷺ لما انصرفَ عنهم[١] اتَّبعَ أثرهَ عروةُ بن مسعود حتى أدركه قبل أن يُقبل إلى المدينة ، فأسلم ، وسأله أن يرجعَ إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله ﷺ ــ كما يتحدث قومه ــ : إنهم قاتلوك . وعرف رسولُ الله ﷺ ، فيهم نخوة ؛ للامتناع الذي كان منهم . فقال عروة : يا رسول الله أنا أحبُّ إليهم من أبكارهم ــ قال ابن هشام : من أبصارهم ــ وكان فيهم كذلك محبباً مطاعاً ، فخرج يدعو قومَه إلى الإسلام رجاء أن لا يخالفوه ؛ لمنزلته فيهم ، فلما أشرف لهم على عِلِّيَّة[٢] له ، وقد دعاهم إلى الإسلام ، وأظهر لهم دينه ، رَمْوه بالنبل من كل وجه ، فأصابه سهمٌ فقتله . فيزعم بنو مالك أنه قتله رجلٌ منهم يُقال له أوس بن عوف أخو بني سالم بن مالك ، ويزعم الأحلاف أنه قتله رجل منهم من بني عَتَّاب بن مالك يُقال له وهب بن جابر ، فقيل لعروة ما ترى في دمك ؟ قال : كرامة أكرمني الله بها ، وشهادة ساقَها الله إليَّ ، فليس فيَّ إلا ما في الشهداء الذين قُتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم ، فادفنوني معهم ، فدفنوه معهم . فزعموا أن رسولَ الله ﷺ قال فيه : إن مثلَه في قومه كمثل[٣] صاحب يس في قومه[٤] .

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهراً ، ثم إنهم ائتمروا بينهم ورأوا أنهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب ، وقد بايعوا وأسلموا ، وأجمعوا أن يُرسلوا إلى رسول الله ﷺ رجلاً كما

---

(١) « انصرف عنهم » :أي عن ثقيف في حصاره للطائف .

(٢) « عِلِّية » : بكسر العين وضمها ، الغرفة ، ولا تكون كذلك إلا إذا كانت فوق .

(٣) في « ب » والسيرة النبوية : « لكمثل » .

(٤) أي كمثل صاحب سورة يس . قال السهيلي : يريد به المذكور في سورة يس الذي قال لقومه : (اتبعوا المرسلين) فقتله قومه .. نور النبراس لوحة ٣/١٣٠ .

أرسلوا عروة ، فكلموا عبد ياليل بن عروة بن عُمير وكان في سنّ[1] عروة بن مسعود ، وعرضوا عليه ذلك فأبى أن يفعل ، وخشي أن يُصنع به إذا رجع كما صُنع بعروة ، فقال : لست فاعلاً حتى تُرسلوا معي رجالاً ، فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف وثلاثةً من بني مالك ، فيكونون ستة ، فبعثوا مع عبد ياليل : الحكم بن عمرو بن وهب بن مُعُتب ، وشُرحبيل بن غَيْلان بن سلَمة بن معتب . ومن بني مالك : عثمان بن أبي العاص بن بِشر بن عبد دُهمان أخا بني يسار ، وأوس بن عوف أخا بني سالم ، ونُمير بن خَرَشة بن ربيعة أخا بني الحارث . فخرج بهم ، فلما دنوا من المدينة ونزلوا قناة . ألْفَوْا بها المغيرةَ بن شُعبة ، فاشتدَّ ليبشرَ رسولَ الله ﷺ بقدومهم عليه ، فلقيه أبو بكر ، فقال له : أقسمتُ عليك لا تَسبِقْني إلى رسول الله ﷺ حتى أكونَ أنا أحدثه ففعلَ ، فدخلَ أبو بكر على رسول الله ﷺ فأخبرَه بقدومهم عليه .

ثم خرج المغيرةُ إلى أصحابه فروَّحَ الظهر معهم ، وعلَّمهم كيف يُحيُّون رسولَ الله ﷺ ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية . ولما قدموا على رسول الله ﷺ ضربَ عليهم قُبَّةً في ناحية مسجده كما يزعمون ، فكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ حتى اكتتبوا كتابَهم ، وكان خالد الذي كتبَه ، وكانوا لا يَطعمون طعاماً يأتيهم من عند رسول الله ﷺ حتى يأكلَ منه خالد ، حتى أسلموا : وقد كان فيما سألوا رسولَ الله ﷺ أن يدعَ لهم الطاغية وهي اللات ، لا يهدمُها ثلاثَ سنين ، فأبى رسولُ الله ﷺ ، فما بَرِحوا يسألونه سنة سنة ، ويأبى عليهم ، حتى سألوه شهراً واحداً بعد قدومهم ، فأبى عليهم أن يدعَها شيئاً مُسمًّى ، وإنما يُريدون بذلك — فيما يُظهرون — أن يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم ، ويكرهون أن يُرَوِّعوا قومَهم بهدمها ، حتى يدخلَهم الإسلام ، فأبى رسول الله ﷺ إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدمَاها ، وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يُعفيهم من الصلاة ، وأن لا يَكسروا أوثانَهم بأيديهم ، فقال رسول الله ﷺ : أمَّا كسرُ أوثانكم بأيديكم فسنُعفيكم منه ، وأما الصَّلاةُ فإنه لا خيرَ في دين لا صلاة فيه .

---

(١) « سِنّ عروة » : تِرْبه ونديده .

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابَهم أمَّرَ عليهم عثمانَ بن أبي العاص ، وكان من أحدثهم سناً ، وذلك أنه كان أحرصَهم على التفقُّهِ في الإسلام وتعلُّم القرآن ، فلما فرغوا من أمرهم وتوجهوا إلى بلادهم راجعين بعثَ رسولُ الله ﷺ معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة في هدم الطاغية ، فخرجا مع القوم حتى إذا قدموا الطائفَ أراد المغيرةُ أن يُقَدِّم أبا سفيان ، فأبى ذلك أبو سفيان عليه ، وقال : ادخل أنت على قومِك . وأقام أبو سفيان . بماله بذي الهَرْم[1] ، فلما دخل المغيرةُ بن شُعبة علاها ليضربَها بالمِعول ، وقام دونه بنو معتب خشيةَ أن يُرمى أو يُصاب كما أُصيب عروة ، وخرج نساء ثقيف حُسَّراً يبكين عليها . ويقول أبو سفيان ــ والمغيرةُ يضربها بالفأس ــ : واهاً لك واهاً لك . فلما هدمَها المغيرةُ وأخذَ مالَها وحُلِيَّها ، أرسل إلى أبي سفيان وحُلِيُّها مجموع ، ومالها من الذهب والفضة والجَزْع .

وقد كان أبو مليح بن عروة ، وقارب بن الأسود قدما على رسول الله ﷺ قبل وفد ثقيف حين قُتل عروة ، يُريدان فراق ثقيف وأن لا يجامعاهم على شيء أبداً فأسلما ، فقال لهما رسولُ الله ﷺ : تَوَلَّيا من شِئتما . فقالا : نتولى اللّهَ ورسولَه . فقال رسولُ الله ﷺ : وخالَكما أبا سفيان بن حرب . فقالا : وخالَنا أبا سفيان ، فلما أسلم أهلُ الطائف ووجَّه أبا سفيان والمغيرة إلى هدم الطاغية ، سأل رسولَ الله ﷺ أبو مُليح بن عروة أن يقضيَ عن أبيه عروة ديناً كان عليه من مال الطاغية . فقال رسول الله ﷺ : نعم ، فقال له قارب بن الأسود : وعن الأسود يا رسول الله فاقضه ، وعروة والأسود أخوان لأب وأم . فقال رسول الله ﷺ : إن الأسودَ مات مُشركاً . فقال قارب : يا رسول الله! لكنْ تصلُ مسلماً ذا قربة ــ يعني نفسه ــ وإنما الدَّيْن عليَّ ، وإنما أنا الذي[2] أُطلب به ، فأمرَ رسولُ الله ﷺ أبا سفيان أن يقضيَ دين عروة والأسود من مال الطاغية ، فقضى .

وكان كتابُ رسول الله ﷺ الذي كتبه لهم : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي

---

(١) « بذي الهَرْم » : هو بفتح الهاء وسكون الراء ، مال لعبد المطلب بالطائف ، وقيل لأبي سفيان بن صرمة . نور النبراس لوحة ١٣١/٣ .

(٢) زيادة من السيرة النبوية .

رسول الله إلى المؤمنين إن عِضَاهَ وَجٍّ[1] وصيدَه لا يُعضَدُ[2] ، من وُجد يفعلُ شيئاً من ذلك ، فإنه يُجلد وتنزع ثيابه ، فإن تعدَّى ذلك فإنه يُؤخذ فيُبَلَّغ به النبيَّ محمداً ﷺ ، وأن هذا أمر النبي محمد رسول الله ﷺ . وكتبَ خالد بن سعيد بن العاص بأمر الرسول محمد بن عبد الله فلايتعدَّه أحدٌ فيظلمَ نفسَه فيما أمر به محمد رسول الله ﷺ[3] .

* * *

(١) « عِضاه » : بكسر العين ، كل شجر ذي شوك . مفردها عِضَة .

(٢) رواه أبو داود في المناسك (باب ٩٧) رقم/٢٠٣٢/ وأحمد في المسند ١٦٥/١ . وقال الشيخ النووي : وتحريم صيد وج رواه أبو داود في سننه ، من رواية الزبير بن العوام وإسناده ضعيف . نور النبراس لوحة ١٣١/٣ . و « وَجّ » : واد معروف بالطائف .

(٣) السيرة النبوية ٥٣٧/٢ ــ ٥٤٣ .

حجُّ أبي بكر بالنَّاس
في سنة تسع

قال ابن سعد : قالوا : استعمل رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق على الحج ، فخرج في ثلاثمائة رجل من المدينة ، وبعث معه رسولُ الله ﷺ بعشرين بدنة ، قلَّدها وأشعرَها بيده ، عليها ناجيةُ بن جُندب الأسلمي ، وساق أبو بكر خمسَ بَدَنات ، فلما كان بالعَرْج ــ وابن عائذ يقول : بضَجْنَان ــ لقيه عليٌّ بن أبي طالب على ناقة رسول الله ﷺ القَصْوَاء ، فقال له أبو بكر : استعملك رسول الله ﷺ على الحج ؟ قال : لا ، ولكن بعثني أقرأُ براءةَ على الناس ، وأنبذَ إلى كل ذي عهدٍ عهدَه . فمضى أبو بكر فحجَّ بالناس ، وقرأ عليٌّ بن أبي طالب براءة يوم النحر عند الجمرة ، ونبذَ إلى كلٌ ذي عهد عهده ، وقال : لا يحجَّ بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عُريان . ثم رجعا قافلين إلى المدينة(١) .

وفيما ذكر ابن عائذ : أن المشركين كانوا يَحجُّون مع المسلمين ، ويُعارضهم المشركون بإعلاء أصواتهم ليغلطوهم بذلك(٢) : لا شريكَ لك إلا شريكاً هو لك تملُكه وما ملك . ويطوفُ رجالٌ منهم عُراة ، ليس على رجل منهم ثوب بالليل ، يُعظِّمون بذلك الحرمة ، ويقول أحدُهم : أطوف بالبيت كما ولدتني أمي ، ليس عليَّ شيء من الدنيا خالَطَه الظلم . فكره رسول الله ﷺ أن يحجَّ ذلك العام وأمرَ اللَّهُ ببراءة ، وذكر تمام الخبر . وفيه : فلما كان يوم النحر يوم الحج الأكبر ، أُذِّنَ ببراءة من عهد كل مشرك لم يُسلم ، أن لا يدخلَ المسجد الحرام بعد ذلك العام ، وبيَّنَ لهم مُدَّة الله التي ضرب على لسان نبيه أربعة أشهر يَسيحون فيها حيث شاؤوا ، فقالوا : بل الآن لا نبتغي تلك المدة ، نبرأ منك ومن ابن عمك إلا من الضرب والطعن ، فحجَّ الناس عامَهم ذلك ، فلما رجعوا أرغب الله المشركين فدخلوا في الإسلام طوعاً وكرهاً . وكان العهدُ بين رسول الله ﷺ وبين المشركين عامّاً وخاصّاً ، فالعامُّ أن لا يُصدَّ أحدٌ عن البيت جاءه ، ولا يُخافُ أحدٌ في الأشهر الحرم ، فانتقض ذلك بسورة

---

(١) الطبقات الكبرى ٢/١٦٨ .

(٢) « ج » : ليغلطوهم بذكر ..

براءة . والخَاصُّ بين رسول الله ﷺ وبين قبائل من العرب إلى آجال مسمَّاة ، ولذلك قال ﴿ إلا الذينَ عاهدتُّم من المشركينَ ثم لم ينقصُوكم شيئاً ﴾ الآية [التوبة : ٤] . ذكر معناه ابن إسحاق ، وذكر تمام الآي من سورة براءة وتفسيرها[١] .

* * *

(١) السيرة النبوية ٢/٥٤٣ ـ ٥٥٤ .

وفود العرب

وفي سنة تسع قدمت وفود العرب على رسول الله ﷺ ، وكانت تسمى بذلك ، ففيها قدم وفد بني تميم الذي تقدم ذكره .

وفيها قدم وفد بني عامر ، فيهم عامر بن الطفيل ، وأَرْبَدُ بن قيس بن جَزء بن خالد بن جعفر ، وجَبَّار بن سلمى بن مالك بن جعفر ، قاله بن إسحاق . قال : وكان هؤلاء الثلاثة رؤساءَ القوم وشياطينَهم ، فقدم عامر بن الطفيل عدوُّ الله على رسول الله ﷺ ، وهو يُريد الغدرَ به ، وقد قال له قومه : يا عامر : إن الناس قد أسلموا فأسلم . قال : والله لقد كنتُ آليت لا أنتهي حتى يتبعَ العربُ عقبي ، فأنا أتبع عَقِبَ هذا الفتى من قريش ؟ ثم قال لأربد : إذا قدمنا على الرجل فإني شاغلٌ عنك وجههَ ، فإذا فعلتُ ذلك فاعْلُه بالسيف . فلما قدموا على رسول الله ﷺ ، قال عامر بن الطفيل : يا محمد خالِني . قال : لا والله حتى تؤمن بالله وحدَه لا شريكَ له . قال : يا محمد خالِني[1] . وجعل يُكلّمه وينتظر من أربد ما كان أمره به ، فجعل أربد لا يُحير شيئاً . فلما رأى عامر ما يصنع أربد ، قال : يا محمد خالِني . قال : لا حتى تؤمنَ بالله وحدَه لا شريكَ له . فلما أبى عليه رسول الله ﷺ . قال : أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً . فلما ولَّى قال رسول الله ﷺ اللهم اكفني عامرَ بن الطفيل . فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ ، قال عامر لأربد : ويلك يا أربد ! أين ما كنتُ أمرتُك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندي على نفسي منك ، وايم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً . قال : لا أبالك لا تعجل علي ، والله ما هممتُ بالذي أمرتني به من أمره إلا دخلتَ بيني وبين الرجل ، حتى لا أرى غيرك ، أفاضربك بالسيف ؟ .

وخرجوا راجعينَ إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، بعث الله على عامر

---

(١) « خالِني » : رُويت بتخفيف اللام ؛ أي تَفرَّدْ لي خالياً حتى أتحدَّثَ معك . ورويت بتشديد اللام أيضاً ، أي اتخذني خليلاً وصاحباً .

ابن الطفيل الطاعون[1] في عنقه ، فقتلَه الله في بيت امرأة من بني سلول ، فجعل يقول : يا بني عامر ! أغدّةً كغُدَّة البَكْر في بيت امرأة من بني سَلول .

ثم خرج أصحابه حين واروْه الترابَ ، حتى قدموا أرضَ بني عامر ، فلما قدموا أتاهم قومهم ، فقالوا : ما وراءك يا أربد ؟ قال : لا شيء ، والله لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددتُ أنه عندي الآن فأرميه بالنبل حتى أقتلَه . فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يبيعه ، فأرسلَ الله عليه وعلى جمله صاعقةً فأحرقتهما[2].

قدوم ضِمَام بن ثعلبة

قرأتُ على أبي الفتح يوسف بن يعقوب الشيباني بسفح قاسيون ، أخبركم أبو اليُمن الكِندي قراءة عليه وأنتم تسمعون سنة سبع وستمائة ، وأبو محمد عبد العزيز بن الأخضر إجازة من بغداد ، قالا : أخبرنا الحافظ أبو القاسم بن السمرقندي سماعاً ، أخبرنا أبو الحسين بن النَّقُّور ، أخبرنا أبو القاسم عيسى بن علي بن الجراح الوزير قراءة عليه وأنا أسمع ، حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم المروزي ، حدثني أبو عمارة حمزة بن الحارث بن عُمير ــ وهو أبو عمير ــ قال : سمعت أبي بكر يذكر عن عُبيد الله بن عمر ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، قال : بينا النبيُّ ﷺ مع أصحابه متكئاً ــ أو قال جالساً ــ جاءهم رجلٌ من أهل البادية ، فقال : أيُّكم ابن عبد المطلب ؟ قالوا : هذا الأمغر المرتفق ــ قال حمزة : الأمغر : الأبيض مشرب حمرة ، والمرتفق : مثل المتكىء ــ قال : فدنا منه ، وقال : إني سائلك فمشدد عليك في هذه المسألة . فقال : سل عما بدا لك . فقال : أنشدُك بربِّ مَنْ قبلَك وربِّ من بعدَك : آللَّهُ أرسلَك ؟ قال : اللهم نعم . قال : وأنشدُك بالله : آللَّهُ أمَرك أن تُصلِّيَ خمس صلوات في كل يوم وليلة ؟ قال : اللهم نعم . قال : وأنشدُك بالله آللَّهُ أمَرك أن تأخذ من أموال أغنيائنا فتردَّه على فقرائنا ؟ قال : اللهم نعم . قال : وأنشدُك بالله : آللَّهُ أمرك أن تصومَ هذا الشهر من اثني عشر شهراً ؟ قال : اللهم نعم . قال : فأنشدك بالله : آللَّهُ أمَرك أن يحجَّ هذا البيتَ من

---

(١) « الطاعون » : الوباء ، المعروف في عصرنا بالكوليرا ، وما أصاب عامراً ليس منه ، وإنما هو ــ كما يوضحه ما بعده ــ ضرب من السرطان والأورام الخبيثة ، والله أعلم .

(٢) السيرة النبوية ٢/٥٦٧ ــ ٥٦٩ .

استطاع إليه سبيلاً ؟ قال : اللهم نعم . قال : فإني قد آمنتُ وصدَّقت ، وأنا ضِمام بن ثعلبة . وأما هذه الهَنَاة فوالله إن كنا لنتنزه عنها في الجاهلية . ــ قال حمزة : فسمعتُ أبي يقول : الهَنَاة : الفواحش ــ . قال : فلما أن ولَّى قال رسول الله ﷺ : « فَقُهَ الرجلُ » . قال : فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : ما رأيتُ أحداً أحسنَ مسألة ولا أوجزَ من ضِمام بن ثعلبة(١) .

وذكر ابن إسحاق هذا الخبر وقال فيه : إن ضِماما قال لقومه عند ما رجع إليهم إن الله قد بعثَ رسولاً ، وأنزل عليه كتاباً استنقذَكم به مما كنتم فيه ، وإني أشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله ، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه . قال : فوالله ما أمسى من ذلك اليوم في حَاضِره رجل ولا امرأة إلا مسلماً . قال : يقول عبد الله بن عباس : فما سمعنا بوافد قوم كان أفضلَ من ضِمام بن ثعلبة . ذكره عن محمد بن الوليد بن نويفع عن كريب عن ابن عباس(٢) .

قدوم الجارود بشر(٣) بن المُعَلَّى
في وفد عبد القيس ، وكان نصرانياً

قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أتهم عن الحسن ، قال : لما انتهى إلى رسول الله ﷺ كلَّمه ، فعرض عليه رسولُ الله ﷺ الإسلامَ ، ودعاه إليه ، ورغَّبه فيه ، فقال : يا محمد ! إني قد كنتُ على دين وإني تاركٌ ديني لدينِك ، أفتضمن لي ديني ؟ فقال له رسول الله ﷺ : نعم ، أنا ضامنٌ أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه . قال : فأسلم وأسلم أصحابُه . ثم سأل رسولَ الله ﷺ الحملانَ . فقال : والله ما عندي ما أحملكُم عليه . فقال : يا رسول الله فإنَّ

---

(١) رواه النسائي في الصلاة (باب كم فُرضت الصلاة) ٢٢٨/١ ــ ٢٢٩ وعدل المؤلف عن روايته من النسائي ، لأنه وقع له أعلى . والقصة في البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه . نور النبراس لوحة ١٣٤/٣ .

(٢) السيرة النبوية ٥٧٣/٢ ــ ٥٧٥ والمسند .

(٣) في الأصول « الجارود بن بشر » وكذا هو عند ابن هشام في السيرة النبوية ، والتصحيح من نور النبراس لوحة ١٣٤/٣ ، والسيرة الشامية ٤٦٥/٦ والإصابة ٢١٦/١ وقال : لُقِّب بالجارود ؛ لأنه غزا بكر بن وائل فاستأصلهم .

بيننا وبين بلادنا ضَوَالٌّ[1] من ضَوَالِّ الناس ، أفنتبلَّغُ عليها إلى بلادنا ؟ قال : لا ، إيَّاك وإياها ، فإنما تلك حَرَقُ النار .

فخرج من عنده الجارود راجعاً إلى قومه ، وكان حسنَ الإسلام صَلِيباً على دينه حتى هلك ، وقد أدرك الردة ، فلما رجع قومُه من كان أسلم منهم إلى دينه الأول مع الغرور[2] المنذر بن النعمان بن المنذر ، قام الجارود فتشهد شهادة الحق ، ودعا إلى الإسلام ، فقال : أيُّها الناس ، إني أشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأُكفِّرُ من لم يشهد[3] .

وقد روينا خبر قدومه من حديث سليمان بن علي ، عن علي بن عبد الله ، عن عبد الله بن العباس ، وفيه إنشاده النبيَّ ﷺ حين قدم عليه في قومه :

يا نبيَّ الهدى أتتكَ رجالٌ … قطعت فدفداً وآلاً فآلا[4]
وطوت نحوك الصَّحَاصِحَ طُرّاً … لا تخالُ الكَلاَلَ فيكَ كلالا[5]
كلُّ دهناء يقصرُ الطرفُ عنها … أرقلتها قلاصُنا إرقالا[6]
وطوتها الجيادُ تجمحُ فيها … بكُماة كأنجمٍ تتلالا
تبتغي دفعَ بؤسِ يومٍ عبوسٍ … أو جلَ القلبَ ذكرُه ثم هالا

قدوم بني حنيفة
ومعهم مسيلمة الكذاب

قال ابن إسحاق : وكان منزلهم في دار بنت الحارث ، امرأةٍ من الأنصار ، ثم من بني النجار فحدثني بعض علمائنا من أهل المدينة ، أن بني حنيفة أتت به رسولَ الله ﷺ تسترُه

(١) « ضَوَالّ » : جمع ضالّة ، وهي الضالة من كل ما يُقتنى من الحيوان وغيره .

(٢) في الأصول كلها « المغرور » والتصحيح من نور النبراس لوحة ١٣٥/٣ ، والسيرة النبوية ٥٧٥/٢ . واسمه : المنذر قال السهيلي : سمي كذلك لأنه غرَّ قومه حين حرب الردة .

(٣) السيرة النبوية ٥٧٦/٢ والخبر مرسل .

(٤) « فَدْفَداً » : الفلاة من الأرض . و« آلاً » : سراباً .

(٥) « الصَّحَاصِحَ » : جمع صحصاح ، وهو المستوي من الأرض . و« كلالاً » : الكلال : التعب .

(٦) « دهناء » : فلاة ، و« أرقلتها قِلاَصُنا » : قطعتها نياقنا خبباً .

بالثياب ، ورسولُ الله ﷺ جالسٌ في أصحابه ، معه عسيبٌ من سَعَفِ[1] النَّخل في رأسه خُويصات[2] ، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وهم يسترونه بالثياب ، كلَّمَه وسأله . فقال له رسولُ الله ﷺ : لو سألتني هذا العسيبَ ما أعطيتُكه .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني شيخ من بني حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على خلاف هذا : أن وفد بني حنيفة أتوا رسولَ الله ﷺ وخلَّفوا مُسيلمة في رحالهم ، فلما أسلموا ذكروا مكانه ، فقالوا : يا رسول الله إنا قد خلَّفنا صاحباً لنا في رِحالنا وفي ركابنا يحفظها لنا . قال : فأمر له رسول الله ﷺ بمثل ما أمر به للقوم ، وقال : أما إنه ليس بشرِّكم مكاناً ــ أي : لحفظه ضيعة أصحابه ــ ذلك الذي يُريد رسولُ الله ﷺ .

قال : ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ وجاؤوه بما أعطاه ، فلما انتهوْا إلى اليمامة ارتدَّ عدوُّ الله وتنبَّأ وتكذَّبَ لهم ، وقال : إني وقد أُشركتُ في الأمر معه ، وقال لوفده الذين كانوا معه : ألم يقل لكم حين ذكرتموني له : أما إنه ليس بشرِّكم مكاناً ؟ ما ذاك إلا لما كان يعلم أني قد أُشركتُ في الأمر معه . ثم جعل يسجع لهم ، ويقول لهم فيما يقول ــ مضاهاة للقرآن ــ : لقد أنعم الله على الحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صِفاقٍ وحشا .

وأحلَّ لهم الخمرَ والزنا ؛ ووضع عنهم الصلاة ، وهو مع ذلك يشهدُ لرسول الله ﷺ أنه نبيّ ، فأصفقتْ[3] معه حنيفة على ذلك ، فالله أعلم أيُّ ذلك كان[4] .

قلت : كان مسيلمة صاحبَ نيروجات[5] ، يقال : إنه أول من أدخل البيضة في القارورة ، وأول من أوصل جناح الطائر المقصوص ، وكان يدَّعي أن ظبية تأتيه من الجبل فيحلب لبنها . قتله زيد بن الخطاب رضي الله عنه يوم اليمامة ، وقال رجل من بني حنيفة يرثيه :

---

(١) « عسيبٌ من سعف النخل » : العسيب : الجزء الخشبي الممتد من جريدة النخل ، والسَّعَف : أوراق الجريدة ، ولعل المقصود هنا : الجريدة نفسها ، خضراء ويابسة ، من إطلاق الجزء على الكل .

(٢) « خويصات » : الخوص : ورق الجريدة يابساً .

(٣) « أصفقت » : أجمعت .

(٤) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥٧٦/٢ ــ ٥٧٧ .

(٥) « نيروجات » : جمع نيروجة ، وهي كلمة فارسية تعني الشعبذة .

لهفـي عــليـك أبـا ثُمــامــهْ لهفـي علـى ركنَيْ شَــمــامــهْ[1]
كمْ آيــــــةٍ لك فيهـــــمُ كالشـمس تطـلعُ من غَمــامهْ

حكاه السهيلي : وقال : كذبَ ، بل كانت آياته منكوسة ، يقال : إنه تفل في بئر قوم سألوه ذلك تبركاً فمَلُح ماؤُها ؛ ومسحَ رأسَ صبي فقِرع قَرَعاً فاحشاً ، ودعا لرجل في ابنين له بالبركة فرجع إلى منزله فوجدَ أحدَهما قد سقطَ في البئر والآخر قد أكلَه الذئبُ. ومسحَ على عينَيْ رجل استشفى بمسحه فابيضَّتْ عيناه[2] .

قدوم زيد الخيل بن مُهَلهِل الطائي في وفد طيء

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله ﷺ وفد طيء فيهم زيد الخيل وهو سيدهم ، فلما انتهَوْا إليه كلَّمهم وعرض عليهم الإسلام فأسلموا وحسن إسلامهم وقال عليه الصلاة والسلام : « ما ذُكر لي رجل من العرب بفضل ، ثم جاءني إلا رأيتُه دون ما يُقال فيه إلا زيدُ الخيل ، فإنه لم يبلغْ كلَّ ما فيه » . ثم سماه زيدَ الخير ، وقطعَ له فيداً[3] وأرَضين معه ، وكتب له بذلك ، فخرج من عند رسول الله ﷺ راجعاً إلى قومه ، فقال رسول الله ﷺ : « إنْ يُنْجَ[4] زيدٌ من حُمَّى المدينة فإنَّه »[5] . قال : قد سماها رسولُ الله ﷺ باسمٍ غير الحمى وغيرِ أُمِّ مِلْدم فلم يثبته[6] . فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه يُقال له فَرْدَة ، أصابته

---

(١) « شمامه » : بفتح الشين وتخفيف الميم ، قال سبط ابن العجمي : لا أعلم ما هو ، ولا رأيت أحداً ذكرَ فيه شيئاً . نور النبراس لوحة ١٣٦/٣ .

(٢) الروض الأنف ٣٣٨/٢ .

(٣) « فَيْد » : اسم مكان قرب جبل سلمى في بلاد طيء .

(٤) « يُنْجَ » : كذا ضبطت بالبناء للمجهول ، ولعلها « يَنْج » مبنية للمعلوم .

(٥) « فإنَّه » : كذا وردت من غير خبر ، وقدَّره الزرقاني في المواهب ٢٦/٤ : فإنَّه لا يُعابُ بسوء ، أو لم يُصبْه ضرر ، ونحو ذلك . ولعل المناسب : فإنه سيكون ذا تأثير في قومه بالإسلام . والله أعلم .

(٦) « فلم يُثبتْه » : قال السهيلي في الروض الأنف ٣٤٢/٢ : الاسم الذي ذهب عن الراوي من أسماء الحمى هو : أمُّ كُلْبة . و« مِلْدَم » : بكسر الميم وفتحها ، وسكون اللام ، وفتح الدال .

الحمى بها فمات ، فلما أحسَّ زيدٌ بالموت ، قال :

أَمُرتَحِـلٌ قومي المشـارقَ غَدْوةً وأُتـركُ في بيتٍ بفـردةَ مُنجـدِ

ألا رُبَّ يـوم لو مـرضتُ لعـادني عـوائـدُ من لم يُـبرَ مِنهنَّ يجهـدِ[1]

فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان من كتبه التي أقطعها له رسولُ الله ﷺ فأحرقتها[2] بالنار[3] .

قال أبو عمر : وقيل : بل مات في آخر خلافة عمر ، وكان قد أسرَ عامرَ بن الطفيل قبل إسـلامه وجزَّ ناصيتَه . وكان له ابنان مِكنف وبه كان يُكنَّى ، وحُريث ، أسـلما وصحبا النبيَّ ﷺ ، وشهدا قتالَ أهلِ الردة مع خالد[4] رضي الله عنه .

قدوم عديّ بن حاتم الطائي

قال ابن إسحاق : وكان يقول ـــ فيما بلغني ـــ : ما من رجلٍ من العرب كان أشدَّ كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به مني ، أما أنا فكنت امرأ شريفاً ، وكنت نصرانياً ، وكنت أسيرُ في قومي بالمِرْباع[5] ، فكنت في نفسي على دين ، وكنتُ ملكاً في قومي لما كان يُصنع بي ، فلما سمعتُ برسول الله ﷺ كرهته ، فقلت لغلام كان لي عربي ، وكان راعياً لإبلي : لا أبا لك اعزلْ لي من إبلي أجمالاً ذُلُلاً سماناً ، فاحبسها قريباً مني ، فإذا سمعتَ بجيشٍ لمحمد قد وطيء هذه البلاد فآذِنّي ، ففعل . ثم إنه أتاني ذاتَ غداة فقال : يا عدي ما كنتَ صانعاً إذا غشيك محمدٌ فاصنعه الآن ، فإني قد رأيت راياتٍ ، فسألت عنها ، فقالوا : هذه جيوش محمد . قال : فقلت : فقرِّبْ لي أجمالي ، فقرَّبها ، فاحتملتُ بأهلي وولدي ، [6] قلتُ :

---

(١) يُبرىء » : بالبناء للمجهول ، أي يُبريه السفر ويُضعفه .

(٢) ذكر ابن دريد أن امرأتـه حينما رأت الراحلة مقبـلة ليس عليهـا زيد ، ضرمتهـا بالنار ، فاحترقت واحترق الكتاب . السيرة الشامية ٥٤٦/٦ .

(٣) السيرة النبوية ٥٧٧/٢ ـــ ٥٧٨ .

(٤) الاستيعاب ٥٦٣/١ ـــ ٥٦٤ .

(٥) « المِرْبَاع » : أخذ الربع من الغنيمة دون أصحابه .

(٦) كذا في « أ » و« ب » وبقية النسخ والسيرة النبوية : « ثم قلت ... » .

أَلحقُ بأهل ديني من النصارى بالشام ، وخلَّفتُ بنتاً لحاتم في الحَاضِر ، فلما قدمتُ الشامَ أقمت بها .

وتُخالفني خيلٌ لرسول الله ﷺ فتصيبُ ابنة حاتم فيمن أصابت ، فقُدم بها على رسول الله ﷺ في سبايا طيء ، وقد بلغ رسولَ الله ﷺ هربي إلى الشام ، فجُعلت بنتُ حاتم في حظيرة بباب المسجد كانت السبايا تُحبس فيها ، فمرَّ بها رسولُ الله ﷺ ، فقامت إليه ، وكانت امرأةً جَزْلَةً[1] ، فقالت : يا رسول الله هلكَ الوالدُ ، وغاب الوافدُ ، فامنن عليَّ مَنَّ الله عليكَ . قال : من وافدك ؟ قالت : عدي بن حاتم . فقال : الفَارُّ من الله ورسوله ؟ ثم مضى وتركني ، حتى إذا كان من الغد مرَّ بي فقلت له مثل ذلك ، وقال لي مثل ما قال بالأمس . حتى إذا كان بعد الغد مرَّ بي وقد يئست ، فأشار إليَّ رجل من خلفه : أن قومي فكلِّميه . قالت : فقمت إليه فقلت : يا رسول الله هلكَ الوالدُ ، وغابَ الوافدُ . فامنن عليَّ منَّ الله عليك . فقال رسول الله ﷺ : قد فعلتُ ، فلا تعجلي بخروجٍ حتى تجدي من قومِك من يكون لك ثقةً ، حتى يُبلِّغَكِ إلى بلادك ، ثم آذِنيني . فسألتُ عن الرجل الذي أشار إليَّ أن كلميه ، فقيل : هو علي بن أبي طالب .

فأقمتُ حتى قدم ركبٌ من بَلِيّ أو قُضاعة ، قالت : وإنما أُريد أن آتي أخي بالشام . قالت : فجئتُ رسولَ الله ﷺ ، فقلت يا رسول الله قد قدم رهطٌ من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ . قالت : فكساني رسولُ الله ﷺ وحملني ، وأعطاني نفقة ، فخرجت معهم حتى قدمت الشام .

قال عدي : فوالله إني لقاعد في أهلي إذ نظرت إلى ظعينة تُصَوِّبُ إليَّ ، تؤمُّنا . قال : فقلت : ابنةُ حاتم ؟ قال : فإذا هي هي . فلما وقفتْ علي انسجلت[2] تقول : القاطع الظالم ، احتملتَ بأهلك وولدكَ وتركت بقيَّة والديك ، عورتك . قال : قلت : أي أُخيّة لا تقولي إلا خيراً ، فوالله ما لي من عذر ، لقد صنعتُ ما ذكرتِ . قال : ثم نزلتْ فأقامتْ عندي ، فقلت لها ــ وكانت امرأة حازمة ــ ماذا تَرَيْنَ في أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله

---

(١) « جَزْلة » : عاقلة .

(٢) « انسجلت » : انصبت .

أن تلحقَ به سريعاً ، فإن يكن الرجل نبيّاً فللسابق إليه فضلٌ ، وإن يكنْ ملكاً فلن تَذِلَّ في عِزِّ اليمن وأنتَ أنتَ . قال : قلت : والله إنَّ هذا للرأي .

قال : فخرجت حتى أقدم على رسول الله ﷺ المدينة ، فدخلتُ عليه ، فقال : مَن الرجل ؟ فقلت : عدي بن حاتم . فقامَ رسولُ الله ﷺ وانطلق بي إلى بيته ، فوالله إنه لعامدٌ بي إليه ، إذ لقيته امرأةٌ ضعيفة كبيرة ، فاستوقفته ، فوقف لها طويلاً ، تُكلِّمه في حاجتها ، قال : قلت في نفسي : والله ما هذا بملك . قال : ثم مضى رسولُ الله ﷺ حتى إذا دخل بيتَه ، تناول وسادةً من أدم محشوة ليفاً ، فقذفها إليَّ ، فقال : اجلس على هذه . قال : فقلت : بل أنت فاجلس عليها . قال : بل أنت . فجلستُ عليها ؛ وجلس رسولُ الله ﷺ بالأرض . قال : فقلت في نفسي : والله ما هذا بأمر ملك ، ثم قال : إيه يا عدي بن حاتم! ألم تَكُ ركوسياً[1] ؟ قال : قلت : بلى . قال : أو لم تكن تسيرُ في قومك بالمرباع ؟ قال : قلت : بلى . قال : فإن ذلك لم يكن يَحِلُّ لك في دينِك . قال : قلت : أجل والله . قال : وعرفت أنه نبيٌّ مرسل ، يعلم ما يُجهل . ثم قال : « لعلك يا عدي إنما يمنُعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم ، فوالله ليُوشكنَّ المالُ أن يفيضَ فيهم حتى لا يُوجدَ من يأخذه ، ولعلك إنما يمنعُك من دخولٍ فيه ما ترى من كثرة عدوّهم وقلّة عددهم ، فوالله ليُوشكنَّ أن تسمعَ بالمرأة تخرجُ من القادسية على بعيرها حتى تزورَ هذا البيت ، لا تخاف ، ولعلك إنما يمنعُك من دخولٍ فيه أنك ترى أن الملكَ والسلطانَ في غيرهم ، وايم الله ليُوشكنَّ أن تسمعَ بالقصور البيض من أرض بابلَ قد فُتحت عليهم » . قال : فأسلمتُ .

قال : فكان عدي يقول : مضت اثنتان ، وبقيت الثالثة ، والله لتَكوننَّ ، قد رأيتُ القصورَ البيضَ من أرض بابلَ قد فُتحت عليهم ، وقد رأيتُ المرأةَ تخرجُ من القادسية على بعيرها ولا تخافُ حتى تحجَّ هذا البيت ، وايم الله لتكوننَّ الثالثة ؛ ليفيضنَّ المالُ حتى لا يُوجدَ من يأخذه[2] .

● الرَّكوسيَّة : قوم لهم دين .

---

(١) « ركوسياً » : نسبة إلى الركوسية ، وهم فئة لهم دين خليط من الصابئة والنصرانية .

(٢) السيرة النبوية ٢/٥٧٨ — ٥٨١ . رواه الترمذي في التفسير (باب ومن سورة الفاتحة) رقم/٢٩٥٦/ وأحمد في المسند ٤/٣٧٨ ، وفي البخاري ومسلم بعضه .

● قوله : وغاب الوافد : بالواو ، وقال بعض الناس لا معنى له إلا على وجه بعيد ، قال : ووجدت الرقام ذكره في كتابه : الرافد بالراء ، وهو أشبه .

قدوم فَروة بن مُسيْك المرادي

قال ابن إسحاق : وقدم فروة على رسول الله ﷺ مفارقا لملوك كِندة ، وقد كان قُبيل الإسلام بين مُراد وهَمْدان وقعةٌ ، أصابت فيها هَمْدانُ من مُراد ما أرادوا ، حتى أثخنوهم في يوم كان يُقال له الرَّدْم .

فكان الذي قاد إلى مُرادَ هَمْدانَ : الأجدعُ بن مالك في ذلك اليوم .

وابن هشام يقول : مالك بن حُرَيْم[1] .

وعن الدارقطني وابن ماكولا فيه : حَرِيم ، بفتح الحاء مكسور الراء المهملتين ، قيل : هو والد مسروق بن الأجدع . حكاه الدارقطني ، وتبعه ابن ماكولا ، وهو مما أنكره الوقشي ، وقال : ليس مالك بن حَرِيم جد مسروق كما زُعم ، لأن مالكاً من بني دالان بن سابقة بن ناشح بن دافع بن مالك بن جشم بن حيوان بن نوف بن همدان ، ومسروقاً من بني معمر بن الحارث بن سعد بن عبد الله بن وادعة بن عمرو بن عامر بن ناشح ، رأيته بخط الأستاذ أبي علي الشَّلُوبِيْن ، وقد أسقط بين جشم بن حَيوان حاشد بن جشم . كذا هو عند الرُّشاطي : جشم بن حاشد بن جشم بن حَيوان بن نوف .

ولما توجه[2]فروة إلى رسول الله ﷺ ، قال :

لما رأيتُ مُلوكَ كِندةَ أعرضتْ ... كالرِّجلِ خانَ الرِّجلَ عِرْقُ نَسائِها[3]
قرَّبْتُ راحلتي أؤمُّ محمّداً ... أرجو فواضلَها وحُسْنَ ثَرائِها

وقال له رسول الله ﷺ : هل ساءك ما أصابَ قومَك يوم الرَّدْم ؟ قال : يا رسول الله!

---

(١) السيرة النبوية ٢/٥٨١ .

(٢) رجع إلى كلام ابن إسحاق .

(٣) « عِرق نَسَائها » : هو عِرق مستبطن في الرِّجل ، كعِرق الأكحل في اليد ، والأصل فيه ـ النَّسَا ـ بالقصر .

من ذا يُصيب قومَه مثلُ ما أصابَ قومي يوم الرَّدْم ولا يسوؤه ؟ فقال له رسولُ الله ﷺ : أما إن ذلك لم يزد قومَك في الإسلام إلا خيراً . واستعملَه على مُراد وزُبيد ومَذْحِج كلِّها ، وبعثَ معه خالدَ بن سعيد بن العاص على الصدقة ، فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله ﷺ(١) .

قدوم عمرو بن معدي كرب
في أناس من بني زُبيد

قدم عمرو ، فأسلم ، وقد كان قال لقيس بن مَكشوح المُرادي ــ وقيس ابن أخته ــ يا قيسُ إنك سيِّدُ قومِك ، وقد ذُكر لنا أن رجلاً من قريش يُقال له محمد ، قد خرج بالحِجاز ، يقول : إنه نبي . فانطلق بنا إليه ، حتى نعلمَ عِلْمَه ، فإن كان نبيّاً كما يقول فإنه لن يخفى عنك ، إذا لقيناه اتبعناه . وإن كان غير ذلك علمنا عِلْمه . فأبى عليه قيس ذلك وسفَّه رأيه ، فركب عمرو حتى قدم على رسول الله ﷺ فأسلمَ وصدَّقه وآمن به ، فلما بلغ ذلك قيساً أوعدَ عمراً ، فقال عمرو في ذلك شعراً أوله :

أمرتك يومَ ذي صنعاءَ أمراً بادياً رُشْدُه

وأقام عمرو في قومه من بني زُبيد وعليهم فروة بن مُسيك ، فلما تُوفي رسول الله ﷺ ارتد عمرو . قاله ابن إسحاق(٢) .

وذكر أبو عمر من طريق ابن عبد الحكم قال : حدثنا الشافعي ، قال : وجَّه رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب وخالدَ بنَ سعيد بن العاص إلى اليمن ، قال : إذا اجتمعتما فعليٌّ الأمير ، وإذا افترقتما فكلُّ واحد منكم أمير . فاجتمعا ، وبلغ عمروُ بن معدي كرب مكانَهما ، فأقبلَ في جماعة من قومه ، فلما دنا منهما ، قال : دعوني حتى آتي هؤلاء القوم ، فإني لم أُسمَّ لأحدٍ قطُّ إلا هابني . فلما دنا منهما نادى أنا أبو ثور ، أنا عمرو بن معدي كرب ، فابتدره عليٌّ وخالدٌ ، وكلاهما يقولُ لصاحبه : خَلِّني وإياه ، ويُفَدِّيه بأبيه وأمه . فقال

(١) السيرة النبوية ٢/٥٨٢ ــ ٥٨٣ .
(٢) المصدر السابق ٢/٥٨٣ ــ ٥٨٥ .

عمرو إذ سمع قولَهما : العرب تُفَزِّعُ بي ، وأُراني لهؤلاء جَزَرَة[1] . فانصرف عنهما .

وكان عمرو فارسَ العرب مشهوراً بالشجاعة ، وكان شاعراً مُحسناً ، مما يُستجاد من شعره قوله :

أعاذلَ عُدّتي يَزَني ورمحي ... وكلُّ مُقلَّصٍ سَلسِ القِياد[2]
أعاذلَ إنما أفنى شبابي ... إجابتي الصريخَ إلى المنادي
مع الأبطالِ حتى سُلَّ جسمي ... وأقرحَ عاتقي حملُ النِّجادِ
ويبقى بعد حِلم القوم حلمي ... ويفنى قبل زاد القوم زادي
تمنَّى أن تُلاقيني قيسٌ ... وددتُ ، وأينما مني وِدادي ؟
فمن ذا عاذري من ذي سَفاه ... يرودُ بنفسه شرَّ المرادِ
أريدُ حَيَاتَه ويُريد قتلي ... عذيرَكَ من خليلِك من مُرادِ[3]

يُريد قيس بن مكشوح ، وأسلم قيس بعد ذلك ، وله ذكر في الصحابة ، وقيل : كان إسلامه بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وكان شجاعاً فارساً شاعراً ، وكان يُناقض عمراً ، وهو القائل لعمرو :

فلو لاقيتني لاقيتَ قِرْناً ... وودَّعْتَ الحبائبَ بالسَّلامِ
لعلك مُوعِدِي ببني زُبيدٍ ... وما قامعتُ من تلك اللئامِ
ومثلُك قد قَرنتُ له يديْهِ ... إلى اللَّحيين يمشي في الخِطَامِ

قدوم الأشعث بن قيس

وقدم الأشعث بن قيس في ثمانين راكباً من كِندة ، فدخلوا على رسول الله ﷺ مسجدَه

---

(١) « جَزَرة » : شاة سمينة .

(٢) « يَزَني » : كذا في الأصول ، نسبة إلى « يَزَن » أحد ملوك حمير ، تنسب إليه الرماح . وفي الاستيعاب « بدني » معناه : درعي ، على حد قوله تعالى عن فرعون ﴿ فاليوم ننجيك ببدنك ﴾ أي بدرعك ، كما فسره بعضهم . نور النبراس لوحة ١٤٠/٣ . .

(٣) كذا في الاستيعاب ٥٢١/٢ وبعض النسخ ، ويُروى « حِبَاؤه » والأول أسير .

وقد رَجَّلوا[1] جُممهَم وتكحلوا ، وعليهم جُبَبُ الحَبِرَة قد كفَّفوُها بالحرير ، فلما دخلوا على رسول الله ﷺ ، قال : ألم تُسلموا ؟ قالوا : بلى . قال : فما بال هذا الحرير في أعناقكم ؟ قال : فشَقُّوه منها وألقَوْه ، وقالوا : يا رسول الله نحن بنو آكلِ المُرار وأنت ابن آكلِ المُرار . فتبسَّـم رسـولُ الله ﷺ وقال : « نحن بنو النضر بن كِنـانة لا نقفو أُمَّنـا ولا ننتفي من أبينا »[2] .

وكان الأشعث رئيساً مُطاعاً في الجاهلية وجيهاً في قومه في الإسلام ، إلا أنه كان ممن ارتد بعد النبي ﷺ ، ثم راجعَ الإسلام في خلافة أبي بكر الصديق ؛ وشهدَ بعد ذلك مع سعد القادسية والمدائن وجلولاء ونهاوند ، ومات سنة أربعين أو اثنتين وأربعين بالكوفة .

● وآكل المُرار : الحارث بن عمرو بن حِجْر بن عمرو بن معاوية من كِندة ، وقيل : جده حِجْر بن عمرو ، أكل هو وأصحابه في غزوة شجراً يُقال له المُرار ، وللنبي ﷺ جدة من كِندة مذكورة ، هي أم كلاب بن مرة ، فذاك أراد الأشعث[3] .

(قدوم صُرَد بن عبد الله الأزدي)

وقدم صُرَد بن عبد الله الأزدي على رسول الله ﷺ في وفد من الأزد ، فأمَّره على من أسلم من قومه ، وأمره أن يُجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن ، فخرج حتى نزل بجُرش ، وهي يومئذ مدينة مغلقة وبها قبائل من قبائل اليمن . وقد ضوت إليهم خثعم ، فدخلوها معهم حين سمعوا بمسير المسلمين إليهم ، فحاصروهم فيها قريباً من شهر ، وامتنعوا فيها منه . ثم إنه رجع عنهم قافلاً حتى إذا كان بجبل يُقال له شَكْر ، ظن أهل جُرش إنما ولَّى عنهم منهزماً ، فخرجوا في طلبه ، حتى إذا أدركوه عطفَ عليهم فقتلَهم قتلاً شديداً . وقد كان أهل جُرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتادان وينظران ، فبينما هما عند رسول الله ﷺ عشيةً بعد العصر ، إذ قال رسول الله ﷺ : بأي بلاد الله شَكْر ؟ فقام

(١) « رَجَّلُوا جُمَمَهم » : سرَّحوا ومشَّطوا نواصيهم .

(٢) « لانقفوا أمناً .. » لا نترك النسب إلى الآباء وننتسب إلى الأمهات . والحديث رواه ابن ماجه في الحدود (باب من نفى رجلاً من قبيلة) رقم/٢٦١٢/ وإسناده صحيح وانظر الفصول في سيرة الرسول ﷺ ، للحافظ ابن كثير ص ٨٦ بتحقيقنا .

(٣) السيرة النبوية ٢/٥٨٥ ـــ ٥٨٦ .

الجُرشيان فقالا : يا رسول الله بلادنا جبلٌ يُقال له كشر ، وكذلك يسميه أهل جُرش . فقال : إنه ليس بكَشْر ولكنه شَكْر . قالا : فما شأنه يا رسول الله ؟ قال : إنَّ بُدْنَ الله لتنحرُ عنده الآن . قال : فجلس الرجلان إلى أبي بكر ــ أو إلى عثمان ــ فقال لهما : ويحكما إن رسولَ الله ﷺ الآن لينعى لكما قومكما ، فقوما إلى رسول الله ﷺ فاسألاه أن يدعوَ الله أن يرفع عن قومكما . فقاما إليه فسألاه ذلك . فقال : اللهم ارفعْ عنهم . فخرجا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما ، فوجدا قومَهما قد أصيبوا يوم أصابهم صُرَدُ بن عبد الله في اليوم الذي قال فيه رسولُ الله ﷺ ما قال ، وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكرَ .

فخرجَ وفدُ جُرش حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا وحمَى لهم حِمىً حول قريتهم[1] .

(قدوم رسول ملوك حِمْيَر بكتابهم)

وقدم على رسول الله ﷺ كتابُ ملوك حِمير ، ورسولُهم إليه بإسلامهم الحارث بن عبد كُلال ، ونُعيم بن عبد كُلال ، والنعمان ــ قَيْلُ ذي رُعيْن ، ومُعافر ، وهَمْدان ــ . وبعثَ إليه زُرْعةُ ذو يزنٍ بإسلامهم ، فكتب إليهم رسولُ الله ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله النبي إلى الحارث بن عبد كُلال ، وإلى النعمان قَيْلِ ذي رُعين ومُعافر وهَمْدان ، أما بعد : فإني أحمدُ الله إليكم الذي لا إله إلا هو . أما بعد : فإنه وقعَ بنا رسولُكم منقلبنا من أرض الروم ، فلقيَنا بالمدينة ، فبلَّغ ما أرسلتم به ، وخبَّرَ ما قِبلَكُم ، وأنبأنا بإسلامكم وقتلِكم المشركين ، وأن الله قد هداكم بهداه إن أصلحتم وأطعتم الله ورسولَه ، وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة ، وأعطيتم من المغانم خُمسَ الله تعالى ، وسهمَ النبيِّ وصفيَّه ، وما كُتبَ على المؤمنين من الصدقة ، من العَقار عُشْرُ ما سقت العين وسقت السماء ، وما سقى الغَرْبُ نصفُ العُشْر ، وأن في الإبل الأربعين ابنةُ لَبون ، وفي ثلاثين من الإبل ابنُ لَبون ذكر ، وفي كلِّ خمس من الإبل شاةٌ ، وفي كلِّ عشرٍ شاتان ، وفي كُلِّ أربعين من البقر بقرةٌ ، وفي كل ثلاثين من البقر تبيعٌ جَذَعٌ أو جَذَعةٌ ، وفي كل أربعين من الغنم سائمةٌ وحدَها : شاةٌ ، وأنها فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصدقة ، فمن زاد خيراً فهو خير

(١) السيرة النبوية ٥٨٦/٢ ــ ٥٨٧ .

له ، ومن أدَّى ذلك وأشهدَ على إسلامه وظاهرَ المؤمنين على المشركين فإنه من المؤمنين ، له ما لهم وعليه ما عليهم ، وله ذمة الله وذمة رسوله ، وأنه من أسلم من يهوديٍّ أو نصرانيٍّ فإنه من المؤمنين ، له مالهم وعليه ما عليهم ، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يُردُّ عنها وعليه الجزية ، على كل حالمٍ ذكرٍ أو أنثى ، حرٍّ أو عبد ، دينارٌ وافٍ من قيمة المَعَافِر[1] ، أو عوضُه ثياباً . فمن أدى ذلك إلى رسول الله ﷺ فإن له ذمّةَ الله وذمّةَ رسوله ، ومن منعه فإنه عدوٌّ لله ولرسوله .

أما بعد : فإن محمدًا النبيَّ أرسلَ إلى زُرعة ذي يزن أنْ : إذا أتاكم رُسلي فأوصيكم بهم خيراً ، معاذ بن جبل ، وعبد الله بن زيد ، ومالك بن عُبادة ، وعُقبة بن نمر ، ومالك بن مُرارة وأصحابُهم ، وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مَخَاليفكم[2] ، وأبلغوها رسلي ، وأن أميرهم معاذ بن جبل ، فلا ينقلبن إلا راضياً . أما بعد : فإن محمداً يشهدُ أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله . ثم إن مالك بن مُرارة الرّهاوي قد حدثني أنك قد أسلمتَ من أوّل حمير ، وقتلت المشركين ، فأبشرْ بخير ، وآمرُك بحِمْيَرٍ خيراً ، ولا تخونوا ولا تخاذلوا ، فإن رسولَ الله ﷺ هو مولى غنيِّكم وفقيركم ، وأن الصدقة لا تحِلُّ لمحمد ولا لأهل بيته ، إنما هي زكاة يُزَكّى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل ، وأن مالكاً قد بلَّغ الخبرَ وحَفِظَ الغيبَ ، وآمرُكم به خيراً ، فإنه منظور إليهم[3] والسلام عليكم ورحمة الله .

إسلام فَروة بن عمرو

قال ابن إسحاق : وبعث فَروةُ بن عمرو بن النَّافِرة الجُذامي رسولاً إلى رسول الله ﷺ بإسلامه ، وأهدى له بغلةً بيضاء . وكان فروة عاملاً للروم على من يليهم من العرب ، وكان منزلُه مَعان وما حولَها من أرض الشام ، فلما بلغ الرومُ ذلك من إسلامه أخذوه فحبسوه

---

(١) « المَعَافر » : ثياب منسوبة إلى مَعَافر ؛ بلد باليمن ، ويقال : معافريّ أيضاً كما جاء في النهاية ؛ لابن الأثير .

(٢) « مخاليفكم » : جمع مِخلاف ، وهو المدينة بلغة اليمن .

(٣) كذا في النسخة « هـ » وفي « أ » و« ج » : « إليه » . وفي النص سقط من كلام ابن إسحاق بعد قوله : « وآمركم به خيراً .. » هو : وإني قد أرسلتُ إليكم من صالحي أهلي ، وأولي دينهم ، وأولي علمهم ، وآمركم بهم خيراً ، فإنهم منظور إليهم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . انظر السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥٩٠/٢ ، والسيرة الشامية ؛ للصالحي ٤٩٢/٦ .

عندهم ، ثم ضربوا عنقه وصلبوه على ماء لهم يقال له عفراء بفلسطين ، فزعم الزهري ابن شهاب أنهم لما قدموه ليقتلوه قال :

أبلغْ سَراةَ المسلمينَ بأنني سَلْمٌ لربي أعظمي ومُقامي

ثم ضربوا عنقه وصلبوه على ذلك الماء .

إسلام بني الحارث بن كعب
على يدي خالد بن الوليد لمَّا سار إليهم

ثم بعثَ رسولُ الله ﷺ خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر ــ أو جُمادى الأولى ــ سنة عشر إلى بني الحارث بن كعب بنجران ، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ، ثلاثاً : فإن استجابوا فاقبلْ منهم ، وإن لم يفعلوا فقاتلْهم .

فخرج خالد حتى قدم عليهم ، فبعث الركبانَ يضربون في كل وجه ويدعون إلى الإسلام ، ويقولون : أيها الناس أسلموا تسلموا . فأسلم النَّاسُ ودخلوا فيما دُعوا إليه ، فأقام فيهم خالد يُعلِّمهم الإسلامَ ، وكتب إلى رسول الله ﷺ بذلك ، فكتب له رسول الله ﷺ أن يُقبِلَ ، ويُقبِلَ معه وفدهم . فأقبل وأقبلَ معه وفدُهم ، منهم : قيس بن الحُصين ذي الغُصَّة ، ويزيد بن عبد المَدَان ، ويزيد بن المُحَجَّل ، وعبد الله بن قُرَاد الزيادي ، وشدَّاد بن عبد الله القَنَاني ، وعمرو بن عبد الله الضِّبابي[1] . وقال لهم رسول الله ﷺ بم كُنتم تَغلبون من قاتلَكم في الجاهلية ؟ قالوا : لم نكن نَغلب أحداً . قال : بلى . قالوا : كنا نجتمعُ ولا نتفرَّقُ ، ولا نبدأ أحداً بظلم . قال : صدقتم . وأمَّر عليهم قيسَ بن الحُصين ، فرجعوا إلى قومهم في بقيةٍ من شوال ــ أو في ذي القِعدة ــ فلم يمكثوا إلا أربعة أشهر ، حتى توفي رسولُ الله ﷺ .

● وذو الغُصَّة : لقب لأبي قيس ، قيل له ذلك ، لغُصَّة كانت بحلقه لا يكاد يُبين منها .

---

(١) الاسم السادس ساقط من الأصول ، وأثبتناه من السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٥٩٣/٢ ، ونور النبراس لوحة ١٤٤/٣ .

(قدوم رِفاعة بن زيد الجُذَامي)

وقدم على رسول الله ﷺ في هدنة الحديبية قبل خيبر ، رِفاعةُ بن زيد الجذامي ، وأهدى لرسول الله ﷺ غلاماً ، وأسلم فحسن إسلامُه ، وكتَبَ له رسولُ الله ﷺ كتاباً إلى قومه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد رسول الله ، لرفاعة بن زيد ، إني بعثته إلى قومه عامة ، ومن دخل فيهم ، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله ، فمن أقبل منهم ففي حزب الله وحزب رسوله ، ومن أدبَر فله أمان شهرين .

فلما قدم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا ، ثم ساروا إلى الحرّة حرة الرَّجْلَاء فنزلوها[1] .

(قدومُ وفد هَمْدَان)

وقدم على رسول الله ﷺ وفد هَمْدَان ، منهم مالك بن[2] نَمَط أبو ثور ، ومالك بن أيفع ، وضِمام بن مالك السَّلْماني ، وعَميرة بن مالك الخَارِفي . فلقُوا رسولَ الله ﷺ مرجعَه من تبوك ، وعليهم مُقَطَّعَاتُ الحِبرات ، والعمائم العدنية ، على الرواحل المَهْرِيَّة والأرحبيّة ، ومالك بن نمط يرتجز بين يدي رسول الله ﷺ ، ويقول :

إليـك جـاوزنَ سَـواد الرِّيفِ ... في هَبَـواتِ الصـيفِ والخـريفِ
مُخَطَّمـاتٍ بحِبـالِ الليفِ

وذكروا له كلاماً كثيراً حسناً فصيحاً . فكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً أقطعهم فيه ما سألوه ، وأمَّرَ عليهم مالك بن نمط ، واستعمله على من أسلم من قومه ، وأمره بقتال ثقيف ، فكان لا يخرج لهم سَرْح إلا أغار عليه . وكان مالك بن نمط شاعراً مُحسناً ، فقال :

ذكرتُ رسولَ الله في فَحمة الدُّجى ... ونحنُ بأعلى رَحْرَحَانَ وصَلْدَدِ[3]

---

(١) السيرة النبوية ٢/٥٩٦ .

(٢) مالك بن نَمَط : كنيته أبو ثور ، ولقبه : ذو المِشعار ، وقد جاءت الواو خطأ بين اسمه كنيته في السيرة النبوية ٢/٥٩٧ . نور النبراس لوحة ٣/١٤٥ .

(٣) « رَحْرَحَان وصَلْدَد » : موضعان .

وهنَّ بنـا خُوصٌ قـلائصُ تغتـلي ... بـركبـانهـا في لاحبٍ مُتَمَـدِّدِ[1]
على كلِّ فتـلاء الذراعـينِ جَسْـرَةٍ ... تمـرُّ بنـا مَرَّ الهِجَفِّ الخَفَيْـدَدِ[2]
حـلفتُ بربِّ الراقصـاتِ إلى مِنًى ... صوادرَ بالرُّكبانِ من هَضْبِ قَرْدَدِ[3]
بـأنَّ رسـولَ الله فِينـا مُصَـدَّقٌ ... رسولٌ أتى من عندِذي العرش مهتدِ
فمـا حملتْ من ناقةٍ فوقَ رَحْلِها ... أشـدَّ علـى أعـدائِـه مِن محمَّـدِ
وأعطى إذا مـا طـالبُ العرفِ جاءه ... وأمضى بحـدِّ المَشْـرقيِّ المُهَنَّـدِ

● الهِجَفّ : الظليمُ المسن .

● والخَفيدد : الطويل الساقين من الظُّلمان .

(وفد تُجِيْب)

وقدم على رسـول الله ﷺ وفد تُجِيب ، وهم من السَّكُون ، ثلاثة عشر رجلاً ، قد ساقوا معهم صدقاتِ أموالهم التي فرض الله تعالى عليهم ، فسُرَّ رسولُ الله ﷺ بهم وأكرمَ منزلَهم ، وقالوا : يا رسول الله سقنا إليك حق الله في أموالنا . فقال رسولُ الله ﷺ : رُدُّوها فاقسِموها على فقرائكم . قالوا : يا رسول الله ما قدمنا عليك إلا بما فَضَل عن فقرائنا . فقال أبو بكر : يا رسول الله ما وفد علينا وفدٌ من العرب مثلُ ما وفد به هذا الحي من تُجيب . فقال رسول الله ﷺ : إن الهُدَى بيد الله عز وجل ، فمن أراد به خيراً شرح صدره للإيمان . وسألوا رسول الله ﷺ أشياء فكتب لهم بها ، وجعلوا يسألونه عن القرآن والسنن ، فازداد رسـولُ الله ﷺ فيهـم رغبـة ، وأمرَ بلالاً أن يُحسن ضيـافتَهـم ، فأقاموا أياماً ، ولم يُطيلوا اللَّبْثَ ، فقيـل لهـم : مـا يُعجِـلُكـم ؟ فقـالوا : نرجع إلى من وراءنـا فنخـبرهم برؤيتنـا رسول الله ﷺ وكلامِنَا إياه وما ردَّ علينا . ثم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ يُودِّعونه ، فأرسل

(١) « خوص » : جمع خوصـاء ، وهي الغـائرة العيون من شـدة الجري ، و« تغتلي » : تشتد في سـيرها . و« لاحب » : طريق بيّن .

(٢) « جَسْرَة » : ناقة قوية على السير ، و« الهِجَفّ » : الذكر الضخم من النَّعام ، و« الخَفَيْدَد » : بمعناه أيضاً .

(٣) « الراقصات » : الإبل ، والرقص : ضرب من السير في حركة ، و« الصوادر » : الرواجع ، و« القَرْدد » : ما ارتفع من الأرض .

إليهم بلالاً ، فأجازهم بأرفع ما كانَ يُجيز به الوفود . قال : هل بقي منكم أحدٌ ؟ قالوا : غلام خلَّفناه على رِحالنا هو أحدُثنا سِنّاً . قال : فأرسلوه إلينا . فلما رجعوا إلى رحالهم قالوا للغلام : انطلق إلى رسول الله ﷺ فاقض حاجتك منه ، فإنا قد قضينا حوائجنا منه وودَّعْناه . فأقبلَ الغلامُ حتى أتى رسولَ الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله إني امرؤ من بني أَبْذَى ــ قال الواقدي : هو أبذى بن عدي ، وأم عدي تُجيب بنت ثَوْبان بن سُليم بن مَذْحِج ، وإليها يُنسبون ــ يقول الغلام : من الرهط الذين أتوك آنفاً فقضيتَ حوائجهَم ، فاقضِ حاجتي يا رسول الله . قال : وما حاجتك ؟ قال : إن حاجتي ليست كحاجة أصحابي ، وإن كانوا قدموا راغبين في الإسلام وساقوا ما ساقوا من صدقاتِهم ، وإني والله ما أعملني[1] من بلادي إلا أنْ تسألَ الله عزَّ وجل أن يغفرَ لي وأن يرحمني ، وأن يجعلَ غناي في قلبي . فقال رسولُ الله ﷺ ــ وأقبل على الغلام ــ : اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه . ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه ، فانطلقوا راجعين إلى أهليهم .

ثم وافوْا رسولَ الله ﷺ في الموسم بمِنى سنة عشر ، فقالوا : نحن بنو أبذى . قال رسول الله ﷺ : ما فعل الغلام الذي أتاني معكم ؟ قالوا : يا رسول الله والله ما رأينا مثلَه قط ، ولا حُدثنا بأقنعَ منه بما رزقه الله ، لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظرَ ولا التفتَ إليها . فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله ، وإني لأرجو أن يموتَ جميعاً[2] . فقال رجل منهم : أو ليس الرجلُ يموت جميعاً يا رسول الله ؟ قال رسول الله ﷺ : تَشَعَّبُ أهواؤُه وهمومُه في أودية الدنيا ، فلعلَّ أجلَه أن يُدركَه في بعض تلك الأودية فلا يُبالي الله عز وجل في أيِّها هلكَ . قالوا : فعاشَ ذلك الرجل فينا على أفضل حال وأزهدِه في الدنيا وأقنعِه بما رُزق . فلما توفي رسولُ الله ﷺ ورجعَ من رجعَ من أهل اليمن عن الإسلام قام في قومه فذكَّرهم الله والإسلامَ فلم يرجع منهم أحد . وجعل أبو بكر رضي الله عنه يذكره ويسألُ عنه حتى بلغَه حالُه ، وما قام به ، فكتب إلى زياد بن لبيد يُوصيه به خيراً .

* * *

---

(١) « ما أعملني » : ماحثني وساقني .

(٢) الطبقات الكبرى ٣٢٣/١ وفيها « أن نموت » . والسيرة الشامية ٤٣٤/٦ ــ ٤٣٥ .

(وفدُ بني ثعلبة)

وقدم على رسول الله ﷺ وفد بني ثعلبة سنة ثمان ، مرجعَه من الجِعِرَّانة ، أربعةُ نفر ، فنزلوا دارَ رَمْلَة بنت الحارث ، وجاءهم بلال بجفنةٍ من ثريد بلبن وسمن ، فأكلوا وشهدوا الظهرَ مع النبيِّ ﷺ ، وقالوا له : إنه لا إسلام لمن لا هجرةَ له . فقال عليه الصلاة والسلام : حيثما كنتم واتَّقيتمُ اللّهَ فلا يضرُّكم .. ثم لما جاؤوا يُودِّعُونه قال لبلال : أجزْهم . فأعطى كلَّ رجل منهم خمسَ أواقي فضة[1] .

(وفدُ بني سعدِ هُذَيمٍ)

وقدم على رسول الله ﷺ بنو سعدِ هُذَيم ، من قضاعة في سنة تسع .

ذكره الواقدي عن ابن النعمان منهم ، عن أبيه ، قال : قدمت على رسول الله ﷺ وافداً في نفر من قومي ، وقد أوطأ رسولُ الله ﷺ البلاد غلبةً وأذَاخَ[2] العربَ ، والنَّاسُ صنفان ؛ إما داخل في الإسلام راغب فيه ، وإما خائف من السيف ، فنزلنا ناحية من المدينة ، ثم خرجنا نؤمُّ المسجدَ ، حتى انتهينا إلى بابه ، فنجدُ رسولَ الله ﷺ يُصلِّي على جنازة في المسجد ، فقمنا خلفَه ناحيةً ، ولم ندخلْ مع الناس في صلاتهم ، حتى نلقى رسولَ الله ﷺ ونبايعَه . ثم انصرف رسولُ الله ﷺ ، فنظرَ إلينا ، فدعا بنا ، ثم قال : من أنتم ؟ فقلنا : من بني سعدِ هُذيم ، فقال : أمسلمون أنتم ؟ قلنا نعم . قال : فهلا صَلَّيتم على أخيكم ؟ قلنا : يا رسول الله ظننا أن ذلك لا يجوز لنا حتى نبايعَك . فقال رسولُ الله ﷺ : أينما أسلمتم فأنتم مسلمون . قال : فأسلمنا وبايعنا رسولَ الله ﷺ بأيدينا على الإسلام ، ثم انصرفنا إلى رِحالنا ، وقد كُنَّا خلَّفنا عليها أصغرَنا ، فبعثَ رسولُ الله ﷺ في طلبنا ، فأُتي بنا إليه ، فتقدَّمَ صاحبُنا فبايَعه على الإسلام . فقلنا : يا رسول الله إنه أصغرُنا ، وإنه خادمُنا . فقال : أصغرُ القوم خادمهم ، باركَ الله عليه . قال : فكان والله خيرَنا وأقرأنا للقرآن ، لدعاء رسول الله ﷺ له . ثم أمَّرَهُ رسولُ الله ﷺ علينا ، فكان يَؤُمُّنا ، فلما أردنا الانصراف أمرَ

---

(١) الطبقات الكبرى ٢٩٨/١ .

(٢) « أذاخ » : بالذال المعجمة : قهر واستولى .

بلالاً فأجازَنا بأواقٍ من فضة ، لكلِّ رجل منا ، فرجعنا إلى قومنا ، فرزقهم الله الإسلام[1] .

(وفدُ بني فَزَارة)

قال أبو الربيع بن سالم في كتابه المسمى بـ « الاكتفاء في مغازي رسول الله ﷺ ومغازي الثلاثة الخلفاء » : ولما رجع رسول الله ﷺ من تبوك قدم عليه وفد بني فَزَارة بضعةَ عشر رجلاً ، فيهم خارجةُ بن حصن ، والحُرُّ بن قيس بن حِصن ابن أخي عُيينة بن حصن ، وهو أصغرُهم ، فنزلوا في دار[2] بنت الحارث ، وجاؤوا رسولَ الله ﷺ مُقرِّين بالإسلام ، وهم مُسنتون[3] على ركاب عجاف ، فسألهم رسولُ الله ﷺ عن بلادهم ، فقال أحدهم : يا رسولَ الله أَسْنَتَتْ بلادُنَا ، وهلكتْ مواشينا ، وأجدبَ جَنَابُنَا وغَرِثَ[4] عيالُنَا ، فادعُ لنا ربَّك يُغثنا ، واشفعْ لنا إلى ربِّك ، وليشفعْ لنا ربُّك إليك . فقال رسولُ الله ﷺ : سبحان الله ويلك[5] هذا! أنا أشفعُ إلى ربي عز وجل ؟ فمن ذا لذي يشفعُ ربُّنا إليه ، لا إله إلا هو العليُّ العظيم ، وسعَ كرسيُّه السمواتِ والأرضَ ، فهي تَئِطُّ[6] من عظمته وجلاله ، كما يئط الرحل الجديد . وقال رسول الله ﷺ : إن الله ليضحكُ من شَفَقِكم وأَزْلِكم[7] ، وقُربِ غياثِكم . فقال الأعرابيُّ : يا رسول الله ويضحكُ ربُنا عز وجل ؟ قال : نعم . قال الأعرابي : لن يَعْدِمَكَ من ربٍّ يضحكُ خيرٌ . فضحكَ النبيُّ ﷺ من قوله ، وصَعِدَ المِنبرَ ، فتكلَّمَ بَكلماتٍ ، وكان لا يرفعُ يديه في شيء من الدعاء إلا رفعُ الاستسقاء[8] ، فرفع يديه

---

(١) الطبقات الكبرى ١/٣٢٩ ـــ ٣٣٠ بأخصر مما هنا .
(٢) هي رملة بنت الحارث المتقدمة في وفد بني ثعلبة ص ٣٣١ .
(٣) « مسنتون » : مُجدبون .
(٤) « وغَرِثَ عيالُنا » : جاعوا .
(٥) « ويلك هذا » : ويلك يا هذا .
(٦) « تئطُّ » : من الأَطيط ، وهو صوت الرَّحْل .
(٧) « من شَفقِكم وأَزْلِكم » : من إشفاقكم وضيقكم .
(٨) « إلا رَفع الاستسقاء » : كذا قال في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه .. قالوا في معناه : لا يرفع الرفع البالغ ؛ أو أن الراوي لم يره ، وإلا فقد ثبت فيهما أو في أحدهما نحو ثلاثين حديثاً في كل منهما رفع اليدين في الدعاء .. نور النبراس لوحة ١٤٩/٣ .

حتى رؤي بياضُ إبطيه ، وكان مما حُفظ من دعائه : اللهم اسق بلادَك وبهائمَكَ ، وانشر رحمتَك ، وأحي بلدَك الميت ، اللهم اسقنا غيثاً مُريحاً مَريعاً ، طبقاً واسعاً ، عاجلاً غير آجل ، نافعاً غير ضار ، اللهم اسقنا رحمة ، ولا تسقنا عذاباً ، ولا هدماً ولا غَرَقاً ولا مَحْقاً ، اللهم اسقنا الغيثَ وانصرنا على أعدائنا . فقام أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري ، فقال : يا رسول الله التمر في المرابد . فقال رسولُ الله ﷺ : اللهم اسقنا حتى يقومَ أبو لُبابة عُرياناً يسدُّ ثعلبَ[1] مِربده بإزاره . قالوا : لا والله ما في السماء سحابٌ ولا قَزَعةٌ ، ولا بين المسجد وبين سلع من شجر ولا دار ، فطلعتْ من وراء سلع سحابةٌ مثلُ التُّرس ، فلما توسطت السماء انتشرت ، ثم أمطرت ، فوالله ما رأينا الشمسَ سبتاً[2] ، وقام أبو لُبابة عُريانا يسدُّ ثعلب مِرْبدِه بإزاره ، لئلا يخرجَ التمر منه ، فجاء ذلك الرجل أوغيرُه ، فقال : يا رسول الله هلكتِ الأموالُ ، وانقطعتِ السبلُ . فصَعِدَ رسولُ الله ﷺ المِنبَر ، فدعا ورفع يديه مَدّاً ، حتى رُؤي بياض إبطيه ، ثم قال : اللهم حَوَالَيْنا ولا علينا ، اللهم على الآكام والظِّرابِ[3] وبطون الأودية ومنابت الشجر . قال : فانجابتِ السحابةُ عن المدينة انجيابَ الثوب[4] .

(وفدُ بني أسد)

وقدم على رسول الله ﷺ وفد بني أسد ، عشرة رهط ، فيهم وابصة بن معبد ، وطُليحة بن خُويلد ، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد مع أصحابه ، فسلَّموا وتكلَّموا ، فقال متكلمهم : يا رسول الله إنا شهدنا أنَّ اللّهَ وحدَه لا شريكَ له وأنَّكَ عبدُه ورسولُه ، وجئناك يا رسولَ الله ولم تبعثْ إلينا بعثاً[4] ، ونحن لمن وراءنا . قال محمد بن كعب القرظي : فأنزل الله على رسوله عليه الصلاة والسلام ﴿ يَمُنُّونَ عليك أن أسلَموا قل لا تَمُنُّوا عليَّ إسلامَكم بل الله يمنُّ عليكم أن هَداكم للإيمان إنْ كُنتم صَادقين ﴾ [الحجرات : ١٧] .

وكان مما سألوا رسولَ الله ﷺ عنه يومئذ العِيافةُ[5] والكِهانة وضربُ الحصى ، فنهاهم

---

(١) « ثعلب مِرْبده » : مخرج الماء منه .

(٢) « سبتاً » : أراد أسبوعاً ؛ من السبت إلى السبت ، وورد في صحيح البخاري « ستاً » أي ستة أيام .

(٣) « الظِّراب » : الروابي الصغار .

(٤) الطبقات الكبرى ١/٢٩٧ .

(٥) « العِيافة » : زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها .

عن ذلك كلِّه ، فقالوا : يا رسول الله إن هذه أمورٌ كنَّا نفعلُها في الجاهلية . أرأيتَ خصلةً بقيتْ ؟ قال : وما هي ؟ قالوا : الخط[1] . قال عُلِّمَهُ نبيٌّ من الأنبياء فَمنْ صادَفَ[2] مثلَ علمِه عَلِمَ .

(وفد بَهراء)

وذكر الواقدي عن كريمة بنت المقداد ، قالت : سمعت أمي ضُبَاعة بنت الزبير بن عبد المطلب ، تقول : قدم وفد بَهراء من اليمن ، وهم ثلاثة عشر رجلاً ، فأقبلوا يقودون رواحلَهم حتى انتهوا إلى باب المقداد ، ونحن في منازلنا ببني جَديلة ، فخرج إليهم المقداد فرَّحبَ بهم وأنزلَهم ، وجاءهم بجفنة من حَيْسٍ[3] ، كنَّا قد هيَّأناها قبلَ أن يَحِلُّوا ؛ لنجلسَ عليها . فحملَها أبو مَعبد المقداد ـــ وكان كريماً ـــ على الطعام ، فأكلوا منها ، حتى نهلوا ، وُردَّتْ إلينا القصعةُ وفيها أُكَلٌ ، فجمعنا تلك الأُكلَ في قصعة صغيرة ، ثم بعثنا بها إلى رسول الله ﷺ ، مع سِدْرةَ مولاتي ، فوجَدَتْه في بيت أم سلمة ، فقال رسول الله ﷺ : ضُباعة أرسلتْ بهذا ؟ قالت سِدْرَةُ : نعم يا رسول الله . قال : ضعي . ثم قال : ما فعلَ ضيفُ أبي معبدَ ؟ قلت : عندنا . فأصاب منها رسولُ الله ﷺ أكلاً هو ومن معه في البيت ، حتى نَهِلوا[4]، وأكلتْ معهم سِدْرَةُ ، ثم قال : اذهبي بما بقي إلى ضيفِكم . قالت سِدْرةُ : فرجعتُ بما بقي في القصعة إلى مولاتي . قالت : فأكلَ منها الضيفُ ما أقاموا ، نُرَدِّدُهَا عليهم وما تغيضُ[5] ، حتى جعل الضيفُ يقولون : يا أبا مَعبد ! إنك لتُنْهِلنا من أحبِّ الطعام إلينا ،

(١) « الخط » : ضرب الرمل ، وهو نوع من الكهانة منهي عنه ؛ كما بين ذلك النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم في الصلاة (باب تحريم الكلام في الصلاة) ٥/٢٣ فقال : فحصل من مجموع كلام العلماء فيه الاتفاق على النهي عنه .

(٢) « فمن صادف » : في صحيح مسلم : « فمن وافق » قال النووي رحمه الله تعالى : اختلف العلماء في معناه ، فالصحيح أن معناه : من وافق خطه فهو مباح له ، ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة ، فلا يُباح ، والمقصود أنه حرام ، لأنه لا يُباح إلا بيقين الموافقة ، وليس لنا يقين بها .. صحيح مسلم بشرح النووي ٥/٢٣ .

(٣) « حَيْس » : طعام متخذ من التمر والأقط والسمن .

(٤) « نَهِلُوا » طعموا .

(٥) « تغيض » : تنقص .

وما كُنَّا نقدر على مثل هذا إلا في الحِيْن ، وقد ذُكر لنا أن بلادَكم قليلةُ الطعام إنما هو العُلَقُ[1] أو نحوُه ، ونحن عندك في الشِّبع . فأخبرهم أبو معبد بخبر رسول الله ﷺ أنه أكل منها أُكَلاً وردَّهَا ، فهذه بركة أصابع رسول الله ﷺ ، فجعلَ القومُ يقولون : نشهد أنه رسول الله ، وازدادوا يقيناً ، وذلك الذي أرادَ رسولُ الله ﷺ .

وتعلَّموا الفرائضَ وأقاموا أياماً ، ثم جاؤوا رسولَ الله ﷺ فودَّعُوه وأمرَ لهم بجوائزهم ، ثم انصرفوا إلى أهليهم[2] .

(وفد بني عُذْرة)

وقدم على رسول الله ﷺ وفد بني عذرة في صفر سنة تسع ، اثنا عشر رجلاً ، فيهم جمرة بن النعمان ، فقال رسول الله ﷺ : من القوم ؟ فقال مُتكلِّمُهم : مَنْ لا تُنكر ، نحن بنو عذرة ، إخوة قصي لأمه ، نحن الذين عضدوا قصياً وأزاحوا من بطن مكة خزاعةَ وبني بكر ، ولنا قراباتٌ وأرحامٌ . قال رسول الله ﷺ : مرحباً بكم وأهلاً ، ما أعرَفني بكم ! فأسلموا . وبشَّرهم رسولُ الله ﷺ بفتح الشام وهربِ هرقل إلى ممتنع بلاده ، ونهاهم عن سؤال الكاهنة ، وعن الذبائح التي كانوا يذبحونها ، وأخبرَهم أن ليس عليهم إلا الأُضحية ، فأقاموا أياماً بدار رملة ، ثم انصرفوا ، وقد أُجيزوا[3] .

(وفد بليّ)

وقدم على رسول الله ﷺ وفدُ بلي في ربيع الأول سنة تسع ، فأنزلهم رويفع بن ثابت البلوي عنده ، وقدم بهم على رسول الله ﷺ ، فقال : هؤلاء قومي . فقال له رسول الله ﷺ : مرحباً بك وبقومك . فأسلموا ، قال لهم رسولُ الله ﷺ : الحمد لله الذي هداكم للإسلام ، فكلُّ من مات منكم على غير الإسلام فهو في النار . وقال له أبو الضُّبَيْب ــ شيخ الوفد ــ : يا رسول الله إن لي رغبة في الضِّيافة ، فهل لي فى ذلك أجر ؟ قال : نعم ، وكل معروف صنعتَه إلى غَنيٍّ أو فقير فهو صدقة . قال : يا رسول الله ما وقت

(١) « العُلَقُ » : جمع عُلْقة ، وهي البُلْغة من الطعام .

(٢) الطبقات الكبرى ٣٣١/١ مختصراً .

(٣) الطبقات الكبرى ٣٣٢/١ .

الضيافة ؟ قال : ثلاثة أيام ، فما كان بعد ذلك فهو صدقة ، ولا يَحِلُّ للضيف أن يقيمَ عندك فيحرجَك . قال : يا رسول الله أرأيتَ الضَّالة من الغنم ، أجدُها في الفلاة من الأرض ؟ قال : لك أو لأخيك أو للذئب . قال : فالبعير ؟ قال : مالك وله ، دعه حتى يجدَه صاحبُه . قال رويفع : ثم قاموا فرجعوا إلى منزلي ، فإذا رسولُ الله ﷺ يأتي منزلي ، يحملُ[1] تمراً ، فقال : استعن بهذا التمر . فكانوا يأكلون منه ومن غيره ، فأقاموا ثلاثاً ، ثم ودَّعوا رسولَ الله ﷺ ، وأجازهم ، ورجعوا إلى بلادهم[1] .

(وفدُ بني مُرَّة)

وقدم على رسول الله ﷺ وفد بني مرة ثلاثة عشر رجلاً ، رأسهُم الحارث بن عوف . قال : يا رسول الله إنَّا قومُك وعشيرتُك ، نحن قومٌ من بني لؤيّ بن غالب . فتبسَّم رسولُ الله ﷺ ، وقال للحارث : أين تركتَ أهلك ؟ قال : بسَلاَح[2] وما والاها . قال : فكيف البلاد ؟ قال والله إنا لُمسنتون ، وما في المال[3] مُخٌّ ، فادع الله لنا ، قال رسول الله ﷺ : اللهم اسقهم الغيث . فأقاموا أياماً ، ثم أرادوا الانصراف إلى بلادهم ، فجاؤوا رسولَ الله ﷺ ، مُودِّعينَ له ، فأمرَ بلالاً أن يُجيزَهم ، فأجازَهم بعشرِ أواقٍ،عشرِ أواقٍ فضَّة ، وفضَّل الحارثَ بن عوف اثني عشرة أوقية ، ورجعوا إلى بلادهم ، فوجدوا البلادَ مطيرةً ، فسألوا : متى مُطرتم ؟ فإذا هو ذلك اليوم الذي دعا رسولُ الله ﷺ فيه ، وأخصبتْ بعد ذلك بلادهم[4] .

(وفد خَوْلاَن)

وقدم على رسول الله ﷺ في شعبان سنة عشر وفدُ خولان ، وهم عشرة ، فقالوا : يا رسول الله نحن على مَنْ وراءنا من قومنا ، ونحن مؤمنون بالله عز وجل ، مُصدِّقون برسوله ، قد ضربنا إليك آباطَ الإبل ، وركبنا حُزون الأرض وسهولَها ، والمِنَّة لله ولرسوله علينا ، وقدمنا

(١) المصدر السابق ١/٣٣٠ ، وفيها « يأتي بحمل تمر .. » .
(٢) « بسَلاَح » : كسَحَاب ، موضع بأسفل خيبر .
(٣) « وما في المال مخٌّ » : كناية عن ذهاب مواشيهم بالقحط .
(٤) الطبقات الكبرى ١/٢٩٧ ــ ٢٩٨ .

زائرين لك . فقال رسول الله ﷺ : أمّا ما ذكرتم من مسيركم إليَّ فإن لكم بكل خُطوة خطاها بعيرُ أحدِكُم حسنةً . وأما قولكم زائرين لك ، فإنه من زارني بالمدينة كان في جِواري يوم القيامة . قالوا : يا رسول الله هذا السفر الذي لا توىً[1] عليه . ثم قال رسول الله ﷺ : ما فعلَ عمُّ أنس ؟ ــ وهو صنُم خَوْلان الذي كانوا يعبدونه ــ قالوا : بشرٌّ ، بَدَّلَناَ الله ما جئتَ به ، وقد بقيت منا بعدُ بقايا من شيخ كبير وعجوز كبيرة متمسكون به ، ولو قد قدمنا عليه هدمناه إن شاء الله ، فقد كنا منه في غرور وفتنة . فقال لهم رسول الله ﷺ : وما أعظمُ ما رأيتم من فتنته ؟ قالوا : لقد رأيتُنا وأسْنَتْنَا حتى أكلْنَا الرُّمة ، فجمعنا ما قدرنا عليه وابتعنا مائة ثورٍ ، ونحرناهم لعمِّ أنس قرباناً في غداة واحدة ، وتركناها تردُها السِّبَاعُ ، ونحن أحوجُ إليها من السباع . فجاءنَا الغيثُ من ساعتِنا ، ولقد رأينا العشبَ يُواري الرِّجالَ ، ويقول قائلُنا : أنعمَ علينا عمُّ أنس .

وذكروا لرسول الله ﷺ ما كانوا يقسمون لصنمهم هذا من أنعامهم وحروثهم ، وأنهم كانوا يجعلون من ذلك جُزءاً له وجزءاً لله بزعمهم ، قالوا : كنا نزرع الزرع فنجعلُ له وَسَطه ، فنسميه له ، ونسمي زرعاً آخر حَجْرة لله ، فإذا مالت الريح بالذي سمَّيناه لله جعلناه لعم أنس ، وإذا مالت الريح بالذي جعلناه لعم أنس لم نجعلْه لله . فذكر لهم رسول الله ﷺأن الله عز وجل أنزل عليه في ذلك : ﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً .. الآية ﴾ [الأنعام : ١٣٦] قالوا : وكنا نتحاكم إليه فنُكَلَّم . فقال رسول الله ﷺ : تلك الشياطين تُكَلِّمُكُم .

وسألوه عن فرائض الدين فأخبرهم ، وأمرهم بالوفاء بالعهد ، وأداء الأمانة ، وحُسن الجوار لمن جاوروا ، وأن لا يظلموا أحداً ، قال : فإن الظُّلَم ظلماتٌ يوم القيامة . ثم ودَّعوه بعد أيام ، وأجازهم ، ورجعوا إلى قومهم ، فلم يَحُلُّوا عقدةً حتى هدموا عمَّ أنس[2] .

● الحَجْرة : الناحية .

* * *

(١) « لا توىً » : لا هلاك ، مصدر توى يتوي ؛ إذا هلك المال .

(٢) الطبقات الكبرى ١/٣٢٤ مختصراً .

(وفد بني مُحَارِب)

وقدم على رسول الله ﷺ عام حجة الوادع وفدُ بني مُحارب ، وهم كانوا أغلظَ العرب وأفظَّه[1] على رسول الله ﷺ في تلك المواسم أيام عرضه نفسه على القبائل ، يدعوهم إلى الله ، فجاء رسولَ الله ﷺ منهم عشرةٌ نائبين عمن وراءهم من قومهم ، فأسلموا ، وكان بلال يأتيهم بغَداء وعَشاء إلى أن جلسوا مع رسول الله ﷺ يوماً من الظهر إلى العصر ، فعرفَ رجلاً منهم ، فأمدَّه النظرَ ، فلما رآه المحاربيُّ يُديم النظرَ إليه ، قال : كأنَّك يا رسولَ الله تَوَهَّمُني ؟ قال : لقد رأيتُك . فقال المحاربيُّ : إي والله لقد رأيتني وكلَّمتني ، وكلَّمتُك بأقبحِ الكلام ، ورددتُك بأقبحِ الردِّ بعكاظ وأنت تطوف على الناس . فقال رسول الله ﷺ : نعم . ثم قال المحاربيُّ : يا رسول الله ما كان في أصحابي أشدُّ عليك يومئذٍ ولا أبعد عن الإسلام مني ، فأحمدُ الله الذي أبقاني حتى صدَّقتُ بك ، ولقد ماتَ أولئك النفر الذين كانوا معي على دينهم . فقال رسول الله ﷺ : إن هذه القلوب بيد الله عز وجل . فقال المحاربيُّ : يا رسول الله استغفرْ لي من مراجعتي إياك . فقال رسول الله ﷺ : « إن الإسلامَ يجبُّ ما كان قبله من الكفر » . ثم انصرفوا إلى أهليهم[2] .

(وفد صُدَاء)

وقدم على رسول الله ﷺ وفد صُدَاء في سنة ثمان ، وذلك أن رسول الله ﷺ لما انصرف من الجِعِرَّانة بعثَ بعوثاً إلى اليمن ، وهيَّأ بعثاً استعمل عليهم قيس بن سعد بن عبادة ، وعقدَ له لواء أبيضَ ، ودفع له رايةً سوداء ، وعسكر بناحية قناة في أربعمائة من المسلمين ، وأمرَه أن يطأ ناحية من اليمن كان فيها صُدَاء . فقدم على رسول الله ﷺ رجلٌ منهم ، وعلم بالجيش ، فأتى رسولَ الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله جئتك وافداً على من ورائي ، فارددِ الجيشَ وأنا لك بقومي . فردَّ رسولُ الله ﷺ قيسَ بن سعد من صدور قناة ، وخرجَ الصُّدَائيُّ إلى قومه ، فقدم على رسول الله ﷺ خمسةَ عشرَ رجلاً منهم ، فقال سعد بن عبادة :

---

(١) « وأفظَّه » كذا بالأصول بإنزال الجمع منزلة المفرد .

(٢) الطبقات الكبرى ٢٩٩/١ مختصراً .

يا رسولَ الله دعهم ينزلوا عليَّ . فنزلوا عليه ، فحبَاهم وأكرمَهم وكسَاهم ، ثم راحَ بهم إلى النبيِّ ﷺ ، فبايعوه على الإسلام ، وقالوا : نحن لك على من وراءنا من قومِنا . فرجعوا إلى قومهم ، ففشا فيهم الإسلام ، فوافى رسولَ الله ﷺ منهم مائةُ رجل في حجة الوداع .

ذكر هذا الواقديُّ عن بعض بني المُصْطَلِق . وذكرَ من حديث زياد بن الحارث الصدائي ، أنه الذي قدم على رسول الله ﷺ ، فقال له : ارددِ الجيشَ وأنا لك بقومي ، فردَّهم . قال : وقدم وفدُ قومي عليه ، فقال لي : يا أخا صُداء! إنك لمطاع في قومك ؟ قال : قلت : بلى ، مَنُّ الله عز وجل ومَنُّ رسوله . وكان زياد هذا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ، قال : فاعتشى رسول الله ﷺ — أي : سار ليلاً — واعتشينا معه ، وكنت رجلاً قوياً . قال : فجعلَ أصحابُه يتفرَّقون عنه ، ولزمتُ غَرْزه[1] . فلما كان في السحر قال : أَذِّنْ يا أخا صُدَاء . فأذَّنتُ على راحلتي ، ثم سرنا حتى نزلنا ، فذهبَ لحاجته ثم رجع ، فقال : يا أخا صُدَاء هل معك ماء ؟ قلت : معي شيء في إداوتي[2] . قال : هاته . فجئت به . فقال : صُبَّ . فصببتُ ما في الإداوة في القعب ، وجعلَ أصحابُه يتلاحقون ، ثم وضعَ كفَّه على الإناء ، فرأيتُ بين كل إصبعين من أصابعه عيناً تفورُ . ثم قال : يا أخا صُدَاء لولا أني أستحيي من ربي عزَّ وجلَّ لسَقَيْنَا واسْتَقَيْنَا . ثم توضَّأ وقال : أَذِّنْ في أصحابي : من كانت له حاجة بالوضوء فليرد . قال : فوردوا من آخرهم ، ثم جاء بلال يُقيم ، فقال رسول الله ﷺ إنَّ أخا صُدَاء أَذَّنَ ، ومَنْ أَذَّن فهو يقيم . فأقمتُ ، ثم تقدَّمَ رسولُ الله ﷺ فصلَّى بنا ، وكنتُ سألته قبلُ : أن يُؤمِّرني على قومي ويكتبَ لي بذلك كتاباً ، ففعل . فلما سلَّم — يُريد من صلاته — قام رجلٌ يَشتكي من عامله ، فقال : يا رسول الله! إنه أخذنا بذحول[3] كانت بيننا وبينه في الجاهلية . فقال رسول الله ﷺ : لا خير في الإمارة لرجل مسلم . ثم قام رجل فقال : يا رسول الله أعطني من الصَّدقة . فقال رسول الله ﷺ : إنَّ الله لم يكلْ قَسْمَها إلى مَلَك مُقَرَّب ولا نبيٍّ مرسلٍ ، حتى جزَّأها على ثمانية أجزاء ، فإن كنتَ جزءاً منها أعطيتُك ، وإن كنتَ غنيّاً عنها فإنما هو صُدَاعٌ في الرأس وداء في البطن . فقلت في نفسي :

---

(١) « غَرْزَه » : الغرز : ركاب رحل البعير ، يكون من جلد أو خشب والمقصود هنا ملازمته له .

(٢) « إداوتي » : الإداوة : إناء صغير من جلد .

(٣) « بذحول » : الذحول : جمعُ ذَحْل ، وهو العداوة والثأر .

هاتان خَصلتان ؛ حين سألتُ الإمارة وأنا رجل مسلم ، وسألته من الصدقة وأنا غني عنها . فقلت : يا رسول الله هذان كتاباك فاقبلْهما . فقال رسول الله ﷺ : ولم ؟ قلتُ : إني سمعتك تقول : لا خيرَ في الإمارة لرجل مسلم ، وأنا مسلم . وسمعتُك تقول : من سألَ من الصدقة وهو عنها غني فإنما هي صداعٌ في الرأس وداء في البطن وأنا غني . فقال رسول الله ﷺ : أما إن الذي قلتَ كما قلتُ . فقبلَهما رسولُ الله ﷺ ، ثم قال : دُلَّني على رجل من قومِك أستعملُه . فدللتُه على رجل منهم ، فاستعمله . قلت : يا رسول الله إن لنا بئراً إذا كان الشتاءُ كفانا ماؤها ،وإذا كان الصيف قلَّ علينا ، فتفرَّقْنا على المياه ، والإسلام اليومَ فينا قليل ، ونحن نخاف فادعُ الله عز وجل لنا في بئرنا . فقال رسولُ الله ﷺ : ناولني سبعَ حَصَيَاتٍ . فناولتُه ، فعركهنَّ بيده ، ثم دفعهنَّ إليَّ وقال : إذا انتهيتَ إليها ، فألق فيها حصاة حصاة وسم الله . قال : ففعلتُ ، فما أدركنا لها قعراً حتى الساعة[1] .

(وفد غَسَّان)

وقدم على رسول الله ﷺ وفدُ غَسَّان في شهر رمضان سنة عشر ، ثلاثةُ نفر ، فأسلموا ، وقالوا : لا ندري أيتبعنا قومُنا أم لا ، وهم يُحبُّون بقاء ملكهم ، وقربَ قيصر . فأجازهم رسولُ الله ﷺ بجوائزَ ، وانصرفوا راجعين ، فقدموا على قومِهم ، فلم يَستجيبوا لهم ، وكتموا إسلامَهم حتى مات رجلان منهم على الإسلام ، وأدرك الثالث منهم عمرَ بن الخطاب عام اليرموك ، فلقي أبا عبيدة ، فخبَّره بإسلامه ، فكان يكرمُه [2].

(وفد سَلامَان)

وقدم على رسول الله ﷺ وفدُ سَلاَمان ، سبعة نفر ، فيهم حَبيب بن عمرو السلاماني ، فأسلموا ، وقال : حبيب : فقلت : أي رسول الله !ما أفضلُ الأعمال ؟ قال : الصَّلاةُ في وقتها .. ثم ذكر حديثاً طويلاً . وصَلُّوا معه يومئذ الظهر والعصر . قال : فكانت صلاةُ العصر أخفَّ في القيام من الظهر . ثم شكوا إليه جدبَ بلادهم . فقال رسول الله ﷺ بيده : اللهم اسقهمُ الغيثَ في دارهم . فقلت : يا رسول الله ! ارفع يديْكَ فإنه أكثرُ

(١) الطبقات الكبرى ١/٣٢٦ ــ ٣٢٧ .
(٢) الطبقات الكبرى ١/٣٣٨ ــ ٣٣٩ .

وأطيبُ . فتبسَّمَ رسولُ الله ﷺ ، ورفعَ يديْه حتى رأيتُ بياضَ إبطيه . ثم قامَ وقمنا معه ، فأقمنا ثلاثاً ، وضيافتُه تجري علينا ، ثم ودَّعناه ، وأمر لنا بجوائزَ ، فأُعطينا خمسَ أواقي فضَّةٍ لكل رجلٍ منا ، واعتذرَ إلينا بلال ، وقال : ليس عندنا اليوم مال . فقلنا : ما أكثرَ هذا وأطيبَه . ثم رحلنا إلى بلادنا ، فوجدناها قد مُطرت في اليوم الذي دعا فيه رسولُ الله ﷺ في تلك الساعة .

قال الواقدي : وكان مقدمهم في شوال سنة عشر[1] .

(وفد بني عَبْس)

وقدمَ على رسول الله ﷺ وفدُ بني عبس ، فقالوا : يا رسول الله ! قدمَ علينا قراؤنا ، فأخبرُونا أنه لا إسلام لمن لا هجرةَ له ، ولنا أموال ومواش ، وهي معاشُنا ، فإن كان لا إسلامَ لمن لا هجرةَ له فلا خيرَ في أموالنا ، بعناها وهاجرنا من آخرنا . فقال رسول الله ﷺ : اتقوا الله حيث كنتم ، فلن يَلِتَكُم من أعمالِكُم شيئاً . وسألهم رسولُ الله ﷺ عن خالد بن سِنان : هل له عقب ؟ فأخبروه أنه لا عقبَ له ، وكانت له ابنة فانقرضتْ . وأنشأ رسولُ الله ﷺ يُحدِّث أصحابَه عن خالد بن سِنان ، فقال : « نبيٌّ ضيَّعه قومُه »[2] .

(وفد غامد)

قال الواقدي : وقدم على رسول الله ﷺ وفدُ غامد سنة عشر ،وهم عشرة ، فنزلوا في بقيع الغرقد ، وهو يومئذ أَثْلٌ وطَرَفَاء ، ثم انطلقوا إلى رسول الله ﷺ ، وخَلَّفوا عند رَحْلِهم أحدثَهم سِنّاً ، فنامَ عنه ، وأتى سارقٌ فسرقَ عيبةً لأحدهم فيها أثواب له . وانتهى القوم إلى رسول الله ﷺ ، فسلَّموا عليه ، وأقرُّوا له بالإسلام ، وكتب لهم كتاباً فيه شرائع من شرائع الإسلام ، وقال لهم : مَنْ خَلَّفتم في رحالكم ؟ قالوا : أحدثُنا سنّاً يا رسول الله. قال : فإنه قد نامَ عن متاعِكم ، حتى أتى آتٍ فأخذَ عيبةَ أحدِكم . فقال أحد القوم : يا رسول الله ما لأحدٍ عيبةٌ غيري . فقال رسول الله ﷺ : قد أُخذت ورُدَّتْ إلى موضعها . فخرجَ القومُ سِراعاً حتى أتوْا رحلَهم ، فوجدوا صاحبَهم ، فسألوه عما خبَّرهم رسولُ الله ﷺ . فقال : فزعتُ

(١) المصدر السابق ١/٣٣٢ ــ ٣٣٣ .

(٢) المصدر السابق ١/٢٩٥ ــ ٢٩٦ ، والحديث رواه الحاكم في المستدرك ولم يتعقبه الذهبي ، وفيه محمد بن مهدي ، وفيه مقال . قال أبو حاتم : يأتي أحياناً بالمناكير ، ووثقه غيره . نور النبراس لوحة ٣/١٥٤ .

من نومي ، ففقدتُ العيبةَ ، فقمتُ في طلبها ، فإذا رجلٌ قد كان قاعداً ، فلما رآني ثارَ يَعدُو مني ، فانتهيتُ إلى حيثُ انتهى ، فإذا أثر حفرة ، وإذا هو قد غيَّبَ العيبةَ ، فاستخرجتُها ، فقالوا : نشهدُ أنه رسولُ الله ، فإنه قد أخبرَنا بأخذها ، وأنها قد رُدَّتْ . فرجعوا إلى النبيِّ ﷺ فأخبروه ، وجاء الغلامُ الذي خَلَّفوه فأسلم . وأمرَ النبيُّ ﷺ أُبيَّ بنَ كعب فعلَّمهم قرآناً .

وأجازهم ﷺ كما كان يُجيز الوفودَ وانصرفوا[1] .

(وفد النَّخَع)

وقدمَ على رسول الله ﷺ وفدُ النَّخَع ، وهم آخر وفد . قدموا للنصف من المحرم سنة إحدى عشرة في مائتي رجل ، فنزلوا دارَ الأضيافِ ، ثم جاؤوا رسولَ الله ﷺ مُقرِّين بالإسلام ، وقد كانوا بايعوا معاذَ بن جبل ، فقال رجل منهم يُقال له زُرارة بن عمرو : يا رسول الله إني رأيتُ في سفري هذا عجباً . قال : وما رأيتَ ؟ قال : رأيتُ أتاناً تركتُها في الحيِّ كأنَّها ولدتْ جَدْيَاً أسفعَ أحوى[2] . فقال له رسول الله ﷺ : هل تركتَ أَمَةً لك مُصِرَّةً على حَمْلٍ ؟ قال : نعم . قال : فإنها قد ولدتْ غلاماً ، وهو ابنك . قال : يا رسول الله فما بالُه أسفعَ أحوى ؟ قال : ادنُ مني . فقال : هل بك من برص تكتمه ؟ قال : والذي بعثَك بالحقِّ ما عَلِمَ به أحد ولا اطَّلَعَ عليه غيرُك . قال : فهو ذلك . قال : يا رسول الله ! ورأيتُ النعمانَ بن المنذر عليه قُرطان ودُمْلُجان ومَسَكتان . قال : ذلك مُلْكُ العربِ رجعَ إلى أحسن زَيِّه وبَهجتِه . قال : يا رسول الله ! ورأيتُ عجوزاً شمطاء خرجتْ من الأرض . قال : تلك بقيَّة الدنيا . قال : ورأيتُ ناراً خرجت من الأرض فحالت بيني وبين ابن لي يُقال له عمرو ، وهي تقول : لظىً لظىً ، بصيرٌ وأعمى ، أطعموني أُكْلَكم ، أُهْلِكْكُم ومالكم . قال رسول الله ﷺ : تلك فتنة تكون في آخر الزمان . قال : يا رسول الله ! وما الفتنةُ ؟ قال : يقتلُ النَّاسُ إمامَهم ، ويشتجرون اشتجار أطباق الرأس ــ وخالفَ رسولُ الله ﷺ بين أصابعِه ــ يَحْسبُ المسيء فيها أنه مُحسنٌ ، ويكون دمُ المؤمن عند المؤمن أحلَّ من شربِ الماء ، وإنْ ماتَ ابنُك أدركت الفتنةَ ، وإن مِتَّ أنت أدركَها ابنُك .

---

(١) الطبقات الكبرى ١/٣٤٥ مختصراً .

(٢) « أسفع أحوى » : أسود .

قال : يا رسـول الله ! ادعُ الله أن لا أدركَهـا . فقـال رسـولُ الله ﷺ : اللهم لا يُدركْها . فمات ، وبقي ابنه ، وكان ممن خلعَ عثمان رضي الله تعالى عنه[1] .

● والمَسَك :مفتوحُ الميم والسين المهملة : الذَّبْل[2] ، والمَسَكُ : الأَسْوِرة والخلاخلُ من الذَّبل والقُرون والعاج ، واحدتُه مَسَكَة ، قاله ابن سِيْده .

* * *

---

(١) الطبقات الكبرى ١/٣٤٦ .

(٢) « الذَّبْل » : شيء كالعاج ، وقيل : ظهر السلحفاة البحرية .

ذكر بعثه ﷺ إلى الملوك
يدعوهم إلى الإسلام

بعث دحيةَ الكلبيّ إلى قيصرَ ملك الروم ، وعبد الله بن حُذافةَ السهميَّ إلى كسرى ملك فارس ، وعمروَ بن أميـة الضَّمْري إلى النجاشي ملك الحبشـة ، وحاطبَ بن أبي بلتعة إلى المقـوقس صـاحب الإسكندرية ، وعمروَ بن العاص إلى جيفرٍ وعبدٍ ابني الجُلَنْدى ملكي عُمان ، وسَليطَ بن عمرو العامري إلى ثُمامة بن أُثال وهَوْذةَ بن علي الحنفييْن ملكي اليمامة ، والعـلاء بن الحضرمي إلى المنـذر بن سَـاوَى العبدي ملك البحرين . وشُجـاعَ بن وَهْب الأسدي إلى الحارث بن أبي شَمْر الغسَّاني ملك تخُوم الشام ، ويُقال بعثه إلى جَبَلة بن الأيهم الغسَّاني ، والمهاجرَ بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث بن عبد كُلال الحِميري ملك اليمن .

ذكر كتاب النبيّ ﷺ إلى قيصر
وما كان من خبر دحية معه

ذكر الواقدي : من حديث ابن عبـاس ، ومن حديثـه خَرَّجَ في الصحيحـين ؛ أن رسول الله ﷺ كتبَ إلى قيصرَ يدعوه إلى الإسلام ، وبعث بكتابه مع دحية الكلبي ، وأمره أن يدفعَه إلى عظيم بصرى ليدفعَه إلى قيصر ، فدفعه عظيمُ بصرى إلى قيصر ، وكان قيصرُ لما كشفَ الله عنه جنودَ فارس مشى من حمصَ إلى إيلياء شكراً لله عز وجل فيما أبلاه من ذلك ، فلما جاء قيصرَ كتابُ رسول الله ﷺ ، قال : التمسوا لي[1] هاهنا من قومه أحداً نسـألهم عنه .

قال ابن عباس : فأخبرني أبو سفيان بن حرب أنه كان بالشام في رجال من قريش قدموا تجاراً ، وذلك في الهدنة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين كفار قريش ، قال : فأتانا رسولُ قيصرَ ، فانطلق بنا حتى قدمنا إيلياء ، فأدخلنا عليه ، فإذا هو جالسٌ في مجلس ملكه وعليه

---

(١) كذا في « أ » و« د » وفي بعض النسخ « لنا » .

التاج وحوله عظماء الروم ، فقال لتَرْجمانه : سلهم أيهم أقرب نسباً بهذا الذي يزعم أنه نبيّ ؟ قال أبو سفيان : فقلت : أنا أقربهم نسباً ، وليس في الركب يومئذ رجل من بني عبد مناف غيري . قال قيصر : أدنوه مني ، ثم أمر بأصحابي فجُعلوا خلفَ ظهري ، ثم قال لترجمانه : قل لأصحابه : إنما قَدَّمتُ هذا أمامَكم لأسألَه عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبيّ ، وإنما جعلتكم خلفَ كتفيه لتردُّوا عليه كذباً إن قاله . قال أبو سفيان : فوالله لولا الحياء يومئذ أن يأثِروا عليَّ كذباً لكذبتُ عنه ، ولكني استحييتُ فصدقتُ وأنا كاره . ثم قال لترجمانه : قل له : كيف نسبُ هذا الرجل فيكم ؟ قلت : هو فينا ذو نسب . قال : قل له : هل قال هذا القول أحدٌ منكم قبلَه ؟ قلت : لا . قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقولَ ما قال ؟ قلت : لا . قال : هل كان من آبائه مَلِك ؟ قلت : لا . قال : فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤُهم ؟ قلت : بل ضعفاؤهم . قال : فهل يَزيدون أو ينقصون ؟ قلت : بل يزيدون . قال : فهل يرتدُّ أحد منهم سَخْطَةً لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا . قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا ، ونحن الآن منه في مُدَّةٍ لا ندري ما هو فاعل فيها . قال : فهل قاتلمتوه ؟ قلت : نعم . قال : فكيف حربُكم وحربُه ؟ قلت : دُوَلٌ وسِجال نُدال عليه مرةً ويُدَال علينا أخرى . قال : فما يأمركم به ؟ قلت : يأمرنا أن نعبدَ الله وحده ولا نشركَ به شيئاً ، وينهانا عما كان يعبدُ أباؤُنا ، ويأمرُنا بالصَّلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة .

فقال لترجمانه : قل له : إني سألتك عن نسبه ، فزعمتَ أنه فيكم ذو نسب ، وكذلك الرسلُ تُبعث في نسب قومها . وسألتك : هل قال هذا القول منكم أحدٌ قبلَه . فزعمتَ أن لا ، فلو كان أحدٌ منكم قال هذا القول قبلَه لقلتُ رجلٌ يأتمُّ بقول قيل قبلَه ، وسألتُك : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فزعمتَ أن لا ، فعرفتُ أنه لم يكن ليدعَ الكذبَ على الناس ويكذب على الله . وسألتك : هل كان من آبائه مَلِكٌ ؟ قلت : لا ، فقلتُ لو كان من آبائه مَلِكٌ قلتُ رجلٌ يطلب مُلكَ أبيه . وسألتُك : أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ فقلتَ : ضعفاؤهم ، وهم أتباعُ الرسل . وسألتُك : هل يزيدون أو ينقصون ؟ فزعمت أنهم يَزيدون ، وكذلك الإيمان حتى يتمَّ . وسألتُك هل يرتدُّ أحدٌ سَخْطَةً لدينه بعد أن يدخل فيه ، فزعمتَ أن لا ، وكذلك الإيمان حين تُخالط بشاشتُه القلوبَ لا يسخطه أحد . وسألتَك : هل قاتلمتوه ؟ فقلتَ : نعم ، وأن حربَكم وحربَه دُول وسِجَال ، يُدال عليكم مرة

وتُداولون عليه أخرى ، وكذلك الرسل تُبتلى ، ثم تكون لهم العاقبة . وسألتُك : ماذا يأمركم به فزعمتَ أنه يأمركم بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة ، وهو نبيٌّ ، وقد كنتُ أعلمُ أنه خارج ، ولكن لم أظنَّ أنه فيكم ، وإن كان ما أتاني عنه حقاً فيُوشك أن يملكَ موضعَ قدميَّ هاتين ، ولو أعلم أني أخلصُ إليه لتجشمت لُقِيَّهُ[1] ، ولو كنت عنده لغسلت قدميه .

قال أبو سفيان : ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ ، فقُرىء ، فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتَّبعَ الهدى ، أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلمْ تَسلم ، وأسلمْ يُؤتك الله أجركَ مرتين ، فإن تولَّيتَ فإن عليك إثم اليريسيين[2] ، و﴿ يا أهل الكتاب تعالَوْا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم أن لا نعبدَ إلا الله ولا نشركَ به شيئاً ولا يتَّخِذَ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإنْ تولَّوْا فقولوا اشهدوا بأنَّا مسلمون ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

قال أبو سفيان : فلما قضى مقالتَه وفرغ من الكتاب ، علتْ أصواتُ الذين حوله ، وكثر لغطُهم ، فلا أدري ما قالوا ، وأمر بنا فأُخرجنا ، فلما خرجتُ أنا وأصحابي ، وخلصنا ، قلت لهم : لقد أَمِرَ[3] أمرُ ابنُ أبي كبشة ، هذا ملك بني الأصفر يخافُه . قال : فوالله ما زلتُ ذليلاً مستيقناً أن أمرَه سيظهر حتى أدخل الله عليَّ الإسلام[4] .

ويروى[5] في خبر أبي سفيان أنه قال لقيصر لما سأله عن النبي ﷺ : أيها الملك ألا أخبرك عنه خبراً تعرف به أنه قد كذبَ ؟ قال : وما هو ؟ قلت : إنه قد زعم لنا أنه خرج من أرضنا أرضِ الحرم في ليلة ، فجاء مسجدَكم هذا مسجدَ إيلياء ، ورجع إلينا في تلك الليلة قبل الصباح .

---

(١) « لقيّه » : لقاءه ، كلاهما مصدر لقي .

(٢) « إثم اليريسيين » : اليريسيون : الأكّارون ، وهم الفلاحون والزراعون ؛ أي عليك إثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون لأمرك . نور النبراس لوحة ١٥٧/٣ .

(٣) « أَمِرَ » : عظم ، وأصله من الكثرة ؛ يقال : أَمِر القوم ؛ إذا كثروا .

(٤) رواه البخاري في كتاب التفسير (باب في تفسير سورة آل عمران) رقم /٤٥٥٦/ .

(٥) ويُروى : قال سبط ابن العجمي : هذه الزيادة لا أعرف من ذكرها ، والمؤلف رجل حافظ ثبت في كل ما ينقله ويحكيه ، لا يشك فيه ، وهي زيادة حسنة ، فكان ينبغي أن يعزوها .. نور النبراس لوحة ١٥٨/٣ .

قال : وبطريقُ إيلياء عند رأس قيصرَ ، فقال : صدق أيها الملك . قال : وما عِلمُك بهذا ؟ قال : إني كنتُ لا أنام كلَّ ليلةٍ حتى أغلقَ أبوابَ المسجد ، فلما كانت تلك الليلة أغلقتُ الأبواب كلَّها غير باب واحد غلبني ، فاستعنتُ عليه عُمَّالي ومن يَحضرني فلم نستطع أن نحرِكَّه ، فكأنما نزاولُ جبلاً ، فدعوتُ النَّجارين فنظروا إليه ، فقالوا : هذا باب سقطَ عليه النِّجاف[1] والبنيان فلا نستطيع أن نحرِّكَه حتى نصبحَ فننظرَ من أين أتي ، فرجعتُ وتركتُ البابين مفتوحين ، فلما أصبحتُ غدوتُ عليهما فإذا الحجر الذي في زاوية المسجد مثقوب ، وإذا فيه أثر مَرْبط الدابة ، فقلت لأصحابي : ما حُبِسَ هذا البابُ الليلةَ إلا على نبيّ ، وقد صلَّى الليلةَ في مسجِدنا هذا . فقال قيصر لقومه : يا معشرَ الروم ألستم تعلمون أن بين عيسى وبين الساعة نبياً بَشَّرَكم به عيسى بن مريم ترجونَ أن يجعلَه الله فيكم ؟ قالوا : بلى . قال : فإن الله قد جعلَه في غيركم في أقلَّ منكم عدداً وأضيقَ منكم بلداً ، وهي رحمة الله عزَّ وجلَّ يضعُها حيث يشاء .

● البريسيون : دهاقين القرى وكانوا إذ ذاك مجوساً .

ذكر[2] توجُّه عبد الله بن حُذافة السهمي إلى كسرى[3] بكتاب النبي ﷺ

ذكر الواقدي : من حديث الشِّفَاء بنت عبد الله ؛ أن رسولَ الله ﷺ بعثَ عبدَ الله بن حُذافة السهمي منصرفه من الحديبية إلى كسرى ، وبعث معه كتاباً مختوماً فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمّدٍ رسولِ الله إلى كسرى عظيمِ فارس ، سلامٌ على من اتَّبعَ الهُدى وآمنَ بالله ورسولِه ، وشهدَ أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له ، وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ، أدعوك بداعيةِ[4] الله ، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة ، ليُنذرَ من كان حيّاً ،

---

(١) « النِّجاف » : عتبة الباب ، وتُسمى : الأُسْكُفَّة .

(٢) في بعض النسخ « خبر » .

(٣) واسمه أبرويز بن هرمز : كذا سماه غير واحد ، منهم السهيلي . نور النبراس لوحة ١٥٨/٣ .

(٤) في « ج » بدعاية الإسلام .

ويَحِقَّ القولُ على الكافرين ، أسلم تسلم ، فإنْ أبيتَ فعليكَ إثمُ المجوس[1] .

قال عبدُ الله بن حُذافة : فانتهيتُ به إلى بابه ، فطلبتُ الإذنَ عليه ، حتى وصلتُ إليه ، فدفعتُ إليه كتابَ رسول الله ﷺ ، فقُرِئ عليه ، فأخذَه ومزَّقه ، فلما بلغَ ذلك رسولَ الله ﷺ ، قال مَزَّقَ اللَّهُ مُلْكَه .

وذكرَ أيضاً : من حديث أبي هريرة وغيره ، أن كسرى بينا هو في بيت كان يخلو فيه ، إذا رجل قد خرجَ إليه وفي يده عصا ، فقال : يا كسرى إن الله قد بعثَ رسولاً ، وأنزل عليه كتاباً ، فأسلم تسلم ، واتَّبعْه يبقَ لك مُلْكُكَ . قال كسرى : أَخِّرْ هذا عني آثراً[2] مّا . فدعا حُجَّابه وبوابيه ، فتوَعَّدَهم ، وقال : من هذا الذي دخل عليَّ ؟ قالوا : والله ما دخلَ عليك أحد ، وما ضَيَّعْنَا لك باباً ، ومكثَ حتى كان العام المقبل ، أتاه فقال له مثل ذلك ، وقال : إلا تُسلم أكسْر العصا . قال : لا تفعل أخِّر ذلك آثِراً مّا . ثم جاء العامَ المقبل ففعل مثل ذلك ، وضربَ بالعصا على رأسه فكسرَها ، وخرجَ من عنده . ويُقال إنَّ ابنَه قتلَه في تلك الليلة ، وأعلمَ الله بذلك رسولَه ﷺ لحدثانِ كونه[3]. فأخبرَ رسولُ الله ﷺ بذلك رسلَ باذان إليه .

وكان باذان عاملَ كسرى على اليمن ، فلما بلغه ظهورُ النبيِّ ﷺ ودعاؤه إلى الله ؛ كتب إلى باذان أن ابعث إلى هذا الرجل الذي خالفَ دينَ قومه ، فمرْه فليرجعْ إلى دين قومه ، فإن أبى فابعثْ إليَّ برأسه ـــ ويروى : وإلا فليُواعدْك يوماً تقتتلون فيه ـــ فلما وردَ كتابه إلى باذان بعثَ بكتابه مع رجلين من عنده ، فلما قدما على رسول الله ﷺ أنزلَهما وأمرَهما بالمُقام ، فأقاما أياماً ، ثم أرسلَ إليهما رسولُ الله ﷺ ذاتَ غداةٍ ، فقال : انطلقا إلى باذان فأعلماه أنَّ ربِّي عزَّ وجلَّ قد قتلَ كسرى في هذه الليلة . فانطلقا حتى قدما على باذان ، فأخبراه بذلك ، فقال : إن يكن الأمرُ كما قال ، فوالله إنَّ الرجلَ لنبيٌّ ،، وسيأتي الخبرُ بذلك إليَّ يوم كذا ، فأتاه الخبر بذلك ، فبعثَ باذان بإسلامه وإسلام من معه إلى رسول الله ﷺ[4].

(١) « المجوس » : المقصود بهم رعيته وشعبه الذين يتبعونه وينقادون له .

(٢) « آثراً » : بمد الهمزة ، ثم ثاء مثلة ثم راء ، الظاهر أن معناه : ناقلاً وحاكياً عنك . نور النبراس لوحة ١٥٩/٣ .

(٣) في « د » : بحدثان كونه . وأشار في نور النبراس أنهما بمعنى واحد ، وهو أول أمر حدوث الشيء .

(٤) الطبقات الكبرى ٢٥٩/١ ـــ ٢٦٠ مختصراً .

ويُقال : إن الخبر أتاه بمقتل كسرى وهو مريض ، فاجتمعتْ إليه أساورته[1] ، فقالوا : من تُؤمِّر علينـا ؟ فقال لهم : ملكٌ مُدبرٌ ، وملكٌ مقبلٌ ، فاتَّبِعوا هذا الرجلَ ، وادخلوا في دينه ، وأسلموا . وماتَ باذان فبعثَ رؤوسُهم إلى رسول الله ﷺ وفدَهم يُعرِّفونَه بإسلامهم .

ذكر إسلام النجاشي

وكتاب رسول الله ﷺ إليه ، مع عمرو بن أمية الضَّمْري

ذكر ابن إسحاق أن عمراً قال له : يا أصحمة إن عليَّ القول وعليك الاستماع ، إنك كأنك في الرقة علينا منا ، وكأنا في الثقة بك منك ، لأنا لم نظن بك خيراً قط إلا نلناه ، ولم نخفْك على شيء قط إلا أمِناه ، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك ، الإنجيل بيننا وبينك شاهدلا يُردّ وقاضٍ لا يجور ، وفي ذلك الموقع الحَزّ وإصابة المِفصل ، وإلا فأنت في هذا النبي الأميّ كاليهود في عيسى بن مريم ، وقد فرَّقَ النبيُّ ﷺ رسلَه إلى الناس ، فرجاك لما لم يَرجُهمْ له ، وأمَّنَكَ على ما خافهم عليه لخير سالف وأجر يُنتظر ، فقال النجاشي : أشهدُ بالله إنه للنَّبيّ الذي تنتظره أهلُ الكتاب ، وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل ، وأن العَيان ليس بأشفى من الخبر .

وذكر الواقديُّ أن ذلك الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة ، سِلْمٌ أنت ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس ، السلام المؤمن المهيمن ، وأشهدُ أن عيسى بن مريم روحُ الله وكلمتُه ، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى ، فخلقه من روحه ونفخه كما خَلَقَ آدم بيده ، وإني أدعوك إلى الله وحدَه لا شريك له ، والموالاة على طاعته ، وأن تتبعني وتُؤمنَ بالذي جاءني ، فإني رسولُ الله ، وإني أدعوك وجنودَك إلى الله عز وجل ، وقد بلَّغتُ ونصحت ، فاقبلوا نصيحتي ، والسلام على من اتبع الهدى .

فكتبَ إليـه النجاشيُّ : بسـم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله ، من النجاشي

---

(١) « أساورته » : جمع إسوار ؛ أي : فرسانه .

أصحمة ، سلام عليك يا نبيَّ الله من الله ورحمةُ الله وبركاته الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فقد بلغني كتابك يا رسول الله ، فيما ذكرتَ من أمر عيسى ، فوربِّ السماء والأرض إن عيسى بن مريم لا يزيدُ على ما ذكرتَ ثُفْرُوْقاً ، إنه كما ذكرتَ . وقد عرفنا ما بعثتَ به إلينا ، وقد قرَّبنا ابن عمك وأصحابَه فأشهدُ أنك رسولُ الله صادقاً مُصَدِّقاً ، وقد بايعتك وبايعتُ ابن عَمِّك ، وأسلمتُ على يديه لله ربِّ العالمين(١) .

● الثُّفْرُوق : عُلاَّقةٌ ما بين النواة والقِمع .

وتوفي النجاشيُّ سنة تسع بالحبشة ، وأخبرَ رسولُ الله ﷺ بموته يومَه ، وخرجَ بالناس إلى المُصلَّى فصَلَّى عليه ، والناس خلفَه صفوفٌ ، وكبَّرَ عليه أربعاً(٢) .

كتاب النبيّ ﷺ إلى المقوقس

مع حاطب بن أبي بلتعة

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن عبد الله إلى المقوقس ، عظيم القِبْط ، سلام على من اتبع الهُدى ، أما بعد : فإني أدعوك بداعية الإسلام ، أسلم تسلم ، وأسلمْ يُؤتك الله أجرَك مرتين ، فإن تولَّيتَ فإن عليك إثمُ القِبط و ﴿ يا أهل الكتاب تعالَوْا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم أن لا نعبدَ إلا الله ولا نشركَ به شيئاً ولا يَتَّخِذَ بعضُنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإنْ تولَّوْا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

وختمَ الكتابَ ، فخرج به حاطب حتى قدم عليه الإسكندرية ، فانتهى إلى حاجبه ، فلم يُلْبثْه أن أوصل إليه كتاب رسول الله ﷺ . وقال حاطب للمقوقس لما لقيه : إنه قد كان قبلَك رجلٌ يزعم أنه الرب الأعلى ، فأخذه الله نكالَ الآخرة والأولى ، فانتقم به ، ثم انتقم

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢٥٨/١ ـــ ٢٥٩ ، ولم يذكر نص الكتابين ، وإنما أشار إليهما .

(٢) كلام المؤلف عن إسلام النجاشي وكتاب رسول الله ﷺ إليه ، ثم وفاته وصلاة رسول الله عليه ، خطأ صريح ؛ لأنه يفيد أن النجاشي الذي كتب إليه رسول الله ﷺ هو الذي أسلم ، وربما تابع المؤلف في هذا الواقدي ، والصحيح أنهما اثنان ؛ كما في صحيح مسلم : أن رسول الله ﷺ كتب إلى النجاشي ، وليس الذي صلى عليه رسول الله ﷺ . وقال سبط ابن العجمي : والعجب كيف خفي هذا على مثل المؤلف . نور النبراس لوحة ١٥٩/٣ .

منه ، واعتبرْ بغيرك ولا يُعتبرْ بك . قال : هاتِ . قال : إن لنا ديناً لن ندعَه إلا لما هو خيرٌ منه وهو الإسلام ، الكافي به الله فقدَ ما سواه ، إن هذا النبي ﷺ دعا الناس ، فكان أشدَّهم عليه قريش ، وأعداهم له يهودُ ، وأقربَهم منه النصارى ، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى بن مريم إلا كبشارة عيسى بمحمد ﷺ ، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهلَ التوراة إلى الإنجيل ، وكلُّ نبيٍّ أدرك قوماً فهم من أمته ، فالحقُّ عليهم أن يُطيعوه ، فأنت ممن أدركه هذا النبي ، ولسنا ننهاك عن دين المسيح ، ولكننا نأمُرك به . فقال المقوقس : إني قد نظرتُ في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ، ولا ينهى إلا عن مرغوب عنه ، ولم أجده بالساحر الضـال ، ولا الكـاهن الكـاذب ، ووجدتُ معه آلة النبوة بإخراج الخَبْءِ ، والإخبار بالنجوى ، وسأنظر .

وأخذَ كتابَ النبي ﷺ فجعلَه في حُقٍّ من عاج ، وختم عليه ، ودفعه إلى جارية له ، ثم دعا كاتباً له يَكتب بالعربية ، فكتب إلى النبي ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم ، لمحمد بن عبد الله ، من المقوقس عظيم القِبْط ، سلام عليك ، أما بعد : فقد قرأتُ كتابَك ، وفهمتُ ما ذكرتَ فيه ، وما تدعو إليه ، وقد علمتُ أن نبياً بقي ، وكنتُ أظنُّ أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمتُ رسولَك وبعثتُ إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم ، وبكسوة ، وأهديتُ إليك بغلةً لتركبَها ، والسلام عليك . ولم يزد على هذا ، ولم يسلم .

- الجاريتان : مارية وسيرين .
- والبغلة : دلدل ، بقيت إلى زمن معاوية ، وكانت شهباء .

وذكر الواقدي في هذا الخبر : أن المقوقس وصفَ لحاطب أشياءَ من صفة النبيِّ ﷺ ، وقال : القبط لا يطاوعوني في اتباعه ، ولا أُحبُّ أن تعلمَ بمحاورتي إياك ، وأنا أضِنُّ بملكي أن أفارقَه ، وسيظهر على البلاد ، وينزلُ بساحتنا هذه أصحابُه من بعده ، حتى يظهرَ على من هاهنا ، فارجع إلى صاحبك فقد أمرت له بهدايا وجاريتين أختين ، وبغلة من مراكبي ، وألفَ مِثقال ذهباً ، وعشرين ثوباً ، وغير ذلك ، وأمرتُ لك بمائة دينار ، وخمسةِ أثواب ، فارحلْ من عندي ولا تسمعْ منك القبطُ حرفاً واحداً . فرحلتُ من عنده وقد كان لي مُكرماً في الضيافة وقِلّة اللُّبث ببابه ، ما أقمت عنده إلا خمسـة أيام . وإن الوفودَ وفودُ العجم ببابه منذ شهر وأكثر .

قال حاطب : فذكرتُ قولَه لرسول الله ﷺ ، فقال : « ضَنَّ الخبيثُ بملكه ولا بقاء لملكه »(١) .

قال الدارقطني : اسمه جُريج بن مِينا ، أثبته أبو عمر في الصحابة ، ثم أمر بأن يُضرب عليه . وقال : يغلبُ على الظنِّ أنه لم يُسلم . وكانت شبهتُه في إثباته إياه في الصحابة أولاً روايةً رواها ابن إسحاق عن الزهري عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة قال : أخبرني المقوقسُ أنه أهدى لرسول الله ﷺ قَدَحاً من قوارير فكان يشرب فيه .

كتابُ رسول الله ﷺ إلى المنذر بن سَاوَى العَبْدي

مع العلاء بن الحضرمي بعد انصرافه من الحديبية

ذكر الواقدي بإسناد له عن عكرمة ، قال : وجدتُ هذا الكتاب في كتب ابن عباس بعد موته ، فنسختهُ ، فإذا فيه : بعثَ رسولُ الله ﷺ العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن سَاوَى ، وكتب إليه رسولُ الله ﷺ كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام ، فكتبَ المنذرُ إلى رسول الله ﷺ : أما بعد ، يا رسول الله فإني قرأتُ كتابَك على أهل البحرين ، فمنهم من أحبَّ الإسلام وأعجبَه ودخل فيه ، ومنهم من كرهه . وبأرضي مجوس ويهود ، فأحدثْ إليَّ في ذلك أمركَ . فكتب إليه رسول الله ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى المنذر بن سَاوَى ، سلام عليك ، فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبدُه ورسوله ، أما بعد : فإني أُذَكِّرُكَ اللهَ عز وجل ، فإنه من ينصحُ فإنما ينصحُ لنفسه ، وإنه من يُطع رسلي ويتبع أمرَهم فقد أطاعني ، ومن نصحَ لهم فقد نصحَ لي ، وإن رسلي قد أثنوْا عليك خيراً وإني قد شفَّعْتُكَ في قومك ، فاتركْ للمسلمين ما أسلموا عليه ، وعفوتُ عن أهل الذنوب ، فاقبلْ منهم ، وإنك مهما تُصلحْ فلن نعزلَك عن عملك ، ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية(٢) .

---

(١) الطبقات الكبرى ١/٢٦٠ ــ ٢٦١ مختصراً .

(٢) الطبقات الكبرى ١/٢٦٣ .

أســلم المنذر هذا بكتـاب رسول الله ﷺ ، وحسن إسـلامه ، ومات قبل ردة أهل البحرين .

وذكر ابن قانع : أنه وفدَ على النبيِّ ﷺ . قال أبو الربيع بن سالم : ولا يصحُّ ذلك .

كتاب النبيِّ ﷺ إلى جيفرٍ وعبدٍ
ابني الجُلَنْدَى الأزديين ، ملكي عُمان ، مع عمرو بن العاص

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد بن عبد الله إلى جيفرٍ وعبدٍ ابني الجُلَنْدَى . سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوكما بداعية الإسلام ، أسلما تسلمَا ، فإني رسول الله إلى الناس كافة ، لأنذرَ من كان حيّاً ، ويَحِقَّ القولُ على الكافرين . وإنكما إن أقررتما بالإسلام وَلَّيْتُكما ، وإن أبيتما أن تُقِرَّا بالإسلام فإن مُلكَكُما زائل عنكما ، وخيلي تَحِلُّ بساحتِكما ، وتظهرُ نبوّتي على مُلكِكُماً .

وكتبَ أبيُّ بن كعب ، وختمَ رسولُ الله ﷺ الكتابَ .

قال عمرو : ثم خرجتُ حتى انتهيتُ إلى عُمان ، فلما قدمتُها عمدتُ إلى عبدٍ وكانَ أحلمَ الرجلين وأسهـلَهمـا خُلُقاً ، فقلت : إني رسولُ الله إليك وإلى أخيك ، فقال : أخي المقدَّمُ عليَّ بالسِّنّ والملك ، وأنا أُوصلكَ إليه حتى يقرأَ كتابَك . ثم قال لي : وما تدعو إليه ؟ قلت : أدعوكَ إلى الله وحدَه لا شريك له ، وتخلعَ ما عُبدَ من دون الله ، وتشهدَ أن محمداً عبده ورسوله . قال : يا عمرو إنك ابن سيِّدِ قومك ، فكيف صنع أبوك ، فإن لنا فيه قدوة ؟ فقلت : مات ولم يُؤمنْ بمحمد ﷺ ، ووددتُ أنه كان أسلم وصدَّق به ، وقد كنتُ أنا على مثل رأيه ، حتى هداني الله للإسـلام . قال : فمتى تبعتَه ؟ قلت : قريباً . فسألني أين كان إسلامي ؟ فقلت : عند النجاشي ، وأخبرتُه أن النجاشيَّ قد أسلم . قال : فكيف صنعَ قومُه بملكه ؟قلت : أقروه واتبعوه . قال : والأساقفة والرهبان اتبعوه ؟ قلت : نعم . قال : انظر يا عمرو ما تقول ، إنه ليس من خَصلة في رجل أفضحَ له من كذب . قلت : ما كذبتُ وما نستحلُّه في ديننا . ثم قال : ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي . قلت : بلى . قال : بأي شـيء علـمتَ ذلك ؟ قـلت : كان النجـاشيُّ يُخرج له خَرْجاً ، فلمـا أسـلم وصـدَّقَ بمحمد ﷺ ، قال : لا والله لو سألني درهماً واحداً ما أعطيتُهُ ، فبلغ هرقلَ قولُه ، فقال له

يَنَّاقُ أخوه : أتدع عبدَك لا يُخرج لك خرجاً ، ويدينُ دينا مُحدثاً ؟ قال هرقل : رجلٌ رغبَ في دين واختارَه لنفسه ما أصنعُ به ، والله لولا الضَنُّ بملكي لصنعتُ كما صنع . قال : انظر ما تقول يا عمرو ؟ قلت : والله صدقتُك . قال عبد : فأخبرني ما الذي يأمرُ به وينهى عنه . قلت : يأمر بطاعة الله عز وجل ، وينهى عن معصيته ، ويأمر بالبر وصلة الرحم ، وينهى عن الظلم والعدوان ، وعن الزنا وشرب الخمر ، وعن عبادة الحجر والوثن والصليب . فقال : ما أحسن هذا الذي يدعو إليه ، لو كان أخي يُتابعني لركبنا حتى نؤمنَ بمحمد ونُصدِّق به ، ولكنَّ أخي أضنُّ بملكه من أن يدعَه ، ويصيرَ ذنَباً . قلت : إنه إن أسلم مَلَّكه رسولُ الله ﷺ على قومه ، فأخذ الصدقةَ من غنيِّهم فردَّها على فقيرهم . قال : إن هذا الخلق حسن ، وما الصدقة ؟ فأخبرتُه بما فرضَ رسولُ الله ﷺ من الصَّدَقاتِ في الأموال حتى انتهيتُ إلى الإبل . فقال : يا عمرو وتُؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجرَ وتردُ المياهَ ؟ قلت : نعم . فقال : والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يُطيعون بهذا . قال : فمكثتُ ببابه أياماً وهو يصلُ إلى أخيه فيخبرَه كلَّ خبري . ثم إنه دعاني يوماً فدخلتُ عليه ، فأخذَ أعوانُه بضَبْعَيَّ ، فقال : دعوه . فأُرسلتُ ، فذهبتُ لأجلسَ ، فأبوا أن يدعوني أجلسُ ، فنظرتُ إليه ، فقال : تكلَّمْ بحاجتِك . فدفعتُ إليه الكتابَ مختوماً ، فَفَضَّ خاتَمه ، فقرأه حتى انتهى إلى آخره ، ثم دفعه إلى أخيه فقرأه مثلَ قراءته ، إلا أني رأيتُ أخاه أرقَّ منه . ثم قال : ألا تُخبرني عن قريش كيف صنعت ؟ فقلت : تبعوه إما راغبٌ في الدين وإما مقهور بالسيف . قال : ومن معه ؟ قلت : النَّاسُ قد رغبوا في الإسلام واختاروه على غيره ، وعرفوا بعقولهم مع هدي الله إياهم أنهم كانوا في ضلال ، فما أعلم أحداً بقي غيرَك في هذه الحَرَجة ، وأنت إنْ لم تُسلم اليوم وتَتَّبِعْه يُوطئك الخيلَ ، ويُبِدْ خضراءك ، فأسلم تسلم ، ويستعملْك على قومِك ، ولا يُدخلْ عليك الخيل والرجال . قال : دعني يومي هذا ، وارجعْ إليَّ غداً . فرجعتُ إلى أخيه ، فقال : يا عمرو إني لأرجو أن يُسلمَ إن لم يَضنَّ بملكه ، حتى إذا كان الغد ، أتيتُ إليه ، فأبى أن يأذن لي ، فانصرفت إلى أخيه فأخبرته أني لم أصل إليه ، فقال : إني فكرت فيما دعوتني إليه فإذا أنا أضعفُ العرب إن مَلَّكتُ رجلاً ما في يدي وهو لا تبلغُ خيله إليَّ هاهنا ، وإن بلغت خيله ألفتْ قتالاً ليس كقتال من لاقى ، قلت : وأنا خارجٌ غداً ، فلما أيقنَ بمخرجي خلا به أخوه ، فقال : ما نحن فيما قد ظهرَ عليه ، وكلُّ من

أرسـل إليه قد أجابه ؟ فأصبحَ فأرسـلَ إليَّ فأجابَ إلى الإسلام هو وأخوه جميعاً ، وصدَّقا النبيَّ ﷺ ، وخلَّيـا بيـني وبين الصـدقة وبين الحكـم فيما بينهـم . وكانا لي عوناً على من خالفني[1] .

كتاب النبي ﷺ إلى هوذة بن علي الحنفيّ

صاحب اليمامة ، مع سَلِيط بن عمرو العامريّ

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى هوذة بن علي ، سلام على من اتبع الهدى ، واعلم أن ديني سيظهرُ إلى منتهى الخُفِّ والحافر ، فأسلم تسلم ، وأجعل لك ما تحت يديك .

فلما قدم عليه سَليط بكتاب النبي ﷺ مختوماً ؛ أنزله وحَبَاه ، وقرأ عليه الكتاب ، فردَّه دون ردٍّ ، وكتب إلى النبي ﷺ : ما أحسـن ما تدعو إليـه وأجملَه ، وأنا شـاعرُ قومي وخطيبُهم ، والعربُ تهابُ مكاني ، فاجعل إليَّ بعضَ الأمر أتَّبِعْكَ . وأجازَ سَليطا بجائزة ، وكساه أثواباً من نسج هَجَر ، فقدم بذلك على النبي ﷺ فأخبره . وقرأ النبيُّ ﷺ كتابَه ، وقال : لو سألني سَيَابة[2] من الأرض ما فعلت ، بادَ وبادَ ما في يديه . فلما انصرف النبيُّ ﷺ من الفتح ، جاءه جبريلُ عليه السـلام بأن هوذةَ قد مات[3] ، فقال ﷺ : أما إن اليمامةَ سيخرجُ بها كذَّابٌ يتنبأ ، يُقتـل بعدي . فقال قائلٌ : يا رسول الله من يقتلُه ؟ فقال له رسول الله ﷺ : أنت وأصحابُك ، فكان كذلك .

وفيما ذكر الواقدي أن أركون دمشق ــ عظيم من عظماء النصارى كان عند هوذة ــ فسـألـه عن النبي ﷺ ، فقـال : جاءني كتـابُه يدعوني فيه إلى الإسـلام فلم أجبْه ، قال الأركون : لم لا تجيبُه ؟ فقال : ضننتُ بديني وأنا ملكُ قومي ، ولئن تبعتُه لم أُمَلَّكْ . قال : بلى والله لئن اتَّبعتَـه ليُمـلِكَنَّك وإنَ الخيرة لك في اتباعه ، وإنَّه للنبي العربي الذي بَشَّرَ به عيسى بن مريم ، وإنه لمكتوب عندنا في الإنجيل محمد رسول الله . وذكر باقي الخبر .

---

(١) الطبقات الكبرى ١/٢٦٢ ــ ٢٦٣ مختصراً .

(٢) « سَيَابة » : بَلَحة من ثمر النخيل .

(٣) الطبقات الكبرى ١/٢٦٢ .

كتاب النبي ﷺ إلى الحارث بن أبي شَمْر الغسّاني
مع شجاع بن وهب

ذكر الواقدي أن رسول الله ﷺ بعث شجاعاً إلى الحارث بن أبي شمر ، وهو بغوطة دمشق ، فكتبَ إليه مرجعَه من الحديبية :

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شَمْر ، سلام على من اتَّبع الهدى وآمن به وصدَّق ، وإني أدعوك إلى أن تُؤمنَ بالله وحدَه لا شريك له ويَبقى لك مُلككَ .

فختَمَ الكتابَ ، وخرج به شجاع بن وهب ، قال : فانتهيتُ إلى حاجبه ، فأجدُه يومئذ وهو مشغول بتهيئة الأنزال والألطاف[1] لقيصرَ ، وهو جاء من حمص إلى إيلياء حيث كشف الله عنه جنود فارس ، شكراً لله تعالى . قال : فأقمتُ على بابه يومين أو ثلاثة ، فقلت لحاجبه : إني رسولُ رسول الله ﷺ إليه ، فقال حاجبه : لا تصلُ إليه حتى يخرجَ يومَ كذا وكذا . وجعل حاجبه ــ وكان رومياً اسمه مُرَيّ ــ يسألني عن رسول الله ﷺ وما يدعو إليه ، فكنتُ أحدثه ، فيرقُّ حتى يغلبَه البكاء ، ويقول : إني قرأت في الإنجيل ، وأجدُ صفة هذا النبيِّ بعينه ، فكنت أراه يخرج بالشام ، فأراه قد خرجَ بأرض القَرَظِ[2] ، فأنا أؤمن به وأصدقه ، وأنا أخاف من الحارث بن أبي شَمْر أن يقتلني . قال شجاع : فكان ــ يعني هذا الحاجب ــ يُكرمني ويُحسن ضيافتي ، ويُخبرني عن الحارث باليأس منه ، ويقول : هو يخاف قيصر . قال : فخرجَ الحارث يوماً وجلس ، فوضعَ التاجَ على رأسه ، فأذنَ لي عليه ، فدفعتُ إليه كتاب رسول الله ﷺ ، فقرأه ثم رمى به ، وقال : مَنْ ينتزعُ مني مُلكي ، وأنا سائر إليه ، ولو كان باليمن جئته ، عليَّ بالناس ، فلم يزلْ جالساً يعرضُ حتى الليل . وأمر بالخيل أن تنعلَ ، ثم قال : أخبرْ صاحبَك بما ترى . وكتبَ إلى قيصرَ يخبرُه خبري ، فصادفَ قيصرَ بإيلياء ، وعنده دحية الكلبيّ ، وقد بعثَه إليه رسولُ الله ﷺ ، فلما قرأ قيصرُ كتابَ الحارث كتبَ

---

(١) « الأنزال والألطاف » : ما يُهيأ للنزيل من المآكل والهدايا .

(٢) « القَرَظ » : ورق السلم ؛ تُدبغ به الجلود ، وأرضُ القَرَظ : كناية عن جزيرة العرب ، لأنها منبته .

إليه : ألا تسر إليه ، والهُ عنه ، ووافني بإيلياء . قال : ورجع الكتابُ وأنا مقيمٌ ، فدعاني ، وقال : متى تُريدُ أن تخرجَ إلى صاحبك ؟ قلت : غداً . فأمرَ لي بمائة مثقال ذهباً ، ووصلني مُرَيّ بنفقة وكسوة ، وقال : اقرأ على رسول الله ﷺ مني السلام ، وأخبره أني مُتّبع دينَه .

قال شجاع : فقدمتُ على النبي ﷺ فأخبرته ، فقال : بادَ ملكُه . وأقرأته من مُرَيّ السلام ، وأخبرتُه بما قال ، فقال رسول الله ﷺ : صدق[1] .

وابن هشام يقول : بأن المرسلَ إليه جَبَلَةَ بن الأيهم ، بدل الحارث بن أبي شمر .

وقد تقدَّم فيما ذكرناه عن ابن إسحاق كتابَ النبي ﷺ إلى الحارث بن عبد كُلال ومن معه باليمن ، والله تعالى أعلم .

* * *

(١) الطبقات الكبرى ١/٢٦١ ــ ٢٦٢ .

سرية علي بن أبي طالب
رضي الله تعالى عنه إلى اليمن

قال ابن سعد : يُقال مرتين : إحداهما في شهر رمضان سنة عشر من مُهاجره ﷺ ، وعقد له لواءً وعمَّمه بيده ، وقال : امضِ ولا تلتفتْ ، فإذا نزلتَ بساحتِهم فلا تقاتلْهم حتى يقاتلوك . فخرجَ في ثلاثمائة فارس ، وكانت أوَّلَ خيلٍ دخلت إلى تلك البلاد ، وهي بلاد مَذحج ، ففرَّق أصحابه ، فأتوا بنهبٍ غنائمَ وأطفالٍ ونساء ونَعَمٍ وشاء وغير ذلك ، وجعل عليٌّ على الغنائم بُريدة بن الحُصَيب الأَسلمي ، فجمع إليه ما أصابوا ، ثم لقي جمعهَم فدعاهم إلى الإسلام فأبوْا ، ورموا بالنبل والحجارة ، فصفَّ أصحابَه ، ودفع لواءَه إلى مسعود بن سنان الأسلمي[1] ، ثم حملَ عليهم عليٌّ بأصحابه ، فقتلَ منهم عشرين رجلاً ، فتفرقوا وانهزموا ، فكفَّ عن طلبهم ، ثم دعاهم إلى الإسلام فأسرعوا وأجابوا ، وتابعه نفر من رؤسائهم على الإسلام ، وقالوا : نحن على من وراءنا من قومنا ، وهذه صَدَقاتُنا ، فخذْ منها حقَّ الله . وجمعَ عليٌّ الغنائمَ فجزَّأها على خمسة أجزاء ، فكتب في سهم منها لله ، وأقرع عليها ، فخرج أوّلُ السهام سهمُ الخمس ، وقسم عليٌّ على أصحابه بقيةَ المغنم ، ثم قفلَ فوافق النبيَّ ﷺ بمكة ، وقد قدمها للحج سنة عشر[2] .

قال الرُّشَاطي : وفي الحديث أن رسول الله ﷺ بعث عليّ بن أبي طالب في سرية إلى اليمن ، وذلك في شهر رمضان سنة عشر من الهجرة ، فأسلمت هَمْدان كلُها في يوم واحد ، وكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ ، فلما قرأ كتابه خرَّ لله ساجداً ، ثم جلسَ فقال : السَّلامُ على هَمْدان . وتتابع أهلُ اليمن على الإسلام . انتهى كلام الرُّشَاطي ، ويُشبه أن تكون هذه هي السرية الأولى ، وما في الأصل هو السرية الثانية ، والله أعلم .

* * *

---

(١) في « د » والطبقات الكبرى ٢/١٧٠ « السَّلِمي » . قالوا : والنسبتان صحيحتان ، فهو أسلمي صلبية ، سَلِميٌّ بالحلف . نور النبراس لوحة ٣/١٦٤ .

(٢) الطبقات الكبرى ٢/١٦٩ ــ ١٧٠ .

حجَّة الوداع

قال الفقيه الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الفارسي رحمه الله(1) : أعلم عليه الصلاة والسلام الناسَ أنه حَاجٌّ ، ثم أمر بالخروج معه ، فأصابَ النَّاسَ بالمدينة جُدري أو حَصْبة منعت من شاء الله تعالى أن تمنعَ من الحج معه ، فأعلَمَ رسول الله ﷺ أن عمرة في رمضان تعدل حجةً .

وخرجَ رسولُ الله ﷺ إلى مكة عام حجة الوداع التي لم يحج من المدينة منذ هاجر عليه الصلاة والسلام إليها غيرها ، فأخذ على طريق الشجرة ، وذلك يوم الخميس لست بقين من ذي القعدة سنة عشر نهاراً ، بعد أن ترجَّلَ وادَّهن ، وبعد أن صلَّى الظهر بالمدينة ، وصلَّى العصر من ذلك اليوم بذي الحُلَيفة ليلة الجمعة ، وطافَ تلك الليلةَ على نسائه ، ثم اغتسلَ ، ثم صلَّى بها الصبح ، ثم طيَّبَتْه عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها بيدها بذريرة (2)، وبطيب فيه مسك . ثم أحرم ولم يغسل الطيبَ ، ثم لبَّد رأسه ، وقلَّد بدنته(3) نعلين ، وأشعرَها(4) في جانبها الأيمن ، وسلتَ(5) الدم عنها ، وكانت هديَ(6)تطوع ، وكان عليه الصلاة والسلام ساق الهديَ مع نفسه ، ثم ركب راحلتَه ، وأهلَّ حين انبعثت به من عند المسجد مسجد ذي الحليفة بالقران بالعمرة والحج معاً ، وذلك قبل الظهر بيسير ، وقال للناس بذي الحليفة : من أراد منكم أن يُهِلَّ بعمرةٍ وحجٍّ فليفعل ، ومن أرادَأن يُهِلَّ بحج فليُهِلّ ، ومن أراد أن يُهِلَّ بعمرة فليُهِلَّ . وكان معه عليه الصلاة والسلام من الناس جموعٌ لا يُحصيهم إلا خالقهم ورازقهم عزَّ وجلَّ .

---

(1) هو ابن حزم الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ .

(2) « بذريرة » : الذريرة : نوع من الطيب المدقوق ، مجموع من أخلاط .

(3) « قلَّدَ بدنته نعلين » : وضعهما في رجليها ؛ ليُعلم أنها هدي .

(4) « أشعرها » : شقَّ أحد جنبي سنامها شقاً ضيِّقاً بمشرط ونحوه حتى تَدْمَى ؛ ليُعرف أنها هدي .

(5) « سلت الدم عنها » : أزاله لتتضح علامتها .

(6) وكانت هدي تطوع : هذا بناء من ابن حزم الظاهري على أصله الذي انفرد به عن الأئمة ؛ أن القارن لا يلزمه هدي ، وإنما يلزم المتمتع . وبين بطلانه ابن القيم في زاد المعاد فانظره . نور النبراس لوحة ١٦٥/٣ .

ثم لبّى رسولُ الله ﷺ فقال : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » . وقد روي أنه عليه الصلاة والسلام زاد على ذلك ، فقال : لبيك إلهَ الحقِّ . وأتاه جبريلُ ﷺ وأمَره أن يأمَر أصحابَه أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية .

وَوَلدتْ أسماء بنتُ عميس الخثعمية ــ زوج أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ــ محمدَ بن أبي بكر ، فأمرها رسولُ الله ﷺ أن تغتسلَ وأن تستثفر[1] بثوب ، وتُحرم وتُهل .

ثم نهض عليه الصلاة والسلام وصلّى الظهر بالبيداء ، ثم تمادى . واستهلَّ هلال ذي الحجة ليلة الخميس ليلة اليوم الثامن من خروجه من المدينة ، فلما كان بِسَرِف حاضت عائشة رضي الله عنها ، وكانت قد أهلَّت بعمرة ، فأمرها رسولُ الله ﷺ أن تغتسلَ ، وتنقض رأسها ، وتمتشطَ ، وتتركَ العمرة ، وتدعَها وترفِضَها ، ولم تحل منها ، وتدخل على العمرة حجاً ، وتعملَ جميع أعمال الحج حاشى الطواف بالبيت ما لم تطهر .

وقال عليه الصلاة والسلام وهو بسرف للناس : من لم يكن منكم معه هدي وأحبَّ أن يجعلَها عمرة فليفعل ، ومن كان معه هدي فلا . فمنهم من جعلَها عمرة كما أُبيح له ، ومنهم من تمادى على نية الحج ولم يجعلها عمرة ، وهذا فيمن لا هدي معه ، وأما من كان معه الهديُ ، فلم يجعلها عمرة أصلاً . وأمر عليه الصلاة والسلام في بعض طريقه ذلك من كان معه هدي أن يُهِلَّ بالقران بالحج والعمرة معاً ، ثم نهضَ عليه الصلاة والسلام إلى أن نزل بذي طُوى ، فبات بها ليلة الأحد لأربع خلون لذي الحجة ، فصلّى الصبحَ بها ، ودخل مكة نهاراً من أعلاها من كَداء ، من الثنية العليا صبيحة يوم الأحد المذكور المؤرخ ، فاستلم الحجر الأسود ، وطاف رسولُ الله ﷺ بالكعبه سبعاً ، ورمل ثلاثاً منها ، ومشى أربعاً ، يستلم الحجرَ الأسود والركنَ اليمانيَّ في كل طوفة ، ولا يَمَسُّ الركنين الآخرين اللذين فى الحِجْر ، وقال بينهما : ﴿ رَبَّنا آتِنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرةِ حسنةً وقِنا عذابَ النَّار ﴾ [البقرة : ٢٠١] ثم صلّى عند مقام إبراهيم عليه السلام ركعتين يقرأ فيهما مع أم القرآن ﴿ قل يا أيُّها الكافرون ﴾ و﴿ قل هو الله أحد ﴾ جعل المقام بينه وبين الكعبة ، وقرأ عليه الصلاة والسلام

---

(١) « تستثفر » : تشد على فرجها خرقة عريضة بعد أن تحتشي قطناً فتمنع سيل الدم .

إذ أتى المقام : ﴿ واتَّخِذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ [البقرة : ١٥٨] . ثم رجع إلى الحجر الأسود فاستلمه ، ثم خرج إلى الصفا فقرأ : ﴿ إنَّ الصَّفَا والمروةَ من شعائر الله ﴾ [البقرة : ١٥٨] أبدأ بما بدأ الله به ، فطاف بين الصفا والمروة أيضـاً سبعاً راكباً على بعيره ، يخُبُّ ثلاثاً ، ويمشي أربعاً ، إذا رقى الصفا استقبل القبلة ونظر إلى البيت ووَّحد الله تعالى وكبَّره ، وقال : لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبدَه وهزم الأحزابَ وحده . ثم يدعو ، ثم يفعل على المروة مثل ذلك . فلما أكمل عليه الصلاة والسلام الطوافَ والسعيَ أمرَ كلَّ من لا هدي معه بالإحلال قارناً كان أو مُفرداً ، وأن يُحِلُّوا الحِلَّ كلَّه من وطء النساء والطِّيب والمخيط ، وأن يبقوا كذلك إلى يوم التروية ، وهو يوم مِنى ، فيُهِلُّوا حينئذ بالحج ، ويُحرموا عند نهوضهم إلى منى ، وأمر من معه الهدي بالبقاء على إحرامهم ، وقال لهم عليه الصلاة والسلام حينئذ إذ تردَّدَ بعضهم : لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ ما سُقت الهدي حتى أشتريه ، ولجعلتُها عمرة ، ولأحللتُ كما أحللتم ، ولكني سقتُ الهديَ فلا أُحِلُّ حتى أنحر الهديَ . وكان أبو بكر وعمر وطلحةُ والزبير وعليٌّ ، ورجال من أهل الوفر[1] ، ساقوا الهديَ فلم يُحِلُّوا وبَقُوا محرمين ، كما بقي هو عليه الصلاة والسلام مُحرماً ، لأنه كان ساقَ الهديَ مع نفسه ، وكن أمهات المؤمنين لم يسقن هدياً فأَحْلَلنَ ، وكن قارنات حجًّا وعمرة ، وكذلك فاطمة ابنة النبي ﷺ ، وأسماء بنت أبي بكر الصديق ، أحلَّتا ، حاشى عائشة رضي الله عنها من أجل حيضها لم تُحِلَّ كما ذكرنا ، وشكا عليٌّ فاطمةَ إلى النبيِّ ﷺ إذ حَلَّتْ ، فصَدَّقها عليه الصلاة والسـلام في أنه أمرها بذلك . وحينئذ سـأله سُراقة بن مالك بن جُعشم الكِناني ، فقال : يا رسول الله متُعتنا هذه لعامنا هذا أم للأبد ، ولنا أم للأبد ؟ فشبَّكَ عليه الصلاة والسلام أصابعه وقال : لا ، بل لأبد الأبد ، دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة .

وأمر عليه الصـلاة والسـلام من جاء إلى الحج على غير الطريق التي أتى عليه الصلاة والسلام عليها ، ممن أهل بإهلال كإهلاله ، بأن يبقَوْا على حالهم ، فمن ساقَ منهم الهديَ لم يُحِلَّ ، فكان عليٌّ من أهل هذه الصفة ، ومن كان منهم لم يَسُقِ الهديَ أن يُحل ، فكان أبو موسى الأشعري من أهل هذه الصفة .

---

(١) « أهلُ الوفرِ » : من بأيديهم مال زائد عن الحاجة .

وأقام عليه الصلاة والسلام بمكة محرماً من أجل هديه يوم الأحد المذكور والاثنين والثلاثاء والأربعاء وليلة الخميس . ثم نهضَ ﷺ بكرةً يوم الخميس ، وهو يوم مِنى ، ويوم التروية مع الناس إلى منى ، وفي ذلك الوقت أحرمَ بالحجِّ من الأبطح كلُّ من كان أحلَّ من أصحابه رضي الله عنهم ، فأحرموا في نهوضهم إلى منى في اليوم المذكور ، فصلَّى رسولُ الله ﷺ بمنى الظهر من يوم الخميس المذكور والعصرَ والمغربَ والعِشاء الآخرة ، وبات بها ليلة الجمعة ، وصلَّى بها الصبحَ من يوم الجمعة ، ثم نهض عليه الصلاة والسلام بعد طلوع الشمس من يوم الجمعة المذكور إلى عرفة بعد أن أمر عليه الصلاة والسلام بأن تُضرب له قُبَّةٌ من شَعَر بنمرة ، فأتى عليه الصلاة والسلام عرفة ، ونزل في قبته التي ذكرنا ، حتى إذا زالت الشمس أمر بناقته القَصْوَاء فرُحِّلَتْ ، ثم أتى بطنَ الوادي ، فخطب على راحلته خطبة ذكرَ فيها عليه الصلاة والسلام تحريمَ الدماء والأموال والأعراض ، ووضع فيها أمور الجاهلية ودماءها . وأوَّلُ ما وضع دمَ ابن ربيعة[1] بن الحارث بن عبد المطلب ، كان مُسترضَعاً في بني سعد بن بكر فقتلته هذيل . وذكر النَّسَّابون أنه كان صغيراً يحبو أمام البيوت ، وكان اسمه[2] آدم ، فأصابه حجر عائر[3] أو سهم غَرْب[4] من يد رجل من بني هذيل فمات .

ثم نرجعُ إلى وصف عمله عليه الصلاة والسلام

ووضع أيضاً عليه الصلاة والسلام في خطبته بعرفة ربا الجاهلية ، وأوَّلُ ربا وضعَه ربا عمه العباس رضي الله عنه ، وأوصى بالنساء خيراً ، وأباحهم ضربهنَّ غيرَ مُبرِّح إن عصين بما لا يَحِلُّ ، وقضى لهنَّ بالرزق والكسوة بالمعروف على أزواجهنَّ ، وأمر بالاعتصام بعدَه بكتاب الله عز وجل ، وأخبرَ أنه لا يَضِلُّ من اعتصم به ، وأشهدَ اللَّهَ عز وجل على الناس أنه قد بلَّغهم ما يَلزمه[5] ، فاعترف الناس بذلك ، وأمر عليه الصلاة والسلام أن يُبَلِّغ ذلك الشاهدُ الغائبَ . وبعثت إليه أمُّ الفضل بنتَ الحارث الهلالية ــ وهي أمُّ عبد الله بن عباس ــ لبناً في

---

(١) « ابن ربيعة » : قال المحققون والجمهور : أن اسم هذا الابن إياس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب .
(٢) قال الدارقطني : وهو تصحيف ؛ أي : من بعض النسابين . نور النبراس لوحة ١٦٧/٣ .
(٣) « حجرٌ عائر » : لا يُعرف من رماه .
(٤) « سهمٌ غَرْبٌ » : السهم الذي أخطأ هدفه ، أو لا يُعرف من رماه أيضاً .
(٥) كذا في « د » والمطبوع ؛ أي ما يلزمه تبليغهم ، وفي سائر النسخ « ما يلزمهم » .

قدح ، فشربَه عليه الصلاة والسلام أمامَ الناس وهو على بعيره ، فعلموا أنه ﷺ لم يكن صائماً في يومه ذلك ، فلما أتم الخطبة المذكورة أمر بلالاً فأذَّن ثم أقام ، فصلَّى الظهر ، ثم أقام فصلَّى العصر ، ولم يُصلِّ بينهما شيئاً ، لكنْ صلاَّهما عليه الصلاة والسلام بالناس مجموعتين في وقت الظهر بأذان واحد لهما معا ، وبإقامتين ، لكل صلاة إقامة ، ثم ركب عليه الصلاة والسلام راحلتَه حتى أتى الموقف ، فاستقبل القبلةَ ، وجعل حَبْلَ المشاةِ[1] بين يديْه ، فلم يزل واقفاً للدعاء .

وهنالك سقطَ رجلٌ من المسلمين عن راحلته وهو مُحرم في جملة الحجيج فمات ، فأمرَ رسـولُ الله ﷺ بأن يُكَفَّن في ثوبيه ، ولا يُمَسَّ بطيب ، ولا يُحنَّط ، ولا يُغطَّى رأسه ولا وجهه . وأخبر عليه الصلاة والسلام أنه يُبعث يوم القيامة مُلَبِّياً .

وسأله قومٌ من أهل نجد هنالك عن الحج ، فأعلمهم عليه الصلاة والسلام بوجوب الوقوف بعرفة ، وَوَقتَ الوقوف بها ، وأرسلَ إلى الناس أن يقفوا على مشاعرهم ، فلم يزل عليه الصلاة والسلام واقفاً حتى غربت الشمس من يوم الجمعة المذكور وذهبت الصفرة ، أردف أسامةَ بن زيد خلفَه ، ودفع عليه الصلاة والسلام ، وقد ضمَّ زمام القصواء ناقتِه ، حتى أن رأسَها ليصيبُ طرفَ رحله ، ثم مضى يسيرُ العَنَق ، فإذا وجد فجوة نصَّ ــ وكلاهما ضرب من السير ، والنص آكدهما ، والفجوة : الفسحة من الناس ــ كلما أتى ربوة من تلك الروابي أرخى للناقة زمامَها قليلاً ، حتى يُصْعِدَهَا ، وهو عليه الصلاة والسلام يأمر الناس بالسكينة في السير . فلما كان في الطريق عند الشعب الأيسر نزل عليه الصلاة والسلام فيه ، فبالَ وتوضأ وَضُوءاً خفيفاً ، وقال لأسامة:المصلى أمامك ــ أو كلاماً هذا معناه ــ ثم ركب حتى أتى المزدلفة ليلة السبت العاشر من ذي الحجة ، فتوضأ ثم صلَّى بها المغرب والعشاء الآخرة دون خطبة ، لكن بأذان واحد لهما معاً ، وبإقامتين ، لكل صلاة منهما إقامة ، ولم يصلِّ بينهما شيئاً ، ثم اضطجع عليه الصلاة والسلام بها حتى طلع الفجر ، فقام وصلَّى الفجرَ بالناس بمزدلفة يوم السبت المذكور ، وهو يوم النحر ، وهو يوم الأضحى ، وهو يوم العيد ، وهو يوم الحج الأكبر ، مُغَلِّساً أول انصداع الفجر .

---

(١) « حبلُ المشاة » :طريقهم الذي يسلكونه في الرمل ، وقيل : أراد صفهم ومجتمعهم في مشيهم ؛ تشبيهاً بحبل الرمل ، وهو القطعة من الرمل الضخمة الممتدة .

وهناك سـأله عروة بن مُضَرِّس الطائي ــ وقد ذكر له عملَه ــ أله حج ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : إنَّ من أدركَ الصلاة ــ يعني صلاة الصبح ــ بمزدلفة في ذلك اليوم مع الناس ، فقد أدرك الحج ، وإلا فلم يُدركْ . واستأذنَته سودة وأم حبيبة في أن يدفعا من مزدلفة ليلاً ، فأذنَ لهما ولأم سلمة في ذلك ، وهن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ، وأذن أيضاً عليه الصلاة والسلام للنساء والضعفاء في ذلك بعد وقوف جميعهم بمزدلفة ، وذِكرهم الله تعالى بها . إلا أنه عليه الصلاة والسلام أذن للنساء في الرمي بليل ، ولم يأذن للرجال في ذلك ، لا لضعفائهم ولا لغير ضعفائهم ، وكان ذلك اليومُ يومَ كونه عليه الصـلاة والسلام عند أم سلمة .

فلما صلَّى عليه الصلاة والسلام الصبح كما ذكرنا بمزدلفة ، أتى المشعر الحرام بها[1] ، فاستقبلَ القبلة ، فدعا الله عز وجل وكبَّر وهلَّلَ ووَّحَد ، ولم يزل واقفاً بها حتى أسفر جداً ، وقبـل أن تطـلعَ الشمس ، فدفع عليـه الصــلاة والســلام حينئذ من مزدلفة ، وقد أردف الفضـلَ بن عباس ، وانطلق أسامةُ على رجليه في سُبَّاق قريش . وهنالك سألت الخثعمية النبيَّ ﷺ الحج عن أبيها الذي لا يُطيق الحجَّ ، فأمرَها أن تحجَّ عنه ، وجعل ﷺ يصرفُ بيده وجهَ الفضل بن عباس عن النظر إليها وإلى النساء ، وكان الفضلُ أبيضَ وسيماً ، وسأله أيضاً عليه الصلاة والسلام رجلٌ عن مثل ما سألت عنه الخثعمية ، فأمره عليه الصلاة والسلام بذلك .

ونهض عليه الصلاة والسلام يُريد مِنى ، فلما أتى بطنَ مُحَسِّر حَرَّكَ ناقته قليلاً ، وسلكَ عليه الصلاة والسلام الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى ، حتى أتى مِنى ، فأتى الجمرة التي عند الشجرة ، وهي جمرة العقبة ، فرماها عليه الصلاة والسلام من أسفلها بعد طلوع الشمس من اليوم المؤرخ ، بحصى التقطها له عبد الله بن عباس من موقفه الذي رمى فيه مثل حصى الخَذْفِ ، وأمرَ بمثلها ، ونهى عن أكبرَ منها ، وعن الغلوِّ في الدين ، فرماها عليه الصـلاة والسـلام وهو على راحلته بسبع حصيات كما ذكرنا ، يُكبِّر مع كل حصاة منها ، وحينئذ قطعَ عليه الصلاة والسلام التلبية ، ولم يزل يُلبِّي حتى رمى جمرة العقبة التي ذكرناها .

---

(١) كذا في « هـ » ، وفي بقية النسخ : « أتى المشعر الحرام فوقف بها ، فاستقبل القبلة .. » .

ورماها عليه الصلاة والسلام راكباً ، وبلال وأسامة أحدُهما يُمسك بخطام ناقته عليه الصلاة والسلام ، والآخر يُظِله بثوبه من الحر .

وخطب عليه الصلاة والسلام النَّاسَ في اليوم المذكور ـــ وهو يوم النحر بمنى ـــ خطبةً ، كرر فيها أيضاً تحريمَ الدماء والأموال والأعراض والأبشار ، وأعلمَهم عليه الصلاة والسلام فيها بتحريم يوم النحر ، وحرمة مكة على جميع البلاد ، وأمر بالسمع والطاعة لمن قادَ[1] بكتاب الله عز وجل ، وأمر الناس بأخذ مناسكهم ، فلعله لا يحج بعد عامه ذلك ، وعلَّمهم مناسكهم ، وأنزل المهاجرين والأنصار والناس منازلهم ، وأمر أن لا يرجعوا بعده كفاراً ، ولا يرجعوا بعده ضُـلالاً يضربُ بعضُهم رقابَ بعض ، وأمر بالتبليغ عنه ، وأخبر بأن رُبَّ مبلَّغ أوعى من سامع .

ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المنحر بمنى ، فنحرَ ثلاثاً وستين بدنة ، ثم أمر علياً فنحر ما بقي منها ، مما كان عليٌّ أتى به من اليمن ، مع ما كان عليه الصـلاة والسلام أتى به من المدينة ، وكانت تمام المائة .

ثم حلقَ عليه الصـلاة والسلام رأسه المقدس ، وقسمَ شعرَه فأعطى من نصفه الشعرة والشعرتين ، وأعطى نصفه الثاني كلَّه أبا طلحة الأنصـاري ، وضحَّى عن نسـائه بالبقر ، وأهدى عمن كان اعتمرَ منهن بقرة ، وضحى هو عليه الصلاة والسلام في ذلك اليوم بكبشين أملحين[2] ، وحلق بعضُ الصحابة وقصَّر بعضُهم ، فدعا عليه الصلاة والسلام للمُحَلِّقين ثلاثاً وللمقصرين مرة ، وأمر عليه الصلاة والسلام أن يؤخذ من البُدْن التي ذكرنا ، من كل بَدَنة بضعةً ، فجُعلت في قدر وطُبخت ، فأكل هو عليه الصلاة والسلام وعليٌّ من لحمها ، وشربا من مرقها ، وكان عليه الصلاة والسلام قد أشركَ علياً بقسمة لحومها كلِّها وجُلودِها وجِلالِهَـا[3] ، وأن لا يُعطى الجازر شيئاً منها على جزارتها ، وأعطى عليه الصـلاة والسـلام الأجرة على ذلك من نفسه ، وأخبر الناس أن عرفة كلَّها موقف حاشى بطنِ عُرَنة ، وأن

(١) « قاد » : أي حكم الناسَ وقادهم .
(٢) « أملحين » : الأملح : الذي بياضه أكثر من سواده ، وقيل : هو النقي البياض .
(٣) « جلالها » : جمع جُلٍّ ، وهو الكساء الذي يوضع على ظهر الدابة لتصانَ به .

مزدلفة كلّها موقف حاشى بطن مُحَسِّر ، وأن مِنى كلّها منحر ، وأن فجاجَ مكة كلّها منحر .

ثم تطيَّبَ عليه الصلاة والسلام قبل أن يطوفَ طواف الإفاضة ، ولإحلاله قبل أن يُحِلَّ في يوم النحر ، وهو يوم السبت المذكور ، طيَّبته عائشة رضي الله عنها أيضاً بطيب فيه مسك ، ثم نهضَ عليه الصلاة والسلام راكباً إلى مكة في يوم السبت نفسه ، فطاف في يومه ذلك طوافَ الإفاضة ، وهو طواف الصَّدَر[1] قبل الظهر ، وشرب من ماء زمزم بالدلو ، ومن نبيذ السِّقاية[2] .

ثم رجعَ من يومه ذلك إلى منى فصلَّى الظهر . هذا قول ابن عمر ، وقالت عائشة وجابر : بل صلَّى الظهر ذلك اليوم بمكة ، وهذا هو الفعلُ الذي أشكل علينا الفصل فيه ، لصحة الطرق في ذلك ، ولا شكَّ أن أحد الخبرين وَهَم والثاني صحيح ، ولا ندري أيهما هو .

وطافت أم سلمة في ذلك اليوم على بعيرها من وراء الناس ، فاستأذنت النبيَّ ﷺ في ذلك ، فأذن لها ، وطافت أيضاً عائشة ذلك اليوم ، وفيه طَهُرت ، وكانت رضي الله عنها حائضاً يوم عرفة ، وطافت أيضاً صفية في ذلك اليوم ، ثم حاضت بعد ذلك ليلة النَّفْر .

ثم رجع عليه الصلاة والسلام إلى منى ، وسُئل عليه الصلاة والسلام حينئذ عن ما تقدم بعضُه على بعض ، من الرمي والحَلْق والنحر والإفاضة ، فقال في كل ذلك : لا حرج . وكذلك قال أيضاً في تقديم السعي بين الصفا والمروة قبل الطواف بالكعبة . وأخبرَ عليه الصلاة والسلام بأن الله تعالى أنزلَ لكلِّ داء دواء إلا الهرم ، وعظَّمَ إثم من اقترض[3] عِرض امرىء مسلم ظلماً . فأقام هنالك باقي يوم السبت ، وليلة الأحد ، ويومَ الأحد ، وليلة الاثنين ، ويومَ الاثنين ، وليلة الثلاثاء ، ويومَ الثلاثاء — وهذه أيام مِنى ، وهذه هي أيام

---

(١) « الصَّدَر » : الصدور من مِنى .

(٢) « نبيذ السقاية » : ما كانت قريش تسقيه الحجاج من الزبيب المنبوذ في الماء .

(٣) « اقترضَ عرضَ امرىء » : نال منه وقطعه بالغيبة ، وهو افتعال من القَرْض : وهو القطع . ويُروى « افترصَ » وهو أيضاً : القطع .

التشـريق ـــ يرمي الجمـار الثـلاث كلَّ يوم من هذه الأيام الثـلاثة . بعد الزوال ، بسبع حصيات ، كلَّ يومٍ لكل جمرة ، يبدأ بالدنيا ـــ وهي التي تلي مسجدَ مِنى ـــ ويقفُ عندها للدعاء طويلاً ، ثم التي تليها ـــ وهي الوسطى ـــ ويقف أيضاً عندها للدعاء كذلك ، ثم جمرة العقبة ولا يقف عندها . ويُكَبِّر عليه الصلاة والسلام مع كل حصاة .

وخطبَ النَّاسَ أيضاً يوم الأحد ، ثاني يوم النحر ، وهو يوم الرؤوس . وقد روي أيضاً أنه عليه الصلاة والسلام خطبهم أيضاً يوم الاثنين وهو يوم الأكارع ، وأوصى بذي الأرحام خيراً ، وأخبرَ عليه الصلاة والسلام أنه لا تجني نفس على أخرى .

واستأذنه العباس عمه في المبيت بمكة من أجل سقايته ، فأذن له عليه الصلاة والسلام ، وأذن للرِّعاء أيضاً في مثل ذلك .

ثم نهضَ عليه الصلاة والسلام بعد زوال الشمس من يوم الثلاثاء المؤرخ ، وهو آخر أيام التشريق ، وهو الثالث عشر من ذي الحجة ، وهو يوم النفر إلى المُحَصَّب ـــ وهو الأبطح ـــ فضُربت بها قُبَّته ، ضربها أبو رافع مولاه ، وكان على ثَقَلِهِ[1] عليه الصلاة والسلام . وقد كان عليه الصلاة والسلام قال لأسامة بن زيد : إنه ينزل غداً بالمحصب خَيْف بني كِنانة ، وهو المكان الذي ضرب فيه أبو رافع قبته وفاقاً من الله عز وجل ، دون أن يأمره عليه الصلاة والسلام بذلك .

وحاضتْ صفيةُ أمُّ المؤمنين ليلة النَّفْر بعد أن أفاضت ، فأُخبر بذلك النبيُّ ﷺ ، فسألَ : أفاضتْ يومَ النحر ؟ فقيل له : نعم . فأمرها أن تَنْفِر ، وحكم فيمن كانت له حالة كحالها أيضاً بذلك .

وصلّى عليه الصلاة والسلام بالمحصب الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة من ليلة الأربعاء الرابع عشر من ذي الحجة ، وبات بها ليلة الأربعاء المذكورة ، ورقد رقدة .

ولما كان يوم النحر ويوم النفر رغبت إليه عائشة بعد أن طهرت أن يُعمِرَها عمرة مفردة ، فأخبرها عليه الصلاة والسلام أنها قد حَلَّتْ من حجها وعمرتها ، وأن طوافها يَكفيها ويُجزئها

(١) « على ثَقَلِهِ » : على أمتعته .

لحجها وعمرتها ، فأبتْ إلا أن تعتمرَ عمرةً مفردة ، فقال لها : ألم تكوني طفتِ ليالي قدمتِ ؟ قالت : لا . فأمرَ عبدَ الرحمن بن أبي بكر أخاها بأن يردفَها ويُعمرَها من التنعيم . ففعلا ذلك ، وانتظرَها عليه الصلاة والسلام بأعلى مكة حتى انصرفت من عمرتها تلك ، وقال لها : هذه مكان عمرتك ، وأمرَ النَّاسَ أن لا ينصرفوا حتى يكونَ آخر عهدهم الطواف بالبيت ، ورخَّص في ترك ذلك للحائض التي قد طافت طواف الإفاضة قبل حيضها .

ثم إنه عليه الصلاة والسلام دخل مكة في الليل من ليلة الأربعاء المذكورة ، فطافَ بالبيت طواف الوداع ، لم يرمل في شيء منه سحراً قبل صلاة الصبح من يوم الأربعاء المذكور ، ثم خرج من كُدَي أسفلَ مكة ، من الثنية السفلى ، والتقى بعائشة رضي الله عنها وهو ناهض إلى الطواف المذكور ، وهي راجعة من تلك العمرة التي ذكرنا ، ثم رجع عليه الصلاة والسلام ، وأمر بالرحيل ، ومضى عليه الصلاة والسلام من فوره ذلك راجعاً إلى المدينة ، وخرج من مكة من الثنية السفلى ، فكانت مدة إقامته عليه الصلاة والسلام بمكة منذ دخلَها إلى أن خرجَ منها إلى مِنى إلى عرفة إلى مزدلفة إلى منى إلى المحصب إلى أن وَجَّه راجعاً عشرةَ أيام ، فلما أتى ذا الحُليفة بات بها ، فلما رأى المدينة كبَّرَ ثلاث مرات ، وقال : لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، آيبون تائبون عابدون ساجدون ، لربنا حامدون ، صدق الله وعدَه ونصر عبدَه وهزمَ الأحزاب وحدَه . ثم دخل عليه الصلاة والسلام المدينةَ نهاراً من طريق المُعَرَّس والحمد لله وحده .

(عُمَرُه عليه الصلاة والسلام)

وأما عمره عليه الصلاة والسلام فأربع . روينا من حديث قتادة ، قال : قلت لأنس : كم اعتمرَ النبيُّ ﷺ ؟ قال : أربعاً ، عمرته التي صدَّه عنها المشركون عن البيت من الحديبية في ذي القِعدة ، وعمرته أيضاً من العام المقبل حين صالحوه في ذي القِعدة ، وعمرتُه حين قسمَ غنائمَ حنين من الجِعرَّانة في ذى القِعدة ، وعمرته مع حجته[1] .

وقد روي عن ابن عباس أن عمرة الجِعرَّانة كانت لليلتين بقيتا من شوال[1] .

---

(١) الطبقات الكبرى ١٧١/٢ ، وحديث قتادة رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي ، وحديث ابن عباس لا يصح .. نور النبراس لوحة ١٧٣/٣ .

سرية أسامة بن زيد بن حارثة إلى أُبْنى[1]

وهي أرض الشراة[2] ناحية البلقاء

قالوا لما كان يوم الإثنين لأربع ليالٍ بقين من صفر سنة إحدى عشرة من مُهاجره ، أمرَ رسولُ الله ﷺ النَّاسَ بالتهيؤ لغزو الروم ، فلما كان من الغد دعا أسامةَ بن زيد ، فقال : سر إلى موضع مقتل أبيك ، فأوطئهم الخيلَ ، فقد ولَّيتك هذا الجيش ، فأَغرْ صباحاً على أهل أُبنى ، وحَرِّق عليهم ، وأسرعِ السيرَ تسبقِ الأخبارَ ، فإن ظفَّرك الله تعالى فأَقلَّ اللبث فيهم ، وخذ معك الأدلاء ، وقدِّم العيون والطلائع معك .

فلما كان يوم الأربعاء بُدىء برسول الله ﷺ وجعه ، فحُمَّ وصُدِعَ ، فلما أصبح يوم الخميس عقدَ لأسامةَ لواءً بيده ، ثم قال : اغز بسم الله ، وفي سبيل الله ، فقاتل من كفر بالله . فخرج بلوائه معقوداً ، فدفعه إلى بُريدة بن الحُصَيْب الأسلمي ، وعسكر بالجُرْف ، فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأولين والأنصار إلا انْتَدبَ في تلك الغزوة ، منهم : أبو بكر ، وعمر بن الخطاب ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وقتادة بن النعمان ، وسلمة بن أسلم بن حَريس . فتكلَّم قوم وقالوا : يَستعملُ هذا الغلام على المهاجرين الأولين ؟ فغضبَ رسولُ الله ﷺ غضباً شديداً ، فخرج وقد عَصَّبَ على رأسه عِصابةً وعليه قطيفة ، فصعِد المنبرَ وحمدَ الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ، ولئن طعنتم في إمارتي أسامة ، لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله ، وايم الله إن كان لخليقاً للإمارة ، وإن ابنه من بعده لخليقٌ للإمارة ، وإن كان لمن أحبِّ الناس إليَّ ، وإنهما لَمخِيْلاَن لكل خير ــ أي مَظَنَّةٌ لكل خير ــ فاستوصوا به خيراً ، فإنه من خياركم . ثم نزل فدخل بيته ، وذلك في يوم السبت لعشرٍ خلون من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة .

---

(١) « أُبنى » : بضم الهمزة ثم موحدة ثم نون فألف مقصورة ، موضع . قال السهيلي : هي القرية التي عند مؤتة حيث قُتل أبوه زيد . وقال ابن الأثير : أبنى : بضم الهمزة ، اسم موضع من فلسطين بين عسقلان والرملة .

(٢) « الشَّرَاة » : جبل شاخ في عسقلان .

وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة ، يُودِّعون رسولَ الله ﷺ ، ويخرجون إلى العسكر بالجُرف ، وثقُلَ رسولُ الله ﷺ ، فجعلَ يقولُ أنفذوا بعثَ أسامة . فلما كان يوم الأحد اشتدَّ برسول الله ﷺ وجعه ، فدخل أسامةُ من معسكره والنبيُّ ﷺ مغمورٌ(١) ، وهو اليوم الذي لدُّوه(٢) فيه ، فطأطأ أسامةُ فقبَّله والنبيُّ ﷺ لا يتكلَّم ، فجعلَ يرفعُ يديه إلى السماء ثم يضعُهما على أسامة . قال أسامة : فعرفت أنه يدعو لي . ورجع أسامة إلى معسكره ، ثم دخل يومُ الاثنين ، وأصبح رسولُ الله ﷺ مفيقاً ، فقال له : اغدُ على بركة الله . فودَّعه أسامةُ وخرج إلى معسكره ، فأمر النَّاسَ بالرحيل ، فبينا هو يُريد الركوب إذا رسولُ أمه أم أيمن قد جاءه يقولُ : إنَّ رسولَ الله ﷺ يموتُ . فأقبلَ وأقبلَ معه عمر وأبو عبيدة ، فانتهوا إلى رسول الله ﷺ وهو يموتُ ، فتوفي حين زاغتِ الشمس يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلةً خلت من شهر ربيع الأول ، ودخل المسلمون الذين عسكروا بالجُرف إلى المدينة ، ودخل بُريدة بن الحُصيَبْ بلواء أسامة معقوداً حتى أتى بابَ رسول الله ﷺ ، فغرزه عنده .

فلما بُويع لأبي بكر أمرَ برُيدةَ بن الحُصيَب أن يذهبَ باللواء إلى بيت أسامة ، ليمضيَ لوجهه ، فمضى به إلى معسكرهم الأول ، فلما ارتدت العربُ ، كُلِّم أبو بكر في حبس أسامة ، فأبى ، وكلَّم أبو بكر أسامةَ في عمر أن يأذن له في التخلف ، ففعلَ ، فلما كان هلالُ شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة ، خرج أسامةُ فسارَ إلى أهل أُبنى عشرين ليلة ، فشنَّ عليهم الغارة ، وكان شعارهم « يا منصور أمت » فقتلَ من أشرف له ، وسبى من قدم عليه ، وحرَّقَ في طوائفها بالنار ، وحرَّقَ منازلهم وحرثهم ونخلَهم ، فصارت أعاصيرَ من الدخاخين ، وأجالَ الخيلَ في عَرَصَاتهم وأقاموا يومهم ذلك في تعبئة ما أصابوا من الغنائم ، وكان أسامة على فرس أبيه « سبحة » وقتلَ قاتلَ أبيه في الغارة ، وأسهمَ للفرس سهمين ، وللفارس سهماً ، وأخذ لنفسه مثلَ ذلك ، فلما أمسى أمرَ الناس بالرحيل ؛ ثم أغذَّ(٣) السير فوردوا وادي القرى في تسع ليال ، ثم بعث بشيراً إلى المدينة بسلامتهم ، ثم قصد(٤) بعد في السير فسار إلى المدينة

---

(١) « مغمور » :مغمى عليه .

(٢) « لَدُّوه » : سقوه اللَّدد ، وهو عندهم دواء يسقونه للمريض في أحد لَدِيْدَيْه ؛ أي في جانبَي فمه .

(٣) « أغذَّ » : أسرع .

(٤) « قصدَ » : اعتدل .

ستاً ، وما أُصيب من المسلمين أحد . وخرج أبو بكر في المهاجرين وأهل المدينة يتلقونهم سروراً بسلامتهم ، ودخل على فرس أبيه « سبحة » واللواء أمامَه ، يحمله بُريدة بن الحُصَيْب ، حتى انتهى إلى باب المسجد ، فدخل فصلى ركعتين ، ثم انصرف إلى بيته .

وبلغ هرقل وهو بحمص ما صنعَ أسامةُ ، فبعثَ رابطةً[1] يكونون بالبلقاء ، فلم تزل هناك حتى قدمت البعوث إلى الشام في خلافة أبي بكر وعمر[2] رضي الله عنهما .

* * *

(١) « رابطة » : جماعة .

(٢) الطبقات الكبرى ١٨٩ ـــ ١٩٢ .

ذكر الحوادث جملة

بعد قدوم رسول الله ﷺ المدينةَ

في السنة الأولى : جُعلت صلاة الحضر أربع ركعات وكانت ركعتين بعد مقدمه عليه الصلاة والسلام بشهر . وفيها صلَّى الجمعة ﷺ حين ارتحل من قباء إلى المدينة ، صَلاَّها في طريقه ببني سالم ، وهي أوَّلُ جمعة صلاَّها ، وأول خطبة خطبها في الإسلام . وفيها بنى رسولُ الله ﷺ مسجدَه ومساكنَه ، ومسجدَ قباء ، وفيها بَدْءُ الأذان ، وفيها المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار بعد مقدمه بثمانية أشهر . وفيها أسلم عبدُ الله بن سَلام . ومات أسعدُ بن زرارة ، وأعرسَ النبيُّ ﷺ بعائشة ، وبعث حمزةَ بن عبد المطلب في ثلاثين من المهاجرين يعترض عيراً لقريش في رمضان ، وبعث عُبيدةَ بن الحارث في ستين رجلاً من المهاجرين إلى بطن رابغ ، وبعثَ سعدَ بن أبي وقاص إلى الخَرَّار[1] في ذي القِعدة في عشرين من المهاجرين يعترضُ لعير قريش ، وغزوة الأبواء ، وغزوة وَدّان في صفر .

وفي السنة الثانية : غزوةُ بُوَاط ، وطَلَبُ كُرز بن جابر ، وغزوةُ ذي العُشَيرة ، وسريةُ عبد الله بن جحش إلى نخلة ، وغزوة بدر الكبرى ، ووفاة رقيّة ابنة النبي ﷺ ، وسريةُ عُمير بن عدي ، وسرية سالم بن عُمير ، وغزوة بني قينقاع ، وغزوة السَّوِيْق ، وغزوة قرقرة الكُدر ، وتحويلُ القبلة ، وفرض صوم شهر رمضان في شعبان على رأس سبعة عشر شهراً ، وفرضُ زكاة الفطر قبل العيد بيومين ، ووفاة عثمان بن مظعون بعد مشهده بدراً ، وفيها ضحَّى رسولُ الله ﷺ بكبشين أحدهما عن أمته والآخر عن محمد وآله ، ومولدُ عبد الله بن الزبير ، ومولد النعمان بن بشير ، وأعرسَ عليٌّ بفاطمة .

وفي السنة الثالثة : السرية لكعب بن الأشرف ، وغزوة غَطَفان ، وغزوة بني سُلَيم ، وسرية زيد بن حارثة إلى القَرْدَةَ ، وغزوة أحد ، وغزوة حمراء الأسد ، وسرية أبي سلمة إلى

---

(١) « الخَرَّار » : تقدم أنه موضع قرب الجحفة .

قَطَن ، وسرية عبد الله بن أُنيس إلى سفيان بن خالد بعُرَنة ، وبئر معونة والرجيع ، وتزويجه عليه الصلاة والسلام حفصة بنت عمر ، وتزويجه زينب بنت خزيمة ، وتزويج عثمان بن عفان أمَّ كُلثوم بنتَ النبي ﷺ ، ومولدُ الحسن بن علي ، وتحريم الخمر ، وقيل في الرابعة .

وفي السنة الرابعة : تحريم الخمر ، وغزوة بني النضير ، وبدر الموعد ، وذاتُ الرِّقاع ، وصلاة الخوف ، ورجمه عليه الصلاة والسلام اليهودي واليهودية ، ومولدُ الحسين بن عليّ ، ووفاة زينب بنت خزيمة ، وتزويجه عليه الصلاة والسلام أم سلمة ، وتزويجه أيضاً زينب بنت جحش على الأصح ، ونزول الحجاب .

وفي السنة الخامسة : غزوة دُومة الجندل ، وغزوة المُرَيسيع ، وحديث الإفك ، وقد تقدم الخلاف في ذلك ، وقول عبد الله بن أُبيّ ﴿ لئن رجعنا إلى المدينة ﴾ [المنافقون : ٨] . وغزوة الخندق وبني قريظة ،، وتزويجه عليه الصلاة والسلام ريحانة بنت يزيد النَّضَريّة ، وجويرية بنت الحارث ، وسرية عبد الله بن عَتيك إلى أبي رافع ، وسرية محمد بن مسلمة إلى القرطاء ، وفيها زلزلتِ المدينة ، فقال رسول الله ﷺ : إن الله سيعتبكم فأعتبوه . وفيها سابق بين الخيل .

وفي السنة السادسة : غزوة بني لِحيان ، وغزوة الغابة ، وسرية عُكَّاشة إلى الغمر ، ومحمد بن مسلمة إلى ذي القَصَّة فأُصيبوا ، وبعثُ أبي عُبيدة إلى ذي القَصَّة فهربوا ، وسرية زيد بن حارثة إلى بني سُليم ، وسريته إلى العيص ، وسريته إلى الطَّرف ، وسريته إلى حِسمى ، وسريته إلى وادي القرى ، وسريته إلى أم قِرْفة ، وسرية ابن عوف إلى دومة الجندل ، وعليٌّ إلى بني سعد بن بكر ، وابن عتيك إلى أبي رافع على قول . وقد تقدم في الخامسة . وسرية عمرو بن أمية الضَّمْري ، وسلمة بن أسلم لقتل أبي سفيان بمكة ، وعمرة الحديبية ، وبيعة الرضوان ، وفيها قُحِطَ النَّاسُ فاستسقى لهم رسولُ الله ﷺ فسُقوا في رمضان .

وفي السنة السابعة : غزوة خيبر ، وسرية عمر إلى تُرَبة ، وسرية أبي بكر إلى بني كلاب أو فَزارة ، وبشير بن سعد إلى بني مرة ، وغالب الليثي إلى الميفعة ، وبشير بن سعد إلى يُمْن وُجَبار . وعمرة القضية ، وسرية ابن أبي العوجاء إلى بني سُليم ، وسرية غالب إلى بني المُلَوَّح ، وسريته إلى فَدَك ، وتزويجه عليه الصلاة والسلام أمَّ حبيبة بنت أبي سفيان ، وصفيةَ بنت حيّ ، وميمونةَ بنت الحارث . وقدومُ جعفر من الحبشة ، وأبي موسى ومن معه ، وإسلامُ أبي

هُريرة وعِمرانَ بن الحصين ، وبعثُه عليه الصلاة والسلام الرسل إلى الملوك ، واتخاذ الخاتَمِ ؛ لختم الكتب ، وتحريمُ الحُمرُ الأهلية ، والنهي عن متعة النساء .

وفي السنة الثامنة : قدم خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة وعمرو بن العاص فأسلموا ، وسرية شجاع بن وَهْب إلى بني عامر ، وكعب بن عمرو إلى ذات أطلاح ، وغزوة مؤتة ، وسرية عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل ، وسرية الخَبَط ، وسرية أبي قتادة إلى خَضِرة ثم إلى بطن إضم ، وغزوة الفتح ، وسرية خالد بن الوليد إلى العزى ، وعمروِ بن العاص إلى سُواع ، وسعد بن زيد الأشهلي إلى مَنَاة في رمضان ، وسرية خالد بن الوليد إلى بني جَذِيمة ، وغزوة حنين ، وسرية الطفيل بن عمرو إلى ذي الكفين ، وغزوة الطائف ، وسرية عُيينة بن حصن إلى بني تميم ، وسرية قطبة بن عامر إلى خثعم ، وبعث الوليد بن عُقْبة إلى بني المصطلق ، واتخاذ المنبر والخطبة عليه ، وحنين الجِذع وهو أول منبر عُمل في الإسلام ، وفيها أقاد النبيُّ ﷺ رجلاً من هُذيل برجل من بني ليث ، ومولد إبراهيم ابن النبي ﷺ ، ووفاة زينب بنت رسول الله ﷺ ، وفيها وهبتْ سودةُ يومها لعائشة حين أراد النبي ﷺ طلاقها .

وفي السنة التاسعة : إيلاؤه عليه الصلاة والسلام من نسائه ، وسرية الضحَّاك إلى بني كلاب ، وعلقمةَ إلى الحبشة ، وعليٍّ إلى الفِلس ، وعُكّاشة إلى الجِنَاب ، وتبوكُ ، وهدم مسجد الضِّرار ، وقدوم الوفود ، ولعان عويمر العجلاني مع امرأته ، وموت عبد الله بن أبيّ ، وحجُّ أبي بكر بالناس ، ونداء عليٍّ بسورة براءة ، وموت أم كُلثوم بنت رسول الله ﷺ ، وموت النجاشي .

وفي السنة العاشرة : سرية خالد بن الوليد إلى بني عبد المَدَان بنجران ، وعليٍّ إلى اليمن ، وحِجة الوَداع ، ونزول ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ الآية [المائدة : ٣] . ونزول ﴿ ياأيُّها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكتْ أيمانُكم ﴾ الآية [النور : ٥٨] . وكانوا لا يفعلونه قبل ذلك ، وموتُ إبراهيم ابن النبي ﷺ .

* * *

ذكر نُبذة من معجزاته

عليه الصلاة والسلام

وإن أكثر ما نورده هنا قد سبق إيرادُه لكن مفرقاً ، والغرض الآن ذكره مجموعاً كما فعلنا في الباب الذي قبله . فمن ذلك : القرآن وهو أعظمها ، وشقُّ الصدر ، وإخباره عن البيت المقدس ، وانشقاق القمر ، وأن الملأ من قريش تعاقدوا على قتله ، فخرج عليهم فخَفَضوا أبصارهم وسقطت أذقانهم في صدورهم ، وأقبل حتى قام على رؤوسهم فقبضَ قبضةً من تراب وقال : شاهت الوجوه ، وحصبهم فما أصابَ رجلاً منهم شيء من ذلك الحصى إلا قُتل يومَ بدر . ورمى يوم حنين بقبضة من تراب في وجوه القوم فهزمَهم الله تعالى ، ونسجُ العنكبوت عليه في الغار ، وما كان من أمر سُراقة بن مالك بن جُعشم إذ تبعه في خبر الهجرة ؛ فساخت قوائم فرسه في الأرض الجَلْد . ومَسَحَ على ضَرْع عَنَاق[1] ؛ لم ينز عليها الفحل ؛ فدرت . وقصة شاة أم معبد . ودعوتُه لعمر أن يُعِزَّ اللّهُ به الإسلامَ . ودعوته لعليٍّ أن يُذهب الله عنه الحرَّ والبردَ ، وتفلَ في عينيه وهو أرمد فعُوفي من ساعته ولم يرمد بعد ذلك . وردَّ عين قتادة بن النعمان بعد أن سالت على خده ؛ فكانت أحسنَ عينيه . ودعا لعبد الله بن عباس بالتأويل والفقه في الدين ، ودعا لجمل جابر ؛ فصار سابقاً بعد أن كان مسبوقاً ، ودعا لأنس بطول العُمرُ وكثرة المال والولد ، ودعا في تمر حائط جابر بالبركة ؛ فأوفى غرماءه وفضل ثلاثة عشر وَسْقاً . واستسقى عليه الصلاة والسلام فمُطروا أسبوعاً ؛ ثم استصحى لهم فانجابت السحابة . ودعا على عُتبة بن أبي لهب فأكله الأسد بالزرقاء من الشام . وشهدت له الشجر بالرسالة في خبر الأعرابي الذي دعاه إلى الإسلام ؛ فقال هل من شاهد على ما تقول ، فقال : نعم هذه الشجرة[2] ؛ ثم دعاها فأقبلت ؛ فاستشهدها ، فشهدت أنه كما قال ثلاثاً ؛ ثم رجعت إلى منبتها ، وأمر شجرتين فاجتمعتا ثم افترقتا ، وأمر أنساً أن ينطلق إلى نخلات فيقولُ لهنَّ : أمركنَّ رسولُ الله ﷺ أن تجتمعن فاجتمعنَ ؛ فلما قضى حاجته أمره أن يأمرَهنَّ بالعود إلى أماكنهن فعدن ، ونام فجاءت شجرة تشقُّ الأرضَ حتى قامت عليه ؛ فلما استيقظ ذُكرت

(١) « عَنَاق » :الأنثى من صغار الماعز .

(٢) في « د » : السَّمُرة .

له : فقال : هي شجرة استأذنت ربها في أن تُسَلِّمَ عليَّ فأذن لها . وسَلَّم عليه الحجر والشجر ليالي بُعث : السلام عليك يا رسول الله ، وقال : إني لأعرف حَجَراً بمكةَ كان يُسلِّم عليَّ قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن . وحنَّ إليه الجذع ، وسبَّح الحصى في كفه ، وسبَّح الطعامُ بين أصابعه ، وأعلمته الشاة بسُمِّها ، وشكا إليه البعير قلّةَ العلف وكثرةَ العمل ، وسألته الظبية أن يُخلِّصها من الحبل لتُرضِعَ ولديها وتعود ، فخلَّصها ، فعادت وتلفَّظتْ بالشهادتين . وأخبرعن مصارع المشركين يوم بدر فلم يعدُ أحد منهم مصرعَه . وأخبر أن طائفة من أمته يغزون في البحر ؛ وأن أُمَّ حرام بنتَ مِلحان منهم ، فكان كذلك . وقال لعثمان بن عفان : تُصيبه بلوى شديدة ؛ فأصابته ؛ وقُتل . وقال للأنصار : إنكم ستلقون بعدي أثرة ؛ فكانت زمن معاوية . وقال في الحسن : إن ابني هذا سيد ؛ ولعلَّ اللّهَ تعالى أن يُصلحَ به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ؛ فصالحَ معاويةَ ؛ وحقن دماء الفئتين من المسلمين . وأخبر بقتل الأسود العنسيّ الكذاب وهو بصنعاء ليلة قتله ، وبمن قتله . وقال لثابت بن قيس : تعيشُ حميداً وتُقتل شهيداً ؛ فقُتل يوم اليمامة . وارتدَّ رجلٌ ولحق بالمشركين ؛ فبلغه أنه مات ؛ فقال : إنَّ الأرضَ لا تقبله ؛ فكان كذلك . وقال لرجل يأكلُ بشماله : كل بيمينك ؛ فقال : لا أستطيع ؛ فقال له : لا استطعت . فلم يُطق أن يرفَعها إلى فيه بعد . ودخل مكة عام الفتح والأصنام حول الكعبة معلقةٌ ، وبيده قضيب ؛ فجعل يُشير به إليها ، ويقول : جاء الحق وزهقَ الباطلُ ؛ وهي تتساقط . وقصة مازن بن الغضوبة ، وخبر سواد بن قارب ، وأمثالِهما كثير . وشهدَ الضَّبُّ بنبوته ، وأطعم ألفاً من صاع شعير بالخندق فشبعوا والطعام أكثرُ مما كان ، وأطعمهم من تمر يسير أيضاً بالخندق ، وجمعَ فضلَ الأزواد على النطع ، فدعا لها بالبركة ، ثم قسمها في العسكر ، فقامت بهم . وأتاه أبو هريرة بتمرات قد صَفَّهنَّ في يده ، وقال : ادعُ لي فيهن بالبركة ففعل ، قال أبو هريرة : فأخرجتُ من ذلك التمر كذا وكذا وَسْقاً في سبيل الله ، وكنا نأكل منه ونُطعم ، حتى انقطع في زمن عثمان . ودعا أهل الصُّفة لقصعة ثريد ؛ قال أبو هريرة : فجعلتُ أتطاول ليدعوَني ، حتى قام القوم وليس في القصعة إلا اليسير في نواحيها ، فجمعه رسولُ الله ﷺ فصار لقمة ، فوضعَها على أصابعه وقال لي : بسم الله . فوالذي نفسي بيده ما زلتُ آكلُ منها حتى شبعتُ . ونبعَ الماء من بين أصابعه حتى شرب القوم وتوضؤوا وهم ألف وأربعمائة ، وأُتي بقدح فيه ماء فوضع أصابعَه في القدح فلم يَسع ، فوضعَ

أربعة منها ، وقال : هلموا فتوضؤوا أجمعين ، وهم من السبعين إلى الثمانين . ووردَ في غزوة تبوك على ماء لا يُروي واحداً ، والقوم عطاش ، فشكوا إليه ، فأخذ سهماً من كِنانته وأمرَ بغرسه ففارَ الماء وارتوى القوم ، وكانوا ثلاثين ألفاً . وشكا إليه قوم مُلوحةً في مائهم ، فجاء في نفر من أصحابه حتى وقف على بئرهم فتفلَ فيه ، فتفجَّرَ بالماء العذب المَعين . وأتته امرأة بصبيٍّ لها أقرع ؛ فمسحَ على رأسه فاستوى شعره ؛ فذهب داؤه . وانكسرَ سيف عُكَّاشة بن محصن يوم بدر ، فأعطاه جذلاً من حَطَبٍ فصار في يده سيفاً ؛ ولم يزل بعد ذلك عنده . وكذلك وقع لعبد الله بن جحش يوم أحد ؛ وعزَّتْ كُدْيَة بالخندق عن أن يأخذَها المعول ، فضربها فصارت كثيباً أهيل . ومسحَ على رِجْل ابن عتيك في خبر أبي رافع وقد انكسرت ، فكأنه لم يشتكها قط .

ومعجزاته ﷺ أكثر من أن يجمعها كتاب أو يحصرها ديوان .

* * *

ذكر أولاده ﷺ

روينا عن ابن سعد : قال : أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : كان أول من وُلد لرسول الله ﷺ بمكة قبل النبوة القاسم ، وبه كان يُكنَّى ، ثم ولدت له زينب ، ثم رقية ، ثم فاطمة ، ثم أم كلثوم ، ثم وُلد له في الإسلام عبد الله ، فسُمِّي الطيب الطاهر ، وأمهم جميعاً خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصيّ ، فكان أول من مات من ولده القاسم ، ثم مات عبد الله بمكة ، فقال العاص بن وائل السهمي : قد انقطع ولده فهو أبتر ، فأنزل الله تعالى: ﴿ إنَّ شانئكَ هو الأبتر ﴾ [الكوثر : ٣] وقيل : بل الطيب والطاهر ابنان سواه ، وقيل : كان له الطاهر والمطهر وُلدا في بطن واحد : وقيل : كان له الطيب والمطيب وُلدا في بطن أيضاً ، وقيل : إنهم كلهم ماتوا قبل النبوة(١) .

وقال الزبير بن بكار : وُلد له القاسم ، ثم زينب ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة ، ثم رقية ، ثم عبد الله ، هكذا رأيته بخط شيخنا الحافظ أبي محمد الدمياطي رحمه الله تعالى. قال : وفيه نظر .

وأما أبو عمر فحكى عن الزبير غيرَ ذلك ، قال : ولد له القاسم وهو أكبر ولده ، ثم زينب ، ثم عبد الله ، وكان يُقال له الطيب ويُقال له الطاهر ، وُلد بعد النبوة ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة ، ثم رقية ، هكذا الأول فالأول . ثم مات القاسم بمكة ، وهو أول ميت مات من ولده ، ثم عبد الله مات أيضاً بمكة(٢) .

وقال ابن إسحاق : ولدت له خديجةُ زينبَ ورقيةَ وأمَّ كلثوم وفاطمةَ والقاسمَ ــ وبه كان يُكنَّى ــ والطاهرَ والطَّيِّبَ ، فهلكوا في الجاهلية . وأما بناته فكلُّهن أدركن الإسلام وأسلمن وهاجرن معه(٣) .

---

(١) الطبقات الكبرى ١/١٣٣ .

(٢) الاستيعاب ٤/٢٨١ .

(٣) السيرة النبوية ؛ لابن هشام .

قال أبو عمر : وقال علي بن عبد العزيز الجرجاني : أولاد رسول الله ﷺ القاسم ، وهو أكبر ولده ، ثم زينب . وقال ابن الكلبي : زينب ثم القاسم ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية ثم عبد الله ، وكان يقال له : الطَّيِّب والطاهر . قال : وهذا هو الصحيح ، وغيره تخليط[1] . وكانت سلمى مولاة صفية بنت عبد المطلب تُقَبِّل[2] خديجةَ في ولادِها[3] ، وكانت تعقُّ عن كل غلام بشاتين وعن الجارية بشاة ، وكان بين كل ولدين لها سنة ، وكانت تسترضع لهم وتُعِدُّ ذلك قبل ولادها .

فأما زينب فتزوجها ابن خالتها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف ، أمه هالة بنت خويلد ، فولدت له علياً ــ أردفه النبيُّ ﷺ وراءه يوم الفتح ، ومات مُراهقاً ــ وأُمامة تزوجها علي بعد خالتها فاطمة ، زوجها منه الزبير بن العوام ، وكان أبوها أبو العاص أوصى بها إلى الزبير ، فلما قُتل علي رضي الله عنه ، وآمت[4] أمامة منه ، قالت أم الهيثم النَّخَعِيّة :

أشــــابَ ذؤابــــتي وأذلَّ ركني ... أمــامــةُ حــينَ فــارقتِ القــرينــا
تُطــيف بـــه لحــاجتِــهــا إليـــه ... فــلمــا استيــأست رفعت رنينــا

ثم تزوجها بعد عليٍّ المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، فولدت له يحيى بن المغيرة ، وهلكت عنده . وقد قيل : إنها لم تلد لعليّ ولا للمغيرة . وُلدت زينب سنة ثلاثين من مولد رسول الله ﷺ وماتت سنة ثمان من الهجرة ، وكان رسول الله ﷺ يُحبها ، وكان زوجها أبو العاص مُحبًّا فيها ، وهو القائل في بعض أسفاره إلى الشام :

ذكــرتُ زيــنب لما وَرَّكَتْ أَرَمَــا ... فقلت سَقْيَاً لشخص يسكنُ الحَرَمَا[5]

---

(١) الاستيعاب ٢٨١/٤ .

(٢) « تُقَبِّل خديجة في أولادها » : تكون قابلة لها في ولادتها .

(٣) في الأصول « أولادها » والتصحيح من الطبقات ، ونور النبراس لوحة ١٧٩/٣ ، وفيه : يقال : ولدت المرأة ولاداً وولادة.

(٤) في « ب » : تأيَّمت ، وهما بمعنى واحد .

(٥) « ورَّكت أرماً » : نزلت به ، والضمير عائد على الناقة التي كانت تحمله ، و« أرم » : اسم موضع .

بنتَ الأمين جزاها الله صالحةً وكلُّ بعل سيثني بالذي علما[1]

وأما رقية فتزوجها عثمان بن عفان فولدت له عبد الله ، مات بعدها ، وقد بلغ ست سنين . وتوفيت رقية يوم قدوم زيد بن حارثة بشيراً بقتلى بدر ، وقيل : كان مولدها سنة ثلاث وثلاثين من مولد النبي ﷺ .

وأما أم كلثوم فتزوجها عثمان بعد موت رقية ، وماتت سنة تسع من الهجرة ولم تلد له .

وأما فاطمة فتزوجها عليّ وبنى بها مرجعهم من بدر ، فولدت له حسناً وحسيناً ، ومحسناً : مات صغيراً ، وأم كلثوم وزينب ، وماتت فاطمة بعد أبيها بثلاثة أشهر ، وقيل : بستة ، وقيل بثمانية ، وكذلك اختلف في مولدها . قال المدائني : قبل النبوة بخمس سنين . وقال ابن السراج : سمعت عبيد الله بن محمد بن سليمان بن جعفر الهاشمي ، يقول : ولدت سنة إحدى وأربعين من مولد النبي ﷺ .

قال أبو عمر : وذكر الزبير أن عبد الله بن حسن بن حسن دخل على هشام بن عبد الملك وعنده الكلبي ، فقال هشام لعبد الله بن حسن : يا أبا محمد كم بلغت فاطمة من السن ؟ فقال : ثلاثين سنة . فقال هشام للكلبي : كم بلغتْ من السن ؟ قال : خمساً وثلاثين سنة ؟ فقال هشام لعبد الله بن حسن : اسمع الكلبي يقول ما تسمع ، وقد عُني بهذا الشأن . فقال عبد الله بن حسن : يا أمير المؤمنين سلني عن أمي ، وسل الكلبي عن أمه[2] . وكان عليّ رضي الله عنه قد خطبَ عليها ابنة أبي جهل ، فأنكر ذلك رسول الله ﷺ وقال : والله لا تجتمعُ بنتُ رسول الله وبنتُ عدو الله عند رجل واحد أبداً . قال : فترك عليٌّ الخطبة .

وروينا من طريق مسلم : حدثنا أحمد بن حنبل ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا أبي ، عن الوليد بن كثير ، قال : حدثني محمد بن عمرو بن حلحلة الدؤلي ؛ أن ابن شهاب حدثه ، أن علي بن الحسن حدثه ، أنهم حين قدموا المدينة لقيه المِسْور بن مخرمة ، فذكر حديثاً ، وفيه أن علي بن أبي طالب خطبَ بنت أبي جهل على فاطمة ، فسمعتُ رسولَ الله ﷺ وهو يخطبُ الناسَ في ذلك على منبره ، وأنا يومئذ محتلم ، وفيه قوله عليه

---

(١) الطبقات الكبرى ٣٢/٨ .

(٢) الاستيعاب ٣٨٠/٤ .

الصلاة والسلام : « والله لا تجتمع بنتُ رسول الله وبنتُ عدو الله مكاناً واحداً أبداً »[1] .

قلت : كذا وقع في هذا الحديث : قوله عن المسور : وأنا يومئذ محتلم ، وهو وَهَم ؛ فإن المسور ممن وُلد في السنة الثانية من الهجرة بعد مولد ابن الزبير بأربعة أشهر ، فلم يُدرك من حياة النبي ﷺ إلا نحو الثمانية أعوام ، ولا يُعدُّ من كانت هذه سنه محتلماً .

وقد روى الإسماعيلي[2] في صحيحه هذا الحديث من هذا الوجه : عن أحمد بن الحسن بن عبد الجبار ، حدثنا يحي بن معين ، عن يعقوب ، فذكره بسنده ، وفيه عن المسور : « وأنا يومئذ كالمحتلم » يعني في ثبته وحفظه ما يسمعه ، فبيَّنت هذه الرواية الصواب ، ودار الحمل فيه على من دون يعقوب بين أحمد ومسلم ، ووجدت الطبراني في معجمه الكبير قد رواه عن عبد الله بن أحمد ، عن أبيه ، كرواية مسلم ، فبرىء مسلم من عهدته أيضاً كما برىء يعقوب ومن فوقه ، وقد رواه البخاري[3] عن سعيد بن محمد الجَرْمي ، عن يعقوب ، كرواية مسلم عن أحمد ، فهو حديث اختلف فيه على يعقوب ، جَوَّده يحي بن معين ، والله أعلم .

ثم ولدت له ﷺ ماريةُ بنت شمعون القبطية إبراهيمَ ، وعقَّ عنه بكبش يوم سابعه ، وحلق رأسه ، حلقَه أبو هند ، فتصدَّق بزنة شعره فضة على المساكين ، وأمر بشعره فدُفن في الأرض ، وسمَّاه يومئذ فيما قال الزبير ، والصحيح أنه سمَّاه ليلة ولادته ، وكانت قابلتُها سلمى مولاة رسول الله ﷺ ، فخرجت إلى زوجها أبي رافع ، فأخبرته أنها قد ولدت غلاماً ، فجاء أبو رافع إلى رسول الله ﷺ فبشَّره ، فوهبَ له عبداً ، وكان مولده في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة ، ومات في ربيع الأول سنة عشر ، وقد بلغ ستة عشر شهراً . وقد قيل في سنه ووفاته

(١) رواه مسلم في فضائل الصحابة (باب فضائل فاطمة) رقم /٢٤٤٩/ .

(٢) الإسماعيلي : الحافظ الكبير الحجة ، أبو بكر أحمد بن إبرهيم بن إسماعيل بن العباس الجرجاني ، روى عن إبراهيم بن زهير الحلواني ، وحمزة بن محمد الكاتب وأبي يعلى ، وابن خزيمة ، وروى عنه الحاكم والجرجاني والبرقاني ، له مصنفات كثيرة ، منها الصحيح والمعجم ومسند عمر ، توفي سنة ٣٧١ هـ . وهذا غير الإسماعيلي المتقدم أبي بكر محمد بن إسماعيل بن مهران الحافظ ، فهذا توفي سنة ٢٩١ هـ ، والله أعلم . نور النبراس لوحة ١٨١/٣ .

(٣) رواه البخاري في فضائل الصحابة (باب مناقب فاطمة) رقم/٣٧٦٧/ .

غيرُ ذلك ، مات في بني مازن عند ظِئْره أم بُردة خولة بنت المنذر بن زيد بن لبيد ، وحُمل من بيتها على سرير صغير ، وصلَّى عليه وكبَّر أربعاً ، ودُفن بالبقيع ، ورُشَّ عليه الماء ، وقال : « الحقْ بسَلَفِنا الصالح عثمان بن مظعون » . وقال : « إن له ظِئْراً[1] تتم رضاعه في الجنة » . وقال : « لو عاش لوضعتُ الجزية عن كل قبطي » . وقال : « لو عاش إبراهيم ما رُقَّ له خال »[2] . والله أعلم .

* * *

(١) « ظِئْرا » : مرضعة ، وفي صحيح مسلم رقم /٢٣١٦/ : « وإن له لظئرين تكمِّلان رضاعه في الجنة » .

(٢) الطبقات الكبرى ١٤٤/١ ، ومعنى الجملة الأولى : أن إبراهيم لو عاش فيراه أخواله القبط لأسلموا فرحاً به وتكرمة له ، فوضعت الجزية ؛ لأنها لا تُوضع على مسلم ، وأما الجملة الثانية ؛ فمعناها معروف لأنهم أسلموا .. نور النبراس لوحة ١٨٣/٣ .

ذكر أعمامه وعماته ﷺ

أبو طالب : عبد مناف ، والزبير ، وعبد الكعبة ، وأم حكيمة ، وعاتكة ، وبرة ، وأروى ، وأميمة .

وأمهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم . وعبد الله والد رسول الله ﷺ شقيق هؤلاء وقد تقدم ذكره .

وحمزة ، والمقوم ، وجَحْل[1] ـــ واسمه المغيرة ـــ وصفية ، وزاد بعضهم : العوام .

وأمهم هالة بنت وُهيب بن عبد مناف بن زُهرة بنت عم آمنة بنت وهب أمُّ رسول الله ﷺ .

والعباس وضرار ؛ وأمهما نَتْلة ، وقيل : نُتيلة بنت جناب بن كلب من النمر بن قاسط .

والحارث ، وهو أكبر ولد عبد المطلب وبه كان يُكَنَّى ، وشقيقه قُثم ، وهلك قثم صغيراً ، وأُمُّهما صفية بنت جندب بن حُجَيْر بن زبَّاب بن حبيب بن سُواة .

وأبو لهب عبد العزى ؛ وأمه لبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضَاطر بن حبشية بن سلول من خزاعة .

والغيداق : واسمه مصعب ، وقيل نوفل ، ولُقِّبِ الغيداق لجوده ؛ وأمه مُمَنَّعة بنت عمرو بن مالك من خزاعة .

فأعمامه عليه الصلاة والسلام اثنا عشر ، ومن الناس من يعدهم عشرة ، فيُسقط عبدَ الكعبة ، ويقول : هو المقوم ، ويجعل الغيداق وجحلاً واحداً ، ومن الناس من يعدهم تسعة ، فيسقط قثم .

وأما عماته فست لا خلاف في ذلك ، وكلُّهن بنات فاطمة المخزومية ، إلا صفية ، فهي

---

(١) انظر فوائد المؤلف ص ٣٩٠ .

من هالة الزهرية ، هذا هو المشهور عند أهل النسب . وقد ذُكر أن أروى لفاطمة المخزومية .

ولم يُسلم من أعمامه عليه الصلاة والسلام إلا حمزة والعباس على الصحيح . وقد حُكي إسلام أبي طالب ، وقد سبق ذكره .

وأما العمات : فإسلام صفية معروف محقق ، وفي أروى خلاف . ذكرها العقيلي في الصحابة . قال أبو عمر : وأبى غيره من(١) ذلك . وذكر الواقدي في خبر أنها أسلمت ، وكذلك اختلف في إسلام عاتكة ، والمشهور عندهم أن عاتكة لم تُسلم ، هي صاحبة الرؤيا يوم بدر .

فأما أبو طالب : فولده طالب ، وعقيل ، وجعفر ، وعلي ، وكان كلٌّ من هؤلاء أكبر من الذي يليه بعشر سنين ، وأختهم أم هانىء ؛ فاختة ؛ ويُقال لها هند . قيل : وجمانة بنت أبي طالب ، أخت ثانية لهم ، قسم لها رسول الله ﷺ ثلاثين وسقاً من خيبر ، وهي أم عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، أسلموا كلُّهم إلا طالباً .

وأما الزبير : فولده عبد الله شهد يوم حُنين مع النبي ﷺ وثبت معه ، وكان فارساً مشهوراً ، كان النبي ﷺ يقول له : ابن عمي وحبي . ومنهم من يروي أنه كان يقول له : ابن أمي وحبي . قال أبو عمر : لا أحفظ له رواية عن النبي ﷺ ، وقد روت أختاه ضُباعة وأم الحكم ، وكانت سنه يوم توفي النبي ﷺ نحواً من ثلاثين سنة ، وقُتل شهيداً بأجنادين في خلافة أبي بكر سنة ثلاث عشرة بعد أن أبلى بها بلاء حسناً . وضُباعة وصفية وأم الحكم وأم الزبير بنات الزبير ، لهن صحبة ، ولا عقب لعبد الله بن الزبير هذا .

وأما حمزة فأسلم قديماً ، وعزَّ به الإسلام ، وكفَّت قريش عن النبي ﷺ ، عن بعض ما كانوا ينالون منه خوفاً من حمزة رضي الله عنه ، وعلماً منهم أنه سيمنعه ، وكان عمَّ رسول الله ﷺ وأخاه من الرضاعة ، أرضعتهما ثُويبةُ الأسلمية ، وكان أسنَّ منه بيسير ، وأُمُّ كلٍّ منهما ابنة عمٍّ لأمِّ الآخر ، شهد بدراً مع النبي ﷺ وأُحداً ، وبها مات شهيداً ، قتله

---

(١) كذا في الأصول والاستيعاب ٤/٢٢٤ ، ولعل « من » زائدة .

وحشيُّ بن حرب ، قيل : كان يقاتل بين يدي النبي ﷺ بسيفين ، ويقول : أنا أسدُ الله ، ذكره الحاكم(١) ، وروى بسنده أن رسول الله ﷺ قال : أتاني جبريلُ فأخبرني أن حمزةَ مكتوبٌ في أهل السماوات أسد الله وأسد رسوله(١) . وروى أن حمزةَ قُتل جُنباً فغسلته الملائكة ، وقال : صحيح الإسناد(١) . وكان له من الولد : يعلى وعمارة . وقال مصعب : وُلد لحمزة خمسة رجال لصُلبه وماتوا ولم يُعقبوا . وقال الزبير : لم يُعقب أحدٌ من بني حمزة إلا يعلى وحده ؛ فإنه ولد له خمسة رجال لصلبه ، وماتوا ولم يُعقبوا . ومن أولاد حمزة أمامة ، ويقال : أمة الله . وكان الواقدي يقول فيها : عمارة . قال أبو بكر الخطيب : انفرد الواقدي بهذا القول ، وإنما عمارة ابنه لا ابنته ، وقد تقدم ذكره . وله أيضاً ابنة تسمى أم الفضل ، وابنة تسمى فاطمة ، ومن الناس من يعدُّهما واحدة ، وفاطمة إحدى هذه الفواطم ، التي قال عليه الصلاة والسلام لعلي ، وقد بعث له حُلّةً : تشقها خُمراً بين الفواطم ، وهن : فاطمة بنت أسد ؛ أم علي ، وفاطمة بنت محمد ، زوجه ، وفاطمة بنت حمزة هذه ، وفاطمة ابنة عتبة .

وأما العباس فيكنى أبا الفضل بابنه ، وكان أسنَّ من رسول الله ﷺ بسنتين أو ثلاث ، وكان رئيساً في قريش ، وإليه كانت عمارة المسجد الحرام والسقاية ، شهد العقبة مع رسول الله ﷺ ليشترطَ له على الأنصار ، وشهد بدراً مع المشركين مكرها ، وفدى يومئذ نفسه ، وعقيلاً ونوفلاً ابني أخويه أبي طالب والحارث ، وأسلم قبل فتح خيبرَ ، وكان يكتم إسلامه إلى يوم فتح مكة ، فأظهره ، وقيل أسلم قبل يوم بدر ، وكان يكتم ذلك ، وشهد يومَ حُنين وثبتَ . وهو القائل :

ألا هل أتى عِرسي مَكرّي ومَقدمي	بوادي حُنين والأسنّةُ تُشرعُ
وكيف رددت الخيلَ وهي مغيرةٌ	بزوراءَ تعطي في اليدين وتمنعُ
نصرنَا رسولَ الله في الحرب سبعةً	وقد فرَّ من قد فرَّ عنه فأقشعُوا
وثامننا لاقى الحِمَامَ بسيفه	بما مَسَّه في الله لا يتوجع

وكان النبيُّ ﷺ يقول فيه : العبَّاسُ أجودُ قريش كفّاً وأوصلُها . وروي أن العباس لم يمر

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ١٩٤/٣ وصححه ، ووافقه الذهبي .

بعمر ولا بعثمان وهما راكبان إلا نزلا حتى يجوز إجلالاً له ، وكان النبيُّ ﷺ يُجلُّه ، واستسقى به عمر عام الرمادة سنة سبع عشرة ، فسُقوا ، ففي ذلك يقول الفضل بن العباس بن عُتبة بن أبي لهب :

بعمي سقى الله الحجازَ وأهلَه ... عشيةَ يَستسقي بشيبته عمر
توجه بالعباس في الجدب راغباً ... فما كرَّ حتى جاء بالدِّيمة المطر

وكان من دعاء العباس وهو يستسقي : اللهم أنت الراعي لا تُهملِ الضَّالة ، ولا تدع الكسير[١] بدار مضيعة ، فقد ضرعَ الصغير ، ورقَّ الكبيرُ ، وارتفعت الشكوى، فأنت تعلم السر وأخفى ، اللهم فأغثْهم بغياثك من قبل أن يقنطوا فيهلكوا ، فإنه لا ييأس من روحك إلا القوم الكافرون .

وفضائل العباس كثيرة ، ومناقبه مشهورة ، توفي سنة اثنتين وثلاثين ، وصلَّى عليه عثمان ، وقيل في وفاته غير ذلك .

وولد العباس سبعة لأمِّ الفضل لبابة بنت الحارث ــ وسيأتي ذكر نسبها عند ذكر أختها ميمونة في زوجات النبي ﷺ ــ وهم : الفضل ، وعبد الله ، وعبيد الله ، وقُثم ، وعبد الرحمن ، وأم حبيب شقيقتهم . وتمَّامٍ ، وكَثير ، لأم ولد . والحارث ، وأمُّه من هذيل . وعون بن العباس ، قال أبو عمرُ[٢] : لم أقف على اسم أمه . قال : وكل بني العباس لهم رواية ، وللفضل وعبد الله وعبيد الله سماعٌ وروَاية .

وكان الفضل أكبرَهم ، وتمَّام أصغرَهم ، وقد روى تمَّام عن النبي ﷺ : « لا تدخُلوا عليَّ قُلْحاً ، استاكوا »[٣] . وكان الفضل جميلاً ، وعبد الله عالماً ، وعبيد الله سخياً جواداً ، وكان تمّام من أشد الناس بطشاً ، وكان العباس يحمل تمّاما ، ويقول :

تمُّوا بتمَّام فصاروا عشرهْ ... يا ربِّ فاجعلْهم كراماً بررهْ
واجعلْ لهم ذكراً وأنمِ الثمرهْ

(١) في « أ » : الكبير ، والتصحيح من « ج » .
(٢) لم نجد كلام ابن عبد البر في الاستيعاب ، ولا في الدرر .
(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ٤٤٢/٤ عن تمَّام ، عن أبيه قثم . ومعنى « قُلْحَاً » : جمع أقلح ، وهو الذي تعلو أسنانه قلحة ، أي صفرة ووسخ ، و« استاكوا » : استعملوا ما يُنظفها كالسِّواك ونحوه .

ويقال : ما رؤيت قبورٌ أشدَّ تباعداً من بعض قبور بني العباس بن عبد المطلب ، استُشهد الفضلُ بأجنادين ، ومات معبد وعبد الرحمن بإفريقية ، وعبد الله بالطائف ، وعبيد الله باليمن ، وقُثم بسمرقند ، وكَثير بالينبع ، وقد يقع في ذلك خلاف ليس هذا موضعه .

وأما الحارث وهو أكبر ولد عبد المطلب ، وبه كان يُكَنَّى .

قال الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله تعالى : لم يدرك الإسلام ، وأسلم من أولاده أربعة : نوفل ، وربيعة ، وأبو سفيان ، وعبد الله ، فكان نوفل أسنَّ إخوته وأسنَّ من أسلم من بني هاشم ، ولم يذكر المغيرةَ فيهم . وقد ذكرَه أبو عمر بن عبد البر في كتابه في الصحابة ، فيكون خامساً لهم ، غير أنه قال : ومنهم من يجعل المغيرة اسم أبي سفيان ، والصحيح الأول[1] . يعني أنه غيرُه .

وأما أبو لهب : فأبوه كنّاه بذلك ، لحسن وجهه . قال السهيليُّ : كُنِّي بأبي لهب مقدمة لما يصير إليه من اللهب ، وكان بعد نزول السورة فيه لا يشكُّ مؤمن أنه من أهل النار ، بخلاف غيره من الكفار ــ يعني الموجودين ــ فإن الأطماع لم تنقطع من إسلامهم[2] . وامرأته أمُّ جميل بنت حرب بن أمية ، اسمُها العوراء ، فولدَ أبو لهب عتبةَ ومُعتِّباً ، شهدا حنيناً وثبتا فيه ، وأختهما درة ، لها صحبة ، وأخوهم عتيبة قتلَه الأسدُ بالزرقاء من أرض الشام بدعوة النبي ﷺ عليه ، وبعضهم يجعلُ عتبةَ المُكَبَّر عقيرَ الأسد ، وعُتيبةَ الصحابيَّ ، والمشهور الأول .

وأما ضِرار : فإنه مات أيامَ أُوحي إلى النبيِّ ﷺ ولم يسلم ، وكان من (أبهى) فتيان قريش جمالاً و (أكثرهم) سخاء .

وأما الغيداق : فكان أكثرَ قريش مالاً ، وكان جَوَاداً .

وأمَّا المُقَوِّم وجَحل : فوُلد لهما ، وانقطع العقب منهما .

وأما عبد الكعبة : فلم يدرك الإسلام ولم يُعقب .

---

(١) الاستيعاب ٣/٣٨٦ .

(٢) الروض الأنف ١/١٣٢ .

وأما قثم فهلكَ صغيراً كما تقدم .

وأمـا أم حكـيم ــ وهي البيضـــاء ــ : فكـانت عند كُريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، فولدت له عامراً ، وبنات منهن : أروى أم عثمان بن عفان ، وهي توأمةُ عبد الله والد رسول الله ﷺ ، على خلاف في ذلك . وهي التي وضعت جفنةَ الطِّيب للمطَّيِّبين في حلفهم ، وكانت تقول : إني لحَصَان فما أُكَلَّم ، وصَنَاعٌ فما أُعَلَّم .

وأما عاتكة : فكانت عند أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، ولدت له عبدَ الله ، له صحبةٌ ، وزهيراً وقَرِيبةً ، مختلف في صحبتهما ، وهم إخوة أم سلمة لأبيها ، وهي صاحبة الرؤيا بمكة يوم بدر ، وقد تقدمت .

وأمـا بَرَّةُ فكـانت عند أبي رُهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤي ، فولدت له أبا سَبْرَة ، له صحبة ، شهد بدراً والمشاهدَ مع رسـول الله ﷺ . ثم خلفَ عليها عبدُ الأسـد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وقيـل : بل كانت عنده قبل أبي رُهم ، فولدت لعبد الأسد أبا سـلمة عبدَ الله ، زوجَ أم سلمة ، صحابيٌّ مشهور ، توفي في حياة رسول الله ﷺ ، وبعد وفاته تزوَّجَ رَسولُ الله ﷺ أمَّ سلمة زوجَه .

وأما أميمـةُ : فكـانت عند جحش بن رئاب بن يعمر بن صـبرة بن مرة بن كَبير بن غَنْم بن دُودَان بن أسد بن خزيمة ، فولدت له عبدَ الله المُجدَّع في الله بدعائه ، المقتول يوم أحد شهيداً رضي الله عنه ، وأبا أحمد الشاعر الأعمى ، وعبيدَ الله ، أسلما أيضاً ، وهاجرا إلى أرض الحبشـــة ، ثم تنصَّرَ هنـالك عُبيد الله . وزينبَ أمَّ المؤمنـين ، وحمنـةَ ، وكانت عند مصعب بن عُمير ، ثم خلفَ عليها طلحةُ بن عبيد الله ، فولدت له محمداً وعمران ، وكانت تُستحاض ، وكانت ممن خاض في حديث الإفك وجُلد فيه ، إن صحَّ أنهم جُلدوا ، وتُكنَّى حمنـة هذه أمَّ حبيبـة عند قوم ، وعند الأكثرين أمُّ حبيبـة غيرُها ، وكانت أم حبيبـة تحت عبد الرحمن بن عوف ، وكانت تُستحـاض ؛ حديثُها في صحيح[1] مسـلم ، وكان شيخُنا الحافظ أبو محمد الدمياطي ، رحمه الله يقول : هُنَّ زينب ، وحمنة ، وأم حبيب ، ويعدُّ ما عدا

---

(١) رواه مسلم في الحيض (باب المستحاضة ..) رقم /٣٣٤/ عن عائشة رضي الله عنها .

ذلك وَهَما ، وقيده بخطه على صحيح مسلم في الفوائد التي كتبها على نسخته ، وقد علقت عنه هذه الفوائد .

وأما أروى فمختلف في إسلامها كما تقدم . وحكاه أبو عمر عن الواقدي في خبر يُسنده ؛ أن ابنها طُليب بن عُمير حملَها على ذلك ، فوافقته وأسلمت ، وكانت بعد ذلك تعاضد النبيَّ ﷺ وتحضُّ ابنها على نصرته . وقد رواه الحاكم[1] ، وزعمَ أنه على شرط البخاري . وكانت تحت عمير بن وهب بن عبد الدار بن قصي ، فولدت له طُليبَ بن عمير ، كان بدرياً من فضلاء الصحابة ، وقُتل بأجنادين شهيداً ، ولا عقبَ له . ثم خلف عليها كَلَدة بنُ هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصيّ ــ وهو عند أبي عمر كَلَدة بن عبد مناف ، والصحيح الأول ــ فولدت له فاطمة . ورأيته في كتاب أبي عمر[2] : أروى ، وليس بشيء . فولدت فاطمة هذه زينبَ بنتَ أرطأة بن عبد شُرحبيل بن هاشم المذكور آنفاً ، فولدت زينبُ كَيْسَة بنت الحارث بن كُريز بن ربيعة زوج مسيلمة بن حبيب الكذاب . ثم خلفَ على كَيْسَةَ ابنُ عمها عبدُ الله بن عامر بن كُريز ، وُلد على عهد رسول الله ﷺ ، وعَوَّذَه ، وتفل في فيه ، فجعلَ يتسوَّغ ريقَ رسول الله ﷺ ، فقال عليه الصلاة والسلام : إنهَ لمسْقيٌ . فكان لا يُعالج أرضاً إلا ظهرَ له الماء ، وهو الذي عمل السقايات بعرفة ، وشقَّ نهرَ البصرة ، جمع له عثمان بينَ ولاية البصرة وفارس ، وهو ابن أربع وعشرين سنة ، وكان سخيَّاً جَوَاداً ، وفيه يقول زياد الأعجم :

أخٌ لك لا تــراه الدهــرَ إلا ... عــلى العِــلاَّت مبتسماً جَــوَادا
أخٌ لك مــا مــودَّتُــه بمَذقٍ ... إذا مـا عـادَ فقرُ أخيـه عـادَا[3]
ســألنــاه الجزيـلَ فمـا تَلَكَّـا ... وأعطــى فـوقَ مُنـيتـنـا وزادَا
وأحســن ثم أحســن ثم عـدنـا ... فـأحسـنَ ثم عدتُ له فعـاداَ
مــراراً مـا رجعت إليــه إلا ... تبسَّــم ضـاحكاً وثنى الوِسَـادَا

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٥٢/٤ وقال الذهبي معقباً : لم أجد إسلامهاإلا عند الواقدي .
(٢) الاستيعاب ٢٢٧/٤ .
(٣) « بمَذق » : أصل المذق : اللبن المشوب بالماء ، والمراد أنَّ مودته صافية .

وأما صفية : فأسلمت وهاجرت ، وكانت عند الحارث بن حرب ، أخي أبي سفيان بن حرب ، فولدت له صيفي بن الحارث ، ثم خلف عليها العوَّام بن خُويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، فولدت له الزبيرَ والسائبَ صحابيين مشهورين ، وعبدَ الكعبة ، وأمَّ حبيب تزوجها خالد بن حِزام ، فولدت له أمَّ حسن ، لا عقب لها . تُوفيت صفية رضي الله عنها سنة عشرين ، ودُفنت بالبقيع ، ولها ثلاث وسبعون سنة .

ذكر فوائد تتعلق بهذا الفصل
سوى ما تقدم

● جَحْل : بتقديم الجيم على الحاء المهملة ، وهو السقاء الضخم . قال ابن دريد : واسمه مصعب ، وجحل لقب . وغيره يقول : اسمه المغيرة كما سبق . والجَحْل : نوع من اليعاسب ، عن صاحب العين . وقال أبو حنيفة : كلُّ شيء ضخم فهو جَحْل ، ذكره السهيلي ، وكان الدارقطني يقول : هو حِجْل : بتقديم الحاء ، ويُفسَّر بالخلخال أو القيد .

● وقُثَم : قد ذكرنا أنه شقيق الحارث ، وكان ابن قُدامة يقول : الحارث لا شقيق له ، والذي رواه ابن سعد بسنده عن ابن الكلبي أن قُثم َشقيقُ العبَّاس وضِرار . قال ابن سِيده : قثمَ الشيء يقثمُه قَثْماً : جمعَه ، ويقال : قَثَامِ أي اقثُم ، مطرد عند سيبويه ، وموقوف عند أبي العباس . وقثَم له من العطاء قَثْماً : أكثرَ ، وقُثم : اسم رجل مشتق منه . وقُثَامُ : من أسماء الضبع ، وقُثم : الذكر من الضباع ، وكلاهما معدول عن فاعل وفاعلة ، وقد تكرر هذا الاسم لابن عبد المطلب ولابن عباس . وكان قُثم بن العباس والياً لعليّ على مكة ، أردفه النبيُّ ﷺ ، ودعا له ، واستُشهد بسمرقند . قال ابن عبد البر : وقال الزبير في الشعر الذي أوله :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيتُ يعرفه والحِلُّ والحرمُ

إنه قاله بعض شعراء المدينة في قثم بن العباس ، وزاد الزبير في الشعر بيتين أو ثلاثة منها قوله :

كم صارخ بك مكروبٍ وصارخةٍ ... يدعوك يا قُثم الخيراتِ يا قُثَمُ

قال : ولا يصح في قثم بن العباس ، وذلك شعر آخر على عروضه وقافيته . وما قاله الزبير فغير صحيح ، ثم قال أبو عمر : وفي قثم بن العباس هذا يقول داود بن سلم :

عُتقتِ من حِلّي ومن رحلتي ... يا ناقُ إن بلغتني من قثمْ
إنَّكِ إن أدنيتِ منه غداً ... خالفني البؤس وماتَ العدمْ
في كفه بحر وفي وجهه ... بدرٌ وفي العِرنين منه شَمَمْ[1]
أصمُّ عن قِيل الخَنَا سمعُه ... وما عن الخير به من صَمَمْ
لم يدر ما « لا » وبلى قد درى ... فعافَها واعتاض منها « نعم »

كذا قال أبو عمر ، وإنما الشعر في قثم بن العباس بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، كان والياً على اليمامة لأبي جعفر المنصور ، وكان داود بن سلم من شعراء الدولة العباسية ، فأين هو من ذلك الزمان ؟

● وتقدم ذكر أبي سفيان بن الحارث ، وكان عليه الصلاة والسلام يقول : أبو سفيان خير أهلي ، أو من خير أهلي ، وفيه كان يقول عليه الصلاة والسلام : كل الصيد في جوف الفِرا . وقيل في أبي سفيان بن حرب ، وكان أبو سفيان بن الحارث أخا رسول الله ﷺ من الرضاعة ، وابن عمه ، وكان فارساً مشهوراً وشاعراً مطبوعاً ، أنشد له أبو عمر :

لقد علمتْ قريشٌ غيرَ فخرٍ ... بأنا نحنُ أجودُهم حِصَانا
وأكثرُهم دروعاً سابغاتٍ ... وأمضاهُم ـ إذا طعنوا ـ سِنانا
وأدفعُهم لدى الضَّرَّاء عنهم ... وأبينُهم ـ إذا نطقوا ـ لسانا

قال أبو عمر : وكان أحد الخمسة المُشَبَّهين بالنبي ﷺ ، وهم : جعفر بن أبي طالب ، والحسنُ بن علي ، وقثم بن العباس ، وأبو سفيان بن الحارث ، والسَّائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف[2] .

ولم يزد على ذلك ، وإلى السائب هذا يُنسب الإمام الشافعي ، قال المؤلف : فقلت في ذلك شعراً :

---

(١) « العرنين » : الأنف .

(٢) الاستيعاب ٤/٨٤ .

بخمسـةٍ شُبِّـه المختـار من مُضَـرٍ   يا حسنَ ما خُوِّلوا من شبهِه الحسنِ
بجعفـرٍ وابن عـمِ المصطفى قُثَمٍ   وسـائبٍ وأبي سفيـانَ والحسـنِ

قلت : وممن كان يُشَبَّه بالنبي ﷺ أيضـاً : عبد الله بن عامر بن كُريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ، رآه رسولُ الله ﷺ صغيراً ، فقال : هذا شَبَهُنَا . وروي أنه عليه الصلاة والسلام قال إذ رآه : يا بني عبد شمس هذا أشبه بنا منه بكم .

● وأبو لهب : اسم أُمِّه لبنى ، كذا هو عند الجماعة ، وفسَّره السهيلي بشيء يتميَّع من بعض الشجر ، عن أبي حنيفة . قال : ويقال لبعضه : الميعة . والذي ذكره أبو عمر في اسم أمه : لُبَّى ، على وزن فُعْلى من اللُّب ، على قياس قول ابن دريد في حُبَّى من الحُبِّ ، وقال السهيلي : بنت هاجِر بكسر الجيم .

* * *

ذكر أزواجه

عليه الصلاة والسلام وسراريه

روى عبد الملك بن محمد النيسابوري بسنده : عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما تزوجت شيئاً من نسائي ، ولا زوجت شيئاً من بناتي إلا بوحي جاءني به جبريل عن ربي عزَّ وجلَّ[1] » .

● فأول من تزوج ﷺ **خديجة** ، وقد تقدم ذكرها .

● ثم **سودة بنت زمعة** بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤي ، بعد خديجة على الصحيح ، ومن الناس من يقول : تزوج عائشة قبلها ، وأصدقَ النبيُّ ﷺ سودةَ أربعمائة . وأُمُّها الشموسُ بنت قيس بن عمرو بن زيد بن لَبيد بن خِداش بن عامر بن غَنْم بن عدي بن النجار ، بنت أخي سَلمى بنت عمرو بن زيد ؛ أم عبد المطلب ، وكانت قبلَه عند السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود ، أخي سهل وسهيل وسَليط وحَاطب ، ولكلِّهم صحبةٌ ، وهاجر بها السكرانُ إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية ، ثم رجع بها إلى مكة ، فمات عنها ، فلما حَلَّتْ تزوَّجَها عليه الصلاة والسلام في السنة العاشرة من النبوة ، وقيل : في الثامنة . وماتت بعده في المدينة في آخر خلافة عمر بن الخطاب ، هذا هو المشهور في وفاتها ، وابن سعد يقول عن الواقدي : توفيت سنة أربع وخمسين في خلافة معاوية ، وكانت قد كَبِرت عنده ، فأراد طلاقَها ، فوهبتْ يومَها لعائشة ، فأمسكَها ، وقيل : بل طلَّقَها وراجعَها ، والصحيح الأول ، قاله الدمياطي ، وقال أبو عمر : أسنَّت عند النبي ﷺ ، فهمَّ بطلاقها ، فقالت : لا تطلقني ، وأنت في حِلٍّ من شأني ، فإنما أريد أن أُحشرَ في أزواجك ، وإني قد وهبتُ يومي لعائشة ، وإني لا أريدُ ما تُريد النساء . فأمسكَها رسولُ الله ﷺ ، حتى توفِّي عنها .

● ثم **عائشة بنت أبي بكر الصديق** ، أُمُّ عبد الله ، اكتنت بابن أختها عبد الله بن

(١) الحديث في إسناده عطية العوفي ، وهو ضعيف . والنبي ﷺ تزوج خديجة قبل النبوة . نور النبراس لوحة ١٩٢/٣ .

الزبير ، بإذن رسول الله ﷺ لها بذلك ، وأُمُّها أم رومان بنت عامر بن عويمر ، وقيل بنت عمير بن عامر من بني دُهمان بن الحارث . كانت تُسمَّى لجبير بن مطعم ، فسلَّها أبو بكر منهم وزوَّجها النبيَّ ﷺ . روى أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم عن الأسود ، عن عائشة ــ رضي الله تعالى عنها ــ قالت : تزوجني رسولُ الله ﷺ وأنا بنت سبع سنين ، وبنى بي وأنا بنتُ تسع ، وقُبض عني وأنا بنتُ ثماني عشرة . ورويناه من طريق النسائي : عن أبي كُريب ، وأحمد بن حرب ، عن أبي معاوية[1] .

وتزوجها عليه الصلاة والسلام بمكة في شوال سنة عشر من النبوة . فلما هاجر إلى المدينة بعث زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة يأتيان بعياله : سودةَ ، وأمِّ كلثوم ، وفاطمةَ ، وأمِّ أيمن ، وابنِها أسامة . وخرج معهم عبدُ الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر : أم رومان ، وعائشة ، وأسماء ، فقدموا المدينة ، فأنزلهم في بيتٍ لحارثة بن النعمان ، ورسولُ الله ﷺ حينئذ يبني مسجدَه ، فلما فرغَ من بنائه بنى بيتاً لعائشة ، وبيتاً لسودة ، وأعرس بعائشة في شوال على رأس ثمانية أشهرٍ من مُهاجَره ﷺ ، وقيل : سبعة أشهر ، وقيل : ثمانية عشر . وكان مُقامه في بيت أبي أيوب ، إلى أن تحول إلى مساكنه سبعة أشهر ، وقُبض عنها وهي بنت ثماني عشرة ، ومكثت عنده تسعَ سنين وخمسة أشهر ، ولم يتزوج بكراً غيرها ، يقال : إنها أتت من النبي ﷺ بسَقْط ، ولا يثبت .

وكانت فضائلُها جمةً ، ومناقبها كثيرةً . قال عليه الصلاة والسلام : « فضلُ عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام[2] » . وقيل له : أيُّ النساء أحبُّ إليك ؟ قال : « عائشة » قيل : فمن الرجال ؟ قال : « أبوها »[3] . ونزلت براءتُها في القرآن ، وقُبض عليه الصلاة والسلام ورأسُه في حِجْرها ، ودُفن في بيتها . وقال أبو الضحى ، عن مسروق : رأيتُ مشيخةَ أصحابِ محمد ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض . وقال عطاء بن أبي رباح :

---

(١) رواه النسائي في النكاح (باب إنكاح الرجل ابنته الصغيرة) ٦/٨٢ .

(٢) رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي (باب فضل عائشة) رقم /٣٧٧٠/ ومسلم في فضائل الصحابة (باب فضل عائشة) رقم /٢٤٤٦/ والترمذي في المناقب (باب مناقب عائشة) رقم /٣٨٨١/ والنسائي في عشرة النساء (باب حب الرجل بعض نسائه) ٧/٦٨ .

(٣) رواه الترمذي في المناقب ، (باب مناقب عائشة) رقم /٣٨٧٩/ وقال : حديث حسن صحيح .

كانت عائشة أفقهَ النَّاس وأعلمَ الناس ، وأحسنَ الناس رأياً في العامة . وقال هشام بن عروة ، عن أبيه : ما رأيتُ أحداً أعلمَ بفقهٍ ولا بطبٍّ ولا بشعرٍ من عائشة . وقال الزهري : لو جُمع علم جميع أزواج النبيِّ ﷺ وعلمُ جميعِ النساء ، لكان علم عائشة أفضل . وفيها يقول حَسّان يمدحُها ويعتذرُ إليها :

حَصَانٌ رزانٌ ما تُزَنُّ بريبةٍ ... وتُصبحُ غَرْثَى من لحوم الغوافلِ[1]
عقيلةُ أصلٍ من لؤيّ بن غالب ... كرام المساعي مجدهم غيرُ زائلِ[2]
مهذبة قد طيب الله خِيْمَهَا ... وطهَّرَهَا من كل غيٍّ وباطلِ[3]
فإن كان ما قد قيل عنّي قلتُه ... فلا رفعتْ سوطي إليَّ أناملي
وكيف وودّي ما حييتُ ونصرتي ... لآلِ رسول الله زينِ المحافلِ

توفيت سنة ست ، وقيل : سنة سبعٍ ، وقيل سنة ثمانٍ وخمسين ، وصلَّى عليها أبو هريرة ، ودُفنت بالبقيع ليلاً . ونزل في قبرها القاسم بن محمد ، وابنُ عمه عبدُ الله بن عبد الرحمن ، وعبد الله بن أبي عتيق ، وعبد الله وعروة ابنا الزبير ، وقد قاربت سبعاً وستين سنة ، ومولدُها سنة أربعٍ من النبوة .

● ثم **حفصة بنت عمر بن الخطاب** ، وأمُّها قدامة بنت مظعون ، وهي شقيقة عبد الله بن عمر ، وأسنُّ منه . مولدها قبل النبوة بخمس سنين ، كانت تحت خُنيس بن حُذافة السَّهمي ، فتوفي عنها من جراحات أصابته ببدر ، وقيل : بأحد ، والأول أشهر ، فتزوَّجها رسولُ الله ﷺ في شعبان ، على رأس ثلاثين شهراً من مُهاجَره ﷺ على القول الأول ، أو بعد أحد على الثاني . وكان عمر قد عرضَها على أبي بكر قبلَ أن يتزوَّجها عليه الصلاة والسلام ، فلم يرجعْ إليه أبو بكر كلمةً ، فغضبَ من ذلك ، ثم عرضَها على عثمان حين ماتت رقية ، فقال : ما أريد أن أتزوَّجَ اليومَ . فانطلق عمر إلى رسول الله ﷺ فشكا إليه عثمان ، وأخبرَهُ بعرضه حفصة عليه . فقال رسول الله ﷺ: تتزوج حفصةُ خيراً من

---

(١) « ما تُزَنُّ » : ما تُتَّهم . و« غرثى » : جائعة .
(٢) « عقيلة » : كريمة .
(٣) « خِيْمها » : طبعها وسجيتها .

عثمان ، ويتزوَّج عثمان خيراً من حفصة . ثم تزوج عليه الصلاة والسلام حفصة ، وزوَّجَ ابنتَه أمَّ كلثوم عثمانَ .

وطلَّقَ عليه الصلاة والسلام حفصةَ تطليقة ، ثم ارتجعهَا ، وذلك أن جبريل نزل عليه فقال له : راجع حفصة ، فإنها صوَّامة قوَّامة ، وإنها زوجتُك في الجنة . ومن حديث عقبة بن عامر ، قال : طلَّقَ رسولُ الله ﷺ حفصةَ ، فبلغ ذلك عمر ، فحثا على رأسه التراب ، وقال : ما يعبأُ الله بعمر وابنتِه بعدها . فنزل جبريلُ على النبيِّ ﷺ من الغد ، وقال : إن الله يأمُرُك أن تُراجعَ حفصةَ رحمةً لعمر[1] . وقد رُوي من طريق عمار بن ياسر أنه طلَّقها ثم راجعها رحمةً لعمر ، ثم أراد أنْ يَطلِّقَها ثانيةً ، فقال له جبريل : لا تطلِّقْها فإنها صوَّامة قوَّامة .. الحديث[2] .

توفيت في شعبان سنة خمس وأربعين بالمدينة ، وصلَّى عليها مروانُ بن الحكم أمير المدينة ، وحمل سريرَها بعضَ الطريق ، ثم حمله أبو هريرة إلى قبرها ، ونزل في قبرها عبد الله وعاصم ابنا عمر ، وعبدُ الله وحمزة بنو عبد الله بن عمر ، وقد بلغت ثلاثاً وستين سنة ، وقيل : ماتت سنة إحدى وأربعين ، وأوصت إلى عبد الله أخيها بما أوصى إليها عمر ، وبصدقةٍ تصدَّقت بها بمال وقفته بالغابة .

● ثم **زينب بنت خزيمة** بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان ، كانت تُدعى أمَّ المساكين ؛ لرأفتها بهم ، كانت عند الطفيل بن الحارث ، فطلَّقها ، فتزوَّجها أخوه عُبيدة ، فقُتل يوم بدر شهيداً كما سبق ، فخلفَ عليها رسول الله ﷺ في شهر رمضان ، على رأس أحدٍ وثلاثين شهراً من الهجرة ، ومكثت عنده ثمانية أشهر ، وتُوفيت في آخر شهر ربيع الآخر ، على رأس تسعةٍ وثلاثين شهراً من الهجرة ، وصلى عليها رسولُ الله ﷺ ، ودفنها بالبقيع ، وقد بلغت ثلاثين سنة أو نحوها .

ولم يمت من أزواجه في حياته إلا هي وخديجة ، وفي ريحانة خلاف ، وقال أبو عمر : كانت قبل النبيِّ ﷺ عند عبد الله بن جحش ، حكاه عن ابن شهاب ، قال : وقُتل عنها يوم

---

(١) حديث عقبة رواه أبو عمر في الاستيعاب ٤/٢٦٩ ، وابن الجوزي في صفة الصفوة .

(٢) حديث عمار بن ياسر رواه أبو عمر في الاستيعاب ٤/ ٢٦٩ ، وابن الجوزي في صفة الصفوة .

أحد ، فتزوَّجها رسولُ الله ﷺ سنة ثلاث ، ولم تلبثْ عنده إلا يسيراً ، شهرين أو ثلاثة[1] . وحَكى عن عليٍّ بن عبد العزيز الجرجاني ؛ أنها كانت أختَ ميمونة لأُمها ، قال : ولم أر ذلك لغيره[1] .

ولما خطبَها عليه الصلاة والسلام جعلت أمرَها إليه ، فتزوَّجها ، وأشهدَ وأصدَقها اثنتي عشرةَ أوقية ونشّاً[2] ، وأرادت أن تُعتِقَ جاريةً لها سوداء ، فقال لها رسول الله ﷺ : ألا تفدينَ بها بني أخيك أو أختِك من رعاية الغنم[3] .

● ثم **أم سلمة** ، واسمها هند بنت أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكانت قبله عند أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد ، وهما أوَّلُ من هاجر إلى أرض الحبشة ، ولدت له بَرَّة ، سمَّاها رسول الله ﷺ زينب ، وسلمة وعمر ودرة ،شهد أبو سلمة بدراً وأحداً ، ورُمي بها بسهم في عضدِه ، فمكث شهراً يداويه ، ثم بَرَأَ الجرحُ ، وبعثَهُ رسولُ الله ﷺ في هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من مُهاجَره ، وبعث معه مائةً وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار إلى قَطَن ، وهو جبل بناحية فَيْد ، فغابَ تسعاً وعشرين ليلة ، ثم رجع إلى المدينة ، فانتقضَ جرحُه ، فمات لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة أربع ، فاعْتَدَّتْ أمُّ سلمة ، وحَلَّتْ لعشرٍ بقين من شوال سنة أربع ، فتزوَّجها رسولُ الله ﷺ في ليالٍ بقين من شوال المذكور . وأبو عمر يقول : إنها في جمادى الآخرة ، سنة ثلاث ، وهو لم يتزوجها إلا بعد انقضاء عدتها من أبي سلمة بالوفاة ، وقال لها : إن شئتِ سبَّعتُ لك وسبَّعتُ لنسائي ، وإن شئتِ ثَلَّثْتُ ودرتُ ، فقالت : بل ثَلِّثْ .

وخطبَها عليه الصلاة والسلام ، فقالت : إني مُسنّة ، وذاتُ أيتام ، وشديدةُ الغَيْرة . فقال رسول الله ﷺ : أنا أسنُّ منك ، وعيالُك عيالُ الله ورسولهِ ، وأدعو الله لك فيُذهبُ

---

(١) الاستيعاب ٣١٣/٤ .

(٢) « ونَشّاً » : النَّشُّ ، بفتح النون وتشديد الشين ، هو نصف الأوقية ، والأوقية : أربعون درهماً ، فيكون جميع صداقها رضي لله عنها خمسمائة درهم .

(٣) ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة ٣١٦/٤ نقلاً عن ابن سعد ؛ وقال : هذا خطأ فإن صاحب هذه القصة هي ميمونة بنت الحارث ، وهي هلالية ، وفي الصحيح نحو هذا من حديثها ، وقد ذكر ابن سعد نحوه في ترجمة ميمونة من وجه آخر .

عنكِ الغَيْرةَ ، فدعا لها فكان ذلك .

توفيت في خلافة يزيد بن معاوية سنة ستين على الصحيح . وأمُّها عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن خزيمة بن علقمة بن فِراس ، وقد قيل في اسم أم سلمة : رملة ، وليس بشيء .

● ثم **زينب بنت جحش** بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غَنْم بن دُودان بن أسـد بن خزيمة ، وكان اسمها بَرَّة ، فسمَّاها زينب . أمُّها أميمة عمة رسول الله ﷺ ، كانت قبله عند زيد بن حارثة مولاه ، ثم طلَّقها ، فلما حَلَّت ، زوَّجه الله إياها من السماء سنة أربع ، وقيل : سنة ثلاث ، وقيل : سنة خمس . وهي يومئذ بنتُ خمس وثلاثين سنة ، وأولَمَ عليها ، وأطعمَ المسلمين خبزاً ولحماً ، وفيها نزل الحجابُ ، وهي التي قال الله في حقِّها : ﴿ فلمَّا قَضَى زَيْدٌ منها وَطَراً زوَّجْناكَهَا ﴾ [الأحزاب : ٣٧] .

ولما تزوجها تكلَّمَ في ذلك المنافقون ، وقالوا : حرَّم محمد نساء الولد وقد تزوَّج امرأة ابنه ، فأنزلَ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ ما كانَ مُحَمَّدٌ أبا أحدٍ من رجالِكم ﴾ الآية [الأحزاب : ٤٠] . وقال تعالى : ﴿ ادعوهُم لآبائِهم هو أقسطُ عند الله ﴾ [الأحزاب : ٥] فدُعي زيد بن حارثة ، وكان يُدعى زيدَ بن محمد ، وكانت تفخرُ على نسائه عليه الصلاة والسلام تقول : إن آباءَكن أنكحوكنَّ ، وإن الله تعالى أنكحني إياه من فوق سبع سماوات . وغضبَ عليها رسول الله ﷺ لقولها لصفية بنت حيي : تلك اليهودية . فهجرَها لذلك ذا الحجة والمحرم وبعضَ صفر ، ثم أتاها ، وكانت كثيرةَ الصدقة والإيثار ، وهي أوّلُ نسائه لُحوقاً به ، توفيت سنة عشرين ، أو إحدى وعشرين . وكانت عائشة تقول : هي التي تُساميني في المنزلة عند رسول الله ﷺ ، وما رأيت امرأة قطُّ خيراً في الدين من زينب ، وأتقى لله ، وأصدق حديثاً ، وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة . وقال عليه الصلاة والسلام لعمر بن الخطاب في حقها : إنها لأوَّاهة . قال رجل : أي رسولَ الله وما الأواه ؟ قال : الخاشع المتضرع ، و﴿ إنَّ إبراهيمَ لحليمٌ أوّاهٌ منيب ﴾ [هود : ٧٥] .

● ثم **جويرية بنت الحارث** بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن جَذيمة وهو المُصْطَلِق بن سعيد بن كعب بن ربيعة بن حارثة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء ، سباهَا يومَ المريسيع في غزوة بني المُصْطَلِقْ . وقد تقدم ذكرها ، وقعت في سهم ثابت بن

قيس بن شماس ، كاتبَها على تسع أواقي ، فأدَّى عليه الصلاة والسلام عنها كتابتها ، وتزوَّجها ، وقال الشعبيُّ : كانت جُويرية من ملك اليمين ، فأعتقها عليه الصلاة والسلام ، وتزوَّجها ، وقال الحسن : مَنَّ رسولُ الله ﷺ على جُويرية ، وتزوَّجها . وقيل : جاء أبوها فافتداها ، ثم أنكحَها رسولَ الله ﷺ بعد ذلك . وكان اسمها بَرَّة ، فحوَّله رسولُ الله ﷺ وسمَّاها جُويرية . وكانت قبلَ رسول الله ﷺ عند مُسافع بن صفوان المُصْطَلِقي .

وكانت جميلةً ، قالت : عائشة : كانت جُويرية عليها مَلاحةٌ وحَلاوةٌ ، لا يكاد يراها أحدٌ إلا وقعت بنفسه . وعندما تزوَّجها عليه الصلاة والسلام ، قال الناس : صِهرُ رسول الله ﷺ ، فأرسلوا ما بأيديهم من سبايا بني المُصْطَلِق . قالت عائشة فلا نعلم امرأة كانت أكثرَ بركةً على قومها منها .

توفيت بالمدينة في شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين ، وصلَّى عليها مروان بن الحكم وهو أمير المدينة ، وقد بلغت سبعين سنة ؛ لأنه تزوَّجها وهي بنتُ عشرين سنة . وقيل : توفيت سنة خمسين ، وهي بنتُ خمس وستين سنة ، ولأبيها الحارث بن أبي ضرار صحبة ، وكان قد قدم في فِداء ابنته جُويرية بأباعرَ ، فاستحسنَ منها بعيرين فغيَّبها بالعقيق في شِعب ولم يعترف بهما لرسول الله ﷺ ، فأخبرَه النبيُّ ﷺ عنهما . فقال : والله لم يطلع على ذلك أحد ، أشهدُ أنك رسولُ لله ، وأسلم . ذكره ابن إسحاق والواقدي[1] .

● ثم **ريحانة** : بنت زيد بن عمرو بن خنافة بن شمعون بن زيد من بني النضير ، وبعضهم يقول من بني قريظة ، وكانت متزوجة فيهم رجلاً يُقال له الحكم ، وكانت جميلةً وسيمةً ، وقعت في سبي بني قريظة ، فكانت صفيَّ رسول الله ﷺ ، فخيَّرها بين الإسلام ودينِها ، فاختارت الإسلامَ ، فأعتقها وتزوَّجَها ، وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشَّاً ، وأعرسَ بها في المحرم سنة ست في بيت سلمى بنت قيس النجارية ، بعد أن حاضت حيضةً ، وضربَ عليها الحجابَ ، فغارتْ عليه غيرةً شديدة ، فطلَّقها تطليقة ، فأكثرتِ البكاء ، فدخل عليها وهي على تلك الحال فراجعَها . ولم تزلْ عندَه حتى ماتت مرجعَه من حجة الوداع سنة عشر .

(١) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٦٤٥–٦٤٦ .

وقيل : كانت موطوءةً له بملك اليمين ، والأول أثبتُ عند الواقدي ، وأما أبو عمر فقال : ريحانة سُرِّية النبيِّ ﷺ ، لم يزد على ذلك . ووالدُها شمعون يأتي ذكره في موالي النبي ﷺ .

● ثم أم حبيبة : **رملة بنت أبي سفيان** صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموية . أمُّها صفية بنت أبي العاص بن أمية عَمَّةُ عثمان بن عفان ، هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية ، فولدت له حبيبة ، وبها كانت تُكَنَّى ، وتَنَصَّر عُبيدُ الله هناك ، وثبتت هي على الإسلام ، وبعثَ رسولُ الله ﷺ عمروَ بن أمية الضَّمْري إلى النجاشي ، فزوَّجه إياها ، والذي عقد عليها خالدُ بن سعيد بن العاص ، وأصدقَها النجاشيُّ عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار على خلافٍ محكيٍّ في الصَّداق ، والعاقدِ من كان . وبعثَها مع شرحبيل بن حَسَنة ، وجهَّزها من عنده ، كلُّ ذلك في سنة سبع . وقد قيل في اسمها هند ، وزوَّجها من النبي ﷺ عثمان بن عفان ، وكان الصَّداقُ مائتي دينار ، وقيل : أربعة آلاف درهم . وقيل : قد عقد عليها النجاشيُّ ، وكان قد أسلم . وقيل : إنما تزوَّجها عليه الصلاة والسلام بالمدينة مرجعَها من الحبشة ، والأولُ أثبتُ في ذلك كله . وكان أبو سفيان في حرب رسول الله ﷺ ، فقيل له : إن محمداً قد نكحَ ابنَتَك . فقال : هو الفحلُ لا يُقدع أنفُه[1] . وكان أبو عبيدة يقول : تزوَّجها عليه الصلاة والسلام سنة ست ، وليس بشيء .

وقد وقع في الصحيح[2] قولُ أبي سفيان يوم الفتح للنبي ﷺ : أسألك ثلاثاً ؛ فذكر منهن : أن تتزوج يا رسولَ الله أمَّ حبيبة ــ يعني ابنتَه ــ فأجابه عليه الصلاة والسلام لِما سأل . وهذا مخالفٌ لِما اتُّفق عليه أرباب السِّيَر والعلم بالخبر ، وقد أجاب عنه الحافظ المنذري جواباً يتساوك[3] هزالاً . فقال : يكون أبو سفيان ظنَّ أن بما حصل له من الإسلام تجدَّدَتْ له عليها الولاية ، فأراد تجديدَ العقد يومَ ذلك لا غير[4] .

---

(١) « لا يُقدعُ أنفُه » : أي أنه كريم كفؤ لابنته . والجملة في أصلها ، مثل : وهو أن يكون الفحل غير كريم ، فإذا أراد ركوب الناقة الكريمة ضُربَ أنفُه بالرمح أو غيره حتى يرتدع وينكفَّ .

(٢) رواه مسلم في فضائل الصحابة (باب مناقب أبي سفيان) رقم /٢٥٠١/ .

(٣) « يتساوك هزالاً » : يتمايل ضعفاً .

(٤) استعرض الحافظ ابن كثير في كتابه « الفصول » ص ٢٤٨ أقوال العلماء في تأويل ما وقع في هذا الحديث ،

توفيت أم حبيبة سنة أربع وأربعين ، وبعد موتها استلحقَ معاوية زياداً ، وقيل : قبله ، والأول أشبه ، تحرجاً من دخوله عليها ، وكان الذي جَسَرَه على استلحاقه إياه الأبيات التي لأبي سفيان ، يُخاطب بها علياً :

أمـــا والله لولا خـــوفُ واشٍ ... يــراني يـــا عـــليُّ من الأعـــادي
لأظهـــرَ أمـرَهُ صخـرُ بن حـربٍ ... ولم يَكْـــنِ المـقـــالةَ عن زيـــادِ
فقـــد طـــالت مجامـلتي ثقيـفـــاً ... وتـــركي فيهـــمُ ثمـــرَ الفـــؤاد

● ثم **صفية بنت حيي بن أخطب** بن سعية بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير بن النَّحَّام بن ينحوم من بني إسرائيل من سبط هارون بن عمران عليه الصـــلاة والســـلام ، كان أبوهـا سيـد بني النضـــير ، فقُتـل مع بني قريظـة . وأمُّهـا برة بنت شموال أخت رفاعة بن شموال القرظي ، وكانت عند سَلاَّم بن مِشكم . ثم خلف عليها كِنانةُ بن الربيع بن أبي الحُقَيْق الشاعر النَّضْري ، فقُتل عنها يوم خيبر ، ولم تلد لأحد منهمـا شيئـاً ، فاصطفاها النبيُّ ﷺ لنفسـه ، فأعتقها وتزوجها ، وجعل عتقَها صداقَها . وبعض العلماء يعد ذلك من خصائصه عليه الصلاة والسلام . وكانت جميلة لم تبلغ سبعَ عشرة سنة .

روى حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس ؛ أن النبي ﷺ اشترى صفية بنت حيي بسبعة أرؤس . وخالفه عبد العزيز بن صُهيب وغيرُه : عن أنس ، فقالوا : إن رسول الله ﷺ لما جمعَ سبيَ خيبرَ ، جاءه دحيةُ الكلبيُّ ، فقال أعطني جاريةً من السبيِّ . فقال : اذهب فخذ جاريةً . فأخذ صفيـة بنت حيّي . فقيل : يا رسول الله إنها سيدةُ قريظة والنضـير ، وإنها لا تصلحُ إلا لك . فقال له النبيُّ ﷺ : خذ جارية من السبيّ غيرَها . وقال ابن شهاب : كانت مما أفاء الله عليـه ، فحجبَهـا ، وأولم عليهـا بتمر وسـويق ، وقسـم لها . ويُروى أن رسـول الله ﷺ دخل على صفيـة وهي تبكي ، فقال لها : ما يُبكيك ؟ قالت : بلغني أن عائشةَ وحفصةَ تنالان مني ، ويقولان : نحن خير من صفية ، نحن بنات عم رسول الله ﷺ

= ثم قال : « والصحيح في هذا أن أبا سفيان لما رأى صهر رسول الله ﷺ شرفاً أحبَّ أن يزوِّجه ابنته الأخرى ، وهي عزةُ ، واستعانه على ذلك بأختها أم حبيبة .. » .

وأزواجه . قال : أفلا قلت لهن كيف تكن خيراً مني وأبي هارون وعمي موسى ، وزوجي محمد رسول الله ﷺ[1] . وكانت صفية حليمةً عاقلةً فاضلةً . قال أبو عمر : روينا أن جارية لها أتت عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه ، فقالت : إن صفية تحبُّ السبتَ ، وتصلُ اليهودَ . فبعثَ إليها عمر ، فسألها ، فقالت : أما السبتُ فإني لم أحبه منذ أبدلني الله به يوم الجمعة ، وأما اليهود فإن لي فيهم رحماً ، فأنا أصلها . ثم قالت للجارية : ما حملك على ما صنعتِ ؟ قالت : الشيطان . قالت : اذهبي فأنت حرة[2] . وكانت صفية قد رأت قبل ذلك أن قمراً وقعَ في حجرها ، فذكرت ذلك لأبيها ، فضربَ وجهَهَا ضربةً أثّرت فيه ، وقال : إنك لتمدينَ عنقَكِ إلى أن تكوني عند ملك العرب . فلم يزل الأثر في وجهها حتى أتى بها رسول الله ﷺ ، فسألها عن ذلك ، فأخبرته الخبر .

وماتت صفية سنة خمسين في رمضان ، وقيل سنة اثنتين وخمسين . ودُفنت بالبقيع ، وورَّثت مائة ألف درهم بقيمة أرض وعَرَض ، وأوصت لابن أختها بالثلث ، وكان يهودياً .

● **ثم ميمونة بنت الحارث** بن حَزْن بن بُجير بن الهُزَم بن رُويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وكان اسمها برة ، فسماها ميمونة ، زوَّجه إياها العباس عمُّه ، وكانت خالةَ ابن عباس ، وهي أختُ لبابة الكبرى ، أمِّ بني العباس ، ولبابةَ الصغرى أمِّ خالد بن الوليد وعصماء وعزة ، وأمِّ حُفيد هُزيلة ، لأب وأم ، وأخواتُهن لأمهنَّ : أسماء وسلمى وسلامة بنات عُميس . وزاد بعضهم : زينب بنت خزيمة وأمهنَّ هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حُماطة الحميرية .

وكانت ميمونة في الجاهلية عند مسعود بن عمرو بن عُمير الثقفي ، ففارقها ، وخلفَ عليها أبو رُهُم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤي ، فتوفي عنها ، فتزوَّجها رسولُ الله ﷺ في شوال سنة سبع ، وفيها اعتمر عمرة القضية في ذي القعدة ، وقد اختلفت الرواية هل تزوَّجها عليه الصلاة والسلام وهو محرم ، أو

(١) رواه الترمذي في المناقب (باب مناقب أزواج النبي) رقم/٣٨٩١/ وفي سنده هاشم بن سعيد الكوفي ، وهو ضعيف ، وله شاهد من حديث أنس رواه الترمذي رقم/٣٨٩٤/ عن أنس ، والنسائي في الكبرى ، وأحمد في المسند ٣/١٣٦ .

(٢) الاستيعاب ٤/٣٤٨ .

وهو حلال ؟ فلما قدم مكة أقام بها عليه الصلاة والسلام ثلاثاً ، فجاءه سُهيل بن عمرو في نفر من أصحابه من أهل مكة ، فقال : يا محمد ! اخرجْ عنا ، اليوم آخرُ شرطك . فقال : دعوني أبْتَني بامرأتي ، وأصنع لكم طعاماً . فقال : لا حاجة لنا بك ، ولا بطعامك ، اخرجْ عنا . فقال سعد : يا عاضَّ بُظرَ أمِّه أرضُك وأرض أمك دونَه ، لا يخرجُ رسولُ الله ﷺ إلا أن يشاء . فقال له رسول الله ﷺ : دعهم ، فإنهم أزارونا ، لا نؤذيهم . فخرجَ ، فبنى بها بسَرِف حيث تزوَّجَ بها ، وهنالكَ ماتت في حياة عائشة سنة إحدى وخمسين ، وقد بلغت ثمانين سنة ، وقد قيل في وفاتها غير ذلك ، وهي آخر من تزوَّجَ عليه الصلاة والسلام . وقال ابن شهاب : هي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ . وقال السهيلي : لما جاءها الخاطبُ ، وكانت على بعير ، رمت بنفسها من على البعير ، وقالت : البعيرُ وما عليه لرسول الله ﷺ .

فهؤلاء نساؤه المدخولُ بهنَّ اثنتا عشرة امرأة ، منهنَّ ريحانة ، وقد ذكرنا الخلاف فيها ، ومات عليه الصلاة والسلام عن تسعٍ منهنَّ .

قال الحافظ أبو محمد الدمياطي : وأما من لم يدخل بها ، ومن وهبت نفسها له ، ومن خطبها ، ولم يتفق تزويجَها ، فثلاثون امرأة على اختلاف في بعضهن ، والله أعلم .

قال المؤلف : ولنذكر من تيسر لنا ذكره منهن على سبيل الاختصار : فمنهن :

● أسماء بنت الصلت السُّلمية .

● وأسماء بنت النعمان بن الجَوْن بن شراحيل . وقيل : بنت النعمان بن الأسود بن حارثة بن شُراحيل من كِنْدة .

● وأسماء بنت كعب الجَوْنية ، ذكرها ابن إسحاق من رواية يُونس بن بُكير عنه ، ولا أراها والتي قبلها إلا واحدة .

● وجمرة بنت الحارث الغطفاني ، خطبها عليه الصلاة والسلام لأبيها ، فقال : إن بها سوءاً . ولم يكن ، فرجع فوجدها قد بَرِصت .

● وأميمة بنت شُراحيل ، لها ذكر في صحيح البخاري .

● وحبيبة بنت سهل الأنصارية التي تركها ، فتزوَّجها ثابت ، قاله ابن الأثير .

● وخولة بنت الهذيل بن هُبيرة بن قُبيصة بن الحارث بن حبيب التغلبية ، ذكرها أبو عمر عن الجرجاني .

● وخولة أو خويلة بنت حكيم السُّلَمية ، كانت امرأة صالحة فاضلة ، تُكَنَّى أم شَريك ، وقيل : هي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ ، وقد تكونان اثنتين ، فالله أعلم .

● وسناء بنت الصلت ، وهي عند أبي عمر بنت أسماء بن الصلت ، وقيل : أسماء أخ لها ، وقيل : تزوَّجها ، ثم طلَّقها ، وقيل : ماتت قبل أن تصلَ إليه ، وقيل : لما علمت أنه تزوَّجها عليه الصلاة والسلام ماتت من الفرح .

● وسودة القرشية ، كانت مُصبية ، خطبها عليه الصلاة والسلام ، فاعتذرت ببنيها ، وكانوا خمسة أو ستة ، فقال لها خيراً .

● وشراف بنت خليفة ، أخت دحية الكلبي تزوَّجها ، فهلكت قبل دخوله بها .

● وصفية بنت بشامة بن نضلة ، أخت الأعور بن بشامة ، أصابَها سباءً ، فخيَّرها رسولُ الله ﷺ ؛ فقال : إن شئتِ أنا وإن شئت زوجُك ؟ قالت : زوجي . فأرسلَها إليه ، فلعنتها بنو تميم .

● والعالية بنت ظَبيان بن عمر بن عوف بن عبد بن أبي بكر بن كِلاب ، تزوَّجها عليه الصلاة والسلام ، وكانت عنده ما شاء الله ، ثم طلَّقها ، قاله أبو عمر . وقال : قلَّ مَنْ ذكرها .

● وعمرة بنت يزيد بن الجَوْن الكلابية ، تزوَّجها ، فبلَغه أن بها برصاً ، فطلَّقها ، ولم يدخل بها ، وقيل : هي التي تعوَّذت منه ، فقال لها : لقد عذتِ بمعاذ . فطلَّقها ، وأمر أسامةَ فمتَّعها بثلاثة أثواب .

● وعمرة بنت معاوية الكِنْدية ، ذكرها ابن الأثير .

● وأم شَريك العامرية ، قال ابن عبد البر : اسمها غزية بنت دُودان بن عوف بن عمرو بن عامر بن رفاعة بن حِجْر ، ويقال حُجير بن عبد بن مُعيص بن عامر بن لؤي ، يقال : هي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ ، وقد قيل ذلك في جماعة سواها .

● وأم شَريك بنت جابر الغفارية ، ذكرها أحمد بن صالح في أزواج النبي ﷺ .

● وفاختة بنت أبي طالب بن عبد المطلب ، خطبها عليه الصلاة والسلام لأبيها عمِّه أبي طالب ، وخطبَها هُبيرة بن أبي وهب ، فزوَّجها أبو طالب من هُبيرة .

● وفاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابي ، تزوَّجها ، وخيَّرها حين نزلت آيةُ التخيير ، فاختارت الدنيا ، ففارقها ، فكانت بعد ذلك تلقط البعرَ ، وتقول : أنا الشقية اخترتُ الدنيا . حكاه أبو عمر ، وردَّه ، وقيل : التي كانت تقول : أنا الشقية ، هي المستعيذة منه ، وقيل غيرُ ذلك .

● وفاطمة بنت شُريح ، قال ابنُ الأمين : ذكرها أبو عبيدة في أزواج النبي ﷺ .

● وقُتيلة بنت قيس بن معدي كرب أخت الأشعث ، تزوَّجها قبل موته بيسير ، ولم تكن قدمت عليه ولا رآها ، قيل : وأوصى أن تُخيَّر فإن شاءت ضُرب عليها الحجاب وحُرِّمت على المؤمنين ؛ وإن شاءت طُلِّقت ونكحت من شاءت ، فاختارت النكاح ، فتزوَّجها بعدُ عكرمة بن أبي جهل .

● وليلى بنت الخطيم ــ أختُ قيسٍ ــ الأنصارية ، عرضت نفسَها على النبيِّ ﷺ فتزوَّجَها ، ثم رجعت ، فقالت : أقلني . فقال : قد فعلت .

● ومُليكة بنت داود ، ذكرها ابن حبيب .

● ومليكة بنت كعب الليثي ، تزوَّجَها ، وقيل : دخل بها ، وقيل لم يدخل .

● وهند بنت يزيد بن البرصاء ، من بني أبي بكر بن كلاب ، ذكرها أبو عبيدة في أزواج النبي ﷺ ، وقال أحمد بن صالح : هي عمرة بنت يزيد . قال أبو عمر : فيه نظر ، لأن الاضطراب فيه كثير جداً .

وأما سراريه ، فكن أربعاً :

● مارية بنت شمعون القبطية ، أم ولده إبراهيم ، وكانت من حَفْن ، من كورة أَنْصَنَا ، من صعيد مصر ، أهداها إليه المقوقس ، ومعها أختُها سيرين ، وألف مِثقالٍ ، وعشرون ثوباً من قباطي مصر ، والبغلة الشهباء دلدل ، وحمار أشهب يُقال له يعفور أو عُفير ، وخصيٌّ

يُسمى مابور ، وقيل : إنه ابن عمها ، ومن عسل بنها ، فأعجب النبيَّ ﷺ العسلُ ، ودعا في عسل بنها بالبركة ، فولدت له عليه الصلاة والسلام ماريةُ إبراهيم ، وقد تقدم ذكره .

● وريحانة بنت يزيد النَّضْرِية ، وقد سبق ذكرها .

● ● وقال أبو عبيدة : كان له أربع : مارية ، وريحانة ، وأخرى جميلة ، أصابها في السبي . وجارية وهبتها له زينب بنت جحش . وقال قتادة : كان للنبيِّ ﷺ وليدتان : مارية وريحانة وبعضُهم يقول : رُبَيْحة القرظية .

*　*　*

ذكر خدم رسول الله ﷺ

● أنس بن مالك الأنصاري ● وهند وأسماء ابنا حارثة الأسلميان . ● وربيعة بن كعب الأسلمي . ● وكان عبد الله بن مسعود : صاحبَ نعليه ، كان إذا قام ألبسه إياهما ، وإذا جلس جعلهما في ذراعيه حتى يقوم . ● وكان عقبة بن عامر الجهني : صاحبَ بغلته ، يقود به في الأسفار . ● وأسلع بن شريك : صاحبَ راحلته . ● وبلال بن رباح المؤذن . ● وسعد مولى أبي بكر الصديق . ● وأبو الحمراء ، قيل : اسمه هلال بن الحارث . وقيل : هلال بن ظَفَر ، حديثه عن النبي ﷺ ؛ أنه كان يمر ببيت علي وفاطمة ، فيقول : السلام عليكم أهل البيت ﴿ إنما يُريدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عنكمُ الرِّجْسَ أهلَ البيتِ ويُطَهِّرَكم تطهيراً ﴾ [الأحزاب : ٣٣][1] . ● وذو مخمر : ابن أخي النجاشي ، ويُقال : ابن أخته . ويقال : ذو مخبر . ● وبُكير بن شَدَّاخ الليثي ، ويقال : بكر . ● وأبو ذرّ الغفاري . ● ورَزِينة امرأة ، حديثها عن النبي ﷺ في فضل يوم عاشوراء عند أهل البصرة[2] . ● وأُرْبَد : كذا وجدته فيهم ، غير منسوب ، وقد ذكر إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق فيمن هاجر إلى المدينة : أربد بن حُمَيِّر ، فلا أدري أهو هو ؟ أم لا . ● والأسود بن مالك الأَسْدي اليماني ، وأخوه الحَذْرَجان بن مالك ، وجَزْءُ بن الحَذْرجان ، ذكرهم ابن منده . ● وثعلبة بن عبد الرحمن الأنصاري ، له حديث حسن طويل ، من طريق المنكدر بن محمد بن المنكدر ، عن أبيه ؛ عن جابر ، قال : كان فتى من الأنصار يخفُّ برسول الله ﷺ ويُحدِّثه أنه مر بباب رجل من الأنصار ، فاطَّلَعَ فيه ، فوجد امرأة الأنصاريّ تغتسلُ فكرَّرَ النظرَ ، وذكر باقي الحديث بطوله في سبب توبته . ذكره أبو محمد الرُّشاطي ، وقال : أغفله أبو عمر ، ولم ينبّه عليه ابن فتحون ، وقد رأيتُ عن أبي حاتم البستي ، قال في ثعلبة هذا : مات خوفاً من الله في حياة النبيِّ ﷺ ، وهو إشارةٌ إلى هذا الحديث[3] . ● وسالم خادمه عليه الصلاة والسلام ،

---

(١) الاستيعاب ٤/٤٦ .

(٢) المصدر السابق ٤/٣١٠ .

(٣) ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة ١/٢٠٠ وقال : روى ابن شاهين وأبو نعيم مطولاً ؛ من جهة سليم بن

وبعضهم يقول مولاه . ● ومنهم من يقول أبو سَلمى : راعي رسول الله ﷺ . ● وقد ذكر بعضهم : سلمى خادم رسول الله ﷺ ، وقيل : هو سالم المذكور . ● وسابق[1] : ذكره أبو عمر ، وقال : روي عنه حديث واحد من حديث الكوفيين ، اختلف فيه على شُعبة ومِسعر ، والصحيح فيه عنهما : ما رواه هُشيم وغيرهُ ، عن أبي[2] سفيان ، عن سابق بن ناجية ، عن أبي سَلاَّم خادم رسول الله ﷺ . قال : ولا يصح سابق في الصحابة ، والله أعلم .

والحديث الذي أشار إليه عن أبي سلام خادم رسول الله ﷺ ، عن رسول الله ﷺ ، قال : « ما من عبد يقول حين يُمسي وحين يُصبح ثلاث مرات : رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ، إلا كان حقاً على الله أن يرضيَه يوم القيامة » .

قال أبو عمر : ومن قال في أبي سَلاَّم هذا أبو سَلاَّمة فقد أخطأ . هو أبو سلاَّم[3] الهاشمي ، ذكره في الصحابة وفي خدم النبي ﷺ خليفةُ بن خياط .

● وصفية خدمت النبيَّ ﷺ ، روت عنها أمة الله بنت رزينة في الكسوف مرفوعاً[4] ، قاله ابن عبد البر . ● ومُهَاجِر مولى أم سلمة ، روى أبو عمر من حديثه ، قال : خدمت رسول الله ﷺ خمسَ سنين ، لم يقل لشيء صنعتهُ لم صنعتَه ، ولا لشيء تركتُه لم تركتَه[5] ؟ . ● ونُعيم بن ربيعة بن كعب ، ذُكر عن ابن منده وأبي نعيم . ● وأبو عبيد

= منصور بن عمار ، عن أبيه ، عن المنكدر ... قال ابن منده بعد أن رواه مختصراً : تفرد به منصور . قلت : وفيه ضعف وشيخه أضعف منه ، وفي السياق مايدل على وهن الخبر . وانظر الخبر في المقاصد السنية ؛ لابن بلبان المقدسي ص ٢٤٠ بتحقيقنا .

(١) سيتبين من السياق بعد قليل أن ذكر سابق في الصحابة ؛ أو في خدم رسول الله ﷺ وهم وقع فيه بعض المحدثين .

(٢) كذافي الأصول ، والصحيح هو أبو عقيل هاشم بن بلال قاضي واسط . انظر التهذيب والاستيعاب ٤/٩٨ .

(٣) هذه الطريق هي الصحيحة عن مسعر ، وأما الطريق الأخرى التي نصَّ ابن عبد البر على خطئها في الاستيعاب ٤/٩٩ ؛ فهي طريق وكيع عن مِسعر ، عن أبي عقيل عن أبي سلامة ، عن سابق خادم رسول الله ﷺ .

(٤) الاستيعاب ٤/٣٥٠ .

(٥) الاستيعاب ٤/٣٥٠ .

قال أبو عمر : قيل خادم رسول الله ﷺ وقيل مولاه ، لم أقف له على اسم .

ومن النساء سوى ما تقدم : ● أمة الله بنت رُزينة ، وقد تقدم ذكر أمها . ●وخولة : جدة حفص بن سعيد ، ذكرها أبو عمر[1] ، وقال : لها حديث في تفسير قوله تعالى : ﴿ والضُّحَى * والليلِ إذا سَجَى * ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وما قَلَى ﴾ [الضحى : ١ــ٣] ليس إسناده مما يُحتج به . ● ومارية جدة المثنى بن صالح ، لها حديث عند الكوفيين . ومارية أم الرباب ، لها حديث عند البصريين ، ذكرهما أبو عمر[2] ، وذكرَ حديثَيْهما ، وقال في الثانية : لا أدري أهي التي قبلها أم لا .

* * *

(١) الاستيعاب ٤٣٧/٣ .

(٢) المصدر السابق ٤١٤/٤ .

ذكر موالي رسول الله ﷺ

● زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي . ● وابنه أسامة بن زيد ، وأخوه لأمه : أيمن بن عبيد بن أم أيمن ، استشهد أيمن يوم حنين ، وكان على مطهرة النبي ﷺ . وأسلم بن عُبيد . ● وأبو رافع ، واسمه أسلم ، وقيل إبراهيم ، وقيل هرمز ، وكان للعباس بن عبد المطلب ، وقيل كان لسعيد بن العاص أبي أحيحة . ● وأبو رافع أيضاً والد البهي بن أبي رافع ، وقيل كان اسمه رافعاً ، كان لأبي أحيحة سعيد بن العاص ، فمات فورثه بنوه فعتق بعضُهم ، وبعضُهم وهب نصيبَه لرسول الله ﷺ ، فأعتقه رسول الله ﷺ ، وهو الأول عند ابن أبي خيثمة والبخاري ومصعب الزبيري ، ومنهم من يقول : هما اثنان . ● وأبو أُثيلة : رأيته بخط شيخنا الحافظ أبي محمد الدمياطي ، ولم يسمِّه ، ولم ألق له ذكراً أكثر من أن أبا عمر قال في الصحابة : أبو أثلة . قيل : اسمه راشد ، حجازي له صحبة . وكذلك قال أبو أحمد الحاكم ، وكناه : أبا أُثيلة مصغراً . ● وأبو كبشة : واسمه سُليم ، شهد بدراً . ● وأنسة : يُكَنَّى أبا مُسرّح . ● وثوبان : ويُكَنَّى أبا عبد الله . ● وشُقران : واسمه صالح ● ورَبَاح : أسود ، كان يأذن على النبي ﷺ ● ويَسَارَ : نُوبِيٌّ ● وأبو السَّمح : قيل اسمه إياد ، ضَلَّ فلا يُدرى أين مات . ● وأبو مُويهبة ● ورافع ، وكان لسعيد بن العاص ● وأفلح ● ومابور ● ومِدْعَم : أسود ، وهبه له رِفاعة بن الجذُامي ● وكِرْكِرَة : كان على ثَقَل النبي ﷺ ● وزيد : جد بلال بن يَسَار بن زيد . ● وعُبيد ● وطَهْمَان ● وكَيْسَان ● وذَكْوان ● ومروان ● وواقد ● وأبو واقد ● وسَنْدَر ● وهشام ● وحُنَيْن ● وسعيد ● وأبو عَسِيب ، واسمه أحمر . ● وأبو لُبابة ● وأبو لقيط ● وسفينة : واسمه مِهران بن فروخ ، مولى أم سلمة . ● وأبو عُبيد ● وسعد ● وضُميرة بن أبي ضُميرة ، جد الحسين بن عبد الله بن ضُميرة . ● وأبو هند ● وأبو بكرة : نُفيع ، وأخوه نافع . وأبو كِنْدير سعيد ● وسلمان الفارسي ● وسالم ● وسابق .

وقد تقدم في الخدم ذكر شيء من ذلك .

● وعبيد الله بن أسلم ● ونبيه ● وهشام ● ووَرْدَان ● وأَنْجَشَة : وكان حادياً ، وهو الذي قال له : « رفقاً بالقوارير »[1] . ● وباذام : ذكره النووي عن أبي موسى ، ونقل له حديثاً . ● وحاتم : ذكره ابن الأثير ، عن أبي موسى . ● وزيدُ بن بَوْلا ● ودوسٌ ● ورويفعٌ ● وأبو ريحانةَ شمعون ــ وتقدم ذكر ريحانة هذه ــ وعُبيد بن عبد الغفار ● وغيلانُ ● وقَفِيْزٌ : غلام رسول الله ﷺ ، ذكره عبد الغني بن سعيد ، والدارقطني في « المؤتلف والمختلف » من طريق أنس بن مالك . ● وكُرَيبٌ ● ومحمدٌ بن عبد الرحمن . ● ومحمدٌ : غير منسوب ● ومكحولٌ ، وذُكر أنه عليه الصلاة والسلام وهبه أختَه من الرضاعة الشيماء . ● ونبيلٌ ● وهرمزُ ● وأبو البشير ● وأبو صفية ، وكان يُسبِّح بالنوى .

ومن النساء : ● أم أيمن الحبشية ، واسمها بركة ● وسلمى : أم رافع ● ومارية ● ورَيحَانة ● ورُبَيْحة . ــ وقد تقدم ذكرهن ــ ● وخَضِرة ● ورَضْوى ● وميمونة بنت سعد ● وميمونة بنت أبي عَسيب ● وأم ضُمَيْرة ● وأم عَيّاش ● وأميمة : مولاة النبي ﷺ ، روى عنها جُبير بن نُفير ، قاله أبو عمر . ● وقيسرَ : القبطية ، أهداها له المقوقس مع مارية ● وسيرين : قيل إنه عليه الصلاة والسلام وهبَها لأبي جهم بن حذيفة ، وقيل : وهبها لجهم بن قيس العبدي ، وذكر ابن يونس : أن زكرياء بن الجهم بن قيس لقيسرَ أخت مارية هذه ، وأما سيرين فوهبها لحسَّان بن ثابت ، فولدُه عبد الرحمن منها .

وقد ذكرنا في هذا الفصل ميمونة بنت سعد ، وميمونة بنت أبي عسيب ، ذكرهما أبو عمر ، وذكر معهما ميمونة ثالثة ، وقال في كل منهنّ : مولاة النبي ﷺ ، ولم ينسبِ الثالثة ، غير أنه فرَّقَ بينهن بروايتهن ، وذكر لكل واحدة حديثاً غير الآخر .

* * *

(١) رواه البخاري في الأدب (باب المعاريض) رقم /٦٢٠٩/ بلفظ « ارفق يا أنجشة ــ ويحك ــ بالقوارير » .

ذكر أسمائه
عليه الصلاة والسلام

قد قدمنا في أول الكتاب حديثَ الترمذي : « إن لي أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي ، الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر : الذي يُحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب : الذي ليس بعده نبي »[1] .

وقد ذُكر من أسمائه ﷺ : الرسول ، المرسل ، النبيُّ ، الأميُّ ، الشهيدُ ، المُصدّق ، النور ، المُعلّم ، البشير ، المُبَشّر ، النذير ، المُنذر ، المبين ، الأمين ، العبد ، الدّاعي ، السِّراج ، المنير ، الإمام ، الذِّكْر ، المُذَكِّر ، الهادي ، المُهَاجِر ، العامل ، المُبَارك ، الرحمة ، الآمر ، النّاهي ، الطَّيِّبُ ، الكريم ، المُحَلِّلُ ، المُحَرِّم ، الواضِع ، الرَّافع ، المُجير ، خَاتَم النبيين ، ثاني اثنين ، منصور ، أُذُن خير ، مصطفى ، مأمونٌ ، قاسمٌ ، نقيبٌ ، المُزَمِّل ، المدثر ، العلي ، الحكيم ، المؤمن ، الرؤوف ، الرحيم ، الصَّاحِبُ ، الشفيعُ ، المُشَفَّعُ ، المُتَوَكِّل ، نبيّ التوبة ، نبيّ الرحمة ، نبيّ الملحمة . ﷺ .

* * *

(١) رواه الترمذي في الأدب (باب ماجاء في أسماء النبي) رقم/٢٨٤٢/ .

ذكرُ كُتَّابِه

عليه أفضل الصلاة والسلام

● أبو بكر ● وعمر ● وعثمان ● وعامر بن فُهيرة ● وخالد ، وأبان : ابنا سعيد بن العاص أبي أُحيحة . وذكر شيخنا الحافظ أبو محمد الدمياطي أيضاً أخاهما سعيداً ● وعبد الله بن الأرقم الزهري ● وحنظلة بن الربيع الأسيدي ● وأُبيُّ بن كعب ، وهو أول من كتبَ له من الأنصار ● وثابت بن قيس بن شماس ● وزيد بن ثابت ● وشرحبيل بن حسنة ● ومعاوية بن أبي سفيان ● والمغيرة بن شعبة ● وعبد الله بن زيد ● وجُهم بن الصلت ● والزبير بن العوام ● وخالد بن الوليد ● والعلاء بن الحضرمي ● وعمرو بن العاص ● وعبد الله بن رواحة ● ومحمد بن مسلمة ● وعبد الله بن عبد الله بن أُبَيّ ● ومعيقيب بن أبي فاطمة ● وعبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري ، وهو أول من كتبَ له من قريش ، ثم ارتد فنزلت فيه : ﴿ فمنْ أظلمُ مِمَّنِ افْتَرَى على اللهِ كَذِباً ﴾ [الأنعام : ١٤٤] .

وذُكر في كتابه عليه الصلاة والسلام أيضاً : ● طلحة ● ويزيد بن أبي سفيان ● والأرقم بن أبي الأرقم الزهري ● والعلاء بن عتبة ● وأبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد ● وبُريدة بن الحُصَيب ● والحصين بن نمير ● وأبو سلمة المخزومي ، عبد الله بن عبد الأسد ● وحُويطب بن عبد العزى ● وأبو سفيان بن حرب ● وحاطب بن عمرو .

وروينا من طريق أبي داود : من حديث أبي الجوزاء ، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ، قال : السِّجِلُّ ، كان كاتباً لرسول الله ﷺ[1] .

وروينا من طريق النزال بن سَبْرة ، عن علي ، قال : كان ابن خَطَل يكتبُ قُدَّام النبيِّ ﷺ ، فكان إذا نزل : ﴿ غفورٌ رحيم ﴾ كتب : رحيم غفور ، وإذا نزل : ﴿ سميعٌ عليم ﴾ كتب : عليم سميع . وفيه : فقال ابن خَطَل : ما كنتُ أكتبُ إلا ما أُريد .

---

(١) رواه أبو داود في الخراج والإمارة والفيء(باب في اتخاذ الكاتب) رقم /٢٩٣٥/ وهو حديث موضوع كما نقل ابن القيم عن ابن تيمية رحمهما الله تعالى .

ثم كفرَ ولحق بمكة . فقال رسول الله ﷺ : من قتلَ ابنَ خَطَل فهو في الجنة . فقُتل يوم الفتح وهو متعلق بأستار الكعبة .

هذا وَهَم ، والنزَّال بن سَبْرة له صحبة ، وروايته عن علي مخرجة في الكتب ، وإنما الحمل فيه على من هو دونه ، وهذه الواقعة معروفة عن ابن أبي سرح ، وهو ممن كان النبيُّ عليه الصلاة والسلام أهدرَ دَمه يوم الفتح كابن خَطَل ، فقُتل ابن خَطَل ، ودَخلَ بابن أبي سرح على رسول الله ﷺ عثمانُ بن عفان ، فراجع الإسلام بين يديه عليه الصلاة والسلام ، فقبله بعد تلوُّم ، وقد أوردنا ذلك قبل هذا في يوم الفتح . ولم يُنقم على ابن أبي سرح بعد ذلك شيء في إسلامه ، ومات ساجداً رحمه الله ، ورضي عنه .

وذكر ابن دحية فيهم رجلاً من بني النجار غير مسمى ، قال : كان يكتبُ الوحيَ لرسول الله ﷺ ، ثم تنصر ، فلما ماتَ لم تقبلْه الأرضُ .

ذِكْرُ حُرَّاسِهِ ومن كان يضرب الأعناق بين يديه ومُؤَذِّنيه عليه الصلاة والسلام

حرسه يوم بدر حين نام في العريش سعد بن معاذ ● ويوم أحد محمد بن مسلمة ● ويوم الخندق الزبير بن العوام ● وحرسه ليلة بنى بصفيّة أبو أيوب الأنصارى بخيبر أو ببعض طريقها ، فذكرَ أنَّ رسول الله ﷺ قال : اللهم احفظ أبا أيوب كما باتَ يحفظني . ● وحرسه بوادي القرى بلال ، وسعدُ بن أبي وقاص ، وذكوان بن عبد قيس . ● وكان على حرسه عباد بن بشر ، فلما نزلت ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ [المائدة : ٦٧] ترك الحرسَ .

وكان الذين يضربون بين يديه الأعناق : عليٌّ ، والزبير ، والمقداد ، ومحمد بن مَسلمة ، وعاصم بن ثابت .

ومؤذنوه : بلال ، وعبد الله بن عمرو بن أم مكتوم الأعمى ، وسعدُ القرَظ بن عائذ مولى عمار بن ياسر ، وأبو محذورة سمرة بن مِعْيَر ، وقيل : أوس .

ذكـر العشرة من أصحابه
والحواريِّين وأهلِ الصُّفَّة

وليس من العشرة والحواريين إلا من تقدم نسبه ، فيُنظرُ في موضعه ، وهم : أبو بكر ، وعمـر ، وعثمانَ ، وعلي ، وطـلحـة ، والزبـير ، وسعـد بن أبي وقـاص ، وسعيد بن زيد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو عبيدة عامر بن الجراح ، رضي الله عنهم . وأُنشدتُ بيتاً ، جمعهم فيه ناظمُه ، والذي تقدمه توطئة له :

لقـد بُشِّـرتْ بعـد النبيّ محمّدٍ — بجنـةِ عـدنٍ زمرةٌ سُـعداءُ
سعيدٌ ، وسعـد ، والزبيرُ ، وعامرٌ — وطـلحـةُ ، والزهريُّ ، والخلفـاءُ

وأما الحواريون : والحواريُّ : الخليل ، وقيل : الناصر ، وقيل : الصاحب المستخلص . فكلُّهم من قريش ، وهم : الخلفاء الأربعة ، وحمزة ، وجعفر ، وأبو عبيدة ، وعثمان بن مظعون ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة ، والزبير .

وأما أصحاب الصفة : فقوم فقراء ، لا منزلَ لهم غير المسجد . روينا عن ابن سعد : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني محمد بن نُعيم المجمر ، عن أبيه ، قال : سمعت أبا هريرة يقولُ : رأيت ثلاثينَ رجلاً من أهل الصفة ، يُصلُّون خلفَ رسول الله ﷺ ، ليس عليهم أردية .

عُدَّ منهم : أبو هريرة ، وأبو ذر ، وواثلةَ بن الأسقع ، وقيس بن طخفة الغفاري . وقد ذكر في عددهم أكثر من ذلك بكثير .

ذكر سلاحه عليه الصلاة والسلام

● سيف يقال له مأثور ، ورثه من أبيه ، وقدم به المدينة . ●والعَضْب : أرسل إليه به سعد بن عبادة عند توجهه إلى بدر . ● وذو الفقار : كان في وسطه مثل فقرات الظهر ، غنمه يومَ بدر ، وكان للعاص بن منبه السَّهمي ، وكان ذو الفقار مع النبي ﷺ بعد في حروبه كلِّها ، وكانت قائمته وقبيعته[1] وحَلْقته وعِلاقته فضة ، وهو بكسر الفاء ، وقيد أيضاً

---

(١) « قبيعته » : هو ماعلى طرف مقبضه من فضة أوحديد ونحوها .

بفتحها . ● والصمصامة : سيف عمرو بن معدي كرب ، وكان مشهوراً . ● وأصاب من سلاح بني قينقاع ثلاثة أسياف : سيفاً قَلَعياً ، بفتح اللام ، نسبة إلى مرج قلعة بالبادية ، والبَتَّارُ والحتف ● وكان له أيضاً الرَّسُوب والمِخْدم : أصابهما مما كان على الفُلْس ؛ صنم طيء ، وهو بضم الفاء وسكون اللام . ● والقضيب ، فتلك عشرة .

وكان له درعٌ يقال لها : ذاتُ الفُضول ؛ لطولها ، أرسل إليه بها سعد بن عبادة حين سار إلى بدر . ● وذات الوِشاح . ● وذات الحواشي . ● ودرعان : أصابهما من بني قينقاع : السُّغْدية ، وفضة ويُقال : السغدية : كانت درعَ داود ، التي لبسها لقتال جالوت . ● والبتراء ● والخِرْنق . فتلك سبع .

وكان له من القسيّ خمس : ● الروحاء ● والصفراء : من نَبَع ● والبيضاء من شوحط ، أصابهما من بني قينقاع . ● والزوراء ● والكتوم ؛ لانخفاض صوتها إذا رمى عنها .

وكانت له جعبة : وهي الكنانة ، يجمع فيها نبلَه ، **ومنطقة** : من أديم مبشور ، ثلاث حِلَقها وأبزيمها وطرفها فضة .

وثلاثة أتراس : الزَّلُوق ، وفتَق ، وأُهدي له ترس فيه تمثال عُقاب أو كبش ، فوضعَ يدَه عليه ، فأذهب الله ذلك التمثال .

وخمسة أرماح : ثلاثة من بني قينقاع ، والمُثْوِي ، والمُثني .

وكانت له حربة : تسمى النَّبْعَة ، ذكرها السهيلي . وحربة كبيرة اسمها البيضاء ، وحربة صغيرة دون الرمح ، شبه العُكَّاز ، يقال لها : العَنَزَة .

وكان له مِغفران : الموشح ، والسبوغ ، أو ذو السبوغ .

وراية سوداء : مربعة ، يقال لها : العُقاب ، وراية بيضاء : يُقال لها الزينة ، وربما جعلَ فيها الأسود .

وروى أبو داود في سننه : من حديث سِماك بن حرب ، عن رجل من قومه ، عن آخر منهم قال : رأيت رايةَ رسول الله ﷺ صفراء[1] .

(١) رواه أبو داود في الجهاد (باب في الرايات والألوية) رقم /٢٥٩٣/ وفي إسناده رجل مجهول .

وروى أبو الشيخ بن حيَّان : من حديث ابن عباس ، قال : كان مكتوباً بأعلى راياته : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

وقال الحافظ أبو محمد الدمياطي : قال يوسف بن الجوزي : روي أن لواءه أبيض ، مكتوب عليه : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

وكان **فسطاطه** : يُسمى الكِنَّ .

وكان له **مِحْجَن** : قدر ذراع ، أو أكثر ، يمشي ويركبُ به ، ويُعلِّقه بين يديه على بعيره .

وكان له **مِخصَرة** : تسمى العُرجون . **وقضيب** : يُسمى الممشوقَ ، من شوحط .

وقدح : يسمى الريان ، وآخر مُضَبَّبٌ ، يقَدْرُ أكثر من نصف المُدّ فيه ، فيه ثلاث ضبات من فضة ، وحلقة كانت للسفر ، وثالث من زجاج .

وكان له **تَوْر** من حجارة ، يقال له : المِخْضَب ، يتوضأ فيه ، وكان له مِخْضب من شَبَه[1] يكون فيه الحناء . **وركوة** : تسمى الصادرة ، **ومَغسل** : من صُفْر[2] . **وربعة** : إسكندرانية : من هدية المقوقس ، يجعل فيها مُشطاً من عاج ، ومِكْحلة ، ومِقراضاً ومِسواكاً ومِرآة .

وكانت له أربعة أزواج **خفاف** : أصابها من خيبر ، **ونعلان** سِبْتيتان[3]. وخفٌّ سَاذَج[4] ، أسود ، من هدية النجاشي **وقصعة وسرير وقطيفة** .

وقد اختلفت الروايات في صفة **الخاتم** ، فيُحتمل أن تكون خواتم متعددة ، وقد كان له خاتم من فضة ، وخاتم من ذهب ، لبسه ثم طرحه ، وخاتم حديد ملويّ بفضة ، نقشه « محمد رسول الله » .

وكان يتبخر **بالعود** ويطرح معه **الكافور** .

---

(١) « شبه » : نحاس أصفر .

(٢) « صفر » : نحاس .

(٣) « سبتيتان » : مدبوغتان قُطع عنهما شعرهما .

(٤) « ساذج » : معرب سادة ، خالص السواد .

وقال ابن فارس : ترك رسولُ الله ﷺ يومَ مات ثوبي حِبَرَة ، وإزاراً عُمانياً ، وثوبين صحاريين ، وقميصاً صَحَارياً ، وآخرَ سحولياً ، وجُبّة يمنية ، وكِساء أبيض ، وقلانسَ صِغاراً لاطئة[1] ثلاثاً أو أربعاً . وإزاراً طوله خمسة أشبار ، وخميصة[2] ، ومِلحفة مُورسة[3] ، وكان يلبس يوم الجمعة بردَه الأحمر ، ويعتمُّ .

وكان له ﷺ عِمامة يعتم بها يُقال لها السحاب ، وهبها لعلي ، وعمامة سوداء ، ويلبس يوم الجمعة ثوباً غير ثيابه المعتادة كل يوم ، ولا يخرج يوم الجمعة إلا معتماً بعمامة يُرسلها بين كتفيه ، ويُديرها ويغرزها .

وكان له رداء[4] مربع ، وكان له فراش من أدم حشوه ليف ، وكساء أحمر ، وكساء من شعر ، وكساء أسود ، ومنديل يمسح به وجهه .

وسُئلت حفصة ما كان فراش رسول الله ﷺ ؟ قالت : مِسْح[5] ، نَثْنِيه ثَنْيتين فينام عليه ، فلما كان ليلةً ثنيته بأربع ثَنَيات ليكون أوطأ ، فلما أصبح قال : « ما فرشتم لي ؟ » قلنا : هو فراشك ، ثنيناه أربعاً . قال : « ردوه لحاله الأول ، فإنه منعتني وطأته صلاةَ الليل » . ذكره الترمذي[6] في الشمائل .

وكان له قدح من عَيْدان ، يُوضع تحت سريره يبول فيه من الليل ، رواه أبو داود[7] والنسائي .

---

(١) « لاطئة » : لا صقة بالرأس .

(٢) « خميصة » : كساء مربع ذو خطوط ، أو عدة ألوان (وهو أقرب ما يكون إلى ثوب فضفاض ، من غير أكمام مفتوح من جانبيه) .

(٣) « مورسة » : فيها أثر الورس ، وهو الزعفران .

(٤) « رداء مربع » : هو الخميصة المذكورة قبل قليل ، والله أعلم .

(٥) « مِسْح » : بكسر الميم ، كساء خشن يُعدُّ للفراش من صوف .

(٦) رواه الترمذي في الشمائل (باب ما جاء في فراش رسول الله ﷺ) رقم /٣٢٢/ .

(٧) رواه أبو داود في الطهارة (باب في الرجل يبول بالليل في الإناء) رقم /٢٤/ والنسائي في الطهارة (باب البول في الإناء) ٣١/١ .

وكان له سرير ينام عليه ، قوائمه من ساج[1] ، بعثَ به إليه أسعد بن زرارة ، فكان الناس بعده يستحملون عليه موتاهم تبرُّكاً به .

ذكر فوائد تتعلق بهذا الفصل

سوى ما تقدم

- البَتَّار والمِخذم : القاطع .
- والحتف : الموت .
- والرَّسوب : من رسب في الماء إذا غاص فيه ، لأن ضربته تغوص في المضروب به .
- ومرج القلعة : قريب من حلوان على طريق هَمْدان .
- والسغد : موضع تُصنع به الدروع ، عن ابن القَطَّاع .
- والخِرْنق : ولد الأرنب .
- والفُسطاط : البيت من الشعر .
- والكِنُّ : ما يستر من الحر والبرد .
- والمِغفر : ما يلبسه الدارع على رأسه من زَرَد أو نحوه .
- ورداء مربع : طوله أربعة أذرع ، وإنما اختلف في عرضه ، فقيل ذراع وشبر ، وقيل ذراعان وشبر .
- وقدح من عَيْدان : مفتوح العين المهملة ، ساكن الياء ، آخر الحروف . والعَيْدانة : النخلة السحوق . قال الشاعر :

إنَّ الرياحَ إذا ما أعصفتْ قصفتْ عَيْدانَ نجد ولم يعبأن بالرَّتَم[2]
بناتُ نعشٍ ونعشٌ لا كسوف لها والشمسُ والبدرُ منها الدهرَ في الرَّقَم[3]

---

(١) « من ساج » : من خشب .
(٢) « الرَّتم » : نبات يشبه نبات السعدان ، غير أنه بلا شوك .
(٣) المراد أن الشمس والقمر يصابان بالكسوف .

ذكر خيله

عليه أفضل الصلاة والسلام ، وما له من الدواب والنَّعم

● السَّكْبُ : وكان اسمه قبل أن يشتريه : الضرسَ ، اشتراه بعشر أواق ، أوّلُ ما غزا عليه ﷺ أحداً ، ليس للمسلمين غيره .

● وفرس أبي بردة بن نيـار ، ويسـمى مُلاَوِح ، وكان أغرَّ ، مُحُجَّلاً ، طلقَ اليمين ، كُميتاً ، وقيل : كان أدهَم ، روي ذلك عن ابن عباس .

شُبِّه بفيض الماء وانسكابه . والضِّرْس : الصعب السيء الخلق . والمُلاَوِح : الضَّامِر ، الذي لا يُسمن ، والعظيم الألواح : وهو المِلْواح أيضاً[1] .

● وكان له فرس ، يُقال له المُرتَجِز : سمي بذلك لحسن صهيله ، كأنه يُنشد رَجَزاً ، وكان أبيضَ ، وهو الذي شهد له فيـه خزيمة[2] بن ثابت ، فجعـل شهادتَه شهادةَ رجلين ، وقيل : هو الطِّرْف ــ بكسر الطاء المهملة ــ نعت المذكر خاصة ، وقيل : هو النجيب ، والطِّرف والنجيب : الكريم من الخيل .

وكان له أيضاً اللُّحيف ، ولِزاز ، والظَّرِب : فأما اللُّحيف فأهداه له ربيعة بن أبي البراء ، وأما لزاز : فأهداه له المقوقس ، وأما الظَّرِب فأهداه له فروة بن عمرو الجذامي .

اللَّحيف : فعيل بمعنى فاعل ، كأنه يُلحف الأرض بذنبه ، وقيل فيه : بضم اللام وفتح الحاء على التصغير . ولزاز : من قولهم : لازرته ، أي لاصقته ، كأنه يلتصق بالمطلوب ، لسرعته ، وقيل : لاجتماع خَلْقه ، والمُلَزَّز : المجتمع الخَلْق . والظَّرِب : واحد الظِّراب ؛ وهي

---

(١) هذا تفسير لما قبله .

(٢) رواه أبو داود في الأقضية (باب إذا علم الحاكم صدق الشاهد ..) رقم /٣٦٠٧/ ، والنسائي في البيوع ، والحاكم في المستدرك ١٨/٢ ، وهو في البخاري في التفسير (باب : فمنهم من قضى نحبه ..) رقم /٤٧٨٤/ عن زيد بن ثابت رضي الله عنه .

الروابي الصغار ، سمي به لكبره وسِمَنِه ، وقيل : لقوته وصلابته .

● وفرس يُقال له الورد : أهداه له تميم الداري ، فأعطاه عمرَ بن الخطاب ، فحملَ عليه في سبيل الله ، ثم وجدَه يُباع برخص ، فقال له : لا تشتره .

والوَرْد : لون بين الكُميت والأشقر .

● وفرس يُدعى سبحة : من قولهم : فرس سابح ؛ إذا كان حسنَ مد اليدين في الجري ، وسَبْحُ الفرسِ : جريُه .

قال شيخنا الحافظ أبو محمد الدمياطي رحمه الله فهذه سبعة متفق عليها : وهي : السكب ، والمرتجز ، واللحيف ، ولزاز ، والظرب ، والورد ، وسبحة . وكان الذي يمتطي عليه ويركب : السَّكب . وقيل : كانت له أفراس أخر غيرها : وهي : الأبلق : حمل عليه بعضَ أصحابه ، وذو العُقال ، وذو اللِّمة ، والمرتجل ، والمُرواح ، والسِّرحان ، واليعسوب ، واليعبوب ، والبحر ــ وهو كُميت ــ والأدهم ، والشحَّا ، والسَّجل ، وملاوح ، والطِّرف ، والنجيب . هذه خمسة عشر مختلف فيها .

وذكر السهيلي في خيله عليه الصلاة والسلام : الضَّرِيس . وذكر ابن عساكر فيها : مندوباً .

وذو العُقال ــ بضم العين ــ وبعضهم يشدد قافه ، وبعضُهم يُخففها ، وهو ظَلَع[1] في قوائم الدواب . واللِّمة : بين الوفرة والجُمَّة فإذا وصل شعر الرأس إلى شحمة الأذن فهي وفرة ، فإذا زادت حتى ألمت بالمنكبين فهي لِمَّة ، فإذا زادت فهي جُمَّة . والارتجال : خلط الفرس العَنَق بالهملجة ، وهما ضربان من السير . والمُرْوَاح : من الريح لسرعته . والسِّرحان : الذئب ، وهُذيل تسمي الأسدَ سِرْحاناً . واليعسوب : طائر ، وهو أيضاً أمير النحل ، والسيد : يعسوبُ قومِه ، واليعسوب : غرة تستطيل في وجه الفرس . واليعبوب : الفرس الجواد ، وجدول يَعبوب : شديد الجري . والشحَّا : من قولهم : فرس بعيد الشحوة ؛ أي بعيد الخطوة . ومندوب : من ندبه فانتدب ، أي دعاه فأجاب .

(١) « ظَلَعٌ » : عرج .

وأما البغال والحمر : فكانت له .

● بغلة شهباء ، يقال لها دُلْدل ، أهداها له المقوقس مع حمار يُقال له عُفير .

● وبغلة : يقال لها فضة ، أهداها له فروة بن عمرو الجذامي ، مع حمار يُقال له يَعفور ، فوهبَ البغلة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه .

● وبغلة : أهداها له ابن العَلْمَاء صاحب أيلة .

● وبعث صاحب دومة الجندل إلى رسول الله ﷺ ببغلة وجبة من سندس .

● وقيل : أهدى له كسرى بغلةً ولا يثبت .

● وعن ابن عباس أهدى النجاشي إلى رسول الله ﷺ بغلةً فكان يركبها . فهذه ست .

وأما النعم : فكانت له .

● ناقته التي هاجر عليها تسمى القصواء ، والجدعاء ، والعضباء ، وكانت شهباء .

● وعن قدامة بن عبد الله ، قال : رأيت رسولَ الله ﷺ في حَجته يرمي على ناقة صهباء[1] . والصهباء : الشقراء .

● وعن نُبَيط بن شُرَيط قال رأيت رسول الله ﷺ في حجته على جمل أحمر[2] .

● وبعث عليه الصلاة والسلام خراش بن أمية يوم الحديبية إلى قريش على جمل يُقال له : الثعلب .

● وكان في هديه عام الحديبية جمل كان لأبي جهل ، في رأسه بُرَة[3] من فضة ، غنمه يوم بدر ، ليغيظ به المشركين وكان مَهْرِيًّاً .

---

(١) رواه النسائي في الحج (باب الركوب إلى الجمار) ٥/ ٢٧٠ والترمذي وابن ماجه كما في التحفة ٨/ ٢٨٠ .

(٢) رواه أبو داود في المناسك (باب الخطبة على المنبر بعرفة) رقم/١٩١٦/ والنسائي في الحج (باب الخطبة يوم عرفة على جمل أحمر) ٢/ ٢٥٣ .

(٣) « بُرَة » : حلقة .

● وكانت له عشرون لَقِحة[1] بالغابة ، وهي التي أغار عليها عُيينة بن حصن الفزاري ، وقد سبق خبرُها .

● ولَقِحة : غزيرة ، تحلب كما تحلب لَقِحتان غزيرتان ، أهداها له الضحّاك بن سفيان .

● وكانت له خمس عشرة لَقِحة بذي الجُذْر[2] ، يرعاها يسار ، أغار عليها العُرَنيون ، وقد تقدم الخبر عن ذلك .

● وكانت له بذي الجُذْر أيضاً : سبع لقائح .

● وكانت له لَقِحة : تسمى الحَفِدَة والحفدة : السريعة .

● ومَهْرِيّة : بعث إليه بها سعد بن عبادة من نَعم بني عقيل .

● وكانت له لَقِحة تسمى مروة .

● وكان له ﷺ من **الغنم** مائة شاة ، لا يريد أن تزيد على ذلك ، كلما ولَّدَ الراعي بهمةً ذبح مكانها شاة .

● وكانت له شاة تسمى غوثة ، وقيل : غيثة .

● وشاة تسمى قمر .

● وعنز تسمى اليَمْن .

● وكانت له سبعة أعنز منائح ترعاهن أمُّ أيمن .

وأما البقر : فلم يُنقل أن رسول الله ﷺ ملك منها شيئاً .

* * *

(١) « لَقِحة » : ناقة ذات لبن .

(٢) « بذي الجُذُر » : موضع على ستة أميال من المدينة من جهة قباء .

ذكر صفته ﷺ

قد تقدم في حديث أم معبد شيء من ذلك . وقرىء على أبي عبد الله محمد بن عبد المؤمن بن أبي الفتح الصوري وأنا أسمع بدمشق ، أخبركم الشيخان أبو اليُمن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن الكِندي قراءة عليه وأنتَ تسمع ، وأبو أحمد عبد الوهاب بن علي بن سُكينة إجازة ، قالا : أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن علي بن أحمد سماعاً عليه ، زاد ابن سُكينة والحافظ أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي سماعاً ، قالا : أخبرنا أبو الحسين بن النَّقور ، قال ابن سُكينة : وأخبرتنا فاطمة بنت أبي حكيم الخَبْري ، قالت : أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن عمر بن المَسْلمة ، قالا : أخبرنا أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى بن الجَرَّاح الوزير ، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي ، حدثنا عمر بن زرارة ، حدثنا الفيَّاض بن محمد ، عن عبد الله بن منصور ، عن سعد بن طَريف ، عن الأصبغ بن نُباتة ، عن علي ، قال : كان الحسين بن علي يُحدِّث عن النبي ﷺ بأحاديث سمع بعضها منه ، وسأله أن يُحَلّي لنا النبيَّ ﷺ ، قال :

كان فخماً مفخماً ، يتلألأ وجهُه كالقمر ليلة البدر ، أقصرَ من المشذب[1] وأطول من المربوع ، عظيمَ الهامة ، رَجِلَ[1] الشعر ، إن انفرقت عقيقته[1] فَرَقَ وإلا فلا ، يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وَفَّره ، أزهَر[1] اللون ، واسع الجبين ، أزجَّ الحاجبين[1] ، سوابغَ[2] في غير قَرَن ، أَقنى العِرْنين ، له نور يعلوه يحسبُه من لم يتأمله أشمَّ ، سهلَ الخدين ، أشنبَ ، مُفلَّج الأسنان ، دقيقَ المسربة ، كأنَّ عنقَه جِيدُ دمُية في صفاء الفِضَّة ، معتدلَ الخَلْق ، بادناً[1] ، متماسكاً ، سواءً[1] البطن والصدر ، عريضَ الصدر ، وبعيدَ ما بين المنكبين ، ضخمَ[1] الكراديس ، أنورَ المتجرَّد[3] ، موصولَ ما بين اللَّبة والسرة ، بشعر يجري كالخَطِّ ، عاريَ

---

(١) انظر فوائد المؤلف ص ٤٢٨ .

(٢) « سوابغ » : طِوال .

(٣) « المتجرَّد » : ما تجرد عنه الثوب من البدن ، ومعنى أنه أنور : شديد البياض .

الشديين والبطن وما سوى ذلك ، أشعرَ الذراعين والمناكب وأعالي الصدر ، طويلَ الزندين ، سائلَ الأصابع ، شَثْنَ[1] الكفين والقدمين ، سَبْطَ العظام ، خَمْصَانَ[1] الأخمصين ، مسيح القدمين ، ينبو عنهما الماء ﷺ[2] .

وقد روينا حديث الحسن بن علي ، حدثنا خالي[3] هند بن أبي هالة ، عن صفة النبي ﷺ كما سبق ، وفيه : أزجَّ الحاجبين ، سوابغَ من غير قَرَن ، بينهما عِرْقٌ يُدِرُّه الغضبُ . وفيه : كثُّ اللِّحية ، أدعجُ ، سهلُ الخدين ، ضليعُ الفم . وفيه : إذا زالَ زالَ تقلعاً ، ويخطو تَكَفُّؤاً ، ويمشي هوناً ، ذريعُ المِشية ، إذا مشى كأنما ينحطُّ من صَبَب ، وإذا التفتَ التفتَ جميعاً ، خافضَ الطرف ، نظرُه إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ، جُلُّ نظره الملاحظة ، يسوق أصحابه ، ويبدأ من لقيه بالسلام .

قلت : صف لي منطقه . قال : كان رسولُ الله ﷺ مُتواصلَ الأحزان ، دائم الفِكْرة ، ليست له راحة ، ولا يتكلم في غير حاجة ، طويلَ السكوت ، يفتتح الكلامَ ويختمه بأشداقه ، ويتكلَّمُ بجوامع الكلم . فصلاً لا فُضول فيه ولا تقصير . دمثاً ليس بالجافي ولا المَهين ، يُعَظِّم النعمة وإن دَقَّتْ ، لا يذمُّ شيئاً ، لم يكن يذم ذَوَاقاً ولا يمدحه ، ولا يُقام لغضبه إذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ، ولا يغضب لنفسه ، ولا ينتصر لها . إذا أشار أشار بكفه كلِّها ، وإذا تعجب قلبَها ، وإذا تحدَّث اتصل بها ؛ فضربَ بإبهامه اليمنى راحته اليسرى . وإذا غضبَ أعرضَ وأشاحَ . وإذا فرِحَ غضَّ طَرْفَه ، جُلُّ ضحكه التبسم ، ويَفْتَرُّ عن مِثل حَبِّ الغَمام .

قال الحسن : فكتمتها الحسين بن علي زماناً ، ثم حدثته ، فوجدته قد سبقني إليه ، فسأل أباه عن مدخل رسول الله ﷺ ومخرجه ، ومجلسه وشكله ، فلم يدعْ منه شيئاً ، قال الحسين : سألت أبي رضي الله تعالى عنه عن دخول رسول الله ﷺ ، فقال : كان دخولُه لنفسه ، مأذوناً له في ذلك ، فكان إذا أوى إلى مجلسه جَزَّأ دخولَه ثلاثة أجزاء . جزءاً

---

(١) انظر فوائد المؤلف ص ٤٢٨ .

(٢) في إسناده الأصبغ بن نُباتة وهو كذاب متروك ؛ كما في ميزان الاعتدال ١/٢٧١ .

(٣) في جميع النسخ « ابن خالي » والصحيح حذف كلمة : ابن ، كما نبه إلى ذلك في نور النبراس . لوحة ٣/٢٢٥ .

لله تعالى ، وجزءاً لأهله ، وجزءاً لنفسِه . ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس ، فيرد ذلك على العامة بالخاصة ، ولا يدخر عنهم شيئاً ، فكان من سيرته في جزء الأمة إيثارُ أهل ذي الفضل بإذنه ، قسمته على قدر فضلهم في الدين ، منهم ذو الحاجة ، ومنهم ذو الحاجتين ، ومنهم ذو الحوائج ، فيتشاغل بهم ويَشغلهم فيما أصلحَهم والأمةَ في مسألته عنهم ، وإخبارهم بالذي ينبغي لهم ، ويقول : ليبلغْ الشاهدُ منكم الغائبَ ، وأبلغوني حاجةَ من لا يستطيع إبلاغي حاجته ، فإنه من أبلغ سلطاناً حاجةَ من لا يستطيع إبلاغَها ثبت الله قدميه يوم القيامة . لا يُذكر عنده إلا ذلك ، ولا يَقبل من أحد غيرَه ، يدخلون رواداً ولا يتفرقون إلا عن ذواق ، ويخرجون أدلة ــ يعني فقهاء ــ .

قلت : فأخبرني عن مخرجه ، كيف كان يَصنعُ فيه ؟ قال : كانَ رسولُ الله ﷺ يخزنُ لسانَه إلا مما يَعنيهم ، ويؤلِّفهم ولا يفرِّقهم ، يُكرم كريمَ كلِّ قوم ، ويولِّيه عليهم ، ويحذرُ النَّاسَ ، ويحترسُ منهم من غير أن يطويَ عن أحد بِشرَه وخُلُقَه ، ويتفقَّد أصحابَه ، ويسأل الناسَ عما في الناس ، ويُحَسِّنُ الحسنَ ويصوِّبه ، ويقبِّحُ القبيحَ ويُوهِّنُه ، معتدلُ الأمر غيرَ مختلف ، ولا يغفلُ ؛ مخافةَ أن يغفَلُوا أو يملّوا ، لكل حال عنده عتاد ، لا يقصِّر عن الحق ولا يجاوزه إلى غيره ، الذين يلُونه من الناس خيارُهم ، وأفضلُهم عندَه أعمُّهم نصيحةً ، وأعظمُهم عنده منزلة أحسنُهم مواساة ومؤازرة .

فسألته عن مجلسه ، عما كان يصنع فيه ؟ فقال : كان رسولُ الله ﷺ لا يجلسُ ولا يقومُ إلا على ذكرٍ ، ولا يُوطن الأماكنَ وينهى عن إيطانها ، وإذا انتهى إلى القوم جلس حيثُ ينتهي به المجلس ، ويأمرُ بذلك ، ويُعطي كلَّ جلسائه نصيبَه ، حتى لا يَحسِبَ جليسُه أن أحداً أكرمُ عليه منه ، من جالسَه أو قاومَه لحاجةٍ صابرَه حتى يكونَ هو المنصرف عنه ، من سأله حاجةً لم يردَّه إلا بها أو بميسور من القول . وقد وسع النَّاسَ بسطُه وخُلقُه ، فصار لهم أباً ، وصاروا عنده في الحق سواء ، متفاضلين فيه بالتقوى ، مجلسُه مجلسُ حِلْم وحياء وصبر وأمانة ، لا تُرفع فيه الأصوات ، ولا تُؤْبَنُ فيه الحُرَم ، ولا تثنى فلتاتُه ، يتعاطون بالتقوى ، متواضعين ، يوقِّرون فيه الكبيرَ ويرحمون الصغيرَ ، ويرفِدون ذا الحاجة ، ويرحمون الغريب .

فسألته عن سيرته ﷺ في جلسائه ، فقال : كان رسولُ الله ﷺ دائمَ البِشْر ، سهلَ الخُلُق ، ليِّنَ الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخَّابٍ ولا فَحَّاش ولا عَيَّابٍ ولا مَدَّاح ، يتغافلُ عما لا يشتهي ، ولا يؤيِّس منه ، قد ترك نفسه من ثلاث : الرياء ، والإكثارُ ، وما لا يعنيه . وتركَ النَّاسَ من ثلاث ؛ كان لا يذمُّ أحداً ، ولا يُعيِّرُهُ ، ولا يطلبُ عورته . ولا يتكلَّم إلا فيما يرجو ثوابَه ، إذا تكلم أطرقَ جلساؤه ؛ كأنما على رؤوسهم الطير ، وإذا سكت تكلَّموا لا يتنازعون عنده الحديث ، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغَ ، حديثُهم حديثُ أوّلهم . يضحكُ مما يَضحكون منه ، ويعجب مما يعجبون ، ويصبرُ للغريب على الجفوة في المنطق ، ويقول : إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبُها فارفدوه ، ولا يقبلُ الثناء إلا من مُكافىء ، ولا يقطعُ على أحد حديثَه حتى يتجوَّزَه ؛ فيقطعَه بانتهاء أو قيام .

قلت : كيف كان سكوته ؟ قال : كان سكوتُه على أربع : على الحِلم ، والحذر ، والتقدير ، والتفكر ؛ فأما تقديُره ففي تسوية النظر والاستماع من الناس ، وأما تفكُّره ففيما يبقى ويفنى ، وجُمع له الحِلْم ﷺ في الصبر ، فكان لا يُغضبُه شيء يستفزُّه ، وجُمع له في الحذر أربعٌ أخذُه بالحَسن ليُقتدى به ، وتركُه القبيحَ ليُنتهى عنه ، واجتهادُ الرأي بما أصلحَ أمته ، والقيامُ لهم بما جَمعَ لهم أمرَ الدنيا والآخرة[1] .

(ذكر فوائد تتعلق بهذا الحديث)

قال القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي رحمه الله بعد إيراده حديث هند بن أبي هالة هذا :

فصل في تفسير غريب هذا الحديث ومشكله :

● قوله المشذب : أي البائن الطول في نحافة ، وهو مثل قوله في الحديث الآخر ليس

(١) حديث هند هذا في إسناده انقطاع ، وقد أخرجه الحافظ ابن عساكر في تاريخه وقال : وإسناد هذا الحديث على جهالة بعض نقلته هو المحفوظ ، وأخرج الترمذي منه مواضع مقطعة في كتاب الشمائل .. وانظره في تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣٣٣/١ ودلائل النبوة للبيهقي ٢٨٥/١ ـــ ٢٩٢ والمقاصد السنية في الأحاديث الإلهية ؛ لابن بلبان ص ٤٩٨ ـــ ٥٠٢ .

بالطويل المُمَغَّط[1] .

● والشَّعْر الرَّجِلُ : الذي كأنه مُشِّط فتكسَّر قليلاً ، ليس بسبط ولا جعد .

● والعقيقـة : شعر الرأس ، أراد إن انفرقت من ذات نفسها فَرَقها ، وإلا تركها معقوصة ، ويُروى : عقيصته .

● وأزهر اللون : نَيِّرُه ، وقيل : أزهر : حسن ، ومنه : زهرة الحياة الدنيا ، أي زينتها ، وهذا كما قال في الحديث الآخر : ليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم . والأمهق : هو الناصع البياض ، والآدم : الأسمر اللون ، ومثله في الحديث الآخر : أبيض مشرب : أي فيه حمرة .

● والحاجب الأزجُّ : المقوَّسُ الطويل ، الوافر الشعر .

● والأقنى : السائل الأنف المرتفع وسطُه ، والأشمُّ : الطويل قصبةُ الأنف .

● والقَرَن : اتصال شعر الحاجبين ، وضدُّه البَلَج ، ووقعَ في حديث أمِّ مَعْبَد[2] وصفُه بالقَرن .

● والأدعج : الشـديد سواد الحَدقة ، وفي الحديث الآخر : أشكل العين وأسجر العين ، وهو الذي في بياضه حمرة .

● والشَّنبَ : رونق الأسنان وماؤها ، وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد في أسنان الشباب .

● والفَلَج : فرقٌ بين الثنايا .

● ودقيقُ المسربة : خيط الشعر الذي بين الصدر والسُّرَّة .

● بادن : ذو لحم متماسك ، معتدل الخلق ، يُمسك بعضُه بعضا ، مثل قوله في الحديث الآخر : لم يكن بالمُطَهَّم ولا بالمَكلْثم ، أي ليس بمسترخي اللحم ، والمُكَلْثم : القصير الذقن .

---

(١) « المغط » : المتناهي الطول .

(٢) في الأصول « في حديث أبي سعيد » والتصحيح من الشفاء ، وانظر نسيم الرياض ؛ للخفاجي ، وبهامشه شرح الشفاء ؛ لملا علي القاري ٢/١٩١ .

● وسواء البطن والصدر : أى مستويهما . ومُشيح الصدر : إن صحت هذه اللفظة ، فيكون من الإقبال ، وهو أحد معاني أشاح ، أي أنه كان باديَ الصدر ، ولم يكن في صدره قَعَس ، وهو تطامن فيه ، وبه يتضح قوله قبلُ : سواء البطن والصدر ، أي ليس بمتقاعس الصدر ولا مُفاض البطن ، ولعلَّ اللفظ مَسيح بالسين المهملة وفتح الميم : بمعنى عريض ، كما وقع في الرواية الأخرى ، وحكاه ابن دريد .

● والكراديس : رؤوس العظام ، وهو مثل قوله في الحديث الآخر : جليل المَشَاش والكَتَد ؛ والمَشاش : رؤوس المناكب ، والكَتد مُجتمَع الكتفين .

● وشَثْنُ الكفين والقدمين : لحيمُهما .

● والزَّنْدَان : عظما الذراعين .

● وسائل الأطراف : أي طويل الأصابع . وذكر ابن الأنباري ، أنه روي : ساين ــ بالنون ــ وهما بمعنى ، تُبدل اللام من النون إن صحت الرواية بها . وأما الرواية الأخرى : وسائرَ الأطراف : فإشارة إلى فخامة جوارحه ، كما وقعت مفصلة في الحديث .

● ورحب الراحة : أي واسعها ، وقيل : كنَّى به عن سَعة العطاء والجود .

● خَمْصان الأخمصين : أي متجافي أخمص القدم ، وهو الموضع الذي لا تناله الأرض من وسط القدم .

● ومسيحُ القدمين : أي أملسهما ، ولهذا قال : ينبو عنهما الماء ، وفي حديث أبي هريرة خلاف هذا ، قال فيه : إذا وَطِيء بقدمه وَطِيء بكلِّها ، ليس له أخمصٌ ، وهذا يُوافق معنى قوله : مسيحَ القدمين ، وبه قالوا : سُمِّي المسيح بن مريم ، أي لم يكن له أخمص ، وقال السهيلي في المسيح بن مريم : فعيل بمعنى فاعل ، لأنه كان يُؤتى بذوي العاهات فيمسحُ على مواضِعها فتزول ، والمسيح الدجال : بمعنى مفعول ، أي ممسوح العين ، كما جاء في الحديث .

رجع إلى الأول : وقيل : مسيح ، لا لحم عليهما ، وهذا أيضاً يُخالف قولَه : شَثْن القدمين .

● والتَّقَلُّع : رفع الرجل بقوة .

● والتكفؤ : الميل إلى سَنن المشي وقصده .

● والهون : الرفق والوقار .

● والذريع : الواسع الخطو أي أن مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ، ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال: كأنما ينحط من صبب .

● وقوله يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه : أي لسعة فمه ، والعرب تتمادح بهذا ، وتَذمُّ بصغر الفم .

● وأشاح : مال وانقبض .

● وحَبُّ الغمام : البَرَدَ .

● وقوله : فيردُّ ذلك بالخاصة على العامة : أي جعل من جزء نفسه ما يُوصل الخاصة إليه ، فتوصل عنه العامة ، وقيل : يجعل منه للخاصة ثم يبذلها فى جزء آخر للعامة .

● ويدخلون روَّاداً : أي مُحتاجين إليه .

●ولا ينصرفون إلا عن ذواق : قيل : عن علم يتعلمونه ، ويشبه أن يكون على ظاهره ، أي في الغالب والأكثر .

● والعتاد : العدة ، والشيء الحاضر المُعَدُّ .

● والمؤازرة : المعاونة .

● وقوله : لا يُوطن المواطنَ ، أي لا يتخذ لمصلاه موضعاً معلوماً ، وقد ورد نهيُه عن هذا مُفَسَّراً في غير هذا الحديث .

● وصابره : أي حبس نفسه على ما يُريد صاحبُه .

● ولا تُؤْبَن فيه الحُرَم : أي لا يُذكرنَ بسوء . ولا تنثى فلتاته : أي لا يُتحدَّث بها ، أي لم تكن فيه فلتة .

● ويَرفدون : يُعينون .

● والسَّخَّاب : الكثير الصياح .

● وقوله : ولا يقبلُ الثناءَ إلا من مكافىء : قيل : مقتصد في ثنائه ومدحه ، وقيل : إلا من مسلم ، وقيل إلا من مكافىء على يدٍ سبقتْ من النبي ﷺ .

● ويستفزُّه : يستخفُّه .

● وفي حديث آخر في وصفه : منهوسُ العقب : أي قليل لحمها .

● وأهدبُ الأشفار : أي طويل شعرها .

* * *

ذكر خاتم النبوة

عن جابر بن سَمُرة ، قال : رأيتُ للنبي ﷺ عند كتفيه مثلَ بيضة الحمامة ، تشبُه جسدَه[1] . وفي لفظ : سلعة مثل بيضة الحمامة .

وقد روي عن أبي رمثة ، أنه شعرٌ مجتمع عند كتفيه[2] . وروي عنه أيضاً أنه مثل بيضة الحمامة ، وأنه قال : يا رسول الله! ألا أداويك منها ؟ فقال : يُداويها الذي وضعَها[2] . وروي عنه أيضاً : قال : مثل التفاحة[2] .

وعن سلمان الفارسي أنه قال : كان مثلَ بيضة الحمامة ، بين كتفيه[3] .

وقيل : على نَغْضِ كتفه الأيسر . وقيل : كانت بَضْعةَ لحم ؛ كلون بدنه . وقيل : كانت كزرٌ الحَجَلة . وقيل : كانت ثلاثَ شعرات مجتمعات . وقيل : كانت شامة خضراء مُحتفرَة في اللحم .

وقال عبد الله بن سَرْجس : رأيت خاتم النبوة جُمْعَاً عليه خِيلان ، كأنها الثآليل عند ناغض ــ وروي عند غضروف ــ كتفه اليسرى[4] . وفي رواية : سود . رواه مسلم .

وقيل : مثل البندقه : وقيل : كأثر المِحْجمَ . وقيل : كركبة العنز ، أسنده أبو عمر ، عن عَبَّاد بن عمرو . وقيل : نور . عن ابن عائذ في مغازيه بسنده إلى شداد بن أوس ، فذكرَ حديث الرَّضَاع ، وشق الصدر . وفيه : وأقبلَ الثالثُ ــ يعني المَلَك ــ وفي يده خاتم له شعاع ، فوضعَه بين كتفيه وثدييه ، ووجدَ بردَه زماناً . وقيل : وُلد وهو به .

---

(١) رواه مسلم في الفضائل (باب شيبه ﷺ) رقم /٢٣٤٤/ والنسائي في الزينة (باب الدهن) ٨/١٥٠ .

(٢) رواه أبو داود والترمذي والنسائي ؛ كما في تحفة الأشراف ٩/٢٠٨ .

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ٥/٤٣٨ من طريق أبي قرة الكندي و ٥/٤٤٣ من طريق عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري مطولاً في الموضعين .

(٤) رواه مسلم في الفضائل (باب إثبات خاتم النبوة) رقم /٢٣٤٦/ .

وذكر الواقدي عن شيوخه ، قالوا : لما شَكُّوا في موت النبي ﷺ : وضعتْ أسماء بنتُ عُميس يدَها بين كتفي رسولِ الله ﷺ ، فقالت : إنه قد توفي ، وقد رُفع الخاتم من بين كتفيه . فهذا الذي عُرف به موتُه عليه الصلاة والسلام[1] .

* * *

(١) الطبقات الكبرى ٢/٢٧٢ .

ذكر جمل من أخلاقه
عليه أفضل الصلاة والسلام

● قال الله تعالى : ﴿ وإنَّكَ لعلى خُلقٍ عظيم ﴾ [القلم : ٤] قالت عائشة رضي الله عنها : كان خلقه القرآن(١) . يعني التأدُّبَ بآدابه ، والتخلق بمحاسنه ، والالتزام لأوامره وزواجره . وقد قال ﷺ : « بعثت لأتمم مكارمَ الأخلاق »(٢) .

● وقال أنس : كان النبي ﷺ : أحسنَ الناس خلقاً(٣) . وكان عليه الصلاة والسلام أرجحَ الناس حِلْماً . وروي أنه لما كُسرت رباعيته ، وشُجَّ وجهُه يوم أحد ، شقَّ ذلك على أصحابه ، وقالوا : لو دعوتَ عليهم ؟ فقال : « إني لم أُبعث لعّاناً ، ولكني بُعثت داعياً ورحمةً ، اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون »(٤) .

وكان ﷺ أعظمَ الناس عفواً ، لا ينتقم لنفسه ، ولما تصدى له غورث بن الحارث ليقتلَه والسيف بيدِه ، وقال لرسول الله ﷺ : من يمنعُك مني ، قال له : « الله » فسقطَ السيف من يده ، فقال له عليه الصلاة والسلام ، وقد أخذ السيف « من يمنعك مني ؟ » فقال : كن خيرَ آخذ . فتركَه وعفا عنه ، فجاء إلى قومه ، فقال : جئتكم من عند خير الناس(٥) .

---

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (باب جامع صلاة الليل ..) رقم /٧٤٦/ .

(٢) رواه مالك في الموطأ في حسن الخلق (باب ما جاء في حسن الخلق) ٢/٩٠٤ .

(٣) رواه مسلم في الأدب (باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته) رقم /٢١٥٠/ .

(٤) الحديث بهذا السياق ذكره ابن حجر في فتح الباري ٧/٤٢٨ وقال أخرجه مسدد في مسنده ، وإبراهيم الحربي في كتابه « غريب الحديث » ، وأصل القصة رواها البخاري في المغازي (باب غزوة ذات الرقاع) رقم /٤١٣٥/ ومسلم في الفضائل (باب توكله ﷺ على الله تعالى) رقم /٨٤٣/ .

(٥) الحديث رواه البيهقي في « شعب الإيمان » مرسلاً ، وهو في الصحيح حكاية عن نبي ضربَه قومه . انظر نسيم الرياض ؛ للخفاجي ٢/٣٥ .

وعفـا عليـه الصـلاة والسـلام عن اليهودية التي سمَّتـه في الشـاة بعد اعترافهـا على الصحيح[١] .

ولم يؤاخذ لبيدَ بن الأعصم إذ سحره ، ولا عبدَ الله بن أبيّ وأشباههَ من المنافقين بعظيم ما نُقل عنهم قولاً وفعلاً .

● وكان ﷺ أسخى الناس كفاً ، ما سُئل شيئاً فقال لا . وأعطى صفوانَ بن أمية غنماً ملأت وادياً بين جبلين ، فقال : أرى محمداً يُعطي عطاء من لا يخشى الفقر . وردَّ على هوازن سباياهم ، وكانت ستة آلاف ، وأعطى العبَّاسَ من الذهب ما لم يُطق حملَه . وحُملت إليه تسعون ألف درهم ، فُوضعت على حَصير ، ثم قام إليها يقسمُها ، فما ردَّ سائلاً ، حتى فرغ منها . وذُكر عن الرُّبَيّعِ بنت معوِّذ[٢] بن عَفْراء ، قالت : أتيتُ النبيَّ ﷺ بِقِنَاعٍ من رُطَبٍ ــ يعني طبقاً ــ وأجْرِ زُغْبٍ[٣] ــ يريد قِثّاء ــ فأعطاني ملءَ كفه حُلِيّاً وذهباً .

وروينا عن الشافعي حدثنا الحسين بن عبد الله القَطَّان بالرقة ، حدثنا عمر بن حفص ، حدثنا أبو عبد الصمد العَمِّي ، حدثنا أبو عمران الجَوْني ، عن عبد الله بن الصامت ، عن أبي ذر ، قال : قال لي رسولُ الله ﷺ : « إذا طبختَ فأكثِر المرقَ ، واقسم في أهلك وجيرانِك » . رواه مسلم[٤] . عن أبي كامل وإسحاق بن إبراهيم ، عن عبد العزيز بن عبد الصمد ، عن أبي عمران به .

● وكان ﷺ **أشجعَ الناس** ، سُئل البراء : أفررتم يوم حُنين ؟ قال : لكن رسولَ الله ﷺ لم يفرّ . وفيه : فما رُئي يومئذ أحد كان أشدَّ منه .

وقال ابن عمر : ما رأيتُ أشجعَ ولا أنجدَ ولا أجودَ ولا أرضى من رسول الله ﷺ .

---

(١) رواه البخاري في الهبة (باب قبول الهدية من المشركين) رقم /٢٦١٧/ ومسلم في السلام (باب السُّمّ) رقم /٢١٩٠/ وأبو داود في الديات (باب فيمن سقى رجلاً سُمّاً ..) رقم /٤٥٠٨/ .

(٢) في جميع النسخ ، والشفاء « معوِّذ بن عفراء » والتصحيح من الشمائل للترمذي ص ١٠٣ ومن نور النبراس لوحة ٢٢٨/٣ .

(٣) « أجْر زُغْب » : صغار القثاء ، وأجْر : كالجِراء والأجرية والأجراء ، وهو الصغير من كل شيء .

(٤) رواه مسلم في البر والصلة (باب الوصية بالجار والإحسان إليه) رقم /٢٦٢٥/ .

وعن أنس : كان النبيُّ ﷺ أحسنَ الناس وأجودَ الناس وأشجعَ النَّاس ، لقد فَزِع أهلُ المدينـة ليـلةً ، فانطـلق ناسٌ قِبل الصوت ، فتلقَّاهم رسولُ الله ﷺ راجعاً قد سبقَهم إلى الصوت ، واستبرأ الخبرَ على فرس لأبي طلحة عُرْي ، والسيف في عنقه وهو يقول : « لن تُراعوا[1] » .

وقال عمران بن حُصين : ما لقي النبيُّ ﷺ كتيبةً إلا كان أوّلَ من يَضرِب[2] .

وقال عليُّ بن أبي طالب كنـا إذا حمي ـــ أو اشتد ـــ البـأسُ واحمرَّتْ الحَدَقُ اتقينـا برسول الله ﷺ ، فما يكون أحدٌ أقربَ إلى العدو منه[3] ، ولقد رأيتني يومَ بدر ونحنُ نلوذُ برسول الله ﷺ ، وهو أقربنا إلى العدو ، وكان من أشدِّ الناس يومئذ بأساً .

وقيل : كان الشجاعُ هو الذي يقربُ منه ﷺ ؛ لِقربه من العدو .

وكان ﷺ أشـد الناس حياء وأكثَرهم عن العورات إغضـاء ، قال الله تعالى : ﴿ إنَّ ذلكم كان يُؤذي النبيَّ فيستحيي منكم والله لا يَستحيي من الحقِّ ﴾ [الأحزاب : ٥٣] . وعن أبي سعيد الخدري كان رسول الله ﷺ أشدَّ حياء من العذراء في خِدْرها ، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه[4] ـــ الحديث .

وعن عائشة : كان رسول الله ﷺ إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل : ما بال فلان يقول كذا وكذا ؟ ولكن يقول : ما بال أقوام يصنعون أو يقولون كذا ؟ يَنهى عنه ولا يُسمي فاعلَه[5] .

---

(١) رواه البخاري في الجهاد (باب اسم الفرس والحمار) رقم /٢٨٥٧/ ومسلم في الفضائل (باب في شجاعة النبي ﷺ) رقم / ٢٣٠٧/ وأبو داود في الأدب (باب رقم ٨٧) رقم /٤٩٨٨/ والترمذي في الجهاد (باب ما جاء في الخروج عند الفزع) رقم /١٦٨٥/ .

(٢) رواه أبو الشيخ في كتاب الأخلاق ، كما في نسيم الرياض ٢/٥١ .

(٣) رواه مسلم في الجهاد والسير (باب في غزوة حنين) رقم /١٧٧٦/ .

(٤) رواه البخاري في الأدب (باب الحياء) رقم /٦١١٩/ ومسلم في فضائل النبي (باب كثرة حيائه ﷺ) رقم /٢٣٢٠/ .

(٥) رواه أبو داود في الأدب (باب في حسن العشرة) رقم /٤٧٨٩/ .

وعن أنس في حديث ؛ أنه عليه الصلاة والسلام كان لا يُواجه أحداً بما يكره[١] .

وعن عائشة : لم يكن النبيُّ ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ، ولا سخاباً بالأسواق ، ولا يَجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح[٢] .

وعنها : ما رأيتُ فَرْجَ رسول الله ﷺ قطُّ[٣] .

وروي عنه أنه كان من حيائه لا يُثبتُ بصرَه في وجه أحد ، وأنه كان يكني عن ما اضطره الكلام إليه مما يُكره[٤] .

● وكان ﷺ أوسعَ الناس صدراً ، وأصدقَ الناس لهجة وأليَنهم عريكة ، وأكرمَهم عِشْرة ، هذا من كلام علي في صفته[٥] .

وعن قيس بن سعد قال : زارَنا رسولُ الله ﷺ ، فلما أراد الانصراف ، قرَّبَ له سعد حماراً وَطَّأ له عليه بقطيفة ، فركبَ رسولُ الله ﷺ ، ثم قال سعد : يا قيس اصحبْ رسولَ الله ﷺ . قال قيس : فقال لي رسولُ الله ﷺ : اركبْ . فأبيتُ ، فقال : إما أن تركبَ وإما أن تنصرفَ . فانصرفتُ[٦] . وفي رواية : اركب أمامي ، فصاحبُ الدَّابة أحقُّ بمقدَّمِها[٦] .

وعن عائشة في حديث عنه ﷺ : أنه ما دعاه أحدٌ من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال : لبيك[٧] .

---

(١) رواه أبو داود في الأدب (باب في حسن العشرة) رقم /٤٧٨٩/ .

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات ١/٣٦٥ ، والفسوي في المعرفة والتاريخ ٣/٢٨٩ وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ١/٣٣٩ عن عائشة .

(٣) رواه الترمذي في الشمائل (باب ما جاء في خلق رسول الله ﷺ) رقم /٣٤٠/ كما رواه في الجامع برقم /٢٠١٧/ في البر .

(٤) قال الخفاجي : وهذا ذكره الغزالي في الإحياء ، وقال الحافظ العراقي ، إنه لم يجده في كتب الحديث ، وكذا قال السيوطي . نسيم الرياض ٢/٥٩ .

(٥) رواه الترمذي في المناقب (باب وصف عليٍّ للرسول ﷺ) رقم /٣٦٤٢/ .

(٦) رواه أبو داود في الأدب رقم /٥١٨٥/ والنسائي في عمل اليوم والليلة (باب كيف السلام) رقم /٣٢٥/ .

(٧) رواه أبو نعيم في الدلائل بسند ضعيف ، كما في نسيم الرياض ٢/٦٧ .

وقال جرير : ما حجبني رسول الله ﷺ منذُ أسلمتُ ولا رآني إلا تبَسَم[1] .

● وكان ﷺ يمازح أصحابَه ، ويُخالطُهم ، ويُحادثهم ، ويُداعب صبيانهم ، ويُجلسهم في حِجْره ، ويُجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ، ويعودُ المرضى في أقصى المدينة ، ويقبلُ عذر المعتذر .

قال أنس : ما التقمَ أحدٌ أُذن النبيِّ ﷺ فيُنَحّي رأسهَ ، حتى يكونَ الرجلُ هو الذي يُنحِّي رأسَه ، وما أخذ آخذٌ بيدِهِ فيرسلُ يدَه ، حتى يُرسلها الآخذ ، ولم يُر مقدِّماً ركبتيه بين يدي جليس له[2] .

● وكان يبدأ من لقيَه بالسلام ، ويبدأ أصحابَه بالمصافحة ، لم يُر قطُّ مادّاً رجليه بين أصحابه ، حتى لا يُضَيِّق[3] بهما على أحد ، يكرم من يدخلُ عليه وربما بسطَ له ثوبَه ، ويُؤثره بالوِسادة التي تحته ، ويعزمُ عليه في الجلوس عليها إن أَبى ، ويُكنّي أصحابه ، ويدعوهم بأحبِّ أسمائهم تكرمةً لهم ، ولا يقطع على أحد حديثه .

وروي أنه كان لا يجلس إليه أحدٌ وهو يُصلّي إلا خفَّفَ صلاته ، وسألهَ عن حاجته ، فإذَا فرغ عادَ إلى صلاته .

● وكان أكثرَ الناس تبسماً ، وأطيبَهم نفساً ، ما لم ينزل عليه قرآن ، أو يَعِظُ ، أو يخطب ، قال عبد الله بن الحارث : ما رأيتُ أحداً أكثرَ تبسماً من رسول الله ﷺ[4] .

● وأما شفقته ﷺ على خلق الله ورأفته بهم ، ورحمتُه لهم ، فقد قال الله تعالى فيه : ﴿ عزيزٌ عليه ما عنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم ﴾ [التوبة : ١٢٨] وقال : ﴿ وما أرسلناكَ إلا رحمةً للعالمين ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] قال بعضهم : من فضله عليه الصلاة والسلام أن الله أعطاه اسمين من أسمائه ، فقال ﴿ بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ .

---

(١) رواه الترمذي في الشمائل (باب ما جاء في ضحك رسول الله ﷺ) رقم /٢٣٠/ كما رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه .

(٢) رواه أبو داود في الأدب (باب في حسن العشرة) رقم /٤٧٩٤/ .

(٣) في جميع النسخ « حتى يُضَيِّق » ، ولعل المعنى : أنه لا يمدهما إذا ضيَّق بهما على أحد ، وما أثبتناه أقرب .

(٤) رواه الترمذي في الشمائل (باب ما جاء في ضحك رسول الله ﷺ) رقم /٢٢٧/ كما أخرجه في المناقب رقم /٣٦٤٥/ .

ومن ذلك : تخفيفه وتسهيلُه عليهم ، وكراهتُه أشياء مخافةَ أن تُفرض عليهم ، كقوله : « لولا أن أشقَّ على أمتي لأمرتهم بالسِّواك مع كل وضوء »[1] وخبرِ صلاةِ الليل ، ونهيهم عن الوِصال ، وكراهية دخول الكعبة لئلا يُعنِتَ أمته ، ورغبتُه لربه أن يجعل سبَّه ولعنَه لهم رحمةً ، وأنه كان يسمعُ بكاء الصبي فيتجوَّزُ في صلاته ، ولما كذَّبه قومُه ، أتاه جبريلُ عليه السلام فقال : إن الله تعالى قد سمعَ قولَ قومِك لكَ وما ردُّوا عليكَ ، وقد أمرَ مَلَكَ الجبال لتأمره بما شِئت فيهم ، فناداه مَلَكُ الجبال وسلَّم عليه ، وقال : مرني بما شئتَ ، إن شئتَ أن أُطبقَ عليهم الأخشبين ؟ قال النبي ﷺ : بل أرجو أن يُخرجَ الله من أصلابهم من يعبدُ الله وحدَه ولا يشركُ به شيئاً[2] .

وروى ابن المنكدر ، أن جبريلَ عليه السلام قال للنبيِّ ﷺ : إن اللّهَ أمرَ السماء والأرضَ والجبالَ أن تطيعَك ، فقال : « أؤخر عن أمتي ؛ لعل الله أن يتوبَ عليهم[3] » .

قالت عائشة : ما خُيِّرَ رسولُ الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرَهما[4] .

وقال ابن مسعود : كان رسولُ الله ﷺ يتخوَّلُنا بالموعظة مخافةَ السآمة علينا[5] .

وروي أنه عليه الصلاة والسلام قال : « لا يُبلغُني أحدٌ منكم عن أحدٍ من أصحابي شيئاً ، فإني أحبُّ أن أخرجَ إليكم وأنا سليمُ الصدر »[6] .

(١) رواه البخاري في الجمعة (باب السواك يوم الجمعة) رقم /٨٨٧/ ومسلم في الطهارة (باب السواك) رقم /٢٥٢/ كما رواه مالك في الموطأ وأبو داود والترمذي ، كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري في بدء الخلق (باب إذا قال أحدكم آمين ..) رقم /٣٢٣١/ ومسلم في الجهاد والسير (باب مالقي النبي ﷺ من أذى المشركين) رقم /١٧٩٥/ .

(٣) الخبر مرسل ، لأن ابن المنكدر تابعي ، إلا أنه ليس مما يقال بالرأي ، فيكون له حكم الموصول ، ويعضده الحديث السابق في الصحيحين . وانظر نسيم الرياض ٨٢/٢ وبهامشه شرح القاري .

(٤) رواه البخاري في المناقب (باب صفة النبي ﷺ) رقم /٣٥٤٢/ ومسلم في الفضائل (باب مباعدته ﷺ للآثام) رقم /٢٣٢٧/ والموطأ في حسن الخلق ٩٠٣/٢ .

(٥) رواه البخاري في العلم (باب ماكان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة) رقم /٦٨/ ومسلم في المنافقين (باب في الاقتصاد في الموعظة) رقم /٢٨٢١/ والترمذي في الأدب (باب ما جاء في الفصاحة والبيان) رقم /٢٨٥٩/ .

(٦) رواه أبو داود في الأدب (باب رفع الحديث من المجلس) رقم /٤٨٦٠/ والترمذي في المناقب (باب فضل أزواج النبي ﷺ) رقم /٣٨٩٣/ .

● وكان ﷺ أوصلَ الناس للرحم ، وأقومَهم بالوفاء وحسن العهد .

روينا من طريق أبي داود حدثنا محمد بن يحيى ، حدثنا محمد بن سِنان ، حدثنا إبراهيم بن طُهمان ، عن بُدَيْل ، عن عبد الكريم ، عن عبد الله بن شَقيق ، عن أبيه ، عن عبد الله بن أبي الحَمْسَاء ، قال : بايعتُ النبيَّ ﷺ ببيع قبلَ أن يُبعثَ ، وبقيتْ له بقية ، فوعدتُه أن آتيَه بها في مكانه ، ثم نسيتُ ، ثم ذكرتُ بعد ثلاث فجئتُه فإذا هو في مكانه ، فقال : يا فتى لقد شققتَ عليَّ أنا هاهنا منذ ثلاثٍ أنتظرُك[1] .

وعن أنس كان النبيُّ ﷺ إذا أُتي بهدية قال : اذهبوا بها إلى بيت فلانة ، فإنها كانت صديقةً لخديجة ، إنها كانت تحبُّ خديجة[2] . ودخلت عليه امرأة فهشَّ لها وأحسنَ السؤالَ عنها ، فلما خرجتْ ، قال : إنها كانت تأتينا أيامَ خديجة ، وإن حسنَ العهد من الإيمان[3] .

وقال عليه الصلاة والسلام : إن آلَ أبي فلانَ ، ليسوا لي بأولياء غير أن لهم رَحماً سأبلُّها ببلالها[4] .

وعن أبي قتادة : وَفَدَ وفدٌ للنجاشي ، فقام النبيُّ ﷺ يخدمُهم ، فقال له أصحابه : نكفيك . فقال : إنهم كانوا لأصحابنا مُكرمين ، وإني أُحبُّ أن أُكافئهم[5] . ولما جيء بأخته من الرضاعة الشيماء في سبي هوازن ، بسطَ لها رداءه ، وخيَّرَها بين المقام عنده ، والتوجه إلى أهلها ، فاختارتْ قومَها فمتَّعَها[6] .

● وكان ﷺ أشدَّ الناس تواضعاً ، على علوِّ منصبه ، فمن ذلك : أن الله خيَّرهَ بين أن يكون نبياً مِلكاً أو نبياً عبداً ، فاختار أن يكون نبياً عبداً . فقال له إسرافيل عند ذلك : فإن

(١) رواه أبو داود في الأدب (باب في العِدَة) رقم /٤٩٩٦/وفي إسناده ضعف .

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد .

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ١٧٥/٤ ، وصححه ، ووافقه الذهبي .

(٤) رواه البخاري في الأدب (باب تُبَلُّ الرحم ببلا لها رقم /٥٩٩٠/ ومسلم في الإيمان (باب موالاة المؤمنين ..) رقم /٢١٥/ . ومعنى « سأبلها ببلا لها » : سأصلها بصلتها .

(٥) رواه البيهقي في الدلائل ٣٠٧/٢ عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه .

(٦) رواه ابن إسحاق في السيرة النبوية٤٥٨/٢ ، والبيهقي في الدلائل ١٩٩/٥ ، ومعنى « متعتك » : أعطيتك متاعاً حسناً .

الله قد أعطاك بما تواضعتَ له أنك سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأولُ من تنشقُّ عنه الأرض ، وأول شافع [1].

وخرج على قوم من أصحابه فقاموا له ، فقال : « لا تقوموا كما تقوم الأعاجم ، يُعظِّم بعضُها بعضاً ، وقال : إنما أنا عبدٌ آكلُ كما يأكلُ العبدُ وأجلسُ كما يجلسُ العبدُ[2] » . وكان يركبُ الحمارَ ، ويُردف خلفَه ، ويعودُ المساكين ، ويُجالس الفقراء ، ويُجيب دعوة العبد ، ويجلسُ بين أصحابه مختلطاً بهم ، حيث ما انتهى به المجلسُ جلس ، وقال لامرأة أتته في حاجة : اجلسي يا أمَّ فلان في أيِّ طرق المدينة شئتِ أجلسْ إليك حتى أقضيَ حاجتك ، فجلستْ وجلسَ[3] . وكان يُدعى إلى خبز الشعير والإهالة السَّنِخةَ [4] فيُجيب ، وحجَّ على رحلَ رَثٌّ عليه قطيفة ما تساوي أربعة دراهم ، وأهدى في حَجِّه ذلك مائةَ بدنة ، وكان يبدأ من لقيَه بالسلام .

وروينا عن أبي بكر الشافعي ، حدثنا أبو جعفر محمد بن حماد بن ماهان ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن بكر ، حدثنا محمد بن سواء ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس ؛ أنَّ رسولَ الله ﷺ مرَّ على صبيان فسلَّم عليهم[5] .

وكان في بيته في مهنة أهله يَفلْي ثوبَه ، ويحلبُ شاتَه ، ويخصِف نعلَه ، ويخدم نفسَه ، ويعلفُ ناضحَه[6] ، ويقمُّ البيتَ[7] ، ويعقِل البعيرَ ، ويأكل مع الخادم ، ويعجن معها ، ويحمل بضاعتَه من السوق .

---

(١) رواه أحمد عن أبي هريرة والبيهقي في الدلائل ؛ عن ابن عباس كما في نسيم الرياض ٩٤/٢ وشرح ملا علي القاري بهامشه .

(٢) رواه أبو داود في الأدب (باب في قيام الرجل للرجل) رقم /٥٢٣٠/ وإسناده ضعيف ، ومعناه في صحيح مسلم برقم /٤١٣/ فيتقوى به .

(٣) رواه مسلم في الفضائل (باب قرب النبي ﷺ من الناس) رقم /٢٣٢٦/ بلفظ قريب جداً .

(٤) « الإهالةِ السَّنِخَة » : الإهالة : شحوم الحيوان من الإلية وغيرها والسَّنِخة : ما تغيرت رائحته منها .

(٥) رواه أبو داود في (باب في السلام على الصبيان) رقم /٥٢٠٢/ والبخاري ومسلم والترمذي بنحوه .

(٦) « ناضحه » : البعير يتخذ لنزح الماء من البئر .

(٧) « يقمُّ » : يكنس .

وعن أنس : إن كانت الأمةُ من أهل المدينة ، لتأخذُ بيد رسول الله ﷺ ، فتنطلقُ به حيث شاءت ، حتى يقضيَ حاجتَها[1] .

● وكان ﷺ يُسمَّى الأمين قبل النبوة ؛ لما عرفوا من أمانته وعدله .

وعن الرَّبِيْع بن خُثَيْم : كان يُتحاكَمُ إلى رسول الله ﷺ في الجاهلية قبل الإسلام[2] .

وقال النضر بن الحارث لقريش : قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً ، أرضاكم فيكم ، وأصدَقَكم حديثاً ، وأعظمَكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صُدْغيه الشيبَ ، وجاءَكم بما جاءكم به قلتم ساحر ! لا والله ما هو بساحر[3] .

وفي الحديث عنه : « ما لمستْ يَدُه يدَ امرأةٍ قطّ لا يملكُ رِقَّها »[4] . وقال : « ويحكَ ! فمن يعدلُ إن لم أعدل ؟ »[5] .

وعن الحسن : ما كان رسول الله ﷺ يأخذُ أحداً بقَرَف[6] ، ولا يصُدقُ أحداً على أحد ، وكان أوقرَ الناس في مجلسه ، لا يكادُ يُخرج شيئاً من أطرافه[7] .

● وكان ﷺ يُحِبُّ الطيبَ والرائحة الحسنة ، ويستعملُها كثيراً ، ويحضُّ عليها .

● ومن مروءته ﷺ نهيُه عن النفخ في الطعام والشراب ، والأمرُ بالأكل مما يلي ، والأمر

---

(١) رواه البخاري في الأدب تعليقاً (باب الكِبْر) رقم /٦٠٧٢/ ووصله ابن ماجه في الزهد (باب البراءة من الكبر) رقم /٤١٧٧/ .

(٢) رواه الربيع ، أبو يزيد الثوري ، تابعي ثقة عابد ، عن ابن مسعود رضي الله عنه ، وانظر نسيم الرياض ١٠٧/٢ .

(٣) رواه ابن إسحاق ٢٩٩/١ ، والبيهقي ٢٠١/٢ عن ابن عباس . والنضر هذا كان شديد العداوة للنبي ﷺ ، أخذ أسيراً ببدر ، فأمر النبي ﷺ علياً رضي الله عنه فقتله بالصفراء .

(٤) رواه البخاري في التفسير (تفسير سورة الممتحنة) رقم /٤٨٩١/ ، ومسلم في الإمارة (باب كيفية بيعة النساء) رقم /١٨٦٦/ .

(٥) رواه البخاري في المناقب (باب علامات النبوة في الإسلام) رقم /٣٦١٠/ .

(٦) « بقَرَف أحد » : بفعلةِ أحدٍ وتهمته .

(٧) رواه أبو داوود في مراسيله عن الحسن البصري رحمه الله تعالى . كما في نسيم الرياض ١١٣/٢ .

بالسواك ، وإنقاء البراجم والرواجب[1] ، واستعمالُ خصال الفطرة .

● وأما زهده فى الدنيا وعبادته ربه عز وجل : فقد توفي ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله . وكان يدعو : « اللهم اجعلْ رزقَ آل محمد قوتاً[2] » .

وعن عائشة قالت : ما شبعَ رسولُ الله ﷺ ثلاثةَ أيام تِباعاً من خبزِ برٍّ ، حتى مضى لسبيله ، وفي رواية : من خبزِ شعير يومين متواليين[3] .

وقالت عائشة : ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ، ولا شاة ولا بعيراً[4] . قالت : ولقد ماتَ وما في بيتي شيء يأكلُه ذو كبد ، إلا شطرَ شعير في رفٍّ لي[5] . وقال لي : « إني عُرِض عليَّ أن يَجعل لي بطحاء مكة ذهباً . فقلت : لا يا رب بل أجوعُ يوماً وأشبعُ يوماً ، فأما اليومُ الذي أجوعُ فيه فأتضرَّعُ إليك وأدعوكَ ، وأما اليوم الذي أشبعُ فيه فأحمدُك وأثني عليك » .

وقال ابن عباس : كان ﷺ يبيت هو وأهلُه الليالي المتابعة طاوياً لا يجدون عَشَاء[6] وكان يقول : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً »[7] .

وفي حديث المغيرة : صلَّى رسولُ الله ﷺ حتى انتفختْ قدمَاه[8] .

(١) البراجم « والرَّواجب » : العُقد التي في ظهور الأصابع ، يجتمع فيها الوسخ ، والرواجب : هي ما بين عقد الأصابع من الداخل .

(٢) رواه البخاري في الرقاق (باب كيف كان عيش النبي ﷺ) رقم /٦٤٦٠/ ، ومسلم في الزهد رقم /١٠٥٥/ والترمذي في الزهد رقم /٢٣٦٢/ .

(٣) رواه البخاري في الأطعمة (باب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون) رقم /٥٤١٦/ ومسلم في الزهد رقم /٢٩٧٠/ والترمذي في الزهد رقم /٢٣٥٨/ وفي القيامة رقم /٢٤٧٣/ .

(٤) رواه مسلم في الوصية (باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي به) رقم /١٦٣٥/ .

(٥) رواه البخاري في الرقاق (باب فضل الفقر) رقم /٦٤٥١/ ومسلم في الزهد رقم /٢٩٧٣/ والترمذي في الزهد رقم /٢٥٦٩/ .

(٦) رواه الترمذي في الزهد (باب ما جاء في معيشة النبي ﷺ) رقم /٢٣٦١/ .

(٧) رواه البخاري في الرقاق (باب قول النبي ﷺ : لو تعلمون ما أعلم) رقم /٦٤٨٥/ والترمذي في الزهد (باب قول النبي ﷺ : لو تعلمون ما أعلم) رقم ٢٣١٤ .

(٨) رواه البخاري في التهجد (باب قيام النبي ﷺ) رقم /١١٣٠/ ومسلم في صفات المنافقين (باب إكثارالأعمال ..) رقم /٢٨١٩/ كما رواه أصحاب السنن إلا أبا داود .

وقالت عائشة : كان عملُ رسول الله ﷺ دِيمةً ، وأَيُّكم يُطيق ما كان يُطيق ، وقالت ، كان يصومُ حتى نقولَ لا يُفطر ، ويُفطر حتى نقولَ لا يصومُ[1] .

وقال عوفُ بن مالك : كنتُ مع رسول الله ﷺ ليلةً ، فاستاك ، ثم توضـأ ، ثم قام يُصـلّي ، فقمت معه ، فبدأ فاستفتح البقرةَ ، فلايمرُّ بآية رحمةٍ إلا وقفَ فسـأَلَ ، ولا بآيةِ عذابٍ إلا وقفَ فتعـوَّذَ ، ثم ركعَ فمكث بقدر قيـامه ، يقول : « سبحـان ذي الجبروت والملكوت والعظمة » ثم سجدَ وقال مثل ذلك ، ثم قرأ آل عمران ، ثم سورةً سورةً يفعلُ مثل ذلك[2] .

وعن عائشة : قامَ رسولُ الله ﷺ بآيةٍ من القرآن ليلةً[3] .

وقال ﷺ : « فإني لأَستغفر الله في اليوم مائة مرة[4] » .

* * *

(١) رواه الترمذي في الشمائل (باب ما جاء في صوم رسول الله ﷺ) رقم /٣٠٣/ .

(٢) رواه أبو داود في الصلاة (باب ما يقول الرجل في ركوعه ..) رقم /٨٧٣/ والنسائي في الصلاة (باب نوع آخر من الذكر) ٢/١٩١ ، والترمذي في الشمائل (باب ما جاء في صوم رسول الله) رقم /٣٠٦/ .

(٣) رواه الترمذي في الصلاة (باب ما جاء في قراءة الليل) رقم /٤٤٨/ .

(٤) رواه مسلم في الذكر (باب استحباب الاستغفار) رقم /٢٧٠٢/ .

ذكر مصيبة الأولين والآخرين من المسلمين
بوفاة رسول الله ﷺ

ولما قفل ﷺ من حجة الوداع ، أقام بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفراً ، وضرب على الناس بعثاً أميُره أسامة بن زيد . وقد تقدم ذكره ، وهو آخر بعوثه ، فبينا الناس على ذلك ابتُدِىء صلوات الله عليه وسلامه بشكواه[1] الذي قبضَه الله فيه إلى ما أرادَ من رحمته وكرامته في ليالٍ بقين من صفر — أو في أول شهر ربيع الأول — فكان أوَّلَ ما ابتدىء به ﷺ أنه قد خرج إلى بقيع الغرقد — مقبرتهم — من جوف الليل ، فاستغفرَ لهم . ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبحَ ابتدىء بوجعه من يومه ذلك .

قالت عائشة : رجعَ رسول الله ﷺ من البقيع فوجدني وأنا أجدُ صُداعاً في رأسي ، وأنا أقول : وارأساه ، فقال : « بل أنا والله يا عائشة وارأساه » . قالت : ثم قال : « ما ضَرَّك لو مِتِّ قبلي ، فقمتُ عليكِ ، وكفَّنْتُكِ ، وصلَّيتُ عليك ، ودفنتُك » . قلت : والله لكأني بك لو قد فعلتَ ذلك ، لرجعتَ إلى بيتي فأعرستَ فيه ببعض نسائِك . فتبسَّمَ رسولُ الله ﷺ ، وتَتامَّ به وجعه وهو يدور على نسائه ، حتى استُعِزَّ[2] به وهو في بيت ميمونة ، فدعا نساءه ، فاستأذنهنَّ في أن يُمرَّض في بيتي ، فأذِنَّ له . قالت : فخرجَ رسولُ الله ﷺ يمشي بين رجلين من أهله ، أحدهما الفضل بن عباس ورجلٌ آخر ، عاصباً رأسَه ، تخطُّ قدماه الأرض حتى دخل بيتي[3] . — قال ابن عباس : الرجل الآخر : علي بن أبي طالب — ثم غُمِرَ[4] رسول الله ﷺ واشتد به وجعه ، فقال : أهريقوا عليَّ من سبع قِرب

---

(١) « بشكواه » : بمرضه .

(٢) « اسْتُعِزَّ » : اشتَّد به .

(٣) طبقات ابن سعد ٢٣٢/٢ ، وأنساب الأشراف للبلاذري ٥٤٤/١ — ٥٤٥ ، والمصنف لعبد الرزاق ٤٢٩/٥ — ٤٣٠ والسيرة النبوية ؛ لابن هشام ٦٤٩/٢ ، ومصنف ابن أبي شيبة ٥٦٠/١٤ ، ودلائل النبوة ؛ للبيهقي ١٦٨/٧ — ١٧٠ .

(٤) « غُمِر » : علاه المرض .

من آبار شتى ، حتى أخرج إلى الناس ، فأعهدَ إليهم ، فأقعدناه في مِخْضَبٍ[١] لحفصةَ بنت عمرو ، ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول : « حسبكم حسبكم[٢] » .

وعن الزهري ، قال : حدثني أيوب بن بشير ، أن رسول الله ﷺ خرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر ، ثم كان أول ما تكلم به ، أنه صلَّى على أصحاب أحد ، واستغفر لهم ، فأكثرَ الصلاة عليهم ، ثم قال : إن عبداً من عباد الله خيَّره الله بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله ، ففهمها أبو بكر وعرف أن نفسَه يُريد . فقال : نفديك بأنفسنا وأبنائنا . فقال : على رِسْلِكَ يا أبا بكر ثم قال : انظروا هذه الأبواب اللافظة[٣] في المسجد فسدوها إلا باب أبي بكر ، فإني لا أعلم أحداً كان أفضل في الصحبة عندي يداً منه[٤] . وأراد عمر فتح كوة لينظر إلى النبي ﷺ منها فمنعه من ذلك . وقال عليه الصلاة والسلام للعباس : ما فتحتَ عن أمري ولا سددتَ عن أمري[٥] . واستبطأ الناسَ في بعث أسامة ، فخرج ﷺ عاصباً رأسَه . حتى جلسَ على المِنبر ــ وقد كان النَّاسُ قالوا في إمرة أسامة : أمَّرَ غلاماً حَدَثاً على جِلَّة المهاجرين والأنصار ــ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أيها الناس أنفذوا بعثَ أسامة ، فلعمري لئن قلتم في إمارته ، لقد قلتم في إمارة أبيه من قبله ، وإنه لخليق للإمارة ، وإنْ كان أبوه لخليقاً بها . ثم نزل رسول الله ﷺ وانكمشَ[٦] الناس في جَهَازهم ، واستُعِزَّ برسول الله وجعه ، فخرجَ أسامةُ ، وخرجَ جيشُه معه حتى نزلوا الجُرْف ــ من المدينة على فرسخ ــ فضربَ به عسكرَه ، وتَتَامَّ إليه النَّاسُ ، وثَقُل رسولُ الله ﷺ ، فأقامَ أسامةُ والنَّاسُ لينظروا ما الله قاضٍ في رسوله عليه الصلاة والسلام[٧] .

---

(١) « مِخْضَب » : المِخضَب : وعاء من نحاس ونحوه ، تُغسل فيه الثياب ، منه الصغير والكبير ، ومن أسمائه : الإجَّانة والمِرْكن أيضاً .

(٢) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٦٤٩ .

(٣) « اللافظة » : كذا في « هـ » والمطبوع ، وقال في نور النبراس : أي النافذة . وفي « أ » : اللاتي . وفي « ب » و« ج » و« د » : اللاصقة .

(٤) السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٦٤٩ .

(٥) الطبقات الكبرى ٢/٢٢٨ .

(٦) « وانكمشَ الناسُ » : أسرعوا ومضوا .

(٧) رواه ابن إسحاق عن الزهري ؛ فهو مرسل . انظر السيرة النبوية ؛ لابن هشام ٢/٦٤٩ .

ومن حديث عبد الله بن كعب بن مالك ، أن رسولَ الله ﷺ أوصى بالأنصار يومَ صَلَّى واستغفرَ لأصحاب أحد ، وذكرَ من أمرهم ما ذكر ، فقال : يا معشر المهاجرين استوصوا بالأنصار خيراً ، فإنَّ الناس يَزيدون ، وإن الأنصار على هيئتها لا تزيد ، وإنهم كانوا عَيْبتي[١] التي أويتُ إليها ، فأحسنوا إلى مُحسِنهم وتجاوزوا عن مسيئهم . ثم نزلَ رسولُ الله ﷺ[٢] . وكان عليه الصلاة والسلام يُوعك[٣] وَعْكاً شديداً[٢] . دخل عليه أبو سعيد الخدري ، وعليه قطيفة ، فوضعَ يدَه عليه ، فوجد حرارتها فوق القطيفة ، فقال : ما أشدَّ حُمَّاك ؟ فقال : « إنا كذلك يُشدَّد علينا البلاء ويُضاعف لنا الأجر[٤] » .

وعن علقمة قال : دخل عبد الله بن مسعود على النبي ﷺ ، فوضعَ يَده عليه ، ثم قال : يا رسول الله إنك لتُوعَكُ وَعْكاً شديداً . قال : أجل إني أوعك كما يُوعك رجلان منكم . قال : قلت : يا رسول الله ذلك بأن لك أجرين .. الحديث[٥] .

وأمرَ رسولُ الله ﷺ أبا بكر أن يُصلِّيَ بالناس ، فصلَّى بهم فيما روينا سبع عشرةَ صلاةً ، وصَلَّى النبيُّ مؤتماً به ركعة ثانية من صلاة الصبح ، ثم قضى الركعة الباقية . وقال : لم يُقبضْ نبيٌّ حتى يؤمَّه رجلٌ من قومه .

وقال عليه الصلاة والسلام في مرضه ذلك : مرِ الناس فليصلوا ــ يقول ذلك لعبد الله بن زمعة بن الأسود ــ فذهب ابنُ زمعة فقدَّم عمر لغيبة أبي بكر ، فلما سمعَ رسولُ الله ﷺ صوتَه ، أخرجَ رأسه حتى أطلعه للناس من حجرته ، ثم قال : لا ، لا ، لا ، ليصل لهم ابن أبي قحافة[٦] .

---

(١) « عَيْبتي » : موضع سري ، وهي في الأصل الحقيبة ونحوها .

(٢) قال سبط ابن العجمي في « نور النبراس » : والحديث الذي ساقه المؤلف من حديث عبد الله هذا ليس في شيء من الكتب الستة ولا في مراسيل أبي داود ، والله أعلم .

(٣) « يوعك وعكاً » : حرارة الحُمَّى تشتد عليه .

(٤) رواه أبو يعلى في المسند ١٠٤٥/٢ وبهامشه : إسناده حسن ، وأخرجه ابن ماجه في الفتن (باب الصبر على البلاء) رقم /٤٠٢٤/ والإمام أحمد في المسند ٩٤/٣ .

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند ٣٨١/١ ، وقال الشيخ أحمد شاكر بعد أن رقمه بـ/٣٦١٨/ : إسناده صحيح ورواه الشيخان كما في الذخائر /٤٧١٢/ .

(٦) رواه الإمام أحمد في المسند ٣٢٢/٤ ، وأبو داود في السنة (باب في استخلاف أبي بكر) رقم /٤٦٦٠/ .

وعن أبي سعيد الخدري في هذا الخبر ، قال : فانتقضت الصفوف ، وانصرف عمر ، فما برحنا حتى طلع ابن أبي قحافة ، وكان بالسُّنْح ، فتقدَّم فصلَّى بالناس ، وتبسَّمَ عليه الصلاة والسلام لِما رأى من هيئة المسلمين في صلاتهم سروراً بذلك(١) .

وقال : ائتوني أكتبْ لكم كتاباً ، لا تَضِلُّوا بعدَه ، فتنازعوا ، فلم يكتب (٢) .

وقالت عائشة : آخرُ ما عهد إلينا أن لا يُترك بجزيرة العرب دينان(٣) .

وقالت أم سلمة : عامة وصيته عند الموت : الصلاة وما ملكت أيمانكم(٤) . وكانت عائشة : سمعته يقول قبل ذلك : ما من نبي يَموت حتى يُخَيَّر ، قالت : فسمعته وهو يقول : « اللهم الرفيقَ الأعلى » (٥)فعلمتُ أنه ذاهب .

وفي خبر عنها ، فكانت تلك آخرَ كلمةٍ تكلَّم بها رسولُ الله ﷺ . وقالت : رأيتُ رسولَ الله ﷺ وهو يموت ، وعنده قدح فيه ماء ، وهو يُدخلُ يدَه في القدح ، ثم يمسحُ وجهَه بالماء ، ويقول : اللهم أعني على سكرات الموت (٦).

وذكر ابن سعد في وفاته عليه الصلاة والسلام خبراً فيه : أنه لما بقي من أجله ثلاث ، نزل عليه جبريل : فقال : يا أحمد إنَّ الله أرسلني إليك إكراماً لك ، وتفضيلاً لك ، وخاصَّةً لك ، يسألكُ عما هو أعلم به منك ، يقول لك : كيف تجدك ؟ وفيه : أن ذلك ثلاث ، المرة بعد المرة ، وفي الثالثة صحبَه مَلَكُ الموت ، فاستأذن عليه ، فأذن له ، ثم استأذنه في قبض

---

(١) الطبقات الكبرى ؛ لابن سعد ٢/٢٥٤ .

(٢) رواه البخاري في المغازي (باب مرض رسول الله ﷺ ووفاته) رقم /٤٤٣١/ ومسلم في الوصية (باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يُوصي به) رقم /١٦٣٧/ .

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/٣٢٨ وقال : رواه أحمد والطبراني في الأوسط ، ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرَّح بالسماع .

(٤) رواه ابن ماجه في الجنائز (باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ) رقم /١٦٢٥/ وفي الزوائد : إسناده صحيح على شرط الصحيحين .

(٥) رواه البخاري في المغازي (باب مرض رسول الله ﷺ ووفاته) رقم /٤٤٥١/ .

(٦) رواه الترمذي في الجنائز (باب ما جاء في التشديد عند الموت) رقم /٩٧٨/ وابن ماجه في الجنائز (باب ما جاء به في ذكر مرض رسول الله)رقم /١٦٢٣/ .

نفسه ، أو تركها ، وأن الله أمره بطاعته في ذلك . فقال جبريل : يا أحمد إن الله قد اشتاق إليك . قال : فاقبضْ يا مَلكَ الموتِ كما أُمرت به . قال جبريل : السلام عليك يا رسولَ الله هذا آخر موطئي الأرضَ . فتوفي ﷺ ، وجاءت التعزية ، يسمعونَ الصوتَ ولا يرون الشخص ، السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، كلُّ نفس ذائقة الموت ، وإنما تُوَفَّوْن أجوركم يوم القيامة ، إن في الله عزاء عن كل مصيبة ، وخَلَفاً من كل هالك ، ودَرَكاً من كل ما فات ، فبالله فثِقوا ، وإياه فارْجوا ، إنما المصاب من حُرم الثواب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وقد ذُكر أن هذا المُعَزِّي هو الخضر عليه السلام[1] .

واختلفَ أهلُ العلم في اليوم الذي توفي فيه ، بعد اتفاقهم على أنه يوم الاثنين في شهر ربيع الأول ؛ فذكر الواقدي وجمهورُ الناس أنه الثاني عشر . قال أبوالربيع بن سالم : وهذا لا يصح ، وقد جرى فيه على العلماء من الغلط ما علينا بيانه . وقد تقدَّمه السهيلي[2] إلى بيانه ؛ لأن حجة الوداع ، كانت وقفتها يوم الجمعة . فلا يستقيم أن يكون يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول ، سواء أتمت الأشهر كلُّها أو نقصت كلها ، أو تم بعضُها . وقال الطبري : يوم الاثنين لليلتين مضتا من شهر ربيع الأول . وقال أبو بكر الخُوارَزمي : أول يوم منه . وكلاهما ممكن .

ولما تُوفي رسول الله ﷺ وسجَّتْه الملائكة ، دُهش النَّاسُ ، وطاشت عقولُهم ، واختلفت أحوالُهم في ذلك ، فأما عمر : فكان ممن خُبِلَ ، فجعلَ يقولُ : إنه والله ما مات ، ولكنه ذهبَ إلى ربه كما ذهبَ موسى بن عمران حين غابَ عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم . وأما عثمان : فأُخرسَ ، حتى جعلَ يُذهب به ويُجاء وهو لا يتكلم ، وأُقعد عليٌّ ، وأُضني عبد الله بن أُنيس ــ من الضنى : وهو المرض ــ وبلغ أبا بكر الخبرُ ، وكان بالسُّنْحِ ، فجاء وعيناه تَهْمَلان ، فقبَّلَ النبي ﷺ وهو يبكي ، وقال : بأبي أنت وأمي ، طِبْتَ حياً وميتاً .

---

(١) الطبقات الكبرى ٢/٢٥٨ ــ ٢٥٩ .

(٢) الروض الأنف ٤/٢٧٠ .

وتكلَّم كلاماً بليغاً ، سكَّنَ به نفوسَ المسلمين ، وثبَّتَ جأشهم ، وكان أثبتَ القوم رضي الله عنه[1] .

وغسَّلَه عليه الصلاة والسلام عليٌّ والعباس ، وابناه : الفضل وقُثَم . ومَوْليَاه[2] : أسامة وشقران . وحضرَهم أوسُ بن خَوْلَى الأنصاري .

وكُفِّنَ في ثلاثة أثواب بيضٍ سَحُولية ، ليس فيها قميص ولا عمامة .

وصلَّى عليه المسلمون أفذاذاً ، ولم يؤُمُّهم أحدٌ ، وفُرش تحتَه قطيفةٌ حمراء ، كان يتغطَّى بها . ودخل قبرَه العباس وعليٌّ ، والفضل ، وقثم ، وشقران ، وأُطبق عليه تسعُ لبنات . ودُفن في الموضع الذي توفَّاه الله فيه حول فراشه .

وكانوا قد اختلفوا في غسله ، فقالوا : والله ما ندري : أنجرِّدُ رسولَ الله من ثيابه كما نُجرِّد موتانا ، أو نُغَسِّلُهُ وعليه ثيابه . فلما اختلفوا ، ألقى الله عليهم النوم ، وكلَّمهم مُكَلِّم من ناحية البيت لا يدرون من هو : اغسلوا النبيَّ ﷺ وعليه ثيابه . فقاموا إلى رسول الله ﷺ ، فغسَّلُوه وعليه قميصه ، يَصبُّون عليه الماء فوق القميص ، ويدلكونه والقميصُ دون أيديهم . فأسندَه عليٌّ إلى صدره ، والعباس والفضل ، وقثم يقلبونه معه ، وأسامةُ وشقران يَصبَّان الماء ، وعليٌّ يُغسِّله بيده[3] .

واختلفوا في موضع دفنه ، هل يكون في مسجده ؟ أو مع أصحابه ؟ فقال أبو بكر : ادفنوه في الموضع الذي قُبض فيه ، فإن الله لم يقبضْ روحَه إلا في مكان طَيِّبٍ ، فعلموا أن قد صدق .

وكان أبو عبيدة بن الجراح يُضَرِّحُ كحفر أهل مكة ، وأبو طلحة زيد بن سهلَ يلْحَدُ كأهل المدينة ، فاختلفوا كيف يُصنع بالنبي ﷺ ، فوجَّه العبَّاسُ رجلين ، أحدهما لأبي

---

(١) الطبقات الكبرى ٢/٢٦٦ ــ ٢٧٢ .

(٢) « ومَوْليَاه » : هما من موالي رسول الله ﷺ .

(٣) الطبقات الكبرى ٢/٢٧٥ ــ ٢٧٧ .

عبيدة بن الجراح ، والآخر لطلحة ، وقال : اللهم خِرْ لنبيِّك . فحضرَ أبو طلحة فلَحَدَ[1] له .

ولما فُرغ من جَهازه يوم الثلاثاء ، وكانت وفاته يوم الاثنين حين زاغت الشمس ، قال علي : لقد سمعنا همهمة ولم نر شخصاً ، سمعنا هاتفاً يقول : ادخلوا رحمكم الله فصلُّوا على نبيِّكم .

ثم دفُن من وسط الليل ، ليلة الأربعاء ، وكانت مدة شكواه ثلاثَ عشرة ليلة .

ولما دفُن عليه الصلاة والسلام قالت فاطمةُ ابنته :

اغـبرَّ آفـاقُ السماء وكَوِّرتْ … شمسُ النهـارِ وأظـلمَ العـصرانِ
فـالأرضُ من بعـد النبي كئيبـةٌ … أسـفـاً عليـه كثيرةُ الرجفـانِ
فـليبكـهِ شـرقُ البـلاد وغربُهـا … ولتبـكـه مُضَـرٌ وكلُّ يمـانِ
وليبكـهِ الطَّـوْدُ المعـظَّـم جوُّه … والبـيت ذو الأستـار والأركانِ
يـا خـاتمَ الرُّسْـلِ المبـاركِ ضوؤه … صـلَّى عـليك مُنَـزِّلُ الفـرقـان

ويروى أنها تمثلت بشعر فاطمة بنت الأحجم :

قـد كنتَ لي جبـلاً ألوذُ بظـلِّه … فـتركتني أمشـي بأجردَ ضـاحِ
قد كنتَ ذاتَ حميَّـةٍ ما عِشْتَ لي … أمشـي البراز وكنتَ أنت جناحي
فـاليـومَ أخضـعُ للذليـل وأتَّقي … منـه ، وأدفعُ ظـالمـي بـالرَّاح
وإذا دعتْ قُمْـرِيَّـةٌ شجنـاً لهـا … ليـلاً على فَنَنٍ دعوتُ صبـاحي

ومما يُنسب لعلي أو فاطمة رضي الله عنهما :

مـاذا على من شـمَّ تـربـةَ أحمدٍ … ألا يَشُـمَّ مـدى الزمـان غـواليـا
صُبَّتْ عـليَّ مصـائبٌ لو أنهـا … صُبَّتْ على الأيـام عُـدْنَ ليـاليـا

وقال أنس بن مالك : لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ ـ يعني المدينة ـ أضاء منها كلُّ شيء ، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلمَ منها كلُّ شيء ، وما نفضنا الأيدي

(١) الطبقات الكبرى ٢/٢٩٤ ـ ٢٩٨ .

من دفنه حتى أنكرنا قلوبَنا[1] .

وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام ، أنه قال : « لتُعَزِّ المسلمينَ في مصائبهم المصيبةُ بي[2] » .

وفي حديث عنه : « أنا فرطٌ لأمتي ، لن يُصابوا بمثلي[3] » .

وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يرثيه :

أرقتُ فباتَ ليلي لا يزولُ ... وليلُ أخي المصيبةِ فيه طولُ
وأسعدني البكاء وذاكَ فيما ... أصيبَ المسلمون به قليلُ
لقد عظمتْ مُصيبتنا وجلَّتْ ... عشيَّةَ قيل قد قُبض الرسولُ
وأضحتْ أرضُنا مما عَرَاها ... تكادُ بنا جوانبُها تميلُ
فقدنا الوحيَ والتنزيلَ فينا ... يروحُ به ويغدو جبرَئيلُ
وذاك أحقُّ ما سالتْ عليه ... نفوسُ النَّاس أو كَرِبتْ تسيلُ
نبيٌّ كان يجلو الشكَّ عنا ... بما يُوحى إليه وما يقولُ
ويهدينا فلا نخشى ضَلالاً ... علينا والرسولُ لنا دليلُ
أفاطِمُ إن جزعتِ فذاكَ عذرٌ ... وإن لم تجزعي ذاك السبيلُ
فقبرُ أبيكَ سَيِّدُ كلِّ قبرٍ ... وفيه سيِّدُ النَّاسِ الرسولُ

ولو فتحنا باب الإكثار ، وسمحنا بإيراد ما يُستحسن في هذا الباب من الأشعار ، لخرجنا عما جنَحنَا إليه من الإيجاز والاختصار ، فالأشعار في هذا كثيرة ، ولأنواع الأسى والأسف مثيرةٌ ، فياله من خطب جلَّ عن الخطوب ومُصابٍ علَّم دمعَ العين كيف يَصُوبُ ، ورُزء غَرَبَتْ له النيِّراتُ ، ولا تعلل بشروقها بعد الغروب ، وحادثٍ هجمَ هجومَ الليل فلا نجاء منه لهاربٍ ، ولا فِرار منه لمطلوب ، ولا صباحَ له فيجلو غياهبَه الملمّة ودياجيه

(١) رواه الترمذي في الشمائل (باب ما جاء في وفاة رسول الله ﷺ) رقم /٢٧٤/ وفي المناقب برقم /٣٦٢٢/ وابن ماجه في الجنائز برقم /١٦٣١/ .

(٢) رواه مالك في الموطأ (باب جامع الحسبة في المصيبة) ١/٢٣٦ .

(٣) رواه الترمذي في الجنائز (باب ما جاء في ثواب من قدم ولداً) رقم /١٠٦٢/ وإسناده حسن .

المُدلهمَّة ، ولكل ليل إذا دَجى صباحٌ يؤوب ، ومن سرَّ أهلَ الأرض ثم أبكى أسىً بكى بعيون سرَّها وقلوب ، فإنا لله وإنا إليه راجعون من نار حُنيت عليها الأضالع لا تخبو ولا تخمد ، ومصيبةٍ تستَكُّ منها المسامع لا يَبلى على مَرِّ الجديدين حزنها المجدد :

وهـل عـدلت يـومـاً رزيّـةُ هـالك رزيَّـة يـومٍ مـاتَ فيـه محمـد
ومـا فقـد المـاضـون مثـلَ محمّـد ولا مثـلُه حتى القيـامـة يُفقـدُ

صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً .

* * *

وقد انتهى بنا الغرضُ فيما أوردناه إلى ما أوردناه ، ولم نسلك بعون الله فيه غير الاقتصاد الذي قصدناه ، فمن عثر على وَهَم أو تحريف أو خطأ أو تصحيف ، فليصلحْ ما عثرَ عليه من ذلك ، وليسلكْ سبيلَ العلماء في قبول العذر هنالك ، ومن مرَّ بخبر لم أذكرْه أو ذكرتُ بعضَه ، فلعلَّه بحسب موضعه من التبويب ، أو نسقهِ في الترتيب ، أو الاختصار الذي اقتضاه التهذيب ، أو لنكارةٍ في متنه تُنقم على واضعه ، أو لأني ما مررت به في مواضعه . ومن برىء من الإحاطة — أيها الناظرُ — إليك ، فليس لك أن تلزمَه بكل ما يردُ عليك .

* * *

* * *

ذكر الأسانيد التي وقعت لي من المصنِّفين
الذين أخرجتُ من كتبهم في هذا المجموع ما أخرجته

● فمـا كان فيـه من **صحيح البخـاري** : فأخبرنا به الشيخ أبو العز عبد العزيز بن عبد المنعم بن علي بن نصر الحَرَّاني بقراءة والدي رحمة الله عليه ، وأنا أسمع ، قال : أخبرنا أبو العباس أحمد بن يحيى بن هبة الله بن البيِّع الحافظ قراءةً عليه وأنا أسمع ببغداد سنة ستمائة ، وغيره إجازة . قالوا : أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى ، أخبرنا أبو الحسين الداودي ، أخبرنا أبو محمد بن حَمُّويه ، أخبرنا أبو عبد الله الفربري عنه .

● وما كان فيه من **صحيح مسلم** : فأخبرنا به أبو محمد عبد العزيز ابن الحافظ أبي الفتوح نصر بن أبي الفرج بن علي الحُصْـرِي قراءةً وأنا أسمع لجميعه ، أخبرنا أبو الحسـين المؤيد بن محمـد بن علي الطوسـي إجازة ، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضـل بن أحمد الصـاعدي الفَرَاوي ، أخبرنا أبو الحسـين عبد الغافر بن محمد الفارسي ، أخبرنا أبو أحمد محمد بن أحمد بن عيسى بن عمرويه الجُلودي ، أخبرنا ابن سفيان ، أخبرنا مسلم .

وقد سمعت قطعـة منـه : على أبي بكـر محمـد ابن الحافظ أبي الطـاهر إسماعيـل بن عبـد الله بن الأنمـاطي ، بسماعه من أبي القـاسـم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضـل الأنصاري بن الحرستاني ، وبإجازةٍ من المؤيد بن محمد ، قال الأول أنبأنا ، وقال الثاني أخبرنا أبو عبد الله الفراوي بسنده .

● وما كان فيه من **سنن أبي داود** : فأخبرنا به أبو الفضل عبد الرحيم بن يوسف بن يحيى بن العَلَم المَوْصلي قراءةً عليه وأنا أسمع لجميعه ، خلا من قوله : باب المستبان . إلى باب الأرجوحـة . فـإجـازة . قـال : أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزذ قراءة عليـه في الخامسـة ، وهو سمع الكتـابَ كاملاً : من أبي البدر إبراهيم بن محمد بن منصور الكرخي بعضَـه ، وبعضَـه من أبي الفتح مُفلح بن أحمد بن محمد الدومي كما هو مثبت عندي على الأصل . قالا أخبرنا أبو بكر الخطيب الحافظ ، أخبرنا أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي ،

عن أبي علي اللؤلؤي عنه .

وما كان فيه من كتاب **الجامع لأبي عيسى الترمذي** فأخبرنا بجميعه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن تَرْجم المازني قراءة عليه وأنا أسمع لبعضه ، وبقراءتي عليه لبعضه ، قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن أبي الكرم نصر بن البنا قراءة عليه وأنا أسمع ، أخبرنا أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الكَرُوخي ، قال : أخبرنا بجميعه القاضي أبو عامر محمود بن القاسم الأزدي ، وأبو بكر أحمد بن عبد الصمد الغُورَجي . وأخبرنا من أول الكتاب إلى مناقب عبد الله بن عباس أبو نصر عبد العزيز بن محمد التِّرياقي . ومن مناقب ابن عباس إلى آخر كتاب العلل أبو المظفر عُبيد الله بن علي بن ياسين ، قالوا : أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي ، أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد المحبوبي ، حدثنا الترمذي .

● وما كان فيه من **سنن ابي عبد الرحمن النسائي** فأخبرنا به غير واحد من شيوخنا سَماعاً ، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد بن عمر بن سالم بن باقا البغدادي ، قال : أخبرنا أبو زُرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي ، حدثنا أبو محمد عبد الرحمن بن حمد بن الحسن الدوني ، أخبرنا أبو نصر أحمد بن الحسين الكسَّار ، أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق بن السني عنه .

● وما كان فيه من **سنن ابن ماجه** فقد قرأتُ الكتابَ كاملاً على أبي علي يعقوب بن أحمد بن فضائل الحلبي ، قلت له : أخبرك الإمام موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادي قراءة عليه وأنتَ تسمع بحلب ؟ فأقرَّ به ، قال : أخبرنا أبو زُرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي ، أخبرنا أبو منصور محمد بن الحسين المقومي إجازة إن لم يكن سماعاً ، ثم ظهرَ سماعه ، أخبرنا أبو طلحة القاسم بن أبي المنذر الخطيب ، أخبرنا أبو الحسن علي بن إبراهيم القطَّان عنه .

● وما كان فيه عن ابن إسحاق ، فمن كتاب **السيرة النبوية** من رواية أبي محمد عبد الملك بن هشام النَّحوي وتهذيبه ، عن زياد بن عبد الله البَكَّائي عنه .

وقد قرأتها على أبي المعالي أحمد بن إسحاق الأَبَرْقُوهي إلا يسيراً ، فسمعته بقراءة غيري عليه ، قال : أخبرنا أبو محمد عبد القوي بن عبد الله بن الجَبَّاب قراءة عليه وأنا أسمع ،

وإجازة لما خالف المسموع إن خالف . ومن أصل ابن الجَبَّاب كانت القراءة ، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن رفاعة بن غدير السعدي ، أخبرنا القاضي أبو الحسن الخِلَعي ، أخبرنا ابن النحاس ، أخبرنا ابن الورد ، عن ابن البرْقي ، عن ابن هشام .

ولي في هذا الكتاب أسانيد أخر .

● وما كان فيه من **كتاب المغازي عن موسى بن عقبة فقد** سمعتُ من شيخنا الإمام عز الدين أحمد بن إبراهيم بن الفرج الفاروثي أكثر هذا الكتاب ، وأجاز لي سائرَه بسماعه من أبي محمد إسماعيل بن علي بن باتكين الجوهري بسماعه من أبي بكر أحمد بن المُقَرَّب الكرخي ، أخبرنا أبو طاهر أحمد بن الحسين بن أحمد بن الباقلاني ، عن أبي طالب حمزة بن الحسين بن أحمد بن سعيد بن القاسم بن شعيب الكوفي ، عن أبي الحسن علي بن محمد الشُّونيزي ، عن أحمد بن زنجويه المُخَرَّمي ، عن إبراهيم بن المنذر ، عن محمدبن فُلَيح ، عنه .

● وما كان فيه من **كتاب المغازي عن أبي عبد الله محمد بن عائذ القرشي** الكاتب فقد قرأت على أبي القاسم الخضر بن أبي الحسين بن الخضر بن عبدان الأزدي الدمشقي بها بعضَ هذا الكتاب ، فأجازني سائرَه وناولني جميعَه ، قال : أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن الحسن بن محمد بن البُنّ الأسدي قراءة عليه وأنا أسمع بجامع دمشق ، أخبرنا جدي ، أخبرنا أبو القاسم بن أبي العلاء ، أخبرنا أبو محمد بن أبي نصر ، أخبرنا أبو القاسم علي بن يعقوب بن إبراهيم بن أبي العَقِب ، أخبرنا أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم القرشي ، عنه .

● وما كان فيه عن محمد بن سعد فمن **كتاب الطبقات الكبير** له . وقد قرأت معظم هذا الكتاب على الشيخ الإمام بهاء الدين أبي محمد عبد المحسن بن الصاحب محيي الدين محمد بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي ، وأجاز لي جميع ما يرويه ، وكان سمعه كاملاً من الحافظ أبي الحجَّاج يوسف بن خليل بن عبد الله الدمشقي ، وذهب يسيرٌ من أصل سماعه ، فلم يقدر عليه حين قراءتي إياه عليه ، قال ابن خليل : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن دَهْبَل بن علي بن منصور بن إبراهيم بن كَارَة سماعاً عليه ببغداد ، قال : أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد بن عبد الله الأنصاري ، عن أبي محمد الحسن بن علي

الجوهري ، قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن زكرياء بن حيّوية ، قال : قرىء على أبي الحسن أحمد بن معروف بن بشر بن موسى الخَشّاب وأنا أسمع في شعبان سنة ثمان عشرة وثلاثمائة ، قال : أخبرنا أبو محمد الحارث بن محمد بن أبي أسامة التيمي ، أخبرنا ابن سعد . هذا الإسناد من أول الكتاب إلى آخر ما فيه من خبر النبي ﷺ ، وهو الذي أُخرج منه في هذا المجموع ما أخرج .

وقد تغير إسناده في باقي الكتاب ، ولا حاجة بنا إلى بيانه ، غير أني رأيت بعض من كتبه عن ابن دَهْبَل أسنده عنه عن القاضي أبي بكر سماعاً لجميع ما ذُكر عن الجوهري إجازة من أول الكتاب إلى قوله : ذكرُ مقام رسول الله ﷺ بمكة حين نُبِّىء إلى الهجرة . وعن أبي إسحاق البرمكي أيضاً إجازة ، قالا : أخبرنا ابن حَيّويه والذي وقع لي في إسناد ابن خليل بالعنعنة لم يتبيَّن فيه السماع من الإجازة . وقد أخبرنا به إجازةً الشيخ المسند أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم بن علي بن نصر بن منصور الحَرّاني ، قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن علي بن كَارَة قراءةً عليه وأنا أسمع لبعضه ، وإجازة لسائره ، بسنده المذكور أيضاً .

● وما كان فيه عن أبي القاسم سليمان بن أحمد **الطبراني** فأخبرني أبو عبد الله محمد بن عبد المؤمن بن أبي الفتح الصوري بقراءتي عليه ، وبقراءة الحافظ أبي الحجَّاج المزي ، أخبركم الشيخان : أبو الفخر أسعد بن سعيد بن روح الصالحاني ، وأم حبيبة عائشة بنت معمر بن الفاخر إجازةً من أصبهان ، قالا : أخبرتنا أم إبراهيم فاطمة بنت عبد الله الجُوزْدانِيَّة ، وعائشة حاضرة ، قالت أم إبراهيم : أخبرنا أبو بكر بن ريذَةَ ، أخبرنا الطبراني .

● وما كان فيه عن **أبي يَعلى الموصلي** فأخبرنا به أيضاً ابن عبد المؤمن بقراءتي عليه ، أخبرنا أبو مسلم المؤيد بن عبد الرحيم بن أحمد بن محمد بن الإخوة ، وعائشة بنت معمر بن الفاخر إجازةً ، قالا : أخبرنا أبو الفرج سعيد بن أبي الرجاء الصيرفي ، أخبرنا أبو نصر إبراهيم بن محمد بن علي الكسائي ، أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المقرىء ، عنه .

● وما كان فيه عن **أبي بشر الدولابي** فهو مما قرأته بدمشق على الشيخ الإمام أبي العباس أحمد بن إبراهيم الفاروثي ، أخبركم الأمير أبو محمد الحسن بن علي بن الحسن السيّدي ، قال : أخبرنا الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر سماعاً ، أخبرنا أبو طاهر محمد بن

أحمد بن أبي الصقر الأنباري ، أخبرنا أبو البركات أحمد بن عبد الواحد بن الفضل بن نظيف الفرَّاء ، أخبرنا أبو محمد الحسن بن رشيق ، عنه .

● وما كان فيه عن أبي بكر الشافعي فمن **الفوائد المعروفة بالغيلانيات** من رواية أبي طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان البزاز ، عنه . وقد سمعتها بقراءة والدي رحمه الله على أبي الفضل عبد الرحيم بن يوسف بن يحيى بن العلم ، ثم قرأتُها على أبي الهيجاء غازي بن أبي الفضل بن عبد الوهاب الدمشقي ، قالا : أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزذ ، أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين ، عن ابن غيلان .

● وما كان فيه عن **أبي عروبة الحسين بن أبي معشر الحراني** فمما سمعته على الشيخ أبي عبد الله بن عبد المؤمن بن أبي الفتح ، بظاهر دمشق ، عن زاهر بن أبي طاهر ، ومحمود بن أحمد الثقفيين ، وهشام بن عبد الرحيم الأصبهانيين ، إجازةً بسماعهم من أبي نصر محمد بن حُميد الكبريتي ، أخبرنا أبو مسلم محمد بن علي بن مُهْرَبَرد النحوي أخبرنا أبو بكر بن المقرىء ، عنه .

● وما كان فيه عن **أبي الحسين بن جُميع الغَسّاني** فمن معجمه ، وقد قرأته على الشيخ أبي حفص عمر بن عبد المنعم بن غدير القوَّاس ، بعربيل بظاهر دمشق بغوطتها ، أخبركم القاضي أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن الحرستاني حُضوراً في الرابعة سنة تسع وستمائة . قال : أخبرنا جمال الإسلام أبو الحسن علي بن المسلم بن محمد السلمي ، أخبرنا الحسين بن أحمد بن طَلاَّب الخطيب ، عنه .

● وما كان فيه عن أبي عمر فمن **كتاب الدرر في اختصار المغازي والسير** له وهو مما رويته عن والدي رحمه الله ، عن شيخه أبي الحسين محمد بن أحمد بن السراج ، عن خاله أبي بكر بن خير ، عن أبي الحَجَّاج الشنتمَري ، عن أبي علي الغساني ، عنه .

● وما كان فيه عن أبي محمد عبد الله بن علي **الرُّشَاطي** فمن كتابه في **الأنساب** وأخبرنا به والدي ، عن أبي الحسين بن السراج ، إجازة ، قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عُبيد الله الحُجْري إجازة إن لم يكن سماعاً ، قال : أخبرنا الرشاطي قراءة عليه .

● وما كان فيه عن القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليَحصبي ، فمن كتابه المسمى بـ **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** ﷺ وقد سمعته كاملاً بقراءة والدي رحمه الله بمصر على القاضي الإمام علم الدين أبي الحسن محمد بن الشيخ الإمام جمال الدين أبي علي الحسين بن عتيق بن رشيق بمصر في سنة سبع وسبعين وستمائة ، قال : أخبرنا الإمام أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني سماعاً عليه سنة تسع وستمائة ، قال : أخبرنا الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن عيسى التيمي إجازة ، أخبرنا القاضي عياض سماعاً .

● وما كان فيه عن الأستاذ أبي القاسم **السهيلي** فمن روايتي عن والدي رحمه الله ، قال : أخبرنا الشيخ الراوية الزاهد أبو الحسين محمد بن أحمد بن السراج إجازة إن لم يكن سماعاً . وقد سمع عليه الكثير بقراءة والده ، قال : قرىء كتاب **الروض الأنف** ، **والمشرع الروي** ، على أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي الحسن الخثعمي السهيلي ، مصنفه من أوله إلى آخره مرتين . وأنا أسمع . ومن كتابه هذا أثبت ما أثبت عنه هنا .

وربما أثبت فوائد في الفصول المتعلقة بشرح الأخبار السابقة لها وما اشتملت عليه من الغريب من فوائد ألفيتها بخط جدي أبي بكر محمد بن أحمد عَلَّقَها عن شيخه الأستاذ أبي علي عمر بن محمد الأزدي بن الشلوبين عند قراءة السيرة الهشامية عليه . وأثبتَها في طرر كتابه .

رحم الله جميعَهم ، ونفعنا بما يسَّر لنا من ذلك بمنِّه وكرمه آمين .

* * *

خاتمة النسخة « أ » هي :

تمَّ كتاب « عيون الأثر في المغازي والشمائل والسير » بعون الله تعالى وحسن توفيقه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم ، وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . وكان الفراغُ من نسخ ذلك يوم الأحد المبارك تاسع عشر ربيع الآخر من شهور سنة ١١٦٩ من الهجرة النبوية ، على يد كاتبه خليل الحنفي ، تغمده الله بالرحمة والرضوان ، وغفر الله له ولمن قرأ فيه ، ودعا له بالمغفرة ولسائر المسلمين أجمعين ، آمين .

أما خاتمة النسخة « ب » فهي :

تمّ جميع كتاب « عيون الأثر في المغازي والشمائل والسير » بعون الله تعالى وحسن توفيقه ولطفه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم ، وصلّى الله على خير خلقه سيدنا محمد النبيّ الأمّيّ ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً إلى يوم الدين ، ما هطل الغمام ، وغرّدت الحمام ، وأدمْ يا ربّنا ذلك على الدوام ، وذلك على يد العبد الفقير الذليل الحقير ، المعترف بالذنب والتقصير ، والراجي عفو ربه القدير ، أفقر العباد وأحوجهم إلى رحمة ربه ، الفار إليه من ذنبه ، الفقير علي بن أحمد بن علي البهيشيني بلداً ، الشافعيّ مذهباً ، وقد علّقها بيده الفانية لنفسه ، ينتفع بها قراءة وعارية وغير ذلك ، غفر الله له ولوالديه ، ولمن دعا له بالمغفرة والرحمة ، ومن نظر فيها خطأً وأصلحه ، آمين آمين آمين .

وكان الفراغ من نسخها يوم السبت المبارك عاشر شهر جمادى الأولى ، من شهور سنة سبع وعشرين وألف من الهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، إلى يوم القيامة وساعة القيام ، والحمد لله وحده ، وصلّى الله على من لا نبي بعده ، النبي الأمّيّ سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً إلى يوم الدين .

ولابدَّ من عيب فإن تجدْنه … فسامحْ وكنْ بالسَّتر أكرم مُفضلِ
فمن ذا الذي ما ساءَ قطُّ ومَنْ له … المحاسن قد تمَّتْ سوى خير مُرسَلِ

* * *

وأما خاتمة النسخة « ج » فهي :

والحمد لله وحده ، وصلّى الله على سيدنا محمد النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين . وعلّقه لنفسه ثم لمن يشاء الله من بعده العبد الفقير إلى الله تعالى ، الراجي عفو ربه أبو بكر ، الدلجي بلداً ، الشافعي مذهباً ، لطف الله به وبوالديه ، وبجميع المسلمين ، وذلك في صبيحة يوم السبت المبارك في شهر ربيع الأول من شهور سنة ١٠٨٠ من الهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، وكان الفراغ على يد كاتبها الفقير إلى الله تعالى ابن يحيى ابن الشيخ العارف بالله درشان الامبيلي بن عبيد الله بن طلحة بن سلمان بن هاشم الراجي عفو ربه رمضان القناوي ، الشافعي مذهباً ، لطف الله به وبوالديه ، وبجميع المسلمين ، آمين آمين رب العالمين .

* * *

وأما خاتمة النسخة « د » فهي :

هذا آخر السيرة النبوية ، والحمد لله وحده ، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً إلى يوم الدين . وكان الفراغ من تعليقها وقت أذان ظهر يوم الأُحد المبارك ، وهو العشرون من شهر جمادى الآخرة سنة إحدى وسبعين وألف . والحمد لله وحده .

* * *

وأما خاتمة النسخة « هـ » فهي :

تمَّ كتاب السيرة النبوية ، لابن سيد الناس ، بحمد الله أولاً وآخراً ، وظاهراً وباطناً ، وسراً ، وصلَّى الله على سيدنا محمد أشرف الخلق ، وحبيب الحقِّ ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليماً كثيراً أبداً إلى يوم الدين ، والحمد لله وحده .

وكان الفراغ من كتابته في سابع عشر شهر ربيع الثاني سنة ١١٠٣ هـ على يد العبد الفقير عبد الله بن محمد أبو اليسر الكتبي عفا الله عنه .

* * *

فهارس الجزء الثاني

من عيون الأثر

(أ) فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث **الصفحة**

همزة الوصل

طرف الحديث	الصفحة

همزة القطع

طرف الحديث	الصفحة

طرف الحديث | الصفحة

حرف الباء

حرف التاء

حرف الخاء

حرف الذال

طرف الحديث	الصفحة

حرف الزاي

حرف الراء

حرف السين

حرف السين

حرف الصاد

حرف العين

طرف الحديث **الصفحة**

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

طرف الحديث	الصفحة

حرف الميم

حرف النون

طرف الحديث | الصفحة

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

٢) فهرس الأعلام

الاسم **الصفحة**

الاسم	الصفحة

الاسم	الصفحة

الاسم	الصفحة

– م –

– هـ –

– و –

– ي –

* * *

(٣) فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة